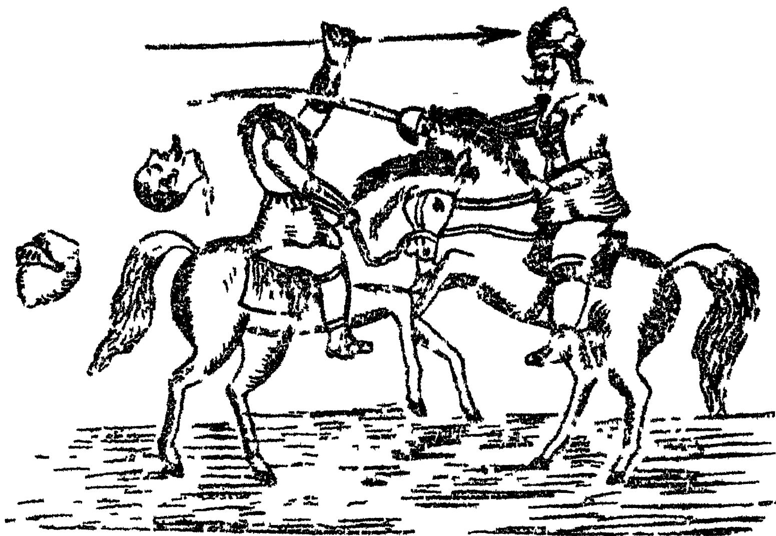
تغريبة بني هلال الكبرى

الشامية الأصلية

وهى تشمل على ستة وعشرون جزءاً كاملا



الطبعة الأولى

ملتزم الطبع والنشر

عبد الحميد احمد حنفي

شارع المشهد الحسيني رقم ١٨

[illegible] مصر صندوق بوستة الغورية ٣٧

تغريبة بني هلال الكبرى

الشامية الأصلية

وهي يحتوى على محل بلاد نجد العدية وقصة مغامس مع ابنة عمه
شاة الريم ، وزيادة أمراء بني هلال إلي بلاد الغرب وهم
يحي ومرعى ويونس ، وأبو زيد ليث الحرب
وحبس يحي ومرعى ويونس عند الزناتي
فى تونس ورجوع أبوزيد إلى الاطلال
وأول رحيل بنى هلال

الطبعة الأولى

١٣٦٧ — ١٩٤٨

ملتزم الطبع والنشر
عبد الحميد أحمد حنفي
بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨
المراسلات : مصر - صندوق بوستة الغورية رقم ١٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الاول

إنه لايخفي أهل المعارف والأدب بأن بلاد نجد كانت من أخصب بلاد العرب كثيرة المياه والغدران ، والسهول والوديان حتي كانت تذكرها شعراء الزمان بالأشعار والاحسان ، وتفضلها على غيرها نظراً لحسن هواها وكثرة خيرها وفيها كانت منازل بنى هلال فى سالف الأجيال وما زالت على رونقها الأول حتي تغير قطرها واضمحل وانقطع عنها الحشيش والنبات وعم البلا من جميع الجهات ولم يعد فيها شيء من المأكولات حتي صارت أهلها تأكل الحيوانات واستمرت المجاعة سبع سنين وذلك بعد الهجرة بأربع مائة سنة وستين ولما عظمت الأهوال واشتدت المجاعة على بنى هلال اجتمعت منهم المشايخ والشبان وقصدوا مضرب السلطان حسن ابن سرحان . فدخلوا وسلموا عليه وتمثلوا بين يديه وقالوا له عن فرد لسان اعلم يا ملك الزمان بأن الجوع قد اشتد وانقطعت المأكولات عن بلاد نجد وإن لم تدارك الأمر فى الحال انقرضت جميع بنى هلال وفسدت المواشى والأموال . قال الراوى فلما سمع الاميرحسن هذا الخطاب استعظم المصاب وكان عنده جماعة من السادات الأماجيد والفرسان الصناديد منهم البطل الهمام وليث الآجام الذي شاع ذكره بين الأنام وفاق على أقرانه بطعن الرمح وضرب الحسام أبو زيد فارس الصدام والأمير دياب بن غانم البطل المقاوم والقاضي بدير بن فايد السيد الماجد وأخذوا يتذاكرون فى هذا الشأن نحو ساعة من الزمان استقر رأيهم على الرحيل من تلك الديار قبل حلول الدمار ثم قال السلطان حسن لأكابر القوم دو [illegible] نتحي ونتفقد أحوال التميلة في هذا اليوم فتنكروا فى الحال حتى لايعرفهم أحد من النساء والرجال وركبوا ظهور الجمال وطافوا فى المضارب والخيام مدة ثلاثة أيام حتى داروا على أهل القبيلة فوجدوهم في ورطة وبيلة ولم يجدوا من يدعوهم الى ضيافته لانه لم يكن عند أحد عشا ليلة واتفق أنه فى اليوم

الرابع أشرفوا على سهل واسع في عدة مضارب وخيام وحواشي وخدام وكانت لامير شهير اسمه مفرج بن نصير وكان المذكور واقفاً عند الابواب وهو في حالة الذل والاضطراب وعيناه تذرف بالدموع من شدة الجوع فحيوه بالسلام ووقروه بالكلام وقالوا له أيها السيد الكريم أتقبل ضيوفاً قد قصدوك من أبعد إقليم لانك من أكابر سادات العشيرة وأفضالك بين الناس معروفة شهيرة فخجل من حديثهم وكلامهم ولم يجد بداً من إكرامهم فقال أهلا وسهلا بالضيوف فشردوا محلكم ولكم الفضل والمعروف فأجابوه إلي كلامه ونزلوا عن ظهور الجمال ودخلوا خيامه وكان لمفرج زوجة يقال لها مى وكانت من أجمل نساء الحى فقال لها اذهبي الآن واقصدى بيت أبيك شيبان لعلك تجدين شيئاً من أنواع الطعام تأتين به إلى ضيوفنا الكرام لانهم قصدونا دون باقي العربان وأتوا من أبعد مكان وليس عندنا شيء من أنواع المأكول وأشار اليها يقول من فؤاد متبول

يقول الفتى المدعو الامير مفرج ... أيا بنت عمى قد أتانا ضيوف
فقومي واسعي بالعشا لا تطولي ... فلون وجهي قد غدا مخطوف
فدورى على الجيران واستقرضى لنا ... وروحى الى اهلك بغير كلوف
والا فروحى للأمير مسلم ... فهو عمك صاحب المعروف
أيا خجلتي يا ذلتي يا ندامتى ... اذا ما جئت فى طعام للضيوف

(قال الراوى) فلما فرغ مفرج من كلامه أجابته زوجته على شعره ونظامه :

تقول فتاة الحى مى التى شكت ... ونيران قلبي زايدت وقود
أيا أمير أهلى ما لهم قط نجده ... ولا عندهم يا مير شئ موجود
وعمي مسلم بالمسا كان دائر ... على الحى من ضيفه بقى مكمود
وجيراننا يبكون من فرط جوعهم ... وأولادهم يا مير بعد رقود
لكنني لست عن القصد نائمة ... وانى أسير لنحوهم وأعود
عسى ربى يفرج همومي جميعها ... وتقضى حوايجنا فهو المعبود

(قال الراوى) فلما فرغت من كلامها سارت الى بيت ابيها ولما رآها ترحب بها فأعلمته بالقصة والمرام وطلبت منه شيئاً من الطعام فقال يا بنتى انه ما دخل الزاد لبيتنا منذ ثلاثة شهور وانى خجلان منك فاعذرينا يا معذور فلما سمعت كلامه رجعت فى الحال وأعلمت زوجها بذلك المقال وأنشدت تقول وعمر السامعين يطول .

تقول فتاة الحي مي التي شكت ❊ بدمع جرى فوق الخدود سجام
أيا ابن عمى استمع شرح قصتى ❊ غدوت الى أهلى مع الأعمام
وجدت أبي والعم يبكوا بحسرة ❊ وأولادهم يبكون كالأيتام
يبكوا حين شاقونى دخلت لحيهم ❊ وما عندهم يامير قوت طعام
حلف والدي أن الطحين وغيره ❊ ما دخل بيته من عهد عام
رجعت وقلبي قد غدا في حسرة ❊ ونيران قلبي زايدات ضرام
فقم يا ابن عمي ودور على عامر ❊ وبيع الى بنتك بدر التمام
بيع الثريا فى عشا لضيوفنا ❊ واشرى لعرضك لا تكون ملام
وأحسبها ماتت كما مات غيرها ❊ وياما جرا يامير على الأنام
وعشى ضيوفك يامير وعزهم ❊ تري الضيوف لهم حرمة وزود وإكرام
عسى إله العرش يفرج همنا ❊ ويزيل الغلا عنا مع الأوهام
مقالة فتاة الحي مي التي شكت ❊ حرام على عيني لذيذ منام

(قال الراوى) فلما فرغت من شعرها ونظامها وفهم زوجها فحوى كلامها قال لها نعم الرأى والتدبير فقومي الآن أصلحى شأنها والبسيها ثياب الحرير حتي أدور فى القبيلة جميعها وأدلل عليها وأبيعها فقامت وألبستها أحسن الثياب وعطرتها بأفخر الأطياب فتعجب الأمير حسن وأبو زيد ودياب وقالوا له هذا أمر غريب وحادث عجيب ولكنهم صبروا وهم متحيرون حتى ينظروا ماذا يجري ويكون وأما الامير مفرج فانه نهض فى الحال وطاف بابنته فى أنحاء بني هلال وهو ينادي ويقول يا أهل الفضل والمعروف من يشترى ابنتي الثريا بعشا أربعة ضيوف وكان كل من ينظر إليها ويتأمل فيها يتحسر على جمالها وحسن معانيها ويقول إذا اشتريناها ماذا نطعمها و نسقيها ولما لم يجد أبوها من يشتريها رجع بها إلي المضارب وكان ذلك عليه من أشد المصائب فقالت زوجته علامك ما بعتها يا أمير فقال لا يشتريها منى أحد لا بقليل ولا بكثير قالت له اذهب بها إلى عند السلطان حسن أمير القبيلة فانه يشتريها منك ولو بعشا ليلة فأخذها وسار وهو فى قلق وافتكار فعند ذلك خرج الأمير حسن من المضرب وانفرد وسار إلي صيوانه بدون أن يراه من أهل الامير مفرج أحد فلما دخل سلم عليه وقبل الارض بين يديه وأشار يقول من فؤاد متبول :

يقول الفتي المدعو أمير مفرج ❊ فلي قلب موجوعا وزاد أفكار

أيا أباعلي اسمع كلامي وقصتي واصغي لقولي وافهم الاخبار
يا مير جاز محلنا أربع ضيوف وداروا هلال كبارها وصغارها
وما عندنا بالبيت شيء نقيتهم ولا مرتع للدود والاطيار
أخذت إلى بنتي ودرت بجوعهم ودرت ميامنها ودرت يسار
فلم أجد من يشتريها منهمُ وأضيافي قد تركتهم بالدار
أيا مير ساعدني واجبر بخاطري يجبرك إلهي من عذاب النار
أيا مير نادي في هلال وعامر وسير الي بلدان تكون عمار
فما عاد يا مير لنا في نجد عيشة علانا بها بعد البياض صفار

فلما فرغ من هذا الشعر والنظام طيب الامير حسن خاطره واحترمه غاية الاحترام وقال وحق رب الانام أنه يصعب علي أن أسمع مثل هذا الكلام لانه يجرح قلوب السامعين فلا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين ثم أمر له بقنطار من الطحين وأن يرجع بابنته الى خيمته فشكره علي ذلك الاحسان ورجع بالصبية وهو فرحان ولما ابتعد وغاب عن المضارب والقباب نهض الامير حسن بالعجل وتزيا بزيه الأول وركب مطيته وسار الى بيت مفرج فوصل قبله وأعلم الامير أبو زيد بما فعله ولما وصل مفرج الى الخيام أعلم زوجته بما ناله من الانعام وبلوغ القصد والمرام ثم قال لها قومي الآن واصنعي العشا حتي تأكل ضيوفنا وتتعشي فبادرت في الحال وعجنت قرصا كبيراً وخبزته بدون اهمال وقدمه مفرج الي الضيوف وهو فرحان ملهوف وقال بسم الله تفضلوا وكلوا ولا تؤاخذونا بالقصور فاني والله معذور فقال أبو زيد لو جلست معنا كنا في غنا عن هذا التعب والعنا لانه يوجد معنا من الزاد ما يسد رمق الفؤاد ثم مد يده الي الخرج وأفرغه علي سفرة الطعام فشكره مفرج علي ذلك الاهتمام وجلس معهم يباسطهم بالكلام ثم تركهم ورجع الى فراشه ونام واما هم فأقاموا الي طلوع النهار فركبوا مطاياهم وقصدوا جوانب القفار ولما اقتربوا من وادي تلاعة سمعوا صياحا وضجيجا مثل يوم القيامة فتقدموا علي الأمر ليكشفوا حقيقة الخبر ولما صاروا في ذلك الزمان وجدوا جمهوراً من الرجال والشبان والنساء والصبيان وهم يصيحون من قلب موجوع من شدة الجوع فتقدم السلطان حسن اليهم وقد شفق عليهم فطيب خاطرهم بالكلام وفرق عليهم جوائز الانعام ثم سار الى المضارب والخيام واستدعى اليه سادات القبيلة وأكابر الجماعة وجعلوا يتفاوضون في أمر المجاعة

فاتفق رأيهم بوجه الاجمال على أن يرحلوا من تلك الاطلال بالاهل والعيال وأن يذهب أبو زيد الى بلاد الغرب وتلك الديار فيجس الاحوال ويأتيهم بحقيقة الاخبار ثم يرحلون بأولادهم وأثقالهم الى تلك الاقطار فقال أبو زيد للأمير حسن كل ما استحسنتموه فهو جميل وحسن غير أنه لا يخفاك أطال الله عمرك وبقاك أن المسافة بعيدة طويلة فيلزم أن يكون معي جماعة من سادات القبيلة فقال دياب هذا الأمر من أسهل الامور فخذ معك من تريد من الجمهور فقال أبو زيد متى طلع النهار يوفق الله ما يشاء ويختار ثم عاد الي الخيام وهو فى قلق واهتمام فقامت له زوجته على الاقدام ، وقالت له بكلام الدلال مالى أراك معبس الوجه ياأبا الابطال فأعلمها بواقعة الحال وكيف اتفق رأيهم على ارساله الي تونس ولا من يعتمد عليه ليأخذه معه علي سبيل المعاون والمؤنس وانى قد رهنت لساني مع القوم على أن أذهب فى ثانى يوم فقالت له انى أرشدك على حيلة تتخلص بها من هذه السفرة الطويلة وهو أنك عند الصباح تدخل على الامير حسن وسادات القبيلة وتقول أنك مستعد أن تذهب الى تونس بشرط أن يرسلوا معك الامير مرعي ويحيي ويونس فانهم من أبناء الاعيان ولا تسمح بهم أمهم أن يتغربوا عن الاوطان وبهذه الوسيلة يكون عذرك واضح عند الجميع فاستصوب منها هذا الكلام وفى ثانى الايام ذهب الى عند السلطان حسن فالتقاه بالاكرام والتبجيل وقال له هل استعديت على الرحيل فقال انى فى غاية الاستعداد للذهب الى تلك البلاد غير أني أريد أن يكون معى رفقاء وأصحاب من سادات الاعراب لأن المسافة بعيدة ومشقات الطريق شديدة فقال له السلطان حسن خذ معك من تريد من الفرسان الصناديد فقال أريد أن آخذ مرعي ويحيي ويونس لأنهم يعاونوني فى الطريق عند كل شدة وضيق وبهم يحصل النجاح والتوفيق وأعود اليكم سريعاً بلا تعويق فاستعظم السلطان حسن هذا الطلب خوفاً من العطب وكان يظن بأن أبا زيد يطلب غيرهم من فرسان العرب ولكنه سمح له أخيراً أن يأخذ معه الى تونس وفى الحال أحضر ولده مرعى وأولاد أخته يحيى ويونس ثم حدثهم بذلك الخبر وفى اليوم الثالث تجهزوا للسفر وركبوا الخيول واعتقلوا بالسيوف النصول وأخذوا معهم ما يلزمهم من المشروب والمأكول وركب السلطان حسن بن سرحان في سادات القبيلة وأكابر الأعيان وساروا لوداعهم مدة ثلاثة أيام على التمام ولما عزموا على الرجوع الى الاطلال

والربوع بكوا من فؤاد متبول وأشار أبو زيد يودعهم ويقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامي ونيران قلبي زايدات اللهايب
وعيني من كثر البكا قل شوفها جرى دمعها من فوق خدي سكايب
اسمع كلامي يا أمير أبو علي وكن لقولي فاهماً ثم حاسب
غدونا بعون الله جل جلاله نرود دروب الغرب ثم المغارب
وفي صحبتي مرعى ويحيي ويونس ومن أجلهم ذا النجع باكي وناحب
وعليا عيوني يا عرب في حيكم وصبرا وريا طويلات الذوايب
يابو علي بالك عليهم من العدا إذا هاجت الفرسان بين المضارب
اودعتكم لله ربي وخالقي ومن يلتجي لله ما راح خايب

قال الراوي فلما فرغ الامير أبي زيد من شعره ونظامه وفهم السلطان حسن وباقي الامراء معاني كلامه تقدم السلطان حسن امام قواده وجعل يوصي أبو زيد باولاده ثم بكي وقال

يقول الفتي حسن الهلالي أبو علي بدمع جرى من فوق خدي سكايب
ونيران قلبي كلما قلت تنطفي يزيد لها بين الضلوع لهائب
لفرقة مرعى صار قلبي ذائبا وأصبحت كالسكران للخمر شارب
ويحيي ويونس نور عيني وضوها على بعدهم دمعات عيني سكايب
فارقتهم ما كان قصدي فراقهم ولكن أحوجتني لذاك مطالب
أيا هل ترى مرعى أراه بناظري ونزول أيام العنا والمتاعب
أيا دهر ياغدار مالك غدرتني ففارقت خلاني وكل الحبايب
أودعتكم لله ربي وخالقي ومن أودع الرحمن ماراح خايب
أوصيكم المزح لا تمزحونه فانه باكثر الأوقات صائب
وإذا أردتم تدخلون مدينة فيونس تراه يشترى ويحاسب
وإذا جادلتم عالما بطريقكم فمرعى علي ذاك الجدال يجاوب
وأبقوا ليحيي حارساً لجمالكم فانه سيحميها من كل الاعارب
ومن ثم عليا فنور عيني ومهجتي وصبرا وريا أعز كل الحبايب
وهذه وصاياي احفظوها جميعها فان كلامي كله قول صايب
وهذه مقالات الأمير أبو علي فقلبي داب من هول المصائب

قال الراوى فلما فرغ السلطان حسن من هذا الشعر والنظام بكي كل من

كان حاضراً في ذلك المقام من السادات الكرام ثم تقدمت بعده امرأته الست نافله أخت الأمير دياب وهي في بكا وانتحاب وجعلت توصى الأمير أبي زيد بولدها مرعي ثم أنشدت تقول من فؤاد متبول

تقول فتاة الحى نافله النسا بكيت على الفرقة وما قد جرى لها
أبو زيد لا تترك لمرعى وحده فان غاب مرعى غاب عقلي وزالها
وحافظ علي مرعي في الصباح وفى المسا وداريه من الأخطار ثم وبالها
فكم رحلة من نجد إلى حد تونس فاعلمني حتي أعد ليالها
فياليت نجداً أرضها ما أمحلت ولا راح مرعي المغارب جالها

قال الراوى فلما فرغت الاميرة نافله من كلامها وفهمت الامراء فحوي شعرها ونظامها رثوا لها وعذروها علي مقالها ثم تقدمت الاميرة عمره أخت السلطان حسن امام الجموع وجعلت تودع ولدها يحي وتقول من فؤاد موجوع

تقول فتاة الحى عمره التي شكت وقرات قلبي فوق خدى سكيبها
أبو زيد تحي ياهلال بعرضكم فلا غير يحي وسط قلبي حبيبها
أبو زيد لا تبطي علينا بغيبتك فارجع مع أولادنا من قريبها
ودعتكم بالله ربى وخالقى ومن أودع الرحمن لا يخيبها

قال الراوى ولما فرغت الأميرة عمره من شعرها تقدمت الاميرة سرورة أخت السلطان حسن وجعلت تودع ولدها يونس بهـذه الابيات وتبكى على فراقه من الوطن

تقول فتاة الحى سروة التي شكت لفرقة وحيدى صار قلبي ذائب
وحيدي حديث السن ماذاق لوعة وما شاف بعده من أمور متاعب
يريد بلاد الغرب ينظر لاهلهـا ويكشف أراضيها وتلك السباسب
أبو زيد يونس قط ما شاف ضيقة ولاشاف ضربات القنا والقواضب
الا ياسلامى نور عينى أخذتها وقلبي تراه فى غيابه ذائب
أيا رب يارحمن سهل طريقهم واحفظهم ربى من كل النوائب

قال الراوي فلما فرغت الاميرة سروة من شعرها ونظامها وفهمت السادات فحوى كلامها تقدمت الامارا فودعوا أولادهم ثم رجعوا الى بلادهم وسار الامير أبو زيد مع الامرا يقطعوا البراري والقفار ويوصل الليل بالنهار قاصدين تونس وتلك الديار وأما السلطان حسن فانه عند وصوله إلي الخيام جمع السادات

الكرام وبعد أن تفاوضوا بالكلام وطلبوا من الله أن يمن عليهم بالسلامة وكان ذلك اليوم عندهم مثل يوم القيامة ثم أمر السلطان حسن بتغطية كراسيهم باربع شباكات من الحرير وان لا يجلس عليها سيد ولا أمير وقال مرادي اكتب تاريخ هذه الزيارة . حتي تبقى ذكراً لاهل القبيلة وتقراها الناس علي سبيل الافادة فاستدعى الامير زيد ابن مانع وكان كاتم أسراره وكاتب الوقائع فلما حضر أمره بتقييد هذه الابيات فى الدفتر وانشدها المحضر

يقول الفتى حسن الهلالي أبو علي	فذكرى قد غدا فى الكون شائع
بالجود والمعروف والفضل والعطا	والانس واللطف مع حفظ الشرائع
وأمي شريفة من سلالة هاشم	حرائر كرام لابسات البراقع
وكنا بنجد في سرور وفى هنا	وفى عز عيش كان والشمل جامع
فمحلت أراضينا وكل بلادنا	سبع سنين فى فنا ومجاوع
فاول سنة اسودت الارض كلها	وثاني سنة زادت علينا الوجائع
وثالث سنة نشف الجريد من الفلا	وصار الشجر على الارض ممدود واقع
ورابع سنة هربوا المطايا من القرى	وكل وحوش البر صارت تنازع
وخامس سنة انقرض النخل كله	وعم الجوع فى كل المواضع
وسادس سنة ذلت هلال وعامر	وكيف العمل والرأى في عام سابع
فارسلنا أبو زيد للغرب بالعجل	ليذهب ويخبرنا عن تلك المرابع
فكانت ستة ستين مع أربعمائة	كتبها فى الديوان زيد ابن مانع
فيارب يارحمن أجمع شملنا	وكن لدعانا مستجيب وسامع

ولما انتهى السلطان حسن من هذا الشعر والنظام وسمعها السادات الكرام استحسنوها غاية الاستحسان وسجلها زيد ابن مانع فى الديوان لتبقي لهم ذكراً على طول الزمان وكانت جميع النسا والبنات والامراء والسادات تدعو لرب السموات في اكثر الاوقات وتطلب منه نجاح أبو زيد فى تونس ورجوعه سالماً الى الديار مع مرعي ويحيي ويونس هذا ما كان من أمر القبيلة والسلطان حسن وأما ما كان من أبي زيد فانه بعد رحيله من الوطن ما زال مجداً فى المسير حتى أشرف على بلاد حزوه والنير وهي بلاد كثيرة الخيرات واسعة الاراضى والجهات وكان الحاكم عليها في ذلك الزمان ملك عظيم الشأن صاحب أبطال وفرسان اسمه الذيبي ابن مزيد فقصده أبو زيد دون كل أحد المدن ومهم

عليه وتمثل بين يديه ووقف مرعى ويحيي ويونس حواليه وقال أطال الله عمرك ورفع مقامك وقدرك فانك وحيد العصر وأولى بالمديح والشكر فلما سمع منه هذا الكلام رد عليه السلام وقال له لقد أحسنت فمن أى بلاد أنت قال نحن شعرا حجازية نطوف في البرية فنقصد الامراء الاجاويد ونمدح الملوك الاماجيد فنأخذ عطاهم وننقل ثناهم وهذا هو دأبنا فى كل عام أيها الملك الهمام فقصدناك الآن من أبعد مكان لنمدحك دون غيرك ونشكر فضلك وجزيل خيرك لأننا سمعنا بجودك وكرمك ومكارم أخلاقك وشيمك هذا الذى أوجب قدومنا إليك وتمثلنا بين يديك ومن الاتفاق الغريب والامر العجيب انا مررنا على نجد وتلك الاوطان ومدحنا سلطانها الامير حسن ابن سرحان فاجازنا بالجوائز السنيه وخلع علينا الخلع الملوكية وتلك البلاد الان فى غاية الضيق من شدة المحل وعدم وجود القوت والدقيق ثم أن أبا زيد بعد هذا الخطاب عدل الرباب وأشار يمدح الدبيسى ويعلمه عن أحوال نجد بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

أقول وقد زاد غمي من ألم الحشا ... والنار فى قلبي تزيد ضرام
من الهم والاحزان يا ما أصابنا ... وعدنا بحال الذل والاعدام
جفتنا منازلنا وكل بلادنا ... فصرنا ندور على ملوك عظام
أتينا إلى نجد العديه وأرضها ... نزلنا بارض الامير سلام
دياب والقاضي [illegible] ... [illegible] أصائل من دروع كرام
وسلطانهم حسن الهلالي [illegible] ... كرام الايادي من ملوك فخام
يا أمير اسمع من كلامي [illegible] ... وكن لقولي [illegible] الانغام
واعلم يقيناً ان نجد أصبحت ... بضيقة وشدة والامور عظام
[illegible] والمحل يا فخر الورى ... [illegible] ذل من دهره أتي بسقام
وحاط الفقرا بهم من كل جانب ... وهدوا صواوين لهم وخيام
[illegible] الاوطان يا ملك جميعهم ... وعدنا ندور على ملوك كرام
ركبنا مطايانا وجينا لقطركم ... وجينا لمحوك نطلب الانعام
فجودوا علينا يا كرام بخيركم ... وانتم أجل وأعظم الانعام
هذه مقالات الاديب على نقا ... فابقى بعيش هني يا زينة الايام

قال الراوى فلما سمع الدبيسي هذا الشعر والنظام وما حواه من الشرح والكلام اكرمهم غاية الاكرام وقال لهم مرحبا بكم يا وجوه العرب وأهل

الفضل والادب فانكم تستحقون الانعام والإحسان لانكم قصدتموني من أبعد
مكان ثم أنزلهم فى أحسن الخيام وقدم لهم المدام والطعام وأقاموا عنده عشرة
أيام وكان أبو زيد فى هذه المدة قد عرف أحوال البلاد وما فيها من العساكر
والاجناد وميز مراكزها وأراضيها وجميع نواحيها وبعد ذلك ودع الدبيسى
مزيد ورحل من ذلك البلد وما زالوا يقطعوا البراري والاكام مدة تسعة أيام
وكانوا يستترون بالنهار ويقطعون الفلاة تحت ظلام الاعتكار حتى وصلوا الى
بلاد العمق وهى بلاد الامير مغامس وكان وصولهم اليها فى الليل الدامس ولما
اقتربوا من الابيات سمعوا أصوات المولدات ودق طبول وزمور وأمور تدل
على فرح وسرور فقال أبو زيد لاصحابه أبشروا بالخير بعد هذا التعب والضير
فان أهل الحى مشغولون بعرس لهم ومن الصواب نقصدهم ونصرف هذه الليلة
عندهم ثم انهم قصدوا المضارب والخيام تحت ستور الظلام قال الراوى وكان
السبب فى ذلك انه كان اخوان اميران من اكابر الاعيان اسم الواحد عامر والثانى
أبو الجود وكانا موصوفين بالكرم والجود وكان للامير عامر ولد اسمه
مغامس جميل المنظر كانه القمر فصيح الكلام معتدل القوام وكان لابى الجود
بنت اسمها شاة الريم كانت فى الحسن على جانب عظيم لا يوجد مثلها فى بنات
الاقاليم . وفصيحة اللسان وبها كان يضرب المثل فى ذلك الزمان واتفق أبو الجود
على أنه يزوجها بمغامس ابن أخيه لانه كان يحبه ويهاديه ويمكنه من الاتفاق
وصار يتمم الامر بالصداق وكان لهذين الاميرين عدو من امراء العربان يقال
له نبهان فغار بجنوده ذات يوم على هؤلاء القوم . فالتقاه أبو الجود والامير
عامر بالابطال والعساكر وجرت بينهم حرب تشيب الاطفال فى المهود فجرح فيها
الامير عامر وقتل أبو الجود وكان للامير عامر عبد من الشجعان الصناديد يقال
له سعيد وكان يرعى الجمال بين الروابي والتلال فلما رأى تلك الحال وما حل
بمولاه من الوبال ركب ظهر الحصان وهجم على الملك نبهان وتبعته الابطال
والفرسان بقلوب أقوى من الصوان ولم تكن غير ساعة من الزمن حتى استطال
عليه وطعنه بالرمح بين يديه فالقاه قتيلا على الارض فوقع يتخبط بعضه ببعض
ثم انصب على جيش الاعداء فهزمها فى تلك الليلة وبعد ذلك رجع الى القبيلة
بغنائم جزيلة فالتقته النساء بالمشايد والمدح الزائد وشكرته الرجال على تلك
الفعال واكرمه مولاه غاية الاكرام ورفع منزلته الى أعلى مقام وفى اليوم الثالث

اشتد على الامير عامر الالم حتي صار فى حالة الخطر والعدم فاستقر رأيه على أن يقيم عبده سعيد مكانه لبينما يكبر ابنه مغامس ويرتفع بين الناس قدره وشأنه فجمع أكابر الديون والعبد سعيد وأشار عليهم بهذا القصيد

يقولي الفتى عامر على ما جرى له فقلبي قد اكتوى كي المجامر
مريض حزين موجع القلب والحشا اذا نامت الفرسان تلقاه ساهر
سبعين عاما عشتها في مسرة وكنت علي كل السلاطين قادر
اتانى مغامس بعدشابت عوارضي ويوم أتانى قد عقرت العقائر
أتونى جموع البدو من كل جانب ولا واحدا الا وقد جاء زائر
ألا يا كرام الحى وافت منيتي وقد صرت من أهل المقابر
أيا قوم من بعدى سعيد أميركم وسلطان فيكم علي كل العشائر
بكيت على ابنى مغامس ويتمه وفقدان خيلي والغنم والأباعر
الايا سعيد العبد اسمع مقالتى وافهم كلامي أنت بالدهر خابر
ربى مغامس ابن سيدك ودلله واعطيه شاة الريم ان صار قادر
مغامس حديث السن ماذاق لوعة ولا شاف ضرب المرهفات البواتر

قال الراوى فلما انتهى الامير عامر من هذا الكلام بكى كل من كان حاضرا من السادات الكرام وقال سعيد الى مولاه انى سأفعل ما أمرت . لانى عبدك وفى نعمتك قد أنشيت وكبرت ثم تفرقت العرب الى المضارب والخيام وبعد ثلاثة أيام شرب عامر كاس الحمام فغسلوه ودفنوه بالوقار والاحترام وبكي عليه الخاص والعام وفى اليوم الثانى جلس سعيد على الكرسي مكان مولاه الامير عامر واطاعته الاكابر و الاصاغر وقواد الجيوش والعساكر فكان يحكم فى القبيلة ويفعل مايريد ولايعترضه أحد من السادات ولاالعبيد حتي تمكن غاية التمكين وصار من جملة الملوك والسلاطين فلما اشتهر أمره وانتشر بين الناس ذكره داخله الطمع على اختلاس المملكة والقاء ابن مولاه مغامس في مهادى التهلكة فما كان منه الا أنه جمع الاعيان والابطال والفرسان وقال لهم علي روس الاشهاد اعلموا أيها السادة الامجاد قد صممت الآن علي طرد مغامس ابن سيدكم من الاوطان وارساله الى أبعد مكان فلاعدتم من الآن وصاعدا تعاملوه بشيء مهما كان وكل من خالف كلامي ولم يمتثل الى احكامى قطعت رأسه وأخمدت أنفاسه فماذا تقولون وماذا تجاوبون فقالوا سمعا والف طاعة . فما عدنا نعامله ولا نتكلم معه

من هذ الساعة لانك ملكنا وسلطاننا وحامي بلادنا وأوطاننا فبينما هم فى الحديث والكلام واذا بالامير مغامس قد دخل عليهم لخياهم بالسلام فلم يجسر أحد ان يرد عليه الجواب خوفا من القصاص والعقاب فتأثر من ذلك الامر واحترق قلبه بلهيب الجمر وعلم ان العبد سعيد مراده أن يختلس منه الامرية ويتملك على القبيلة بالقوة الجبرية فارتد راجعا على الأثر واعلم امه بذلك الخبر ثم بكا وتنهد. وبعد ذلك أنشد

يقول اليتيم الذى ضنا البين حالته	فدمع عينى على الحدود قناه
فقلبي كواه البين والهم والاسى	جفانى زمانى والزمان شفاه
اذ رحت للديوان أجلس كعادتى	رأيت سعيدا والعرب حداه
فلم جميع الحاضرين بصحبتة	كلاما شديدا قاسيا فحواه
مغامس لاتلقوه بالعز والهنا	ولا تجلسوا ولا تتكلموا واياه
فسلمت ما ردوا سلامي جميعهم	وقد عدت في ضنك وعقلي تاه

(قال الراوى) فلما انتهى مغامس من شعره ونظامه رثت امه لحاله وقالت الله يكون معنا يا ولدى فانى خائفة من غدر هذا العبد الردي . فانه نكر الجميل والمعروف وبادانا بالشر والمتلوف بعد أن كان راعي جمالنا وعبدنا وخدامنا فما انتهت من هذا الكلام حتى أقبل عليها من عنده بعض الخدام يقول لها ان تذهب بابنها من تلك الديار قبل ان يحل بها الهلاك والدمار وقد ارسل اليك هذه الناقة الجربانة وهذه الشاة والشقة الممزقة على سبيل الاحسان والصدقة فاذهبي في الحال قبل حلول الوبال فبكت ام مغامس من هذا الكلام وتذكرت أيام زوجها وما كانت فيه من العز والانعام وعلو الجاه ورفعة المقام ولكنها أجابت الامر بالسمع والطاعة ورحلت بابنها من تلك الساعة الى أن أشرفت الى وادعميق بقرب الطريق فاقامت هى وولدها هناك وهما فى حالة الخوف والارتباك ثم نصبا لهما خيمة من القش وأغصان الشجر لتوقيهما من حرارة الشمس وضو القمر وجلسا فى ذلك المكان تحت مشيئة الرحمن قال الراوي هذا ما كان من أمرهما وأما سعيد العبد الخائن اللئيم فانه كان قد أرسل يطلب شاة الريم وأمر أمها أن تجهزها تلك الليلة وتصلح حالها حتى يدخل عليها بحسنها وجمالها فلما سمعت شاة الريم ذلك الكلام كان عليها أشد من ضرب الحسام فجعلت تبكي وتنوح من فؤاد مجروح وباتت تنشد الاشعار على فقد ابن عمها حتى النهار فلما رأتها امها على هذه الحال وما أصابها من تبلبل البال واضطراب الاحوال قالت لها اعلمى يا ابنتي أن الصبر مفتاح الفرج ولابد أن نجد

لنا لهذا الضيق من خلاص ومخرج فاصبري على حكم الله وعلى ماقدره وقضاه وهذا العبد سعيد فانه جبار عنيد وشيطان مريد وقد ذلت له الفرسان الصناديد وابن عمك مغامس فقير الحال ليس له مال ولا رجال وان خالفنا له أمرا أخذك غصبا وقهرا فمن الواجب ان تسمع كلامه ونمتثل لاوامره وأحكامه فلما سمعت شاة الريم من امها هذا الكلام صبرت على أحكام رب الأنام وكان العبد سعيد قد صنع تلك الليلة وليمة عظيمة لها قدر وقيمة جمع فيها بعض الاعيان وأكابر الديوان فدقت الطبول ونفخت الزمور وقام في القبيلة الفرح والسرور ودقت المولدات بالدفوف ولعبت الفرسان بالرماح والسيوف فلما سمع مغامس أصوات الطبول وصهيل الخيول قصد الحي تحت ظلام الليل فعندها وقف على حقيقة الخبر طار من عينيه الشرر من شدة الوجد والغرام . وزواج ابنة عمه بدر التمام بذالك العبد ابن اللئام فرجع في الحال وأعلم امه بواقع الحال فبكت شفقة عليه وتذللت بين يديه وجعلت تتلطف بخاطره وتقول الله كريم فلابد أن تكون من نصيبك شاة الريم ثم جعلت تتوسل الي الله تعالى وتطلب المعونة والنجد والخلاص من تلك الشدة

وكان في تلك الليلة من غريب الاتفاق وصول أبوزيد إلى تلك الآفاق ومروره مع رفاقه على ذلك الواد فوجدوا مغامس وأمه وهما في حالة الانفراد وكان مغامس يبكي ويتحسر ويستغيث برب البشر ويقول ياألله يارحمن ارسل لنا أبوزيد فارس الميدان ليخلصنا من هذا الضيق العظيم ويجمع شملي بابنة عمي شاة الريم ومن شدة ما اعتراه عول أن يدفن نفسه وهو في الحياة .

(قال الراوي) وماأتم كلامه حتى صار أبوزيد أمامه فسمعه يناديه ويستغيث فيه فتعجب من هذا الكلام وقال وحق رب الأنام ان هذا من أعجب العجب لم يسمع بمثله بين العرب ثم تقدم اليه وسلم عليه وقال له من تكون أيها الانسان وماهو سبب إقامتك في هذا المكان ومن أين لك معرفة بابي زيد فارس الفرسان حتي تستغيث به وتلتجئ في طلبه فحدثه طرفا من قصته وأعلمه بحاله وكيف ان آباه قد أرصاه انه إن وقع في شدة يطلب أبوزيد مساعدة ونجدة فيأتيه الفرج بعد الضيق ويحصل على النجاح والتوفيق ثم قال له الغلام وأنتم من تكونوا أيها السادات الكرام فقال أبوزيد أنا من الشعراء وعادتنا مدح الملوك والأمراء وقد أمسى علينا الظلام ولا نعلم إلى من نلتجيء من الأنام فقال تفضلوا وشرفونا أيها

الضيوف ولكم الفضل والمعروف فنزلوا عن ظهور مطياهم ودخلوا إلى الخيمة وهم في حيرة عظيمة فاستقبلهم مغامس بالاحترام والوقار وأضرم لهم النار ثم ذبح لهم الناقة فى الحال ولم يكن عنده غيرها من النوق والجمال وجعل يبكى ويبدي التحيب ويترحب بهم غاية الترحيب وكانت أمه قد طبخت الناقة بالعجل فقدمها لهم وقال كلوا واعذرونا ولا تؤاخذونا فأكلوا وهم يتعجبون من قصة الغلام وفرط كرمه وأدبه وشيمه ثم أعلمهم بواقعة الحال على التمام والكمال فاستعظم أبو زيد الأمر ورآه من غرائب الدهر وصمم على مساعدة الغلام وقتل سعيد بن اللئام وبعد العشا جعل أبو زيد يدق على الرباب وينشد الأشعار ويسلى الغلام بالنوادر والأخبار ويهون عليه الأمور الكبار ومازال على تلك الحال حتى راق مغامس بعد ما كان آيس واتفق بينهم فى انشراح وسرور وأفراح أن أحد رعيان سعيد العبد قد فقد له بعيراً فى تلك الليلة فذهب يدور عليه خارج القبيلة فجاءت طريقه على تلك الوادى الذى نازل فيها مغامس فسمع صوت الرباب وكلام فصيح وخطاب فرجع على الأثر وأعلم سعيد بما سمع ونظر ثم أنشده هذه الأبيات أمام الأمراء والسادات :

مقالات الفتى المدعو عميره	ألا يا أمير قلبي فيه هادس
أنا قد ضاع منى بعير فاطر	وقلبي لأجله ياأمير هاجس
وقد طفت الجبال مع الروابى	فجا دربى على خيمة مغامس
وفيها النار تشعل يا ملكنا	وحول النار شعار جوالس
عليهم هيبة تزهو بحسن	وملبوس الثياب من الأطالس
وفيهم عبد فى يده ربابة	ينقلها على رابع وخامس
فلو طفنا البلاد لما رأينا	نظير صفاتهم أيضا أشاوس
ألا ياأمير احضرهم لعندك	واسمع قولهم يابو الفوارس
هنيئا للذى يسمع غناهم	ومثلك من يكون لهم مجالس
إذا طاوعتنى أرسل وراهم	وأحضرهم إلى أعلى المجالس
فان خالفتنى يا أمير تندم	وشاة نريم يأخذها مغامس
مقالات الفتى المدعو عميره	وقلبي من بحور الهم غاطس

(قال الراوى) فلما سمع سعيد هذا الشعر والنظام وفهم فحوى الشرح والكلام . علم أن القوم من الشعراء الذين يدورون على الملوك والأمراء فى طلب الفضة

والذهب . والمعاش والمكسب . فحدثته نفسه أن يستدعيهم لاتمام الأفراح وزيادة البسط والانشراح . فأرسل في طلبهم جماعة من السودان . ليأتوا بهم من ذلك المكان . منهم مرجان وسلمان وأبو علوان . وفسوان وضريطان وابو حمدان فساروا إلي أن وصلوا إلى أمام أبوزيد فنهض لهم على الأقدام وقال أهلا وسهلا باولاد الاعمام الذين يشربون البوظة ويأكلون الطرطوزة فشكروه على هذا الاكرام الشديد . وقالوا قد بلغ خبر قدومكم مولانا السلطان سعيد . فارسلنا لنحضركم إليه في الحال . وابشروا بالانعام والاموال . فودعوا العجوز وساروا مع العبيد قاصدين السلطان سعيد . وكانوا حاملين في أيديهم الرباب ومتقلدين بالسيوف من تحت الثياب . حتى وصلوا الى المضارب والقباب . فدخلوا على سعيد . فوجدوا عنده جماعة من السادات الاماجيد . وهو متكيء علي ظهره كأنه فحل الجاموس . ومنتظر قدوم العروس . فسلم أبوزيد عليه ووقف بين يديه . فلم يرد جواب كلامه . ولا اكترث بكلامه . ولكنه رفع له رجليه وبحلق في وجهه عينيه . وكان سعيد بدون لباس فانكشفت عورته أمام الناس . فتأثر أبوزيد من فعله . وقد صمم على قتله . ولكنه صبر الى النهاية . وكان له في ذلك غاية ثم التفت سعيد على ابى زيد وأصحابه . وقال لهم في خطابه انني رأيت منكم العجب كيف انكم تكونون من شعراء العرب . واصحاب الفضل والادب وتتركون زيارة السلطان . وتقصدون عجوزا لا قدر لها ولاشأن . فقال أبوزيد أطال الله عمرك . وزاد في مقامك وقدرك . أننا ما أتينا الى هذه القبيلة الا لنمدح جنابك . ونتشرف بساحة أعتابك غير ان وصولنا كان في الظلام وكنا قاصدين أن نزور حضرتك في ثاني الايام . الى ان ارسلت في طلبنا الآن مع الغلمان فحضرنا حالا امتثالا لامرك العالي . فلا زالت أيامك في سرور وافراح على طول الايام والليالي . ولما انتهي أبوزيد من مقاله . جلس على يمينه وجلس مرعى ويحيي ويونس عن شماله . وكان عند جلوسه اتكى ساعده على فخذ سعيد . بقوة وعزم شديد . فتألم سعيد من تلك الحركة . وقال لامرحبا فيك ولا حلت في قدومك علينا البركة . قاتل الله أباك وأمك ما أثقل دمك . فقال ابوزيد لاتؤاخذنا فانا ضيوفك كثر الله خيرك ومعروفك . هاتوا ما عندكم الآن من الاشعار الحسان فاذا كانت معانيها جميلة . اجزتكم بالعطايا والتحف الجزيلة . فقال ابو زيد اسمع كلامي . وتأمل في شعرى ونظامي ثم أنشد هذه الابيات . بحضور باقى السادات

يقول الحجازي والحجازي سلامي	أرى الدهر يغدر بالملوك الأفاضل
ياحيف أهل العز ولى زمانهم	ومن بعدهم حكمت أولاد الأراذل
يا لهف قلبي على ملوك قد مضـوا	حكم بعدهم فى الناس خدام عاطل
أنا ناصر الأيتام بالسيف والقنا	وطعان الاعادى فوق ظهر الاصايل
أنا منصف المظلوم جابر كسره	أنا فارس الفرسان مرزى الجحاول
أنا زوج الزينات لأبناء عمهم	وابعد عنهم كل خبيث مماطل
فلا خير فى عبد علا فوق سيده	ولا خير فى من يغـدر أهل الفضائل
فلا تحسب أن الدهر يصفي لظالم	ولابد ما أرديك فى طعن الذوابل

(قال الراوى) فلما انتهى أبو زيد من هذا القصيد . اغتاظ منه سعيد . وقال له ما هذا الكلام الغليظ الشديد . يا أخس العبيد . ولولا سواد لونك كنت قطعت رأسك . وأخمدت أنفاسك . فاجلس مكانك واكفينا شرك ولسانك ، ودع غيرك يطربنا بالكلام ياابن اللئام . فعند ذلك التفت مرعى اليه ، وقال له لا تؤاخذه ولا تغضب عليه فانه من جملة العبيد . أيها الملك السعيد . الذين لا يعرفون مقام الملوك ، ولا لهم خبرة بحسن التصرف والسلوك فان كنت تريد غنيتك الآن بقصيد يستحق الانعام ، ومزيد الاكرام فتزيل اكدارك ، وتبتهج أفكارك فقال سعيد هات ما عندك فأشار مرعى يقول وعمر السامعين يطول :

قال الفتى مرعي بقلب اشتكى	عميت عيون المير من كثر البكا
هذا كلامي فيك يا مير الملا	يا من على أعلى الوسايد اتكي
أنت السعيد وزاد سعدك عاجلا	كيف يا ملعون تاخذ ستكا
اني مدحتك فى بيوت جيـدة	والسيف من وسط القراب تحركا
اسمع كلامي يا سـعيد وافتهم	ما عاد لك ملجأ ولا مسلكا
لابد ما أدعوا مغامس يا سعيد	ياخذ لشاة الريم ويرغم أنفكا

(قال الراوى) فلما فرغ مرعى من كلامه وشعره ونظامه اغتاظ سعيد الغيظ الشديد وصاح على الجلاد أن يقطع رأسه ، ويخمد أنفاسه وعند ذلك اعتذر اليه يحي أمام الحاضرين ، وكبار السادات والمقدمين ، وقال له لا تؤاخذهم من هذا القبيل أيها الملك الجليل فانهم أناس بهاليل لايعرفون مضمون الكلام ولا يميزون بين

النور والظلام . ولكن ان أردت الآن فأنا أمدحك بيوت حسان ما سمعها أحد الا وزال عنه الغم والتكدر لانها تشرح الصدور ، وتجلب الافراح والسرور فقال هات ما عندك . لعن الله أباك وجدك فأشار يقول وعمر السامعين يطول .

قال الفتى يحي على شرح ما جرى فلي قلب زاد اليوم بالأوجاع
وسيفي حلف ماصاح يوم كريهة إلا الى رس العـدا قطاع
ركبت طريق الجود طفلا عن صغر على أشـقر عالي طويل الباع
ربيت على يد الأمـير أبو علي خالي وإن يوم اللقا نفاع
فمنا أبو زيد الهلالي سلامه وسلم كل عاصي الي سلامه طاع

انتهى الجزء الأول من تغريبة بنى هلال ويليه الجزء الثانى وهو بقية قصة مغامس مع ابنة عمه شاة الريم

الجزء الثانى من

تغريبة بني هلال الكبرى

الشامية الأصلية



قصة مغامس مع ابنة عمه شاة الريم

ألا ياسعيد الدهر خوان بايق ... فكم قد هدم من حصون وقلاع
ياحيف شاة الريم تحظى بخائن ... ردي اللبن اسود ذميم طباع
ترى الدهر ادرى بالملوك الذى مضوا ... وخلا الازايل صايرين رقاع
أياعبد تحكم في مغامس وتطرده ... وأمه حزينة بيتها بلقاع
وماكنت ياغدار ترثى لحالهم ... وهل يوم تحكم على جميع بساع
ولابد شاة الريم تأخذ مغامس ... وأنت تقاسي همومها وأوجاع
وخليك ياطنجير مطروح على الثري ... وتاكل عظامك ياسعيد سباع
لأنك غدرت بحق سيدك خنته ... وتركته فى ذله ونزاع
مقال الفتى يحيي مخاصم من طغا ... فلابد منا ماتشوف سباع

قال الراوي فلما فرغ يحيي من شعره ونظامه وفهم سعيد فحوى كلامه زاد عليه الحال واستعظم ذلك المقال وصاح على الجلاد بقطع رأس الثلاثة الشعراء قصاصا لهم على ذلك الافتراء فنهض يونس على الاقدام واعتذر اليه بالكلام وقال له لا خفاك ياملك الزمان ان هؤلاء الشعراء من اوباش العربان لانهم تكلموا بحضرتك بما لا يليق من الكلام فلا عتب عليهم ولا ملام فان أردت الآن أن انشدك أبياتا ماسمعها ملك ولاسلطان الا استحسنها غاية الاستحسان فانها تشرح بالك وتقطع أوصالك فلما سمع الكلام وكان سكرانا من كثر شرب المدام لايفرق بين النور والظلام فقال بارك الله فيك انشدني وخذ منى مايرضيك فان صدرى قدضاق وقلبي يحدثنى بالفراق فانشد يونس يقول وعمر السامعين يطول

قال يونس من فؤاد التهب ... والدمع منى قد غدا اهطالها

أنى أمير بالحروب مجربا منى تشيب من الحروب بطالها
انى أمير مثل صارم في اللما اطعن بيمنها وشمالها
ماعدت تنجو ياسعيد العبد لا والروح منك فى حسامى زالها
عندك فرس بيضا قبالك واقفة فاذا مست رن السدم حلخالها
حسنا مليحة مارأينا مثلها فى لطفها وبظرفها وكمالها
طول الردينى كأنها عود القنا فاقت على كل النسا بجمالها
الشعر منها مثل ليل أسود وعيونها مثل الغزال نخالها
إياك تقربها وتأتى صوبها ترديك فى ضرب يحوز نعالها
فكأن روحك ياسعيد بيدها وأما مغامس بالوري خيالها
هي بنت عمه ما يريد خلافها حاشا لمثلك أن يشوف خيالها
ارجع عن الزينات واسمع كلمتى انى نصوحك لاتكون هزالها
قال الفتي يونس اسمع ياسعيد ابوزيد قبلك كم ملوك أزالها

(قال الراوي) فلما فرغ يونس من شعره ونظامه وفهم سعيد فحوى شعره وكلامه عظم عليه الامر وتوقد قلبه بلهيب الجمر وقال قد احضرناكم يا لئام حتي تطربونا بالشعر والنظام وتأخذوا مني الجوائز والانعام ولكنكم اسأتم الادب وخرجتم عن سنة العرب وتكلمتم بمالايليق قدامى ولا اعتبرتم قدري ولا مقامي فلابد من قتلكم على هذا الاخراق وكلام الزور والنفاق . فلما انتهى من هذا المقال التقه أبوزيد مثل سبع الاجام وضربه على رأسه بالحسام فقتله في الحال واورثه الخبال ثم انه هجم على باقي العبيد وتبعه يحي ومرعى ويونس الفارس الصنديد ولم تكن الا لحظة من الزمان حتى أنزلوا بهم الهوان ومسحوهم بالسيف المهند وان وبعد ذلك جمع أبوزيد سادات القبيلة والوجوه الكبار وقال لهم هاقد قتلت هذا العبد الغدار وجماعته الاشرار لانهم طغوا وتجبروا وماتوا وانقبروا فلارحم الله ذاك العبد اللئيم والوغد الذميم لان مراده كان استخلاص المملكة من هذا مغامس اليتيم وأخذ ابنة عمه شاة الريم ومرادى الآن ان اقيمه سلطانا مكان أبيه فما هو رأيكم وماذا تقولوا فيه قالوا هو ابن مولانا وقد رضيناه علينا أميرا وسلطانا ونحن جميعا عبيده وطوع يديه ولانبخل بارواحنا عليه فعندذلك ركب ابوزيد الحصان وركبت معه الابطال والفرسان والسادات والاعيان وقصدوا الامير مغامس الى ذلك المكان ومعهم الطبول والدفوف وهم سائرين صفوف صفوف

حتي وصلوا اليه فسلموا عليه وتمثلو بين يديه وأعلمه أبو زيد بواقعة الحال وكيف أنه قتل ذلك العبد المحتال ففرح مغامس بهذا الخبر وزال عنه القلق والضجر ثم احضروه الي الحلة مع امه بموكب عظيم وزفوا عليه ابنة عمه شاة الريم وأجلسه على الكرسى مكان ابيه وصارت العرب تمدحه وتهاديه لانه كان ميتا فعاش وتخلص من ايدي اولئك العبيد الاوباش فشكر ابوزيد ومرعى ويحيي ويونس على ذلك الصنيع وتعجب من ذلك الاتفاق الذى لم يسمع مثله فى التواريخ والمجاميع وأراد ان يمنعهم عن السفر الى تونس وان يبقوا عنده فيزيد فرحه ويستأنس فقال ابوزيد لابد عن السفر وها أنت قد امنت من الخطر وأقام أبو زيد فى الحلة ثلاثة أيام فى فرح وسرور وغبطة وحبور وبعد ذلك ودع الامير مغامس وسار مع يحيي ومرعى ويونس قاصدين مدينة تونس وهم يجدون فى قطع الروابي والتلال ومازالوا علي تلك الحالة مدة خمسة أيام علي التمام والكمال حتى وصلوا الى مكة المشرفة وقلوبهم علي زيارة قبر النبي متلهفة وبعد أن زاروا القبر والمقام وأدوا واجبات الوقار والاحترام اجتمعوا فى شكر الشريف بن هاشم المنعوت بالشرف والمكارم وهو زوج الجازية أخت السلطان حسن وأعلموه السبب فى خروجهم من الوطن فترحب بهم وأكرمهم غاية الاكرام وأقاموا عنده مدة ستة أيام وكانت الجازية من أفرح أهل الدنيا بمشاهدة أبو زيد ويونس ومرعى ويحيي ثم إنهم ركبوا وساروا ولو كانوا لهم أجنحة لطاروا وما زالوا يقطعون البرارى والآكام حتى أشرفوا إلي بلاد الأعجام بعد عشرة أيام فدخلوا اليها فى النهار وداروا فى أسواقها حتي اختبروها غاية الاختبار وعرفو عدد أهلها وسكانها واسم ملكها وسلطانها ثم دخلوا إلى الديوان ومدحوا الملوك بنفائس الأشعار الحسان وبعد ذلك رحلوا من تلك الديار وجدوا فى قطع القفار وأوصلوا سير الليل بسير النهار حتي وصلوا الى بلاد التركمان ودخلوا على ملكها الغضبان ومدحوه بالقصائد الحسان فأكرمهم غاية الاكرام وأجازهم بنفائس الانعام ومن هناك ركبوا ظهور الخيول وجدوا فى البراري والسهول إلي أن وصلوا إلي عند الخفاجي عامر حاكم بلاد العراق وتلك البراري والآفاق وكان رجلا كريم الأخلاق فدخلوا عليه وسلموا عليه وتمثلوا بين يديه فرد عليهم السلام وأجلسهم بجانبه فى صدر المقام وأكرمهم غاية الاكرام ثم ان أبو زيد أخذ يمدح الخفاجي عامر بهذه الأبيات على مسامع الأمرا والسادات .

يقول الأديب قصيد من ألم الحشا　　وعقلي تراه قد غدا محتار
وعيني من كثر البكا قل شوفها　　جرى دمعها فوق الخدود غزار
بكيت وبكاني زماني وهانني　　وأصبحت عريانا بغير ستار
ألا ياخفاجى استمع شرح قصتي　　واصغى إلى قولى مع الأخبار
جفتنا أراضينا من المحل والغلا　　سبعة سنين تقصف الأعمار
فصارت أكابرنا وكل قرومنا　　يبكوا ودمعات العيون غزار
وصرنا ندور على الملوك جميعهم　　ونقصد أجاويد لنا وأخيار
سمعنا بجودك أنت يا فخر الملا　　مربى اليتامي فى سنين عشار
فجئنا لنحوك نستظل بظلك　　يا فارس الفرسان يا مغوار

(قال الراوى) فلما انتهى أبو زيد من شعره ونظامه وفهم الخفاجي عامر فحوى كلامه استحسنه غاية الاستحسان، وأجازهم بالجوائز الحسان، ثم قدم لهم الطعام فشكروه على هذا الاهتمام وأقاموا عنده ثلاثة أيام في عز وإكرام ثم ودعوه وجدوا فى قطع البرارى والاكام. وما زالوا يقطعون الصحراء حتي وصلوا بعد عشرة أيام الى حلب الشهباء وكانوا قد تعبوا من مسافة السفر فنزلوا عن خيولهم واستظلوا تحت أغصان الشجر. وكان ذلك المكان. داخل بستان

(قال الراوى) وكان سلطان المدينة في تلك الايام. رجلا عالي المقام ممدوحا من الخاص والعام. اسمه الملك بدريس وهو رجل لطيف أنيس وكان له وزير عاقل خبير اسمه الخزاعى صاحب رأى وتدبير فاتفق ذلك اليوم. انه خرج فى جماعة من القوم قاصدا الصيد والنقص واغتنام اللذات والفرص. فمر بذلك البستان فوجد أبوزيد ومن معه من الاعوان فتقدم اليهم. وسلم عليهم. وسألهم عن أحوالهم. وعن بلادهم واطلالهم فنهض أبوزيد على الاقدام وتكلم معه بافصح كلام. وقال أطال الله بقاك. وبلغك غاية مناك. اننا شعرا اتينا من بلاد الشرق قاصدين الملوك وأكارم الخلق * فسمعنا فى جودك وكرمك. ومحاسن أخلاقك وشيمك فقصدناك هذا المكان أملا بالانعام والاحسان، لأنك فريد الزمان. أولي بالمديح والشكران. ثم انه عدل الرباب وأنشد هذه الابيات على مسامع الامراء والسادات.

قال الأديب بيوت من ألم الحشا　　ونيران قلبي زايدات اللهايب
اسمع كلامي يا أمير وافتهم　　وكن لقولي فاهما ومحاسب

جفتنا أراضينا من المحل والغلا　　وحلت بنا بعد السرور متاعب
وبعد ذلك قد دهتنا فوارس　　مابين ألف فوق خيل أطايب
فغاروا علينا يا أمير بجمعهم　　وداروا علينا مواكباً وكتايب
قتلوا فوارسنا وسبوا عيالنا　　وخلوا نسانا راخيات الذوائب
وساقونا سوق الغنم من بلادنا　　وعدنا ندور على بلاد الاغارب
فاكرم علينا يا أمير فاننا　　صرنا بحال الذل بين الاعارب

(قال الراوي) فلما انتهي أبو زيد من هذا الشعر والنظام . شكره الخزاعي على هذا الكلام ، وقال له اعلم يا شاعر العرب ، وصاحب الفضل والادب إنني الخزاعي وزير بدريس سلطان حلب . فاقصدوني نهار غداً الى المدينة وأنا أخلع عليكم الخلع الثمينة فيزول عنك العناء ، وتنال القصد والمنا . ثم تركهم وسار وجد في قطع القفار بمن معه من الانفار . وبعد أن غاب عنهم وابتعد أرسل أبو زيد الامير يونس إلى البلد ليأتيهم بشيء من المأكل والمشرب لانهم كانوا في غاية الجوع والتعب فسار بالعجل وجعل يدور فيها ، ويتأمل في أسواقها وحسن مبانيها ثم رجع بالطعام قبل دخول الظلام وأخذ يشرح لابى زيد عن حسن المدينة وما شاهد فيها من القلاع الحصينة . وقال له فى آخر الكلام اعلم يا فارس الصدام . انها من أظرف المدن والبلدان . نظراً لما فيها من الأبنية والحوانيت الحسان ولا سيما لطافة أهاليها وكثرة الفاكهة الموجودة فيها . فلما سمع مرعى بأوصاف مدينة حلب تعجب غاية العجب وقال لابو زيد الرأى عندي الآن أن نرجع الى الديار والاوطان ونأتي بقومنا الى هذا المكان ونعيش بالراحة والامان . فقال أبو زيد لا بد من مسيرنا أولا الى تونس ثم صبر الى الليل وبعد ذلك ركب مع جماعته يحيي ومرعي ويونس وجدوا فى قطع البرارى والآكام ومروا بحماه وحمص وطرابلس حتى أشرفوا على مدينة الشام ، وكان الحاكم عليها في ذلك الزمان ملك عظيم الشان . اسمه شبيب التبعى ابن مالك بن حسان ، وكان عالى الهمم ، موصوف بالجود والكرم . فدخلوا اليه وسلموا عليه وصار أبو زيد يمدحه بهذه الأبيات ويقول :

يقول الأديب قصيد من ألم الحشا　　بدمع جرى فوق الخدود سجام
محلت أراضينا وقد قل خيرها　　وصرنا ندور على ملوك عظام
سمعنا بجودك يا شبيب التبعى　　أيا فارس الفرسان يا مقدام

أتينا نزورك من بلاد بعيدة ونعود فى عزك مدى الأيام
ونثنى بذكرك فى البلاد جميعها فأنت مغيث القوم يوم صدام
فجود علينا بالمكارم والعطا فانك كريم من اباه كرام
واصرف زجانك بالسرور وبالهنا على طول الدهر والأعوام

(قال الراوى) فلما انتهى أبو زيد من هذا الشعر والنظام اكرمهم غاية الاكرام واخلع الخلع العظام واقاموا عنده ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع ودعوه وساروا الى أن وصلوا الى القدس مدينة الانبياء ومحل التبريك والتشريف فاقاموا بها يومين ومنها ساروا الي مدينة غزة ودخلوا على حاكمها السركسى ابن نازب فمدحوه بنفائس الاشعار واقاموا عنده عشرة أيام فى اعزاز وإكرام الى ان عرفوا مركز المدينة وما فيها من السكان والقلاع الحصينة ثم جدوا فى قطع البرارى والكفار والسهول والاوعار حتي وصلوا الي العريش ودخلوا على حاكمها البردويل ابن راشد فمدحوه بالاشعار والقصائد وأقاموا عنده ثلاثة أيام فى انبساط واكرام ثم ودعوه وجدوا فى قطع البرية الى أن وصلوا الي مصر العدية فقصدوا ملكها الفرمند ابن متوج ودخلوا عليه وتمثلوا بين يديه ومدحوه بنفائس الاشعار فالتقاهم بالترحاب والوقار وأقاموا عنده ثلاثة أيام وهم فى اعزاز واكرام ولما اختبروا أحوال البلاد وعرفوا مافيها من العساكر والاجناد ودعوه وساروا قاصدين الصعيد وبلاد المغرب الي أن وصلوا الى عند الماضى بن مقرب فدخلوا وسلموا عليه وتمثلوا بين يديه ومدحوه بالأشعار فاعتبرهم غاية الاعتبار وأقاموا عنده عشرة أيام فى اعزاز واكرام ، وكان هذا الرجل من أعلى الناس هما ، وأوفاهم عهوداً وذمماً ، وأنداهم جوداً وكرماً يكرم الضيوف ، ويجود بالألوف وهو الذي ذكره العالم النحرير والمؤرخ الشهير صاحب العلوم والفنون عبد الرحمن بن خلدون فى كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر ويقال انه كان فى الجود والمكارم أسخي من جعفر وحاتم وسوف يأتي ذكره بعد الآن ، ونشرح عن مزاياه الحسان .

(قال الراوى) وفى اليوم الحادى عشر تأهب أبو زيد للسفر . فودع الماضى وسار مع جماعته .

(قال الراوي) واتفق أن جماعة من شعراء العربان كانوا قد قصدوا بلاد نجد ومدحوا السلطان حسن بن سرحان باشعار الحسان كما جرت العادة في ذلك

الزمان فأجازهم بالعطايا الجميلة ، والمواهب الجزيلة ، وكان من جملتها جارية من بنات الحي اسمها مي . فشكروه على هذا الجميل والاحسان . ثم ساروا قاصدين الغرب وتلك الأوطان . حتى وصلوا الي تونس الخضراء ومدحوا الزناتي خليفة وباقي الوزراء فأحسنوا اليهم وأنعموا عليهم ثم باعوا تلك الجارية الظريفة الى سعدى بنت الزناتى خليفة ، وكانت هذه سعدي من أجمل البنات ، لطيفة الذات قد اتصفت بالانس والمحاسن ، وشاع ذكرها في جميع الأماكن تجيز الأدباء والشعراء وتنادم الملوك والأمراء ذات أدب وفضل ، ولها معرفة بضرب الرمل فاتفق أنها سألت تلك الجارية ذات يوم عن سبب وقوعها فى أيدى أولئك القوم فأخبرتها بالقضية ، وكيف أن السلطان حسن أوهبها لهم على سبيل الهدية فقالت لها وهل يوجد بين الامم من يشابهك فى الظرف والجمال ومكارم الشيم وحسن الخصال وهو بطل الابطال وزينة الرجال الامير مرعى ابن مولاى حسن سلطان بنى هلال فلما سمعت سعدى منها هذا الكلام تعلق قلبها فى مرعى وهام لان سماع الآذان تعشق فى أكثر الأحيان قبل مشاهدة العيان . فقالت لها اذا كان كلامك هو حقيق فاوصفيه على التحقيق فأشارت مي تقول :

تقول فتاة الحى مى التي شكت	فدمعى جرى من مقلة العين ساكب
ياست سعدى اسمعى شرح قصتي	ومن بعد قولى تنظرين العجائب
ولو تنظرين ياست سيدى يحيى	فتمسى طول عمرك فى متاعب
ولو تنظرى ياست يونس مرة	فنظرة فى يونس تزيل المصايب
ولو تنظرى ياست مرعي بنظرة	نظرة على نظرة فتسلى القرايب
له وجه مثل البدر عند اكتماله	وخدين تحكى ساطعات الكواكب
له خد احمر والعيون نواعس	وكالسيف قاضى قفلته الحواجب
وطوله كعود الزان لو كان مائل	وأحسن هلال وعامر والاعارب
فما شفت مثله فى الانام جميعها	أيا نار قلبي رايدات اللهائب

(قال الراوى) فلما انتهت مى من هذا الشعر والنظام وفهمت سعدى فحوى هذا الوصف والكلام . قالت لها هل تسمح باترى الايام ، وتبلغنى القصد والمرام وذلك بقدوم مرعى ويحيي ويونس الى مدينة تونس فقد تعلق قلبي بهواهم ولا يمكن أن أسلاهم وقد خطبنى عدة أمراء وجماعة من الملوك والوزراء فلم يرغب أبي بهم ولا أجابهم الى طلبهم . وقد بنى لى هذا القصر الكبير وفوض

إلى زمام الأمر والتدبير . ثم إنهم بعد هذا الخطاب والكلام أنشدت تقول هذا الشعر والنظام .

تقول سعدى بنت سلطان تونس   الأيام والدنيا تسوى العجائب
لقد كنت فى عز وأهنى عيشة   أنام وأضحى فوق أعلى المراتب
لقد جار دهرى وعظمت مصائبي   وصرت ذليلة بين كل الأقارب
ولى ثمان عشر سنة فى حال شدة   وفى الذل والأهوال من كل جانب
أتوا يخطبونى من السند والرها   ومن الهند حتي ومن بلاد المغارب
ولا أمير إلا قد قصد لبلادنا   يقرى مراسيه ويرتد خائب
حلف أبوى أن لا يزوجنى أحد   ولو دفعوا له مال المغارب
وقد بنا لى هذا القصر رغبة   مزين البنيان مرفوع الجنائب
عتبته من الفضة الرو باص والذهب   والباب صندل من خاص الخشائب
وعمل خرستانات من خاص ماصنع   شبابيك حرير وزادت عجائب
ولما بنى ذا القصر فى الحى والوطن   جعل فراشه من حرير الرطائب
وعلق داخله ستين جوهرة   فى الليل يضوي مثل ضو الكواكب
ولما بنى البنا لقصره وهندسه   أعطى له من المال ماكان طالب
وهذه ترها قصتي ومقالتي   ودمعات عينى فوق خدى سكائب

(قال الراوى) فلما فرغت سعدي من شعرها ونظامها ، وفهمت مى فحوى كلامها جعلت تسليها بأنواع الكلام ، وتقول لها عليك بالصبر يا بنت الكرام فما بعد الصبر إلا الفرج وبلوغ المرام . فقالت لها سعدى قومي بنا نتنزه فى البستان . وأنا أضرب هناك الرمل وأنظر أحوال أسيادك الذين ذكرتيهم لي الآن فان قلبي تعلق بهم غاية التعليق ، ومرادى أن أعرف أخبارهم على التحقيق . ثم أخذتها معها الى البستان وكان من أحسن المتنزهات وهناك ضربت الرمل وولدت البنات من بطون الأمهات ، حتي تأكد لها ذلك الخبر جهراً وعرفت بالامور التى سوف تجري ، وبينما هما فى الحديث والكلام اذ أقبل عليها الغلام ، وكان هذا الرجل من سادات الأنام ، وابن عم الزناتى خليفة ، ونائبه فى معاطاة الاحكام ، صاحب معرفة وعقل ، ومن أخبر الناس فى ضرب الرمل ، وكان يتردد على سعدي فى أكثر الايام لانه من جملة الأهل وبنى الاعمام ، فسلم عليها فردت عليه السلام واستقبلته بالترحاب والاكرام فجلس بقربها ، وكان قد عرف مافى قلبها

لانه كان قد ضرب الرمل فى ذلك النهار ، وظهرت له حقيقة الاخبار فأعلمها بأفكارها وكشف لها عن أسرارها . فطلبت منه أن يكتم ذلك الخبر ولا يبيح به لأحد من البشر خوفاً عليها من الضرر ، وقالت أريد من فضلك يا عمي ، ومن كاشف همى وغمي أن تعلمنى متى حضر هؤلاء القوم فانى بانتظارهم فى كل يوم فأجابها الى ذلك الطلب ، وأوعدها بالمساعدة على بلوغ الأرب . ثم ودعها وسار طالباً الصيد والقنص وبقى ثلاثة أيام حتى رجع الى داره بسلام .

(قال الراوى) هذا ما كان من سعدى وعمها العلام وما وقع بينهما من الحديث والكلام . وأما ما كان من البطل الهمام والأسد الضرغام أبو زيد فارس الصدام ومن معه من السادات الكرام فانهم كانوا قد جدوا فى قطع الروابى والآكام مدة عشرة أيام حتي وصلوا الى تونس وقت الظلام فباتوا خارج المدينة وفى الثاني تأملوا فى مبانيها فوجدوها متينة وأبراجها حصينة كثيرة القلاع قوية الدفاع أنهارها غزيرة وخيراتها كثيرة فجعلوا يدورون حواليها ويتبصرون كيف يكون الهجوم عليها فاتفق أنهم دخلوا فى بعض الايام الي بستان وكان كفردوس الجنان فاستتروا تحت أغصان الشجر وكانوا يقطفون ويأكلون من الثمر فبينماهم على تلك الحال اذ أقبل عليهم العلام وجماعة من الابطال قد أرسلهم الزناتى ليقبضوا عليهم ويقيدوهم بالاغلال حيث كان بلغه خبرهم من الفرسان بأنهم ذلك البستان فداروا بهم من اليمين والشمال فلما نظر أبو زيد تلك الفعال استعد للحرب والقتال وهجم عليهم كالسبع وضرب بالسيف في ذلك الجمع فقتل منهم عدة رجال ومددهم على الرمال ثم تكاثرت عليهم العساكر والجنود وأحاطوا بهم احاطة الدمالج فى الزنود وقبضوا على مرعى ويحيي ويونس فى الحال وأوثقوهم بالقيود والاغلال ولم يقدروا على أبو زيد فى الحرب والقتال فعند ذلك تقدم اليه العلام على انفراد وقال له من تكون من العباد و ما هو سبب مجيئكم الى هذه البلاد فقال اننا شعراء من بلاد الشرق وعادتنا أن نمدح الامراء وأكابر الخلق فسمعنا بكرم الزناتى الخليفة وما خصه الله به من الشمايل اللطيفة فقصدناه من بلاد بعيدة لأجل هذه الغاية الوحيدة وكان وصولنا مساء أمس الى البلد فبتنا فى هذا المكان حيث أننا غرباء ولا نعرف أحد الى أن أشرفتم بجمعكم علينا وأوصلتم أذاكم الينا بدون أن تعلم المقصود وأنا اسمى محمود واسم جماعتى شداد وحماد ومسعود فقال له لقد كذبت في المقال وتكلمت بكلام محال

وما أنت إلا الأمير أبو زيد صاحب المكر والكيد وأما رفاقك فهم يحيي ويونس وقد أتيتم الى بلادنا لتروّدوا بلاد تونس ثم انه بعد هذا المقال أنشد :

يقول الفتى العلام عما جري له … الأيام والدنيا تسوى العجائب
فنحن الملاحم يا سلامه تدلنا … من عهد تبع أرخت في الكتايب
وعندى خبر بطلوعكم من أرضكم … يوم الخميس العصر والريح طايب
فودعكم حسن الهلالي أبو على … بمدة سبعة أيام والضعن سايب
ثمانين أميراً الذى قروا الفاتحة لكم … وأهدوها لمن هو عالم بالمصايب
فجئتم على أرض الدبيسى ابن مزيد … وقصدتموه دون كل الأعارب
وجئتم بلاد العمق فى حال سرعة … قتلتم سعيد العبد بين المضارب
وجئتم على شكر الشريف ابن هاشم … فرش لكم خاص الحرير الرطايب
ودرتم بلاد العجم من كل ناحية … وجئتم إلى الكوفة وتلك السباسب
وجئتم بلاد التركمان جميعكم … فردتم أراضيها من كل جانب
وجئتم إلى أرض الخفاجى مامر … أبو ذوابة وهو قليد العرايب
قطعتم حلب من خوف تعلم صفاتكم … قطعتوها والليل راخي غياهب
وجئتم الى غزه بلاد خصيبة … مدحتم ملكها السركسى ابن نازب
وجئتم الى مصر ابن يعقوب يوسف … مدحتم ملك فرمند ابن الأطايب
ولو تعلم يا بورية ماذا يصيبك … لبكيت عمرك بالدموع السواكب
فتؤخذوا للشنق عشرين مرة … وأنا أخلصك بحد القضائب
بحوش الزناتى للثلاثة رفاقتك … وأنت تعاود فى وسيع الكتايب
فتجمع رجالك يا هلالي سلامه … مثل الجراد المنتشر فى السباسب
أربع تسعينات ألوف عدادهم … يا أبو مخيبر يا قليد العرايب
تسعين المسمى الهلالي أبو على … لطيف المعانى والليالى حدايب
وتسعين للقاضي بدير ابن فايد … وتسعين للزغبي دياب المحارب
وتسعين من زحلان قومك وعزوتك … أمارا وممدوحين بين العرايب
تطيب لكم نجد الى قاع تونس … فلما تخشوا إلي بلاد المغارب
يجيكم أبو سعدى الزناتى خليفة … يخلي دماكم على الاراضى سكايب
ومن بعدها يأتي دياب ويقتله … بمزراق فى عينه يقد القضايب
نخذ برنسي واذهب ودور بلادنا … وروح ودورها شرقها والمغارب

وإن كلموك الحميرية فقل لهم   أنا شاعر العلام ذاك المحارب
أنا شاعر العلام يا من يكلمك   أخلي قناتى فيه تغدى شطايب

فلما فرغ العلام من هذا المقال امر الفرسان بالهجوم عليه وقال امسكوه ولا تأذوه فانطبقت الفرسان على ابي زيد من اليمين والشمال حتى قبضوا عليه وأخذوه مع باقي اصحابه الي عند الزناتى المشار اليه وصحبتهم العلام المذكور فان الضرورة أحوجته لتلك الامور وذلك امتثالا لطاعة الزناتى ابن عمه لانه لم يقدر على مخالفة امره وحكمه ولما دخلوا بهم عليه تمثلوا بين يديه وقالوا اعلم يا مولانا ان هذا العبد الذى حاربنا ودهانا ، وقتل منا أبطالا ، وفرسانا فاغتاظ الزناتي وتكدر من هذا الخبر وقال لأبى زيد من تكون من العربان يا أخس السودان قال نحن شعراء نقصد الملوك والامراء فنمدحهم ونأخذ الانعام ونحصل على بلوغ المرام وهذا هو دأبنا فى كل عام . فسمعنا بكرمك ومحاسن شيمك فقصدناك من بلاد العرب طمعاً بالفضة والذهب . وإذ كنا من الاغراب ليس لنا فى هذه المدينة أصدقاء ، ولا أحباب ، ولاسيما فى تعب وضيق من مشقات الطريق دخلنا الى ذلك البستان لنأخذ لأنفسنا راحة يا ملك الزمان ثم نقصد جنابك العالى وباقي السادات والموالى فأحاطت بنا العساكر مع الاهالى وداروا علينا يا مولانا قاصدين قتلنا وأذانا فاقتضي اننا دافعنا عن أنفسنا بقدر الامكان إلي أن وقعنا في قبضة الاسر والهوان ، وقد عرضنا قصتنا عليك ، وفوضنا أمرنا اليك فأمر ماتشاء وتريد أيها الملك السعيد ولما سمع الزناتي هذا الكلام أبدى الضحك والابتسام وقال يا مناحيس ما أنتم الا جواسيس أتيتم لتدوروا البلاد وتعرفوا أحوال العباد ثم تذهبوا وتأتوا بالعسكر ، والجمع الوافر فتمتلكون بلادنا وأراضينا ، وتتحكموا بجموعكم فينا ، وهذا هو السبب الذى قادكم الينا ، وحملكم على القدوم والهجوم علينا فلابد من قتلكم وأولاد على روس الاشهاد جزاء على هذه المجاسرة وتكونون مأكلا للوحوش الكاسرة .

(قال الراوى) وكان الزناتى قد وقف على الخبر اليقين من المنجمين ودهاة الرمالين . وبعد مفاوضات طويلة مع ارباب المجلس استقر الرأى على شنق أبي زيد ومرعى ويحيى ويونس فأخذ العسكر هؤلاء الاربعة . وكانت الناس عليهم مجتمعة ولأجل التقادير مروا بهم تحت قصر الأميرة سعدى وكانت فى ذلك الوقت جالسة تتغدى . فلما سمعت ضجيج العسكر قامت مع جاريتها لتعلم

ما الخبر فطلت رأسها من الشباك وهي فى حيرة وارتباك فلما معنت فيهم النظر اعتراها الغم والكدر وقالت لمولاتها اعلمى يا زينة الدنيا ان هؤلاء الثلاثة هم مرعي ويونس ويحيي وأما هـذا العبد الرابع فهو ليث الوقائع الامير أبي زيد فارس المعامع فلما سمعت سعدى منها هذا الكلام تبدل نهارها بظلام لانها كانت تعلقت بحب مرعى دون باقى الانام فصاحت علي الجلادين والعساكر المحافظين وقالت لهم ارجعوا الى عند ابي بهؤلاء العرب واياكم ان تقتلوهم فيحل بكم العطب وانى سأتبعكم علي الاثر لاقف على حقيقة الخبر فلما سمعوا كلامها وفهموا قصدها ومرامها أجابوا أمرها بالطوع والامتثال ورجعوا بهم فى عاجل الحال وذلك لما يعهدون من علو منزلتها منفوذ كلمتها ثم ان سعدى بعد ذلك الخطاب لبست أفخر الثياب وتعطرت بالاطياب وسارت الي عند أبيها فى جماعة من حواشيها وكان جالسا فى الديوان ومن حوله الوزراء والاعيان فدخلت وسلمت عليه وقبلت يديه فنهض لها قائما علي الاقدام واحترمها غاية الاحترام وأجلسها بجانبه في صدر المقام ثم سألها عن كيفية أحوالها وعن السبب الذى أوجب انزعاج بالها فقالت قد بلغنى من الاعوان بأنك أمرت بشنق جماعة من شعراء العربان أتوا قاصدين جنابك من أبعد مكان طمعا بالانعام والحصول على بلوغ المرام فما كان جزاءهم منك الا القتل والاعدام عوض الاحسان والاكرام فلما سمعت بهذا الكلام انزعج بالى وتغيرت أحوالى لانى أعلم أن هذا الحال يكون سببا للقيل والقال بين سادات الرجال وينسبوك الى البخل والغدر ويتكلم فيك زيد وعمرو فأمرت العسكر والمحافظين أن يتوقفوا عن قتل هؤلاء المساكين لبينما آتى اليك وأقص هذا الحديث عليك فلما سمع أبوها هذا المقال أعلمها بواقعة الحال وقال لها ان هؤلاء الرجال ما قصدوا هذه الديار والاطلال الا ليريدوا البلاد ويقفوا على أخبار العباد ثم يذهبوا ويأتوا بالعساكر والاجناد ويستخلصوا ديارنا بالحرب والجلاد وهذا هو السبب يا منتهى الارب وصاحبة الفضل والادب فما فعلت إلا الصواب لانهم يستحقون القتل والعذاب فقالت اذا فعلت ذلك تعيرك جميع دول الممالك لانه لم يثبت عليهم ذنب لحد الآن ولا يوجد عليهم ولا برهان كما ترى يامالك الزمان وأنا أشور عليك بحسب فكرى أن تحبس هؤلاء الثلاثة شبان فى قصرى ويكونون تحت طوعي وأمرى وترسل ذلك العبد الى بلاده بلا إهمال فى طلب الفدا والمال فان أحضر ذلك يكون فكهم من الاعتقال وتكون

أنت معذور عند جميع الرجال فقال لها وحق الاله الرحيم إني خائف من هذا العبد اللئيم لانه فارس شديد وبطل صنديد .

يقول أبو سعدى الزناتي خليفة فعقلي تراه قد غدا محتار
أتوني جواسيس من الشرق عاجلا امارة أصائل من فروع كبار
ونزلوا على أرض لنا وبلادنا فصرنا بحيرة والأمور عسار
وفيهم ترى عبداً كبار شفافه له ضرب يقطع صخرها وحجار
أيا نور عيني كيف أفعل بعبدهم أطلقه ثم أحبس الأمار
أتتني سعدي مثل الشمس منيرة لها وجه يضوى مثل نور قمار
وقالت ارفق ياأبي بأوامرك ترى الظالم يخرب كل دار عمار
أيا سعدي قلبي على العبد خائف أرى كتفه للبس الدروع كبار
أيا أبي هذا كان ملاّ في بلاده على كثر حمل الماء كتافه كبار
أيا سعدى قلبي من العبد خائف أرى رجليه لوخز الركاب كبار
أيا أبي هذا كان ساعي فى بلاده علي كثر المشي رجليه كبار
أيا سعدى قلبي من العبد خائف أرى كفوف العبد لطعن الرمح كبار
أيا أبي هذا كان فران فى بلاده على كثر رق الخبز كفوفه كبار
فامسك جياد القوم واطلق عبدهم يخبر إلي سيده بما قد صار
فيحضر لنا مالا ونوقا كثيرة ويأتى بخيل ملاح كثار

(قال الراوى) ولما فرغ الزناتى من هذا الشعر والنظام أجاب سعدى الي ذلك المرام فأخذت الأربعة أنفار وسجنتهم عندها فى الدار علي عيون النظار ثم انها أخذت من الطعام مايكفيهم جميعا ونزلت إليهم سريعاً فاجتمعت بمرعى فى أول الامر وقالت كل ولا تخبر أحد بل احفظ ذلك بالسر ثم فعلت هكذا بيحيي ويونس وقالت ليونس أن يرسل لها أبو زيد فلما حضر قدمت له شيئاً من الطعام فشكرها على هذا الاهتمام ثم انه قسمه إلى سبعة أقسام فسألته عن سبب ذلك فقال اعلمي يا زينة الممالك وبدر الليل الحالك أني أنا وجماعتي أربعة وأنت والجارية اثنتان على التمام والحصة السابعة ساحزمها بحرام وأرسلها الي ابنة عمي عليا فى الظلام وكان أبو زيد يقول هذا الكلام وهو متوقف عن أكل الطعام فقالت له سعدى لماذا لا تتغدي وأنشد يقول :

اذا أكلت أنا وجماعت جماعتى فادعي على حالى بضرب الصفائح

وان جعت أنا وآكلت جاعتي   فأحمد ربي وهو كريم مسامح
أيا ست زاد اثنين يكفي ثلاثة   ويكفي أربعة يا ست والكل وانح
ويكفي الخمسة من أجاويد حينا   ويكفي لستة من هلال السمائح

فضحكت سعدى من كلامه وأعجبها فحوى شعره ونظامه ثم انها بعد ذلك الكلام أخرجتهم من الحبس وأحضرتهم الى عندها وقدمت لهم الطعام وأخذت تحادثهم بالكلام وتسألهم عن أحوالهم وبلادهم وأطلالهم فقال ابو زيد نحن من جملة الشعراء نقصد الملوك والامراء فنمدحهم بنفائس الاشعار ونرجع الى الديار بالدرهم والدينار فقالت إنكم لم تعلموني على الحقيق مع أنني عارفة بأحوالكم على التحقيق ثم أخذت تعلمهم بسفرهم وما جري لهم في الطريق والسبب في قدومهم الى تلك الديار بهذا القصيد الذي يستحق الاعتبار .

قالت سعدى بنت سلطان تونس   بدمع جري فوق الخدود غزار
ضربت تخت الرمل عشرين مرة   ومن بعدها شفت الحروف جهار
فعرفتكم وعرفت اسم أميركم   وعرفت أسامكم بلا إنكار
ان مشير القوم سلطان عامر   حسن بن سرحان الامير جهار
وهذا يحيي وذاك يونس ومرعى   وأنت أبو زيد فاس الاقطار
فحلت أراضيكم وقد قل خيرها   فجيتم لتونس تكشفوا الاخبار
فقالوا يا أبو زيد ترضاك رائد   ترود بلاد القيروان عمار
فقلت لهم سمعا وألفين طاعة   أريد ثلاثة من فروع كبار
فجاءوا ثلاثتهم اليك كأنهم   أسود كواسر طالبين قفار
فمن يوم فارقتم نجد وأرضها   فاني اقتفي منكم الآثار
ركبتم مطاياكم وسرتم بسرعة   قصدتم مكة والنبي المختار
وجزتم حلب ليلا في حال سرعة   ودرتم حماه وحمص بوسط نهار
وجئتم لارض الشام بلادها   وجئتم الى القدس الشريف جهار
وجئتم الى مصر ابن يعقوب يوسف   مررتم على نيل الصعيد مرار
مررتم على الماضي لحي ركابكم   درش لكم بيت الضيافة ودار
ولابد ما تأتي هلال بن عامر   من الشرق في جمع كثير غزار
بأربع تسعينات الوف عديدهم   كذا دل الرمل بالاخبار
بحرف الالف تألف عليكم قلوبنا   اربع تسعينات الوف مهار

والباء بدت خيل ابن سرحان أبو علي ... بهجن تلافيها قطار قطار
والتاء ترى في محل نجد وأرضها ... سبعة سنين كاملات عسار
والجيم جئتونا ترودوا بلادنا ... وتأخذ لقومك صحة الاخبار
والحاء حبي ثم غرامي بحبكم ... وحبي لمرعى قد كوانى بنار
والخاء خليناك ترجع وتنثنى ... تجيب لنا مال وما تختار
والدال دل الرمل عندى وبان لي ... بأن بلاد القيروان دثار
والذال ذل الرمل تملك بلادنا ... وتخلونا من أرضنا وديار
والراء رأيناكم تجو يا سلامه ... على أصايل نقطع الأقفار
والزاء زلزلت البلاد بأهلها ... وكل أمير يخجل الأقمار
والسين سرتم من بلاد بعيدة ... قطعتوا القضا والسهل والأوعار
والشين شديتم المطايا لأرضنا ... وكم دار قطعتوها بعقب نهار
والصاد صدناكم علي غير خاطر ... وعدتم بقاع السجن باشعار
والضاد ضربتم في جموع زناته ... وميعد معه تاريخكم وأخبار
والطاء طفتم الغرب ردتم بلادنا ... وأبصرتم البلدان وكل ديار
والظاء ظنى أنكم تملكوننا ... وها قولي وظنى هو أكيد جهار
والعين عيني نحو مرعي تطلعت ... فأشعل في قلبي لهيب النار
والغين غيب نجمنا من قبالكم ... ونجم أبي واقف عليه غبار
والفاء فارقتم لنجد وأهلها ... وجيتم الينا تكشفوا الاخبار
والقاف قلبتم كل معنى كلامكم ... وقلتم معانى أطيب الأشعار
واللام لميتم رجال لحينا ... وجيتم إلينا تملكوا الاقطار
والميم مال القلب في حب مرعى ... ولولا مرعى ما نظمت أشعار
والنون نلقاكم على خيل ضمر ... وكل ردى اسمرى خطار
والهاء هل دمعي مما أصابني ... علي شان مرعى انكويت بنار
والواو ولت خيلنا من رجالكم ... رتبني تونس والديار قفار
والياء يبقى علمكم فوق علمنا ... باذن الله الواحد القهار
وإني وحق الله ما اخون عهدكم ... ولو قطعوني بالسيوف نثار

(قال الراوى) فلما فرغت سعدى من كلامها شكرها الامير ابو زيد وجماعته على حسن اهتمامها وباتوا تلك الليلة في سرور وانشراح ولما أصبح الصباح

واشرق بنوره ولاح أمر الزناتى باحضارهم اليه فلما حضروا وتمثلوا بين يديه قال لابوزيد اذا أطلقناك الآن لتأتي بفدا جماعتك من الأوطان فكم يوم تغيب عنا وماذا تجيب لنا فقال أغيب نحو ثلاثة شهور وأجيب لك أربعمائة الف مدرع مشهور فقال وما هو مرادك من المدرع أيها البطل الصميدع فأخرج الأمير أبو زيد من جيبه قطعة من الفضة الخاصّ وأتى من الروباص وقال هذا هو المدرع يازينة الممالك ففرح الزناتي بذلك وقال اذهب بأمان الآن الى الأوطان فقال اعطنى عدة حرب وحصان لأن الطريق مخطرة والأراضى موعرة فأعطاه ما طلب وبعد ذلك ودع الزناتى وذهب وجعل يدور البلاد ويطوف المدائن حتي أشرف الي وادى الغبائن وتلك الأماكن فوجدها كثيرة المياه والنبات متسعة البرارى والفلوات تصلح للحرب والقتال ومرعى النوق والجمال ثم سار من هناك إلي قابس ومنها الى عين دورس فوجدها أحسن محل لامتلاك تونس وقد تعجب من خيرات تلك البلاد وكثرة ما فيها من الايراد وما شاهد من البلدان الكثيرة والأمياه والبساتين الغزيرة فانشرح خاطره وطابت سرائره فهذا ما كان من أبو زيد ليث البطاح ، وأما مرعى ويحيي ويونس فأخذتهم سعدى لعندها وبقوا في سرور وأفراح وبسط وانشراح أما الأمير أبو زيد فبعد أن دار جميع البلاد وعرف جميع السهول والوهاد رجع ليري أحوال الأولاد ولما دخل إلى قصر سعدي تقدم إليهم وسلم عليهم فقال له يونس أنت باقي فى تونس ونحن نقاسى أشد الضيق فقال له إننى تهت عن الطريق وقد صممت الآن علي السفر وأتيت لوداعكم ثم تقدم اليهم وودعهم ووعدهم برجوعه بأقرب وقت ثم تقدم الأمير مرعى وأشار يودعه ويوصيه بالسلام ويقول :

يقول الفتي مرعى بعين وجيعة	ونيران قلبي زايدات السمايم
وسر بسلام ياهلالى سلامى	فالله لا يريك عمرك غمايم
فاذا وصلت لأرضنا وبلادنا	فسلم على أهلى وكل الأكارم
وسلم علي شيحا الأميرة وقل لها	لتدعى لنا بالشمل انه ملايم
أيا خال جد السير واستغنم السفر	فما فاز يا أبو زيد بالشكر نايم
أيا خال لا تلهيك عليا فتلتهى	وتتركنا فى حبس كله ظلايم

(قال الراوى) ولما فرغ الامير مرعى من كلامه وأبوزيد يسمع نظامه فقال

له لايكون لك أدنى فكر فانى سأبذل الجهد فى تخليصكم ثم ودعهم وسار وعيناه تذرف بالدموع من جرى ما أصابه وأصابهم وسار يقطع البراري والقفار ويوصل سير الليل بالنهار مدة عشرين يوماً حتي أقبل إلى أرض الصعيد فدخل على الماضى بن مقرب وأخبره بما جرى له من الأول الي الآخر فبكي الماضى بكاء شديداً ثم انه بقى بضيافته نحو يومين ، وبعد ذلك ودعهم وسار يقطع البرارى والقفار مدة عشرة ايام حتي اقبل الى نواحى حلب فجلس تحت شجرة هناك لاخذ الراحة فبينما هو جالس إذ أقبل عليه رجل تاجر وحياه بالسلام ثم سأله الامير أبو زيد عن حاله فقال انى رجل تاجر قاصد بلاد العرب فقال أبو زيد هل تعرف الامير علام وقال له انه من أعز أصحابى وأعظم أحبابى فقال له أبو زيد انى أرغب أن أعطيك كتاب اليه فقال اكتب ما بدا لك فعند ذلك اخذ ابوزيد يكتب للعلام ويقول :

يقول أبو زيد الهلالى سلامي   فمن كان شقى ما تسعده الايام
نعم أيها الغادى وحامل كتابنا   تجد السرى فى واسع الآكام

انتهى الجزء الثانى من تغريبة بنى هلال ويليه الجزء الثالث

الجزء الثالث من

تغريبة بني هلال الكبرى

الشامية الأصلية

ديوان الدبيسى بن مزيد

وديوان الأعجام مع الماريه

وما جرى لبني هلال معهم من الحروب والأهوال

اذا جئت الى تونس وقابس وأرضها   فسلم على الفتى المسمى العلام

وقل له قال الهلالى سلامي   أبيات شعر زائدة بكلام

أوصيك في مرعي ويحي ويونس   أولاد أختى من فروع كرام

وأرجوك تتردد عليهم وتلتجي   وتحفظهم من شدة الأوهام

فلابد ما أرجع أعود وأنثني   ولابد ما آتي بقوم لزام

باربع تسعينات ألوف عدادهم   تشبه جراداً منتشر بغمام

ولابد من لطمة علي باب تونس   ويبقي الدما فوق الثري عوام

ولابد من قتل الوهيدى بصارمى   وأبقى الزناتى بالقيود ينام

وملك بلاد الغرب بحد صارمي   وأسلطنك فى الغرب ياعلام

(قال الراوى) فلما فرغ ألامير أبوزيد من قوله طوي الكتاب وختمه بختمه فأخذه التاجر وسار يقطع البراري والقفار حتى أشرف الى تونس وتلك الديار فأخذ المكتوب وسلمه الى العلام ففضه وقراه وعرف حقيقة فحواه وأما الامير أبو زيد فانه مازال يجد فى المسير مدة خمسين يوما حتي اقبل الى نجد وتلك الاوطان وحين دخوله الي نجع بنى هلال التقاه الكبار والصغار وكلما تقدم الى قدام يزاحمه الجمع غاية الازدحام وهم يصرخون بصوت واحد اليوم قد أتانا من هو عزنا وحمانا وما زال سائراً حتي أقبل الي صيوان السلطان حسن فدخل وسلم عليه وعلى الذين حواليه فلما نظره السلطان حسن والامير دياب والقاضى بدير والامير زيدان شيخ الشباب تقدموا اليه وقبلوه بين عينيه وأجلسه السلطان حسن بجانبه

ودارت البشائر في بلاد نجد بأن الامير أبو زيد قد حضر من بلاد الغرب فاجتمعت الفرسان من كل جانب ومكان حتى احتبك الديوان وحينئذ سأله السلطان حسن عن الامراء مرعي ويحيي ويونس فعند ذلك بكي الامير أبي زيد بكاء شديد وأشار يخبرهم عما جرى له وهم من التعب الشديد بهذا القصيد :

يقول أبو زيد الهلالى سلامى ولى قصة من أعجب الاخبار
في سفرتى للغرب حتى أرودها وفى رجعتى قاسيت هموم كتار
دخلت الى أرض الزناتي ودرتها ودرت ميامنها ودرت يسار
وآخذ حشيش الارض بيدي وادفنه واعلمه من خوف لا أحتار
حتى اذا جاءت هلال بن عامر على خيلهم بالعسكر الجرار
يقولوا فما هذا الحشيش الذى هنا فاخبرهم عما جرى لى وصار
أقول لهم انى وصلت الي هنا وهذا دليلي يا عرب اجهار
ومازلت أكتشف المداين والقرى حتي وصلت لتونس والدار
دخلنا على بستان بجوار تونس فاتانى منها عسكر جرار
فصحت عليهم صيحة الله أكبر الله تعالي عالم الاسرار
فمسكونا من بعد حرب عنيفة وضرب يقطع صخرها وحجار
وأخذونا لعند الزناتي خليفة فتهددنا بالقتل يا أخيار
نخلصتني ابنته سعدى بشورها وقالت تراهم يا أبى شعار
فاحبسهم عندى وارسل عبدهم يجيب اليك فكاكهم بجهار
وان مرعي ثم يحيي ويونس قد بقوا عندها بوسط الدار
لان سعدى بمرعي تعلقت وصار قلبها عنده كشعلة نار
جزاها الله العرش خيراً ونعمة فلولاها شنقونا بلا انكار
فارسلنى الزناتى لأحضر فكاكهم كقول سعدى زينة الاخيار
ولما عزمت على الرجوع لارضنا فبكيوا الأمارا من قلوب مرار
ووصاني الامير مرعي وقال لى فسلم على سادتنا وكبار
وسلم على والدى حسن الدريدي مربى اليتامي ومقصد الشعار
وسلم على القاضي بدير بن فايد وعلى دياب الفارس القهار
وسلم على عليا وريا وغيرها والجازية من نسل قوم كبار
أبو زيد اقري منا امهاتنا سلام برتبة يا عزيز الجار

وقل لهم في الحبس يحيي ويونس ومرعي يقاسي لوعة ومرار
ففارقتهم والعين تذرف في البكا وسرت في البيدا بوسع قفار
وبعد خروجي من المغارب وأرضها بعشرين ليلة زايدات نهار
دخلت على الماضي أبو الجود وحده وأخبرته في ما جرى لي وصار
فبكى وبكى الحاضرين جميعهم وحزن على مرعي وعقله حار
وبقيت عنده مقدار يوم وليلة ومن بعدهم قد قلت للحضار
بأني راجع الى بلادي وأرضنا وإني سأخبرهم بما قد صار
ففارقتهم والعين تجزع في البكا وقلبي غدا مني كشعلة نار
وسرت تسعين يوما ثم لياليها حتى وصلت اليكم الدار
وإني لقد أخبرتكم في ما جرى فما الشور والتدبير في ما صار

(قال الراوي) فلما فرغ أبو زيد من هذا الشعر والنظام بكى السلطان حسن ومن حضر من السادات الكرام، ولا سيما أهل الأولاد. وقد تفطرت منهم الأكباد، وقالوا لأبو زيد عن فرد لسان اعلم يافارس الفرسان. اننا لا نفك عنك ولا نعرف أولادنا إلا منك فقال كونوا براحة بال فاني كما أخذتهم من الاطلال سأرجعهم على أحسن حال، وأنعم بال. ولما انتهى من هذا المقال التفت السلطان حسن إلى الحاضرين، والسادات المعتبرين، وقال لهم ان مرادي الرحيل الي بلاد الغرب واقيم هناك الحرب، وأخلص الأمراء بالطعن والضرب فاستحسنوا هذا الخطاب، وقال أبوزيد لبطل المهاب. هذا هو الرأى الصواب ولكن قبل الرحيل من هذه الاطلال بالفرسان والابطال، والنساء والعيال يجب أن نرسل إليها السلطان المؤيد بعض الذوات العمد. ليأتي بالجازية أم محمد اترك أمام ظعون بني هلال مع باقي سيدات الأمراء والأبطال، وهن الست ريما والست عدلا والست ريا وسعد الرجا وبدر النعام وجوهرة العقول وزهر الدوح ونجم السحور، وزين الدار وعليا لانه اذا اشتعلت نيران الحرب ووقع الطعن والضرب تكون الجازية وباقي السيدات أمام الأبطال في العماريات لأن الجازية من النساء المشاهير ذات رأى وتدبير وهكذا تم الرأى بين الأمراء والأعيان وأرسلوا أربعة وعشرين فارساً من الشجعان، وأحضروا الجازية في الحال بالاحترام والاحتفال وبعد وصولها بأيام قليلة استعدت للرحيل فرسان القبيلة، وتأهبوا للطعن والضرب، والمسير تونس الغرب وأمر السلطان حسن

بدق طبل الرجوع حسب العادة، والاصطلاحات المعتادة فدق فى الحال واجتمعت الفرسان بالعجل وسادات الرجال ودخلوا على السلطان حسن بن سرحان، وهو فى الديوان فأخبرهم بما جرى وكان وقال لهم قد استقر رأينا الآن على أن نرحل من الأوطان، ونقصد بلاد العرب بعد سبعة أيام فكونوا فى الاستعداد التام لأن أرضنا قد أمحت ووقع بنا الفناء وأولادنا فى أسر الزناتى يقاسون الويل والعناء.

(قال الراوي) وفي اليوم السابع تجهزت الأبطال، للمسير والارتحال فهدت المضارب والخيام، وانتشرت الرايات والأعلام، ودقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالسيوف والنصول، وركبت الحريم والعيال، والأولاد والأطفال، ونساء الأمراء العمد، والجازية أم محمد، وكان الامير أبو زيد فى مقدمة الفرسان فى تسعين ألف عنان من بنى زحلان ومن خلفه السلطان حسن بن سرحان فى تسعين ألف فارس من بنى دريد الشجعان، وعلى جانبه القاضى بدير الاسد الباسل فى تسعين ألف مقاتل ومن وراه الامير دياب بن غانم القرم المصادم. فى تسعين ألف فارس من بني زغبة الأشاوس وخلف الجميع الامير زيدان شيخ الشباب، والبطل المهاب في ستين ألف من الجهال لحماية النساء والعيال، وجدوا فى قطع البرارى والقفار، والسهول والاوعار قصدين بلاد الغرب وتلك الديار وكانوا كالجراد المنتشر، لا يعرف لهم أول من آخر وقد ملأوا بكثرتهم البرارى والآكام، وكان يبعد أولهم عن آخرهم مسافة خمسة أيام ومازالوا مجدين فى المسير حتى أشرفوا فى اليوم العاشر على بلاد حزوه والنير وهى بلاد واسعة الجنبات، كثيرة المياه والنبات، فنزلوا فى تلك الأرض ونصبوا المضارب والخيام.

(قال الراوى) لهذا الكلام وكان حاكم تلك البلاد يقال له الدبيسي بن مزيد وكان من صناديد الابطال وشجعان الرجال لا يقدر العواقب ولا يخشى حلول المصائب وكان فى الشجاعة والفروسية في طبقة علية وكان يفتخر بنفسه على أبناء جنسه ويفضل ذاته على جميع الفرسان في ساحة الميدان ويقول انه اذا ركب متن الجواد لا يوجد من يقاومه فى الحرب والطراد من الفرسان الشداد ولو كان أبو الفوارس عنتر بن شداد وكان له اربعة وزراء يركن اليهم ويعتمد فى أموره عليهم وهم مقلد وهمام وراشد وسلام وله ولد اسمه مزيد قد سماه على

اسم جَدّه ، وكان يحبه ويوده ، ومن شدة محبته فيه أراد أن يزوجه بابنة أخيه فجمع وزراه اليه وأخبرهم بما قد صمم عليه فأجابوه الى ذلك المرام ما عدا الوزير همام فانه كان صاحب رأي وتدبير ، وفي أمور الدنيا عارف وخبير فنهاه عن ذلك الأمر في الوقت الحاضر وأعلمه بقدوم بني هلال إلي تلك البلاد بالجيوش والعساكر ثم أشار يقول :

يقول الفتى همام عما جري له أيا مير اسمع لى لذيذ كلام
ألا يا دبيسى أنت سلطان البلاد ولا لك مقاوم في القنا وحسام
بني هلال يا أمير محلت أرضهم وصاروا بهم زايد وضرام
ونشفت عيون الماء من كل جانب ولا عاد فيها عشب ولا نمام
ولاعاد فيها وحش سارح بالفلا ولا عاد فيها للجيش مقام
لما رأوا هذا البلاء بأرضهم جمع رأيهم حسن الامير قوام
فارسل أبو زيد المغرب رادها أمير بيوم الحرب قرم همام
وسار معه مرعي ويحي ويونس شاب ملاح وضاربين لثام
يريدوا لهم بلد تكون خصيبة فيها الغنى والعز والانعام
وقد ساروا للغرب يا أمير وحدهم الى تونس الخضرا غدون قوام
ودخلوا الي بستان بالقرب ياملك أبو زيد من سهر الليالي نام
أتى عبد الى عند الزناتي وأخبره فأرسل لهم عشرين عبد تمام
فاحضروهم له بوقت قريب فصاح عليهم فى قبيح كلام
وحبس الفتى مرعى ويحيى ويونس بقصر سعدى فى عنا وسقام
وارسل أبو زيد يريد خلاصهم من المال المال ثم الخيل والانعام
وقد أتى أبو زيد من الغرب وحده وأخبره حسن عما جرى له تمام
وقد ضربوا الأشوار يا أمير بينهم وساروا بفرسان لهم وقوام
ولابد من أن يدوسوا بلادنا وتبقى قصور العاليات هدام
وأنتم تريدوا تزوجوا ثم تفرحوا ولا عندكم أخبار ولا أعلام
انا الرأى عندى اسمعوا ما لكم وكونوا لقولى يا كرام وهام
ناصبروا حتي يجوزوا بلادكم ويندفعوا الي ديرة الأعجام
تكونوا سلمتم يا امير من العدى وتعمل لابنك عرس عام تمام
اسأل إله العرش ان يعيننا ويعتقنا من جملة الأوهام

(قال الراوى) فلما فرغ الوزير همام من هذا الشعر والنظام اندهش الدبيسى

وحار فبينما هو فى بحر الافتكار اذ دخلت الرعيان عليه وتمثلوا بين يديه وشكوا له عن قدوم بنى هلال الى تلك الاطلال وكيف ملأُوا السهول والتلال فلما سمع هذا الخطاب غاب عن الصواب وصار فى قلق واحتساب فالتفت الى الوزراء وأكابر الامراء وقال مارأيكم ياقوم وقد نفذ كلام الوزير همام فى هذا اليوم وانا خائف من العواقب فارشدونى برأيكم الصايب فقالوا عن فرد لسان الرأى عندنا يا ملك الزمان نرسل رايد علي آثارهم فيأتينا بعددهم ويكشف لنا حقيقة أخبارهم فقال هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب وفى الحال استدعي بعبده راشد وكان صبورا علي الاهوال والشدائد سريع الحركات خبير بجمع الطرقات فلما دخل عليه وامتثل بين يديه قال له الملك اريد منك ياعبد الخير ان تذهب اسرع من الطير وتجس لنا اخبار بني هلال وتميز فرسانهم والأبطال وتأتينا بعاجل الحال . فقال العبد السمع والطاعة وسار من تلك الساعة ومازال يجد السير . ويسابق بمسيره الطير الذى يطير حتى وصل الى مضارب القوم فى مساء ذلك اليوم . فاعتراه الاندهال مما رأى هناك من كثرة الأموال والنوق والجمال ، والفرسان والأبطال ولاسيما عند ماشاهد صيوان السلطان حسن ابن سرحان وما حواه من الأمتعة الثمينة والتحف الحسان ، وكذلك صيوان الامير دياب وأبي زيد فارس الفرسان فبات تلك الليلة هناك وفي ثاني الأيام رجع إلي عند الدبيسى فدخل عليه وقبل الارض بين يديه فقال له كيف نظرت بنى هلال وما هو عدد عساكرهم والابطال فأنشد وقال :

يقول الفتي راشد عما جرى له	ترى الدهر قد جار علينا ودار
أيا مير اسمع ما أقول وافتهم	واصغى إلي قولي فعقلي حار
قصدت خيام بنى هلال وربعهم	لأكشف وأرجع نحوك بالاخبار
فلما رأيت القوم تاهت نواظرى	وظنيت عقلى من دماغي طار
ومازلت بين البيوت أرودهم	أسائل عبيد القوم والاحرار
وأسأل عن بيت الأمير أبو علي	أمير حوي جاها وكل وقار
وما زلت سائر حتى عبرت بيوتهم	أقول لهم شاعر من الشعار
وعاينت أنا يامير كل ضيوفهم	فكانوا نحو ثلاث آلاف من الانفار
وسرت الى بيت الامير سلامه	ياليت عمره أطول الاعمار
وبيت الفتي القاضي بدير الفايض	وبيت دياب الفارس المغوار

ودرت ضيافات الأمارة جميعهم . وقوادهم أهل السخا والاعتبار
مسير خمسة أيام يا أمير نزلهم ويوم وليلة بالعرض يا مغوار
وفي حيهم بيض حسان كواعب بنات أمارا يشبهوا الأقمار
مقال الفتي راشد فيما جري له تمر الليالى والفلك دوار

ولما فرغ راشد من شعره ونظامه ، وفهم الدبيسى فحوى كلامه . زاد خوفه وفزعه من كثرة الشرح الذي سمعه . فاستدعى اليه الوزراء وأكابر الأمراء ، وأخبرهم بذلك الكلام ثم أنشد بهذا النظام :

يا قوم اصغوا إلى قولي وافتهموا قولي أكيد وما بالقول نقصان
أتي من الشرق أبطال غطارفة سلطانهم قد تسمى بابن سرحان
يا قوم كيف العمل حتي نرجعهم من قبل أن يفتكوا فينا بفرسان
ما رأيكم يا بنى الاعمام قولوا لنا ردوا جوابي بقيافة وأوزان

(قال الراوى) فلما فرغ الدبيسي من هذا الشعر والنظام . فلم يجبه أحد بكلام فقال لهم ما بالكم لا تردوا جوابى . ولا تجيبونى على خطابى فعند ذلك أشار الوزير همام يقول :

قال همام المهامي * استمع منى كلامي * يادبيسى انت افهم * ما علي مثلي ملامى يا ملك عنهم وسائل * قوم من فرع أصائل * من قصدهم ما يسائل * حين يعطوه الزمامي * يا ملك اطلع عليهم * واعرض احسانك عليهم * وازرع المعروف فيهم * اطعنى يابن الكرام * ثم اعزم للملوك * واسلك أحسن سلوك * ذا حسن فخر الملوك * من أتاه لا يضام * واترك افعال الردية * لا تجيب لنا البلية * فقم وجهز للهدية * الى حسن ابن الكرام * ثم اركب بالاكابر * للعرب اقصد وجابر * واترك اقوال الاصاغر * ثم اعطيه الزمامي لانه عابر طريق * جاب قومه والفريق * لان أولاده بضيق * لاجلهم يبغى المرام * ليس هو قاصد اذانا حتى نرده من حمانا * يا ملك دعهم عيانا * يرحلوا الارض العجام * قول همام الوزير * انني عارف خبير * في أمور سوف تصير * ثم توقع فى الندام

(قال الراوى) فلما فرغ الوزير من نظامه ، وفهمت الوزراء فحوى مرامه ، اغتاظ الملك من هذا الكلام ، والتفت الي من حضروا فى ذلك المقام ، وقال لهم ماهو التدبير ، في هذا الامر العسير ، فقال له الوزير راشد انه من الوجب أن ترسل لهم كتابا تأمرهم بدفع عشر المال مع النوق والجمال فان امتنعوا فقاتلهم في الحال

وتشتتهم فى البراري والتلال . فا كتب لهم كتاب لآخذه اليهم وآتيك بالجواب فاستصوب الملك رأيه وكتب يقول .

يقول الدبيسي والدبيسى مزيد   بدمع جرى فوق الخدود بدود
ونيران قلبي كلما أقول تنطفي   يزيد لهـــا طى الفؤاد وقود
ألا يا حسن اسمع كلامى عاجلا   وافهم منى غاية المقصود
فان كان مرامك أن تجوز بلادنا   فارسل لنا عشر مالك كي تسود
وارسل لنا الفين حمرة سليلة   والف جواد يا أمير هدود
والفين ناقة تابعات ولادها   والفين فاطر ثم الف قعود
والفين سيف يا أمير مسقطة   والف درع من عمل داود
والفين ترس ثم الفين خوذة   والفين دبوس ثقال زنود
والفين حربة ماضيات بطعنهـــا   لها راس يخرق للصفا الجلمود
وارسل المال يا أمير بالعجل   ميتين الف من ذهب وعقود
وارسل لنا الجازية أم محمد   مع الست عليا بغية المقصود
ومعها ارسل لنا بنات أمارتك   واحذر أن تخالف أوتكون عنيد
وان كنت لا تسمح بالذين ذكرتهم   والا الى ارضك ارتجع مردود
قبل أن نقتل أكابركم وكل صغاركم   ونجعل دماهم على الحصا مبدود
قول الفتي المسمي الدبيسى مزيد   ونيران صدرى ما نريد خمود

(قال الراوى) فلما فرغ الدبيسى من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه واعطاه للوزير راشد فاخذه وسار حتى اشرف الي صيوان السلطان حسن فدخل وسلم عليه وعلى الامراء فردوا عليه السلام والتقوة بالاكرام وامر له السلطان حسن بالجلوس فجلس وأعطاه الكتاب فأخذه وقرأه ولمـا فهم حقيقة معناه غضب الغضب الشديد لكنه أخفي الكمد وأظهر الجلد . ثم أمر الغلمان أن يأخذوه إلى دار الضيافة ولما خرج من الديوان التفت على الامرا والاعيان وأعلمهم بذلك التهديد واستشارهم بهذا القصيد :

يقول الفتي حسن الهلالي أبو على   فعقلى من الاهوال حار وتاه
رحلنا من الاطلال نبغى فوائدا   رأينا المصائب صائبة بعناه
وزير ابن مزيد قد أتى برسالة   لنا من عند الدبيسى مولاه
يقول اذا شئتم تجوزوا بلادنا   وتلقوا السلامة فى السفر ونجاه

فهاتوا لنا عشر الجمال وخيلكم　　وعشر الذهب حالا بدون بطاه
ولم يكتفي حتى طلب لبناتنا　　وبنات الامارة مشرقات ضياه
وهددنا بالقتل ان لم نطاوعه　　ويركب علينا فى جيوش طغاه
ألا يا ابن عمى يا هلالى سلامه　　فما الشور والتدبير فى معناه
وما الشور عندك يا دياب الغانم　　أيا فارس الخضرة بطعن قناه
ويا قاضى العربان يا ابن فايد　　ايا عالما بحكم شرع الله
نحاربهم أو اننا نعطيه ما طلب　　والا نخادعهم بمكر شقاه
فردوا جوابى انما الشور مشترك　　ولا تمهلوا فى رأى فيه نجاه

(قال الراوى) فلما فرغ السلطان حسن من شعره ونظامه . قالوا ان هـذا الطلب لا نوافق عليه ومع ذلك فالرأى الحميد عند الامير أبو زيد فقال حسن علامك ياابن عمى فما تقول فى هذا الحادث المهول فقال أبو زيد انه من الصواب أن ترسل تقول للدبيسى أن يمهلنا عشرة أيام ، ونحن نرسل له طلبه بالتمام ، ومتى انقضت المدة ولج فى الطلب فنقول له ليس عندنا مال ولا ذهب سوى الحرب والقتال لان أبطالنا وفرساننا تكون قد استراحت من تعب الطريق ثم انه أنشد يقول وعمر السامعين يطول :

يقول أبو زيد الهلالى سلامي　　كلام يشبه الدرارى في معناه
لكل داء يوجد دواء نعالجه　　وللأحمق الجاهل حسام دواه
ان الرأى عندي يا ابن سرحان يا ملك　　يا من ذكى بين الأنام أباه
فأرسل كتابك الدبيسي قل له　　كلام محكم بالخداع جزاه
ألا ياملك حزوه وياحاكم الملا　　امهلنا عشر أيام دون سواه
اذا مهلنا يا ابن عمى وسيدي　　فتشبع خيول القوم من المرعاه
وتاخذ الراحة جميع قرومنا　　وتبقي رجالك شبه أسد فلاه
وان مضت عشرة أيام ياملك　　وعاد راجعنا نقيم عزاه
فنرسل نقول الطعن والضرب بيننا　　لان الدبيسي جار وزاد طغاه
يريد اليوم غصباً نهب جمالنا　　وأموالنا وذلك من قلة حياه
وهذا هو شورى ورأيي وفكرتي　　فافهم كلامي يا ملك وفحواه

(قال الراوى) ولما فرغ أبو زيد من كلامه استصوبه جميع الحاضرين واستحسنوه فعند ذلك أشار حسن بجاوب الدبيسى ويقول :

يقول الهلالى أبا سرعى مناصحة	أبيات شعر بها علم لابطال
انى أزين كلامى قبل ألفظه	وأحسب الدهر فى جور واقبال
ياغاديا راكبا أعلى مطيته	يقطع فيافى الفلامع روس الجبال
إذا أتيت الدبيسي قل لحضرته	قولا صحيحاً خلا من كل ازلال
واقرا سلامي على أبطاله سحراً	من كل ليث شديد الباس مفضال
إنى سأعطيه مهما كان طالبه	من عشر مالي ومن مال أبطالى
لكنني أطلب منه أن يسمح لى	بعشر أيام فانهى كل أحوالى
حتي ألم من العربان أجمعهم	عشر الجمال وعشر الخيل والمال

(قال الراوى) فلما فرغ السلطان حسن من كلامه طوي الكتاب وختمه فى الحال وسلمه الى الوزير المذكور فأخذ الوزير الكتاب وجد فى قطع الهضاب حتي وصل الى عند الدبيسى فدخل وسلم عليه وأعطاه اياه ففتحه وقراه وعرف ماحواه، ففرح واستبشر، وأيقن بالنجاح، ولما انتهت العشرة أيام ولم ترسل بنو هلال الاموال قال للوزير هاقد مضت المدة المعينة ولم نقف على افادة لاوردت الاموال فيجب أن تسير وتطلب منهم أن يبادروا بارسال المال فى عاجل الحال والا حاربناهم وأنزلنا بهم الوبال فامتثل الوزير أمره وركب من وقته وساعته الى الى تلك الديار. حتى وصل الى صيوان السلطان حسن فنزل عن ظهر الحصان ودخل وسلم عليه، وتمثل بين يديه. ثم جلس قليلا وبعد ذلك طالبه بالمال ولامه على ذلك الاهمال. فقالت له السادات والامارة ارجع الى مولاك قبل أن تحل بك الحسارة. وقل له انه ليس عندنا مال، ولا نوق ولا جمال غير ضرب السيف وطعن النصال فاغتاظ الوزير من هذا الكلام وخرج من ذلك المقام. ورجع الى عند مولاه بالعجل وأخبره بما سمعه من القوم فنما غيظه وزاد وأمر الرؤسا والقواد، بجمع العساكر والاجناد. فعند ذلك دقت الطبول. وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلت بالرماح والنصول وخفقت الرايات. وركبت الامارا والسادات، وكان عدد العساكر أربعمائة ألف مقاتل بين فارس وراجل وركب أيضاً الدبيسي وسار وجد فى قطع القفار، ولما اقترب من تلك الديار سمعت بنى هلال بهذه الاخبار. استعدوا فى الحال للحرب والقتال وركب السلطان حسن بن سرحان وأبو زيد فارس الفرسان، ودياب بن غانم وباقي السادات الاكارم، والتقوا بالدبيسي فى تلك الارض ولما دنوا من بعضهم البعض

برز من فرسان الدبيسى فارس كانه الاسد الكاسر اسمه الامير خاطر فصال وجال وركب بأربع أركان المجال ، وصاح على فرسان بنى هلال أين فرسانكم الامجاد الذين اشتهروا بقوة الجلاد فليبرزوا الى حومة الميدان الطراد حتى أريهم العجائب والاهوال فى الصدام والقتال

(قال الراوي) فما أتم كلامه حتى برز اليه الامير دياب وصار أمامه فقال له من تكون من بني هلال فقال انا دياب بن غانم الليث المصادم وأشار يقول .

يقول أبو وطفا دياب الماجد   فى الحرب فارس سيداً أستاذا
اذ صال فى الميدان يردى للعدا   بالاسمر الخطار والعولاذا
ياقوم آل دبيس حان فراقكم   سيفي الي اعناقكم حذاذا
سلطاننا يقهر الى سلطانكم   ويقطع الهامات والالحاذا
ونفعل بكم يا قوم فعلا مثلما   فعل مساور فى بنى يزاذا
مازال سيفى للجماجم قاطعاً   والرمح فى قلب العدى نفاذا
وانت يا خاطر تخاطر للبلا   وتطلب اسد يوم الوغى برازا
فعزمكم ولي وحان وحان فراقكم   انى الى حبل العدى حزازا

فلما فرغ دياب من شعره ونظامه اجابه خاطر يقول :

يقول خاطر سيد الامجادا   ان ضرب سيفي فتت الاكبادا
يا ابن غانم لا تهددنى فكم   من فارس اورديته مرتادا
ماانت مثلي يا ابن غانم فى اللقا   انا ابن تعلب قانص الاسادا
فاثبت لحربى والتقيني يا بطل   فترى شجاعاً فى الوغي معتادا
لابد من قتلك وقتل رجالكم   حتى تروا الاهوال والانكادا

(قال الراوى) فلما فرغ خاطر من كلامه وفهم دياب شعره ونظامه صاح فيه وهجم عليه فالتقاه خاطر كالاسد الكاسر وجرى بينهما حروب واهوال تشيب رؤوس الاطفال وما زالا فى عراك وطعان نحو ساعة من الزمان ، وبعد ذلك اختلف بينهما ضربتان قاطعتان وكان السابق الامير دياب فارس الفرسان لانه كان اعلم فى اصول واخبر فى مواقع الطعن والضرب فوقعت الضربة على هامه فقدته نصفين ووقع علي الارض قطعتين ثم صال وجال وطلب براز الابطال والفرسان فبرز اليه فارس آخر فقتله وثانى جندله وثالث عجل الي الامير مرتحله ومازال علي تلك الحال الي وقت الزوال فدقت طبول الانفصال وبات الفريقان

يحارسان تحت مشيئة الرحمن ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح برز الامير دياب الي الميدان وطلب براز الفرسان فبرز اليه الوزير راشد وهو يقول انامفرج الكروب والشدائدفالتقاه دياب بقلب كالحديد وجعل يتهدده بهذا القصيد

يقول ابوموسي دياب الماجد	اليوم يا راشد تمسي فاطس
القيك من فوق الحصان مجندلا	بالارض تبقى فى دمائك غاطس
تبقي حريمك بعد موتك فى بكا	وسيلبسون عليك سود ملابس
انى انا المدعو دياب الفارس	والبيض فى ظلي تنام نواعس
من انت حتى بالحروب تكيدنى	وتريد مثلي فى الرجال تقايس
هذه مقالات الامير الماجد	يدعى دياب فكم قهرمن فارس

(قال الراوى) فلما فرغ الامير دياب من هذا الشعر والخطاب اعتاط الوزير حتي غاب عن الصواب ولكنه اخفي الكمد واظهر الصبر والجلد واجابه بهذه الابيات يقول :

قال راشد قد غدوت بهادس	من كثرغبني من دياب الفارس
لما برزت لحربه وقتاله	فأتى بوجه مثل ليل دامس
انى شجاع بالقتال مجرب	من طول عمرى قرم ليث عابس
هذا المقام يبان فيه المقتدر	ونرى الذي يبقي بدمه غاطس

(قال الراوى) فلما فرغ راشد من كلامه التقيا البطلين كانهما جبلين وحان عليهما الحين وغنى فوق رؤوسهما غراب البين ولم تكن الا ساعة من الزمان حتي استطال الامير دياب فى الميدان وطعنه بالرمح فى صدره خرج الرمح يلمع من ظهره فوقع علي الارض قتيلا وفى دمه جديلا . فلما قتل الوزير راشد هجمت جموع الدبيسي بقلب واحد ، وهانت عليهم الشدائد فالتقتها بنو هلال بقلوب كالجبال واشتد بين العسكرين القتال فما كنت تنظر فى ذلك اليوم المهول الاوقع السيوف علي السيوف والنصول على النصول وما زال القوم على تلك الحال الى وقت الزوال فعندذلك دقت طبول الانفصال فتأخرت عساكر الدبيسى خاسره ورجعت بنو هلال ظافرة ففرح السلطان حسن واخذ يحمسهم على الحرب والصدام وفي ثانى الايام دقت طبول الحرب فركبت الفرسان وبرز الاميردياب الى الميدان ، وصال وجال وطلب براز الابطال . فبرز اليه الوزير محمود وهويتأمل ببلوغ المقصود فتلقاه الامير دياب وتهدده بهذا القصيد :

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم ولي قلب من بين الجوانح طار
الا يا فتي محمود اسمع قصتي واصغي الى قولي مع الاخبار
واعلم بأني فارس الخيل بالوغا فمن رام حربي قد يروم دمار
ولا تقدر اليوم تلقي مضاربي ولو عشت عمر النسر يا غدار
فلابد ما تلحق اخوك راشدا ودمك على وجه الثري فوار
وانهب حلائلكم وآخذ اموالكم وبين الملا تبقوا لنا معيار
مقال الفتى الزغبي دياب الماجد اري الدهر قد اجنف عليك وجار

فلما فرغ الامير دياب من كلامه اجابه محمود على شعره ونظامه

يقول الفتي محمود فى ما قد جري بدمع جرى فوق الخدود غزار
دياب يا غدار يا ولد الزنا ايا انذل العربان فى الامصار
فلابد ما ارديك بالسيف والقنا واترك دماك على الثرى فوار
وأأخذ الي الزينات منكم غصيبة وآخذ حلائلكم بلاء انكار
واما ابو زيد الهلالي سلامه فلابد من سيفي يدوق مرار
واقتل الي خالك بدير بن فايد واهفي جميعكم بالصارم البتار
وآخذ لوطفا يا دياب سبية وتعود عندى مثل بعض جوار
مقال الفتي محمود فيما جرى له ارى الدهر دولابه عليكم دار

(قال الراوى) فلما فرغ الوزير محمود من هذا الكلام هجم على دياب هجوم ليث الاجام فالتقاه دياب بقلب شديد وهجم عليه هجوم الصنديد واشتد بينهما القتال فى ساحة المجال فاختلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين وكان الوزير محمود فغطس دياب تحت بطن الخضرة فراحت الضربة خائبة بعد ما كانت صائبة ثم انتصب الامير دياب وهجم عليه كسبع الغاب وضربه بالسيف على هامه فقده قسمين والقاه إلي الارض قطعتين وكان له أخ يدعي الهداف لا يهاب من لقاء الابطال ولا يخاف فلما رأى خاه قد مات زادت به الحسرات فهجم على الامير دياب ليأخذ بثار اخيه وشتمه وصاح فيه فالتقاه دياب في الميدان وانشد يقول

يقول دياب اني ليث حامى لحربك يا فتي اقصي مرامى
إذا ما صلت فى الميدان ولت ليوث الحرب خوفا من حسامى
قتلت اخاك يا هداف جهرا وانت اليوم تقتل فى الصدام

فلما فرغ الامير دياب من كلامه وفهم الهداف شعره ونظامه غضب الغضب

الشديد الذي ما عليه مزيد واجابه على شعره يقول :

على ما قال هداف الهمامى	فناري يالحشا زادت ضرامى
فانك سوف تقتل يا ديابا	وتشرب من يدي كاس الحمامى
فمنكم قد رأينا كل شر	فما أنتم من القوم الكرام
خربتم البلاد مع القرايا	وضر جموعكم كل الأنام
وأنت فما بقيت تشوف أهلك	ولا ترجع إليهم بسلام

(قال الراوى) فلما فرغ الهداف من كلامه انطبق عليه دياب والتقاه بحسامه وجرى بينهما حروب وأهوال تشيب رؤوس الأطفال واستمرا على تلك الحال إلى أن ولى النهار فافترقا عن الحرب وتوقفا عن الطعن والضرب وباتت العساكر فى تلك البطاح ولما أصبح الصباح برز الهداف الى الميدان وطلب براز الفرسان فبرز اليه الأمير دياب وصدمه كليث الغاب وكان الهداف من الفرسان المشاهير والأبطال المغاوير قد تعود علي الحرب من صباه فكان لا يهاب الموت ولا يخشاه فاقتتل مع دياب أشد قتال وكان يجول معه فى ساحة المجال ويهجم عليه مثل الاسد الريبال ومازال الفارسان فى أشد ضراب وطعان يذهل عقول الشجعان الي أن نصف النهار وكان دياب قد استظهر كل الاستظهار وضربه على عنقه بالسيف البتار فألقاه قتيلا فى ساحة المجال فلما رأت جموع الدبيسي ماحل بوزيرها طار الشرار من مناخيرها وهجمت على دياب قاصدة قتله وهي تذمه وتشتمه فعند ذلك حلت بنو هلال من اليمين والشمال والتقت الابطال بالابطال . وما زالوا على تلك الحال الي وقت الزوال فدقت طبول الانفصال وباتت بنوهلال فى سرور وبسط وحبور وبات الدبيسي فى قلق وضجر وهم وكدر لانه كان هلك من عسكره جمعا غفير وأكثرهم من الرؤساء والقواد الذين عليهم الاعتماد ولما أصبح الصباح ركبت الفرسان إلي الحرب والكفاح وكان أول من نزل الي الميدان الملك الدبيسى دون كل الفرسان فصال وجال فى ساحة المجال وطلب براز الشجعان فبرز اليه الامير دياب كسبع الحردان وأنشد يقول :

يقول الفتي الزغبي دياب الغانم	أنا فارس الفرسان يوم طعان
أنا البطل المدعو ليوم كريهة	على ظهر خضرا تسبق الغزلان
ألا يادبيسى اسمع كلامي وافتهم	من قبل أن تغدى قتيل طعان
فاولاد أختك قد قتلت بصارمي	وقتلت جمعاً وافراً بسنانى

فان كنت لاترجع تصير نظيرهم   وتنوش لحمك فى الفلا عقبان
لانك علينا يا دبيسى معتدى   بفعلك المذموم فى البلدان
فلو كنت عاقل يا أمير وفاهم   ما كنت تطلب زمرة النسوان
بل كنت تكرمنا وتعز ضيوفاً   وتحيزنا بالفضل والاحسان
وكنا سنعطيك مهما تريده   من ثم الخيل والفصلان
مقال الفتى الزغبي دياب الغانم   ماأصعب الفرقة عن الاوطان

(قال الراوى) فلما فرغ الامير دياب من هذا القصيده اغتاظ الدبيسى وقال له هل بلغ من قدرك أن تقابلنى بمثل هذا التهديد وأنت عندى أحقر من العبيد ثم أنشد وقال :

يقول الفتى المسمي الدبيسي مزيد   فدمعى على الخدين كالغدران
من أجل قولك يا دياب الغانم   فذممتنا فى حضرة الفرسان
فنحن أماجد من فروع زكية   وأنت دنى الاصل فى العربان
فلابد من قتلك علي وجه الثري   وتعود بعد الربح فى خسران
وبعد ذا أقتل حسن فى صارمي   وأبو زيد وعمدة الشجعان
ويسبي حلائلكم وكل رجالكم   فسوف تبقى من جملة الرعيان
مقال الدبيسي بن مزيد صادق   فاليوم تنظر قوتى وطعان

(قال الراوى) فلما انتهى الدبيسي من شعره ونظامه اغتاظ دياب من كلامه واستعد لحربه وصدامه وقال له أمام الفرسان لقد قابلتنا بالشر والعدوان وسلكت معنا سلوك اللئام عند مرورنا في هذه الديار ولابدمن قتلك فى هذا النهار ثم انه انطبق عليه وحمل وفعل الدبيسى مثل ما فعل وأخذا فى الحرب والقتال وجرت بينهما عجائب وأهوال ومازالا على تلك الحال الى أن ولى النهار فافترقا عن بعضهما البعض ونزلت كل فرقة من العسكر في ناحية من الارض وعند رجوع دياب عن معركة الصدام التقاه السلطان حسن بالاعزاز والاكرام وشكره على ما فعل وأنعم عليه بثلاثة حمل ، وقال له ما أنت الا زينة الفوارس ، والاسد العابس دلله درك فى القتال وملاقاة الابطال ، والحمد لله ياابن غانم الذى رجعت الينا وأنت سالم ، فأريدمنك يازينة الفرسان ان لا تنزل نهار غدا الى الميدان ودع البراز لغيرك من الشجعان لاجل لك عدة أيام وأنت فى الحرب والصدام فخذ راحتك من الحرب والكفاح لأنك تعبان والدبيسى مرتاح ثم انه ختم الكلام بهذا الشعر والنظام

قال الفتى حسن الأمير أبو علي   الدمع من فوق الخدود سيولا
يا مرحبا بك يا دياب الغانم   يا فارس الفرسان يوم الهولا
يا فارس الميدان يا ليث العدي   يا ليت عمرك يا أمير يطولا
يا مهلك الأبطال في يوم الوغا   يا صاحب المعروف والمنزولا
يا أمير انك قد قتلت لراشد   وسلام أضحي ميتا مقتولا
أما الفتى محمود ولى وامحي   وأخوه هداوا غدا مجدولا
فقهرتهم يوم الوغا حتي غدوا   قتلى بحد الصارم المصقولا
واليوم قد نزل الدبيسى صادمك   في حومة الميدان مثل الغولا
فأنا عليك اليوم قلبي خائف   يا ليت عمرك ما ترى مكحولا
يا أمير دع غيرك غدات ينازله   فاسمع كلامي وافهم المنقولا
فأخاف توقع يا دياب بأسره   تضحي سريعا في الفلا مقتولا
فاصغى لنصحي يا دياب ولا تكن   ببراز سلطان الدبيسي عجولا

(قال الراوي) فلما فرغ السلطان حسن من شعره ونظامه ، وفهم دياب فحوى قصده ومرامه توقف عن رد الجواب . وكان عليه ذلك الخطاب أعظم مصاب فقال له حسن علامك يا دياب توقفت عن رد الجواب فقال اعلم أيها الهمام بلغك الله الارب عن هذا الطلب ، لانه غاية مرادي وان قتلت فروحي فداك ، واني لا أخشي من الموت في قتال أعداك ، ثم أجابه يقول :

يقول الفتى الرعى دياب الماجد   الدمع من فوق الثرى مهطولا
والنار في قلبي توقد جمرها   وسعيرها طي الحشا مشعولا
لاقيت في دهري أمور كثيرة   قلبي تقطع والهما موصولا
والدهر يرري بالاماجد دائما   ونذل يمرح باله مشغولا
والعاقل الماهر مكدر عيشه   يا ليتما كنا الا معزولا
كم من لبيب مع أديب ماهر   وتر من بين الوري مخذولا
ولكم اجرى خلائق وصل   ولا تقدم كل تيس مهبولا
كنا بنجد في سرور مع هنا   مع عز وافر والهنا محصولا
كنا سلاطين البلاد جميعها   وكلامنا بين الملا مقبولا
لما أتانا المحل رحنا عاجلا   متشتتين وراكبين خيولا
غضب الدبيسي إذا حللنا بأرضه   وأثار بعد السلم حرب مهولا

يا ابن سرحان الذي باهى الملا　　يا من حسامك للعدي مسلولا
بحياة راسك لا تخيب مطلبي　　هذا مرادى والمنا والسولا
ان كنت أقتل يا أمير فدا كم　　وستون عمرك لا تزال تطولا
هذا مقال دياب ابن غانم　　من لا يزال على العداة يصولا

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من شعره شكره السلطان حسن على نطمه ونثره وقبله فى صدره وقال له انى ما تفوهت بذلك الكلام إلا لما وجدتك تعبانا من كثرة الحرب والصدام وما دام الأمر كذلك فابرز نهار غدا الى الميدان ، وقاتل خصمك دون باقي الفرسان ، واتكل على الله الرحمان فلعلك تكفينا شره واذاه ثم باتوا تلك الليلة فى سرور وانشراح ولما أصبح الصباح . دقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالرماح والنصول وتقدموا الى ساحة الميدان بقوة قلب وجنان وكان أسبقهم الامير دياب . فارس الاعجام والاعراب ولما صار فى معركة القتال . طلب الدبيسى دون باقى الابطال . فانحدروا اليه فى الحال وصدمه صدمة تزعزع الجبال فالتقاه دياب وأشار اليه وقال :

قال الفتى المدعو أمير ديابا　　فالدمع من فوق الخدود سكابا
والنار فى قلبي تهب وتنطفى　　قد هب لاعجها وزاد لهابا
اسمع كلامى يا دبيسي وافتهم　　واصغى لقولي لا اريد عتابا
واعلم بأنى فارس متأبد　　لا اختشي يوم الحروب مصابا

﴿ انتهي الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع وهو ديوان الدبيسى ﴾

الجزء الرابع من
تغريبة بني هلال الكبرى
الشامية الأصلية

ديوان الدبيسى بن مزيد
وديوان الأعجام مع الماري
وما جرى لبني هلال معهم من الحروب والأهوال

لابد لى من قطع راسك يا فتى　　واسقيك من حد الحسام شرابا
وتصير أرضك بعد قتلك خربة　　ويحل فى قومك بلا وعذابا
انى أنا المدعو دياب الماجد　　من خير قوم فارس الأعرابا

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من هذا الشعر والخطاب غاب الدبيسي عن الصواب وأشار إليه بهذا الجواب:

قال الفتي المدعو الدبيسي فافتهم　　مني الكلام ولا ترد جوابا
أربع أمارة كالسبع قتلتهم　　فى حد سيفك يا أمير ديابا
هداف مع محمود نسل أماجد　　فرسان كانوا فى الأنام شبابا
وابن نايل مع سلام الأريحي　　قتلوا ولم تحسب لذاك حسابا
اني سآخذ ثارهم بمهندى　　ويحل بك هذا النهار عذابا

(قال الراوى) ولما فرغ الدبيسى من هذا الشعر والنظام هجم عليه دياب كسبع الاجام. واشتد بين البطلين القتال. وعظمت بينهما الأهوال. وكانا تارة يتقدمان وتارة يتأخران وكانت عيون الفرسان. شاخصة اليهما فى الميدان. وما زالا على تلك الحال إلي وقت الزوال ودقت طبول الانفصال فافترقا عن بعضهما على سلام ورجعا إلى الخيام وكان ذلك النهار عليهما من أعظم الأيام. ولما كان الصباح ركب الأمير دياب قاصدا ميدان الكفاح فتقدمت إليه ابنته وطفا، وفى قلبها وهي تبكي بدمع غزار مثل سقوط الأمطار. فتعجب من ذلك وقال لها اعلميني بما أصابك فقد أشغلت فكرى ببكائك قالت مرادى أن تتوقف هذا اليوم عن

فتال القوم فقد رأيت حلما فى المنام وأصبحت منه في أوهام ثم سردت له الكلام بهذا الشعر والنظام :

إن الدهر أكواني حتي زادت نيراني
من أجل حلم شفته منه قلبي فزعان
قد شفت بحر من دم وأنت بوسطه غرقان
شفتك فى وسطه تسبح وكلت منك الدرعان
ما عاد لك قوة تحرج أنا شفتك بعيان
وأنت تنادى يا أبوزيد هيا يا أبو شيبان
في سرعة قد وافاك ومد اليك الزندان
وقال لك ياأبو موسى امسكني بالدرعان
في الحال قدوافا عاجل وقد جابك للصيوان
آتت نحوك أهل هلال وجاك خليفة سرحان
ان مرادى هذا اليوم لا تنزل للميدان

(قال الراوى) فلما فرغت وطفا هذا الكلام قال لها لا تخافى من هذا المنام فانه أضغاث أحلام ودعى عنك هذا الأوهام فلابد لى من الحرب والصدام فاذهبي الي خباك ولا تخافى فرجعت الى الخيام وتقدم دياب الي الميدان فوجد الدبيسي بانتظاره وفرسانه عن يمينه ويساره فصالا وجالا فى ساحة الميدان وأخذا فى الضرب والطعان وما زالا في عنا وحصر . من الصباح الي وقت العصر فاختلف بين الاثنين صرتين ناطعتين وكان السابق الأمير دياب وأبطلها الدبيسى بمعرفته ثم هجم على دياب كسبع الغاب وطعنه بالرمح طعنة قوية وقال خذها من يد فارس البرية فلم يقدر دياب على ردها من شدة عزمها فجاء الرمح فى فخذه فسالت دماه وآيس من الحياة وأراد الدبيسي أن يعجل فناه ويبلغ منه غاية مناه واذا بفارس من بنى هلال قد أقبل كانه قطعة من جبل وهو يهدر كالاسد فخلص دياب من الدبيسي ابن مزيد ورجع به حتى وضعه فى المضارب ثم اقتحم الصفوف والمواكب وهو يصيح على الاعادي وينادى أنا كم أبو زيد ليث الوادي وجعل ينخى بني هلال على الحرب والقتال فأجابته إلى ما طلب أملا ببلوغ الارب وحملوا على جيش العدا من كل جانب فعند ذلك حملت العساكر على العساكر وتقاتلوا بالسيوف والخناجر وحمل السلطان حسن ابن سرحان وتبعته السادات والاعيان

ولم تكن الا ساعة من الزمان . حتى اشتدت الاهوا . وتمددت الابطال على وجه الرمال وما زالوا فى أشد قتال الى وقت الزول وكانت عساكر الدبيسي قد استظهرت فى ذلك النهار وأسرت عشرون فارسا من بنى هلال الاخيار من جملتهم عرندس والرياشي ومفرج والهدار وغير ذلك من الذين عليهم الاعتماد في الحرب والطراد فلما شاهد السلطان حسن تلك الاهوال خاف علي بنى هلال من الهلاك والوبال ولما نزلوا فى المضارب جمع قواد المواكب وسادات الكتائب وأخذ يستشيرهم بهذا القصيد ويقول :

قال الفتي حسن الامير أبو على ... الدمع من فوق الخدود لقد جرى
والنار فى قلبى تهب وتنطفي ... قد زاد نار لهيبها وتسعرا
ياقوم اصغوا الى كلامي وافهموا ... وانت يا أبوزيد انظر ما ترى
قوم الدبيسى يا رجال أشاوس ... القرم منهم مثل سبع يهدرا
لولا يدار كنا الظلام بسرعة ... ما كان يطلع من هلال مخبرا
يا قوم ما هو رأيكم فتكلموا ... حتي أدبر في أمورى وأبصرا
هذه مقالات ابن سرحان الملك ... الدهر من بعد الصفا يتكدرا

فلما فرغ السلطان حسن من كلامه أجابه أبو زيد يقول :

قال أبو زيد الهلالي سلامه ... يا أبو على اسمع وكون موقرا
واصغى لقولى يا ابن عمى وافتهم ... هذا مقدر فى الكتاب مسطرا
واعلم بأن الدهر هذا حاله ... يوم عليك ويوم لك يا قسورا
اياك تخشي يا أمير من العدى ... الله ربي أن يكون لك منصرا
اسمع كلامى يا ملك ثم افتهم ... انى اشور عليك يا فخر الورى
ارسل الى البنات أحضر جمعهن ... حتى ينخوا فى اعتاب العسكرا
ثم نحمل على الاعادى كلنا ... على ظهور خيول حمر ضمرا
أما الدبيسي سوف أقتله أنا ... ويعود من فوق التراب معفرا
ونخلص الابطال منهم يا حسن ... من أسر هذا الطاغ المتجبرا
وننهب الاموال مع كل التحف ... ونساؤهم نفعالها تتحسرا
هذا جزاء من خان أضيافه ... الله يقطع كل من يتكبرا
هذا مقال الامير سلامه ... لابد يا ملك الورى أن تنظرا

فلما فرغ الامير أبو زيد من كلامه وفهم السلطان حسن فحوى مرامه استحسنه

كل الاستحسان وكذلك جميع السادات والاعوان وقالوا عن فرد لسان ان هذا الخطاب هو عين الصواب وفيه نبلغ الارب ونحصل على الطلب هذا ما كان من بني هلال وأما الدبيسي فانه عند رجوعه من القتال كبرت نفسه عليه وأحضر الاسرى إلى بين يديه وتهددهم بالقتل والدمار فوجدوهم لا يبالون بالاخطار فأرسلهم الي الحبس بعد أن شفي منهم غليل النفس ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح اصطفت المواكب وترتبت الكتائب ولما تقابل العسكران برز القاضي بدير الى الميدان برز وطلب الفرسان فبرز اليه فارس يقال له جابر ابن حابس وكان من الابطال المذكورة والفرسان المشهورة فحمل على بعضهما البعض وتجاولا فى الطول والعرض وتضاربا بالسيوف والقواضب وتطاعنا بالرماح الكواعب ولم يزالا فى حرب وقتال الي أن قرب الزوال وكان القاضى قد استظهر على جابر وهجم عليه كالاسد الكاسر وطعنه بالرمح فى صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الارض يخبط بعضه فى بعض ثم هجم على آخر فقتله وعجل من الدنيا مرتحله فعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجع القاضى من معركة القتال فالتقته بنو هلال بالاكرام والاجلال وهنأوه بالسلامة من الوبال وباتوا تلك الليلة وهم يؤملون النجاح ولما أصبح الصباح تواثبوا الى الحرب والكفاح فبرز من قوم الدبيسي فارس عظيم يقال له الامير تميم وطلب قتال الفرسان وحرب الشجعان ففاجأه الامير عقيل وهو اخو أبو زيد وصدمه صدمة جبار فالتقاه تميم مثل الاسد الكرار وأخذا في الصدام والعراك واشتبكا اشد اشتباك وما زالا على تلك الحال نحو ثلاث ساعات من النهار وكان عقيل قد استظهر على خصمه غاية الاستظهار فضربه بالسيف على عنقه فطير رأسه وكان لتميم أخ اسمه ناصر فلما رأي ماحل بأخيه من العبر غاب عن الوجود وهجم على عقيل والتحم بينهما القتال فلاصقه عقيل وضايقه وسد عليه طرقه وطرائقه وضربه بالحسام على راسه شقه إلى تكة لباسه فوقع على الفلاه وعدم وكان الوقت قريب الزوال فدقت طبول الانفصال ورجع عقيل إلى بنى هلال فالتقاه قومه بالكرامة وأما عسكر الدبيسى فكان قد تنغص عيشه مما أبصر وشاهد فاجتمعت الأكابر والعمد ودخلوا على سلطانهم المشار اليه وتمثلوا بين يديه وقالوا له إلى متي هذا الحال فقد هلك معاعدة أبطال فطمنهم بالكلام ووعدهم ببلوغ المرام وفى ثانى الأيام برز الدبيسي إلى الميدان وطلب قتال الفرسان فبرز اليه غنيم بن مفلح وكان غلاما جميلا وفارسا نبيلا فقال له الدبيسى من تكون يا غلام حتى تبارزنى فى معركة الصدام ثم أنشد يقول :

ابن مزيد قال من فكره نظام ما أبارز في الوغا مثلك غلام
روح وارسل ابن سرحان الملك أو دياب الخيل يبرز للصدام
أما أبو زيد الذى انشا الحيل بالمكر زايد والحيل بين الأنام
شد عزمك والتقيني ياجبان واقراعلى الدنيافروضك والسلام

فلما فرغ الدبيسي من هذا الكلام أجابه غنيم بهذا النظام

يقول ابن مفلح من شعار ونظام ليس من يلقي قتالى فى الصدام
كيف تتعرض لسلطان العرب ان ظلمك مشتهر بين الأنام
ما هو مقامك ثم قدرك بالورى حتي تقاتل ابن سادات الكرام
اني ابن مفلح بالوري قرم عنيد لابدماأسقيك من كل كاس الحمام

(قال الراوى) فلما انتهي من هذا النظام صدمه بعزم واهتمام وما زالا في القتال حتى صار الوقت فى الزوال وكان الدبيسى اسعظهر عليه واقتلعه من سرجه مثل العصفور وسلمه إلى أصحابه فأوثقوه ثم صال وجال وطلب براز الفرسان فبرز اليه الأمير زيدان فالتقاه الدبيسي كالأسد الغضبان وتضاربا نحو ثلاث ساعات من الزمان ثم افترقا بأمان وبينما كان الامير راجعا من الميدان ضرب الدبيسي حصانه فأرداه ووقع على بساط الفلاه فانقضت عليه جموع الدبيسي وأخذوه وفى الحال أوثقوه فزاد به الغم والكدر وقد حلت به العبر فأنشد يقول

يقول الفتي زيدان أنا ولد غانم أيادبيسي أنت خوانٌ وغادر
فأطلقنى اليوم ان كنت فارساً وعود التقيني ياردى بالشواكر
ولكن سأصبر على ما قد صابنى وما يخيب كان بالخلق صابر
وإن من خلفي أبو زيد الذى ان هجم تلقاه مثل السبع كاسر
مقال الفتى زيدان عما جرى له ونيران قلبي زايدات سواغر

(قال الراوى) فلما فرغ زيدان من شعره ونظامه صبر علي تقادير الرحمة واما بنو هلال فقد هاجت منهم النساء والرجال واستعظموا تلك الاحوال وذهب منهم جماعة من الاعيان الى عند أبوزيد وطلبوا منه ان يسعى بتخليص الفرسان والا بطال من الاسر والاعتقال فطيب قلبهم ووعدهم بانه سيبذل الجهود ويبلغهم غاية المقصود ثم انه غير زيه وتنكر ولبس حلة من الحرير الاخضر ووضع طيلسانا على رأسه حتى لم يعد يعرفه أحد من اهله وأناسه وقصد الملك الدبيسى في الخيام ودعي له بالعز والانعام وكان كلامه معه باللغة الفارسية لأنه

كان يتكلم بجميع اللغات الاجنبية وقصد بهذه الوسيله اتمام الحيلة فلما رآه الدبيسي على تلك الصفة ظن انه من دراويش الاعجام فاحترمه غاية الاحترام وقال له من أين أتيت ياابن الاجواد قال له من مدينة بغداد وانى من فقراء عبد القادر رب الفضائل والمآثر فقال ادعو لنا يادرويش بالنجاح والانتصار وان الله يرزقنا بابى زيد الخادع المكار حتي نقتله على رؤس الاشهاد ونبلغ منه مسرة الفواد لانه من أمكر الخلق ولا يوجد له نظير فى الغرب والشرق وهو الذى كان السبب فى قدوم بنى هلال الى هذه المنازل والاطلال فاذا جاب الله طلبك بلغناك أربك فتعجب أبو زيد من هذا الكلام وقال الله يبلغك المرام بجاه مولاي عبدالقادر وباقى الاولياء العظام وما دام الامر كذلك أريد منك الآن أن تأمرني بالذهاب الي البلد حتي أرقد فى جامع عبد الصمد وهناك أدعو لك طول الليل فى ذلك المعبد لعل دعاي يستجيب أيها الملك المهاب فسمح له بالذهاب وأمر الحجاب أن تفتح له الابواب وعند دخوله البلد قصد باب الحديد وهو المكان الذى كان مسجون فيه فرسان بنى هلال الصناديد فوجد هناك جماعة من العبيد وهم يطوفون من خلف وقدام تحت جنح الظلام فسلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا له من تكون من الانام فقال قد أرسلني الدبيسى بن مزيد لادعو له فى جامع عبد الصمد لعل الله يبلغه المراد ويقبض على أبوزيد ابن الأغواد وأنتم من تكونوا من الناس فقالوا اننا من جملة الحراس قد أمرنا الملك أن نحافظ على أسرى بنى هلال خوفا من أبى زيد المحتال لئلا يأتى ويفكهم بالمكر والاحتيال ثم أن أبى زيد بعد هذا الحديث والكلام أخرج من جيبه شمعة مبنجة فطواها بعد أن فرك مناخيرة ضد البنج فلما اشتعلت فاح منها رائحة زكية ولم تكن الا برهة يسيرة حتى وقعت الحراس كالأموات من ذلك البنج وبعد ذلك أخرج حجر المغناطيس فالقاه على الأقفال فتساقطت فى الحال ففتح الباب كليث الغاب فرأى سادات بنى هلال فى القيود والأغلال فأعلمهم بحاله وفكهم من الاعتقال ثم أعطاهم أسلحة الجماعة وقال لهم اتبعونى بعد ساعة حتى أكون فتحت لكم أبواب المدينة فتخرجون بامان ثم سار حتي وصل إلى الباب فوجد الحراس جالسين وفى أيديهم السيوف والحراب فسلم عليهم فردوا عليه السلام وقاموا له على الأقدام وأجلسوه بجانبهم وجعلوا يخاطبوه ويخاطبهم وكان كثيراً ما يمد يده إلي جرابه المعلق فوق ثيابه ويأخذ قطعا من السكر ويأكلها أما العسكر فقالوا له ما هذا الذى تأكله يا شلبي قال هذا

ملبس حلبي فقالوا أطعمنا ونحن ندعولك بالتوفيق والخير فأعطاهم قبضة كبيرة وكانت مبنجة فأكلوها وما استقرت في بطونهم حتى سقطوا على الأرض وفي تلك الساعة أقبلت فرسان بني هلال الذين كانوا مأسورين فساروا وجدوا في قطع البراري والبطاح فوصلوا إلى أهلهم عند الصباح فقامت الأفراح وكثر الصياح واشتدت ظهور الأبطال وشكروا أبو زيد على تلك الفعال وأما أهل البلد فقد حل بهم الويل والنكد لما رأو الحراس راقدين والأسرى غير موجودين ولما بلغ الدبيسي هذا الخبر طار من عينيه الشرر وتأكد عنده بعد التحقيق والتفتيش أن أصل هذا البلا من ذلك الدرويش وما هو إلا أبو زيد صاحب المكر والكيد ولكنه أخفي الكمد وأظهر الصبر والجلد وزحف بالعساكر والأبطال لقتال بني هلال فالتقته فرسان القوم في ذلك اليوم وكان أول من برز للدبيسي سرور ابن قائد فالتقاه الدبيسي بقلب كالصوان ولم تكن الا ساعة من الزمان حتي أخذه أسيرا وقاده ذليلا فبرز اليه نعيم بن الزحلان وكان من صناديد الشجعان فأسره في الحال وما زال كذلك وهو يأسر الأبطال حتى أسر خمسون وذلك في برهة ثلاثة أيام في معركة الصدام وكانت بنو هلال . قد فقد منها عدة أبطال . وأشرفت على الوبال فلما كان اليوم الرابع . هجم الدبيسي بالمواكب والطلائع قاصدا قتال بني هلال . وانطبق عليهم من اليمين والشمال . وقاتلهم أشد قتال . فكانت واقعة عظيمة لم يسمع مثلها في الأيام القديمة . فما كنت ترى إلا رؤوسا طائرة ودماء فائرة وفرسانا غائرة . ودارت عليهم الدائرة حتي كثرت الأحوال على بني هلال فلم يعد لهم ثبات من هول الضرب وتواتر الهجات . فتأخروا إلى الوراء وتفرقوا في جوانب الصحراء وقد قتل من الفريقين في ذلك النهار نحو عشرين الف بطل كرار . ولما أظلم الظلام . اجتمعت بنو هلال في الخيام . وهم في حالة الذل والانكسار . مما أصابهم في ذلك النهار وعقدوا ديوانا مع السلطان حسن . وطلبوا منه أن يمدهم براية الحسن : فأخذ السلطان حسن يحمسهم بالمقال . ويشجعهم على الحرب والقتال

ويقول لهم انه من الواجب أن تركب الجازية أم محمد مع العماريات وتحمل في الصباح بالكتائب والمواكب . وإلا حلت بنا النوائب . وما يعود يسلم منا أحد من الرجال ونموت جميعنا في هذه الاطلال . فلما سمعوا منه هذا الكلام اشتدت عزائمهم على الحرب والصدام . وأجابوه عن فرد لسان . اننا سنقاتل نهار غدا بالسيف والسنان حتى لا يبقى منا انسان ولما أصبح الصباح دقت طبول الحرب

والكفاح فركبت العساكر واصطفت الميامن والمياسر وهجمت عساكر بنى هلال بقوة وجلد. على عساكر الدبيسى ابن مزيد فالتقاهم الدبيسى بقلب كالحديد وهجمت معه فرسانه كالصناديد والتقت الابطال بالابطال واشتدت الأهوال. وجرى الدم وسال. وقاتلت بنو هلال أشد قتال وما زالوا على تلك الحال حتى تضعضعت من عساكر الدبيسى الاحوال. فعند ذلك مالوا من اليمين إلى الشمال وتشتتت جموعهم بين الروابى والتلال. هذا والدبيسى ينخى الابطال الفحول وينادى ويقول. من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى ما بى خفا أنا الفارس المؤيد والحسام المهند. المدعو بالدبيسى ابن مزيد. فلا يبرز من الابطال المشهورة وفرسانكم المذكورة. سوى أبو زيد صاحب الكيد فما أتم كلامه. حتى صار أبو زيد أمامه. وصدمة صدمة تزعزع الجبال وترد الاسود عن حماية الاشبال. وفى الحال التقيا فى ساحة المجال. واصطدما كأنهما أسدين وحان عليهم الحين وزعق فوق رءوسهما غراب البين واستمرا على تلك الحال وهما فى أشد قتال نحو ست ساعات من النهار وكان أبو زيد قد استظهر على خصمه غاية الاستظهار وطعنه بالرمح فى صدره خرج يلمع من ظهره فوقع قتيلا وفى دمه جديلا. ولما رأت قومه ما حل به من الدمار ولوا طالبين الفرار فتبعهم أبو زيد وبنى الزحلان. والامير دياب ببنى زغبى الشجعان. والسلطان حسن بباقى الفرسان على ظهور الخيل ودخلوا المدينة تحت ظلام الليل. وضربوا فيهم بالسيف حتى جرت الادمية فى الاسواق. وبليت عساكر الدبيسى بما لا يطاق. وكان قد كثر فيها الصياح. والبكا والنواح. وهجمت بنو هلال على الحصون والقلاع وخلصوا أسراهم من الاعتقال. ورجعوا فى الحال. ونزلوا فى المضارب والخيام. وبلغوا غاية المرام فخلعوا الحديد والزرد النضيد. ولبسوا الاطالس والحرير. ودارت القهوة والشربات على الامراء والسادات وفى ثانى الايام نهض وزير الدبيسى همام واخذ مزيد ابن الدبيسى وامه بدرا وكانت من النساء الحسان فى ذلك الزمان وسار بهما الى عند السلطان حسن ابن سرحان فدخل وسلم عليه وبكى بين يديه وطلب منه العفو والامان وان يعاملهما باللطف والاحسان ثم تقدمت الاميرة بدرا وسلمت على السلطان حسن وتمثلت بين يديه هى والامير مزيد ثم تقدم بعدها الوزير همام إلى أمام السلطان حسن وقال له العفو يا ملك الزمان فقد نصحت الدبيسى جملة أمرار وحذرته من عواقب الامور فلم يسمع كلامى إلى أن نفذ به الامر المقدور ثم أشار يقول

يقول الفتى هام عما جري له ونيران قلبي زائدات لفاح
ألا يا حسن انظر لحالى ورق لي وانظر لقوم عزهم قد راح
أيا أبو على قد أتيتك بعزوتى فاقبل رجائى ثم قول سماح
فأما الدبيسي كان باغي بحكمه وقد راح منجوره بسوء رواح
وهذه نسائه يا أمير وابنه مطيعين لامرك ان تقول سماح
مقال الفتى هام عما جرى له ونيران قلبي زائدات لفاح

(قال الروى) فلما فرغ الوزير من كلامه وفهم حسن فحوى قصده ومرامه أجابه الي ماطلب و بلغه غاية الارب فاكرم مزيد وامه غاية الاكرام وانعم ايضا على الوزير وزاد له فى التعظيم والتوقير ونادى بالامان وزالت الاكدار والاحزان وكان مزيد خاطب ابنة عمه هند وكانت من المحسنات وفريدة بين البنات فاعلم الوزير السلطان حسن بذلك الخبر وطلب منه أن يزفها عليه قبل رحيله بالعسكر فاجابه الي ذلك الطلب و بلغه غاية الارب وفى الحال ذبحوا النوق والاغنام ودارت الافراح مدة سبعة ايام وكانت النسا تدق بالدفوف والفرسان تلعب بالرماح والسيوف وبعد تمام الافراح والسرور والانشراح ولى السلطان حسن مزيد مكان أبيه على تلك البلاد وأطاعته جميع العباد وكان هذا الغلام محبوبا من جميع الانام لانه كان عاقلا فهيما سخيا كريما يحب العدل والانصاف ويكره الجور والاسراف

(قال الراوى) وبعد تمام عرس مزيد بعشرة أيام أمر السلطان حسن بهد المضارب والخيام وجمع المكاسب والاغنام وامر بالاستعداد للحرب ودق طبل الرجوع للرحيل إلى بلاد الغرب وحينئذ اجتمعت الفرسان من كل جانب ومكان فركب الامير أبو زيد بتسعين الف من بنى زغبى الشجعان والقاضى بدير دياب بتسعين الف بطل مداعس وركب الامير زيدان شيخ الشباب والاسد المهاب بستين الف من الشباب وركبت الجارية مع العماريات وحينئذ ركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالسيوف والنصول وانتشرت البيارق وارتفعت السناجق وكانت الفرسان تهوج وتموج مثل أيام يأجوج ومأجوج وجدوا فى قطع البرارى والقفار والسهول والاوعار وهم يوصلون سير الليل بسير النهار حتى وصلوا بعد عشرة أيام إلي بلاد الاعجام ونزلوا فى مرج واسع كثير المياه والمنابع فنصبوا المضارب والخيام وكانت الارض تختص بالاعجام وهؤلاء الملوك وكانوا يحكمون على مدن كثيرة كالحلة والكوفة وغيرهما من المدن الشهيرة

حرب بنى هلال مع ملوك الأعجام

(قال الراوي) وكان الحاكم على بلاد الاعجام فى تلك الايام سبعة سلاطين عظام وهم خرمند وعلي شاه والصمنصيل والمغل وبندر والمنذر والنعمان ولما نزلت بنو هلال فى ذلك المكان أطلقوا مواشيهم فى المراعى وكانت كثيرة الخيرات والاشجار والنبات وفى مدة يسيرة أكلت المواشي العشب والاشجار والبساتين والاثمار وبعد أن أخذوا الراحة وأمنوا من نوائب الزمان ورجع السلطان حسن والقاضى بدير الى نجد فى جماعة من الاجناد لتحديد البلاد وبعد رجوع السلطان حسن والقاضى الي نجد اجتمعت ملوك الاعجام عند الخرمند وجعلوا يتداولون فى ذلك الامر ونزول بنى هلا فى ذلك البر وبعد محاورات طويلة وجلسات مستطيلة قال الخرمند اعلموا أيها السادات الاجواد ان بني هلال قدملأوا البلاد وهم كل يوم فى ازدياد فقالوا الرأى عندنا أن نبادرهم بالقتال ونسبي حريمهم والعيال ونهب نوقهم والجمال قبل أن تكثرهم جموعهم علينا وتصل أذيتهم الينا

(قال الراوي) وكان الملك النعمان حاضر فى الديوان فصعب عليه ذلك الأمر لأن أصله كان من بلاد العرب فقال للملك خرمند ان كان ولا بد لك من حرب بني هلا طمعاً بالغنايم والأموال فارسل أطلب منهم عشر المال فان امتثلوا أمرك الشريف . وأجابوك إلى هذا النص والتعريف ودفعوا لك المال المطلوب تكون قد بلغت منهم المرغوب وان امتنعوا عن ذلك فحينئذ تبادرهم بالقتال ، وتحاربهم بالفرسان والابطال وتنهب أموالهم ومواشيهم وتطفي آثارهم وتلاشيهم فلما سمع منه هذا الخطاب رآه عين الصواب وكذلك صادقت عليه سادات الأعجام ومن حضر فى ذلك المقام . ثم ان خرمند بعد هذا الكلام استدعى بقلم وقرطاس وكتب الى بني هلال هذا الشعر والنظام ، يطلب منهم عشر المال أو يرحلوا من بلاده والاطلال

يقول الملك خرمند حاكم بلاده ... مليك على الاعجام قوماً صعائب
فانى أبيت الليل بالهم والأسي ... ودمعى جرى فوق الخدود سكائب
يا غاديا منى على متن ضامر ... تسابق هبوب الريح مثل السحائب
فتهدى هداك الله خذ لي رسالتى ... مكتوبة مني لقوم أطائب
فاقرا سلامي على هلال جميعهم ... سلام حبيب موهلا للحبايب

وسلم على حسن الدريدى أبو على ... فذاك حسن سلطان كل الاعارب
وسلم على الزغبي دياب بن غانم ... يكني أبو وطفا سليل الاطائب
وسلم على القاضي بدير بن فائد ... أمير قد سما أعلا المراتب
وسلم على أبي زيد الهلالى سلامه ... أمير بن أمير من فروع أطائب
وقل له ما قال خرمند صادق ... وحاكم بلاده شرقها والمغارب
فمن أى باب قد دخلتم بلادنا ... رعيتم مراعينا وكل العشائب
فان رمتم أن تقيموا بأرضنا ... ونرعوا مراعينا وكل الجنائب
فهاتوا لنا عشر المال مع الخدم ... وعشر النسا والخيل ثم النسائب
وهاتوا لنا ألفين حمرا أصائل ... وألفين مهرا طائعات نسائب
وهاتوا لنا ألفين درعا وخوده ... والفين سيفا ماضيات قضائب
وألفين دبوساً مفرش ومنجلي ... وألفين ترساً وألف رمح كعائب
وألفين شقه من خواص حريركم ... وألفين شالة مطرزات قصائب
وألفين عبداً يا أمارة وعبدة ... وميتين سريه ملاح كواعب
وهاتوا لنا ميتين بنت مزخرفة ... بنات الأمارا راخيات النقائب
فان جبتم المال الذى قد ذكرته ... تكونوا أحبابلنا وعز الصحائب
وإن كنتم لم تجيبوا سؤالنا ... وتريدوا الاقامة بأرضنا والسباسب
فأهجم عليكم فى الصباح بعسكرى ... وأنهب مواشيكم مثل نار اللهائب
وأقتل أكابركم وأفنى جموعكم ... وادعى جثثكم فوق أعلا الترائب
فهذا قول خرمند حاكم بلاده ... ويحكم علي الأعجام قوماً صعائب

(قال الراوى) ولما فرع الخرمند من كلامه طوى الكتاب وأعطاه الي نجاب وأمره أن يسير بالحال الي حلة بنى هلال ويعطيه إلى نائب لسلطان حسن بن سرحان ويرجع اليه من غير توان فامتثل النجاب أمره وسار وجد فى قطع القفار حتى وصل الى تلك الديار وسأل عن نائب السلطان حسن فأرشدوه إلي مضارب أبي زيد فدخل وسلم وأعطاه ذلك الكتاب وطلب منه سرعه الجواب فلما فتحه وقراه وعرف رموزه ومعناه مزقه ورماه وكتب الى خرمند هذا الجواب الذى هو أشد من ضرب الرقاب

يقول أبو زيد الهلالى سلامه ... فلايكتم الاسرار غير الاصائل
ولا يكشف الاسرار غير ابن خائن ... ردى الاصل من قوم أراذل

سميت أبو زيد على الناس زايد كريم شجاع من كرام أفاضل
وزرت عليكم بالأصل والجود والسخا والانس واللطف مع حسن الخصائل
أيا غاديا بالله خذ لي رسالتي لتقرا على الاعجام قوماً أصائل
وسلم علي الخرمند سلطان جمعهم وكل كبار الفرس أهل الفضائل
بعثت يا خرمند تطلب لعشرنا عشر النسا ثم الخيول الأصائل
وتريد منا كل بيضة جميلة بنات الامارا زايدات الدلائل
فما تحظي بهم فان وراءهم رجال حروب كالأسود تقاتل
وراهم حسن سلطان قس وعامر مربي اليتامي فى سنين المحائل
وراهم أبو موسي دياب بن غانم إذا ركب على الخضرا تروحوا جفائل
وراهم أبو تكنا بدير بن فائد وزيدان مع موسى قروم حلاحل
وأنا أبو زيد الهلالى سلامه وذكري شاع ما بين القبائل
سألقاكم غداً بقوة ساعدى وجيش بني هلال أهل الفضائل
وإن كنتم لا تبرزوا لقتالنا فانى سألقاكم بوسط المنازل
وأقتل منالكم وكل رجالكم وأهدم الى الكوفة فتصبح رمائل
يقول أبو زيد الهلالى سلامى ستذكرنى الفرسان فى يوم الهوائل

(قال الراوى) ولما وقف الخرمند على هذا الشعر والنظام صار الضيا فى عينيه كالظلام وقال هل بلغ من قدر بنى هلال أن يخاطبونى بمثل هذا المقال وانا ملك بلاد العجم ثم انه استدعى قواد العسكر ومن يعتمد عليهم فى الحروب والمخاطر وأمرهم أن يستعدوا للقتال ويجمعوا الفرسان والابطال فامتثلوا أمره فى الحال وجمعوا الابطال والفرسان حتي اجتمع خمسمائة ألف عنان وأرسل الي بلاد خراسان وحكام تلك البلدان ان تمده بالجيوش والعسكر ثم انه ركب في ثانى الايام للحرب والصدم ولما بلغ ابو زيد هذا الخبر ركب فى جموع بنى هلال واشتبك بين الفريقين القتال وعظمت الاهوال وهجمت العجم على العرب بقلوب كالجبال فالتقتها بنو هلال بالسيوف والنصال وثبتوا ثبات الاسود وبذلوا فى ذلك اليوم غاية المجهود وما زالوا علي تلك الحال الى ان ولي النهار بالارتحال فافترقوا عن بعضهم البعض ونزلت كل طائفة فى ناحية من الارض ولما كان اليوم الثانى ركبت العجم ظهور خيولها وتقلدت بنصولها وتقدمت الى ساحة الكفاح فالتقتها العرب كليوث البطاح واشتبك بينهم القتال وعظمت الاهوال وكان

الأمير أبو زيد قد هجم على صفوف العساكر وتبعه كل ليث قسورة وأسد غضنفر وهو ينخى الأبطال ويشجعهم على القتال فتبعته فرسان بنى هلال وقاتلت فى ذلك اليوم المهول وهجمت هجمات فرسان الفحول فكسرت عساكر الأعجام فى معركة القتال وأبعدتها سبعة أميال ورجعت بالنصر والاقبال .

(قال الراوى) وكان الملك خرمند قد اجتمع بقائد الجنود وبخه قدام السادات على عدم الثبات وقال أتتولى عساكرنا وتطلب الهرب من جموع بني هلال فماذا تقول اذا سمعت عنا الأمم وهل يبقي لنا حرمة قائمة فى بلاد العجم فأوعده أنه سيبذل المجهود فى القتال ولابد له من هلاك بني هلال وسبي حريمهم والعيال ونهب الأموال فشكره على ذلك الكلام وأوعده بالخير والانعام . قال الراوى ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح دقت طبول العجم فركبت الابطال وتسارعت الفرسان إلى ساحة المجال فالتقتها بنو هلال وفى أوائلها أبو زيد ليث الميدان وفارس الفرسان ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى التقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وكانت العجم قد تقدمت إلى قدام مثل ليوث الآجام بقلوب قوية وهمم علية وصدمت العرب صدمات الجبال وما زال الحرب بين القوم الى أن ولى ذلك اليوم وكان الانتصار للعجم فارتدت العرب إلى الوراء بعد أن كانت ظافرة ومنتصرة

(قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح ركبت العرب ظهور الخيول وتقدموا بالسيوف والنصول وطلبوا ساحة الميدان ومقام الحرب والطعان فالتقتهم الأعجام وأخذوا فى الحرب والصدام وكان أول من برز من بنى هلال وطلب براز الفرسان والابطال الاسد الكاسر والبطل القاهر ليث المعارك والوقائع الأمير أبو زيد فارس المعامع فصال وجال في ساحة المجال وقال هل من مبارز هل من مماجز لا يبرز لى لا كسلان ولا عاجز ثم انه بعد هذا المقال أنشد وقال :

يقول أبو زيد الهلالى سلامي	ولي عزم أمضي من رهيف حسام
أنا فارس الفرسان فى يوم الوغا	أنا قاتل الابطال يوم صدام
ولى همة تدشاع فى الناس ذكرها	وصيت فى بلاد العرب والأعجام
لقد أتيت ليوم تاصف حربكم	فابرزوا يا أيها الأقوام
ولا يبرز لى غير كل مجرب	وكل شجاع وسيد مقام
فسوف تروا ماذا يحل بجمعكم	من سيف أبو زيد الفارس القمقام

(قال الراوي) ولما انتهي أبو زيد من شعره ونظامه وهمت الفرسان

فحوى حديثه و كلامه برز من صفوف الا عاجم فارس موصوف بالشجاعة والمكارم يقال له الهامرز ويلقب بفلاق الجماجم فحمل على أبو زيد حملة أسود الغاب وأشار بهذا القصيد يقول :

أنا الفتى الهامرز ليث الكتائب　　أنا فارس الفرسان يوم أحاربه
اليوم تنظر حربنا وقتالنا　　من بعدأن نسبي بنات كواعب
ونحوز كل جمالكم وأموالكم　　وننال بغيتنا وكل ما ٓرب
وستبق ياأبو زيد في وسط الثرى　　مع كل فارس أشوسي غالب
إن كنت فارس سوف تلقي فارساً　　ما مثله بين القروم يحارب
أنا الذي قرت له كل الورى　　بالباس والاقدام يوم مصائب

(قال الراوى) فاغتاظ أبوزيد من هذا الكلام ومن شدة ما جرى عليه لم يدعه أن ينجز الشعر والنظام بل شتمه بالكلام وقال له سوف ترى يا أحقر الاعجام ما يحل بك من سيف أبو زيد فارس الطعان وكان الهامرز كما ذكر الرواة وأصحاب السير من أشد الفرسان الذين اشتهروا بالشجاعة وقوة الجنان في ذلك الزمان فاغتاظ من كلام أبوزيد وحمل عليه بقلب كالحديد فالتقاه أبو زيد بالحسام وأخذ معه في الحرب والصدام واشتد بينهما القتال وعظمت الاهوال وكانا تارة يتقدمان وتارة يتأخران وكانت جميع الابطال والفرسان شاخصة اليهما بالعيان ومازالا على تلك الحال وهما في أشد قتال حتى علا عليهما الغبار وحجبهما عن عيون النظار وقدحت حوافر خيلهما نار ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى استطال أبو زيد على خصمه في ساحة الميدان فضربه بالسيف على عاتقه خرج يلمع من علائقه فوقع على الارض يختبط بعضه ببعض فلما رأت طوائف العجم ماحل بأميرها من العدم بربرت بلغتها وعظمت مصيبتها وحملت من اليمين والشمال على بني هلال فكانت موقعة مريعة وساعة مخيفة قتل فيها كثير من الفرسان المذكورة والابطال المشهورة فما كنت ترى إلا راسا طائراً وجواداً غائرا فلله در أبو زيد البطل الخلاحل فانه شق صفوف الجحافل ، وتبعه من بني هـ . ك مقاتل ، وقد هان عليهم الموت الاحمر أملا بالنجاح وبلوغ الوطر وما زال القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل الى أن ولي النهار وأقبل الليل بالاعتكار فعند ذلك دقت طبول الانفصال فافترقوا عن الحرب والقتال وكان قتل من الاعجام في ذلك النهار أوفى من عشرة آلاف فارس كرار وقتل من بني هلال خمسمائة

من الابطال ولما نزلت بنو هلال فى الخيام جمع أبو زيد فرسان الصدام وسادات الكرام وقال لهم اعلموا يا بنى الاعمام أن العجم كثيرة العدد ونحن قليلوا المدد ليس لنا معين و لناصر سوى السيوف البواتر فمن الواجب أن تثبتوا ثبات الاسود الكواسر ولا تبالوا بالاهوال والمخاطر وإلا هلكنا هلاك الأبد ولم يبق منا أحد فأجابوه انهم سيبذلون المجهود ويقاتلون مثل الأسود ثم انهم صرفوا أكثر ليلهم بالحديث والكلام فى ما يتعلق بحرب الأعجام .

(قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح دقت العجم الطبول ونفخ النفير ولمع سلاحهم وبرق وانقسموا مواكب وفرق وعلت منهم الضجات وارتفعت الأصوات وارتجت من ركض خيولهم الاراضى والفلوات وهم يهمهمون ويدمدمون وفى لغتهم يتكلمون ويبربرون وكانت بنو هلال قد ركبت عند طلوع النهار وفى أوائلها الاسد الكرار والبطل المغوار أبو زيد القهار الذي شاع ذكره في سائر الاقطار وخضع له كل صنديد وجبار ولما التقى العسكران وتقابل الفريقان حملت الا بطال على الابطال والفرسان على الفرسان ووقع السيف والسنان على المناكب والأبدان والتقت المواكب بالمواهب وعظمت الاهوال والمصائب وكان يوماً من أعظم الايام فتكت فيه العرب بالاعجام فقتلت منها ستة آلاف من الأبطال الموصوفة وكسرتها إلى قرب الحلة والكوفة وكانت العساكر والفرسان التى أرسل خرمند فى طلبها من بلاد خراسان قد حضرت فى مساء ذلك النهار فملأت بكثرتها جوانب القفار ففرح خرمند بقدومها وأمل بالنجاح والانتصار ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح ركبت الأعجام وتقدمت الي قدام طالبة الحرب والصدام فالتقتها بنو هلال واقتتلت معها أشد قتال و بذلت غاية مجهودها فى نوال مرغوبها ومقصودها ولكنها تأخرت بعد الجهد والعناء الكدر لان أعداها كثيرة فارتدت الى الورا وطلبت جوانب الصحرا وكسبت منها العجم عدة من الخيل والجمال والامتعة والاموال ورجعت بنو هلال عن معركة القتال فى أسوأ حال . وفى الثانى ركب أبو زيد فى الفرسان وهو ينخيهم علي لقاء الاخصام وقال لهم هذا اليوم عليكم من أعظم الايام فاما أن تبلغوا المرام أو تموتوا كالكرام ثم التفت الى السيد الكريم الامير غنيم الذى شاع ذكره في سائر الاقاليم وهو خطيب المارية بنت السيد الماجد القاضى بدير بن فايد وجعل يحمسه بالكلام ويشجع قومه علي الثبات والاقتحام بهذا النظام

اليوم يوم الهالالات لا ينجينا ســوى الثبات
فارس الفرسان ابشر ياغنيم اليوم أدعو العجم يغدوا شتات
أقتل أكابرهم وأفنى جموعهم والنساء منهم اليوم راجعات
انطح الأعداء اليوم نطحاً ياغنيم حتي نخلص للهوادج والبنات
ماذا يكون جوابكم عند الملوك إذا سمعت عنكم هذا الشتات
كل من يولى منكم هاربا قطعت راسه وأعدمته الحياة
ارجعوا ثم ارجعوا ثم ارجعوا حتى نخلص للهوادج والبنات
من هلك منا فذلك يومه ومن سلم منا حظى بالفاخرات

(قال الراوى) فلما فرغ ابو زيد من كلامه وفهم غنيم وقومه فحوى شعره ونظامه تحمست الفرسان والابطال واشتدت قلوب الرجال وماجت بنو الزحلان وبنو هلال وارتدوا على طوائف الاعجام كليوث الاجام وقدامهم ابوزيد فارس المعامع وليث الوقائع وهو يهدر كالاسد الكاسر ويطعن فى الميامن والمياسر ولا يبالى بالاهوال والمخاطر وقد فضل الممات على الانهزام والشتات هذا وقد فتكت ابطال بنى هلال بالعجم فتك الذئاب بالغنم واوردتها موارد العدم وكانت ساعة من اعظم الساعات فيها ارتفعت الضجات وعلت الاصوات وتمكنت الصوارم في روس الفرسان والسادات فعند ذلك ولت الاعجام هاربة والى النجاة طالبة وخلص ابو زيد من ايديهم النسا والبنات ورجع بالنصر والاقبال الي المضارب والابيات مع باقى الامراء والسادات هذا ما كان من أبو زيد الاسد الكرار والبطل المغوار وما فعله في ذلك النهار وأما المارية ابنة عم الامير غنيم فكانت فى هودج على جمل اهوج فلما اشتد القتال وعظمت الاهوال انهزم بها ذلك الجمل وسار بها على عجل ورأت نفسها بقرب الحلة والكووة والصمنصيل ورا هودجها طالب اخذها فصاحت على ابن عمها من ملو راسها وكان المذكور بالقرب منها فلما سمع نداها ترك القتال وأتاها فجعل يطعن في الابطال ويبدد الفرسان علي وجه الرمال حتى اقترب من نواحيها وهي يصيح ويناديها ويقول لبيك يا ابنة عمي وفارجة همي ذتـد أتيتك فابشرى بالخلاص من شرك الاقتناص فلما رأته فرسان الأعجام قد تقدم الي الامام مالت عليه وأخذت معه فى الصدام فبينما هو يقاتل ويدافع عن نفسه يحامي ويمانع واذا بالصمنصيل قد فاجأه من

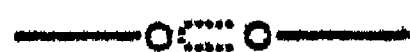
خلف ظهره وطعنه بالرمح نخرج من صدره فوقع على الأرض قتيلا وفي دمه جديلا فساق الصنصيل هودجها الى بينما كان أبو زيد مشتغلا بالقتال وما عنده خبر بهذه الأحوال فلما أمسى الظلام ورجع أبو زيد عن الحرب والصدام كما تقدم الكلام دخلت مارية إلى الحلة مسبية مع الأعجام وهي تبكي وتصيح وتستغيث من فؤاد قريح وليس من يسمع ولا يجبر ولا يدفع .

انتهى الجزء الرابع من تغريبة بنى هلال ويليه الجزء الخامس

الجزء الخامس من

تغريبة بني هلال الكبرى

الشامية الأصلية



ديوان الاعجام وسبي المارية ابنة القاضي بدير

وما جرى للاعجام مع بني هلال من الحروب والأهوال

(قال الراوى) وبينما كان الأمير أبو زيد فى خيامه مع سادات أقوامه وهم يشربون المدام ويأكلون الطعام والنساء تدق لهم بالدفوف وتدعوا لهم بطول العمر على ذاك النجاح والنصر وإذا الأبطال قد أتوا بجثة غنيم من ساحة القتال وأقاموا عليها النواح والصريخ والصياح فسأل أبو زيد عن سبب ذلك فقالوا يسلم راسك يا الأمير غنيم يا فارس المعارك فانه كان يقاتل بقرب هودج مارية وهو يهجم على فرسان العجم هجوم الأسود الضارية إلى أن ضايقته الأبطال وازدحم عليه المجال فقتل وشرب كاس الحمام وراحت مارية سبية مع الأعجام فلما سمع أبو زيد الخبر تنغص عيشه وتمرمر وطار من عينيه الشرر ولكنه لما رأي نفسه مغلوب مع العجم لكثرة ما عندهم من الخلائق والأمم ولا سيما انه ملك وأخذوهم سبعة ملوك كبار يحكمون على عدة مدائن وأمصار فكتب إلى الأمير دياب يعلمه بواقعة الحال ويطلب منه المعونة فى القتال وأرسل الكتاب مع عشرة أبطال فلما وصل الكتاب إلى الامير دياب ووقف على ما تضمنوا من الخطاب امتنع عن الحضور وقال الريس أولى لحماية الجمهور وهذا أمر لا تعنيني غوايله ودواهيه لانى ما دخلت ولا خرجت فيه فلما وقف أبو زيد على هذا الخطاب غاب عن الصواب وغضب من كلام دياب ثم انه كتب إلي السلطان حسن ابن سرحان يعلمه بذلك الشان ومثل ذلك إلى القاضى بدير يحثهم بسرعة القدوم ويعلمهم بما جرى بينه وبين الاعجام فى معارك الصدام وختم الكلام بهذا الشعر والنظام :

يقول أبو زيد الهلالى سلامي ... هموم الاكارم ثابتات ضميرها

أيا غاديا منى على متن ضامر ... تسابق هبوب الريح عند مسيرها

ان جئت الى نجد العدية بلادنا تلاقى حسن وبدير نعم أميرها
واعلمها يا صاحب الجود والسخا بما جري علينا فى القتال وغيرها
أتتنا بنو الاعجام من كل جانب على خيول غارقة في حريرها
وأرسل ملك خرمند الينا كتابه فيه يهددنا بقول يديرها
ويطلب جمالا مع سيوف مسقطة ورماح عجليات كبدر منيرها
ويطلب بناتا منعشات كواعب بنات الامارة مزينة بحريرها
فلما قرأت كتابه وفهمته ضاقت بى الدنيا وزادت كدورها
فرديت جوابه يا أمير وقلت له بنات الامارة خلف ستر خدورها
فهن وراهم كل قرم صميدع فيقتل من الاعجام كل أميرها
هجموا علينا فى الصباح بواكرا كسباع بر يهدرون هديرها
وجاءوا الينا من هناك ومن هنا ألوف ألوف فى صفوف مشيرها
الله أكبر عند ما طلع الضحا وصارت لنا وقعة ما نظرنا نظيرها
يبربرون وليس نفهم قولهم سوى قول عسكر جمعنا ونفيرها
نحاربهم أنا وغنيم بن مفلح أنا فى ميامنها وهو فى ميسارها
تسمع رنين السيف من فوق روسنا تقول لهيب النار أتتنا سعيرها
كسرونا حتى أخرجونا من الحما وسبوا بناتا مثل بدر منيرها
فصحن العذارى ياهلال انجدوننا ولا سيدة الا تنخى أميرها
فرديتهم بالسيف مع طعن القنا وهلال يشدوا كبيرها وصغيرها
سوى مارية ولت فما رأيتها جفل بكرها فيها وولى بعيرها
وكانت تنادى من فؤاد موجع تصفق بأيديها تنخى أميرها
فوافى اليها بالوغا ابن مفلح كجلمود صخر انحدر ليجبرها
تهيأ لها سهما من البين صابه فمات قتيلا ولم تلاقي نصيرها
وبعيرها ساقوه قدام خيلهم ودموعها تجرى كماء غديرها
دخلوا بها الحلة وسدوا بابها وعادت ملوك العجم نحو ديارها
يقول أبو زيد الهلالي سلامي ورب السما يعلم ما فى ضميرها

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من هذا الشعر والنظام طوى الكتاب وسلمه الى النجام وأمره أن يجد فى مسيره غايه الجد حتي يصل الى بلاد نجد ويسلمه الي السلطان حسن ويرجع اليه بسرعة الجواب :

(قال الراوي) ومن الاتفاق الغريب بأن القاضى بدير رأي فى تلك الليلة حلما وهو كانه قابض على حمامة بيضاء واذا بعقاب أسود قد هبط عليه من الجو فخطفها وطار واختفي عن أعين النظار فاستيقظ من المنام وهو فى قلق عظيم من هول هذا كله فنهض وسار الي عند السلطان حسن وقص عليه تلك الرؤيا فقال يا ابن العم ان هذا الحلم يدل على ضيق وغم وان صدقني حدري ولم يخطني فكري فاقول ان أبو زيد مع باقى الفرسان هم فى أشد الضيق الآن وان ابنتك مارية بدر التمام قد خطفتها الاعجام فلما سمع القاضى هذا الكلام . صار الضيا فى عينيه كالظلام وقال له ما دام الامر كذلك فقد صرت فى هادس من هذا الحادث . فيجب أن نركب ونجد فى قطع القفار ونكشف خبر قومنا فى تلك الديار فأجابه السلطان حسن الى هذا المرام وركبوا من يومهم فى فرسان الصدام وقصدوا تلك الاطلال قاصدين بنى هلال . وكان ذلك النجاب أخذ لهما الكتاب . كما تقدم الخطاب قد صار قاصدهما من غير تعويق . ولكنه أخطأهما فى الطريق . وعند وصولهما بالعساكر والابطال الى أول نجوع بنى هلال فالتقى السلطان حسن بأحد العبيد وكان اسمه سعيد فسأله القاضى بدير عن أحوال القول فأجابه يقول :

يقول سعيد راعي البوش صادق ... فمن بعدكم هلال ياما أصابها
فثارت جموع هلا . والتقت بجموعهم ... وجرى بيننا حرب يشيب طفالها
فقد قتلوا منا مية فارس مجرب ... مع مية فارس فقد أضاعوا مثالها
وقد كسبوا منا ثمانين بنت مزخرفة ... بنات الأمارة فوق غالي حريرها
وقد جرى وقعة من العمر ماجرت ... فكم حمرا قد طار منها نعالها
وما رد البنات سوى أبو زيد أميرنا ... هزم إلي الاعجام بطعن نصالها
ورجعوا البنات يا أمير جميعهم ... بضرب تمنع الآساد عن أشبالها
وما راح منهم غير بتك خطيفة ... ساروا بها الاعجام فى أطلالها
ثاه الجمل فيها وقد طلبت الحلا ... وصاحت لغلمانها ورجالها
فهجم اليها عنيم ابن مفلح ... كجلمود صحر انحدر من جبالها
وقد قتل من الاعجام عدة ... بالسيف القاهر عنيم قبالها
تهيا له سهما من البين أصابه ... بحربة تشابه الشمس عند اشتعالها
ودخلوا بها الخله وسدو بابها ... وعادت ملوك العجم ننظر دلالها
بكينا عليها يا أمير جميعنا ... ومن أجلها شق العذارى ديالها

(قال الراوى) فلما فرغ سعيد من هذا الكلام والنظام صار الضيا فى عيني القاضى كالظلام وقال له خيبك الله على هذه البشارة المعكسة والاخبار المنحوسة ثم انه سار مع السلطان حسن حتي اشرفوا على الامير دياب وفى قلوبهم نيران الالتهاب على ذلك المصاب فتلقاهم دياب بالاكرام والترحاب وطلب منهم أن ينزلوا عنده فأبى السلطان حسن وقال له علامك يا أمير دياب ما ركبت مع أبى زيد على قتال الاعجام أتسبي الاعداء الحريم والعيال وتنهب النوق والجمال وأنت جالس فى الخيام بدون فكر ولا اهتمام قال ان الذى منعنى يا ملك الزمان هو خوفاً من من هجوم العدا إلي هذا المكان فتنهب الاغنام والابقار ويبقى عليها العيار على طول الادهار فهذا كان السبب ياملك العرب فعندذلك وثب الاميرديا ب مثل ليث الغاب وركب القاضي والسلطان حسن وركبت معهم الابطال والفرسان ومازالوا يجدون السير ويسابقون بمسيرهم الطير حتى وصلوا إلى عند أبو زيد فصادفوه فى الخيام فالتقاهم فى التعظيم والاحترام وكان ذلك النهار عنده من أعظم الايام فنزلوا عنده وذبح لهم الاغنام وقدم لهم الطعام والمدام وأكرمهم كل الاكرام فامتنع السلطان حسن عن الاكل وهو مغتاظ زعلان فسأله أبو زيد عن سبب ذلك الشان فقال انى مغتاظ عليك كيف تفقد المارية من يديك ثم أنشد وقال :

يقول حسن الدريدي أبو علي	ولي قلب من جور الزمان ملاه
أبو زيد أنا مغبون والغم زادنى	وما عاد عندى حيل أدوم قواه
علي شان أخذ المارية وأنت حاضر	وانت أمير القوم أعظم شاه
وأبواب الحرب انت ملكتها	وما حاذها غيرك بضرب قناه
واسمك أبو زيد على الناس زايد	وغيرك كبير القوم لم نرضاه
أبو زيد اعلمنى ابو زيد قول لى	كيف العجم ظفروا أيا ويلاه
ومنك قتل يا امير الفين فارس	وراحوا وانت فى قيد الحياه
قال الفتى حسن الدريدى أبو علي	وقلبي ضناه البين ثم كواه

(قال الراوى) فلما فرغ السلطان حسن من هذا الكلام وأشار القاضى يعاتب ابو زيد على سبي ابنته بهذا الشعر والنظام

يقول الفتي القاضي بدير ابن فايد	قلبي احترق ياسيدى فى نارها
أبو زيد ابن المارية قد فوطرت	دون الحريم وما أحد قد جالها
كنت المؤمل فيك من محو الحريم	وانت كبير القوم نعم كبارها

هل عدت بعد اليوم انظر وجهها وتراها عيني مع جميع جوارها
لو كنت حاضر حربكم وقتالكم لفتكت فى الاعجام مع أبطالها
وضربت فيهم يا امير بصارى حتى اريهم حربها وقتالها
واجيب بنتى لو قتلت بقربها واخذت من جند الاعاجم ثارها
ما قال الفتي بدير ابن فايد ولا بدّ باكر ما اقيم هواها

(قال الراوى) فلما فرغ القاضى من شعره ونظامه وفهم ابو زيدفحوى كلامه اجابه يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو زيد الهلالى سلامي بدمع جري من مقلة العين نابع
يا ابو على اسمع كلامى وافتهم وانت يا قاضى فكن لى سامع
اتينا الي الحلة نزلنا بأرضها وأنا كنت منهم يا حسن غير فازع
أتو بنو الاعجام من كل جانب سبعة سلاطين من غير العوابع
وقد أتونا فى الصباح بواكرا وهم لابسين سيوفهم والدوارع
كررنا عليهم كرة عامرية وعاد صهيل الخيل للجو طالع
ضربنى القوم خابت ضربته فأتيته ووردت نحوه راجع
ضربته بسيف من يمين سلامه فراح من كفي على الارض واقع
فثوى على وجه الرمال مجندلا وولت جنود الفرس منا فوازع
فقد قتلوا منا مية فارس مجرب وثمانين هودج راح منا قلايع
فصحنا عليهم هاجمين بعزمة قتلنا منهم الهين ما هدا التوابع
فكانت فتاة الحى مارية المها غدت فعاد فيها القوم طوامع
جفل بكرها فيها وأنا ما رأيتها وقلبى لاجل المارية عاد واجع
وعادت تنادي الصوت يا أهل عامر وتومى بايديها وتلوى الاصابع
أتي نحوها المدعو غنيم بن مفلح وقاتلهم بقلب شديد غير واجع
طعنه الملك صنصميل بالرمح صابه بحربة نورها كالشمس ساطع
وحان ظلام الليل بيني وبينهم وعاد العجم من بعد هذه الوقائع
وحق كلام الله والبيت والحجر فلابد لى من حربهم ان اسارع
ولابد لى من أن أجيب المارية وأهدم إلى الكوفة وارتد راجع
قال أبو زيد الهلالي سلامى اني مربع الخيل فى يوم الوقائع

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه وسمعت الحضرون ما أبداه فى

شعره ونظامه ، قال له الامير دياب وقد اغتاظ من هذا الحديث والخطاب ، والله يا أبا زيد لو كنت حاضر قتال العجم ، ما كنت تركتهم يسبوا المارية ، ويسطوا على الأموال والحرم ، بل كنت قاتلت أشد قتال أملا بالانتصار وبلوغ الآمال أو أن أموت تحت أرجل الخيل والابطال فلما سمع أبو زيد إمته هذا الكلام ، وقع عليه أشد من ضرب الحسام ، فالتفت اليه وقال أمام الأعيان ، صدقت يادياب ابن غانم وبما أنك كنت قادر على كسر الاعجام ، فلماذا ما حضرت واظهرت شجاعتك فى الميدان ، عندما أرسلت خلفك عشرة فرسان ، ولا بد من أن تقصدنا الاعجام ، وحينئذ ترينا شجاعتك فى معركة الصدام ، هذا ما كان من بني هلال وما جري بينهم من العتاب والمقال

وأما ما كان من الاعجام فانهم لما رجعوا إلى أوطانهم بالسلام تنازع سلاطينهم على المارية بنت القاضي بدير وكان كل سلطان يريد يأخذها لنفسه دون الغير وذلك لما فيها من الحسن والجمال والبها والكمال ، فاتفق رأيهم على اعطائها للسلطان خرمند لأنه كان من أكابر الملوك وقائد الجند ، وانهم يركبوا على بنى هلال مرة ثانية وكل من يكسب امرأة تكون له مثل المارية وفى ثانى يوم ركبت ملوك الاعجام تقصد بنى هلال ، بالفرسان والابطال . وركب السلطان حسن بن سرحان واستقبلهم فى ساحة الميدان ، ماعدا أبو زيد فانه لم يركب معهم لقتال القوم ، وجعل نفسه مريضاً فى ذلك اليوم ، ولما انتشب القتال ، وعظمت بين الفريقين الاهوال ، هجمت الأعجام على بنى هلال مثل أسود الدحال ، وقاتلت أشد قتال وجعلت ترميهم بالنشاب ، وتطعنهم بالمزاريق والحراب : فلما رأت بنو هلال ، تلك الاحوال ، وهجوم العجم من اليمين والشمال ، خافوا من الهلاك والوبال ، فارتدوا إلى خلف وانهزموا أشد انهزام وتبعتهم فرسان العجم حتي أدخلوهم إلى الخيم ثم داروا ينهبوا فى الأبيات ويسبوا النساء والبنات ، ووقع البكا والنواح ، وزاد العويل والصياح ، فلما سمع أبو زيد عويل النساء والأصوات التى ترتعش من سماعها الآذان وتقشعر منها الأبدان ، عظم عليه الحال وعصفت فى رأسه نخوة الرجال ، فركب ظهر الحصان ، وصاح على قوم بني زحلان ، فركبت الأبطال والفرسان وفى أيديها السيوف والرماح ، وتبعته مثل ليوث البطاح فالتقى بعسكر الاعجام وحكم فى رقابهم ضرب الحسام فردهم عن المال والحريم باذن الله الملك العظيم فارتدوا منهزمين وإلى الكوفة طالبين وهو وقومه وراهم مثل الشواهين

إلى أن بلغ منهم المرام وشفي غليل الفؤاد وقتل عدداً كثيراً من الاجناد ثم ارتد منتصراً وعلى قومه مفتخراً وعند وصوله إلي الصيوان التقاه حسن بن سرحان وشكره علي تلك الفعال وقال له مثلك تكون الابطال يازينة الرجال فلولاك كنا في أسوأ حال وذهب مالنا وسبيت نوقنا وجمالنا وصرنا معيرة بين سائر العربان على طول الزمان وكذلك قال القاضي بدير فانه اثنى عليه بكل خير وكان دياب منكس الرأس خجلان من الناس وقد لام نفسه علي ذلك المقال الذى تكلم به أمام الابطال وكذلك القاضي كان متأسفاً على فقد ابنته مارية امام الحاضرين فقال ابو زيد للقاضى كن مطمئن الخاطر من هذا القبيل فلا بد لى من خلاص ابنتك أيها القاضى الجليل ثم ان ابو زيد صبر إلي وقت الظلام ونهض كسبع الاجام وتزيا بزي الاعجام وسار إلي مدينة الكوفة محل الاعاجم وفى صحبته عبده ابو القمصان وبدر بن غانم وعند وصوله اليها وجد ابوابها مغلقة وهى قلعة شاهقة فدار من جميع الجهات حواليها فلم يجد منفذ المدخول اليها فبينما هو يتفرس ويتأمل إذ رأى دهليزاً صغيرا فنزل فيه فأوصله إلى البلد فأبقي جماعته بانتظاره فى مكان خالى من كل إنسان فأخذ يطوف من زقاق إلى زقاق ويجول بين الحارات والاسواق وهو يتجسس الاحوال ويتوقف على الاخبار وكان كلما نظر اليه انسان يكلمه فى لغة الاعجام بأفصح لسان ومازال سائرا من مكان إلي مكان حتي وصل إلي حارة عظيمة البنيان ذات أربعة عمدان وفوقها قصر جميل المندام من الرخام وشبابيكه مصفحات بالذهب وإذا به يسمع صوت آلات الطرب فقال أبو زيد ان صدقنى حذرى هذا قصر الملك خرمند لا محال نظراً لما عليه من الهيبة والجلال ونظر أيضاً إلي شجرة من السرو واصلة اغصانها إلي شباك القصر فصعد عليها حتى وصل اعلاها ولما صار عند الشباك وجه نظره إلي تلك الغرفة فوجدها من أحسن الغرف مزينة بالفرش الفاخر التى تذهل النواظر ووجد سبعة ملوك العجم جالسة على كراسى من الذهب ومارية جالسة بينهم كأنها القمر وهي لابسة ثياب تذهل البصر وكانت ملوك الاعجام تشرب المدام والمغانى تغني لهم بأنواع الانغام ، وبينما هم كذلك وإذا بخرمند التفت على مارية امام ملوك الاعجام وقدم لها كاساً من المدام ، وقال لها خذى واشربى يا بنت لكرام ، وغني لنا بأفصح كلام ، حتى يزيد انشراحنا ، ويكمل سرورنا وافراحنا فامتنعت من الشراب وزادت فى البكا والانتحاب فلم يهن ذلك على الملك النعمان

فنهض من وسط الديوان ، وكان اصله من العربان وكان الملك خرمند متزوج بابنته هند فقال دعوها ولا تكلموها فانها من بيت كبير وابوها قاضي وأمير وهذا الامر لا يفعله حقير ولا صعلوك ، فكم بالحري السلاطين والملوك ، ولكن من جهة الغنا ، فهذا ليس فيه عيب ولا تعب ولا عنا ، ثم التمس منها النعمان ان تغنى بأبيات حسان ولا تخاف من عواقب الزمان ، فلما سمعت هذا الكلام أشارت تغنى وتقول وتشكو حالها لبني هلال من فؤاد متبول :

تقول فتاة الحي مارية المها ... فنار الضنا والشوق يكوى ضميرها
بالله ياريح الحجاز اذا سرى ... تهدى هداك الله خذ لي سطورها
اذا جيت الى نجد العدية بلادنا ... فسلم على كبيرها مع صغيرها
وقل لهم عني والقول صادق ... بأني الى الاعجام صرت أسيرها
وقل لهم لا يحملوا سمر القنا ... ويلقوا عمايمهم ويرموا حريرها
ولا يركبوا خيل الاصائل بالوغا ... ولا ينجدون فتاة تاه بعيرها
ألا ياهلال انجدوني بسرعة ... فقد صرت في ذل وحال عسيرها
وان لم تنجدوني طال تعذيب خاطري ... وصندوق صدري ضاق في تكسيرها
وقد جابني الخرمند داخل قصره ... مع المغل والصنصيلي ومنذر وزيرها
وهو جالس فوق كرسي من ذهب ... ولاقى عليها خزها وحريرها
يسألني عن أهلي وأقاربي ... فلا شك أنه بالأيام خبيرها
فقال لي من أي قوم مارية ... فقولي كلام الصدق بدر منيرها
فقلت له من غدوة وهلال وعامر ... أنا بنت سيدهم أنا بنت أميرها
فبالله ياريح تحمل رسالتي ... واحمل سلامي بالعجل وسطورها
وروح الى أبي زيد الهلالي سلامي ... فقبل لرأسه فهو خير أميرها
وقل له قالت فتاة عربية ... شكت أمرها فانهض اليها وجيرها
أبو زيد ياأبو زيد كاسب الثنا ... ارحم فتاة تاه فيهم بعيرها
فهم يشربون الخمر والكاس دائر ... بواطيهم دارت على [illegible]
ألا بلغ الحي دون سلامي ... لكل هلال كبيرها وصغيرها
عيونها حتى قد ذاب جسمها ... وصارت حقيرة بعد عز أميرها

(قال الراوي) فلما فرغت الجارية من هذا الشعر والنظام . طربت ملوك الاعجام وشرب خرمند كاس المدام . ثم أعطاه الى الساقي ليسقي الباقي وملاه وقدمه الى

الصنصيل فأخذه والتفت الى المارية أمام الناس وقال لها عيليك على هذا الكاس وجعل يتأمل فيها بنظره وهو مدهوش بحسن وجهها ومنظره ثم أنشد وقال وفى قلبه من حبها نار الاشتعال

يقول الفتي صنصيل صادق | ألا يا مارية قومي واطربيني
وغني لي على كاسي بيوتاً | وهات من نظامك سمعيني
وقومي أجلسي بالقرب مني | لأنظر حسنك فى طرف عيني
أخذتك سبيه يا مليحة | بسيفي ثم رمحي ذاك الرديني
فقومي اشربي كاساً وطيبي | يزول الهم عنك والغبوني

(قال الراوى) فلما فرغ الصنصيل من هذا الشعر والنظام أجابته المارية بهذا الشعر والكلام :

تقول المارية بنت المسمى | أبو تكتنا ذو الرأى المتين
أنا قد كنت عند أهلي بنعمة | وأهل الأرض طراً يعرفوني
أتونا الفرس من كل النواحي | فغاروا بجمعهم مثل الحصون
وقد قتلوا غنيم ابن عمي | وما زالوا إلي أن قد سبوني
متي تنظر عيوني إلى سلامي | أبو ريا فهو الأسد العرين
أراه جائلا من فوق أدهم | شبه النار بالخشب المتين
يكر على الفوارس لا يبالي | تروج الأرض من عزمه المتين
على طول المدا كهف العذارى | ومثله لم تر أبدا عيوني

(قال الراوى) فلما فرغت المارية من شعرها ونظامها . وفهمت ملوك العجم فحوي كلامها . قال الخرمند الي الساقى املى كاس المدام وناوله الي المارية بدر التمام . حتى تفرح وتطرب ويزول عنها الحزن والكرب فخجلت مارية من الناس وقالت للنعمان اني لا أشرب من هذا الكاس كما تعلم أيها السيد المعظم . بان مشروبنا هو حليب النوق والغنم . ولا نشرب غيره من المشروبات ولا سيما النساء والبنات فان ذلك عندنا من أعظم العار . الذى لا ينمحى على طول الأعصار . فاعتذر النعمان عنها إلي خرمند أمام الجلاس وقال له اعفها من هذا الكاس لانها غير معتادة وليس فى التكرار إفادة فتناول الخرمند الكاس من الساقي وقال له أريد منك الآن أن تصف لي مارية أمام هؤلاء الملوك والأعيان وتذكر حسنها وجمالها

وقدها واعتدالها فقال سمعا وطاعة ثم أخذ السنطير وجنش أمام الجماعة وأنشد يقول هذه الابيات :

يقول فراج أنا ساقي الملوك الدموع من فوق الخدود تبددا
من رويتي للمارية عقلي شرد ما عاد لي صبرا بأن أتجلدا
القلب مني قد جرح ياسادتي من حين شفت المارية عقلي غدا
الشعر منها مثل ليل دامس أو مثل لون غراب طائر أسودا
والوجه منها مثل بدر طالع وجبينها يسطع كبدورا مرقدا
وعيونها مثل الغزال فواتك فكأنها حورية تعوقدا
وخدودها كالورد تزهو كأنها تفاح شامي أحمرا وموردا
وشفافها تمر العراق وسكر وأسنانها تزهو كدر منضدا
والبطن مطوى كالحرير فاته يبري عليلا بالفراش مسودا
ان طعتني ياخرمند ارسل مارية أرسل لبنت البدر باكر من غدا
لا تحسبن لا منجد في قومها هذي وراها كل قرم أمردا
ان شافها أبو زيد يهجم سرعه يضرب بسيفه من طغا وتمردا
ان طعتني خرمند أرسل غدا واسعى لهم بالصلح لا تترددا
لا تتبع الصنصيل في آرائه شور الفتي النعمان خير وأرشدا

(قال الراوي) فلما فرغ الساقي من كلامه . وسمع الخرمند وباقي الملوك فحوى شعره ونظامه : قال له الخرمند أحسنت بما قلت فعند ذلك نهض النعمان وأراد أن يأخذ المارية الى بيته فاعترضه الصنصيل وقال له اني قد كسوتها بالثياب الفاخرة والحلل الباهرة وأنا أحق بها من كل أحد وقال له النعمان انى لا أمكنك من ذلك حتى نرى على من ذلك ماذا ينتهي الحال بيننا وبين بني هلال واني أشور عليكم بأن الاوفق لنا أن نطلق سبيلها فتذهب الى اهلها خوفا من القيل والقال فقال الصنصيل هذا لا يكون وأنا مرادي أن أتناشد معها في الاشعار أمام هؤلاء السادات الاخيار وأنا أنشد من الشعر وهي تجيبني عليه ولا نريد منها غير ذلك ثم أنشد الصنصيل يقول :

قال الملك صنصيلي ياماريه غني لي وارفعي المنديلي
عن وجنتيك الحمرا خيب الله أمك ما أكره ريحة فمك
زاد الله غمك يابو لحية الشقرا يا مارية بحياتك

قومي واشربي كاساتك وبيني شاماتك عن وجنتيك الحمرا
صنصيل يا مكارى دع عنك قوى العاري فأنت يا فشارى
عيب عليك الفشرا يامارية جيتيني نصيبي جيتيني
اليوم اسقمتيني من وجنتيك الحمرا صنصيل يا صنصيلي
بطل كلام القيلى فانصت يا مذلولى نحن بنات الأمرا
قومى تعالي لقربى لأذوقك من شربي وقربي لجنبي
حتي تطيب السكرا صنصيل قلل كلامك بنت العرب قدامك
غدا يصير هزامك من سباع القفرا يا مارية ارتدى
برجالك لا تقدى بالحرب ماهم قدى غدا دماهم يجرى
صنصيل دع القالى بطل كلام العالي باكر تجيك هلالى
مثل جراد الصحرا يا ماريه فرسانك هل يجون من شانك
وحياة سود عيانك ما ينظروك نظرا خلى اسود عياني
والقي غدا فرسانى باكر يجي زيدان ودياب راعى الخضرا
يا مارية لا تزيدى بقولك لا تعيدى ان الجميع عبيدي
ما يلتقوني بكرا غدا يجيك سلامه أسمر طويل القامه
سيفه يزيل الهامه في كل ضربه عشرا سلامي ذاك راحى
من يوم حرب كفاحى ان أتي لكفاحي أقتله فوق الصحرا
غدا يجيك الغالي سلطان بتخته عالي حسن كبير هلالى
قومه كموج البحرا ذاك ما أعده بيوم الحرب أرده
بحد سيفي أرده اجعله وسط القبرا

(قال الراوى) فلما فرغ الصنصيل من هذه المنادمة والمحادثة والمكالمة كانت جالسة بقربه أخت الملك خرمند وكان اسمها تاج بخت فلما سمعت بأن المارية قد شتمت عمها الصنصيل فى شعرها وأهانته بالكلام كان ذلك عليها أشد من ضرب الحسام . فنهضت على قدميها ولطمت مارية بين عينيها وقالت هل بلغ من قدرك يا بنت الكلاب أن تتكلمي بمثل هذا الخطاب وكانت الضربة شديدة فألمتها ، واندفق الدم من جبهتها فلما شاهد أبو زيد تلك الحال خرج عن دائرة الاعتدال ولولا وجود الحديد فى الشباك لكان دخل اليهم وأورث العجم الدمار والهلاك واما الملك النعمان فانه استعظم ذلك الامر ، والتهب فؤاده بلهيب الجمر لما نظر الدم يقطر من جبين المارية مثل نهور الجارية فأخذته الحمية وهبت في رأسه نخوة

الجاهلية . فنهض على الاقدام وسل فى كفه الحسام وجعل يتهدد ملوك الاعجام بهذا الشعر والنظام :

قال الملك نعمان عقلي طارا والقلب مني يلتهب بالنارا
قد جبتم بنت الاكابر لداركم يا عادمين العقل والافكارا
لو عاينت فرسانها أفعالكم لو شافها أبو زيد وقت الغارا
لرأيتم أفعاله وقتاله وهجومه بين الصفوف جهارا
اني سأسعف مارية بمهندى بضرب يقد الروس والأحجارا
قول الفتي النعمان قول صادق لا بد لى من أن أقيم الغارا

(قال الراوى) فلما فرغ النعمان من هذا الكلام وسمعته ملوك الاعجام خافت من الشرور وعواقب الأمور فقال خرمند للنعمان خذ المارية إلى عندك هذه الليلة وابقيها لأنه نخشي من توالبها فمتي ظفرنا بهؤلاء العرب فحينئذ نبلغ منها الارب ، فعند ذلك أخذها النعمان من يدها وقال لها انهضي أيتها الاميرة إلي بيتي فنهضت وسارت معه من عند الاعجام ولم يعترضها أحد بكلام ، فلماشاهد أبو زيد أفعال النعمان ، شكره فى قلبه على ذلك الشان وقال والله ان هذا الرجل الجليل يستحق كل جميل ثم نزل من أعلى الشجرة وتتبع آثار النعمان حتى وصل إلى منزله وهو من وراه فسمعه يقول لابنته خذى هذه الاميرة وافرشي لها فى غرفتك فانها من بيت شريف فترحبت بها وأخذتها عندها ثم رجع النعمان ليصرف باقى ليلته عند الاعجام ورجع أبو زيد إلي بني هلال وهو يتعجب من ذلك الاتفاق الغريب وعند وصوله إلى الخيام سمع أصوات البكا والصياح والعويل والنواح لأنهم كانوا يظنون بأنه قدمات ولما دخل على السلطان وهو فى الصيوان سلم عليه فنهض له حسن على قدميه وقبله بين عينيه وشكر الله على سلامته وكذلك فعلت باقى السادات والأعيان ، ولما جلس في الديوان سأله القاضى بدير عن المارية ابنته ، وهل وقف على أخبارها فى أثناء غيبته ، فأجابه بهذه الأبيات أمام الامراء والسادات

يقول أبو زيد الهلالي سلامي الأيام والدنيا تسبب هوائل
وصلت إلى الخبة سريعاً بلا بطا ودرت ميامنها ودرت الشمائل
فما وجدت مطعاً ولا منزلا فصرت كما المجنون وعقلى ذاهل
إلي ان نظرت المارية فى أعيني فقولى صحيح ليس فيه دلائل
فى قصر خرمند ياقوم جالسة ملوك العجم من حولها كالجمائل

والطاس داير والجنك والغنا   والنعمان بينهم وهو شهم فاضل
يمر عليها الكاس ما تذوقه   فتحسبه مثل سم القواتل
فكانت تنادي الصوت يا أهل عامر   وتضرب بأيديها يمين الشمائل
فقام الملك نعمان منهم اتى بها   وخلصها منهم بضرب هائل
وأخذها فى الحال إلى دار بيته   وأوصى بها بنته وكل الاهائل
فان عانني الرحمان ربى أجيبها   واهدم إلى الكوفة ووحدي اقاتل

فلما فرغ أبو زيد من كلامه ، وسمع الحاضرون فحوى شعره ونظامه قال له السلطان حسن اعلم يا صاحب الرأى الحسن ومزيل الكروب فى وقت المحن وفارس هذا العصر والزمن ، مرادى الآن أن أكتب كتابا الى ملوك الاعجام وأطلب من الخرمند أن يرسل المارية الآن لانها عند الملك النعمان فماذا تقول فى ذلك فقال أبو زيد وباقي الناس لا بأس فعلهم يتأثرون من كتابك ويرسلونها الينا فعند ذلك كتب هذه الابيات :

قال الفتي حسن الدريدى أبو على   النار فى قلبي تهب وتشتعل
يا ملك خرمند اسمع قصتى   ابعث بمارية ولا تتمهل
انك ان أرسلتها لبيوتنا   وترى العساكر من ديارك ترحل
حتى اذا خالفت فى ارسالها   نهجم عليكم فى الصباح ونقتل

(قال الراوى) فلما فرغ السلطان حسن من هذا الشعر والنظام ، استحسنه جميع السادات الكرام . وفى الحال أرسله مع نجاب ليعطيه الى الملك خرمند ويأتيه بسرعة الجواب فامتثل وسار وجد فى قطع القفار حتى وصل الي عند الملك فسلمه ذلك الكتاب فلما قرأه وعرف معناه مزقه فى الحال وكتب الي السلطان حسن هذه الابيات :

يقول الملك خرمند سلطان العجم   يا أهل عامر من بلادى ارحلوا
ارحلوا ثم ارحلوا ثم ارحلوا   عند الصباح إياكم تتمهلوا
ان لم تسيروا يا هلال بالعجل   اركب عليكم بالجيوش فتقتلوا
المارية عندى فلا تتأملوا   برجوعها يا أهل عامر فارحلوا

(قال الراوي) فلما فرغ الخرمند من شعره ونظمه . طوى الكتاب وختمه بختمه . وأرسله مع عبده وكان بفرد عين . ومكتوع اليدين رؤيته قبيحة . وسيرته غير مليحة يقال له أبو طامع . وكان الملك خرمند أوعده بأن يزوجه

أربعة بنات من أشراف بني هلال . فلما وصل أبو طامع إلى بنى هلال وأدى ذلك الكتاب ضحكوا عليه واستعظموا الأمر فأمر السلطان حسن بتكتيفه وارساله على كديشة عرجا إلي عند من أرسله فقبض عليه أبوزيدوضربه عشرون مقرعة على ظهره حتي كاد أن يموت من شدة الالم ثم أوثقه بالحبال وربطه علي ظهر كديشة عرجاوقال له قل لمولاك الخرمند هذا جوابه فلما وصل الى الحلة وأخبر خرمند بذلك اغتاظ من هذا الامر وأمر العساكر أن تستعد للقتال . وخرجت جيوش الاعجام لقتال بنى هلال ولما بلغ بنو هلال هذا الخبر . استعدوا للحرب والضرب وفى أوائلهم الامير أبو زيد والاميردياب وغيرهم من الفرسان والسادات الانجاب والتقوا الاعجام بقلوب كالجبال وقاتلت أشد قتال . وفعل أبو زيد فعالا تشيب الاطفال . وكان يطعن فى الاعداء من اليمين والشمال ولله در الامير دياب فانه قاتل ذلك اليوم وما قصر والقي نفسه على الخطر حتى مزق صفوف العجم وطعن فيهم طعن يشيب اللمم وهو ينتخى الابطال ويهجم علي الرجال . ويقول دونكم هؤلاء الانذال ومازال يشق صفوف الاعجام حتي وصل الي الملك القمقام . وهو تحت البيارق والاعلام . فضربه بالسيف على عاتقه خرج يلمع من علائقه ثم مال على باقى الامراء والنواب بضرب السيف القرضاب وقتل منهم عدة رجال فلما رأت الاعجام تلك الاحوال ارتدوا راجعين الى الوراء وانقلبوا منهزمين فى تلك الصحراء وقطع دياب رأس القمقام على رأس السنان وتقدم الي عند السلطان حسن ، فسلم عليه والقي الرأس بين يديه فشكره السلطان حسن وباقي السادات ورجعت بنو هلال تلك النهار بالعز والانتصار ولما أصبح الصباح دقت طبول الحرب وتقدمت الفرسان الى ميدان الطعن والضرب وكان أول من برز الى القتال من ابطال بنى هلال أبو زيد الفارس المفضال فصال وجال فى ساحة المجال فبرز اليه من الاعجام الملك منذر وكان من فرسان الصدام وأنشد يتهدد أبو زيد بالشعر والنظام ويقول :

يقول الملك منذر قولا صادق الحرب فيكم يا هلال موافق
أتاكم منذر أمير حلة يحكم على مية الف صادق
الخيل تعرفنى بأنى فارس ورمحى وسيفي ثم طعنى لاحق
اليوم تنظر فى الحروب فعالى وتقع فى بحر طويل عميق

فلما سمع أبو زيد هذا الشعر والنظام ضحك حتي استلقى على قفاه وأجابه بهذا الشعر والكلام

سلامي قال بدمع سال ونار شعاب بيعلاها
شديد الحيل بظهر الخيل بجنح الليل أتولاها
وصار الحرب وقام الضرب وهاج الكرب بأعلاها
أتى القمقام بجمع طام ونار ضرام فأحماها
فجال دياب كسبع الغاب لرأسه صاب وأرماها
وأتى ميروج بخيل عوج وطبل رجوج ليلقاها
أنا أبو زيد ولست أحيد بيوم الحرب فألقاها

(قال الراوي) فلما فرغ أبو زيد من هذا الشعر والنظام انطبق على المنذر وأخذ معه في الحرب والصدام ولم تكن غير ساعة من الزمان حتى ضربه أبو زيد على هامه وقده نصفين والقاه على الارض قطعتين فوقع على الارض يختبط بعضه ببعض فلما رأت الاعجام تلك الحال استعظمت ذلك الامر فعند ذلك برز أخوه بندر إلى أبو زيد ليأخذ بثار أخيه فالتقاه أبو زيد بقلب كالحديد ثم هجم عليه وصاح فيه وضربه بالسيف فألحقه بأخيه فلما وقع وانقلب هجمت الاعجام من شدة الغيظ والغضب فالتقتها بنو هلال وحكمت فيها السيوف والنصال وقتلت منها أوفى من عشرة آلاف من صناديد الابطال فانهزمت الى الوراء ولما كان اليوم الثاني دقت الاعجام طبولها وركبت خيولها وبرزت الى القتال وهي تهدر كالجمال فالتقتها بنوهلال وكان أول من برز منهم الي الميدان الامير أبوزيد فارس الفرسان فبرز اليه من الاعجام ملك عظيم الشان اسمه المغل بن دندان وأشار يقول :

يقول المغل الهمام المجرب أنا فارس الفرسان يوم كفوح
أبو زيد قل الهرج ياأمير واهتدى ورد إلى خيلك سريع وروح
المارية عندى فى حصون منيعة فما عدت تشوفها فى عيون تلوح
قتلت يا بو زيد بندر ومنذر ودياب قتل القمقام وواح ينوح
أتيت أنا اليوم آخذ ثارهم وأردكم بالماضيات كسوف
وآخذك يا أمير فى يدى مكتتف فابكى على نفسك سريع وروح
تبدى أبو زيد الهلالى سلامى ولى قلب من طى الحشا مجروح
فأنت يا مغل بالقول تايه فعود الى الخرمند سريع وروح
وقول له ارسل لنا بنت وايد والا يبقى على الوطى مجروح
أتيت لحربى لا تولى وتنهزم لابد عليك القوم اليوم تنوح

ما قال أبو زيد الهلالى سلامى   أنا أرعب الفرسان يوم كفوح

(قال الراوى) فلما فرغ ابو زيد من كلامه التقيا فى ساحة الميدان واخذا يتضاربان ويتطاعنان وكان المغل المذكور من افرس الفرسان قوي الجنان وله ذكر شائع فى جميع المواضع فقاتل ابو زيد أشد قتال وثبت فى ساحة المجال وما زالا على تلك الحال حتي تحيرت من قتالهما جميع الابطال وكان قد اختلف بين الاثنين ضربتين قاتلتين وكان السابق ابو زيد فمال عنها المغل فراحت خائبة بعدما كانت صائبة واما ضربة المغل فانه استلقاها ابوزيد فى الترس القطعه نصفين ونزلت على رقبة الجواد فبرتها كما يبرى الكاتب القلم فوقع ابو زيد على الارض كالعدم فاراد المغل أن يكمل عليه فبادر دياب اليه وخلصه اسرع من لمح العين لانه كان يراقب قتال الاثنين وفى الحال اتوه قومه بجواد فركبه وهجم هو والأمير دياب على صفوف الاعجام وتبعتهم باقي ابطال بنى هلال وخاضوا فيهم من اليمين والشمال وكانت ساعة مهوله قتل فيها خلائق كثيرة وكان من جملة المقتولين المغل وغيره من سادات العجم والمقدمين وانهزمت العجم فى ذلك اليوم أقبح هزيمة وقتل منها مقتلة عظيمة ورجعت بنو هلال فى عز واقبال وهم يؤملون بالنجاح وبلوغ الآمال ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح ركبت الاعجام وتقدمت الي قدام فالتقتها بنو هلال بقلوب كالجبال فبرز من عساكر العجم الملك الصنصيل وهو راكب على جواد مثل الفيل وطلب قتال بنى هلال ولما صار فى ساحة المجال برز اليه الامير دياب وهو راكب على فرسه الخضراء وكل العيون تنظر اليه وترى فالتقاه الصنصيل واشتد بين الفارسين القتال وعظمت الاهوال وما زالا على تلك الحال الى الظهر وكان الصنصيل قد اعتراه التعب وسترخت منه المفاصل والركب فايقن بالهلاك والعطب فولى وطلب لنفسه الهرب فلما رأت عساكر العجم بان سيدها قد انهزم خافت من العواقب وحلول النوائب فارتدت الى وراها وقد زاد خوفها وبلاها حتي وصلت الى الحلة فدخلت اليها واغلقت أبوابها ولما كان الليل جمع الملك خرمند الملوك وقواد الخيل وقال لهم مرادى أن أخرج فى ثانى الايام الى قتال بنى هلال وأريد أن تشجعوا نفوسكم وتقاتلوا أشد قتال والا انهتك ناموسنا وصرنا معيرة وفضيحة عند ملوك الزمن وسلاطين هذا العصر والاوان فأوعدوه بانهم يبذلون غاية المجهود . ويقاتلون معه قتال الاسود ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح وركب الملك خرمند . فى جميع الجند

وخرج من المدينة يريد القتال وهلاك بنى هلال فالتقعه بنى هلال فى جميع الفرسان والابطال ولما التقي العسكران وتقابل الجمعان . برز أبو زيد الى ساحة الميدان . طالباً قتال الشجعان فبرز اليه الخرمند . دون كل انسان وأشار اليه يقول وعمر السامعين يطول :

يقول الملك خرمند عما جرى له النار فى قلبي تهب وتسعرا
أبو زيد قل لي كيف جيتو ابلادنا حتى رعيتم زرعنا المتخضرا
أنتم نهبتم البلاد بدربكم والناس منكم كلها متكدرا
لابد لي من قطع كل رؤوسكم واجعل دماكم فى الاراضي احمرا
قال الملك خرمند قول صادق كل العجم فى قبضتي والعسكرا

فلما فرع الخرمند من شعره ونظامه وفهم ابو زيد فحوى قصده وكلامه اجابه علي شعره ويقول وعمر السامعين يطول :

قال أبو زيد الهلالى سلامي خرمند اسمع كلامي وافكرا
إن أطعتنى ردوا الينا بنتنا واجري بساط الصلح فانه أخيرا
كم قد قتلنا من شجاع صميدع صنصيل مع قمقام زارا المقبرا
نحن قتلنا الهيدبى مفرج مع علقم راحوا على وجه الثرى
أرسل لنا المارية عنكم نروح كل الحروب لأجلها تتعسرا
قال أبو زيد الأمير سلامي ستموت هذا اليوم من دون الورى

قال فلما فرع أبو زيد من كلامه انطبق عليه الخرمند وأخذ فى حربه وصدامه فالتقاه أبو زيد مقلب كالجمل فتطاعنا بالرماح الطوال وتضاربا بالسيوف الصقال وما زالا على تلك الحال وهما فى أشد قتال إلى وقت الزوال ، ولم يقدر أحد على صاحبه فافترقا عن بعضهما البعض وبات كل فريق منهما فى ناحية من الأرض ولما أصبح الصباح كان أول من برز إلي معركة الكفاح الملك خرمند وطلب براز السلطان حسن بن سرحان دون باقي الأبطال والفرسان وقال لا يبرز لى أحد غيره من الشجعان فان قتلته بلغت الآمال وان هو قتلني بلغت بنو هلال ما تتمناه مني . فلم يتم كلامه . حتى برز اليه السلطان حسن وصار قدامه وقال له انى أشور عليك أن تسلمنا المارية حتي نرحل من بلادك بالعجل . فقال الخرمند كيف يمكن تسلمنا المارية وفي شأنها قتلت أبطالنا وفرساننا وهلكت أكثر رجالنا وهذا لايتم أبداً وجعل يتهدده بهذه الأبيات أمام الابطال والسادات :

فقال الملك خرمند صادق فاسمع قصتى حسن الهلالي

بعثت اليك كتابي مع رسولي　　لاسمع ما تجيبوا من المقال
فلو كنتم ذوى عقل وفهم　　لرحتم من بلادى بلا قتالي
وإني سوف أقتلكم جميعاً　　بضرب السيف مع طعن النصال
وأقتل أبو زيد مع الأمارة　　أمير دياب مع باقي هلالي

فلما انتهى من هذا الكلام . أجابه السلطان حسن بهذا النظام

أنا حسن وقومي يعرفوني　　مبيد الضد في يوم المجالى
ملوك الأرض تخشاني جميعاً　　وترهبني جبابرة النزال
فسوف تري خرمند مني　　قتال تخافه أهل القتال
مقالات الفتى حسن الهلالى　　أنا خصمك أنا حسن الهلالى

(قال الراوى) فلما فرغ حسن من كلامه حمل على الخرمند حملة قوية فالتقاه الخرمند بهمة وحمية واشتبك بينهما القتال في ساحة المجال وكانا تارة يتقدمان وتارة يتأخران حتى حجبهما الغبار عن أعين الأبصار وكان حسن قد استطال على الخرمند فلاصقه وضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه وضربه بالسيف على رأسه شقه إلي تكة لباسه فألقاه قتيلا وفي دمه جديلا فلما قتل الخرمند ولت الأعجام وطلبت الفرار والانهزام . فتبعتها بنوهلال علي الأعقاب كليوث الغاب وحكمت فيها السيوف وأسقتها كاسات الحتوف فلما نظر الملك النعمان ماحل بالعجم من الذل والهوان خرج من مدينة الحلة واجتمع بالسلطان حسن وسلمه مفاتيح أبواب المدينة وقلاعها الحصينة وطلب منه أن يكفوا القتال عن العجم لانهم صاروا في حالة العدم وأشار يقول :

يقول الفتى النعمان عما جرى له　　يا مرحباً بك يا ولد سرحاني
يا مرحباً في مرحبا في مرحبا　　بقدومكم فسرى علا ومكاني
أضاءت منازلنا بكم وبقدومكم　　والقلب عاد يقربكم فرحاني
أنتم أهالينا ونحن شالكم　　والحب معكم من قديم زمان
أبقيت دارية لكرم بدرنا　　محفوظة مع باقى المسوان
قال الملك نعمان فتى الفرج　　بقدومكم يا بهجة الأكوان

(قال الراوى) فلما فرغ النعمان من قوله ونظامه وفهمت سادات حوي حديثه وكلامه تقدم أبو زيد اليه وسلم عليه وأشار يقول :

يقول أبو زيد الهلالى سلامى　　يا مرحبا بك يا ملك نعمان

لك الفضـل يا نعمان قبلا سابق   كم لك علينا فضل مع احسان
لابد ما جازيك يا فخر الورى   وتكون بالكوفة غدا سلطانى
ما قال أبو زيد الهلالي سلامى   قلبي بقربك قد غدا فرحان

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه بمدمت جميع الأمارا والاعيان وترحبوا بالنعمان ووعدوه بالفضل والاحسان ، ولاسيا السلطان حسن بن سرحان فانه أخلع عليه الخلع السنية ، والعطايا الملوكية وشكره على جميله ومعروفه ثم سار بهم النعمان الى الحلة وأدخلهم الى قصر الخرمند فرأوا فيه تحفا وجواهر وملابس وقماش وغير ذلك من الامتعة الثمينة فجمعها السلطان حسن و نقلها إلي المضارب والخيام . ثم دخل إلى قصر النعمان مع وجوه قومه وأكابر عشيرته فوجدوا المارية هناك وهي بانتظارهم فأخذوها باحتفال عظيم وفرح جسيم ، وكان ذلك عند اليوم من أعظم الايام وبعـد أن بلغ السلطان حسن المرام توجه الى سراية الاحكام ونادى بالامان لخاطر الملك النعمان ثم استدعى اليه أكابر العجم وقال لهم اعلموا يا قوم بأنى قد امعلكت بلادكم فى هذا اليوم وصارت من جملة بلادى وأقاليمي وجميع الرعايا منقادة لأوامرى ومراسيمي ، ومن حيث أنني عازم على السفر ، وقاصد إقليم آخر فقد أقمت عليكم الملك النعمان بوظيفة الملك ملك وسلطان فأطيعوه ولاتخالفوه لانه نائبي فى هذه البلاد وعليه الاعتماد فكل من خالف أمره قتلته وصرمت عمره ثم أنشد يقول هـذه الابيات بحضور الأكابر والسادات :

يقول الفتى حسن الهلالى أبو علي   ولى قلب من بين الجوانح ذاب
ألا يا أعجام اسمعوا كلامى وافهموا   ولا تكثروا القول والأعتاب
هذا الفتى النعمان صار أميركم   يبقي عليكم حاكما ومهاب
فكل من كان يخالف أمره   سيلقي من غدا كثير عذاب
وأقتل أكابركم وكل رجالكم   واجعل جثثكم تحت تل تراب
اما قال الفتى محسن الهلالى ابوعلى   من لا يطاوعني يذوق عذاب

(قال الراوى) فلما فرع السلطان حسن من شعره ونظامه ، وفهمت الاعجام فحوى قصده ومرامه . فقالوا سمعاً وطاعة يا ملك الزمان . فاننا عبيدك وعبيد الملك النعمان وكان للخرمند المذكور بنت بديعة الحسن والجمال كاملة في القد والاعتدال اسمها ضوية كانها حورية فلما سمعت من الجند بأن النعمان تولي

مكان أبيها خرمند جاءت الى عند السلطان حسن فسلمت عليه وبكت بين يديه وأنشدت تقول من فؤاد متبول :

تقول ضوية بنت سلطان العجم ... فدمع عيني غارق الاجفان
والنار هبت في لواعج مهجتي ... طي الفؤاد وأشعلت نيراني
والنوم فارقني فصرت كانني ... مثل الخيال لشدة الاحزاني
أبي كان سلطان الاعاجم كلها ... أصبح طعام الدود والغربان
كانت جميع الناس خاضعة له ... يحكم على الاعجام والبلدان
من يوم مضى الخرمند عنا ذاهباً ... أصبحت بعده في اذل هوان
ايا حسرتي في كل الزمان وطوله ... ياما اذوق شدائد الاحزان
ارجوك يا سلطان تحر خاطري ... وتزيل عني الهم والاحزان
قالت ضوية بنت سلطان العجم ... الهم أكواني وزاد أحزان

فلما فرغت ضوية من كلامها أجابها حسن على شعرها ونظامها

يقول الفتي حسن الهلالى أبو على ... أمير ابن أمير سيد وشريف
أيا ضويه اسمعي شرح قصتى ... كلامي أكيدا صادقا وظريف
أنا عارف أنك أميرة بلا خفى ... وبنت أماجيد الملا بلا تعفيف
أنا لست مذنب في كل ماجرى ... وحاشا لمثلي أن يكون عنيف
الذنب من أهلك علينا افتروا ... وراحوا من تحت الوطا تليف
أخذوا المارية منا غصبية ... وفاتوا بها الكوفة بلاتعنيف
قلنا له خرمند أرسل بنتنا ... فنرحل عنكم بلا تعنيف
فأرسل لنا جواب فيه يقول ... ترى المارية عندي بقصر مخيف
هجمنا بعسكرنا لترجيع بنتنا ... لما تحمل علينا العار والتعديف
قتلنا أكابرهم وخلصنا بنتنا ... بطعن القنا والسيف والتدريف
فقرى وطيبي ياضويه وابشرى ... لك عندنا الاكرام والتشريف
ولا تحمل هما ولاضيم من العدا ... كل من عارضك يروح شقيف
ماقال الفتى حسن الدريدى أبو على ... الله يزيل الغم ولتخويف

(قال الراوى) فلما فرغ السلطان حسن من كلامه ، وفهمت ضوية فحوى نظامه قامت وقبلت أياديه فقال لها مرحبا بك فانى سأكون مكان أبيك ، وأبو زيد عوض أهلك وان أردت الزواج فنزوجك في الحال بأمير من بنى هلال

فقالت له انا فى قبضة يدك ويد أبو زيد وكان أبو زيد حاضرا فى الديوان ، فالتفت على السلطان حسن وقال له أنت أحق بضوية لانها بنت سلطان ثم أشار أبو زيد يقول :

قال أبو زيد الامير سلامه ... الدمع من فوق الخدود طفاحى
يا ابو علي دونك هذه ضوية ... هذه كريمة تكون لك سماحي
بخشيش منى لك يا أمير الملا ... يا فارس الفرسان يوم بطاحى
ضوية تصلح لك يا أمير الملا ... يا حامى الزبنات يوم كفاح
قومي وسيرى ياضوية بالعجل ... لعند أبو مرعي بغير مزاحى
نحن هلا فمن أتانا ينشرح ... ويزيد افراحاً على الافراح
ويعيش معنا فى سرور وهنا ... ويزيل عنه الهم والاتراح
ما عندى وجل ضعيف ولاردى ... إلا فوارس حاملة بسلاحى
منا حسن سلطان قيس وعامر ... وبدير قاضينا له الاصلاح
ودياب زغبة وفارس مجرب ... سلطان زغبة للعدا نطاحى
أنا أبو زيد الامير سلامى ... وأمير ماجد من فروع فلاحي

فلما فرع أبو زيد من كلامه أجابه السلطان حسن على شعره ونظامه :

يقول الفتي حسن الهلالي ابو على ... أنت بجودك يا أمير فضيل
لولاك ما كنا ظفرنا بالعدا ... وكنا رحنا للبلاد جفيل
قتلت الى بندر ومنذر بلا خفي ... والقمقام والخرمندو الصنصيل
خلصت الي ماريه بنت فايد ... وجبت ضوية كأنها قنديل
وهبتها أبو زيد الهلالي ... تكون لك حليلة والزمان طويل
هذه تليق يا سلامه لحضرتك ... أميره اصيلة زايدة التكميل
يا ليت عمرك ألف عام على المدا ... تعيش بخير لم تشوف تنكيل

(قال الراوى) فلما فرع حسن من كلامه شكره ابو زيد على جوده وانعامه ولكن اعتذر أمام الحاضرين وقال انى حالف باسم رب العالمين بأن لا أتزوج على عليا أبدا ومادام الامر كذلك فانا نجعلها تكون عند الملك النعمان وتعيش مع بناته والنسوان فخلع عليها الامير حسن الخلع الحسان وسلموها الى الملك النعمان وبعد ذلك سلطنوه على الاعجام بشرط أن يدفع لهم الجزية فى كل عام ثم انهم هدموا المضارب والخيام وركبت الفرسان والابطا والنساء والرجال ورحلوا

من تلك الاطلال طابين تونس الغرب فى الحال ليفكوا اسراهم من القيود والاغلال وجدوا فى قطع البرارى والقفار حتي وصلوا الي بلاد الاكراد والتركمان فخيموا فى تلك الاوطان وكان حاكمها فى ذلك الزمان ملك عظيم الشان اسمه الغطريف ويلقب بالغضبان وله عدة وزراء وأعوان من جملتهم الوزير النعمان وهو عنده من اعظم الاركان لانه كان صاحب معرفة وتدبير وله ابن أخت وكان ولى عهده ونائبه على التخت يدعى نمر الجارح وفى الشجاعة والفروسية أول مصارع يحارب اسود البطاح ولا يميل من الحرب والكفاح وكان الملك الغضبان يركن اليه كل الاركان ولما وصلت جموع من بني هلال وخيمت فى تلك الاطلال كما سبق المقال وبلغ الغضبان هذا الخبر تطاير من عينيه الشرر واضمر لهم الاذى فاجتمع بوزرائه وباقي الاعوان وعقد معهم مجلسا فى هذا الشأن فقال له الوزير النعمان اعلم ياملك الزمان الرأى عندي الان أن ترسل تطلب منهم عشر المال فان أجاب الى هذا الطلب بلغنا القصد والارب وان أبى وامتنع ركبنا عليه بكل فارس صميدع فننهب أموالهم ونسبي حريمهم وعيالهم ونقتل شبانهم ورجالهم فاستحسن هذا الرأى الغضبان وفى الحال استدعي بنفر من الفرسان وأمر أن يذهب إلي بنى هلال على سبيل رسول وكتب اليهم يقول :

يقول الفتى الغضبان عاجرى له	ونيران قلبى زايدات وقيد
ألا أيها الغادى على من ضامر	فاقطع فيافي برها وبعيد
إذاجئت الى حسن الهلالي أبو علي	فاعطيه مكتوبي تنال سعيد
وسلم على القاضى بدير ابن فايد	قاضي العرب بالحق والتأكيد
وسلم على الزغي دياب ابن غانم	وسلم على أبو زيد سلام محيد
واقرا سلامى على هلال جميعهم	سلام احب إلي الحبيب أكيد
وقل لهم قال الملك ابن حامد	كلاماً صحيحاً خالى من التعقيد
إذا كان قصدكم تحوزوا الاوطانا	وترعوا مراعينا وعشب [illegible]
[illegible] لنا عشر المال بلا خفا	وعشر [illegible] والخيل [illegible]
وألفين سرية تغني بصوتها	وألفين حمرا وألف مهر [illegible]
وألفين سيف وألف ترس [illegible]	وألفين رمح [illegible]
وألفين بيضا من خيار [illegible]	وألفين من السمر ملاح عبيد
وهاتوا لنا عليا وربا وغيرها	والجازية أم محمد [illegible]

وإلا فمن حيث أتيتم فارجعوا وعودوا سريعاً قبل حرب شديد
فعندي عساكر لا تعد جموعها وهي على ميتين كره تزيد
فنقتل أكابركم ونسبي عيالكم ونسفك دماكم بالسيوف أكيد
مقالات الفتي الغضبان ابن حامد مليك عظيم سيد ومجيد

فلما فرغ الغضبان من هذا القصيد استحسنها كل من كان حاضراً من الأمراء والسادات الأماجيد ثم انه ختمها وسلمها الي عبده رشيد وأمره أن يسير بدون امهال ويسلمها الى السلطان حسن سيد بنى هلال فامتثل أمره وسار وجد فى قطع القفار وهو على ظهر ناقة سرعة السير تسابق بمسيرها الطير وما زال على تلك الحال حتي أشرف على نجع بني هلال فنزل عن ظهر ناقته ودخل على السلطان من ساعته فسلم عليه وقبل يديه ووقف مع الحجاب ينتظر رد الجواب فلما فتحه السلطان حسن وقراه واطلع علي ما حواه انشغل باله وتغيرت أحواله فقال له ابو زيد علامك يا أمير فاني أراك فى غم وتكدير فناوله الكتاب ليقرأه فلما قرأ الكتاب وفهم ما تضمنه من الخطاب أبدي الضحك والابتسام من ذلك التهديد والكلام وقال انا أرد الجواب أيها السيد المهاب ثم انه كتب اليه يقول :

يقول أبو زيد الهلالى سلامه ونيران قلبي زايدات وقيد
اذا جئت الى الغضبان بلغ سلامى واعطيه مكتوبي بغير نكيد
وقل له قد طلبت عشر أموالنا وخاطبتنا بالغيظ والتهديد
قد خاب ظنك والذى أنت طالبه فسوف تلقى فى الفلاة فقيد
وطالب بنات مكحلات نواعس بنات الامارا مثل ورد البيد
اما كنت تعلم يا خسيس وراهم أسود قروم هلال وكل حشيد
وراهم حسن قيس وعامر حامي الزينات من كل قرم عنيد
وراهم أبو تكنا بدير ابن فايد على متن ضامر مثل نار وقيد
وراهم أبو موسي دياب ابن غانم على ظهر خضرا للغزال تصيد
وراهم أبو درغام شيخ شبابنا سعين الف قومه وتزيد
وأنا أبو زيد الهلالى سلامى أخلي الفوارس على التراب مديد

فلما فرغ أبو زيد من شعره ونظمه . طوى الكتاب وختمه بختمه ، وأعطاه إلى النجاب . وقال هذا هو الجواب فاخذه وجد فى قطع الفلاه حتى وصل إلى مولاه فناوله اياه ففتحه وقراه ، وعرف حقيقة فحواه فمزقه ورماه، وزاد حزنه وبلاه

وفي عاجل الحال ، أمر ابن أخته وزيره نمر الجارح وابن عمه الملك النعمان أن يجمعا العساكر والأبطال ، لمحاربة بني هلال فأجابه بالسمع والطاعة ودقت طبول الحرب من تلك الساعة . فاجتمعت الفرسان ، وكانوا نحو مائة الف بطل من الشجعان وهم معتقلون بالسلاح ، وفي أيديهم الرماح ، وركب نمر الجارح الأسد الكاسر ، في مقدمة العساكر ، وجدوا بالمسير ، كالطير الذي يطير قاصدين بني هلال ، بدون إهمال فلما علمت بنو هلال بقدومهم استعدوا لقتالهم فدقوا طبولهم بالعجل فاجتمع كل فارس وبطل ودخلوا على أميرهم حسن وهو جالس في الديوان فأعلمهم بما جري وكان وأمرهم أن يسيروا لقتال عساكر الغضبان فركبت الأربع تسعينات ألوف وفي مقدمتهم الأمير أبو زيد الفارس الموصوف والأمير دياب ابن غانم ، وعقل بن هولا الأسد المصارم ، وجدوا في قطع الأرض حتي التقت العساكر ببعضها البعض فعند ذلك برز من عساكر الغضبان الوزير نمر الجارح وطلب براز الفرسان فبرز اليه الأمير عقل ابن هولا فسأله نمر من تكون من الأبطال ثم التقاه كاسد الآجام وأشار يتهدده بهذا الشعر والنظام :

يقول الفتي نمر الأمير الذي شكا ... ودمعي جرى فوق الخدود سجام
فمن أنت يا كشحان تنزل للوغا ... وتبرز لنمر الفارس الصدام
فاذهب من الميدان وارسل سلامه ... والا دياب الفارس المقدام
وأما حسن سلطانكم وأميركم ... وأما بدير القاضى الضرغام
وأما الفتي زيدان شيخ شبابكم ... سألقيه على وجه التراب قوام
وأفني جموع هلال بحد صارمي ... واجعل دما الفرسان كفيض غمام
واني نمر بالحروب محرب ... أنا قاتل الأبطال يوم الصدام

فلما انتهى نمر من كلامه أجابه عقل علي شعره ونظامه

يقول الفتى عقل ابن هولا صادق ... ولي عزم اقوي من سيوف صقال
ولى عزم بالهيجا إذا قام سوقها ... اخلى الفوارس ميمنة وشمال
ولى همة تعلو علي كل ماجد ... ومن طول عمري اقاتل الأبطال
وقومنا ثلثمائة وستين فارس ... وستين الفا كلهم جهال
دياب فارسنا ابو زيد اميرنا ... وحسن هو سلطان كل هلال
وعمي الفتى زيدان شيخ شبابنا ... وبديرا قاضينا بغير جدال
فلابد ما اهرق دماك على الوطا ... وتبقي طريحا مثل صيد غزال

(قال الراوى) فلما فرغ الامير عقل من كلامه وفهم نمر فحوى شعره ونظامه هجما على بعضهما كليوث البطاح وما زالا فى حرب وكفاح . حتي زهقت منهما الارواح ثم اختلف بين الفارسين ضربتين قاطعتين وكان السابق الامير نمر فمال عنها عقل فأصابت الجواد فقتل بالعجل ووقع عقل على الارض كأنه قطعة من جبل فأراد نمر أن يكمل عليه ، واذا بموسي ابن الامير دياب وافي اليه وصدمه صدمة تزعزع الجبال فالتقاه نمر كالأسد الريبال وتحاربا فى ساحة القتال واستمرا على تلك الحال إلى مغيب الشمس فدقت طبول الانفصال فافترقت العساكر عن موكبة الحرب ، وميدان الطعن والضرب ، ورجع الأميرموسي ابن الأمير دياب وهو في حالة الاضطراب مما شاهد من قتال نمر ، وما أبداه من الكر والفر وفي اليوم الثانى اجتمعت الفرسان من كل جانب ومكان وبرزت الى ساحة الميدان والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وجري الدم وسال واقتربت الآجال واشتد القتال وعظمت الاهوال على بني هلال وتجرحت منها أكثر الابطال لانهم قاتلوا كالاسود فى ذلك اليوم المشهود ولله در الامير زيدان فانه اقتحم معركة الطعان بقلب كالصوان وقاتل الفرسان واستظهر على الشجعان وطعن فى الميمنة والميسرة وفعل أفعالا منكرة تعجز عنها كماة الجابرة ثم التقي بنمر الجارح وهو ينخى الابطال ويحمسهم على الحرب والقتال فتجاول معه فى ساحة الميدان مقدار ساعة من الزمان ومازالا العسكران يتقاتلان بالسيف والسنان الي أن اقترب وقت الزوا . فدقت طبول الانفصال فافترقت عن بعضها الابطال ورجع الاميرزيدان وهو مكدروحزنان على مااصاب قومه من الجراح فى معركة الكفاح وكتب إلى الامير ابو زيد من قلب متبول . يطلب منه نجدة ويقول :

يقول الفتى زيدان على ماجرى له	ونيران قلبي زايدات اللهائب
على ماجري فينا وما قدأصابنا	وعدنا بحيرة وعقلنا عاد غائب
هجمت علينا دوار ساما أشدها	جرحت فوارسنا بضرب الشطايب
وولت جموع هلال من ساحة لوغا	فياحيف يغدو فى الروابى هرايب
أنا عدت مجروحاً وفى حالة الردى	وعزمى غدا منى وقدعاد ذاهب
أبو زيد عجل فى المسير لنحونا	يا أبو مخيبر يا سليل الاطايب
فنحن بشدة لم نرى من قبل مثلها	الله يلطف فى جموع الاعارب

(قال الراوي) فلما فرغ الامير زيدان من شعره ونظامه طوي القصيدة وختمها بختمه وأعطاها الى نجاب ليسلمها الي أبي زيد ليث الغاب فأخذها وسار ، وجد في قطع القفار . حتى وصل الى بنى هلال وكانت السادات والابطال عند الامير حسن يتذاكران فى القتال فدخل النجاب الى الصيوان وسلم على السلطان ، ومن حضر فى ذلك المكان ثم سلم الكتاب الي أبو زيد وطلب منه الجواب . فلما قراه استعظم المصاب ، وخرج دائرة الصواب ، ثم قرأه على السلطان حسن والقاضي بدير والامير دياب . فانكمشت قلوبهم واعتراهم الاضطراب ، وفى الحال دقت طبول الحرب . فاجتمعت عند السلطان حسن فرسان الطعن والضرب فقرأ عليهم ذلك التحرير وأعلمهم بما أجرته التقادير . فهاجت الابطال واستعظمت تلك الحال ، وركبت جموع بنى هلال للحرب والقتال وفى مقدمتها الامير أبو زيد والأمير دياب وجدوا فى المسير لمساعدة الامير زيدان شيخ الشباب

(قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء الفرسان وأما ما كان من ابطال بني هلال وعساكر الغضبان فانهم فى ثانى الايام خرجوا للحرب والصدام فاصطفت الصفوف وترتبت الميات والالوف وبرز نمر الي ساحة الميدان ونادى اين الابطال والفرسان اين رجال الحرب وفوارس الطعن والضرب فما أتم كلامه حتي صار الامير زيدان امامه وصدمه بقلب كالجبال وتصادما في ساحة المجال فالتقيا كأنهما جبلين أو أسدين كاسرين وحان عليهما الحين وغبر عليهم الغبار وتقاتلا قتالا يذهل الابصار ويحير الافكار ومازالا علي تلك الحال وهم فى أشد قتال الي ان اختلف بين البطلين ضربتين قاطعتين وكان السابق الامير زيدان ليث الميـدان فالتقاها نمر بالدرقة وانحدر علي زيدان انحدار الصاعقة واقتلعه عن ظهر الجواد وألقاه علي وجه المهاد ، فلما رأت بنو هلال تلك الحال اعتراها الانذهال وخافت من الوبال فهجمت على الاعادى وهى تصيح وتنادي وتحمس الرجال على الحرب والقتال ، هـذا وقد اشتد الطعان والتقت الابطال والفرسان وتقاتلوا بالسيف والسنان وما زال الحرب يعمل والرجال تقتل حتي ولى النهار وقبل الليل بالاعتـكار فانفصلت العسـاكر عن بعضها وأقامت كل فرقة في ناحية من الارض

(قال الراوي) فلما أصبح الصباح برزت الفرسان الى معركة الـكفاح وتقاتلوا في ذلك النهار قتالا أحر من لهيب النار واستمر القتال على هذا المنوال

مدة ثلاثة أيام على التمام ، حتى تضايقت بنو هلال من هول الصدام وايقنت بالفنا والاعدام ، وكانت عساكر نمر قد احتاطت بهم من خلف وامام وهجمت عليهم كليوث الآجام فكانت على بني هلال مصيبة عظيمة وداهية جسيمة ، فبينما هم على تلك الحال وقد اشرفوا على الاضمحلال واذا بغبار قد علا وثار من جوانب القفار حتى سد منافس الاقطار وبان من تحته فارس بالحديد غاطس كأنه قلة من الليل أو قطعة من جبل وكان هـذا الفارس ابو زيد ليث الميدان ومن خلفه جموع بنى زحلان والامير دياب البطل المهاب فى أبطال بنى هلال فلما اقتربوا من ساحة المجال وشاهدوا الحرب والقتال هجموا بقلوب كالجبال وانقضوا على عساكر الغضبان ككواسر العقبان وأحاطوا بهم من اليمين والشما وفى الحرب اشتد القتال وعظمت الاهوال وكانت وقعة تشيب الاطفال وتذعر قلوب الرجال كثر فيها القتا والجراح وجرى الدم وساح وفعل أبو زيد فى ذلك النهـار فعالا تذكر على مدى الاعصار فانه شق الصفوف بسيفه البتار وخلص الامير زيدان بالقوة والاقتدار وكذلك فعل الامير دياب وباقي الفرسان الانجاب فانهم ثبتوا وصبروا وقاتلوا ماقصروا واستمر القتال على هذا المنال الى أن صار وقت العصر وكان الامير دياب قد التقي بالامير نمر وهو ينخي رجاله فتقدم يريد قتاله فصدمه فى الحال وجعل يتهدده بهذا المقال :

يقول الفتى نمر الأمير الذى شكا	ونيران قلبي زائدات وقيد
ايا امير اسمع لكلامى وافتهم	واصغى إلى قولى وكون رشيد
اني انا نمر الامير مجرب	اخلى الفوارس على الرمال مديد
وأين تروحوا يا عرب من قتالنا	ونحن فرسان الوغا والبيد
فقل لقومك يرحلوا من أرضنا	وارجع سريعا او تروح فقيد

(قال الراوى) فلما انتهي نمر من كلامه وفهم دياب فحوى شعره ونظامه اجابه على شعره يقول وعمر الساعين يطول :

يقول الفتي الزغبي دياب ابن غانم	ولى عزم أمضي من حسام شديد
ولي همة تعلوا على كل ماجد	اخلى الفوارس فى القتال قديد
انا ابو موسي دياب ابن غانم	بيوم الوقائع للرجال اصيد
ايا نمر اسمع الي كلامى وافتهم	واصغي لقولى لا تكون عنيد
اتينا من نجد العريض بظعننا	ايا ما قتلنا من ملوك اكيد

فجئنا إليكم طالبين قتالكم ونجعل نساكم في نحيب شديد
فكم فارس ولى من حد صارمي وسوف ترى مني قتال شديد

(قال الراوى) فلما انتهى دياب من هذا الشعر والنظام هجم على خصمه هجوم الأسد الضرغام فالتقاه نمر بقلب أقوي من الصوان واشتد بينهما القتال فى الميدان نحو ساعة من الزمان وكان نمر قد طعن خصمه بالسنان وقد أخذها من يد فارس الفرسان ، فغطس دياب تحت بطن الخضرا وراحت الضربة خائبة بعد ما كانت صائبة . ثم ضربه بالدبوس الحديد فخاب أمله ولم يستفيد لانه خلى منها بالعجل وهجم على خصمه هجوم القضاء المنزل وضربه بالدبوس علي الخودة فتألم وصار فى حالة العدم فارتد راجعاً إلي الورا وقد ندم على ما جرى ، وفى الحال هجمت أبطال بنى هلال على الاعداء من اليمين والشمال وأذاقوهم الأهوال وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وربحوا غنائم جسيمة وكان النهار قد مضى وزال وأقبل الليل بالانسدال فانفصلت العساكر عن بعضها البعض ونزلت كل طائفة فى ناحية من الارض ورجع الامير دياب من ساحة الميدان كانه شقيقة أرجوان مما أصابه من أدمية الفرسان ودخل على السلطان حسن فى الصيوان وهو مسرور فرحان فالتقاه بالبشاشة والاكرام ولاطفه بالكلام وقال له كيف وجدت خصمك نمر الجارح أجابه أنه من الابطال الجحاجح ولكنني تار عدا أقصر عمره ، وأكفيك شره فشكره على ذلك المقال ، على أحسن حال وأجمل بال . هذا ما كان من بنى هلال وأما ما كان من عساكر الغضبان فانهم رجعوا من الميدان وهم فى قلق واضطراب من قتال أبو زيد والأمير دياب ، وكان نمر قد جمع الامراء ومن يعتمد عليهم من السادات والكبرا وأخذ يستشيرهم فى أمر الحرب والطعان فقالوا له عن فرد لسان اعلم ياسيد الفرسان أنه من الصواب أن ترسل الآن وتعلم خالك الملك الغضبان بما جرى وكان تطلب منه نجدة . وإلا وقعنا فى الشدة وقتلت أبطالنا وهلكت رجالنا فاستصوب رأيهم . وفى الحال كتب فى الحال يعلمه بواقعة أحواله ، وطلب منه المعونة على العصيان :

يقول الفتى نمر الامير الذي شكى ... دمع عيني على الخدود يسيل
ونيران قلبي كلما قلت تنطفي ... يزيد لهيبها في الحشا شعيل
يا غادياً منى على متن ضامر ... ... هو جليل
وقل له يا مير اسمع كلامي ... ... دليل

فلما أتتنا جموع قيس وعامر ... على خيلهم وهي للسهول تشيل
ركبنا مطايانا وسرنا لنحوهم ... نزلنا عليهم مثل نار شعيل
فبادرتهم بالطعن والضرب والقنا ... وصار الدما يجرى كبحر النيل
وحاربتهم مقدار شهر وأزود ... من الصبح الى أن النهار يميل
وهم يشيلونا ونحن نشيلهم ... بسمر القنا والمرهفات صقيل
ونحن هجمنا بالسيوف وبالقنا ... وشكا حسامي كل قرم أصيل
وبعد حروب هائلات كثيرة ... قد انهزمنا بعد حرب ثقيل
قتلوا فوارسنا وكل قرومنا ... وعدت أنا خسران ثم ذليل
فانجدنا يا خال قبل ان يجينا ... عساكر هلال وعامر وعقيل
فنمسي الا يا خال فى ضيق حالة ... وتبقى نسانا للرجال تشيل
وتملك هلال بلادنا وديارنا ... ونعود فى أمر مهين وبيل

(قال الراوى) فلما انتهي نمر من شعره ونظمه طوي الكتاب وختمه بختمه وسلمه إلي نجاب يقال لهعقاب فأخذه وجد فى قطع البرارى والقيعان حتى وصل إلى عند الملك الغضبان فدخل عليه وقبل الارض بين يديه ثم ناوله الكتاب ووقف مع زمرة الحجاب فلما فتحه وقراه وعرف حقيقة فحواه اغتاظ وتأثر وتطاير من عينيه الشرر وقدعظمت عليه الاحوال وأقسم أنه لا بد أن يفني هلال ولا يبقى أحد منهم من الرجال ثم أمر بجمع العساكر والابطال للحرب والقتال ولم تكن إلا ساعة من الزمان حتى تجمعت الابطال والفرسان فركبت ظهور خيولها واعتقلت بسيوفها ونصولها وركب هو أيضاً مع الضرغام أخو نمر ووزيره النعمان وقصدوا بنى هلال بقلوب كالجبال وجدوا فى قطع البرارى والتلال وهم يؤملون الانتصار وبلوغ الاوطار وكان عدد الفرسان التي سارت مع الغضبان خمسمائة ألف عنان .

(قال الراوي) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من نمر الجارح فانه كان بعد إنفاذ الرسول لخاله ركب فى ثانى الايام بجميع فرسانه وأبطاله وتقدم نحو بنى هلال وهو قاصد الحرب والقتال فالتقته بنو هلال فى عاجل الحال وتقابل الفريقان فى ساحة الميدان ثم تقدم الامير نمر الى معركة الطعان وطلب براز الفرسان وهو كأنه الغول وأنشد يقول :

يقول الفتي نمر الأمير بما جرى ... وقلبي تراه زائد النيران
أنا فارس الهيجا اذا قام سوقها ... أنا قاتل الأبطال والفرسان

وأحمي قومى بالسيوف وبالقنا ... واجعل دما الفرسان كالطوفان
أنا لا أهاب الخيل عند هجومها ... ولا أخشى من كثرة الفرسان
ولابد من قتل الأمير سلامه ... واقبض على حسن الأمير الجانى
واقتل لقاضيهم بدير ابن. فايد ... قتل ديابا والفتي زيدان

(قال الراوى) فلما انتهى نمر من هذا الشعر والمقال صال وجال فى ساحة المجال وطلب البراز والقتال فالتقاه الامير دياب وهجم عليه هجوم ليث الغاب وفى الحال اشتبك بينهم الحرب وأخذا فى الطعن والضرب حتى علا عليهما الغبار وحجبهما عن أعين النظار فلله درهما من بطلين وفارسين عظيمين فانهما اقتتلا أشد قتال وفعلا فعالا تحير عقول الابطال وما زالا على تلك الحال الى قرب الزوال وكان دياب أشجع من نمر وأقدر، وأعلم منه بمواقع الطعن وأخبر فطعنه بالرمح فى صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الارض قتيلا وفى دماه جديلا فلما نظرت عساكر الغضبان ما جرى وكان وأن أميرها قتل أيقنوا بالهلاك والدمار فانقلبوا من اليمين إلى اليسار وطلبوا الهزيمة والفرار فى البراري والقفار وتبعتهم جموع بني هلال وحكموا فيهم بالسيوف والنصال. وقتلوا منهم عدداً كثيراً وجمعا غفيراً وكسبوا منهم أموالا لاتحد، وذخائر لا تحصى ولاتعد وبينما هم سائرون واذا بعقار قد ظهر من جوانب القفار، ومن خلفه جيوش وعساكر تبهر عقول النواظر فلما اقتربوا منهم وتأملوهم بالاعيان، واذا بعساكر الغضبان وفى مقدمتهم الغضبان. وزيره النعمان، وابن أخته الضرغام الفارس القمقام، ومن حولهم البيارق والرايات والسناجق وخلفهم الابطال والفرسان والامراء وكانوا قد حضروا من الاوطان لمعاونة نمر كما شرحنا قبل الآن. فلما رأت العساكر المنهزمة ملكها الغضبان، وهو في مقدمة الفرسان أعلموه بواقعة الحال وماحل فيهم من الويلات وكيف أن بني هلال قتلت نمر الجارح في ساحة المجال ونهبوا منهم الذخائر والاموال

(قال الراوي) فلما سمع الملك الغضبان منهم هذا المقال خرج عن دائرة الاعتدال. فشخر ونخر، وقال وحق ديني ومعبودي، وما أشير اليه في وقت ركوعي وسجودي، لابد من قتل بنى هلال وأسر الحريم والعيال ثم انه جد فى قطع القفار وقلبه يتوقد بنار من جرى هذه الاخبار وقتل نمر الاسد الكرار لانه كان يحبه أكثر من الغير، ويتمني له كل نجاح وخير وما زال يجد السير

ويسبق بمسيره الطير . حتى التقى بالقوم في ثالث يوم فأمر الفرسان والابطال بالهجوم على بني هلال فهجمت في الحال والتقتها بنو هلال بقلوب قوية وهم عليه وفي مقدمتها السادات والأعيان ، والسلطان حسن بن سرحان ، واشتبك القتال ، والطعان بين الابطال والفرسان ، والتقى الضرغام بالسلطان حسن وهو ينخى العساكر فهجم كالسبع كاسر فالتقاه السلطان بقلب أقوى من الصوان وأخذ يتضاربان ويتطاعنان نحو ساعة من الزمان ، وكان السلطان حسن قد طعن الضرغام قاصدا أن يسقيه كاس الحمام ، فخلى منها تحت بطن الجواد لانه كان من الفرسان الشداد فراحت الطعنة خائبة بعد ما كانت صائبة ثم اعتدل الضرغام على ظهر حصانه وطعن السلطان حسن بقوة جنانه فالتقاه بترس البولاد فانكسر ووقع وراح أربعة قطع وما زال في عراك وقتال . الى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال . ورجعت العساكر عن ساحة القتال ، وباتا يتحارسان تحت مشيئة الرحمن .

(قال الراوي) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح . ركبت الفرسان ظهور الخيول ، واعتقلت بالسيوف والنصول وتقدمت الى ساحة الميدان للبراز والطعان فتقدم الامير ضرغام ، وطلب البراز والصدام فبرز اليه الامير وكان صاحب فضل فالتقاه الضرغام بقلب شديد وأشار يتهدده بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

يقول الفتي الضرغام عما جرى له ... ولى عزم أقوى من سباع الكواسر
يا عقل اسمع الآن شرح قصتي ... وكون لقولي صاغيا ثم فاكر
فمن أى باب قد دخلتوا بلادنا ... وجئتم إلينا بالقنا والخناجر
فلابد أن نقتل جميع رجالكم ... ونترك جثثكم للوحوش الكواسر

فلما فرغ الامير ضرغام من كلامه أجابه الامير عقل على شعره ونظامه :

يقول الفتي عقل قولا صادق ... ونيران قلبي كل يوم تزيد
فاسمع أيا ضرغام مني قصيدتي ... واصغى إلي قولى تراه مفيد
نزلنا على عين السباع بظعننا ... وهي على كل العيون تزيد
أنا الفتي عقل لا أسير بلا خفا ... على ظهر أدهم للقتال يريد
برزت الى الميدان أبغى قتالكم ... وأأسر منكم كل قرم عنيد
فلابد ما أسفك دماكم على الوطا ... وأسبي نساكم بعد حرب شديد

فلما فرغ عقل من كلامه وفهم الضرغام فحوى شعره ونظامه زاد به الغيظ

والغضب ودنا منه واقترب وهو يذم الزمان الذى جعل لبني هلال رتبة وشان فالتقاه مثل عقل بقوة وجنان وأخذا فى الضراب والطعان ومازالا على تلك الحال نحو أربع ساعات من النهار وهما فى طعن أحر من لهيب النار وكان الأمير عقل قد استطال على خصمه واستظهر وهجم عليه هجوم الأسد الغضنفر وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع الضرغام قتيلا وفى دماه جديلا فلما نظر الملك الغضبان ما جرى وكان استعظم الامر وهجم على عقل وفاجأه وطعنه بالرمح يريد أن يعدمه الحياه فخلى منها عقل فراحت الضربة خائبة بعد ما كانت صائبة ومازالا فى أشد قتال الى قريب الزوال فدقت طبول الانفصال فرجعت بنو هلال فى السرور والافراح وعساكر الغضبان بالحزن والأتراح وأخذوا جثة الضرغام وأقاموا عليها النواح وكسروا السيوف والرماح ثم كفنوه وبعد ذلك دفنوه .

انتهى الجزء الخامس من تغريبة بنى هلال ويليه الجزء السادس

الجزء السادس من

تغريبة بني هلال الكبرى

الشامية الأصلية



قصة الملك الغضبان

وحربه مع بني هلال ومرورهم ببلاد الخفاجي عامر ورحيله إلى بلاد الزناتي خليفة

(قال الراوي) فلما أصبح الصباح ركبت بنو هلال للحرب والكفاح فالتقتها عساكر الغضبان في ساحة الميدان وطلب الغضبان براز الفرسان وقال أين الأبطال والشجعان أين جبابرة الضرب والطعان ، فما أتم كلامه حتي صار الأمير دياب أمامه وصدمه صدمة تزعزع الجبال وترتعد منها قلوب الأبطال فالتقاه الغضبان كالأسد وضربه بالسيف المهند فالتقاه دياب بدرقة البولاد فانكسر السيف وما أفاد ، ثم ان الأمير دياب طعن الغضبان بالرمح فغطس تحت بطن الجواد فراحت الضربة خائبة بعدما كانت صائبة وبعد ذلك هجم على الامير دياب هجوم الصناديد وأشار يتهدده بهذا القصيد :

يقول الفتى الضرغام عما جرى له ... ولي عزم أمضى من حسام رهيف

ولي عزم أمضى من حسام مهند ... ولي همـة ما حازها غطريف

أنا فارس الفرسان اذا قام سوقها ... أخلي الفورس بالحسام شقيف

وقد جئت أطلب حربكم وقتالكم ... ولي ذكر في وسط القلوب مخيف

سافني ملوك الارض في حد صارمي ... بثار الفتي الضرغام شهم عفيف

فلما انتهى من كلامه أجابه الأمير دياب على شعره ونظامه

يقول أبو موسي دياب ابن غانم ... فنيران قلبي زائدات لهائب

أيا ملك الغضبان اسمع كلامي ... وافهم حديثي أيا وغد الأعارب

أرسلت تطلب نوقنا وجمالنا ... ونسانا مع البنات الكواعب

أما تختشي تطلب بناتاً حرائر ... بنات الأمارا من فروع أطائب

أما تعلم يا غدار ان وراءهم ... ليوث حرب من هلال اطائب

فلا بد من قتلك بحد صارمي　　وتبقى دماك على الفلاة سكائب
وتبقى رجالك بعد موتك مشتتة　　وتبقى نساكم راخيات النقائب
وتملك أرضك جميع قيس وعامر　　ويبقى حسن سلطان كل الاعارب

(قال الراوى) فلما انتهي الأمير دياب من كلامه وفهم الغضبان فحوى شعره ونظامه اسودت الدنيا فى عينيه وهجم عليه والتقى الفارسان كأنهما جبلان وتطاعنا بالرماح اشتد بينهما الحرب والكفاح وتمايلا فى ساحة الميدان وتعلمت منهما الفرسان حقيقة الضرب والطعان وما زالا فى قتال يشيب رؤوس الاطفال إلى أن اختلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الملك الغضبان وقال خذها من يد فارس الميدان وليث المعارك والطعان فغطس دياب تحت بطن الخضرا فراحت الضربة خائبة بعدما كانت صائبة ثم ان دياب طعنه بالرمح من قلب ملان فغطس الغضبان تحت بطن الحصان فراحت الضربة خائبة وما زالا على تلك الحال إلى قرب الزوال فدقت طبول الانفصال فرجعت الابطال والفرسان من ساحة الميدان وباتا يتحاربان تحت مشيئة الرحمن وعند الصباح برز الغضبان إلى ساحة الكفاح وطلب براز الفرسان وقتال الشجعان فبرز اليه الامير ابو زيد واقتتلا طول ذلك النهار وفعلا أفعالا تذهل الابصار ثم افترقا على سلام الى المضارب والخيام واستمر القتال بين عساكر الغضبان وبني هلال ستة عشر يوماً على الكمال وكان قد قتل من عساكر الغضبان عشرين ألف فارس ومن بني هلال خمسة آلاف بطل مداعس وفى اليوم السابع عشر استعد العسكر للقتال ودقت طبول الحرب وبرزت الفرسان للطعن والضرب وكان أول من برز الي الميدان وساحة القتال والطعان الملك الغضبان فصال وجال وطلب براز الابطال وقال هل من مبارز هل من مناجز فلا يبرز لى لا كسلان ولا عاجز ليوم يوم الهزاهز فما أتم كلامه حتى صار الامير ابو زيد امامه فالتقاه الغضبان بقلب شديد وأشار يتهدده بهذا القصيد :

يقول الملك غضبان عما جرى له　　ولى عزم مضى من طعان رماح
ولى عزم أمضى من حسام مهند　　ولى قمح قوي من حديد نحاح
وعيني تبات الليل فى قلق وغم　　بدمع غدا فوق الخدود سحاح
نزلتم على أرض لنا وبلادنا　　على ظهر خيل تسبق الارياح
سأفني أكابركم وكل رجالكم　　واجعل دماكم للرجال مباح

وآخذ بثاري من هلال وعامر وأسبي النسا وكل بنات ملاح

(قال الراوى) فلما فرغ الغضبان من هذا الشعر والنظام انطبق على ابو زيد انطباق الاسد الضرغام واخذ معه فى العراك والصدام وجرى بينهما فى ذلك النهار قتال يشيب الاطفال الصغار ويذهب كل صنديد وجبار وكان الغضبان فى ذلك الزمان من اشد الفرسان واقدرهم فى ساحة الميدان وكان يعد نفسه فى ساحة الطراد من طبقة عنتر ابن شداد فلما رأى ابو زيد قوة حربه وصدامه تأخر من أمامه فعند ذلك صاح الغضبان على الابطال والفرسان ومن يعتمد عليهم من الشجعان بالهجوم على بنى هلال من اليمين والشمال فهجم العسكر كما أمر فالتقته بنو هلال وفى الحال اشتبك القتال وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال فما كنت ترى الارؤوسا طائرة وفرسانا غائرة ودماء فائرة وكانت بنو هلال قد قصرت فى القتال فقاتلت قتال الاسود وبعد بذل المجهود انكسرت أشد انكسار وايقنت بالهلاك والدمار فتأخرت ثلاثة أيام الى الوراء وعساكر الغضبان تتبعهم فى ذلك وفى اليوم الرابع اجتمع أبو زيد بسادات بنى هلال وقد تضعضعت منهم الاحوال وقال لهم قد ساءت احوالنا وفقدت أبطالنا ورجالنا فما رأيكم أيها الاعيان في قتل الملك الغضبان فقالوا الرأى هو عندك ياامير لانك نعم المدير والمشير فما فينا من يخالفك حتى ولاالسلطان حسن فدبر بمعرفتك على الوجه المستحسن فقال االرأى عندى أيها السادات الكرام أن نقسم بني هلال الى أربعة أقسام ونهجم على الاعداء من أربع جهات ونسد عليهم جميع الطرقات وتكون الجازية فى أول العماريات مع باقي النسا والبنات فاهجم أنا من جهة الشمال والامير زيدان والسلطان حسن والقاضي بدير من جهة الجنوب بباقى الابطال ونقاتلهم أشد قتال والاحل بنا الوبال فاستصوبوا هذا الخطاب لانهم رأوه عين الصواب

(قال الراوى) ولما أصبح الصباح ، ركبت الفرسان للحرب والكفاح وانقسمت بنو هلال أربع فرق ، واعتقلوا بالسلاح والدرق . وهجموا على عساكر الغضبان كليوث الغاب ، وكان السابق الامير دياب ، فصاح وزعق ، وعلى الفرسان انطبق ، وحكم سيفه فى الهامات والصدور ، وتبعه أخوه زيدان بكل فارس مشهور ، وحملوا على الفرسان ، وجندلوا الابطال فى ساحة الميدان ، فلما رأي الغضبان ماحل بقومه من الهوان ، جعل ينخي الابطال على الحرب والقتال ، وهجم هو بنفسه على بني هلال ، وقد هانت عليه الاهوال فى بلوغ الامال وضرب

فيهم بالحسام من خلف وامام وازدحم الميدان بالابطال والفرسان ، وكثر الشجاع وفر الجبان ، وقطرت الدما ، وحجب الغبار وجه السما ، فبينما هم على تلك الحال في . وأشد الاهوال وإذا بغبار قد ظهر وبان من تحته جيوش وعسكر وأمام الجميع السلطان حسن بن سرحان ، وهو راكب بني دريد وأبو زيد بني زحلان ، والقاضي بدير بباقي الرجال والشجعان ومن حوله السادات والبيارق والرايات ، وقد ارتجت من ضجتهم الفلوات ولما اقتربوا إلى الميدان هجموا على عساكر الغضبان من كل جهة ومكان فاشتد قلب دياب بقدوم القوم وأمل بالنصر في ذلك اليوم ، فقاتل أشد قتال وهكذا بنو هلال وكانوا يصيحون عن فرد لسان ترى يا غضبان ما يحل بك من الهوان فلا بد من قتلك في هذا النهار وامتلاك هذه الديار بالسيف البتار هذا وقد التقت الرجال والابطال وجرى الدم وسال وكثرت المخاوف والاهوال فما كنت ترى غير سيوف بارقة ورماح خارقة ونفوس زاهقة وأرواح مفارقة وأجساد بالدما غارقة وخيل متفرقة وأعضاء متمزقة وكان يوماً شديد الاهوال لم يسمع مثله في سالف الاجيال فلله در بني هلال فانها ثبتت ثبات الجبال وقاتلت أشد قتال وكان الملك الغضبان قد برز إلى الامير دياب وهو غائب عن الصواب وكان دياب يدور حوله مثل الدولاب وهو ثابت على الحرب والجلاد كأنه طود من الاطواد فعند ذلك تقدم السلطان حسن والامير أبو زيد والامير زيدان وهجموا هجمة رجل واحد على الغضبان وأحاطوا به من جميع الجهات ونزلوا عليه بضربات قاطعات تهد الجبال الراسيات وبهذه الفعال هان على الامير دياب القتال فقوم السنان وهجم على الملك الغضبان كأنه قضا الرحمن وقال له خذ هذه الطعنة من ليث الغاب وفارس الاعراب الامير دياب وطعنه بالرمح في صدره فخرج يلمع من ظهره فوقع على الارض قتيلا وفي دمه جديلا فقطع رأسه وعلقه في رأس السنان ، حتى تراه جميع الفرسان فلما رأته الابطال ، وباقي سادات الرجال ، استبشروا بالسعد والاقبال ، وأيقنوا ببلوغ الآمال وقالوا لله درك من فارس فتاك فلا شلت يداك ولا شمتت بك أعداك ، وقد تهللت النسا والبنات ، وأظهرن الافراح والمسرات . وصاحت الجازية مع السيدات والبنات المخدرات لا عدمناك يا فارس الحضرا ، وفخر سادات الورى فقد خلصتنا في هذا النهار واكتسبت بفعالك الشرف والافتخار ، فشكرهن الامير دياب على هذا المديح والخطاب ثم انه انحط على الابطال وفرقها من اليمين إلى

الشمال وتبعته بنو زغبي الشجعان وبنو زحلان وهجموا على عساكر الملك الغضبان بقلب أقوي من الصوان وكانت عساكر الملك الغضبان لما رأت ملكها قد مات وحلت به الآفات ضعفت عزيمتها وقلت همتها وأيقنت بالهلاك والبوار وحلول الدمار فولوا الادبار وأركنوا إلى الهزيمة والفرار فتبعتهم ابطال بني هلال مثل أسود الدحال وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وكسبوا غنائم ذات قدر وقيمة وكانوا قد تبعوهم إلى البلد وحكموا فى أجسامهم الصارم المهند فنهبوا الاموال وسبوا الحريم والعيال وبعد ذلك رجعوا إلي الخيام مثل أسود الاجام وقد بلغوا المرام وزالت عنهم الأوهام ثم خلعوا الحديد والزرد النضديد ولبسوا ثياب الحرير ودارت القهوة والشربات على كل سيد وأمير وصرفوا تلك الليلة فى سرور وانشراح ، ولما حضر ابن الملك الغضبان ذهب الي عند السلطان حسن بن سرحان وبمعيته الأكابر والأعيان وطلبوا منه العفو والأمان فأجابهم إلى ذلك الشان وعاملهم باللطف والاحسان وخلع عليهم الخلع الحسان وبعد ذلك ولى الامير الميدان حاكما علي تلك الاوطان مكان ابيه الملك الغضبان وقامت بنى هلال في تلك الأطلال خمسة أيام على التمام وهم فى حظ وانشراح وسرور وأفراح وفى اليوم السادس دقت طبول الارتحال فركبت الفرسان والابطال والنساء والعيال وساروا من تلك الاطلال بالمهمات والأثقال وما زالوا على تلك الحال وهم يقطعون الافاق بدون اهمال ولا تعويق حتي وصلوا الى بلاد العراق

(قال الراوي) وكان الحاكم على تلك البلاد رجل من الأجواد قد اتصف بالفضائل وحسن المآثر يقال له الخفاجي عامر وكان يحكم على البصرة وبغداد والموصل والعراق وما يلي تلك البلاد وكان عنده من الأبطال والفرسان نحو مايتي الف عنان ، (قال الراوى) فبينما هو جالس فى الديوان على كرسى مرصعة بالدرر والمرجان وحوله الوزراء والأعيان وجماعة من الحجاب والأعيان وهم واقفون من عن اليمين والشمال وفى أيديهم السيوف والصفاح إذ قد دخلت عليه الرعيان وقالوا له اعلم يا ملك الزمان أن بنى هلال قد دخلت الي ديارنا وأكلت من أثمار بساتيننا وأشجارنا وهم كالجراد المنتشر لا يعرف لهم أول من آخر وقد هربت من أمامهم جميع الرعيان وتركت النوق والفصلان ، وها قد أتينا إليك وأعرضنا القضية عليك .

(قال الراوى) فلما سمع الخفاجى هذا الكلام صار الضيا فى عينيه كالظلام

والتفت إلى الأمراء وأكابر الرجال وقال لهم ما قولكم فى بنى هلال فعند ذلك تقدم الوزير عميره وأشار يقول :

يقول الفتي المسمى الوزير عميرة ... أيا أمير اسمع لى ترى أفكارى
أيا أمير ارسل للأمير أبو على ... وابو زيد والزغبي وكل كبار
ليأتوا بعشر المال والخيل والنضى ... والبوش يأتى لكم مع الابكار
وكل السراري والجواري وغيرها ... وما يملكوا من فضة ودراري
حتي البنات تشوف حسن بناتهم ... من كل خود تكسف الاقمار
فان أرسلوا لك ما أنت طالبه ... من الخيل والاموال والاعشار
فدعهم يجوزوا يا أمير بلادنا ... ويرعوا ميامن أرضنا ويسار
وان كان لم يرضوا يجيبون قولنا ... فيبلون بالنكبات والاضرار
ونقتل أمارتهم وكل رجالهم ... ونكسب بناتا منهم وجوار
فهـذا كلامي يا أمير ونصحتى ... والشور عندي أحسن الاشوار

(قال الراوى) فلما انتهي الوزير من هذا الشعر والنظام وسمعته جميع الامراء والسادت الكرام ، قال الخفاجى هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب ، ثم انه كتب الي السلطان حسن يطلب عشر المال ، والنوق والجمال ، بهذا القصيد ، ويحمد السامعين يزيد :

يقول الخفاجي ابن درغام عامر ... ولي عزم يقطع صخرها وجبال
أيا غاديا منى على متن ضامر ... تسبق هبوب الريح فوق رمال
إذا جيت الى عند الهلالي أبو علي ... أمير الورى سلطان كل هلال
قل له قال الخفاجى عامر ... أمير البوادى قاهر الابطال
فمن أى بلاد قد دخلتم بلادنا ... رعيتم لزرع الارض والاموال
فلابد أقتلكم وأخذ مالكم ... وأتركـكم فى ذلة ووبال
قومى هم ميتين الف عدادهم ... يلقوز قومك فى انفلاة جمال
وان قصدكم أن تجوزوا بلادنا ... وللغرب تغدوا يا رجال هلال
فهاتوا لنا يا مير عشر موالكم ... وعشر المواشى خيلكم وجمال
وهاتوا لنا عشر البنات مع الخدم ... وهاتوا [illegible] أو خطي لا دول
وهاتو لنا الجازية أم محمد ... لها عين سودا مثل عين غزال
وهاتوا لنا نجلا وشهلا وحاكمه ... وريا ووطفا ونبها ودلال

وهاتوا جمال الظعن بنت سلامه ❊ وميتين سرية ملاح طوال
وهاتوا لنا ميتين درع وخودة ❊ وميتين سيف مرهفات صقال
وميتين حربة صنعة ابن جباره ❊ وميتين رمح من القنا العسال
وهاتوا لنا ميتين عبد وعبده ❊ وميتين مملوك ملاح جمال
فان أتيتم لى بما قد ذكرته ❊ لكم عندنا الاكرام والاجلال
وان لم تجيبوا ما تقدم ذكره ❊ والا تروا منى عنا وأهوال
ماقال الخفاجي ولدضرغام عامر ❊ وحاكم بلاده سهلها وجبال

(قال الراوي) فلما فرغ الخفاجي من شعره ونظمه . طوى الكتاب وختمه بختمه ، وأعطاه لوزيره سلام . ليأخذه للسلطان حسن ويطلب منه المطلوب بالكمال والتمام ، فأخذه وجد فى قطع الروابى والتلال حتي وصل الى نجوع بنى هلال ، فدخل علي السلطان حسن بن سرحان وهو فى الصيوان ، ومن حوله الامير دياب والامير أبو زيد والقاضي بدير والامير زيدان فسلم علي السلطان والسادات والاعيان ثم ناوله الكتاب ووقف بقرب الباب فلما قرأه وعرف فحواه اغتاظ من ذلك التهديد وخاف من عواقب الامور وقال للجمهور ان الذى كنت أحذر منه فقد وقعنا فيه ، والله يعلم تاليه ، ثم انه أمر بأخذ الوزير الى دار الضيافة حسب العادة ، وقرأ الكتاب أمام الحاضرين وطلب منهم الرأي والافادة ، فقالوا الرأي عندك افعل ما تريد ودبر هذا الامر برأيك السديد فقال مرادى أن أرسل له كتاب منطو علي المحبه والاصطحاب وننظر ما يكون الجواب فقال الجميع هذا هو الصواب فعند ذلك كتب السلطان حسن اليه يقول :

يقول الفتي حسن الهلالي أبو علي ❊ أنا جيت الى عند الخفاجي زاير
أيا غاديا منى علي متن ضامر ❊ يسبق مسير الطيران كان ساير
اذا جيت الى نحو الكبيسة وأرضها ❊ فاقرأ سلامي للخفاجي عامر
وقل له قال الامير أبو علي ❊ حاشا لمثلك يبتغى للمناكر
تريد بناتنا يا خفاجي ومالنا ❊ ومنا تريد الخيل ثم الاباعر
وقد شاع ذكرك فى البلاد جميعها ❊ وكفك سخى بالجود يا ابن الاكابر
ونحن لنا يا أمير بالغرب سادة ❊ بأرض الزناتى يا ملك بالجنازر
وجينا جميعنا يا أمير لاجلهم ❊ لكي نخلصهم بضرب البواتر
ونحن ضيوفك يا خفاجي واهتدى ❊ بجاه النبي فخر الورى والعشائر

فدعنا نثنى الخير عنك بدربنا ... حتى نصل للغرب وأرض الجزائر
نحن عبيدك يا خفاجي جميعنا ... وضرغام سيدنا ونحن الاصاغر
يا مير نحن تحت حكمك وطاعتك ... فافعل بأصلك يا خفاجي عامر
مقال الفتى حسن الامير أبو علي ... وما يقبل الدخلان غير الاكابر

(قال الراوى) فلما فرغ السلطان حسن من هذا الشعر والنظام طواه وأعطاه الى الوزير سلام فأخذه وسار حتى أشرف على الخفاجي عامر فى آخر النهار فأعطاه الكتاب ففتحه وقراه وعرف رموزه وفحواه وسمعه من كان حاضرا من السادات الكرام ، قال له أبوه ضرغام ان جواب بنى هلال أحلى من الماء الزلال ففهم اعزمهم وترحت بهم ولا تشهر فى وجوههم الحرب لانهم عابرون طريق وقاصدون بلاد الغرب ثم انه بعد هذا الكلام أشار يخاطب ابنه بهذا الشعر والنظام

قال الفتى ضرغام قولا صادق ... ونيران قلبي رايدات الهواجس
بالله أقصر عن هلالي وحربهم ... فان فيهم كل قرم فارس
فبنى هلال سايرين مغرب ... أولادهم يا أمير جوا قابس
قد أقحطت نجدا عليهم وامحلت ... والزرع فيها صار أصفر يابس
رحلوا وخلوها وكم انتهم عدا ... استقبلوها فى درق وملابس
كان الدبيسي فارسا متغطرسا ... وملوكها أتوهم كأسد عوابس
أتاهم أبو زيد الهلالي سلامه ... سفك دما الابطال مثل بواضس
والبغى يا ولدى قبيح فعله ... اسمع كلامى لا تكون مراوس
هذا كلامى يا خفاجى افهمه ... ابي كبير السن شهم ممارس

(قال الراوى) فلما انتهى الضرغام من كلامه وفهموا الحاضرين فحوى شعره ونظامه قالوا له هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب وفي الحال ركب الامير خفاجي فى جماعة من الابطال وركب ولده الامير ضرغام لاسد الرئبال وقصدوا منازل بنى هلال ولما علم الامير حسن بقدوم الخفاجى عليه وانه عن قريب يصل اليه ركب مع الامير أبو زيد ودياب وزيدان شيخ الشباب وجميع السادات والاجناب وساروا لاستقباله بالعجل وقد زال عنهم الخوف والوجل ولما التقوا ببعضهم بعض نزلوا فى ذلك الارض وتقدم السلطان حسن الى الخفاجى وسلم عليه وقبله من بين عينيه وبعده الامير دياب وجميع الامراء والسادات والانجاب وسلموا عليه سلام الاحباب وشكرهم على ذلك الاهتمام وسار معهم الى المضارب والخيام واجلسه السلطان حسن مع والده فى صدر

الديوان وبعد أن دارت القهوة وطاسات الشربات أشار الخفاجى يترحب بهم بهذه الابيات :

قال الخفاجى ابن ضرغام عامر　　يا مرحبا فيمن أتو لبلادى
يا مرحبا بك يا أمير أبو علي　　يا مقري الضيفان والفصاد
يا مرحبا بك يا أمير سلامه　　يا قاهر الفرسان يوم طراد
يا مرحبا بك يا دياب الماجد　　يا حامي الزينات حين تنادى
يا مرحبا بك يا بدير الفايد　　يا قاضى العربان والورادى
أضا علينا الحى عند قدومكم　　وزهت بمقدمكم جميع بلادى
يا أبو على سيروا جميعا وانزلوا　　بأرض الكبيسة ثم أرض الوادى
أهلا بكم أهلا بكم أهلا بكم　　أنتم ضيوفى تأكلوا من زادى
أوهبكم أرض الكبيسة كلها　　من ها هنا حتى الى بغداد
حكمى على ستين قرية ومثلها　　بلدان أخرى تحت حكم بلادي
فجميعها بين الايادى بحكمكم　　نحن العبيد وأنتم الاسيادى

فلما انتهى الامير الخفاجي من كلامه شكره السلطان حسن على لطفه واكرامه وما أبداه حسن اهتمامه واجابه يشكره بهذا القصيد :

يقول الفتى حسن الهلالي أبو علي　　يا مير عمرك لا ترى أكدارا
يا أمير نحن سايرين مغرب　　يا أمير ما نحن لكم خطارا
أولاد فى الغرب عند خليفة　　فى حبس ماله يا مير قرارا
نحن اليهم سائرين بسرعة　　والله يفعل كل ما يختارا
قد عمنا جودك وفيض مكارمك　　يا قاهر الفرسان يوم الغارا
قول الفتي حسن الامير ابو علي　　يا ليت عمرك لا ترى اكدارا

فلما فرغ السلطان حسن من كلامه ، والخفاجى والامير ضرغام يسمعان رقة شعره ونظامه فانسرح خاطر الخفاجى عامر واخذ يترحب بالسلطان حسن وباقي الامراء والاكابر ويرد عليهم بهذا القصيد :

يقول الخفاجى والخفاجى عامر　　يا بو علي يا فارس الفرسان
مثلك امير فليس يوجد فى الملا　　انت الامير حسن ولد سرحان
جرمون جدك فخر سادات الوري　　والأم شما زينة النسوان
وكذا أبو زيد بن رزق سلامه　　والأم خضرا منى بنى عدنان

فهي الشريفة بنت قرضاب الملك   سلطان مكة العظيم الشان
أما الفتي الزغبي دياب الغانم   خاله بدير وقاضى العربان
أنتم ضيوفى يا أمير أبو على   ساداتكم مع سائر العربان
مالي وروحي يا هلال وهبتكم   والخيل ثم النوق والفصلان
قول الخفاجي ياحسن خش الحما   واعذر قصوري ياعظيم الشان

فلما انتهى الخفاجي عامر من هذا الشعر والنظام تقدم بعده أبوه الامير ضرغام واشار يترحب ببنى هلال بهذا المقال

يقول الفتى ضرغام قولا صادق   يامرحبا بالقادمين جميع
يا مرحبا فيمن أتوا لبلادنا   أضاء بهم حي لنا وبقيع
يا مرحبا بك يا أمير أبو على   يامن له كل الملوك تطيع
يا مرحبا بهلال جمله كلهم   رعيانهم وعبيدهم وتبيع
أضاءت منازلنا بيوم قدومكم   قد زال عنا همنا وصديع
يابو على أرض العراق وسيعة   بها مرتع لابلكم وربيع
وفى حكمنا ستين سوق مدينة   بها الخز والديباج وكل بديع
فقوموا عندى يا ملك فى بلادنا   ونبقي لشورك يا أمير نطيع
وهبتك جميع المال والمدن كلها   ولا حاكما الا اليك يطيع
ونبقى رعية يا أمير أبو علي   وأنت لنا سلطان ثم شجيع
مقال الفتي ضرغام والقول صادق   ترى حسن ذكرك بالمديح يشيع

فلما فرغ الامير درغام من هذا الشعر والنظام وسمعه الأمرا والسادات الكرام شكروه على هذا الاهتمام وقال له الامير حسن بارك الله فيك ، وجعلك خليفة لأبيك ثم أجابه على شعره يقول :

يقول الفتى حسن الامير أبو على   ألا استمع لي يا ملك ضرغام
ياليت عمرك ألف عام على المدى   وانت بخير يا ملك وانعام
وابنك عامر ليته دوم سالم   وعمره لا ينظر عما وسقام
يا امير املاكك عليك مباركه   تعيش بها ما دامت الايام
وعندى البوش وخيل وانغم   وأموال تكفني مدي لاعوام
ولكن لما جات نجد وقحطت   وسبعة سنين في عدم وسقام
بعثنا ابو زيد للغرب رائدها   ومعه ثلاثة ضاربين لثام

وهم الفتى مرعى ويحيى ويونس   أولاد أختي من فروع أكارم
فراحوا إلى عند الزناتي خليفة   قبضهم وأشبعهم عنا وسقام
فشفعت بهم سعدا بنت الزناتي   وفى حب مرعى قلبها قد هام
أتانا أبو زيد من الغرب وحده   وأخبرني عما جرى بتمام
رحلنا وسرنا بالجيوش جميعنا   وصارت أراضينا فى فنا وعدام
وهذا الذى قد صار يافخر الورى   ابا فارس الفرسان يوم صدام

(قال الراوى) فلما انتهى السلطان حسن من هذا الشعر والنظام مدحه الملك الضرغام واثنى عليه بالكلام ثم ركبت جميع سادات بنى هلال مطاياهم والخفاجى عامر ودخلوا البلد فى فرح وسرور وتفرقت عرب بنى هلال فى تلك الاراضي واما السلطان حسن والسادات فبقوا عند الخفاجى على أكل طعام، وشرب مدام، وفرح وسرور وغبطة وحبور مدة ثلاثة شهور على أحسن حال وانعم بال فاتفق فى بعض الايام ان الخفاجى عامر اولم وليمة عظيمة دعى اليها السلطان حسن وسادات بنى هلال الاكابر حضرتها النساء والبنات وجميع السادات وبعد ان اكلوا وشربوا ولذوا وطربوا. دارت كاسات المدام على من حضر فى ذلك المقام وكانت البنات والنساء والحرائر يشربن على اسم الخفاجى عامر، وكانت كل بنت تقدم له الكاس وهو يشربه على اسمها أمام الجلاس، الى ان انتهت النوبة إلى الجازية وكانت بديعة الجمال، فصيحة المقال، فتقدمت الى الخفاجى وقدمت له كاس المدام فلما رآها مال قلبه اليها وهام، فلاطفها بالكلام وطلب منها ان تصف له محاسن بنات بنى هلال وما خصهن الله به من اللطف والكمال والظرف والجمال فأشارت تقول :

تقول فتاة الحى أم محمد   ونيران قلبي زايدات شعال
ان الامارا يا أمير بناتهم   مثل الظبا فى الحسن والاشكال
أما جمال الظعن بنت سلامه   الوجه منها مثلما مثل بدر كمال
وبنت أبو موسى دياب لماجد   وعيونها يا مير كعين غزال
وبنت قاضينا بدير المائد   تشبه غزالا بالفلاه حول
وبنت سلطان البوادي ابوعلى   شبيه البدر فى بها وكمال
أنظر لحسنى يا امير فانى   احمل والطف من نساء هلال
قد شاع ذكرك بالمكارم والسخا   وبكل فصل شائع وجمال

فلما فرغت الجازية من هذا الشرح والوصف ، وشاهد الخفاجي ما قد حوته من الانس واللطف ، والدلال والطرف ، اعتراه الانذهال وحن قلبه اليها ومال فناولها كاس المدام . فأخذته بالبشاشة والابتسام ثم رفعت اللثام فبان له وجه كانه البدر التمام فزاد به الوجد والغرام من ذلك الحسن والجمال والبها والكمال والقد والاعتدال لأنه رأى لها وجهاً مثل القمر فى ليلة أربعة عشر فصبر على حاله حتي لايعلم أحد بأحواله ولما فرغوا من الطعام وشرب المدام نهض الأمير حسن على الأقدام وشكر الامير الخفاجى على ذلك الاكرام وقال له فى آخر الكلام أريد من لطفك وأفضالك أن تشرفي نهار غدا بجميع رجالك لأجل أكل الطعام وشرب المدام وبذلك تجعلني ممنون على طول الدهور والأعوام فأجابه إلى ذلك المرام ووعده بالمسير فى ثانى الايام مع جميع عربه الذين يلوذون به وفى اليوم الثانى أولم السلطان حسن وليمة عظيمة لها قدر وقيمة ذبح فيها ألف راس من الاغنام وأحضر فيها ماية ضرف من المدام فكانت من أعظم الولائم لم يسمع مثلها فى الاعارب والاعاجم حضر اليها الخفاجى عامر مع باقي قومه وسادات العشائر فتلقاهم السلطان حسن بالترحاب والاكرام وبعد ذلك جلسوا على مائدة الطعام ودارت بينهم كاسات المدام وطربت الامراء والسادات والنساء والبنات على أصوات الأغانى ورقص المغاني ولما فرغوا من الطعام جلسوا للحديث والكلام فعند ذلك التفت السلطان حسن على الخفاجى عامر وانشد هذه الابيات على مسامع الأمراء والأكابر .

مقالات الفتي حسن المسمى   أبو مرعى [illegible] الهم عنا
نظرنا منك يا عامر جميلا   ومعروفاً وألطافاً وحسناً
ودستورك ألا ياامير عامر   [illegible] فى [illegible] قد أقمنا
[illegible] حاجى [illegible]   [illegible] ولو [illegible]
ولولا [illegible] مرعي [illegible]   [illegible] ما رحلنا
[illegible]   [illegible]
[illegible] الاوصاف [illegible]   [illegible]

فلما فرغ السلطان حسن من كلامه [illegible] شعره [illegible]
[illegible] يا امير حسن [illegible]
وطابت قدومكم [illegible]

مقالات الخفاجي فى نظامه أيا مرعى لك الاكرام منا
وفيكم حلت البركة علينا وضاء الحى فيكم يا مكنى
وليس أريد منكم يا هلالى بنات ولا جمال ولا أسنه
فليتك دائما يا مير قيس مدي الأيام فى خير تهنا
قبلت عطيتك يا فخر قومك وقد رديتها من غير منه
وما فى خاطرى الا نظركم وقرب جناحكم أفضل وأهنا
فكدرت الخواطر فى رحيلك ومن وقت اجتمعتم ما زعلنا
فلابد لي بأن أذهب معاكم إلى أرض المغارب يا مكنى
أحارب معكم جيش الاعادى بحد السيف يا حسن المكنى

فلما فرغ الخفاجي من هذا الشعر والنظام ، وأكلت قوم خفاجى وهلال من موائد الطعام ، أمر حسن بالرحيل بعد ثلاثة أيام . فقال الخفاجى لابد من مسيرى معكم الى تونس وأبذل معكم المجهود فى استخلاصى مرعي ويحيي ويونس فلما سمع أبوه الضرغام منه هذا الكلام لم يهن عليه ذلك الامر . وقد اشتعل قلبه بلهيب الجمر . لأنه كان يحبه محبة زائدة وليس له صبر على فراقه ساعة واحدة فأشار يمنعه بهذا القصيد .

يقول الفتى ضرغام عما جرى له بدمع جرى من فوق خدى سكيبها
أيا ولدي بالله ارجع وانثني وابق فى أرضك واترك مغيبها
فكيف تفارقنى وأمك وحدها تنادي وتندب ثم تبدى نحيبها
أيا ولدى ان رحت ماأنت عاقل وذهنك شرد فماأنت قرم نحيبها
مقال الفتي ضرغام قل صبره فأرض الكبيسة راح أيام طيبها

فلما فرغ ضرغام من كلامه . أجابه الخفاجي على شعره ونظامه

قال عامر يا أبى اسمع كلامى ارجع إلى حكمك وكن رجل صبور
مع هلال يا أبى لازم أسير للمغارب والجزائر والثغور
ثم انظر لحلب وبلادها وأرى الاحوال فيها والامور
وأرى حمص وحما حقا أكيد مع دمشق الشام انظر للقصور
وأرى أنهارها وأشجارها والفواكه عاقدة بعد الزهور
اهلها أهل المكارم والسخا فيها شبيب التبعى السبع الجسور
وانظر الرملة وغزه بعدها واقصد القدس وأوفى للنذور

بعدها نرحل إلى ارض العريش ... ونرى البردويل ليث الجسور
ثم لقطية ومصر بعدها ... فتيلها يحلو على كل النهور
ثم نخوض البحر الي ارض الصعيد ... ونرى الماضي السخي المشهور
وارض هوار الي الغرب البعيد ... وارض قابس والزناتي له نزور
ثم نقتله ونملك ارضه ... نخلص الاولاد ونهبي للبدور
ثم للأوطان نرجع بالهنا ... ياابي والخير مع كل السرور
يا أبي وحياة راسك لا أغيب ... أكثر من سنتين مع ستة شهور
قر عينك ثم طيب خاطرك ... وعلى حكم الولاية كن صبور

فلما فرغ الخفاجي من كلامه وعرف الضرغام فحوى قصده ومرامه بكى البكاء الشديد الذى ما عليه من مزيد وعلم أن كلامه لا يفيد ثم تقدمت أمه شولا وزوجته وابنته ذوابة واخذن ينهينه عن السفر ويظهرن له عما فيه من الغيظ والكدر . واشارت امه تقول

تقول فتاة الحي شولا التي شكت ... بدمع جرى من فوق حدى سكائب
ايا ولدي عامر فطيعني وارتجع ... فراقك علينا من عظيم المصائب
ايا امير ارض القيروان بعيدة ... واقطارها فيها العنا والمتاعب
فما انت مديون ولا انت شارد ... ولا انت محتاج ولا لك مطالب
تغيب عن الاوطان يا امير عامر ... وتقصد مع العربان ارض المغارب
هلال لهم يا امير في الغرب حاجة ... وهم لاجلهم قاصدين ان تحارب
ايا ولدي اسمع كلامي وارتجع ... ابوك كبير السن قد عاد شايب
بحياة راسي يا خفاجي عامر ... بحرمة في تحج له الاعارب
تترك اهلك يا امير بحسره ... وتبقى حيارى [illegible] من يحارب
ايا ولدي بالله انك تطيعني ... يحميك ربي من جميع المصائب
ايا ايها الخلان بالله قدوا ... وساعدون حتي ارد احبائب
رد الفتي عامر لامه وقال [illegible] ... [illegible] سيرى لارض المغارب
حسن مابقي لي قلب [illegible] ... [illegible] على كل [illegible]
ابو زيد والزغبي ذياب [illegible] ... وواصيهم [illegible]
لساني رهنتية يا امي [illegible] ... [illegible] عمري [illegible]
ايا امي قلبي النواح مع [illegible] ... [illegible] رجع [illegible] مضارب

فلابد عن قابس وعن حرب أهلها   ونأتى بأموال لهم ومكاسب
وان قضت فى تلك الاراضى منيتى   فابكوا على فى دموع سكائب
ما قال الخفاجي ولد ضرغام عامر   غدا أبقي بعيدا من الاهل سائب

(قال الراوى) فلما فرغ الخفاجى من هـذا الشعر والنظام . بكى بدمع مثل قطر الغمام . على مفارقة الاهل والاوطان . والاصدقاء . والخلان وطلب من ابنته ذوابة وزوجته مي أن تذهبان معه الى تلك الديار ويتركان الحي فامتنعا عن المسير وبكيا بدمع غزير . ثم تقدمت ابنته ذوابة وأشارت تنهيه عن السفر وتقول

تقول ذوابة يا أبى لا تسافر   فتترك الأهل فى عنا ومصاب
فمالك يا أمير بالغرب حاجة   ولالك بها مال ولا أسباب
ولا ثار لك عند الزناتى خليفة   ولادم لك أيضا ولا أصحاب
فكيف تشتتنا وتطلب بعادنا   ونبقى ضوائع فى عنا وحساب
وتبقى الهلاليين مجموع شملهم   ونحن بلا أهل ولا أصحاب

ولما فرغت ابنته ذوابة من كلامها . وسمع الحاضرون فحوي شعرها ونظامها زاد البكا والنحيب . من ذلك الأمر الغريب . ثم تقدمت بعـدها امرأته مى وأشارت تقول :

تقول فتاة الحى مى التى شكت   ولى قلب من كثر الغبائن ذاب
فوالله أنا ما أسير مغرب   ولو أن راسي طار بالقرضاب
رواحك ألا يامير ما فيه فائدة   وقصدك بلاد الغرب ليس صواب
ودع قول أبو زيد الهلالى سلامى   وحسن الهلالى والامير دياب
فكيف تخلي يا أمير بلادك   وتبقي قصورك خاليات خراب
مقالات فتاة الحى مي التي شكت   وهذا كلامى لك جميعه صواب

ولما انتهت مى من هذا الكلام تقدم ضرغام ، وجعل يودعه بهذا الشعر والنظام

يقول الفتى ضرغام عما جرى له   ودمعى جرى فوق الخدود سريع
بالله يا قبائل هلال وعامر   أرصيتكم فى عامر آخاف يضيع
أيا دل قصر عاش من بعد عامر   به البوم والغربان دوم جميع
سقي الله يا عامر ليالي سرورنا   أيا حيف راحت يا أمير سريع
ألا يا حمام الحى نوحوا بربعه   وسيحوا بدمع ياحمام نجيع
سأعمل لأفراد الحمام وليمة   وأكمي يتاهى نحهنا وقطيع

أيا ولدى أودعتك الله خالقي ‏ ‏ ومن أودع الرحمن ليس يضيع
فلا تقطع الاخبار عنا فقلبنا ‏ ‏ سيبقي بعدك يا خفاجى وجيع
فقال الفتى ضرغام عما جرى له ‏ ‏ فعقلى شرد عني وراح جميع

(قال الراوى) فلما فرغ الامير ضرغام من كلامه . وفهم السلطان حسن فحوى نظامه . قال اعلم يا أمير ضرغام . لايكون لك على ولدك أدنى اهتمام لانه مثل ولدى ، وقطعة من كبدى . فمهما جرى علينا يجرى عليه ، وجميعنا نلتفت اليه ، فكن مطمئن الخاطر من هذا القبيل . أيها السيد الجليل . فلما رأت زوجته وابنته أنه لابد للخفاجي من المسير مع بني هلال . فاتفق رأيهما للرحيل معه إلى تلك الاطلال . فاستعدوا من ذلك اليوم وتجهزوا للسفر مع القوم . وبعد ذلك حضرت جميع الولاة وسادات العشائر . لوداع الخفاجي عامر . فودعوه بالبكاء والنواح ودعوا له بالتوفيق والنجاح (قال الراوى) وبعد هذا الحديث والكلام بثلاثة أيام . أمر السلطان حسن بدق طبل الرحيل والاستعداد ، والسفر من تلك البلاد . فعند ذلك هدت المضارب وركبت الفرسان ظهور الجنائب واعتقلوا بالسيوف والنصول ، وقد ملأوا بكثرتهم تلك السهول ، وركبت أيضا النساء والبنات فى الهوادج والعماريات قاصدين بلاد الغرب وتلك الجهات ، وأمام الجميع زوجة الخفاجى وابنته والجازية ونساء الامراء والسادات ، وكان الخفاجي عامر من أفرح البشر . فى هذا السفر . لان قلبه قد تعلق وهام بحب الجازية أم محمد كما سبق الكلام . وكانت بنو هلال كلما وصلوا إلى مكان . تأتيهم الهدايا من الامراء والاعيان . وحكام تلك الاوطان الى أن قطعوا الموصل وقصدوا حلب الشهباء ، وما زالوا يقطعون البيداء ، الي أن اقتربوا من نهر الفرات

(انتهى الجزء السادس ويليه الجزء السابع)

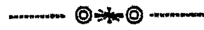
الجزء السابع من

تغريبة بني هلال الكبرى

الشامية الأصلية

قصة تمرلنك

وما جري له من الحروب والأهوال التي تستحق الاعتبار



(قال الراوى) ياكرام سبحان رب الأنام قلنا ان بني هلال قتلوا ملوك العجم وكان الخرمند صهر التمرلنك يحكم على بلاد الموصل فلما قتل الخرمند أرسلت زهرة لأبوها كتاب وأعلمته بقتل زوجها الخرمند فلما سمع التمرلنك ذلك الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وغضب غضب شديد ولبس كل شيء أحمر بأحمر وطلع إلي الديوان وهو بالغضب مليان قال وكان هـذا التمرلنك من الخوارج السابقين وكان فى زمانه قهر الملوك والوزراء وهدم البلاد وقتل العباد وكان فى زمانه ملك حلب والشام وحرث قلاعها وزرعها وأطعم خيله وكان له وزير من جملة وزرائه اسمه اسكندر فلما تكامل الديوان أشار يسأل الملك عن غضبه ويقول وعمر السامعين يطول :

قال الفتى المسمى الوزير اسكندر	والدمع من فوق الخدود تحدرا
والنار فى قلبي تهب وتنطفي	قد هب لاعجها وعادت تسعرا
ما أمير مالى فى الديار أشوفك	غضبان ولابس يا أمير الأحمرا
لا بد أتاك الاوم علم من العجم	أو من بلاد العامرة يا هل ترا
يكون قد جاك الخفاجي عامر	همهم عليـه مثل سبع يهدرا
هذاك حاكم على العراق جميعها	يما أتى بدريس اليكم طاير
يما أتاكم عبس خليفة راشد	أمير بالرستين ينهي ويأمرا
والا شبيب التبعي في الزرقا	أمير طى شبه سبع كاسرا
والا أتونا ملوك نجد جميعهم	تاسون بالشدايد منها مرمرا
قالوا ان نجد امحلت بلادها	سبع سنين ثم سبعة أشهرا

رحلوا وفى قصدهم أرض خصيبة　　بلاد تحمل بوشهم والعسكرا
ان كان أتونا يخربوا كل البلاد　　ويفعلوا فيها فعال المنكرا
بالله أخبرنى الأكيد الواضح　　قد حرت أنا فى أمري يافاخرا

فلما فرغ الوزير اسكندر من كلامه والملك التمرلنك يسمع نظامه فقال اسمع يا وزير وأنتم يا أكابر دولتنا وأشار يخبرهم

يقول التمرلنك أبو شميله　　أنا قاهر الابطال والفرسان
إذا قام سوق الحرب والخيل غايرة　　أطعن صدور الشوس فى عيدان
ملكت بلاد العجم بالسيف والقنا　　بسيفي ودرعي ثم عود الزان
قتلت أكابرها وكل ملوكها　　وأدعيتهم فى مدرج الأكفان
وكم من أمير راح منى هزيمة　　وذكرى وصل لسائر البلدان
ومن سطوتى ولت ملوك كثيرة　　وسيطي وصل للسند مع عمان
كتاب من زهرة أتانى وراعنى　　خبر أكيد مابه بهتان
بأن هلال قد أتوا للحلة　　وتملكوا الكوفة وكل مكان
أميرهم حسن الهلالى أبو على　　أمير ابن أمير وراجح الميزان
وأبو زيد الهلالى هذاك عمه　　ومثله دياب مشبع الجوعان
وصلوا الراس العين ونزلوا بأرضها　　وكان درى الخرمند يا اخوان
طلب لعشر المال منهم بلا بطا　　أعطوه ضرب سيوف وعود الزان
وقتلوا الخرمند وملكوا للعجم　　وسلطنوا من بعده النعمان
ألا يا اسكندر اجمع الجيش للقا　　وشدوا على خيل ملاح ضمان

فلما انتهى الملك من كلامه والوزير والقوم يسمعوا نظامه فقام من بين الوزراء وزير وقال له يا ملك الزمان ارسل للبلاد واجمع العساكر ودعنا نلاقي بنو هلال قال فتقدم الوزير اسكندر وقال أنا عندى رأى أنك ترسلنى أغزي بنو هلال وأنت تبقى هنا فأمره التمرلنك أن يأخذ معه مائتين ألف مقاتل وقال له سر بالعساكر واحفظوا حالكم وكونوا رجال فسار الوزير اسكندر بالعساكر إلى أن وصل إلى مكان يقال له القصر فوجد فيه تجار آتيين من بلاد العجم فسألهم من أين أتيتم وإلى أين أنتم متوجهين فقالوا أتينا من بلاد العجم إلى هذا المكان فاستدعى كبير التجار وكان اسمه كمال الدين وقال له ماذا سمعت أنت عن بنو هلال فأخذ يوصفهم له بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد :

يقول كمال الدين عما جرى له ... بدمع جرى فوق الخدود وسال
أزيد أعلمك يا أمير عما جرى لنا ... ألا يا اسكندر ليت عمرك طال
أنا من طريق العجم قد جئت قادم ... ومعنا بضايع يا وزير احماله
بهارات من أرض الهند معنا ... وحملتها من فوق ظهر جمال
طلعنا من البصرة إلى بر الحصا ... إلى جا كده جينا إلى شموال
وجينا إلى شيبه ورحبه وأرضها ... إلى قصر شروان أتينا بحال
لقينا جيوش سدت القاع والفلا ... وملوا الأراضي سهلها وجبال
أمارا كبار يدهش العقل شوفهم ... ومن شافهم عقله غدا بالحال
لهم نزل يا أمير ضيق الفضا ... إذا سرحوا ببوش لهم وجمال
مسير ثلاث أيام يا مير نزلهم ... خيمة بخيمة حنك يا مفضال
خرمند أرسل يطلب العشر منهم ... وعشر بنات مفتنات جمال
فقال أبو زيد الهلالي سلامي ... ما له عندي غير ضرب نصال
وكان ركب الصنصيل وجمع قومه ... وجاء الفتي القمقام والابطال
وعند الضعن صاحت ملوك عامر ... وأما العرب مالوا ترى بالحال
ياما غدا منهم ملوك كثيرة ... وراحوا من تحت الوطا ونعال
قتلوا ملوك فى ذابل القنا ... ودعوا الفوارس بالفلا أجفال
وقد خربوا الكوفة وحلوا بأرضها ... وخلوا مداينها سريع تلال
وراحوا من الكوفة إلي أرض عاته ... وملوا إلى بلدانها وجبال
وملكها ترى الغضبان فارساً ... وابن اختة نمر ليس له مثال
قتلوا الوزير وابن عمه ورفقته ... وكل الفوارس قد غدون جفال
وفارقتهم من باب سنجا وأرضها ... وجيت البوادي مثل سيل سال
ويا ما نظرنا يا أمير بدربنا ... ومثل هلال ما رأيت رجال

(قال الراوي) فلما فرغ من كلامه والوزير يسمع نظامه فقالوا له كيف نركب عليهم ونقاتلهم فقال لهم الوزير الرأى عندى أن نرسل من عندنا مايتين فارس الي بلاد الرها يكشفوا لنا الخبر ونحن نتقي هما حتي يأتي الملك واذا قال لنا لماذا ماذهبتم نخبره بأن أتانا علم أن بنو هلال نازلين فى بلد جاكده ونحن أرسلنا رواد يكشفوا لنا خبرهم وبقينا ننتظرهم فقالوا الجميع هذا هو الرأى والصواب (اسمع ماجري للتمرلنك فانه بعث المكاتيب الي جميع البلاد بجمع العساكر وضبط أعدادهم

أقام أربع كرات وجابوا معهم المدافع واحضر ابن أخته شروان وقال له احكم موضعي حتى احضر لك وطفا بنت دياب فقال على الراس والعين ثم انه سار بالعسكر والجيوش يقطع البراري والقفار والسهول والأوعار حتى وصلوا الي بلاد القرقس الذي نازل فيها الوزير اسكندر فلما وصل الملك لاقاه الوزير وسلم عليه وقال له علامك مالحقت بنو هلال فحكى له ماصار فعند ذلك غضب الملك غضب شديد وزاده ألهم والتنكيد وأمر بقتله فتشفعوا فيه ملوك العجم من القتل فصفح عنه ثم أنهم ساروا على بنو هلال الى أن وصلو الراس العين ونزلوا فى ذلك المكان قال اسمع ماجرى الي بنو هلال فان الامير حسن رأى منام هائل الاحلام فلما أصبح الصباح استدعي أبو زيد والامير دياب والقاضي بدير وكل الامارا وراح يخبرهم بالمنام ويقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى حسن الأمير أبو علي	الدمع من فوق الخدود سجام
أيا قوم اسمعوا لي قصتي	وافهم يا أبو زيد يا ضرغام
شفت في نومي مناما راعني	وأصبحت منه موجع وسقام
قد شفت لآل عامر كلهم	في بحر من غيث ثم غمام
ترانا في مركب بالبحر سائر	والموج يضربنا الى قدام
والريح جانا من شمال بلا جفا	قد زاد منه الضر والاسقام
من ساعته جتنا سباع كواسر	نزلوا لبحر الدم عام معام
وكان عاد مركبا وسط البحور	يقلب ونحن فى البحور نيام
عدنا جميعا وسط لجة كلنا	أكابرنا وصغارنا وغلام
أما السباع تواردوا من حولنا	شبه الدباب لاحقات الأغنام
هو أن ماء البحر أحدق مهجتى	وأما فؤادى والحشا ما نام
يا أبو مخير فسر لى المنام	وعجل علينا ريب عمرك دام

فلما فرغ حسن من كلامه هزوا الحاضرين رؤوسهم وقالو لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قال فتقدم أبو زيد والتفت وشاف انه صبره قد ال يوم الذى اتيني فى كتاب الرمل وتفسير الأحلام فراح ابنه صبره وأتى به فقام وضرب تحت الرمل ورسم الأشكال علي شرح الحال فشاف الأهوال فبكى وزاد بكاه شديد وأشار يقول :

يقول أبو زيد الهلالى سلامه	بدمع جرى فوق الخدود سكيب

ونيران قلبي كلما أقول تنطفي لها بين محنا الضلوع لهيب
من أجل منامك يا أمير أبو على دعي فى ضميرى لاعجا ولهيب
ولاظن مثلى حد قارى العلم دارس وربى على كل العباد رقيب
من أجل منامك صار فى القلب حسرة وقد عدت منه يا أمير مريب
وبساعة أنا يا أمير أفسر منامك وما قد جرى لك فى كلام عجيب
وقد شفت حالك فى بحر من الدما وانت بمركب زايد التقليب
فذاك بحر من المنايا رجالنا نخوضه ونحن فى بكاء ونحيب
وهذا ترانا نبتلى بشدائد ويا ما جري كل أمر عجيب
أما السباع تأتينا قبائل من أرض بعيدة مثل نار لهيب
جموع ألوف سدت القاع والقلا ويأتوا الينا راكبين جنيب
ونحن نخاف من العجم لاحقينا وأميرهم تمرلنك قوم صعيب
وان جاء الينا نقتله مع جموعه وندعيهم بالماضيات ذهيب
مقال أبو زيد الهلالي سلامه لا بد يجرى المقدر بلا تكذيب

فلما فرغ أبو زيد من كلامه قال حسن المعونة من الله تعالى هذا ما كان من بنى هلال وأما ما كان العجم فانهم بقوا سائرين حتى وصلوا إلي بلد الرها فجفلت منهم تلك البلاد وتوجهوا نحو رأس العين وإذا من جملة بني هلال نظروهم آتين مثل الجراد فعند ذلك ركب الأمير أبو زيد ولاقاهم وقال لهم من أنتم وإلى أين ذاهبين فقالوا له نحن من بلاد الرها ونزلوا علينا عساكر ملوك العجم خربوا بلادنا ونهبوا اموالنا فقال لهم أبو زيد كم عدد جيوشهم قالوا يا طويل العمر ما يعلم عددهم غير الله فلما سمع هذا الكلام ساق جواده نحو بني هلال حتى وصل عند الامير حسن بن سرحان وأشار يقول :

قال أبو زيد الهلالي بادروا للحرب يا أمير الملا لا تكابرى
يا أمير شد الخيل واركب سرعة تمرلنك جانا فى جيوشه غايرى
فهو أتي يأخذ ثار خرمند الملك أتانا بجيش شبه بحر الزاخري
نادى الفتي الزغبي دياب الماجد نادي علي مسرور بن الجمارى
أنا على النصف وحدى يا فتي وانتم علي شهود يا آل عامرى
ما قال أبو زيد الهلالى سلامي يا أمير شد الخيل واركب يا كرى

فلما فرغ أبو زيد من كلامه قال لهم كونوا على حذر من الغدر والأمكار فلموا بوشهم واخذوا حذرهم من الأعادى وباتوا إلى الصباح حتى صار وقت الضحى

ما اقبل عليهم احد فقال ابو زيد يا امير دياب اعذل من قومك الف ومن بنى زغبي الف ومن قوم القاضي الف ومن قوم حسن الف ومن بنى هلال اثني عشر الف ونسلمهم الضعن ونجعلهم اربع فرق من كل فرقة اربعة آلاف فارس قال فرجع دياب ولم الضعن وفعل مثل ما قال له ابو زيد واجتمعوا الأمارا عند الأمير حسن فقال لهم كيف الرأى عندكم قال الرأى أنك ترسل كتاب إلى التمرلنك واذا بالأمير دياب كان مسيره في البر نظر رجالا آتين من ناحية بلاد التمرلنك مسكهم دياب وأتي بهم الى الأمير فقالوا ما هذا يا دياب قال لقيتهم فى البرية فقال حسن أنا أكتب كتاب الي التمرلنك وأرسله مع واحد منهم ثم انه استدعا في قلم وقرطاس واشار يرسل الى التمرلنك ويقول :

يقول الفتي حسن الأميرابو على	بدمع جري فوق الخدود يسيل
ونيران قلبي كلما اقول تنطفي	يهب لها جوا الضلوع شعيل
نعم ايها الغادى على متن ضامر	تشبة غزا . بالفلاة جفيل
اذ جئت نحو التمرلنك بلا خفي	امير على العجمان امير ثقيل
وقله يقلك الامير ابو على	امير ابن امير سيد وفضيل
نحن ترانا سايرين مغربا	ولا نحن عليكم رايدين نزيل
الى الغرب نبغى يا امير بلا خفي	واولادنا فى وسط قيد ثقيل
ومن غدا نرحل يا امير عنكم	ولانى عليكم رايد التطويل
فعارضنا الدبيسى ابن مزيد	دعينا بلاده بلقعا ودهيل
ومن بعده جينا العجم بضعننا	ملينا اراضيها وكل سهيل
وقد جالنا الخرمند هو وقومه	وقد راح من حد السيوف قتيل
فان طعتنا اقصر وارجع لورى	والا تري تغدى بحد ثقيل
ماقال الفتي حسن الاميرابوعلى	ولا خير فى رجل يعيش هزيل

فلما انتهى حسن من كلامه طوي الكتاب وختمه بختمه واعطاه الي الذين جابهم الامير دياب وقال لهم اعطوه الى التمرلنك فأخذوه وساروا حتى دخلوا عليه وقبلوا يديه واعطوه الكتاب اخذه وقراه وعرف رموزه ومعناه طرق راسه فى الارض وصفن مقدار ساعة من الزمان وقال مرادى ارسل لهم خوب واطلب منهم عشر المال والخيل والجمال والبنات الحسان وبالحال استدعى بقلم وقرطاس واشار يقول :

يقول التمرلنك على ما اصابه ولى مدمع فوق الخدود سيل
من اجل كلام البدو يا قرومنا واصبح جسمى والفؤاد نحيل
ارسل لنا ابن سرحان كتابه قد يصف شور زايدات نكيل
يهددنى بالحرب والحرب مقصدى ايا ريت ظني فهو رجل هبيل
هم يحسبونى اخاف من كلامهم ومانى بيوم الموزمات ذليل
ايا غاديا مني على متن ضامر عليها من الفرسان قرم ثقيل
اذا جيت الي حي الامير ابو على امير ابن امير زا كيا واصيل
سلم ترى كتابي اليه بلا بطا وخليه يقراه ولا يكون هبيل
يسمع ويقصر عن كلامه بلا خفي يسلم لنا ماله بلا تمهيل
وارسل لنا بنات من هلال وعامر بنات الأمارا طرفهم كحيل
من قبل تأتيك جحفل العجم ويأتي اسكندر فارس وثقيل
ويأتى مقدح والأمير مشعشع وشمعون والمسمى الفتى الدرفيل
وساداتها مائتين الف ومثلها ومائتين مدفع تتضرب تعجيل
ما قال التمرلنك انا ابو شملة انا قاهر الابطال بالتكميل

فلما فرغ التمرلنك من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه وكان عنده عبد اسمه الماس لكن كان شديد الباس صعب المراس فقال يا الماس خذ هذا الكتاب إلى حسن ابن سرحان امير العربان وقل له يرسل نصف مال بني هلال والنصف الآخر له بخشيش فأخذ العبد الكتاب وسار حتى وصل إلى عند الامير حسن دخل عليه وقبل يديه وأعطاه الكتاب اخذه وقراه وعرف رموزه ومعناه غضب غضباً شديداً ما عليه من مزيد وقال إلى قومه كيف يكون الرأي عندكم يا امارة فتقدم الامير ابو زيد وكب على الاقدام وأخذ الكتاب وفهم معناه رماه في الارض وأشار يرسل له الجواب ويقول :

يقول ابو زيد الهلالى سلامه ولى دمع جرى فوق الخدود سكيبها
من أجل كلام قد أفاض مدامعى وعدت اقاسي من كلامه لحيبها
وأرسل يريد المال منا غصيبة جموع هلال تأتيه اليها جديبها
فترسل تهددنا بطعن وغيره وما تعلم أين من الباع مريبها
فنحن رجال الحرب في يوم غارة بيوم يعود الدم يجرى سكيبها
فكم من ملوك كبار شتت شملهم واحوا من سيفي يقاسون لهيبها

أيا تمر لنك اجمع الاعجام وارتحل   لأرضكم سافر فما لك نصيبها
إن سمعك عن آل قيس وعامر   وآل زغبي خلاني وحبيبها
إن طعتنى ارحل بقومك يا فتى   نحنا سباع الفلا ثم ديبها
من قبل ما نعلق بكم نار حربنا   مغرور يوم الكون من يقدر يصيبها

فلما فرغ أبو زيد من كلامه طوي الكتاب وختمه بخاتمه وأعطاه إلى العبد أخذه وسار حتي وصل إلى عند التمرلنك دخل عليه وقبل يديه وأعطاه الكتاب أخذه وقراه وعرف رموزه ومعناه غضب غضبا شديد وزاد به الغم والتنكيد ثم ان التمرلنك استدعى بالوزير اسكندر وقال كيف اعمل بالعربان ما يعطونا حسب طلبنا وحياة راسي لأحصدهم وأجعلهم بالبرارى شريد قال له الوزير ماهو الجواب ياملك الزمان فقراه عليهم ثم قام الوزير اسكندر وقال دعنى يا ملك الزمان ان اكتب جواب إلى الامير ابو زيد فقال الملك لا يلزم جواب وباكرا نصلي عليهم نار الحرب ونسقيهم كاس الكرب وثاني يوم ركب الأمير أبو زيد وأشرف على القوم وإذ هم مقبلين مثل الجراد الناشر مالهم أول من آخر ولما نظرهم أبو زيد رجع وأخبر بنى هلال بهذه الأبيات

قال أبو زيد الهلالى سلامه   يا حسن جتنا العجم تمشى سريع
يا ملك جانا التمرلنك قاصد   من فوق أشقر يا أمير تلميع
والخيل من خلفه جراد زاحف   ودوارع وسيوف تلمع لميع
عشر ملوك كبار غير صغارهم   والتمرلنك فى قومه جانا سريع
يا دياب انهض واركب عاجل   واجعل الأعجام أن يغدوا قطيع

(قال الراوي) وهم فى الكلام وإذا بالعجم أقبلت مثل الجراد فركبت بنى هلال ولاقوا الاعجام ثم أنهم وقفوا فى جانب بعضهم البعض ونزل وزير من وزراء التمرلنك الى الميدان وكان اسمه يخان عرض وبان طلب الفرسان وصاح على بني هلال وقال هل من مبارز وهل من مناجز لا يبرز لي كسلان ولا عاجز وما فى حومة الميدان الا الوزير دخان فما أتم كلامه حتي صار القاضى بدير قدامه ورمى العمامة وصدمه صدمة هائلة وقال اه من تكون من الفرسان حتي جيت تصادم الوزير وقال له أنا قاضى العربان ثم التقوا البطلين كأنهم جبلين وتزقفوا كأنهم مركبين زعق على رأسهم غراب البين وثار الغبار على رأسهم حتى سد الأقطار تدوزحت حوافر خيلهم نار وما زالوا على تلك الحال الى آخر النهار فزعق القاضى

فى وجه دخان صوت مثل الرعد القاصف ثم انه ضربه بالرمح فأخذها دخان بالترس البولاد راح ضرب القاضي خايب فارتد عليه الوزير وضرب القاضي بالسيف أخذه بالترس شطح السيف على رقبة الجواد براها كما يبرى الكاتب القلم فوقع على الأرض فاراد أن يكمل عليه أدركه الرياشى مفرج فاركبوه جوادو والتقت الرجال بالرجال وجرى الدم وسال إلى وقت الزوال فعندها دقت طبول الانفصا وكل عاد الي حيه والاطلال ولما أصبح الصباح دقوا طبول الحرب والكفاح وركب التمرلنك بقومه وركبت بنو هلال وخرجوا إلي حومة الميدان واصطفوا فى جانب بعضهم البعض فبرز الوزير دخان الى حومة الميدان ونادى على الفرسان وقال لا ينزل الا الامير حسن ابن سرحان فما أتم كلامه حتي صار الامير دياب قدامه وقال له سد فمك لعن الله أبوك وأمك ثم انه أشار يقول :

قال أبو موسي دياب الغانم — دخان اغدي من قبالي هزيم
فوز فى نفسك وارجع يا فتى — أنا أبو وطفا ما أنت لى خصيم
هالوقت تنظرنى وتنظر همتى — لادعيك شطرين فى سيفي قسيم
انزل الى الميدان بادرنى سريع — وانظر الى طعنى كنار الجحيم
هالوقت أسقيك من سيفي عطب — وادعيك إعلى الوطي تبقى رميم
واقطع لراسك عاجلا فى صارمى — وادعيك من فوق الوطا تولي عديم
واوى عساكركم أيضا والملوك — أما التمرلنك اجعله حطيم
قول الفتى الزغبي دياب الغانم — لابد ما أسقيك كاسات الجحيم
رد الفتي دخان فى حرب الهمم — أسقى الاعادى من يدى كاس حميم
أنا مربع الخيل فى دز القنا — كم فارس غدا مني هريم
والسيف فى يدي ترانى شامطه — هندى يكاد يقطع الصخر المتيم
لابس على درع داودى عجيب — وخودتى تضي كما نجم الظليم
تحتي حصان ثاات جيد اللقا — موصى عليه خاص من خيل العجم
كم من أمير قد قتلته بالوغا — قدراح مني فى الوغي أصبح عديم

(قال الراوى) ولما فرغ دخان من كلامه التقى البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وغنا على رأسهم غراب البين وافترقوا كانهم أسدين فعندها ضرب دخان الى دياب بالسيف أخذها بترس البولاد راحت الضربة خايبة بعدما كانت صايبة ثم ان دياب انحرف على دخان وكان معلم الحضرة اذا صاح فيه الفارس وكان من

وراه تضربه الخضرا بالجوز فلما انحدف دخان وأراد يضربه التفت دخان من وراء دياب يريد يضربه واذا بالخضرا ضربته بجواز رمته هو والجواد على الارض فنزل له دياب وشده كتاف وقوي مته السواعد والاطراف وأخذه أسيرا يجره من وراه الى أن وصل لعند الامير حسن فقال ما هذا يا أمير دياب قال هذا دخان الذي قتل جواد خالي القاضي بدير وقتل من بني هلال ستة عشر فارس قال حسن والله هذا ما يستحي فيه ان يقتل ثم ان حسن أمر له في خلعة سنية ولبسها الى دخان وقال له لا تخف وعليك الامان ان رحت الى عند التمرلنك مع السلامة وان بقيت عند ناحلة البركة فقال الوزير ياملك الزمان اذا رحت الى عند التمرلنك ما أعود أقدر أنزل اليكم وان نزلت اليكم يقتلني التمرلنك والان أنا بقيت واحد منكم فقال حسن حلت البركة فقال يا ملك الزمان لي ولد عند التمرلنك فقال دياب أبشر أنا أجيب لك اياه فبقي دخان عند بني هلال اسمع ماجري من قوم التمرلنك فانهم لما أصبح الصباح ركبوا وركب ابن دخان وكان اسمه سكران فنزل الى الميدان وطلب براز الفرسان فنزل له دياب وقال له من أنت فقال له أنا سكران ابن الوزير دخان وقال أنت أسرت ابوي قال دياب نعم واليوم ألحقك فيه ثم التقوا البطلين كأنهم جبلين وافترقوا كأنهم مركبين وحان عليهم الحين وغنا على رؤوسهم غراب البين من طلوع الشمس الى الغياب ودياب ما يستحي بقتله اكراماً لأبوه ودامو على ذلك الحال الى ان امسى المساء دقت طبول الانفصال وافترقوا عن بعضهم وكل من طلب أهله وباتوا الى الصباح فنزلوا الاثنين الى الحرب والكفاح وتجاولوا في الميدان من الصباح الى المساء فقال الامير دياب متي وأنا أطول روحي وسحب الدبوس وضرب به سكران أرماه على القيعان ونزل اليه شده كتاف وعاد به الى عند أبوه الوزير دخان فضمه الى صدره وقبله بين الاعيان فاخبره بما أكرمه الامير حسن ففرح سكران وبقوا عند بني هلال هذا ما كان منهم وأما ما كان من امرهم لما راح الوزير وابنه صاروا في حساب وأمور صعاب وأما التمرلنك عصب الغضب الشديد وزاد به الغم والتنكيد وباتوا تلك الليلة الى الصباح دقوا طبول الحرب والكفاح وركبت القومين وترتبت الجيشين جانب بعضهم البعض ثم برز وزير من وزراء التمرلنك اسمه شاهين فنزل له طوي ابن مالك دقت ما اسمك أيها القادر فقال اسمي طوي ثم التقوا البطلين كأنهم جبلين حتي كلت من تحتهم الجوادين وتعب منهم الزندين ولم يزالوا على تلك الحال من الصباح الى العصر

فعندها قام طوى فى عزم الركاب وضرب شاهين فى عود القنا أخذها بترس البولاد راحت خايبة ثم قام شاهين فى عزم الركاب وضربه ومن عظم هوى الضربة وقع شاهين من علي ظهر الجواد الى الارض فرد عليه وضربه بالسيف على هامه القى راسه قدامه فلما شافت الاعجام إلى شاهين قتيل هجموا على العرب وهجمت العرب على الاعجام والتحمت القومين فى بعضهم البعض وصار بينهم شر عظيم حتى جرى الدم وهربت الانذال ولم يزلوا على تلك الحال الي أن دقت طبول الانفصال ورجعوا القومين إلي الصباح فعند ذلك اصطفت عساكر القومين وبرز الامير أبو زيد الي الميدان عرض وبان وطلب براز الفرسان فنزل اليه فارس من الاعجام يقال له اسكندر وزير التمرلنك وصدم الامير ابو زيد صدمة هائله وتلقاها وقال له على مهلك من تكون من الفرسان وأشار يقول :

قال ابو سرحان اسكندر . انني قرم غضنفر . راس فرساني وعسكر . دوم فى الجهات عابس . انني قرم غشمشم . من يعاندنى بيندم . بس يا فارس تترجم . اليوم اعدامك مقايس

فلما فرغ اسكندر من كلامه وأبو زيد يسمع نظامه أشار يرد عليه : يقول قال أبو زيد الهلالي . فارس يوم المجالي . عادته قتل الرجالى . يوم وقعات الصدام . جاك أبو زيد المسما . من لقاكم ما يهما . ضربتي والسن سما . سهمها يهرى العظام . من وقع فى يدى يزول . كم قتلت ملوك أكابر . شوف أيصاً مع عساكر . يا اسكندر قوم بادر . والتقينى بالصدام

فلما فرغ أبو زيد من كلامه التقوا البطلين كأنهم جبلين وحان عليهم الحين وغنى على رؤوسهم غراب البين ولم يزالوا على تلك الحال الى وقت العصر حتي كلت منهم الزنود فعندها قام الوزير فى عزم الركاب وضرب أبو زيد بالسيف أخذها بدراقه البولاد راحت خائبة ثم ان الامير أبو زيد هجم عليه كأنه السبع الكاسر وضربه بالسيف القرضاب على نواعم الرقاب واذا براسه قد تدحرجت على التراب وافل نجمه وغاب فلما قتل الوزير حملت العجم علي العرب والعرب على العجم وما كنت ترى إلا رؤوس طايرة وخيل غايرة وأدمية فايرة فانكسرت قوم العجم وانحطت منهم الهمم ولله در أبو زيد ودياب وباقى الشباب بما فعلوا من الفعال وما فرق بينهم الا الظلام ودقت طبول الانفصال وافترقوا عن الحرب والقتال وقد قتل من العجم خلق كثير وعادت بنو هلال على خيل شاردة وعدد مبددة ثم انهم باتوا إلى الصباح ودقت طبول الحرب والكفاح واصطفت الفريقين فنزل

من العجم فارس يقال له سعد الفلك فلما صار في الميدان عاد يلاعب الجواد على أربع أركان المجال فنز اليه أبو زيد الهمام قال سعد الفلك يا أبو زيد ما جابك إلا يومك وأشار يرمي مسائل على أبو زيد ويقول :

يقول الفتي المضنى الذي فاض ما به   سعد الفلك صور العذاري وقومها
ولي همه تعلا علي كل ماجسد   يخلي كراديس الفوارس هزومها
سلامه كلامك وسط قلبي ومهجتي   كما سطر الخط بيدى رسومها
قتلت أمارتنا وجملة كبارنا   وخضت الي سوق المنايا تسومها
ترى الحرب له صدمات ماحد يصلها   إلا صميدع يدعى من قرومها
وكم راح مني كل أمير مجرب   وراحوا من تحت الوطا عدومها
وما كل من نقل القنا يطعن العدا   ولا كل من رام المراجل يرومها
مالك تخاصم يا سلام بهمتي   لابد ما تغدى بسيفي حطومها
كم فارس يتمت منه عياله   وخليته درج الكفن في رسومها
أنا شاع ذكري في البوادى جميعها   كم فارس مني غدا طعم بومها
وتعرف تخاريم الرمل من الفلك   وتعرف حساب القيد وكل نجومها
وسمعت أنا قارياً في علامنا   وشاطر وأنت مدعي من قرومها
فسر لى شمس الضحى طبع القمر   وروجها وكم تكون نحومها
واعلمى عن اليوم كم فيه ساعة   وأنابيني عن سعدها ثم شومها
وإلا دهيتك يا سلامه بطعنة   وتكون ما بين الخناجر حكومها
وتعود كل الناس منك صريحة   وتروح من تحت الوطايا سقومها

قال فلما فرغ سعد الفلك من كلامه أشار يرد عليه ويقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه   دمع جري فوق الخدود يعومها
ونيران قلبي كلما أقول تنطفي   يهب لها حوا ضلوعى ضرومها
وكم بطيب العيش بخير ونعمة   وطير الهنا طيب له في نطومها
ولكن [illegible] في [illegible]   وسعد [illegible] [illegible]
[illegible]   ونأوى الى [illegible]
وحصت [illegible]   [illegible] [illegible]
وتعرف حساب يوم [illegible]   وتعرف [illegible]
[illegible] وجه [illegible]   وأ[illegible] [illegible]

[٩ — تغريبة]

وآما نهاره فى ثلاث عشر ساعة　　وليله احدى عشر للذي يرومها

ويطلع شرطين الحمل يوم سادس　　وعشرين تعودالارض تزهي نعومها

ويصلح فيه الفصاد والشرب الدوا　　ودهن الماورد تابع لشموحها

وتفور نهور الشام من كل جانب　　وتفيض للشط واردات تخومها

وتورق أشجار البلاد جميعها　　وتكتسى الأشجار ثم كرومها

أيار طبعه والثور بروجه　　واحد وثلاثين يوم حد يومها

وثامنه ياخوى فيه يطلع　　بيطن الحمل بالفجر خافى علومها

وثلاث عشر تنزل الشمس جوزه　　وأما ليالى الصيف يا رب ديمها

وأربعة وعشرين يبقي ليلة　　عدة عشر ساعات لمن جا يرومها

ونهاره أربعة عشر ساعة　　نفصلها إلى الزكي يا فهومها

وحزيران الخير برجه بجوزه　　ثلاثين حررنا مضبوط يومها

ومن كان زارع يجمع الآن زرعه　　ومن كان له خيل تولى لزومها

العقرب والميزان يطلع بدايع　　لها جوز مقرونات سبع نجومها

ويرد فيها بالقرب سبع كواكب　　فهى حمرة المريخ تنبي علومها

ويحكم فيه القيض والارض تكتمى　　وأربع وعشرين هاجت حمومها

وتبقي الشجر أنوان فى كل بلدة　　وترتاح فيها النفس لاحد يلومها

وفى يوم رابع عشر تنزل شمسه　　تحكم بالسرطان هذاك يومها

ويعود خمسة عشر ساعة نهاره　　وليلة تسعة للذى جاه يرومها

وتموز [illegible] سرطان برجه [illegible]　　واحد وثلاثين معدود يومها

عاشره [illegible] انزاع قدومه　　هجير يعم الارض بأقصي تخومها

وسابع عشر تميت الارض كلها　　من القيض كم يذوب شحومها

وتاسع عشر [illegible] الشمس بالاسد　　ويشتد حر القيض كم يهوى سمومها

ويوم واحد وعشرين [illegible] تبين　　بأنوارها شقر اليمانى قدومها

وآب [illegible] برجه　　واحد وثلاثين محسوب يومها

وثاني عشر [illegible] برجه　　وطاب [illegible] أكلها وكرومها

ويحيى [illegible]　　[illegible] سعوده [illegible] فى لزومها

وينكس [illegible] شديد وقيضه　　ويبدى الخريق لطيف [illegible]

وثاني عشر تمطر [illegible]　　ويموت من كل ناحل جسومها

وأربعة وعشرين يبقى نهاره ثلاث عشر ساعة واكد علومها
وليله يبقى أحد عشر ساعة وينزل من أنف العوالم زكومها
وأيلول برج السنبلة طبعه يابس وعدة أيامه ثلاثين من يومها
ويبقى الليــل والنهار سوية مقرون بالساعة إلي من يرومها
وسابع يوم قد تخفي بالحمل إلى الغار من أشرار قوم وشومها
ويوم ثامن فاض مصر قبلهــا تموج أمواجه بأقصى تخومهــا
وعيد الصليب أربع العشر منه وينفك فصل القيض من يومها
وتنزل بالميزان شمسه بواكد ومن كان ساطح غرفته رسومهــا
وأول خريف خامس عشر منه واشرب الدوا ينفع وحجبةدموعها
وتاسع وعشرين ترى الهواء بازغ مع الفجر له خمسة نجومها
وتشرين بالميزان برجه بواكد واحد وثلاثين قد رسمت يومها
ويكمل بمصر النيل يوم ثامن ونفسك غدت تسعالها فى هدومها
ويوم خامس تنزل الشمس للمقرب وبادر لقطع الخشب بكل عزومها
ويبقى ليله ثلاث عشر ساعة ونهاره إحدى عشر لمن يرومها
وثامن وعشرين انتقل فيه آدم أبو الأنبياء تراه وارث علومهــا
وتشرين الثانى له برج عقرب وعدة أيامه ثلاثين يومها
وفيه الزبانة تنبت يوم خامس تراها شبه ارج عالى قدومهــا
وثالث عشر الشمس بالقوس تنزل على لأرض تبق تارة من سلومها
ويبقى نهــاره عشر ساعات يافق وليله أربع عشر واكد علومهــا
وسبع عشر يغلق لبحر موجه ه لأرياح ثم تبقى رسومهــا
تمسى أعوام الارض فى يوم خامس وعشرين تجمد دمها فى لحومها
وفى ثامن وعشرين الثريا تسقط وتبقى الأفاعى بالزوايا لزومهــا
وكانون الأول برجه قوس يوقي واحد وثلاثين معدود يومها
وفي أوله تنظر ..لب ..ع ومن كان عنده شيء لا يسومهــا
وض الشجر ..وى ه لروح .... نسم هواها ...يت جسومهــا
واثنى عشر ...ى شمس ب...ى وقولي واكد .. به من ...ومها
وفصل الشتا يحكم ولعواله تكتفى عند ما ....بكل نفس لزومها
وتعمى ... في يوم رابع وعشرين ترى شوبة وعدة نجومها

وكم من فتى تلقاه على المساء هارب | كما خل جاموس جفل من حطومها
وتحمد على الاحجار من كل راكد | من الماء تحاكى لاالدات ركومها
وتبرق من كل الجهات اللوامع | يرعد تكامل رعدها من سمومها
وسابع وعشرين النعايم تعلقت | بأيام ما يجري لزيد حكومها
وكانون الثانى له برج الجدى | واحد وثلاثين مضبوط يومها
ويوم حادى عشر منه ابتدت | به المربعانية وولت همومها
وثانى عشر منه فصل الشتا | ترى الشمس تنزل دلوها وعرومها
رابع عشر منه يبقى نهاره | مدة عشر ساعات سحر قدومها
وليلة أربعة عشر بكل من أتى | يريد إلى علم الفلك ويرومها
فى مصر يصفي النيل من حير هجمه | وتصفي به الأيام يا رب دومها
وشباط برجه الدلو طبعه بارد | وثامن وعشرين جاء ربيع يومها
وسعد بلغ فى سادس العشر منه | يطالع بنود سعود ثنت فى ازومها
وتبدى اللواقع سادس من عندنا | انقصت أيامه وولت همومها
وسابع أول جمرة قد تحدرت | وارع ثانية من يرومها
وثالث عشر بالحوت تنزل | وتبقى جميع الناس تغرس كرومها
ورابع عشر فا سعود تبادرت | وبدت فى كل الشجر دموعها
ويبقى نهاره أحد عشر ساعة | وليلة ثالث عشر بانت قسومها
وخامس وعشرين الحوس تحكمت | ثمانية أيام تولت جسومها
ودار برج حوت أول ربيعه | واحد وثلاثين حررت يومها
وسعد [illegible] ذوبه قد [illegible] | وتحرج هوم الأرض من تحومها
ورابع عشر [illegible] قدم | وتبقى [illegible] تجرى دموعها
[illegible] | وعرة [illegible] تطوى حزومها
[illegible] عشر [illegible] شمس [illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible] مصر يومها
[illegible] | [illegible] في شلومها
[illegible] | [illegible] فى [illegible]
[illegible] | أحوال [illegible] آمر شومها

[illegible] كلا [illegible] وصاحة الأمير [illegible]

العجب وصاح وحمل عليه حملة الأسد فتلقاه الأمير أبو زيد كما تلتقى الارض العطشانة وابل المطر وانطبقوا الاثنين كأنهم جبلين وافترقوا كأنهم مركبين وحان عليهم الحين وغنى على رؤوسهم غراب البين والتطموا كأنهم مركبين ولم يزالوا على تلك الحال فى حرب وقتال إلى أن لاح منهم ضربتين قاطعتين كان السابق سعد الفلك تلقاها الامير أبو زيد بدارقة البولاد راحت خايبة من بعد ما كانت صائبة ثم هجم عليه أبو زيد وضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه وضربه بالحسام على قحف رأسه شقه نصفين وأرماه قتيل وفى دمه جديل قال وكان إلى سعد الفلك أخ اسمه عبد الفلك فلما نظر أخوه قتيل طار عقله من رأسه وانحدف إلى حومة الميدان وقال يا أبو زيد تقتل أخى وما تعرف أنى أنا أخوه ولكن أسألك مسائل ان رديت الجواب تكون مسامح بدم أخى ثم ان عبد الملك راح يتلى عليه المسائل ويقول :

يقول الفتى عبد الفلك يا سلامه　　ومنك بقلبي لاعجات الغرايم
أنا حافظ لكل العلوم جميعها　　بدرب الذكا والفهم مالي ملايم
فقل لي عن واحد عن الناس مختفي　　بقليق حاصر فعله دوم دايم
وقل لى عن اثنين والاصل واحد　　واثنين عبد وسيد ولعند قايم
واثنين ثم اثنين واثنين مثلها　　واثنين تأدب جميع العوالم
وقل لى عن اثنين لم تعرف الشبع　　واثنين مقرونين للحشر دايم
وقل لي عن شيء أحلى منه　　وعن شيء كله مثل العلاقم
وادم من حوا خلق يا سلامة　　وإلا حوا خلقت هي من آدم
خلقت من سائر أعضاه جميعها　　وإلا من بعض خلتها عالم
وأخبرنى عن روح في روح داخله　　من غير شمه خالطه فى لطعايم
ومن كان يسجد قبل إبليس وآدم　　الى ربه فى الف عام تمايم

فلما فرغ عبد الملك من كلامه قال أبو زيد يا عبد الملك هذه مسائل يعرفونها أولاد الصغار و[illegible] [illegible] عليه :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه　　كلامك نظرت قولك [illegible]
[illegible] [illegible] كان [illegible]　　ويرجو علينا بقليب [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] همتي　　يبود الوعى من تحت [illegible]
عبد الملك وقعت بقصبة سلامه　　ورجل يقع ما [illegible] [illegible] سالم

تقول لي عن واحد عن الناس محتجب   فهذا إله العرش للعبد راحم
وتقل عن اثنين عبده وسيده   فهذا النهار السيد والعبد خادم
واثنين ثم اثنين واثنين بعدها   واثنين تأدب جميع العوالم
فذاك شقي وسعيد والشمس والقمر   وأيضا سحاب ثم ريح النسايم
وقولك عن اثنين لم تعرف الشبع   خوا يطلب المال والدرس عالم
وقولك عن اثنين تتبع على المدا   نفس الماء من الذى كان قادم
وقولك عن شيء ليس أحلا منه   كلام طيب من وجوه الحشايم
وقولك عن شيء مر كالصبر طعمه   كلام سيفه ليس يخشى الملايم
وآدم من حوا خلق يا سلامه   والا حوا خلقت هي من آدم
أنا أعلمك مني العلوم أكيدة   خلقت من آدم وهو كان نائم
فلو يخلق منها ترى مادن خالقه   لكان الطلاق الى النسايا فهايم
وقولك من أعضاء خلقت جميعها   والا من بعض خلقها علايم
قد خلقت من بعض أعضاه يا زكي   خلقة شريفة زاهية بالحشا
ولو تخلق من أعضاه جملة   لكانوا بالميزان بالنصف قايم
وروح [illegible] روح هي داخله   من غير شبه حاطها بحر حائم
[illegible] كان [illegible] ليوان   روح بروح أضحى قائم
من كان يسجد قبل [illegible] وآدم   إلى ربه بألف عام تمايم
[illegible] نور [illegible] محمد   قبل ما يخلق بألفين آدم
[illegible] شرحتها   وإن كان عندك شيء فدوم وهاجم
[illegible] شيء و[illegible]   إن كنت يا عبد أملك لي تنادم
[illegible]   وبياضها من الريش أم من اللحايم
[illegible] سلامي   ونيران على زايدات الضرايم

قال فلما [illegible] كلامه تعجب [illegible] من فصاحته ثم انطبقوا الاثنين على [illegible] بسيفين كأنهم جبلين وحن عليهم الحين وغنى على رؤوسهم [illegible] ضرب [illegible] فقال السيف على [illegible] وفي [illegible] قتل [illegible] بطل الكون [illegible] الصباح دقت طبول الحرب والكفاح [illegible] (قال الراوي) [illegible]

بنو هلال التمرلنك تعجبوا من هامته وكبر قامته وهو كأنه البرج الحصين. فقال حسن يا أبو زيد ماذا تقول فى هذا الفارس . قال أبو زيد العــلم عند الله انه عفريت من عفاريت السيد سليمان . فقال حسن نادوا إلى الوزير دخان لئلا يعرفه فنادوا الي دخان فحضر فقال حسن يادخان من يكون هذا الفارس الذى فى الميدان فقال له ياملك الزمان هذا التمرلنك فقال حسن لا أحد ينزل اليه لانه سخطة من السخطات ، فقال دياب أنا أنزل اليه وعلى الله الاتكال ثم أنه نزل الى الميدان وصدم تمرلنك فالتقاه وقال من تكون من الفرسان قال له أنا اسمى دياب وكنيتى القصابه وحداف الرقاب فلما سمع التمرلنك هذا الــكلام صار الضيا فى عينيه ظلام وأشار يهدد عليه ويقول :

يقول التمرلنك على ما جرى له   بدمع جرى فوق الخدود سكاب
ونيران قلبى كلما أقول تنطفي   لهــا بين محنى الضلوع لهاب
الا يا دياب افتهم لمقالتى   ودائماً أنا يوم الوغا مهاب
وكم ملك مني قد راح هزيمة   وشلحته الملبوس والاثواب
أنا ان طعنتى اسلم بروحك   واغدى والا يافتى ترتاب
اغدى وارسل ابن سرحان أبو على   أميركم ينزل لى لا يكون خياب
فأنت مثلي يا دياب بلا حفا   ولا الف مثلك والنبي الوهاب
غيرى [illegible] بالسكون لفين فارس   إذا قامت الهيجا أنا القصاب
أنصر يا فتي رمحى بيدى وصارمى   وطاعت حكمى مدنها وجناب
لا بد ما آخذ بثارى بلا حفا   واقتل مشايخكم وكل شباب
ونسبى نساكم وكل أموالكم   ونأخذ غنايمكم مع الاسباب
ونأخذ ملابسكم وكل دروعكم   ونأخذ بناتاً راخيــات نقاب
واقتل أبو زيد الهلالي سلامى   وأنت ملكي يا أمير دياب

قال الراوى فلما فرغ تمرلنك من كلامه رد عليه دياب

يقول الفتى رعى دياب بن غانم   لانى غشاش ولا كذاب
ولانى جبان عند مشتبك [illegible]   خلى لعدا فوق الوطا تراب
[illegible] الامير زغبه هو فروع [illegible]   وحلى بدير والامير [illegible]
أنا راعى الخضرا [illegible]   [illegible] بطيح [illegible]
[illegible]   [illegible] ذاك الانساب

كم مثلك أسقيه بحد صارمي　　برمحي وسيفي ودز حراب
يا تمر لنك بادر لطعانى وشوفني　　وشوف الذى يغلب من الشباب

(قال الراوى) فلما فرغ الامير دياب من كلامه والتمرلنك يسمع نظامه التقوا البطلين كأنهم جبلين وحان عليهم الحين وافترقوا كأنهم مركبين والتطموا كأنهم بحرين وغنا على راسهم غراب البين حتى كلت منهم الساعدين وتعب من تحتهم الجوادين واختفوا عن العين وثار الغبار حتي سد منافس الاقطار وقدحت حوافر الخيل شرار النار ولم يزالوا على ذلك الحال من الصباح الي المساء ثم أن الامير دياب تعجب من قوة التمرلنك وعندها دقت طبول الانفصال ورجعوا عن القتال وباتوا الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح دقوا طبول العراك والكفاح فنزل التمرلنك الى الميدان وطلب الفرسان فتقدم اليه فارس من بنى زغبي يسمي مرداح وتجاولا فوقع بين الاثنين ضربتان كان السابق بها التمرلنك فوقع الحسام على هامه طير رأسه أمامه ثم نزل اليه ثانى فارس قتله وثالث جندله والرابع دهوره والخامس ما أمهله ولم يزل يقتل فارس بعد فارس حتى قتل منهم سبعة وعشرين فارسا وكان أمسي المساء فدقت طبول الانفصال فرجع كل فريق الى حيه والاطلال فجمع الامير حسن الامارا الى عنده وقال لهم كيف الرأى عندكم فقال القاضى بدير حسن ان بقى يبارز التمرلنك فارس بعد فارس على هذا الحال يقتلهم فى ساحة الميدان فقال حسن ما الرأى عندك يا أبو زيد لان مرادى ان تدبر لنا تدبير يكون مليح وكيف نسوى مع هذا اللعين والله انه فارس عظيم فقال أبو زيد الذي تريده يصير فقال حسن مرادى أن أرسل الي التمرلنك كتاب بسكي يمشى عنا ويقتل فقال أبو زيد الذى تريده افعله عندها استدعي حسن فى قلم وقرطاس وشار يرسل اليه ويقول وعمر السامعين يطول

يقول [illegible] حسن الامير أبو على　　بدمع جرى فوق الخدود سكاب
و[illegible] تنسى　　[illegible] جوا الضلوع [illegible]
نعم [illegible]　　[illegible] الريح مثل شهاب
ان جبت [illegible]　　[illegible] عمره [illegible] يشوف تكابه
[illegible] الامير [illegible] على　　[illegible] فروع انساب
[illegible] اتبع [illegible]　　[illegible] كلامى لا تريد عتاب

فان طعتنى اسلم بروحك وعزوتك   وفز بروحك من ملوك اعراب
من قبل ما تعلق بكم نار حربنا   وتوقع بأوشم شومها وانكاب

(قال الراوى) فلما فرغ حسن من كلامه طوى التحرير وختمه بختمه وأعطاه إلى عبد من عبيده فأخذه وسار إلى أن وصل إلى عند التمرلنك دخل عليه وقبل يديه وأعطاه التحرير فأخذه وقرأه وعرف رموزه ومعناه فغضب غضبا شديدا وسحب السيف وضرب العبد طير راسه واخمد أنفاسه وقال الى قومه باكر يكون آخر أيام بنو هلال قال وكان الى التمرلنك عبد ابن حلال اسمه جوهر ترك سيده حتى نام وسار لعند حسن واخبره بان التمرلنك غدا يركب عليكم فقال حسن يفعل الله ما يشاء فقال العبد جوهر ياسيدى مرادي اذهب فقال له حسن لماذا لاتقعد عندنا فاجابه لااقدر على ذلك خوفا من سيدي فامر له حسن بخلعة سنيه والف دينار فلما صار له هذا الانعام اخبره عن العبد الذى أخذ التحرير بان تمرلنك قطع راسه واخمد أنفاسه وما رضى أن يكتب لكم فغضب الامير حسن غضبا شديدا وودعهم العبد جوهر وسار وما درى فيه أحد لاأبيض ولاأسود وأما الأمير حسن فانه شاور الأمير أبو زيد على هذا الامر فاجابه هاتوا لنا ثمانين ألف جمل وحملوها ترابا ناعما ويركب مع الجمال ثمانون أمير من أولاد الامارا والعبيد تسوقها من وراء ونركب نحن وراهم والله يعطى النصر لمن شاء فاعتمدوا على هذا الراى ولما كان الصباح ركب الامير أبو زيد بقومه التسعين ألفا والقاضي بقومه والامير دياب بقومه والامير حسن بقومه ومشوا الجمال بعد ماحملوها ترابا وقال أبو زيد الى الذي مع الجمال اذا انكسرتوا تعالوا صوبنا ثم أنهم دقوا النوبات وركبت العكرات وطلبوا اللقا والثبات فلما سمع التمرلنك صوت الطبول دق طبله وركب بقومه ونزل الى الميدان عرض وبان وطلب الفرسان فنزل اليه الامير حسن وصدمه صدمة هائلة تهد الجبال وتقرب الاجال وتهددوا على بعضهم البعض بالاشعار والتقوا البطلين كأنهم جبلين وافترقوا كأنهم مركبين وحن عليهم حين وغنى على رؤوسهم غراب البين ولم يزالوا في كر وفر وهزل وجد وقرب وبعد إلى آخر النهار فعندها تحست الأسد بالمدافع وكانت عددها خمسمائة مدفع فعندها انكسرت من ... على ... فجفلت من صوت المدافع وكثر الصياح من وراء الجمال ... بالرماح وداروا تحت التراب وهب الهواء وثار العجاج ... حتى عميت الأبصار

فركضت الجمال وداست الاعجام وخيلها حينئذ هجمت العربان هجمة الأسود وطعنوا بالصدور والكبود . (قال الراوى) ما صار مثل هذه الوقعة الا يوم تعطيش النوق فى سيرة عنتر بن شداد ولم يزالوا على تلك الحال حتي داسوهم تحت سنابك الخيل فلما نظر التمرلنك الى ما صار فى قومه أراد الهرب واذا بالامير صبره ابن الامير أبوزيد عارضه فى الطريق وأعدمه التوفيق وصاح به قائلا له يا ابن الالف قرنان وأخس العجمان يا ما قتلت ملوك ويا ما سبيت حريم أما التمرلنك فانه التقى صبره بقلب مثل الصخر وتجاولا فى الميدان وتكسرت بينهم العيدان ثم هجم التمرلنك على الامير صبره هجمة الاسود وحمله على راحة زنده مثل العصفور بيد الباشق الجسور وارماه على وجه الارض . (قال الراوى) وكان صبره لما رماه تعلق فى صدره ومن عزم التمرلنك وقع هو واياه سواء وصاروا الاثنين على الارض وتعدل صبره على حصمه وسحب الخنجر وطعن به التمرلنك فى مفارق أمعاه شق بطنه واذا بالامير حسن أدركه وفى يده السيف ونزل وقطع رأس التمرلنك وعندها مالت العرب على العجم وفتكوا فيهم بالسيف وما سلم منهم الا كل طويل العمر وقاتوا على خزائن ملك لتمرلنك ونهبوها ورجعوا بنو هلال على خيل شردة وعدد مدده عملوا تلك الاموال وفرق الامير حسن على العربان وأخضر أقوام لتمرلنك وأحضر الوزير دخان واسمه سكران وألبسه عليهم ملك وقال حسن كل من خالف كلامه رميت رأسه وأخمدت أنفاسه قالوا حاشا ان نخالف كلامه وبعد ذلك ارتاحوا بعسكرهم من الحروب والصدام وأقاموا عدة أيام فى بلاد الاعجام ثم رحلوا وساروا الى ارض حلب :

(انتهى الجزء السابع من تغريبة بنى هلال ويليه الجزء الثامن)

الجزء الثامن من

تغريبة بني هلال الكبرى

الشامية الأصلية

قصة الخزاعي والملك بدريس في حلب

وما جري له مع أمراء بني هلال من الحروب والأهوال

(قال الراوي) يا كرام لما ذهب بنو هلال من بلاد الحماجي عامر إلى حلب وكان حاكم حلب يقال له بدريس وكان صاحب مال وخيل وجمال وعساكر وأبطال وكان وصل له خبر عن بني هلال انها أمحلت أرضهم والبلاد ورحلوا منها وما فعلوا في الملوك الذين حاربوهم وكيف أن لحماجي عامر أضافهم وسافر معهم فلما سمع هذا الكلام جمع أكابر قومه وخابرهم بهذا الشأن وكان عنده وزير يقال له الخزاعي فقال له علامة يا ملك جمعت القوم والفرسان فأجابه أريد أن أخبركم عن بني هلال وما فعلوا من الفعال ولا بد من أن يدخلوا بلادنا ويفعلوا فينا مثل ما فعلوا بغيرنا ويقتلوا أبطالنا وفرساننا وإذا ما عملنا تدبير وقعنا في أمر عسير . فلما سمعوا منه هذا الكلام عادوا في أمرهم متحيرين فعندها التفت الوزير إلى الخزاعي وقال أيها الملك العظيم أن عندي من الرأي أن ترسل لهم رواد إلى أرض الكيسا يرودوها ويكون معهم من العساكر والابطال ويكشف لنا خبرهم ويعود بالحال حتي نحضر حالنا لأجل حربهم وقتالهم فلما سمع منه هذا الكلام قال هذا هو الرأي الحميد وعمل لا محيد ثم استدعى برجل وكان شيطان مريد وجبار عنيد يسمى سابق وقال له عزمت أن أرسلك أن تذهب ترود لبني هلال وتنظر قومهم وفرسانهم وترجع [illegible] فعند ذلك سمع [illegible] وركب ناقة عشارية وصار يقطع البيد والقفار حتي أشرف على مخيم [illegible] بعدد [illegible] الفرسان [illegible] زيد [illegible] من حلب لكي ترود بني هلال وترجع [illegible] فأجابه

قائلا ما أخطأ ظنك وماعاد شيء مخبأ عليك ولكن قل لي عن اسمك حتى اعرفك فأجابه أنا أبو زيد والآن وصلت من الصيد فقال له ياأمير اعطني الأمان حتى أعلمك في جميع الأعلام فقال له عليك الأمان وألف مرحبا بك أنت ضيفي وكل من عارضك أرديته بسيفي عندها أشار سابق يقول وعمر السامعين يطول :

قال سابق ابن كاسب صادق   والدمع من فوق الخدود سراعى
قد جيت من حلب أرود جموعكم   وأنا رسـول للملك قطاعى
بدريس أرسلني برأى صايب   بدريس سيفه للعـدا قطاعى
أما الخزاعي يا أمير وزيره   يسمى محمـد ابن مفلح واعى
وأنا بظنك يا أمير سـلامه   أنا شبيه الشاة وانت الراعى
أبو زيد لك بين الملوك اشارة   كل الخلائق منها غدت ترتاعى
قول ابن كاسب للامير سلامه   يا ريت عمرك ماتشوف صداعي
رد أبو زيد الامـير الواعي   يا امير سابق انت رجل مراعى
انى خـبير بالرجال وفعلهم   وعملت حالك جيت الينا ساعى
وانت جاسوس بحيلة رايد   وقطعت وديان الفلا وقلاعى
تأخذ علام أولاد عامر سرعة   لبدريس الملك وأيضاً خزاعى
أبشروا من ضلال سـلامه   ما يوم ضيفي ياابن كاسب ضاعى
ان الملوك حواصل وغواضب   طعناتهم جوى الحشى لساعى
يا أمير سابق موج كل جموعنا   انظر بعينك صنعة الصناعي
اربع ملوك على التخوت جوالس   عز الملاح الراخيات قناعى
قله اذا عودت نحو اميركم   نفسه وينهيها عن الاطماعى
ما قال أبو زيد الامير سلامه   من كان يعرف للزبل يراعي

فلما فرغ أبو زيد من كلامه وسابق يسمع نظامه وأطرق الى الارض فقال له أبو زيد انت اليوم ضيفي قوم بنا الى المنزل فسار معه الى عند بيته وأكرمه غاية الاكرام وخلع عليه ثم قال له قم بنا يا سابق الى عند الامير حسن نراجعك فيه فأجاب اني أخاف من أن يقتلني فقال له لا تخف بكفالتي فقام وأخذه وسار لعند الامير حسن فدخل أبو زيد وسابق وسلموا عليه السلام وقاموا له على الاقدام فجلس عن يمين حسن وجلس سابق الى جانبه وقال حسن من أين ضيفك يا امير أبو زيد فقال له من حلب ولكن اسمه شي كثير ما تريد تعقده ناداه حسن

فقام سابق واقفاً وتقدم اليه وقبل يديه فقال له حسن أهلا وسهلا ومرحبا من اين آتى والى أين ذاهب يا سابق احكي وعليك الامان فقال يعيش راسك يا ملك الزمان وحكا له قصته على التمام ثم أقام عند أبو زيد عدة أيام وبعدها طلب الاذن للسفر فأذن له وأعطاه ألف دينار فسار وما هو مصدق بالنجاة الي ان وصل الي حلب ودخل علي سيده ووزيره وأشار يقول :

قال الفتى سابق علي ماجرى له	تري القول ينقص تارة ويزيد
وما زينة الانسان الا صدقه	وكذب الفتي يشينه والفنيد
غدوت انا يا امير من باكر الضحا	وكان بها برد وبعض جليد
انا رماني السير بأرض الكبيسة	بلاد الخفاجي عامر الصنديد
نظرت جموعا يا امير كما الرمال	تقول غماما أو كبحر مديد
مسير ثلاث ايام يا امير نزلهم	ويوم تراه بالعرض يا صنديد
الوف وميات ملوا واسع الفلا	وربي بقولي عالم وشهيد
اما حسن مقـــدام كل جموعهم	امير ابن امير ابن ست وسيد
وابو زيد داعي الشور والرأى كله	أبو زيد نجمه بالسما سعيد
أما دياب الخيل قرم مجرب	على ظهر خضرا فارسا وشديد
ومعهم مكاسب يا أمير كثيرة	وشفت طبولا يرعدون رعيد
وضربوا بلاد الفرس يا امير مفلح	وحله وكوفه والعراق عميد
وقد جاءوا العند الخفاجي عامر	بأرض الكبيسة والعراق قعيد
يا امير يوم ينزلون بلادنا	يخلوا بلادك بلقعا وهديد
يا امير شد الخيل بالزعف والزرد	وجرد قومك للوغا تجريد

ولما فرغ سابق من كلامه ولم يسمع نظامه تغير منه الاحوال من عظم الاهوال ثم التفت الي الوزراء والقواد وقال ما هو رأيكم أيها الاعيان هل نبادرهم بالقتال والطعان او ندعهم يحضروا الي البلاد بالامان فقالوا يا ملك الزمان نحن بين يديك ولا نخالف [illegible] الصواب فعله فقال الملك [illegible] حتى يحضروا [illegible] وتكون قد جمعت [illegible] انا حتى [illegible] علي سنة الرماح [illegible] فقال الملك هذا هو الرأي الموفق . ثم انه بعث الامراء الي جميع [illegible] فحضروا حالا بالفرسان والابطال وما مضي الا القليل من الايام حتى اجتمعت [illegible]

من كثرة العساكر وازدحام الدساكر فسر الملك بهم وأمر القواد أن يكونوا دائماً متيقظين لقدوم بنى هلال ومتي حضروا ضيقوا عليهم ولا تخلوهم يتفرقوا عن بعضهم البعض حتي تملكوا الجميع ولا يفلت منهم فطيم ولا رضيع ، وأما بنو هلال فانهم لم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى مكان يبعد قليلا عن حلب الشهباء وكان كأنه فردوس الجنان وهو بين كلس وعينتاب فنزلوا فيه وامتدوا فى نواحيه وأكلوا من الاشجار والاثمار وشربوا مياه الانهار فهربت الأهالي والسكان واعلموا الملك بهذا الشان فلما سمع بهذا الخبر تطاير من عينيه الشرر وفي عاجل الحال أمر بجمع الفرسان ثم استدعي اليه القواد وفرسان المعارك والطراد وأكابر الوزراء والاعيان واستشارهم بهذا الشان فقالوا له انك ترسل تطلب عشر المال والنوق والجمال فان أجابوا إلى هذا الطلب كان غاية المراد وان امتنعوا نبادرهم بالقتال والحرب والنزال فاستصوب الملك هذا المقال وفى عاجل الحال كتب اليهم يقول وعمر السامعين يطول :

يقول الملك بدريس ابن مهلهل ... بدمع جرى فوق الخدود بدايد
يا غاديا منى على متن ضامر ... يطوى برارى الفلا ثم الفدافد
اذا جيت الى حسن الهلالي أبو على ... فقل له جئت اليوم قاصد
وقل له بدريس حاكم في بلاده ... أرسل يقول لك ياابن الاماجد
وهذى ديارى قصدكم تملكوها ... وترعوا مراعيها وتسبي حصائد
فهاتوا لنا عشر [illegible] مع الغنم ... وعشر المال مع عشر الولايد
وهاتوا [illegible] وفتنة وغيرها ... وهاتوا فتاة الزين أى بنت فايد
وهاتوا فتاة [illegible] أم محمد ... وهاتوا وطفا بنت دياب الماجد
وهاتوا [illegible] بنت سلامه ... وريا وعيا ثم بنت ابن حامد
وهاتوا [illegible] بنت مليحة ... [illegible] يكونوا [illegible] لعتائد
[illegible] عقد [illegible] ... وفيتين [illegible] حوص التلائد
وفيتين [illegible] ... [illegible] من حيوب أحايد
[illegible] ... [illegible] تكون [illegible]

[illegible] طوى الكتاب وختمه بختمه واستدعى [illegible] الكتاب وسر في الحال وسلمه الى الامير حسن [illegible] هلال [illegible] في قطع القفار حتى وصل الى حي بني هلال

ودخل على الامير حسن فتقدم اليه وقبل يديه وأيادي الأمارا الذين حوله ثم سلمه الكتاب وطلب منه الجواب فلما قراه وفهم فحواه وتغيرت منه الاحوال واعتراه العجب ولكنه أخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد وأمر بأن يأخذوا الساعي الى دار الضيافة فأخذوه وبعد ذلك التفت الامير حسن إلى سادات الرجال وأعلمهم بالقصة وما كتب اليه بدريس من التهديد وأشار الى أبو زيد يقول :

قال الفتى حسن الهلالي أبو علي — أبو زيد اعلمي وكن شوارا
بحياة راسك يا أمير وقل لنا — واسرع لنا يا أمير بالأشوارا
هذا الملك بدريس اشغل بالنا — وأرسل الينا يطلب الاعشارا
يبغى لعشر المال يا بحر الملا — والابل والخيل الجياد المهارا
وعشر النسا يا امير مع كل الخدم — مع السلاح وهذا أعظم عارا
أبو زيد يا أبوزيد انت مشيرنا — فشور علينا اليوم شور جهارا
قول الفتى حسن الهلالي ابو علي — مهما اراد الله كان وصارا

فلما انتهى الامير حسن من كلامه وعرف أبو زيد والأمرا فحوى قصده ومرامه قال يا ابن عمي ليس لبدريس عندنا غير ضرب السيوف والطعن وأما الامير دياب صار الشرر يطير من عينيه وعوارضه ترقص في وجهه وقال علي في بدريس والراعي وحدي فاستحسن الحاضرون هذا الكلام منه فبعد ذلك أشار القاضي بدير يرد له الجواب ويقول :

يقول الفتى القاضي بدران قايد — ولي عزم أمضى من حسام بتار
يا غاديا مني على متن ضامر — يسير طير الجواز كان صاير
اذا جئت الى بدريس ابن [illegible] — فاعطيه مكتوبي و رجع باكر
بعثت تهدد [illegible] عسكرك — [illegible] مثل الجراد [illegible]
بدريس [illegible] — [illegible] من هلال [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وتسعين الفا ثم تسعين مثلها　　وتسعين أيضا في الحروب كواسر
أطغيت يا بدريس مالك حيلة　　فلست على حرب الامارا بقادر
والله والبيت العتيق وزمزما　　مع كعبة الغراء ومن جاء زائر
لابد من قتلك وقتل رجالكم　　واجعل دماكم بالاراضي فائر
من ذا الذي يرسل اليك حليلته　　أو ابنته أو ماله يافاجر
بأربع مذاهب حل قتلك يارديء　　من يستحل العرض حقا كافر

فلما فرغ من هذا الشعر والنظام استحسنه جميع السادات الكرام ثم ختمه وأعطاه للنجاب فأخذه وسار يقطع الهضاب حتي وصل الى الملك بدريس فناوله اياه فلما فتحه وقرأه اسودت الدنيا فى عينيه ثم استدعى بوزيرة الخزاعى فحضر الى بين يديه فأعلمه بواقعة الحال، وأمره بجمع العساكر والابطال فامتثل أمره بالعجل وجمع مائتين الف بطل فركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالرماح والنصول، وركب الخزاعى بهذا الجيش الكثير وركب معه كل سيد وأمير، وسار خارج البلد لاستقبال بنى هلال قبل وصولهم الي الاطلال وأما بنو هلال فانهم كانوا قد استعدوا للقتال واذا بالخزاعى قد برز الي ساحة الميدان وطلب براز الفرسان فبرز ليه الامير دياب كانه سبع الغاب فالتقاه الخزاعى بقلب كالحديد وصدمه صدمة الفرسان الصناديد وأشار يتهدده ويقول:

يقول الخزاعى والخزاعي اروعى　　كل الفوارس لا اخاف لقاها
اسمك دياب ولديب ستأكل　　يا ارذل الفرسان يا ارداها
وسهمك ايحضرا بعدك يا فتى　　وتنال نفسي منك كل مناها
في الخزاعى من مفلح صدتى　　وتحوى الفرسان يوم لقاها
ما عادت من رجوع ولا رجا　　حتى ولا وطنا بقيت تراها
رد الفتي ابو ذياب [illegible]　　الخيل تعرف همتى وطرادى
الخيل [illegible] كريمة　　والبيض فى اسمي الي تنادي
[illegible]　　[illegible] الحديد حادي
[illegible]　　[illegible] يوم جلادى
[illegible]　　[illegible] لا تطيق طرادى
[illegible]　　[illegible] وورقة الاولاد
[illegible]　　[illegible] لا تكون مرتدي

إني دياب الخيل ذباح العدا مردي الفوارس يوم حرب جلاد

فلما فرغ الامير دياب من شعره ونظامه وفهم الخزاعي فحوي شعره وكلامه زاد به الغيظ والحنق وهجم عليه وانطبق فالتقيا البطلين كانهما جبلين أو أسدين كاسرين وتضاربا وتطاعنا بالرماح واشتد بينهما الحرب والكفاح وكان الخزاعي من الابطال المذكورة والفرسان المشهورة فقاتل قتال الجبابرة وثبت ثبات الأسود الكاسرة ومازال مع خصمه في كر وفر وطعن أحر من لهيب الجمر من الصباح إلى وقت الظهر وكان الخزاعي قد استقل وضاقت به الحيل فطعن خصمه وهو على آخر نفس فانقلب دياب تحت بطن الفرس فراحت الطعنة خائبة بعد أن كانت صائبة فعند ذلك استوي دياب على ظهر الخضرا وضرب خزاعي بالسيف شذرا فالتقاها بدرقة البولاد فوقعت على رقبة الجواد فبرتها كما يبرى الكاتب القلم فوقع الوزير على الأرض وانحطم وصار وجوده كالعدم فأراد الامير دياب أن يثني عليه بالحسام ويسقيه كاس الحمام وإذا بقومه قد أدركوه ونشلوه ومن على وجه الأرض خلصوه فلما رأي دياب تلك الاحوال وهجوم الفرسان الأبطال والفرسان من اليمين والشمال صاح في بني زغبي وأمرهم بالهجوم والقتال وفي عاجل الحال التقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وجرى الدم وسال وتمددت الفرسان على وجه الرمال وعظمت الاهوا وكثر الصياح وتلفت الارواح وتكسرت السيوف والرماح . من شدة الكفاح ودور الخدود وراح ، وكثرت المصائب والأتراح وارتحت روابي والبطاح من ضجيج الابطال وقعقعة السلاح والأنين والنواح ثم كنت ترى الا رؤوسا طائرة وفرسانا غائرة ودمية فائرة وخيولا نافرة هذا وقد بلغ دياب غاية الأرب وأظهر في قتاله كل العجب وظفر بعساكر حلب وكسرهم أشد انكسار فولوا الأدبار وركنوا الي الهزيمة والفرار تتبعهم في جموع بني زغبي الشجعان وشتتهم في البراري والقيعان ومازال وراهم في الطلب حتى وصلهم في [illegible] حلب و[illegible] المدينة وغلقوا الابواب وهم في حالة الخوف والاضطراب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] كلام
[illegible]

فأذيقه الوبال واستخلص الغنائم والأموال . هذا ما كان من الامير دياب وبنى هلال وأما الخزاعى فانه رجع الى حلب وهو فى حالة العناء والكرب ودخل على الملك بدريس وأعلمه بذلك الانكيس وما جرى عليه فى ذلك اليوم التعيس وكيف قتلت الرجال وفقدت الاموال وظفر بهم بنو هلال فلما سمع منه هذا المقا . اعتراه الانذهال وخرج عن دائرة الاعتدال وبات بدريس تلك الليلة علي غير هدى وقد صمم أنه يخرج في ثاني الايام لقتال العدا ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أمر بخروج الابطال للحرب والقتال فاستعدت فى الحال وركب فى أول العسكر كانه الاسد الغضنفر وخفقت علي رأسه الرايات ومن حوله الوزراء والسادات وخرج بموكب عظيم وجيش جسيم فلما علمت بنو هلال بقدوم الملك بدريس للقتال استعدت فى الحال وركب الامير حسن فى الفرسان والابطال فاصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف وقد برز الملك بدريس إلى ساحة الميدان بقلب أقسي من الصوان طالباً براز الفرسان وقال لا يبرز لي سوى الاميرحسن ابن سرحان لانى أنا ملك وهو ملك فمن قتل خصمه حصل على طلبه وبلغ غاية قصده وأربه فما أتم كلامه حتى صار الامير حسن أمامه وصدمه فى الحال صدمة تزعزع الجبال فالتقاه بدريس وأشار يقول

قال بدريس الهمام الماجد ... اسمع كلامي يا حسن القائد
لابد لى من قتل كل رجالكم ... فى حد سيفي يا أمير القائد
واقتل أبو زيد الامير سلامه ... وذياب والقاضى بدير الفايد
قال الملك بدريس هذا يومكم ... يا من يودع قومه ويعاود

(قال الراوى) فلما فرغ بدريس من كلامه أجابه الامير حسن على شعره ونظامه يقول وعمر السامعين يطول

قال الفتى حسن الهلالى أبو علي ... نيران قلبى زائدات وقائد
لابد من قتلك ونهب أموالك ... مع قتل أبطالك وكل معاند
و [illegible] ... لابد أن يبقوا الجميع فقائد
فوى [illegible] تسعين [illegible] ... تسعين فى تسعين ألف معاضد
أنعم يا أمير [illegible] ... فترى الفتى منهم كصخر جامد
فيهم أبو زيد الامير سلامه ... وذياب والقاضي بدير الفايد
هل ما رأيت ذياب قتل جموعكم ... وكسر عساكركم بغير مساعد

واليوم تبقى يا أمير مجندلا ومددآ بين الفوارس فاقد

(قال الراوى) فلما فرغ الامير حسن من كلامه وفهم بدريس فحوي شعره ونظامه زاد حنقه وكثر غيظه فهجم عليه وحمل كانه قلة من القلل أو قطعة فصلت من ذيل جبل فالتقاه الامير حسن فى الحال واشتبك بينهما القتال وعظمت الاهوال وكانا تارة يتقدمان وتارة يتأخران كانهما أسدان كاسران أو بحران زاخران وما زالا يتجاولان فى ساحة الميدان حتى قصرت من تحتهما الجوادان وكلت منهما الزندان وتعجب من قتالهما الفرسان وقد اختلف بينهما طعنتان وكان السابق بدريس فراحت خائبة بعد أن كانت صائبة فارتد حسن اليه وهجم عليه وضربه بالسيف فاستتر فى درقة البولاد فبرى السيف رقبة الجواد فوقع على بساط المهاد كانه طود من الاطواد فأراد حسن أن يضربه بالحسام ويسقيه كاس الحسام فأدركه قومه فى الحال وخطفوه من ساحة المجال وأركبوه ظهر الجواد وفى الحال اشتبك القتال والطراد والتقت الاجناد بالاجناد وتضاربوا بالسيوف الحداد والرماح المداد وتحكمت السيوف فى الجماجم والاكباد فما كنت ترى فى ذلك اليوم المهول إلا ضرب السيوف وطعن النصول وهذا مجروح وهذا مقتول وما زالوا على تلك الحال وهم فى أشد القتال الى وقت الزوال فدقت طبول الانفصال فرجعت بنو هلال إلى المضارب والخيام ولاقوا الامير حسن بالترحاب والاكرام ودعوا له بطول العمر والدوام فشكرهم على ذلك الاهتمام وأما بدريس فانه رجع وهو غضبان كثير الهموم والاحزان وقد خاف من العواقب وحلول المصائب وفى الحال كتب الرسائل وأرسلها الى ولاة المدن والقبائل يطلب منهم المساعدة والامداد بارسال العساكر والاجناد لقتال بنى هلال والاوغاد وأن يبادروا اليهم بالعجل ويحيطوا عليهم من أربع جهات المجال لينتهي الحال وتنقضي الاشغال ويبقى هو الحاكم على البلاد بالعساكر والاجناد فوصلت هذه الرسائل والاخبار الى ولاة الاقطار فشرعوا فى الحال وجمعوا الرجال والابطال وقصدوا بني هلال من جميع الجهات كالاسود فى جمع كبير فباتت بنو هلال فى سرور وفرح وشرب خمور . [illegible] قد هجمت عليهم من كل جانب وأحاطت بهم من اليمين والشمال من جميع جهات المجال وهم كعدد الرمال فهجموا عليهم على الاثر وسبوا النساء والبنات فعلت الضجات وتكاثرت الصيحات وتحققت بنو هلال شدة الضيق وعدم السعادة

والتوفيق وايقنوا بالهلاك والدمار وقاتلوا فى ذلك النهار قتالاً يذهل الابصار والقوا نفوسهم على الاخطار وما زال الحرب يعمل والدم يبذل والرجال تقتل حتى صار وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فافترقت العساكر عن بعضها ورجعت الجيوش كل طائفة الى ارضها وبات بدريس في سرور وانشراح وانبساط وافراح على ذلك الانتصار والنجاح وبات بنو هلال فى أسوأ حال مما اصابهم من الذل والوبال ولما اصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح جمع بدريس اكابر اعيانه وارباب ديوانه وقال لهم اعلموا ايها الرجال بان بنى هلال قد حل بهم النكال وتضعضعت منهم الاحوال ومرادى الآن ان اطلب منهم عشر المال فان ابوا وامتنعوا ومادفعوا فحينئذ نقاتلهم فى النهار ونستخلص منهم المال بالقوة والاقتدار ونبليهم بالويل والدمار فلما سمع الخزاعى واكابر الديوان هذا الكلام قالوا افعل ما تريد ايها الهمام فعند ذلك كتب لهم هذا القصيد على سبيل التهكم والتهديد

على ما قال الملك بدريس صادق   غدا نركب عليكم يا هلالي
غدا نركب بجيش عرمرمي   شبيه الغيث فى عدد الرمال
وعربان الحيرة والسويدة   وعربان الدهيمى والموالى
تراهم يوم تنتشب العوالى   كسبع طالب صيد الغزال
واقتل منكم الأمير قيس   وآخذ خيلكم ثم الجمال
واقتل آل رعى مع اهلالي   بضرب السيف مع طعن النصال
وآخذ من دياب الخيل بنته   ولا أفكر لنكبات الليالي
هات ضوعتي تلك الأماني   وهات لعشر خيلك والجمال
وهاتوا من بنات هلال حمله   جمال لطعن وفتنة كالهلال
وهاتوا الحرية مع بنت كاملي   ووطفا ثم نخلا ذى الدلال
وارسل لى عصور الخيل [illegible]   [illegible] صهركم [illegible] الرحال
و[illegible] ترسل لى [illegible]   [illegible] واستعدوا للقتال
[illegible]   [illegible] سمع مقالي

فلما [illegible] كتب [illegible] وسلمه [illegible] و[illegible] يسير فى [illegible] ويسلمه [illegible] الامير حسن [illegible] على الامير حسن وسلمه الكتاب وطلب [illegible] الحرب [illegible] وعرف [illegible] [illegible] [illegible] الصداوة ثم [illegible] الامير

حسن الى سادات الرجال وقرأ لهم ذلك القصيد وقال لهم ما قولكم أيها الاماجيد في هذا التهديد ثم أشار يقول :

ألا يا بنى عمي وكل قرايبي … أنا حسن فلست يا أهل ذليل
بدريس ارسل يطلب الخيل والنسا … ويطلب بنات طرفهن كحيل
فان كنتم تعطوه ما هو طالبه … فاعلموني بصدق القول بلا تطويل
وان كان مانعطوه يا قوم بادروا … الى حربه يا قوم بلا تمهيل
أبو زيد أخبرنا أبو زيد قلنا … فانت لنا بالنائبات دليـــل
وانت يا زغبي دياب الماجد … وانت يا قاضي أمير جليـــل
فرأيك مبارك والنبي يا ابن فايد … وتعرف بما قد جاه في التنزيل
فقولوا لنا ما دا نشوروا جميعكم … فما عاد إلا يا كرام نشيل

فلما فرغ من هذا القصيد قالوا ان الرأى السديد عند أبوزيد الفارس الصنديد فلما سمع أبو زيد هذا الكلام وعرف القصد والمرام قال الذى يلوح فى فكرى أيها السادات الكرام هو ان اكتب أنا والامير حسن إلى بدريس ابن اللئام نوعده بارسال المال بعد عشرة أيام بشرط أن يرفع عنا القتال والحرب والنزال وعند فروغ الوقت المؤجل نرحل فى الليل من هذه الاطلال وهو لا يعلم بنا حتى قطعنا مسافة يوم أو أكثر حتى اذا لحقنا بالعسكر نبادر بالقتال ونسقيه كاس الوبال ونملك مدينة حلب ونبلغ القصد والارب فاستحسن الحاضرون هذا الخطاب ورأوه عين الصواب فعند ذلك كتب الامير حسن يقول وعمر السامعين يطول :

يقول الفتى حسن الهلالى ابو على … أبشر أتاك الخير يا بدريس
لا اشروا وقد أجبنا مر مكم … عدا الخير يأتى فى ظهور نعيس
ونعطيك فتنة يا أمير وعيرها … ونعطيك أموالا وكل نفيس
ألا [illegible] ملك بدريس أنت أميرا … وقولي صحيح ما به تدليس
[illegible] … ولا تستمع يا أمير شور [illegible]
[illegible] … [illegible]

[illegible]

[illegible] :

[illegible]

حكمنا على عشرين تخت لابي علي ولا صدنا عنها ملك همام
فحلت أراضينا وقد قل خيرها وعدنا بحيرة والامور عظام
جئنا من نجد العدية مغرب وفي فكرنا نذهب لارض الشام
مررنا على الشهباء حلب بطريقنا ونرحل عنها جائزين قوام
تعرضنا ايا أمير بدريس بالعجل طغاك الخزاعي والامير خزام
أيا أمير بدريس فما أنت خصمنا ولا لك علينا ثار يا صدام
فان طعتني فاسمع كلامي وقصتي فسفك الدما يا مليك حرام
ولا تضرم النيران يا فخر الوري فكبر المنافس للقرى هدام
أنا ابن رزق الخيل ابو مخيبر أنا للفوارس في الوغي صدام
ستعطيك يا امير ما أنت طالبه ولكن ستمهلنا عشرة أيام
فقال أبو زيد الهلالي سلامه ونيران قلبي زايدات ضرام

(قال الراوي) فلما فرغ الامير أبو زيد من كلامه وشعره ونظامه طوى الكتاب [illegible] وسلمه مع كتاب الامير حسن الى النجاب فأخذه وسار وجد في قطع [illegible] حتى وصل الى عند حلب عند نصف النهار فدخل على الملك [illegible] ثم ناوله الكتاب ودعا له بالنصر على اعاديه ، فلما قراه [illegible] فرح [illegible] ما عليه من مزيد ، والتفت الى ارباب [illegible] وقال لهم لقد بلغنا المراد وحصلنا على [illegible] الخزن في [illegible] لوضع الاموال التى [illegible] والحارات [illegible] البنات المخدرات [illegible] وفرشوا الحارات [illegible] الغموم والاوهام وكتب الي الامير حسن [illegible] الدخول الى حلب وذلك على [illegible] وهذه صورة الكتاب

[illegible] صادق الانشادي
[illegible] يا اجودي
[illegible] اهدي
[illegible] وحوزوا بالملا [illegible]
[illegible] من كل [illegible]

هذا كلامي بالامان فادخلوا والختم من فوق الكتاب شهادى
كونوا براحة بال من بعد العنا يا ابو على يازينة الامجاد

(قال الراوى) ثم انه طوي الكتاب وسلمه إلى النجاب وأمره أن يسير فى الحال إلي بني هلال ويسلم الأمير حسن الكتاب ويأتيه بسرعة الجواب فامتثل وصار ودخل على الأمير حسن فى ذلك النهار فسلمه الكتاب وطلب الجواب فلما قرأه وفهم فحواه فرح الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد فاخلع على النجاب وأرسل معه الجواب وهو يتضمن على كلام لطيف ويشكر بدريس على ذلك التصرف ثم انه أعلم سادات بنى هلال بما كتب بدريس من المقال فاعتراهم الفرح والطرب بعد ذلك الغم والكرب ومن ذلك اليوم ابتدأت العرب تدخل إلى مدينة حلب فيشتروا من أهلها البضائع الثمينة ويبيعوهم من المكاسب التى اكتسبوها من كل بلد ومدينة وما زالوا على تلك الحال وهم في انشراح بال حتى اقتربت الوعدة ومضت تسعة أيام من المدة وعند ذلك اجتمع الأمير حسن بالأمراء والسادات الأماجد وقال لهم هذا اليوم التاسع ولم يبق لنا غير يوم واحد فما هو رأيكم أيها السادات والفرسان فقال أبو زيد الرأى أن نركب ظهور الخيل ونسير فى ظلام هذا الليل وأن لا يذهب أحد من العرب فى هذا النهار الى حلب خوفا من أن بدريس يعلم بواقعة الحال ويقبض عليه ايما تقدم له فاستحسن الأمراء هذا الخطاب [illegible] عن الصواب وفى الحال [illegible] الأمير حسن [illegible] بين جموع العرب أن لا يذهب أحد منهم الى حلب [illegible] ما كان من بنى هلال وما صمموا عليه من [illegible] ما كان من ملك [illegible] الى اليوم [illegible] ولما بلغه [illegible] أحد [illegible] من عرب العشائر [illegible] بعض الجواسيس فى ذلك اليوم ليكشف [illegible] وهو دو مكر [illegible] فعرزيه [illegible] حتى لا يعرفه أحد [illegible] من [illegible] و[illegible] وصل [illegible] ولم يزل

على تلك الحال يصيح وينادي على الرجال وهو قاصد الامير حسن وفي يده الرسن فاتفق أنها حانت منه التفاتة الى وراه فلم ير أثر للحمار في تلك الفلاة فتعجب كل العجب وعرف أنها سرقته العرب فقال لقد أتفقنا بضاعتنا وفقد الحمار منا فجبر الله عنا ولما وصل الي صيوان الامير حسن جعل يتجسس الاخبار بما أمكن فوجد عنده جماعة من الامراء المشاهير وهم يتداولون في أمر المسير فعرف المرام وأن قصدهم الرحيل تحت ستور الظلام فرجع على الاثر وأعلم بدريس بذلك الخبر فعظم عليه الأمر وتكدر ، وقال للخزاعي ومن حضر من الرجال قد خدعتنا بنو هلال بالمكر والاحتيال ومرادهم أن يرحلوا من هذه الديار تحت ستور الاعتكار فما هو رأيكم الآن في هذا الشأن ، فقال الوزير الرأى عندي ياملك الزمان أن أسير بالمواكب وأكمن لبني هلال في سهل سراقب لانه لابد لهم من العبور من ذلك المكان ثم تدركني أنت بباقي الابطال والفرسان ونبادرهم بالحرب والصدام من خلف وأمام ونبلغ منهم القصد والمرام فاستصوب بدريس هذا الكلام فعند ذلك ركب الوزير خزاعي بما تيسر من العسكر وقصد سهل سراقب وكمن لبني هلال في تلك السباسب وكان الملك بدريس قد كتب الي ولاة المدن والبلدان يطلب منهم أن ينجدوه بالابطال والفرسان فارسلوا له بالعجل مايتين الف بطل ففرح واستبشر وأمل ببلوغ الوطر ثم دقت الطبول ونفخت الزمور وتقلدت الرجال بالرماح والنصول وعليت الفرسان على ظهور الخيول وسار بالعساكر والشجعان قاصداً ذلك المكان .

(قال الراوي) هذا ما كان من الخزاعي وبدريس وما جرى لهما من الكلام والحديث وأما ما كان من بني هلال فانهم لما أظلم الظلام أمر زيد العرب أن توقد النار أمام المضارب والخيام حتى لا يشعر بهم أحد من الانام وان تركب الحريم والعيال على ظهور الهوادج والجمال وتسير أمام الابطال ففعلوا كما أمر وتجهزوا للمسير وسار ... عامر بخمسة آلاف من الفرسان والشجعان مع البنات والنسوان حول ... وطوارق الحدثان حتى وصل القرب من سراقب ... [illegible] ذلك المكان أدركه الخزاعي بالابطال والشجعان وهجم عليهم ... [illegible] ... وهجم العساكر والابطال من اليمين والشمال ... [illegible] ... وخاف على الحريم والعيال ... هو ومن معه من الابطال ... الاعداء بقلوب كالجبال وفي

الحال انتشب القتال وعظمت الاهوال وجري الدم وسال وكان الخفاجي كما تقدم الكلام من أشد فرسان الصدام فقاتل قتال الاسود ونكس الرايات والبنود وبذل فى الحرب غاية المجهود غير أن عساكر الاعداء كانت أكثر فانصبت عليه كعارض المطر فظفر الخزاعي واستظهر وذلك بعد قتال شديد وهجمات تشيب الطفل الوليد وأسر عدة من البنات والنساء المخدرات فبينما كان الخفاجي فى أشد الاهوال وهو غارق فى وسط المجال وعساكر الاعداء محيطة به من اليمين والشمال واذا بفرسان بنى هلال قد أقبلت الى ذلك المكان وأمامها الامير أبو زيد ليث الميدان وهو راكب على فرسه الحمرا وكان قد بلغه الخبر بما حصل الى الخفاجي فغار فى ساعة الحال بالفرسان والابطال حتى أدرك بنى هلال وهجم الى ساحة المجال وتبعته العساكر والجنود وقاتلوا قتال الاسود فخرقوا الصفوف بطعن الرماح والسيوف وبعد معركة عظيمة ومذبحة جسيمة خلصوا البنات والنسوان من الاسر والهوان وأبلوا الاعداء بالويل والحرمان وما زالوا على تلك الحال وهم يجندلون الفرسان والابطال الى قرب الزوال. واذا بغبار من خلفهم قد ظهر وثار وبعد ساعة انكشف للابصار وبان عن عسكر جرار كعدد رمال البحار وكان هذا عسكر بدريس ملك حلب قد حضر لقتال بنى هلال ليبليهم بالذل والعطب لاننا كما ذكرنا فيما سبق الان بأنه أرسل الى ولاة المدن والبلدان يطلب منهم النجدة والامداد فأمدوه بالعساكر والاجناد وكانت مائتين الف مقاتل بين فارس وراجل فخرج بهم من حلب وقصد بنو هلال وفى قلبه منهم اللهيب وما زال يقطع الروابي والقفار حتى أدركهم فى ذلك المكان وهم فى حالة الانتصار فبادرهم بالقتال من اليمين واليسار وفى الحال انتشب القتال وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال وتمددت الفرسان والابطال فى ساحة المجال واستمر القتال على هذا المنوال الى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال وانفصلت العساكر عن بعضهم البعض وبات كل فرقة فى ناحية من الارض وكان بدريس فى قلبه من بنى هلال [illegible] الاشتعال [illegible] وقد تمكنت المنية فى دق عظمه و[illegible] جسمه.

[illegible]

وكان [illegible] عقدت [illegible]

الصفوف [illegible] نشرت الرايات [illegible] على رؤوس

السادات الاعلام والبسناجق وبرز الخزاعي الى ساحة الميدان كأنه النمروذ ابن كنعان وطلب براز الفرسان وقتال الشجعان وقال لا يبرز لي من الابطال وسادات الرجال سوي أبو زيد المحتال فما أتم كلامه حتي صار أبوزيد أمامه وصدمه صدمة تزعزع الجبال فالتقاه الخزاعي بقلب كالجبال وأنشد وقال :

قال الخزاعي فالحرب مرادى   إنى مربع الخيل يوم طرادى
اليوم يا أبو زيد امحى جمعكم   وأنال غاية مقصدي ومرادي
وأقتل حسن أميركم بمهندى   وأقتل عرندس والامير حماد
وأقتل دياب الخيل من حاز الملا   وسآخذ الخضرا بضرب جلادى
والبيض آخذها وأقتل كل من   يوم الوغا عند البنات ينادى
اني وزير القوم جئتك عاجلا   فاليوم تبصر شدتى وطرادى
وسآخذ الحمرا رغما يا فتي   من بعد طعن يشيب الأولاد
واجعل نساكم خادمات نسائنا   طول الزمان وما لهم من فاد

(قال الراوى) فلما انتهى الخزاعي من شعره ونظامه وفهم أبو زيد فحوى قصده ومرامه اغتاظ منه الغيظ الشديد على ما سمعه من التهكم والتهديد والوعيد فجاوبه بهذا القصيد وعمر لسامعين يريد .

قال أبو زيد الهلالي سلامه   اليوم تبصر يا خزاعى طرادى
اليوم تبصر حربنا وقتالنا   وطعنتنا بالرمح في الاجساد
[illegible] يا أخبث الوزراء والأوغاد
اليوم تبصر [illegible] وعزيمة أقوى من الاولاد
[illegible] ويشيب في هذا النهار فؤادي
[illegible] من بعد حرب يشيب الاولاد

(قال الراوى) [illegible] من هذا الشعر والنظام اغتاظ الخزاعي من هذا الكلام [illegible] صدمة [illegible] أبو زيد بالعجل وانطبق عليه [illegible] في ساحة المجال ما شيب رؤوس [illegible] معوارين وانهما [illegible] وتحيرت في قتالهما العساكر [illegible] قتال إلى أن سبق منهما ضربتان [illegible] كانهما [illegible] أبو زيد بالدرقة

البولاد فتعتعها وسقط على رقبة الجواد فبراها كما يبري الكاتب القلم فوقع أبو زيد على الأرض وانحطم فأراد الخزاعي أن يعجل فناه ويعدمه الحياة واذا بفارس قد أقبل من وسط المجال وصاح صيحة تزعزع الجبال وانقض على الخزاعي مثل العقاب الكاسر أو السبع الجائر وقال ارجع يا كلب الرجال فسوف يحل بك الوبال وتضحى قتيلا على الرمال وكان صراخ الأمير دياب ليث الغاب فانه لما شاهد الاحوال ورأى ما حل بأبي زيد من الوبال حمل في الحال والتقى الخزاعي في ساحة القتال فالتقاه الخزاعي بقلب كالجبال واشتد بينهما القتال وعظمت الاهوال وما زالا على تلك الحال الي وقت الزوال وهما في ضراب وطعان يحير عقول الفرسان وكان قد اختلف بينهما طعنتان قاتلتان وكان السابق الأمير دياب الأسد الوثاب فطعن الخزاعي بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الأرض يختبط بعضه ببعض فلما رأت عساكر حلب ما حل بوزيرها من العطب زاد بها الغيظ والغضب وحملت في الحال على بني هلال من اليمين والشمال بقلوب كالجبال وهم يصيحون يالثارات الوزير وقاتلوا قتال الأبطال المغاوير فالتقتهم بنو هلال واشتبك بينهم القتال وعظمت الأحوال وجرى الدم وسال وتمددت الرجال على وجه الرمال وما زالوا على تلك الحال إلي وقت الزوال [illegible] الانفصال وافترقوا عن القتال ورجعت بنو هلال في فرح واستبشار على ذلك [illegible] [illegible] عساكر [illegible] في غم وانكيس [illegible] تعيس لأنه كان [illegible] [illegible] عدداً كثيراً من العساكر ولا سيما قتل الخزاعي الوزير لأنه كان من [illegible] [illegible] في الحرب والقتال وعليه الاعتماد والاتكال فتضعضعت أحوالها من [illegible] [illegible] وأيقنت بالهلاك والتنكيل والحال الوبيل هذا ما كان من جيش الأعادي وأما ما كان من دياب ليث الوادي [illegible] رجع من ساحة الميدان وهو مسرور فرحان وثيابه كشقايق الأرجوان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] السرور والغبطة والحبور [illegible] والاكرام [illegible]

استقر به الجلوس وطابت من القوم النفوس التفت الأمير دياب الى أبو زيد وأشار يخاطبه بهذا القصيد :

مقالات الفتى الزغبي ديابا ... ولى عزم كما الصخر الأصما

ولى همة كهمة ليث عابس ... أنا الزغبي دياب أنا المسمى

فكيف رماك ياأمير الخزاعى ... وأنت أشد قلباً ثم عزما

يا أبو زيد ياحصن العذارى ... فلولا ما أدركك لقتلت رغما

ولما قد أتيتك يا سلامه ... أذقت أنا الخزاعى كاس سما

وما قصدى أمتن فى كلامى ... لأنك فارس البيدا المسمى

أنا روحي فداك وكل قومي ... لانك عزنا نعم المسمى

وأقتل للملك بدريس باكر ... وآخذ مالهم والمال حتما

(قال الراوى) فلما فرغ الامير دياب من شعره ونظامه شكرته الامراء والسادات على حسن اهتمامه ثم أشار أبو زيد يرد عليه بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد :

مقالات أبو زيد الهلالى ... أيا زغبى جزيت الخير عني

أبو موسى فاسمع من كلامى ... أنا منك بقيت وأنت مني

برزت أنا الى الميدان عاجل ... وقد برز الخزاعى قرب منى

ضربنى ضربة بالسيف حقاً ... ولولا الترس يازغبي قتلنى

وصاب الى جوادى فى حسامه ... لوى ثم التوى من تحت منى

وقفت على الوطى والذهن غائب ... جفونى بالدموع ففرحتني

وراسي طايش يا أمير زغبي ... وجرحت شفتي من فوق سني

وقد أدركتني يا ابن غانم ... وفرقت العدا من حول منى

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من شعره ونظامه وهم الحاضرون لحوى كلامه شكره حسن على هذا المقال وقال له مثلك تكون الرجال وباتوا تلك الليلة فى سرور وانشراح و[illegible] وأفراح على ذلك الانتصار والنجاح ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح استعدت فرسان الحرب والكفاح ودقت الطبول وركبت الابطال [illegible] بالرمح والنصول وترتبت الميامن والمياسر وصففت الصفوف [illegible] وركب دريس ظهر الحصان وقلبه يقدح بلهيب النيران على ما جرى له وكان من الانكسار والخذلان وبرز إلى ساحة الميدان بقلب أقوى من الصخر وطلب براز الفرسان . وقال من عرفنى فقد اكتفى

ومن لا يعرفني فاني خفي أنا بدريس ملك حلب فابرزوا الى يا أمراء العرب أصحاب الحسب والنسب فما أتم كلامه حتي صار دياب أمامه فأشار بدريس يتهدده بالكلام بهذا الشعر والنظام :

يقول ملك بدريس قولا صادق	انى مربع الخيل فى حد الأسل
اسمع دياب من كلامي وافتهم	أبو زيد يا مكار صنفت الحيل
أرسلت أطلب يا خبيث نساكم	عشر الغنم والمال أيضاً والجمل
ولقد بعت ملككم وأميركم	يطلب المهلة ومثلي من مهل
رحلت بجنح الليل مع أظعانكم	أبو زيد يامكار يا راعى الحيل
لابد ما القيك في وسط الفلا	وأنال هذا اليوم من دهرى الامل

فلما فرغ بدريس من شعره ونظامه أجابه الامير دياب على كلامه يقول :

يقول أبو وطفا دياب الغانم	فيوم الحرب يا بدريس عيدى
فنحن قد مررنا فى بلادك	نريد السير إلى الغرب البعيد
نريد السير إلي أرض المغارب	إلى عند الزناتى بالاكيد
لنا عنده ثلاث شباب حقا	أساري قد وثقهم بالقيود
فكيف تريد عشر المال منا	وعشر الخيل مع عشر العبيد
تريد بنات منا مع جواهر	فهذا يا ملك عنكم بعيدى
أمام بناتنا من كل فارس	قوى القلب ذو بأس شديد
لقد أطمعت نفسك في هلال	فسوف ترى رجالا كالاسود
فانزل عن جوادك لا تكابر	فسوف تري إلى حربى الشديد
وإلا أقتلك فى حد سيفي	ونبقي ليوم من أهلك فقيد

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير دياب من هذا الشعر والنظام انحدر الى بين الصفين وهجم على الملك بدريس على الميمنة و[illegible] زيد على الميسرة وكان الأمير دياب [illegible] الخضراء عليه ضربات قطعت [illegible] السيوف وكان قد اختلف بينهم طعنة [illegible] وكان السابق الأمير دياب حيث [illegible] وطعنه في صدره [illegible] لمع من ظهره فوقع بدريس على الارض قتيلا وفي دمه جديلا [illegible] [illegible] يعنت [illegible] وقلعهما ولكنه صمم على قتال [illegible] كسرت [illegible] وهي صيح [illegible] وحملت من اليمين واليسار بقوة واقتدار

فالتقتها بنو هلال في الحال واشتبك بين الفريقين القتال وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال وتقطعت الاوصال وتزلزلت الارض بالزلازل من ضجيج الابطال وقعقعت النصال وما زالوا في عراك وقتال يشيب الاطفال الى وقت الزوال فعند ذلك تأخرت عساكر بدريس وحل بها التعس والانكيس فجدت في الهزيمة والهربه وقصدت مدينة حلب خوفا من الهلاك والعطب فتبعها أبو زيد بالابطال والفرسان فلما رأت ما حل بها من الهوان طلبت لانفسها الامان وعند ما بلغ أهل المدينة بما جرى وكان خرجت الاكابر والاعيان والتمس من أبي زيدان يعفو عنهم ويعاملهم بالفضل والاحسان فاجابهم الى ذلك الشان بعد أن استشار الامير حسن بن سرحان وبقتله بدريس ملك حلب زال عن بني هلال العنا والكرب وطابت لهم الاوقات وحصلوا علي الافراح والمسرات وكان لبدريس ولد حميد الخصال ممدوح من جميع الرجال اسمه جمال فلما قتل الملك بدريس وحصل ذلك الانكيس خرج الامير جمال في جماعة من الابطال ووقع على الامير حسن سيد بني هلال فاجابه الامير حسن ومال قلبه اليه وقد شفق عليه فاقامه ملكا مكان أبيه وأمر أهل المدينة أن تطيع أوامره ونواهيه وقامت بنو هلال في تلك الاطلال نحو عشرة أيام وهم في اكل طعام وشرب مدام وسماع أصوات وانغام وفي اليوم الحادى عشر تجهز للرحيل والسفر ودق طبل الرجوع تنبيها للعسكر وفي الحال هدت الخيام وركبت فرسان الصدام وسارت النساء والبنات في الهوادج والعماريات وركب ايضا الامير حسن وبقي السادات ورفعت على رؤوسهم الاعلام والرايات وجدوا في قطع البراري والفلوات كأنهم ليوث الغابات هذا وقد اشتد ضررهم وزاد قدرهم [illegible] شيئوا لهم من الشرف والمجد بعد رحيلهم من بلاد نجد وذلك لاستظهارهم على [illegible] الحرب والصدام وما زالوا يقطعون الروابي [illegible] الليل والنهار حتي وصلوا الي مدينة حماه ونزلوا على نهر [illegible] ولا قاصي لان أهالى البلد كان قد بلغهم [illegible] من عواقب الامور و [illegible] وشرورهم [illegible] الاحترام وصار لهم جملة من الاعوان والاصحاب والخلان

﴿ انتهى الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع ﴾

الجزء التاسع من
تغريبة بنى هلال الكبرى
الشامية الأصلية

قصة أسر الأمير دياب
فى قبرص وخلاصه عن يد الأمير أبو زيد

(قال الراوى) ومن الامور الغريبة والحوادث العجيبة وهو أنه كان بمدينة حلب تاجر اسمه كساب وكان من أشهر الناس ومن أتباع صاحب جزيرة قبرص الملك هراس قد حضر الى تلك المدينة وكان يتاجر بالبضائع الثمينة فاتفق أنه لما قدمت بنو هلال الى تلك الديار انتهبت أمواله من جملة الأموال فشكى أمره الى الامير دياب وأعلمه بذلك المصاب وطلب منه رد الأموال التي اكتسبتها بنو هلال فلم يستفد ولا حصل على ما يريد وترك حلب ونجا بنفسه وهرب خوفا من العطب وقصد الملك هراس دون باقى الناس ودخل عليه وشكا أمره اليه وبكى بين يديه وأعلمه بواقعة الحال وما فعلت بنو هلال به فاغتاظ الملك غيظا شديدا مما عليه من حزن لأنه كان يحب كساب فوعده باحضار دياب وكان عنده ثلاثة من الاتباع اصحاب حيل وخداع وكانوا من جملة محافظين المدينة فأحضرهم اليه وأعلمهم بواقعة الحال وفقد الاموال وطلب منهم أن يسيروا مع كساب ويأتون بالامير دياب فقالوا سمعا وطاعة وغيروا ثيابهم وساروا بالمراكب من تلك الساعة وصحبتهم هدايا وعند وصولهم الى اللاذقية نزلوا الى المدينة وجعلوا يتجسسون أخبار بنى هلال حتى علموا بهم فى حماه [illegible] فعند ذلك ركبوا الخيل وساروا تحت ظلام [illegible] يعرفهم أحد ودخلوا [illegible] وصحبتهم هدايا [illegible] قبضة جوهر [illegible] وثلاث [illegible] ذلك من الاشياء الثمينة [illegible] الامير دياب

وسلموا عليه وقدموا الهدايا اليه فترحب بهم غاية الترحيب وأمر لهم فى الجلوس وقدموا لهم كاسات الشراب والقهوة وامر ان يذبح لهم الذبائح التى تليق فى السادات الكرام وأنشد يقول :

يقول الفتى الزغبى دياب الماجد　　يا مرحبا فى من أتونا ضيوف

يا مرحبا فيكم والهين مرحبا　　عدد ما مشيتم بالفلاة عسوف

لكم عندنا الاكرام والخير والهنا　　وناموا على فراش الحرير وصنوف

وشوفوا وطاقي يا ضيوف مدور　　وطاقى حرير بالذهب مرصوف

وان كان جيتم ضيوف يامرحبا بكم　　لكم عندنا الاكرام والمعروف

وان كان جيتم قاصدين للعطا　　انا ابن غانم للعطا موصوف

وان كان جيتم هاربين من العدا　　أنا صاحب الناموس أنا المعروف

وان كان غير هذا فخبروا　　وقولوا لى حقا بغير كلوف

وما هو اسماؤكم وما هى بلادكم　　بأى الفيافى نزلكم وجلوف

وأنا قرم زغبى يا كرام جميعها　　كريم المحيا يا ضيوف عفوف

قال ولما انتهى من كلامه وهم يسمعون شعره ونظامه فقالوا له حياك الله ورقاك وجعل الجنة مأواك وقد سمعنا بمروءتك وسخائك وان سألت عنا يا أمير نحن تجار واخوة ثلاثة وجينا فى تجرة عظيمة وتركناها فى اللادقية وخفنا من الطريق وحذرنا كل صديق ومرادنا تعدينا من هذا الطريق وعند ذلك شالوا ثلاث بقج من الجواهر الثمينة التى تدهش الابصار وتحير الافكار التى ماشاف منها فى سالف الاعصار وقالوا له هذه الاولى الى الامير حسن والثانية الى أبو زيد والثالثة إلى [illegible] هؤلاء الذين تقولون عنهم وكلهم من تحت يدى فقالوا نحن أتينا [illegible] عطيه [illegible] ما تريده لا [illegible] تعطيه وقال لهم نحن [illegible] فيكم [illegible] يلحقوكم وأشار يقول :

[illegible]　　وحملتمونا يا كرام جميل

[illegible]　　[illegible] الاعداء [illegible] طويل

[illegible]　　[illegible] محل

[illegible]　　[illegible] علينا [illegible]

[illegible] يا مرحبا بكم　　لكم عندنا الاكرام والتبجيل

[illegible]　　ولا عاش [illegible]

قال الراوى فلما فرغ الأمير دياب من كلامه والافرنج تسمع شعره ونظامه قال لهم كبيرهم نحن أناس تجار ولا أحد يحلب متاجر مثلنا ومعنا مركب موسوق حلاف ما معنا ونحن كل سنة نجلب تجرة لانتنا نبيع ونشترى ونكسب النصف فى بضايعنا ولا تجى طريقنا إلا على حلب وكان اللعين بدريس يشترى منا ما يلزم له من البضائع كل سنة وقد أتيناه هذا العام على حسب عادتنا فلم نجده وقد وجدناكم ناصبين على حلب فسئلنا بعض المسافرين فأخبرونا عنك بأنك قتلته وملكت بلاده ففرحنا وانسر قلبنا وقلنا بعقلنا ان ذلك الملعون كان أخذ منا عشرة آلاف دينار وهذا غير عشرة آلاف ثانية فقلنا من شدة فرحنا أننا نقدم لك هذه البدلة حيث أنك قتلت هذا الملعون الجيبرى ونحن قد أتينا اليك ومالنا وأموالنا ونوالنا وتحفنا وما كان تحت يدنا فهو اليك وهذه بدلة منا اليك ثم اطلعوا له بدلة من أحد الاخراج الثلاثة وأعطوها له فقلبها فى يده فوجد أنه طول عمره ما حاز مثلها ولما نظرها تبسم ضاحكا وقالوا له هل أعجبتك قال لهم نعم فقالوا له نحن ما أتينا اليك إلا لأجل أن نهاديك بها وبعد ذلك مالوا على بعضهم وتكلموا بكلام ما يفهمه . فقال لهم دياب ما تشركوني معكم فى الكلام فقالوا يا ابو عامر اعطنا الامان فقال دياب لكم ذلك فقالوا إننا نقول ان الامير دياب لما منه إكرام زائد وإننا نعاهده ونطاعه على سرنا فقال لهم العهد لابد منه وتقدم وعاهدهم وبعد ذلك قالوا له نحن مرادنا نسافر إلى بلاد الغرب معكم نبيع ونشتري ولك الربع فى المكسب ولكن لنا حاجة نقول لك عليها لانها معنا فى بلادنا وهي ساقية من ذهب ومرصودة تقوم حكمة [illegible] دارت عين يتساقط الذهب من اكلاها واذا دارت [illegible] تتساقط الفضة من [illegible] ونحن مرادنا أننا نبقى معك كرجل واحد وعطيك ثلث الساقية فى [illegible] علينا أرض تونس الغرب لان جميع الناس [illegible] فرح [illegible] ثم التفت إلى التاجر الثانى وسأله ما اسمك [illegible] ثم التفت إلى التاجر الثالث وسأله ما اسمك [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الحمولة كم جمل تحتاج حتي أرسلهم لكم مع عبيدى فدخلوا معه بالخداع وقالوا
أنت تريد أن تشعر بنا الناس ونحن نريد أن لا يطلع على سرنا إلا الله وأنت
ياابو موسي لان العرب متى رأوا متاجرنا يطمعون فينا ويغيروا علينا فيقع الخلاف
بينك وبينهم وينتشب القتال ونكون نحن السبب فى هذا الضر والنكد فلما سمع
منهم هذا الكلام قال سيروا وأنا أسير معكم وحدى وما آخذ معى أحدا من
أهلى وجندى حتي أنظر ماذكرتموه لى فقالوا له على بركة الله تعالى وركبوا الثلاثة
هجنهم وركب الاميرذياب أيضا وساروا ليلا خوفا من أن ينظرهم أحد لئلا تظهر
حيلتهم وبينما هم سائرين وإذا بالامير عمار أخو الامير حسن التقى بهم فلم يعرف
منهم سوى الامير ذياب فقال له يا ابن غانم إلى أين سائر مع هؤلاء القوم فأجابه
هؤلاء ضيوفى وموصلهم خوفا عليهم من سفهاء العرب فقال له تريد أن أذهب معك
فأجابه ارجع انت فى حالك ولا تتعب ذاتك وتسير معى فسار الامير عمار إلى منزله
وأما الاميرذياب فانه سار مع اصحابه من العشاء إلى ثانى يوم الظهر حتي أشرفوا
على البحر المالح فسمع ذياب صوت دوي الماء مثل الطبل فدخل عليه الوهم وقال
فى باله الله اعلم أن هؤلاء الثلاثة خائنين لان عيونهم ملآنة بالغدر وهذه علامة
الغدر فأراد أن يرجع من وقته ولكن المقدر لابد من نفوذه ولما رآه الثلاثة قد
تغير وفي سيره قد تأخر قالوا له أما تنزل معنا فى البحر فأجابهم ان نزولي معكم
الي البحر ماهو ضرورى وان كان كلامكم صدق انزلوا وهاتوا ماقلتوا لى عليه
وأنا ما عدت أخطي ولا خطوة واحدة ثم نزل عن الشهبا ومسك صرعها بيده
اليسار والسيف بيده اليمين ووقف ينتظر فتركوه ونزلوا البحر حتى أتوا إلى الغليون
وجابوا له خيمة من الحرير الاصفر وعواميدها من الذهب وأوتادها من الفضة
البيضاء وتحت خيمة مكللة بالدر والجواهر والياقوت والمرجان والزمرد الاخضر
يكاد من حسنه يدهش البصر فنصبوه قدامه وفرشوها حرير أخضر ووضعوا
فيها أربع وسائد حول كل واحدة اربعة اذرع مكللين بالمعادن والجواهر فلما
رأى الامير ذياب تلك الخيمة وفرشها الذى يدهش الالباب تعجب غاية العجب
وظن كلامهم صحيح فدخل معهم فى الخيمة وجلسوا يتحدثون وتوا بالمأكل
والمشرب وفي حب ... سحوه وفى سلاسل قيدوه ونزلوه الي المركب ورفعوا المرسي
واقلعوا ولما قطعوا مسافة طويلة اعطوه ضد البنج ففاق فوجد حاله مقيدا بالسلاسل
ولتفت يمينا وشمالا فلم ينظر إلا السماء والماء والجماعة كانوا فى ملابس بيض بلاقيهم

في برانيط سود فعرف ان الحيلة تمت عليه فتنهد وانشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتي الزغبي دياب بن غانم   بكيت على حالى وانا مأسور
بكيت على جاهي وعزي وهيبتي   وانا فوق تختي جالساً مسرور
غفير البوادي والعذارى سياجهم   وكم جيش ولى مني وهو مكسور
على ظهر خضرا يقطع العود عزمها   وتسبق رياح عاصفة وطيور
وانا فوقها فوق القرابيص جالس   كجلمود صخر بالزرد مستور
ومن بعد عزي وارتفاعي وشمختي   بقيت مقيد بينكم مأســور
وختمتوني لا عمر الله دياركم   وبقتون ايمانا لنا وستورا
اتيتم لى بذى تجار عندى منحتكم   وعشرين راس ذبحتها وجزور
فما كان في بالى ولا جاء بخاطرى   على انكم تأخذوني زور
ولكن هـذا حكم من رافع السما   ويحتاج من يبلا يكون صبور
يا رب يا رحمن يا سامع الدعا   يامن تسبح له شجر وطيــور
يجيني ابو زيد الهلالي ســلامه   يخلصنى من كل هلاك وضرور
ما قال الفتى الزغبي دياب الغانم   دهتنى الليـالي والزمان عدور

فلما فرغ دياب من كلامه ندم على فعاله ثم قالوا له لا بد عن قتلك واتلاف مهجتك وما زالوا سائرين به إلى أن وصلوه إلي جزيرة قرص وطنعوه مقيد وأدخلوه إلى عند الملك هراس وكان عنده جماعه من أكابر الناس ففرح الملك به الفرح العظيم والقاه تحت العذاب والترسيم هذا ما كان من دياب وما جرى له من الأحوال والعذاب وأما ما كان من بنى هلال فانهم كانوا كما تقدم الذكر فى فرح ومسرات والهدايا تأتيهم من جميع الجهات وبينما هم فى بسط وانشراح وإلا الخضرا قادمة اليهم مثل هبوب الريح وهي كئيبة حزينة على فقد خيالها الأسد المهاب الزغبى دياب فأول ما نظرتها اهله وطنا اضرار الشر من عينيها وصاحت وولولت [illegible] عرسان والأبطال على صياحها وفى تلك الساعة صارت صيحة عظيمة [illegible] الى ساكف الزمان هذا ما كان [illegible] لا [illegible] ابو زيد [illegible]
مدة ما حضر [illegible] وأصل [illegible] لا [illegible]
ابو زيد [illegible] وتشوش [illegible] ودياب [illegible]
عليه [illegible] ساعتهم [illegible]
نحو [illegible] دياب [illegible]

والعذاري لاقوهم بالبكاء وتقدمت وطفا ابنة دياب وأنشدت تقول من فؤاد متبول

تقول وطفا يا أمارا   واحترق قلبي بنارا   وانتلي قلبي غقاين
والحشا والعقل طارا   والحيا والعقل راحا   وانتصب سوق النواحا
ساح دمع العين ساحا   فوق وجنات العذارا   حرمت عيني المناما
بعد أبي ذاك الهمامي   حامي المزينات حامي   يوم كر الخيل غارا
كم قليعة مع جواد   جابها يوم الطرادا   كم قتل قرما وساد
يشهدوا له العذارى   يا ملاك بوني ديانى   في عنا أو في عذابي
شاب بيت الشعر شابي   بعد أبو موسى جهارا   أين أبو وطفا يكوني
كان للزينات يعوني   يا أماره اسعفوني   نور عيني أين ساره
ضيوف اجونا زايراني   يحكوا في جملة اغاني   كوتروا الساعة ثلاثة
حين م قلوا السهاره   سافروا جنح الظلامي   مع ابو موسى الهمامي
وحرموا عيني المنامي   بغياب حامي العذارى   أبو علي دق الطبول
ثم اركب للخيولي   دوروا كل السهولي   والبراري والقفاره
سير بالعسكر شمالي   دوروا روس الجبالي   أميركم يا بني هلالى
ما أخذتوا له خبارا   أبو زيد شوف لحالى   م بقى إلا خيالي
أنت أمير بني هلالى   لك حملة شواره   قوم خبرني الاكيدى
في أسرار الكتب جيدي   واضرب الرمل الحميدى   ثم اكشف للخباره

فلما فرغت وطفا من كلامها وأبو زيد والامير حسن يسمع نظامها استعظموا هذا المصاب على فقد الامير دياب فعند ذلك تقدم عرندس وأنشد يقول :

مقالات الفتى لمعوا عرندس   ودمع العين فوق الخد ساح
أبات الليل في هم وغم   من المغرب إلى وقت الصباح
بليت بفرقة الراعي دياب   وصرت اليوم بعده في نواح
سباح حمى البيض العذارى   وحامى الظعن في يوم الكفاح
عليه البيض تبكي كل يوم   من جنح الليل لوقت الصباح
وقوموا اركبوا خيل السوابق   عسى نلقاه في بعض البطاح
و[illegible] كان الأمير [illegible]   [illegible] وفى على أبث البطاح
نغير على الأعداء [illegible]   [illegible] مع الرماح
وإن لم تحضروا [illegible]   ولا [illegible] راح
وقوموا اركبوا يا قوم [illegible]   على خيل السوابق في البطاح
ونحن [illegible] نروح [illegible]   و[illegible] لبيض الصفاح

ونقتل للاكابر والاصاغر   بضرب السيف مع قطع الرماح
وللبيضان والسودان وتقتل   ولا نترك شناع ولا ملاح
وان لم تظهروا الاخبار عنه   والا أقيم فيكم الصياح
ونلقيها جموع علي جموع   شبه النار لو هب الرياح
وأوقدها وأصليها بحربى   واقد الهام والدرع الصفاح
أنا المسمى عرندس تعرفوني   أنا شيخ العرب ما في مزاح

فلما فرغ عرندس من كلامه اغتاظ الكل منه عندها تقدم غانم أبو الامير دياب وهو باكي العين زايد الانتحاب وأشار إلي الامير أبو زيد فى هذه الابيات يقول

يقول الفتي غانم على ما جرى له   ودمعي جرى فوق الخدود سكيب
ونيران قلبي أشعلت فى ضمايرى   يهب لها طى الضلوع لهيب
دياب يا عيني ويا نور ناظري   سقاه النبا كاس المنون غصيب
تفرق شملي بعد أن كان مجتمع   غدرني زماني والزمان عجيب
نزلنا على عاص حماه وسيجر   وريح العذارى مثل عضر الطيب
أتانا ضيوف قاصدين بلادنا   على ظهر خيل مثل ريح هبيب
فأضافهم ولدى وقام بجمعهم   ترحب فيهم غاية الترحيب
وقلبي يحدثنى وعقلي يقول لى   فما هم إلا من أهالى النصيب
بلاني زماني مثل يعقوب فرقة   وقالو يوسف أكله الديب
انا مثله يا ناس اعضم بلوة   فكم جهد ابكى وما نظرت ضبيب
ياأبو علي بوزيد أنا اليوم قاصده   ومن يلتجي فى ابوزيد ليس يخيب
أبو زيد قدامك أبو بدر غانم   أبو زيد قدامك حزين كئيب
أبو زيد لك مني المال جملة   الفين سرية والف جنيب
والفى سابق من خيول أصايل   ومیتين مهرة سرجهم تذهيب
أبو زيد أخبرنا أنا أرمك يا فتى   لانك فى علم الحساب حبيب
وتعرف سعوده والنحوس طوالعه   وعلم الغريبة وكل فن عجيب
وحقى عليك اليوم يا أبو مخيمر   دخيل أتيتك مثل ضيف غريب
من قال لفتى غانم على ما جرى له   وما يوم أصعب من فراق حبيب

فلما فرغ الامير غانم من كلامه وسمع الحاضرون فحوى شعره [illegible] على فقد دياب واستعظموا ذلك المصاب ثم التفت الامير حسن الى ابو زيد وقال

حطت عندك الحكاية وما أحد يقضيها غيرك فالتفت الامير أبو زيد إلي عبده أبو القمصان وقال له :

قال أبو زيد المسمي جميع الشور لنا ردي
حسين وبدير وأبو تكنا مفرج هم البعدى
عرندس والمسمى زيدان شبيه الأسدان هدي
والهدار مع الشجعان بيدى سيوف الهندى
ملوك هلال لهم أفعال بيوم مجال إذا اشتدي
حسن يا ناس كبير الباس فهو راس وأنا سندي
أبو القمصان أسرع جريان اياك تهان على العبدي
هات الرملين مع الشكلين شرح الصدرين لنا يهدى
كتب التفسير لها تحرير عالم وخبير بها يهدى
لاجل دياب قلبي داب كما القصاب على الزندى
غانم يا سيد أبشر يا جيد دياب بعيد بيرتدى

فلما فرغ أبو زيد من كلامه راح العبد وجاب الرمل وأعطاه إلى الامير أبو زيد فأخذه منه ورسم الاشكال على شرح الحال وولد البنات من بطون الامهات وحرر النقط على سائر الجهات فبان له اشكال النحوس وعلى دياب الفال معكوس وعرف عديم دياب من وهو بالقيود وسجانه يسمى حرفوند وهو نجال العنا والنكد فلما شاف الامير أبو زيد هذا الحال بكى حتى أبكى كل من كان حاضر وقال له حسن لماذا يا أبو زيد بكيت وأبكيتنا معك فأخبرهم أن دياب في قبرص عند الملك هرمس وهو في السجن يقاسي أنواع العذاب فلما سمعوا هذا الكلام صاح [illegible] لسان ما لنا سواك يا شيبان لأنك مفرج الغم يا ابن العم [illegible] سمعها [illegible] ساعة تجهز للسفر وأخذ عشرة فرسان من الفرسان الشهيرة وأشار يودعهم ويقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه الايام أكثرها عنا وصداع
الايام كم ذلت أمير بن سيد وخلت دياره بعد عزه قاع
مثل اسكندر ذو القرنين [illegible] وسيف وتبع وأمير شجاع
وفرعون ونمرود ثم ابن غادر وقارون مع هامان والاتباع
ألا يا هلال اسمعوا شرح قصتي وكونوا لقولي يا كرام سماع

أوصيتكم لا ترحلو من محلكم فكم من مليك وحاكم قد طاع
واحمي ظعون بنى هلال ياامير بو على بطعن القنا والماضيات لماع
أمامكم جن فى وسط رستن ثمانون الفاً جاردين تباع
وحمير على الزرقا سياج محصن عليهم دروع ما كنات رقاع
وقدمكم رملة فتي الجود عامر وفيها فرنج مثل أسود بقاع
وقدامكم السركسي ابن نازب عملك على غزة وذكره شاع
وقدامكم البردويل ابن راشد بوادي العريش كالعقرب اللساع
قطية بها يا أمير ابن عجاجة ومن شافه يا أمير عقله ضاع
ومصر العزيزة لو تري لجيوشها شبه الجراد على الشوامخ شاع
وقدامكم الماضى ابن مقرب كريم المزايا فى العطايا شاع
الى أن تجوا للغرب ربي يعينكم يا ما يصادمكم عناً وصداع
خليفة بتخت الغرب عربيد كاسر له حربة قالوا بطول الباع
تحذر لهم يا ابن سرحان بالوغا ولا تسمع من جاهل طماع
وهذه نصيحة يابن سرحان ابو على وداخل فؤادى زادت الاوجاع
أنا سائر لعند دياب أخلصه أجيبه اليكم يا حاضرين يساع
وداعى لكم ياحاضرين فودعوا وداع من بعد الوداع وداع

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من هذه الابيات ودع الامارة والسادات وركب ظهر الحصان وصار يقطع البرارى والفلوات وما زال سائراً حتى وصل الى عين الباردة فجلس حتى يرتاح واذا بحاكم اللادقية هجم عليه بألف ومسكه وقال له وقعت يا ابو زيد ياصاحب المكر والكيد فقال له من هو أبو زيد أنا رجل سائح فقال له نوفل أنا لى زمان انتظرك هنا أما أنت رايح الي قبرص كي تخلص دياب فى حيلك ومكرك فقال له أبو زيد يا سيدى أنا من القدس وكنت فى زيارة ابراهيم الخليل فخذلك هذه الورقة ابخور وهي من دير الحميرة ودير الحيرواد على بركة الرحمان فضحك نوفل وقال له طحان ثم يغير على كلاس وأنشد يقول :

قال الفتي نوفل سياج الذار أما أنت أبو زيد يا مكارا
اسمك سلامى ابن رزق لأنك مشهور فى الدنيا وصيتك صارا
لك عزم بالهيجا كسبع كاسر كل الملوك تخيفك تعترا
لولاك ضعن البدو ضر بأرضه طول الزمان من أرضهم ما سارا

أربع ملوك هلال وانت الارقي لك الشور اقطع من لهيب النارا
رايح ورا الزغبي كسبع الكاسر بالمكر والحيلة لبست زرارا
أوقعت عندي زال همك يا بطل ابشر بزورق يشبه الاطيارا
انى أنا مسلم وابوى حاكم باللاذقيـة كان والاقطارا
قتله هراس هل ولد الزنا وحكم بلادى ميمنة ويسارا
وأنا بقيت تحت يده حطني أريدك تدعى لدمه جارا
لما مسك لدياب ارسل جابني وقال انظر برها وبحارا
ان كان أبو زيد يعلق امسكه في زى سائح للملا غدارا
وهات لى راسه ومالك قدوصل فأعود آخذ منكم دينارا
فقلت له الفين سمعا وطاعة وقعدت أرقب برها وبحارا
أوصيك يا ابوزيد من غدراتهم هؤلاء ملاعين كلها فجارا
ادخل على الهراس لا تتهاون واضرب بهم يا امير فى البتارا
وارسل أجيبك بعزوتى ورجالى مايتين مركب فى قلوع كبارا
رد الفتى أبو زيد أنا محتارا شكيت أمرى للاله البارى
أرجوه يغفر لى ويمحو ذنبي رب كريم واحد ستارى
يا أمير نوفل بالعجل اعطينى زورق مليح يحاكي الاطيارى
وابشر بقتل الملك وحياتى ان هون المولى العظيم الباري

فلما فرغ أبو زيد من كلامه وكان نوفل مهياء له شختور خفيف وأرسل معه عشرة من أتباعه يودوه الى قبرص ويرجعوه ففردوا الكتان وسافروا على كف الرحمن حتي وصلوا الي برقبرص فطلع أبوزيد الي البر وعاد فريد وحيد ماله مسعف ولا عضد سوى الواحد المجيد وهو يقول يادليل التائهين تجعل لنا من كل هم فرج ومن كل ضيق مخرج قال فبينما أبو زيد سائر واذا أتي اليه راهب وقال له جيت يا أبو زيد يا صاحب المكر والكيد مثلك من يترك البر ويدخل البحر لخلاص دياب فلما سمع كلامه عرف أنه عرفه فقال له من يكون أبوزيد ومن هو من المكر والكيد فانك تحمست بي وردت في ظلمي أنا سلامه وكنت خادما فى دير القمامة فلما سمع الراهب كلام أبو زيد صحصح وقال له وحق ديني أنت أبو زيد الهلالي سلامه وقد أرسل نوفل معك عشرة من أتباعه أوصلوك الى هنا وعادوا وانت مرادك ان تخلص دياب من الاسر فوالله لا بد ان اذيقك انواع العذاب وهجم

عليه وسحب السيف واراد ان يبطش به فلما رأي ابو زيد منه هذا الحال خافه على نفسه من الوبال وسحب النمشه من العكاز وضربه على هامه رمى راسه قدامه وسحبه الى حفرة رماه بها وطمه وسار الي قبرص بقلب مثل الحديد الى ان وصل الي باب المدينة فرأى الهراس خارج بجماعته الى الصيد والقنص فعرف ابو زيد انه الملك فتقدم اليه بقلب اقوي من الصوان وسلم بأفصح لسان وسحب المبخرة وحط بخور فعبق الدخان وقال له هذا البخور من دير الجيروان وطلع ثلاث شمعات وقال خذ هذه من دير البنات ودير الجميرة المباركات فقال الهراس وقعت ياابو زيد وكيف خلصت وأنا مربط عليك الطرق فقال سلامه لا تقول هذا الكلام ياملك الزمان انا خادم الملك مثقال ولي مايتين سايح ما خليت دير ولا صومعة ولا محبس وانك احتلت على دياب وأسرته لأنه قتل بدريس ، فقال الهراس يا راهب أما دياب فقد مسكناه وفي الحديد رميناه ولكن بحياتي عليك أنت بعثك الملك مثقال ، فقال له أبو زيد اى وحق الاله المتعال فعندها أخبره الهراس كيف عمل في دياب فقال له ابو زيد شاباش لك على هذه الحيلة التى تعجز عنها أشد الرجال ثم انهم ساروا ودخلوا الى الديوان وأمر لابو زيد بالجلوس وبالطعام فجلس فأكل ثم بدا ابو زيد يحدث الملك حديثاً ما سمع مثله فى طول عمره حتى ولا من العلماء والفلاسفة فسر منه جداً ، نادي فى أكابر ديوانه بأن يكون ابو زيد الكبير فيهم جميعا فتكدروا من هذا الكلام وقالوا كيف تقيم هذا الرجل الغريب رئيسا علينا كانما لعله أعلم منا فأجابهم الملك الذي يريد منكم ان يسأله شيء فليتقدم فعندها تقدم اليه رجل اسمه نعمه وقال له يا ابو زيد حيلك لا تجرى علينا فقال سلامه يا هذا لا تتكلم فى هذا الكلام ومن اخبرك انى أبو زيد [illegible] له تبين عندى في الرمل ولكن اريد ان ارمى عليك رموز ان عرفتها خلصت وان ما عرفتها قتلت وأشار يقول :

يقول الفتي نعمه بما جرى	اسمع كلامى انت يا سحاري
ان الملك هراس سواك قاضى	وراح أجاب دياب هل عدارى
وانت عامل ذى راهب وارد	وتريد تحتذ [illegible]
ان كنت عارف بالرواهب قرلى	عن عقلهم [illegible]
خلق من الارض بساعة لرضى	وقضه [illegible]
ما فى الخلايق قط مثله آخر	[illegible]
هذه طرحه فضلها يا سلامه	[illegible]

قاصد تملك دياب بهذه الحيلة   كل الحيل عندك وسيطك جاري
رد الراهب سلامه بلا خفا   القلب من بين الجوانح طار
نعمه تأدب ثم لم كلامك   تحسب بأني راهب مكار
ألا انت يا مسكين لي تعترض   في مسائل ما سمعها شطار
ودرت أنا كل الديور جميعها   ما أحد منهم قال أنا مكار
القمامه كنت أنا خادم فيها   في الصخرة الصماء بنيت الدار
إن الصلاة والعبادة ربنا   فضلها المولى العظيم الباري
آدم خلقه من وسط التراب   من جميع الارض والاقطار
هذا سؤالك وهذا هو قولك   وانت اسمع لي كلام جهاري
أخبرني عن طير ماله شيء جناح   ولا في الطيور مثله طياري
كل الطيور تطير من فوق راسه   يغط فوقه كل طير طار
لا أكل يأكله ولا ماء يشربه   كل البرايا صوبه تندار
وإن أكل ما أحد يقدر يشبعه   يا كل مدينة كبارها وصغار
وإن شرب تلقاه وسط المياه   والماء يعدي ميمنة ويسار
فيه منافع للبلاد جميعها   حتي ببطنه يشعلون النار
ان كنت بتريد المسائل عندي   من كل عالم مثل بحر الجاري
معي مسائل من زمن جدودي   حيرت فيها كل عالم قاري
هذا ما قاله الراهب سلامه   الله يفعل كل ما يختار

فلما فرغ سلامه من كلامه ما أحد رد عليه جواب ولا كلمة وقال الهراس [illegible] لا تردو جواب. تقدم كبير الرهبان وكان حاضر فضرب الرمل فعرف أنه أبو زيد فقال الجميع هذا كبير [illegible] ذئاب يكون الغلب كاننا وكان يسمى دوبرناس وتقدم لعند أبو زيد وأنشد يقول:

قال الراهب أبو برناس   اسمع قولي يا قاسي
شربت [illegible]   وحيل [illegible] الرماس
[illegible]   وحق [illegible] [illegible]
رحلت [illegible] سكر   وماء تسكر [illegible] الناس
وما [illegible]   وما المفهوم [illegible] الاس
وما [illegible]   وما شيخين وما الرقاص

وما المحروف وما المطروف وما المعروف وما الجلاس
وما الرادى وما الكادى وما الشادى وما المرتاس
سؤالي جيب ان كنت لبيب بلا تعجيب ولا ملاس
رد سلامه يا مجلاس أنتم ملوك خيار الناس
كونوا شهود على الراهب شهادة حق بغير أوكاش
وشوفوا السيد من الخادم وابن اللاش من ابن الناس
سيدكم هذا مجنون ما له عقل خفيف الراس
ولا له رأى ولا تدبير ولا له شور ولا أساس
أما المكروه وأما المحروم وما لقوا ابليس وخاس
أما المفهوم جفاه النوم وليس يروم لجفنه نعاس
أما البنتين فلهم بعلين بيد شيخين راوى نحاس
أما المقروف ابليس يطوف له شرشوف وتن للناس
أما المحروف خليل الله أما المطروف الخضر لعاس
أما الهاجوس لنا جاسوس حاسد وتعوق خفيف الراس
أما الرادى نسيم الريح أما الكادى عقرب لكاس
أما الشادي دنى النفس من المسكر نعيم الناس
فهى حواء خلقت كالسر بوجه منير كما المقباس
آدم قام يريد لها أتاه الوحي بلا قرطاس
سلامه قال زكى الحال شرحت سؤال أبو نواس

ولما فرغ سلامه من كلامه تعجبوا الحاضرين من فصاحة لسانه لانه اتي عنا هراس أكبر منه وقال له تمى على ما تريد سلامه قال له أريد أن ترينى من بحتها أشفي قلبي منه بالعذاب وأمرهم الملك بما قال فعند ذلك قاموا في ساعته واخذو والتمع وامه أشعلوه وصاروا حتى وصلوا إلي السجن فدخلوا ولما شاب دياب في هذا البلاء والعذاب غاب عن الصواب وتقدم إلى عنده ورفع يده وضربه كف طير الشرر من عينيه فتألم دياب وقال له يقطع يمينك ... يقطع عمرك من هذا السجن ثم انه خرج من عنده وتوجه إلى عند ... يا ملك الزمان هذا دياب ما بقي ينفع قال له هراس كيف يكون ... عند فقال يا سيدي فكه من الحديد ولبسه شيء جديد وطلعه إلي ... واطعمه دجاج

وخبز كماج حتى يسمن ويعود يصلح للعذاب فقال الهراس اطلعوه فطلعوه وعمل فيه مثل ماقال الراهب سلامه ، وقال دياب من ساعة إلى ساعة يفرجها رب الارباب وأما أبو زيد لم يزل يرسل إلى دياب الأكل على أتم المراد وكان مراد أبو زيد أن يردد دياب إلى عافيته لأنه قد انسلا من كثرة الجوع ولا عاد عنده قوة ولا حيل

قال واستقام أبو زيد عندالهراس فلايعلوعليه أحد من الناس فسمع فيه راهب من الرهبان وكان يسمع مغلوب بن توما فركب وأتي إلى عندالهراس فلماوصل الي المدينة قامت الضجة وقالوا ياملك أتى مغلوب بن توما فركب الهراس ولاقاه وسلم عليه فما رد سلامه قال له لماذا يا سيدى ماتردسلامي فقال كيف أرد سلامك وعدوك أبو زيد عندك وأتى الي هذه الديار لأجل خلاص دياب المغرار فقال الهراس أنا لا آخذ أحدظلم وعدوان فقال مغلوب هذايتكلم بالسبع لغات ويصبغ حاله سبع صبغات لأنه غضبة من الغضبات وانا مالى معه غرض ولكن غيره ومحبة وأخاف من أن يقتلك ويخرب بلادك فقال له الهراس اذهب معى يا سيدي الى الديوان وشوفه فساروا الى الديوان ولمادخلوا التفت الهراس الي الراهب سلامه وقال له أنت ابو زيد صاحب المكر والكيد وآتى تفك دياب من البلاوالعذاب وحضر من يعرفك وجيت سحرتنا فى مكرك فقال سلامه من حضر وعرفنى قال له مغلوب يعرفك وهو عالم بلادنا وخطيب ديارنا فما آتم كلامه الهراس الاوالراهب سلامه بكي بكاء شديداً وقال ياملك مادام كل من أتى اليك تسمع كلامه أنامابقى لي عندك قعود وأشار اليه يقول :

قال الفتي الراهب سلامه ياملك   اسمع كلامي انت قايدها السؤال

من عند مثقال اتيت لعندكم   ودرت قبرص والسهول مع الجبال

وجيت الي عندك وقد كرمتني   وأعطيتني كل المواهب والموال

وعلى الجميع [illegible] رقبتني   وجعلتني [illegible] احكم بالرجال

وكل من يسمع [illegible]   يبقى بنيران الحسد فى اشتعال

هت لي [illegible]   [illegible] بين الرجال

ان قال [illegible]   يتكرز عنه من جبال الى جبال

هاته وخبره [illegible]   وحق [illegible] على اسل الكمال

افعل معى [illegible]   وعود اشبحي على رءوس الجبال

وان ما يثبت ويطلع كاذب   من اين اتى له ابو زيد الهلال
وان ورائي الف عابد سائحين   مأكولهم عشب الفلا ثم الزلال
وصايمين الدهر عن اكل الخبز   ما يعرفون الخيل ايضا والجمال

فلما فرغ من كلامه قال الهرلس تحقيق هذا فعل الشيطان قوم روح الى عند مغلوب هذا وهما فى الكلام الاوالراهب داخل عليهم قاموا له على الاقدام وسلم عليهم فردوا عليه ثم التفت الي من حوله وقال هذا الراهب سلامه قالوا نعم قال له من أين أنت ياراهب قال أنا من بيت المقدس قال هذه أول كذبة وأنا لى أربعين عاما فى بيت المقدس وما سمعت فى راهب سلامة قال أبو زيد أنا مثلى ما يدخل جدار ولا يأوى عمار أنا كنت سايح فى رءوس الجبال قال له طلعت يدك يامحتال ولكن اقرأ لنا الانجيل فقراه فقال له اقرأ لنا المزامير فقراها وقال السواعى وغيرها من الكتب فقراها فى لسان مثل المبرد فتعجبوا الحاضرين منه غاية العجب وقالوا مسلم ما يعرف يقرا كل ذلك قال لهم مغلوب هذا يعرف السبع السن يقرا فيهم واشار يسأله ويقول :

قال مغلوب بن توما الموجعى   افهم كلامى يا سلامه واسمعي
قد جبت تاخذ الي دياب بمكرك   وتروح الى اهالك وعنا تطلعي
نحن سمعنا فيك داخل ارضنا   انك حرامي بالخلايق مدعى
ودخلت فى علم النصارى واكد   تعرف الأديان لا بل مدعي
ان كنت راهب عن مسائل قل لي   ان كنت شاطر لا تكون مصيعى
اخبرنى عن شجرة طويلة فرعها   وبها ثمار مثلثة ومربعي
واخبرنى عن مصلي دائم   مفطر ولا يدخل لعبد يركعى
واخبرنى عن حرمة تصيح بصوتها   والخلق [illegible] [illegible] [illegible]
ردالجواب ان كنت عارف راهب   والا [illegible] [illegible] اقلعى
لا تحسب ان العلم وضلة من ابن   [illegible] [illegible] [illegible] تركعي
ليوم ابو زيد لاوريك العجب   [illegible] كل مسألة [illegible] لا تسمعى
هذه مسائل ابن توما ردها   [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
رد الفتي الغريب المسمي سلامه   [illegible] من قوس [illegible] [illegible]
وانت تسأل لابو زيد لامير   [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
وانت ترمى لنا مسائل معجزه   عندك [illegible] عندك لا تسمعين

صبياننا بالقدس يلغوا فيهـــا ... ومشهورين بين الناس يا مدعى
تقول عن شجرة طويلة فروعهـا ... آدم وحوا النيــل منهم منزعى
وتقول عن نور يضي بجنح الدجى ... فوق الظلام وللظلام يفرقعى
هذاك نور الصبح لمـــا أن قضى ... يغدى الظلام بسرعة يتفرقعي
وتقول عن شيخ مصلي صايم ... مفطر لا يدخل لمعبـد يركعى
هذاك طير الليـل دايم سـاجد ... صـايم وياكل دود ما يترجعى
وتقول عن حرمة تصيح بصوتها ... والخلق تهواها واليها تهرعى
هاتيـك دنيـــا ما تحول وتنقلب ... وتميل مثـــل الملح ما تتروعى
هذه رموزك قد شرحت فصولها ... اخبرني عن خمسة وستة واربعى
خلقوا من الصخر الاصم جميعهم ... مأكولهم نار تهب وتلدعى
واخبرنى عن حرمة تواقع بعلها ... العين مرة بفرد يوم وتقلعى
ويحوا اولادها ما يتوصـفوا ... والشخص منهم للقلوب يروعى
واخبرني عن اربع بنات بكر ... من شـافهم فوق الوطي يتصرعي
وقلي عن نقر ونقير ومنقر ... والـكير والـكار أين بيطلعى
وقلي عن شـلال وشـل وشله ... والشحط والشحوط والمترجعى
والرهل والرهمول اين مكانهم ... وليط ولنيطان والمترعزعى
رد الجواب ان كنت عارف فاهم ... والا فقم من قـالى واطلعي

ولما فرغ من كلامه تعجبت الناس من فصاحة لسانه وعلمه وبيانه وأما من
مغوث [illegible] فلانك [illegible] وقد أرميت عليه مسائل ردها قل يا ملك أنا
عاقلت [illegible] مشكلات ولكن هذا [illegible] ان أردت اقتله وان أردت
أبقيه [illegible] كيف [illegible] سلامه فقال يا مغث الميتة أنسى المسائل
ولكن [illegible] حتى [illegible] صغر
[illegible] المشكل [illegible] أهل قالوا لي
[illegible] واحتى [illegible]
[illegible] وطلع [illegible] وانعكفت
عليه [illegible] وحق [illegible]
[illegible] تركوا الصلاة [illegible]
في أقطار الأرض [illegible] عن مغارب [illegible]

أنهم لابد أن يحرقوه وحكيت لهم عن فضلك باركوا لك فى طول عمرك وكل واحد أوهبك من عمره عام تمام فقال له الهراس جزاك الله عني كل خير لأنه زاد فى عمرى أربعين عام هذا في اليقظة أو فى المنام وكيف قالوا لك أن تفعل .
قال قالوا لي خلي الملك يوقد النار بالفرن وادخل الفرن انت ومغلوب والذى يكون غلطان تحرقه النار ، قال الملك ماذا تقول يا مغلوب قال دعه يدخل النار قبلي هذا الشيطان المكار فقال سلامه نعم ادخل قبل وامر ان يوقد الفرن فأوقدوه حتي صار جمر ودخل ابو زيد الفرن من بعد ما تلا اسم الله الاعظم فعادت النار عنه باردة باذن الله سبحانه وتعالى العزيز الجبار فنظر الهراس بعد ساعة فوجده جالس كأنه في روضة خضرة فقال ادخلوا مغلوب فقدوه وصرخ صوت من صميم فؤاده فمد يده ابو زيد برشاقة وشده حتى صار داخل الفرن فاحترق وقضي نحبه واما ابو زيد طلع سالم فصاروا الموجودين يتباركون منه ومن الهراس انشد يقول :

يقول الملك هراس بن بشاره   تعجبت من قولك وأنا مرتاب
سلامه أنا خطيت عند دخولك   الى الفرن بنار تريد لهاب
ولكن مغلوب طغنى وقال لي   هذا ابو زيد ادى أتى وسب
وظنيت فيك السؤل تاريه باطل   وعدت حقيقة متنكر مرتاب
و حق [illegible]   و[illegible] عليك عتاب
أريد تسامحني [illegible] سلامه   فقال لي [illegible] عليك حجاب
رد الفتي اراهب سلامه [illegible]   [illegible]
وانت مغمع للكلام و[illegible]   تصرع لي [illegible]
أنا حيت الي [illegible]   [illegible]
وحيت لعندك حتي [illegible]   [illegible]
ولولا كلام [illegible]   [illegible]
و[illegible] ولكن [illegible]   [illegible]

ولما فرغ من كلامه [illegible]
إلى قرب [illegible] قال سلامه [illegible]
يحيه حتى [illegible] سويه يجمعوا الاسرى من [illegible]
اسير فوضعوهم فى مكان حصين و[illegible] على [illegible]

يلاقيه في هم شديد ولكن فيهم واحد اطول من الكل اسمه عمر وكان من بلاد الشام فلما شاف سلامه قال آه يا ملعون على ما اكون مطلوق السواعد فقال له سلامه مادا يطلع بيدك ثم تقدم اليه واطلقه وقال له دونك وما انت طالب ها انا امامك فاستعد عمر وانطبق على ابو زيد فالتقاه بقلب كالحديد ومديده الى وسطه ورفعه إلى فوق راسه وخبطه بالارض كاد يدخل طوله بالعرض وقال كيف رايت نفسك فعندها اشار عمر يقول :

قال الفتي عمر الاسير الذي شكا   ولي قلب زاد اليوم بالحسرات
سلامه مسلمنا من القتل والعنا   ارميت وسط قلوبنا رهبات
ولما نظرنا الضوء بالليل قد اتى   ولا رجل الا قلبه قد مات
فنحن غربا. من ارض بعيدة   ولا رجل الا قلبه قد مات
وراحت تجارات لنا واموالنا   وجابونا الي ارضهم عرات
ورعونا الخنزير وللوحش بالفلا   وقد طحنونا الماء بالراحات
لكن انت رسمت فينا وجيتنا   حتي تقربنا فدي حسرات
كلاب نحن او غنم وسط روضة   والا تيوس تابعة عنزات
سألتك بعيسى ثم مريم تجيرنا   واعتقنا نبقى لك الخدمات
ما قال الفتى عمر الاسير الذي شكا   وعزمي تقطع فات مني وات

(قال الراوي) فلما فرغ عمر من كلامه وابو زيد يسمع نظامه قال له لا تخاف عليك الامان انت ودياب وجميع الاخوان واشار اليهم هذه الأبيات :

قال ابو زيد الهلالي سلامه   اسمع كلامي يا امير ديابا
وانت يا عمر الأسير فابشر   السعد جاء والهم عنك غابا
وكلكم يا ذا الاسارى ابشروا   لا تحملوا هما ولا انكابا
انا ابو زيد الهلالي سلامه   قد جيت اجعل هن البلاد خرابا
في دجى [illegible] خلصه   واقتل الى الهراس والحجابا
قد جيتكم [illegible] كلكم   وجميعكم والطلب فيكم [illegible]
[illegible]   ونغير على الهراس ليس نهابا
ونقتل كبارهم [illegible]   وكبيرهم نسقيه كاس شرابا
قوموا [illegible] كلكم   وتسلحوا سيوفها وحرابا
[illegible] حتى [illegible]   ونصيبه في موضع الينا صوابا

ونجيب الي نوفل نحطه موضعه ويعود حاكمها ولا يرتابا
ونروح الي أرض لنا وبلادنا ونشوق إلي أولادنا وحبابا
ويزول عنا الهم أيضا والعنا وتزورنا الأرفاق والاصحابا

فلما فرغ أبو زيد من كلامه فرح دياب فرحا شديد ماعليه من مزيد والاسرى دعوا له بالتوفيق ثم أخذهم الى الزردخانة فأخذوا منها ما يحتاجون ثم أن أبوزيدأرسل عمر معالفين من الشباب وربطوا الطريق والأبواب وفرق الباقي في جيع أنحاء البلدة وأخذ معه دياب وألف فارس وسار بهم نحو السرايا ودق الباب فرد عليه الحارس فقال له أبو زيد افتح أنا الراهب سلامه ففتح ودخل الأمير أبو زيد وضربه بالسيف قطعه نصفين ودخل على الهراس مع رفاقه لقاه نائم على فراشه فرفسه برجله ففاق وفتح عيونه يرى الموت الاحمر فوق راسه فقال من أنتم ياقوم فأجابه أبو زيد الراهب سلامه الذي اسمى أبوزيد وهذا أسيرك دياب قد خلصته من أسره فأشار الهراس يترجاه ويقول .

قال الفتى الهراس من قلب حزين أيا أبو زيد أنا واقع دخيل
أرجوك يا أمير أقبل رجوتى ما يقبل الرجا إلا الأصيل
حاشا لمثلك أن تخيب قاصده اجبر لقلب قد غاد واقع دليل

(قال الراوى) وما أتم الهراس كلامه إلا وأشهر دياب حسامه وضربه على هامه رمي راسه قدامه وأخمد أنفاسه ثم تفرقوا فى الأسواق والأزقة وعملوا السيف بمن لم يطع حتي قتلوا اثنى عشر ألفاً وباقى الناس طلبوا الأمان ووضعوا الخارم فى رقابهم فعفوا عنهم وطلع منادي ينادى فى الامان وجلس أبو زيد فى الديوان وأتى لعنده الاكابر والأعيان وكان بين أبو زيد ونوفل اشارة وكانت مراكبه دائما فى البحر ورفع أبو زيد الاشارة حالا فقدم نوفل بمراكبه نحو البنط وصعد الى البر فذهب أبو زيد ودياب لاقوه وسلموا عليه ورجعوا به الى الديوان والتفت أبو زيد الي الحاضرين من أعيان جهته [illegible] [illegible] دون حاكم عليكم ولا أحد منكم يخالف [illegible] [illegible] [illegible] فشكروا وشربوا وأشار أبو زيد يقول .

قال أبو زيد [illegible] سلامه [illegible] [illegible]
وأنت يا نوفل فكن [illegible] [illegible] [illegible]
بأهل قبرص [illegible] الى جميعكم [illegible] [illegible] [illegible]

وأنت مثل ابنى وأنا مثل والدك   وقلبي يحبك والنبي العدنان
عملت معى معروف ما لقيتى   على العين انعدا وأنا عميان
وإياك أن تظلم يجازيك ربك   اذا قمت من دبرك غدا عريان
وأعطيتني مركب صغير نزلته   وأرسلت من قومك معي غلمان
وقد أوصلوني لجزائر قبرص   وردون عنى والحشا فزعان
ودبرت أحوالى ونلت مرادي   قتلت الى الهراس هل الحوان

فلما فرغ أبو زيد من كلامه شكروه على مقاله ودخلوا الى دار الهراس فوجدوا المال الذي فيها لا يعد ولا يحصي فأخذوه ووسقوه فى المراكب وودعوا نوفل وساروا . وبعد ثلاثة أيام وصلوا الي دير اللاذقية فأرسل أبو زيد من يبشر الأمير حسن وبنى هلال بقدومهم فقامت عندهم الفرحات وعلت الضجات وزغطت النساء والبنات ودقت النوبات وركبت الأربع كرات والأمارة والسادات وساروا حتى وصلوا لعندهم فلما وقعت العين على العين ترجل الفريقين وسلموا على بعضهم البعض سلام الأحباب وهنوهم بالسلامة ثم حملوا الاحمال وساروا . أما الأساري فبقوا ماشين فى عراضة قدام الامير أبو زيد الي أن وصلوا الى الخيام فلاقتهم النساء والبنات بالزلاعيط والنوبات وهنوا الامير دياب بخلاصه من الاسر والاعتقال وشكروا الامير أبوزيد على حميد أفعاله والخصال وصرفوا ذلك النهار بالفرح والسرور والغبطة والحبور وعمل الامير حسن فى اليوم التالى وليمة عظيمة لها قدر وقيمة ومازالوا على تلك الحال وهم فى ارغد عيش وانعم بال مدة عشره ايام وبعد ذلك صمموا على الارتحال من تلك الاطلال فهدت الخيم وانتشرت الرايات والاعلام وركبت النساء والبنات فى الهوادج والعماريات وجدوا فى قطع البراري والفلوات طالبين ارض عمتاب حتى وصلوا اليها بعد ايام فنصبوا المضارب والخيام ورفعوا الرايات والاعلام

تم الجزء التاسع ويليه الجزء العاشر

الجزء العاشر من

تغريبة بني هلال الكبرى

الشامية الأصلية

قصة أبو بشارة العطار

الحاكم على قلعة صهيون وتلك الديار وما جرى له مع بنى هلال وأسر دياب وغيرهم وذلك بالسحر والكهانة ومجيء أبو زيد وما جرى لهم بعد ذلك من الحروب والأهوال

(قال الراوي) لما رجعوا بنى هلال من قبرص واجتازوا فى طريقهم ماردين التفت حسن بن سرحان إلى الأمراء والفرسان وقال لهم [إننا] قد عزمنا هذا اليوم أن نذهب إلى الصيد والقنص وانتهاب اللهو والفرص فماذا أنتم قائلون فقالوا له نحن لك مطيعين ثم فى ساعة الحال نهض الأمير دياب والقاضي بدير وساروا مع حسن يحدون السير ويسابقون بمسيرهم الطير وما زالوا سائرين من مكان إلى مكان وهم يطاردون الأرانب والغزلان حتى وصلوا إلى أرض [تدعى] قلعة صهيون فبينما هم على هذه الحال وإذا هم برجل عطار ذو هيبة ووقار وقدامه حمار وضع عليه آلة العطارة فلما أقبلوا إليه سلموا عليه فرد عليهم السلام وقال وقعتم يا أوباش لابد ما أقتلكم وأريح الدنيا منكم ثم تقدم إلى حسن وقال له ويحك إلى أين سائر فى هذه الأطلال أنت ودياب و[بدير] [illegible] [لا بد] لكم من عذاب ثم انه وقف حماره وهز [illegible] [وأنشد يقول]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

يا بدير انت رجل هزيل مقرقع ❊ انت مهبول و كان عقلك ضاعي
يا حسن بتأمر على الامارا بالقتل ❊ و كان حق الله عندك ضاعي
في هــذا اليوم لأريك خلاقه ❊ أنا أبو بشاره و كنيتي قطاعي

(قال الراوى) فلما فرغ أبو بشاره العطار من كلامه والامارا يسـمعوا نظامه قال له حسن اصمت قطع الله لسانك فعند ذلك صاح القاضي بدير وارتمى على أبو بشارة مثل الطير وأراد أن يبطش به فصاح به اجمد بالقدرة فما أتم كلامه حتى ارتخت أعضائه و كذلك حسن صار فيه مثاله فلما نظر دياب هذه الاحوال خرج عن دائرة الاعتدال وانحدف عليه وأنشد وقال :

يقول الفتي الزغبي دياب الغانم ❊ ونيران قلبي زايدات سعارا
ابو بشارة يا لعين تأدب ❊ أظن عقلك من دماغك طارا
يا كلب يا غدار تغدر بالملوك ❊ يا بايع الفلفل مع الجزارا
فلا بد ما ورق عدولك على العرب ❊ وفرق عليهم فلفلك وبهارا
وغنم النسوان أنا بعطارتك ❊ واجعل قتلك بالمـلا تذكارا
وخلي حمارك ينسحب لبيوتنا ❊ وآخذ ثيابك احرقها بالنارا

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه وابو بشارة يسمع نظامه اغتاظ غيظاً شديداً ما عليه من مزيد وقال له لماذا تتكلم بهذا الكلام على ابو بشارة الاسد الضرغام ولما سمع كلامه حمق منــه وصاح فيه وقال اليوم يومك يا ابن اللخناء ثم انه قوم نوح الفعال وقال له خذها من دياب الاســد الريبال وأراد طعنه فما عنر رأنه الا مكتف مكشوف الراس بلا لباس حافي الاقدام فعند ذلك صاح فيهم ومشى قدامهم فتبعوه مثل الغنم وكل منهم صار في حالة العدم وما زال سائر فيهم حتى وصل بهم الى قلعة صهيون فأحضرهم قدامه وأراد أن يسقيهم كاس [illegible] ثم ادخلهم الى السجن ووضع لهم الحديد والاغلال وقال لهم ما بقي لكم خلاص من ضيق الاقفاص

(قال الراوى) [illegible] هذا ما كان من [illegible] وأما ما كان من [illegible] فانه كان غائب في [illegible] و [illegible] الاطلال [illegible] حسن [illegible] فسأل عنهم بعض رجاله [illegible] صيد [illegible] ارض [illegible] الكلام وهذا ما [illegible] في الكلام [illegible] كانوا مع الامارا [illegible] في تلك [illegible] حسن [illegible]

فأعلموه بهذه الاشارة فلما سمع ابو زيد هذا الكلام غاب عن الصواب وصار فى حساب وأمور صعاب وصفن ساعة من الزمان ثم التفت الى الامارا والفرسان وقال لهم كيف يكون عندكم الرأى فقالوا له الرأي رأيك ونحن ما عندنا والله فقامت نساء هلال الصياح والبكا والنواح من كل جانب وناح وباتوا فى غم وهم شديد ما عليه من مزيد

(قال الراوى) ولما أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح اجتمعت بنو هلال عند ابو زيد وقالت ما هذا المصاب وما يكون منه الجواب ، قال لهم قوموا بنا فى ساعة الحال لاجل ندور عليهم فى البرارى ونفحص عن هذه الاحوال فعند ذلك نهضوا على الاقدام وساروا فى الفيافى والآكام يسألوا على امارتهم الكرام الي وقت الظهر فما وقعوا لهم على اثر فعند ذلك اخذهم الاضطراب وحثوا على رؤوسهم التراب فبينما هم كذلك واذا برجل سائر فى تلك الدكادك فساروا اليه وسلموا عليه فرد السلام بكل ادب واحتشام فقال له ابو زيد يا اخا العرب وصاحب الفضل والأدب انت من اين والى اين قاصد فقال له يا اميرنا كنت فى صهيون وسائر الى بغداد وتلك العيون فقال له ما عندك من الاخبار فقال له اعلم بينما كنت نهار امس سائراً فى تلك الناحية اذ وجدت ابو بشارة العطار معه ثلاثة اماره خيار وهم من بنى هلال ولكن واقعين فى اوشم الاضرار واخذهم الى قلعة صهيون ووضعهم فى الاغلال والحديد وهذا ما عندى من الاخبار واذا كنتم ذ هبين الى خلاصهم ارجعوا واستجيروا الله لئلا يصير فيكم مثلهم لأنه ما احد يقدر ان يصل اليهم فقال له ابو زيد من اى شيء فقال له من ابو بشارة لأنه سحار مكار لا يصطلى له بنار ولكن انتم من أى بلاد فقال له من بلاد الحسا والتضيف فلما سمع [illegible] كلامه تركه وسار فى حال سبيله واما ابو زيد فانه [illegible] الى فرسانه والابطال [illegible] يكون عندكم من الرأى والارشاد فقالوا له الراى [illegible] فقال لهم ارجعوا الى الاطلال و[illegible] لهذه الاحوال فعندها رجعت [illegible] ابو زيد [illegible] ساروا فى تلك البرارى [illegible]

[illegible] قلعة صهيون [illegible] ابو بشارة [illegible]

[illegible]

[illegible]

مكركم [illegible] على [illegible] ابو زيد لا [illegible]

أبو زيد من عرفك فينا حتى تعادينا ، فقال له انا عارفكم من وقت ما خرجتم من اوطانكم واشار يقول :

يقول أبو بشارة الأمير الذي شكا ... ودمعي جري فوق الخدود بدادي

ونيران قلبي كلما أقول تنطفي ... قد هب لاعجها وزاد وقادى

أبو زيد من أين ياغدار جيتنا ... يا من بسيطك فى الملا وبلادى

زيدان أنت بقيت الآن أسيرنا ... سألقيك على وجه الصعيد بدادى

وأما أبو زيد القيه ملقى مطوح ... ودمعه في وسط الفلا بدادى

واليوم يوم العز لا أريد خلافه ... ولي عزم أمضى من سيوف حدادى

وأما أبو زيد بأرض عنتاب شفته ... عمل جارية في دق بدادى

أبو زيد قتلت عزاز فى حيلة ... يتمت أولاده وكل بلادى

والله لاجعل قتلكم دأبي ... واقطع لروسكم من بين الأبنادى

أخاف ياأبوزيد تعمل حيل تذكر ... وتفك إلى رفقتك من قيد حدادى

لادعيك تغدو بالحبال مسوسح ... بالزلط تبقي ودمع العين بدادى

(قال الراوى) فلما فرغ أبو بشارة من كلامه والأمير أبو زيد يسمع نظامه اغتاظ غيظا شديدا وقال له سد فمك لعن الله أبوك وأمك وما أنت إلا ملعون يا بائع الفلفل والكمون روح وبيع عطارتك على النسوان ولا تعارض الفرسان وأشار [illegible] عليه ويقول :

قال أبو زيد [illegible] ... أنا أبو زيد حاوى جميع أوصافى

لا [illegible] ما [illegible] الي حنا ... لو كان عندك ثلاثين الف سافى

[illegible] تسمع راسه ... واحدف إلى رقبته من الأكتاف

عطار [illegible] ما [illegible] ... يا ناقص العقل يا معدوم الأوصافي

أنا أبو زيد [illegible] تشهدلى ... قرم صميدع من نسل الأشرافى

(قال الراوى [illegible] من كلامه وأبو بشاره يسمع نظامه غضب غضبا شديدا [illegible] التنكيد وعندها سحب الأمير زيدان حسامه وهجم عليه [illegible] وهو مكتوف وراسه مكشوف ووقف [illegible] أبو زيد ما صار فى زيدان خرج عن دائرة الاعتدال [illegible] وما هان عليه فى تلك الأسباب بل سحب سيفه لترناب وهجم عليه [illegible] وقال له ويلك يا ابن الأنذال دعك عن

هذه الأحوال فلما نظر أبو بشارة من أبو زيد تلك الفعال خاف من شرب كاس الوبالة فقبض كبشة من التراب وعزم عليها ثم حدفها على أبو زيد واذا رجليه قد يبست فى الأرض وكذلك يداه يابسات ومرفرمات الى فوق راسه فعدم عقله وحواسه ثم ان أبو بشاوه زعق في أبو زيد صوت هائل كانه الرعد الصائل ورفعه فى يده ما شاف ذاته الا وهو طائر ما بين الأرض والسماء وأما زيدان فجره ذلك الملعون ووضعه فى حبس صهيون فقال له حسن وأنت ما جابك الى عندنا يا أمير زيدان فقال لهم وقعة ما لها الا الله وأشار لهم يقول .

يقول الفتى المسمي زيدان ابن غانم	ونيران قلبي زايدات لفاح
أنا كنت مع أبو زيد بالبر سائر	ندور عليكم فى مسا وصباح
فلاقانا العطار الكهين بدربنا	تاريه سحار مكار يا صاح
فصاح عليه الأمير سلامه وقال له	من هنا ما عاد لك نجا ورواح
وصاح على صوت مثل رعد قاصف	وقعت مرمي على الوطا بشباح
وأبو زيد ما نظرته أين غدا	يا حسرتى ما أعلم لاى أرض راح

(قال الراوى) فلما فرغ زيدان من كلامه والأمارا يسمعوا نظامه وقالوا مليح هالملعون يجيبنا واحد بعد واحد وعادوا فى حسب وأمور صعاب هذا ما كان منهم وأما ما كان من الأمير أبو زيد فانه ما وعى على ذاته الا بين بيوت بني هلال يبكى [illegible] ويدعى أهله والأعمام ويضرب بيده ذات اليمين والشمال فلما رأته كل بنو هلال [illegible] عليه [illegible] وقالوا [illegible] أبو زيد جن والآن يبكى [illegible] عليه [illegible] وحطوا القيد فى رجليه وبقى على [illegible] ثلاثة أيام [illegible] وهو ما يعرف ذاته فى أى مكان ثم اجتمعوا عليه [illegible] الكلام وبعد ذلك [illegible] من الأوهام وقالت أكابر بني هلال [illegible] أبو زيد وهو الذي عامل [illegible] وأحباب بنى هلال [illegible] مليح [illegible] وضيح وأشار [illegible]

[illegible]

[illegible]	ونيران قلبي [illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	فى [illegible]

وقال أنت غدار تغدرني ... اسمك سلامه وانت دابر على القوم
فقلت له سلامه ما انا خايف ... يا كلب يا ملعون يا ابن الشوم
فصحت فى زيدان اقطع راسه ... ادعى هذا الكلب وسط الدم يعوم
فصاح يا ناس بزيدان اوقفه ... مربوط في شاشه بقى محزوم
لمـــا نظرت انا يا ناس فعاله ... بقيت بحال الذل شبه البوم
صرخ علي وبيده اوما نحوى ... ما عاد لي حيل حتى اقوم
وجدت نفسى بين العرب واقف ... ساهي كأني يا ناس فى نوم
عمرى ما رأيت بالناس مثـله ... ابو بشارة دهاني انا يا قوم
يا هلال مادا العمل والراى قولوا ... ارواحنا فى سبيل الله بنسوم

(قال الراوى) فلما فرغ ابو زيد من كلامه وبنو هلال يسمعون نظامه واذا بالامير غانم ابو دياب مقبل عليهم فدخل وسلم فردوا السلام وقاموا له على الأقدام فنظر بينهم فما راى اولاده فزاد همه وغمه وقال يا ابو زيد اين اولادي وثمرة فؤادي فاخبره بما جرى وصار فلما سمع هذه الاخبار طار من عينه الشرار وصاح صوتا من صميم فؤاده ووقع مغشيا عليه وغط على قلبه ساعة من الزمان فاستيقظ وعاد يصيح اين دياب واين زيدان فارس الفرسان واشار يقول

يقول الفتى غانم على ما اصابه ... ونيران قلبي زايدات شعال
يا امير اسمع كلامي وافتهم ... يا فارس الفرسان يوم نزال
انت ابو زيد الأمير سلامه ... ريت عمرك ما تنظر هوال
اين زيدان الشمي مع دياب ... مرعب الفرسان فى سوق المجال
اين ابو تكما بدير العايد ... قاضي هلال ما مثـله مثال
ارع [illegible] فى يوم الحروب ... مال فيهم الدهر يا امير مال
اتوك جمع هلال يا امير املا ... ايا فارس الفرسان يا مفضال
وكلهم [illegible] يريدون الفرح ... يا ابو شيبان يا فارس هلال
انهم [illegible] ... [illegible] فيهم ترى هن الاحمال
اخذت لاولادي [illegible] ... [illegible] كمدهم [illegible] حمال
وانت [illegible] ... [illegible] منك وط هده العمال
[illegible] ... [illegible] التي [illegible] يقال

(قال الراوى) فلما [illegible] من كلامه و[illegible] يسمع [illegible]

بنو هلال صيحة عظيمة تفلق الجبال وقالوا ياأبو زيد إلى أى متى هذا الحال وأنت قاعد يا مفضال قم وسر بلا اهمال وانظر أحوال الأمارة والأبطال ونحن نعرفك ما تترك ملوك بني هلال ويامالك عوائد واقبال وكيف عاد تجرى فيهم هذه الأهوال ونحن ماذا يصير فينا من بعدهم وزادوا في البكاء والعويل والحزن الطويل فوردت اليه جميع بنى هلال النساء والعيال وقدام الجميع الجازية أم الدلال أخت حسن سيد بنى هلال ووقعوا عليه وقبلوا يديه وراحت الجازية تحشمه فى هذه الأبيات وتقول :

الجازية قالت في بيوت ملاحي	مسطرة فى كتبها وطراحي
ياحيف ياأبو زيد على خيل الملاحى	قدما تعرض فى مسا وصباح
يا بنات البدو هاتوا خيولهم	وسيوفهم ودروعهم ورماحى
حتى ندور على الامارا كلنا	فى كل أرض يا فتي وبطاحى
أبو زيد عامل انت مالك مقدرة	نحن اليهم سائرين صباحي
أنت قتلت الاربعة فى مكرك	أخي حسن صيطه كمسك فاحى
وأخذت الى أولاد الامارا وفتهم	بالغرب عادوا فى بكا ونواحي
عمال يا أبو زيد تقرا بالعذر	وتقول عتلى من دماغي راحي
مقالات فتاة الحي أم محمد	على فقد أخي زادنى اجراحى

(قال الراوي فلما فرغت الجارية من كلامها وأبو زيد يسمع نظامها فقامت الجازية والبنات حتى يركبوا العماريات فقالت امارة بنى هلال هذا شي ما يصير قوم ياأبو زيد وسير أنت عوايدك ورجينا فعالك فقال لهم ياقوم هذا أبو بشاره كوبى من الكهان وما يقدر عليه أحد لا من انس ولا من جان ولكن استعنت عليه بالله وتوكلت على الله الواحد الديان الذى لا يشغله شأن عن شأن فارجعوا يا ناس وكونوا بأعظم المسرات وان شاء الله [illegible] لا وأن مخلص السادات من الأسر والشدات فبكوا الجميع [illegible] شدة ما عليه [illegible] وقالوا يا أبو زيد لا [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] أبو زيد [illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] وشيخ ما كان عليه [illegible] شيب [illegible] فى [illegible] [illegible] عكاز [illegible] وسار [illegible] والأوعار [illegible] حتى [illegible] ضيعة [illegible] [illegible] فى تلك [illegible] يسمع صوت أبو بشاره [illegible] على عطارة

ياغنادرة فقال أبو زيد الله تخفي لك هل صوت ياستار استرني من هذا الجبار ثم
أنه دخل خربة في ذلك المكان وتخبى فيها خوفا من ذلك الملعون ابن الأنذال الى
أن طلع أبو بشاره من تلك الضيعه وكان أبو زيد مشاهد اليه ثم أنه خرج من
تلك الخربة ولحقه من خلف الى خلف حتى يقتله فلما قرب اليه التفت أبو بشارة
نظر أبو زيد تابعه فوقف وقال له أين بقيت تروح يانذل العرب وانا وراك في
الطلب تحسب انى ماشايفك من حين الذى تخبيت في الخربة ثم قال له تعالي قدم الى
عندي حتي أوريك تعسك يا كلب يامكار يامخروب الديار فلما سمع أبو زيد
هذا الكلام أراد أن يهرب في الآكام واذا برجليه يابسات ولاصقات في الأرض
فقال له العطار موت كمد ولا يعلم فيك احد فسار وتركه فعندذلك رفع أبو زيد
راسه الى قبلة الدعاء وباسط الارض على وجه الماء وقال الهي وعزى وسندى
ومولاى ورجاى بجاه كل الانبياء والمرسلين أنك تغيثنى من هذا اللعين بجاه
سيدى الخضر عليه السلام منجد الايتام ومغيث كل من دعاه فما أتم ابو زيد كلامه
والا قايل يقول له لا تخاف يا ابو زيد ولا عليك من باس أقبل عليك شيخك
الخضر ابو العباس عليه السلام فعند ذلك انطلق ابو زيد من مكانه وسار قليل
واذا في ابو بشاره العطار مقبل عليه وقال اه من مكرك ياغدار يامكار واشار
يهدد عليه في هذه الابيات ·

قول ابو بشاره انت يا مكار   تحسب [illegible]ي منك انا خوافى
تحسب [illegible] [illegible] تغلبني   والا انا من عكارتك خوافى
[illegible] سمعة [illegible] يعرفها   والرمل عندى في الكتب اصنافى
السحر [illegible] يعلمني   ما [illegible] [illegible] [illegible]
وانت [illegible] تغلب   [illegible] الكواهن [illegible] عراف
[illegible]   وتموت [illegible] شوافى
[illegible]   [illegible] الاشافى

[illegible] يسمع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وقتلت عايبسلك امارة بنى هلا فلما سمع ابو زيد من ابو بشاره هذا الكلام صار الضيا فى وجهه ظلام واشار يقول :

يقول ابو زيد الهلالي سلامه   ونيران قلبي زايدات شعال
سألتك يا رحمن يا سامع الدعا   بجاه من على الجبال قد جال
ابو بشاره ما تخاف الله يا كاهن   اياحيف راحين ابطالنا ورجال
لو كنت مأمور كان الاسرا هون لي   وكنت اشوف لرفقتي ورجال
الهى بحق الحرم وكعبة الغراء   وبجاه الانبياء وكل مفضال
بأنك تجيرني من الكهين الساحر   ابو بشاره الساحر المحتال
مقالات ابو زيد الهلالي سلامه   ونيران قلبي زايدات شعال

(قال الراوي) فلما فرغ أبو زيد من كلامه والحق متجلي على دعائه استجاب ندائه فأراد ابو بشاره يسير الا وصوت ارعد له الجبال يقول الحقه يا ابوزيد مفضال واسقيه كاس الوبال انا استاذك الخضر ابو العباس ما عليك يا ابو زيد من باس فلما سمع ابو زيد هذا الكلام ظن انه فى منام فعندها انطلق ابو زيد ولحق ابو بشاره فى تلك البيد ولما قرب ليه صاح عليه وقال له ان عدت تسير يا ابن اللئام ليوم أسقيك كاس الحمام وما عاد لك خلاص من ضيق الأقفاص فأراد أبو بشاره أن يلتفت اليه ويهجم عليه وقد كتف [illegible] على وجهه وعقد لسانه وجمدت عيونه وما بقى له كلام [illegible] فسحب أبو زيد [illegible] من داخل العكاز وضربه على [illegible] رأسه [illegible] فوقع قتيل [illegible] دماه جديل ولما قتل ذلك المحتال [illegible] من هذه [illegible] وقرأ الفاتحة وأهداها إلى الخضر أبو العباس [illegible] ثم انه [illegible] ووضعها على [illegible] ثم انه [illegible] من [illegible] عظام أبو [illegible]
[illegible]

يدعوا له بكل شفة ولسان فتركهم وسار فى تلك البرارى والكثبان ولم يزله أبو زيد سائر حتى انه وصل الى قلعة صهيون وتلك المعالم فما نظر الا واحد فز له واثب على الاقدام والتقاه بالترحيب والاكرام وأجلسه الى جانبه على مراتبه وأمر له بالخمر والشراب فقال أبو زيد فى سره أنا عمرى ما شربته وكيف أشرب الآن وعاد بأمره محتار من هذه الأضرار فقال له صاحب القلعة وكان اسمه حنا علامك يا أبو بشاره ما تشرب وتطرب فقال له أبوزيد مالى به حاجة حيث حلفت عنه يمين جمعة كاملة أني ما أذوقه لانه فى خاطرى أقتل هؤلاء الاسارى وأسقيهم كاس الذل والخسارة فقال له ونحن عدنا ننتظرك حتي انك تحضر وتفعل فيهم مرادك وقال لهم هاتوا لى زيدان لاجل أسقيه كاس الهوان فلما أحضروه نظراليه وصاح عليه ويلك ابن الانذال أين رفقتك والابطال قال له فى السجن يا مفضال فقال له يا جبان أنا أسألك عن أبو زيد أين هو الآن فقال له زيدان ابشر باكر يجيك ويدعك وقيد فقال له تخسا أنت واياه لازم أقتلك أنت وأبو زيد وحسن ودياب وآخذ منكم الثار وأكشف عنى العار وأشار يقول :

أبو بشارة قال يا زيدان ... وحياة راسي لاجلك قربانى
لاعملك شهرة فى كل الملا ... وحياة دينى يافتاة زيدانى
ولاقيتكم فى لطريق عاجل جبتك ... وأبو زيد يازيدان زاد جنانى
نفخت علية أنا نفخة طيرته ... وعاد يركض بالفلا حفيانى
يوم يا زيدان تلقي عادم ... من يدأبو بشاره القارس العرمانى
واقتل حسن أنا من بعدك ... واقتل دياب الفارس الخوانى
و[illegible] الذي قاتله يا وى ... واقتل أبو زيد على الوطا [illegible]
[illegible] ... كبريت أبيض حطوا على النيرانى
وهات جريس و[illegible] كلا ... وهات يعقوب وابو [illegible]
وكل [illegible] ... [illegible] لي جمل [illegible]
وآخذ [illegible] ... [illegible] ثار [illegible]
[illegible] ... [illegible] قوم هما [illegible]

(قال الراوى [illegible] وزيدان يسمع [illegible] قال له زيد يا أبو بشارة لا [illegible] فى وقت ولا هى [illegible] فى [illegible] المراجل على [illegible]

الخيل هات لى جواد وعدة جلاد وادعي قومك كلهم يلقونى في الميدان يا كلب يا جبان وأشار يقول :

قال الفتي المسمى أنا زيدان   أبو بشارة ما أنا فزعانى
ان كنت تقتلني فهـذا يومي   هذا الذي ما قدره الرحمانى
لأن عمري يا فتي ما هو بيدك   العمر من عنـد الواحد المنانى
أبو بشـارة لا تظن انى داشر   خلفى عقيد الخيل أبو شيباني
إن كان نحاني الهى منـكم   لألعن أبوك من قديم الزمان
وحياة راسي ان طلعت إلى الفلا   وركبت لفرسي وعود الزان
أبو بشاره كيف أمرت بحرقنا   وتقول قوموا اضرموا النيران
النار تحرق يا لعـين فؤادك   ما تحرق الاسلام يا خوان
أبو بشارة يا لعـين تأدب   يا ندل يا سـحار يا شيطان
قوم وانظر فى المرايه وجهك   ما كانك إلا من فروخ الجان
قول الفتي زيدان من وسط الحشا   كلامى صـدق ما به بهتان

(قال الراوى) فلما فرغ زيدان من كلامه وأبو بشارة يسمع نظامه قال له يا ندل دياب فتل ابن عمي أم انت وابو زيد قتلته وعلى الارض جندلته قال زيدان تقول انك عارف شاطر وبعلم السحر ماهر تدرك كذاب وما لك علم في هذه الاسباب فقال له كيف ما اعرف ذلك وأنا [illegible] وقتع ومهالك فقال له زيدان اعلم أن كل [illegible] فتلهم غير دياب [illegible] الاصحاب [illegible] انا وابو زيد ما قتلنا أحداً فقال أبو بشارة [illegible] دياب [illegible] معه حتى ننظر هذا الارتياب [illegible] وساروا فى [illegible] حضروا [illegible] وبقية الابطال فحينئذ التفت أبو زيد إلى دياب وقال له [illegible] أولاد عمى [illegible] كاس العذاب فقال زيدان قول ان [illegible] صحيح [illegible] الكلام [illegible] اعلى راسك بهذا [illegible] مكتوب [illegible] عنوانه [illegible] كلام زيدان [illegible] كلامه [illegible] [illegible] واحد منتصر [illegible] راسها وأشار يقول :

أبو بشارة قال ابيات مرتبه　　أبيات موزونه على البيكار
لا تأمن الدهر عمرك ساعة　　الدهر دولابه حقيق دمار
دياب قتلت العزاز في سيفك　　حق الخزاعى دعية على الوطا محتار
وحياة ديني لاجعل قتلكم عبرة　　يوصل خبرها الي بلاد سنجار
يا امير انت تحدثني وما تفزع　　هل وقت احرقك بلهيب النار
هاتوا عصاتي حتى اضربه بيدى　　أنا قاهر الفرسان يوم سعار
واقتل امارتكم وكل رجالكم　　ميتين كرباج كل واحد دار

(قال الراوي) فلما فرغ من كلامه وقومه تسمع نظامه دعوا له بالنصر والظفر ثم قال ارموا دياب فجابوه وطرحوه فأخذ العصا بيده وقام ليضربه فقال له زيدان مكن يدك يا ابو بشارة ريت عمرك ماتشوف خسارة ومن بعد ذلك العذاب القيه في النار فقال دياب ويلك يا زيدان كيف يهون عليك هذا المرام يا حيف يكون ابوك غانم واخوك دياب فقال ابو بشارة الي زيدان ماذايكون منك هذا هل هو أخوك فأجابه نعم من فرد أم وأب ولكن قوم اقتله وادعي من الدنيا مرتحله لأنه هو الذي قتل رجالك وألقانا بين يديك ظلم فقال دياب والله يا ابو بشارة صاحب اللسان غلب صاحب الاحسان والله مامستاهل القتل غير زيدان وابو زيد لأنهم قتلوا أولاد عمك وهذا زيدان تربايه ذاك الشيطان فقال أبو بشارة حقاً انت تربايه ابو زيد وعامل حالك مسكين فأجاب زيدان نعم أنا تربايه أبو زيد ولابد ما عدمت روحك وأشار يقول :

على م قال زيدان المسمى　　مريع الخيل ان اجوا صايلينا
مريع الخيل في يوم الوقائع　　سياح البيض اذا طلع الكمينا
أنا زيدان ليس أنا مخبا　　وترايه الملوك الغانمينا
أنا [illegible] حقيقا　　أبو شيبان يا عيني لهينا
أ معوق [illegible] لا تقهر　　وضرب ضرب عصى الما كنينا
أنا قتلي [illegible]　　وحق البيت والركن اليمينا

(قال الراوي) فلما فرغ من كلامه وذياب يسمع نظامه التفت الى العضار وقال له سمعت كلام زيدان يا مغرور الذي هو أمر من ضرب البتار فقال [illegible] صدق دياب يا أبو بشارة دعنا نقتلهم ونستريح فقال أبو بشاره ما نقتلهم حتى نجمع عليهم أهل البلاد ونستدعي رهبان قبرص وحلب وجميع من له عندهم ثار لكى

يتفرجوا على قتلهم ويشربوا من دماهم فقال له حنا افعل ماتريدونحن عن رأيك لا نحيد يا ابن الاماجيد فأمر أن يأخذوهم الى السجن فأخذوهم ووضعوا لهم الحديد وقالوا لهم ما عاد من عمركم غير هذه الليلة وغداً تذبحون جيكم ذبح الغنم ولا يدع منكم ديار ولا نافخ نار وقفلوا عليهم الباب وتركوهم يقاسون أنواع العذاب وعند ذلك التفت الامير حسن الى بدير قاضي العرب وقال له ما العمل فى هذه الوقعة المشومة مع ابو بشارة والآن ارسل يستدعى اهل البلاد وغدا يجندلنا فى البرارى والوهاد فلما سمع بدير هذا الكلام سكت اضراسه وبال فى لباسه واما حسن فقطع الاياس من روحه وانحلت عزائمه وذاب تغيرت الوانه وجمدت عيونه وصار يقول الله يضرك يا زيدان على فعلك حتى شمت علينا ابو بشارة وطمعته فينا فصار زيدان يضحك عليهم فقالوا له علامك تضحك وهذه الوقعة مالنا منها خلاص فقال لهم اذا كان لنا عمر ما احد يقدر يقتلنا واذا كان فرغ اجلنا فحبا وكرامة فى لقاء الله وماذا يكون ابو بشارة حتى يقاتنا وغداً يجينا ابو زيد ويخلصنا بأمر الله تعالى ثم انهم اخذوا يندبون انفسهم على هذه الوقعة الردية وصار حسن يندب ذاته والامارا يودعون الدنيا وزيدان يضحك عليهم وعادوا فى حساب وامور صعاب هذا ما كان من حنا حاكم قلعة صهيون فانه التفت الى ابو بشارة وقال له هات الاسارى حتى نعذبهم ونشفي غليل قلبنا منهم وعند ذلك احضروهم ولما وصل الأمير حسن ارمي السلام ما احد رد عليه ولا التفت اليه فقال علامكم ما تردون السلام. فقال ابو بشارة اننا ما نرد عليكم السلام واليوم نسقيكم كاس الحمام فقال له حسن سوف نحن كالابوار وتشربون كاس [illegible] من ابو [illegible] فقال له ابو بشارة تحسا يا قاين واليوم اوريك العذاب [illegible] فقال له حسن اعلم يا امير [illegible] تندموا على فعلكم هذا الكبير فقال له على ماذا [illegible] فقال له حسن سوف يأتيك ابو زيد صاحب المكر والكيد ويخرب البلاد ويقتل احدك [illegible]
[illegible] على [illegible] ابو زيد [illegible]
[illegible] ابو بشارة [illegible] :

[illegible] الامير حسن على [illegible] [illegible] قلبي [illegible]
وحق [illegible] [illegible]
وجيب [illegible] حاق ودمع عينه [illegible] جراه

ابو بشاره هات السيف وقتلهم ارواحنا لك ياامير وهيناها
هذا كلامي اليك ياامير الملا لاتأمن الدهر غدراته نطرناها

(قال الراوي) فلما فرغ الآمير حنا من كلامه قال يا ابو بشارة قوم اقتل هؤلاء الاسرى فقال له طول بالك يا ملك ولا تعرف قتلهم الا مني ولا أقتلهم حتي أجيب أبو زيد ونذبحهم سواه وأنت كون في صفاك فلما سمع حنا كلامه سكن روعه وجلس موضعه وقال له افعل مرادك بلغك الله آمالك عندها التفت أبو زيد الى القاضي وقال له انت قاضي العرب قال نعم قال أنت قلت الى قومك أن يقتلوا عباد النار ذات الشرار حتي قتلوا الى أمارتنا وفرساننا فقال له قتلهم حلال قال في أي مذهب قال له في كل المذاهب لانه ليس يعبد الا الله سبحانه وتعالي فقال له مرادي أن أرمي عليك مسائل فقال القاضي اسأل عما شئت فقال أخبرني عن شجرة لها اثني عشر غصنا وفي كل غصن ثلاثين ورقة وفي كل ورقة خمس ثمرات اثنتين بيض وثلاثة سود فقال له القاضي هذه السنة والاشهر والايام والصلوة الخمس فقال له اخبرني السماء مسيرة كم يوم فقال له خمسمائة عام قال زيدان بقي عليك ان تسأل دياب وان ماعرف جاوبك اقطع راسه وأخمد أنفاسه فقال دياب ويلك يا زيدان أما أنا احوك لاشك انت ابن اللئام وانت تربيه ابو زيد الهمام فقتلهم بدريس وعرار فان قتلوكم يكونون اخذوا ثارهم منكم وانشد يقول :

دياب غني قصيدا من ضمائره ودمع العين على الخدين طوفان
[illegible] لمروءة عمر [illegible] قتلي إن كنت تقتل قوم اقتل زيدان
[illegible] وادعى [illegible] على [illegible]
[illegible] عمك وحلو [illegible] بلا وأحزان
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] الا أخي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] فرغ [illegible] كلامه [illegible] بشارة [illegible]

قال دياب أنت تقول ما قتلته وحسن والقاضي وزيدان يقولون أيضا ما قتلوا أحد ومرادى اعلم من هو الذى قتلهم أخبروني وأصدقوا فى المقال وإلا قتلتكم فى الحال فقال له دياب اعلم يا حباب ما أحد قتل أعمامك والأبطال إلا أبو زيد والأمير زيدان وأنا أعلمك بصدق اللسان وما بقى على ملام وإذا قتلتنا جميعا فسحت الرمام فقال زيدان ويلك ياذياب من قتل بدريس والخزاعي فى ذلك المقام والمراعى فأنت تعمل عمايلك وتتهم غيرك وأنت دائما فى الفانيات ومالك فى شيء ثبات وطبعك دائما الغدر والهزيمات ثم أنشد يقول :

قال زيدان قصيد من ضمائره أبيات كالدر موزونة بميزان
وحق عيسى وموسى والنبى محمد قولى صحيح ما فيه بهتان
دياب هو الذى قتل الى أعمامك قتل بدريس بسيفه وسنان
أيضا قتل للخزاعى ماأختشى منك تحقيق يا أبو شاره وما أنت وهمان
حقا يا أهل المروة اقتله بالسيف واجعل دمه فوق الأرض غدران
بحياة راسك تشفى خاطري منه هذا يقيم الفتن كأنه شيطان
وهذه المسائل يحلها دياب بساع وان ما عرفها جعله يوم قربان
اضربه على رقبته بالكف وحياتك يافارس فرسان يوم طعان

(قال الراوى) فلما فرغ زيدان من كلامه والجميع يسمعوا نظامه فقال حسن كيف يا أبو شاره دياب يقتل أهلنا ورجالنا وأنت ساكت عنه حتى عليك تشفي خاطري منه فقام [illegible] تحت الضرب [illegible] أبو شاره أحد عكاز في يده ومال عليه حتى كسر [illegible] وثبت في [illegible] مرادى
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

عليه مائة دينار وسلم عن شماله طلقت زوجته فنظر الي موضع سجوده بطلت صلاته فأشار يشرح له ويقول :

ابو بشارة قال يا قاضي العرب   انت وهيم وتعرف الابياتى
اسمع كلامي يا امير وافتهم   واصغى لقولى يافتي وابياتى
وحق ربى انني مشفق عليك   والا دعيتك كنت بالحفرانى
دياب قربت بدا النهار منيتك   ايضا حسن اسقي له كاساتى
هاتوا المقارع واضربوهم بالعجل   حتي يروحوا الكل للفراتى
ترمى علي يا بدير مسائل   انت فما تعرف أمور صلاتى
هل يصلي كان يا قاضي العرب   عليه مائة دينار من الطلباتي
نظر عن يمينه قد شاف الهلال   وحب عليه المال بالحزاتى
سلم على اليسار قد شاف المرا   وجبت عليه طلاقها بثباتى
لانه حالف عليها بالطلاق   بأن لا تطلع من الابياتى
نظر قدامه موضع ما سجد   وجد النجاسة ما تجوز صلاتى
الله تهدينا الي أوقاتها   بحق من قد انزل الآياتي
هذا كلام أبو شاره يا بدير   وحياة راسى لأجعلك شقفاتي

(قال الراوي) فلما فرغ من كلامه والقاضى بدير يسمع نظامه وقال له عفاك يا امير على هذا العلم ولكن ياحيف عليك تكون عابد النار ويكون هذا العلم عندك فضحك وقال يا قاضي خلص روحك وإلا أقتلك أنت وارفاقك وقال له القاضى اريد اسألك سؤال قال له قل عما شئت وقال له اخبرنى عن خمسة ارواح اكلوا وشربوا ولا لهم أم ولا أب فقال له انا عرفت سؤالك والتفت ابو شارة الى رفقه وقال جيبوا سؤال هذا المسلم فقالوا انا ما كان عرفت سؤاله نحن ماذا يعرف فقال يا قاضي نحن ما عرفنا سؤالك وشرحه لنا وخذ لك خمس دجاجات محشيات ... وكان أبو زيد مراده ان يطعمهم لحم حتي ترد روحهم اليهم فقال له ... امير هولاء هم آدم وحوى وكبش اسمعيل وعصاة موسي و ناقة صالح فقال ... اخبرني عن موضع لا تجوز فيه صلاة المسلمين وهو طاهر فقال له ظهر الكعبة فأمر ... ان يحدوهم إلى موضعهم فأخذوه بالسمع والطاعة وأخذ ابو زيد ... كل يوم خمس دجاجات وما زالو على هذا مدة ايام .

(قال الراوى) وفى ذات الايام قال ابو زيد يا امير حنا الان مرادى اسير الى بني هلال واقتل ابطالهم ورجالهم وادعيهم بأوشم حال واكتف ابو زيد ونبقى ندبر فى هلاك الجميع ثم اشار يعلمه فى هذا القصيد وعمر السامعين يزيد

اعتب على دهرى وفى صهيون ارمانى … عند قوم بين الخاص والدانى

الدهر دولاب لا تأمن له بالك … فى ارض صهيون هذا اليوم ارمانى

فجبلي حمارى وجبلي هل بضاعة … حتي اروح سواح فى سائر البلدان

واعمل وليمة واجمع كل فرسانك … وحط يدى عليهم ثم درعانى

وهذه المحابيس يوم العيد نذبحهم … واجعل دماهم بالأرض طوفان

واجيب ابو زيد واعمله لماكر … كى ينظروا العذاب اشكال والوان

وحياة دبي لأجعل قتله شهرة … واجلى صدق القلب واكشف الاحزان

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه والملك حنا يسمع نظامه قال له افعل مرادك وما فينا من يخالف مقالك هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمارة بني هلال فيناهم بالذل والحبال تفكروا فى أهلهم والخلان وكيف عادوا فى الذل والهوان من بعد عزهم فقال القاضي يا أمارا ما يصير علينا إلا ما كتبه الله لنا هذا ما كان منهم وأما ما كان من أمر أبو زيد فانه التفت إلى حنا ووزيره جرجس وقال لهم هذه الليلة مرادى عمل كيفية فقالوا حبا وكرامة وما كان إلا برهة من الزمان حتى حضر خمر وجلسوا فى ذلك المكان وقالوا من يكون ساقى علينا يا اخوان فقال أحد الامارة ما أحد يسقينا غير أبو شارة لأن يده مباركة فقام المذكور من ساعته وصار يسكب خمر ويسقيهم حتى سكروا الجميع ولا عاد يعرف الأول من الآخر فتركهم [illegible] وسكر عليهم [illegible] وسار على الأعقاب فى البرارى [illegible] حتى [illegible] الى [illegible] وقت [illegible] ودخل عليهم وقال قوموا [illegible] نحن فى حيرة [illegible] لا [illegible] أنت أبو شارة [illegible] فقال لهم [illegible] يا [illegible] فى هذا المكان [illegible] أبو شارة [illegible] فى هذا المكان [illegible] ناولته كاس خمر فصب [illegible] ورفع عن وجهه [illegible] بينه وبين أبو شارة من الاحكام [illegible] بما وقع بهم [illegible] سمعوا منه هذا

الكلام قاموا له على الاقدام وقبلوه مابين الاعيان وشكروه بكل شفه ولسان فعند ذلك تقدم اليهم وفكهم من وثاقهم وأخذهم في جنح الظلام وساروا يقطعون البراري والآكام حتى وصلوا إلي قومهم ففرحوا بهم فرحا شديدا ماعليه من مزيد وطلعوا لاقوهم بالطبول والزمور وفرحوا فى سلامتهم وشكروا الامير أبو زيد على تلك الفعال التي تعجز عنها صناديد الابطال وما زالوا سائرين إلى أن التقوا فى بعضهم البعض فسلموا على حسن ودياب وزيدان ونزلوا فى تلك الكثبان في الخيام وقدموا لهم الطعام وبعد ذلك قاموا على الاقدام وتقلدوا بأنواع السلاح وباتوا ينتظرون الصباح

(قال الراوى) هذا ما كان من بني هلال وأما ما كان من أمر حنا والابطال فكانوا حيرانين كما تقدم الكلام ولما كان الصباح استفقدوا الاساري فما وجدوهم وفتشوا علي أبو بشارة فما وجدوا له خبر أيضا فحينئذ علموا القضية بماذا كانت مطوية ثم صاح حنا فى الفرسان وأمرها بركوب الخيل فعند ذلك ركبوا ظهور المهارة وجدوا في تلك الصحارى طالبين بنى هلال وما زالوا مجدين فى سيرهم حتي قاربوا الارض التي فيها بنو هلال فقال لهم الوزير جرجس وأخوه مرقص خذوا أهبتكم للحرب والنزال فلما سمع حنا المقال قال ما لكم ومن بنو هلال فقال جرجس اذا أقمنا هنا الي وقت السحر وسرنا بلا مهل نصل نصف النهار الى بنى هلال فقالت الفرسان لقد نظر جرجس موضع النظر لان من أمسى وأصبح على خطر لا يأمن القضاء والقدر ثم انهم باتوا فى ذلك المكان يتقلبون تحت مشيئة الرحمن وعولوا على ما قال جرجس من الخطوب وبينما هم علي ذلك واذا بخيل بنى هلال قد طلعت ولمعت رماحها فى شعاع الشمس وهي غائصة فى الزرد والسلاح تجر خلفها قطع الرماح وفى أوائلها أبو زيد ومن وراه دياب وحسن والقاضى وزيدان وفرسان حرب وطعان فتبادرت اليهم عساكر جرجس وحنا وصاحوا بهم فارتجت نصيحهم الوديان ثم سألوا من أنتم أيها اللئام فحمل عليهم دياب بدون جواب فتلقاه فارس يقال له دهقان وتحاول هو واياه ساعة من الزمان فحكم دياب فيه السنان وضعه فى صدره خرج يلمع من ظهره وكان معه عشره من الفرسان فلما نظروا ما حل به حملوا على دياب فتلقاهم كانه الاسد وفى أقل من ساعة قتل سبعة فرسان وانهزم الباقون وهم ينادون يا للعرب الحاضرون من قتال الحر وقد حل بنا العطب قم الآن يا حنا وقاتل الحر فقد برز الينا من هؤلاء القادمين شيطان

بصورة انسان قتل مقدمنا دهقان وسبعة من الفرسان فلما سمع حنا هذا الكلام صعب عليه وكبر لديه وقال لهم كان هؤلاء القوم ما عرفوكم حتي قاتلوكم علي وجه الارض جندلوكم ولو عرفوكم ما كانوا حاربوكم وان صدقني حذري ماهذا الجيش والعسكر الا مع أبو زيد الاسد المنكر وأظن أنه لما خلص الاساري سار الي العرب وأتانا للطلب والآن يحل به وبهم العطب ثم انه غار عليهم ولما وقعت العين على العين علا الصياح من الفريقين ووقع السيف بين الطائفتين ونادى الملك حنا لئام غير كرام تظنون اني اخلي لكم مالى وما نهبتوه من انعامى وما قتلتم من رجالى اليوم أبلغ منكم ما آربى وآمالى فلما سمع أبو زيد كلامه عرفه وقال له ويلك يا فاجر لمثلى تفزع بهؤلاء الانذال وأنا مقدم الاقيال ثم أمر رجاله بالحملة فحملوا من غير امهال ووقع بينهم القتال ساعة من الزمان فوقع بقوم حنا الفناء والدمار وخاب منهم الامل وأيقنوا بحلول الاجل ووقعت أسنة الرماح فى الارواح والمقل وجري الدم على تلك البطاح وهطل وضرب في ذلك اليوم المثل وبان الخطأ والزلل وغليت الحرب كغليان المرجل وكان حطبها عوامل الرماح الذبل وخاضت بنو هلال الغبار والقسطل وأبروا الرقاب وطعنوا الصدور بالاسل وقاتلوا قتال الجبابرة الاول فلله در أبو زيد وما فعل ودياب قد استقتل وسطا زيدان سطوة البطل ولم يزل الامير حسن فى حملته بين تلك الامم حتي التقي فى الوزير مرقص أخو جرجس ورآه ينخى من حوله الفرسان فأقبل عليه وطعنه فى صدره خرج الرمح يلمع من ظهره فلما نظرت قوم حنا الى مرقص وهو قتيل تصايحوا علي حسن وطلبوه من كل مكان .

وعند ذلك حملت القومين فرد كرة وسعروا من الحرب جمرة وسالت منهم الدماء وعدت وجوه القوم [illegible] ورادت نار الحرب تضرما وصارت [illegible] وملأت الارض جماجما وحاد [illegible] من ركابها [illegible] كحلت لاجساد [illegible] وثبتت عساكر [illegible] حنا واجتهدت [illegible] [illegible] ونحلت عزائمهم وتفرقت [illegible] السيف [illegible] فعند ذلك دقت طبول [illegible] وكفوا عن الحرب [illegible] ذهب الي مكانه أما عساكر [illegible] فصاروا [illegible] ويقولوا ما هم الا أبو زيد ودياب الذين شاع ذكرهم

فى كل الارض وبقو يتذا كرون فى المحاضر أعمالهم وأخبارهم وان كان الامر على هذا الشأن فهذه مصيبة لا ترتد الا بكثرة الفرسان ومعاونة الاخوان هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من بني هلال فانهم هنوا بعضهم بعضا بهذا النصر وباتوا تلك الليلة مسرورين ولما اصبح الصباح نهضوا للحرب والكفاح واصطفوا ميمنة وجناح واذا بالوزير جرجس برز الي الميدان وطلب مبارزة الفرسان فنزل اليه الامير دياب فالتقاه جرجس بقلب لا يهاب وقال له ماذا بلغك من ذلنا حتى دخلت الى ارضنا فدع عنك اللجاجة ومالك فيها حاجة ولو ما كنت جاهل لما دخلت هذه الاوطان وطلبت ان تلاقينا في شرذمة من الفرسان فاستدرك امرك قبل الفوات وادخل على معدمنا حتى يعطيك الزمام وما تم كلامه حتي اشهر دياب سيفه وضربه على هامه حط راسه قدامه فلما نظر الملك حنا الي وزيره قتيل غاب عن الصواب وصاح فى قومه اتوني بهذه العصابة القليلة حتى اشفي منهم عليلي فحملوا عليهم من كل جانب فالتقتهم بنو هلال كالأسود الكواسر [illegible] على بعضهم البعض حتى غطت الدماء وجه الأرض وابو زيد في [illegible] العسكر ينثر الجماجم والقمم ويلقي الفرسان بعد وجودها بالعدم [illegible] ساعة مكدرة وقد طلعت على الطائفتين الغبرة حتي وقع فى عسكر الملك حنا [illegible].

[illegible] الى عساكره قد انكسرت وعصابة بنى هلال قد انتصرت خاف على [illegible] في عساكر وشجعهم على الثبات فانطبقوا على بني هلال [illegible] علي [illegible] وحمل حنا فى اوائلهم ونشرت الأعلام فوق راسه [illegible] هو على [illegible] واذا لتقى به ابو زيد فحمل عليه وضربه [illegible] من بين [illegible] وقطع الحوافر أيضا قطعتين [illegible] فرقوا الكتائب وأظهروا العجائب .

[illegible] حتى بملكها من [illegible] الأدبار وأركنت [illegible] و [illegible] ابو زيد والفرسان فعندها طلبوا [illegible] عليهم الجزية فى كل عام ورجعوا إلي مضاربهم [illegible] الامير حسن [illegible] على الجميع وأقاموا على شرب قهوة وأكل طعام مدة ثلاثة ايام

وبعد ذلك صمموا على الارتحال من تلك الاطلال فهدمت الخيام وانتشرت الرايات والاعلام وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالرماح والنصول وركت النساء والبنات فى الهوادج والعماريات وجدوا في قطع البرارى والآكام حتى وصلوا الى حمص فأقاموا فيها خمسة أيام وكانت تأتيهم الهدايا من جميع الولاة والحكام ثم ارتحلوا إلي بعلبك ومنها إلى زحلة وقد طابت أيامهم فى هذه الرحلة لانهم كانوا يصرفون الاوقات فى السرور والطرب وقد زال عنهم العنا والكرب ، وبعد ذلك ساروا قاصدين مدينة الشام ووصلوا اليها عندالظلام ونصبوا بقربها المصارب والخيام .

﴿ انتهي الجزء العاشر ويليه الجزء الحادى عشر ﴾

الجزء الحادى عشر من

تغريبة بني هلال الكبرى

الشامية الأصلية

---o . o---

ديوان شبيب التبعى

وما جرى له مع بني هلال من الحروب والأهوال بالتمام والكمال

(قال الراوى) تقدم لنا فى الجزء العاشر أن بني هلال بعد أن قتلوا أبو بشاره العطار حاكم بلاد صهيون جدوا فى قطع الفلوات حتى أقبلوا على مدينة الشام والآن نقول ان الحاكم فى تلك الأيام على دمشق الشام كان ملكا صاحب جاه ومقام وكان من أشد فرسان المعارك واسمه شبيب التبعي بن مالك ومن الامور الغريبة والحوادث العجيبة هو أنه كان فى تلك الايام قد رأى حلما في المنام فقام خائفاً وهو فزعان فجمع أكابر الديوان والوزراء والاعيان وقال لهم قد رأيت رؤيا الآن وهي من غرائب الزمان قالوا ما هي يا ملك العصر والاوان قال رأيت فى منامى ولذيذ أحلامي هو انه قد أتى إلى هذه البلاد سباع وآساد شبه الجراد وكان كل سبع يأتى إلى شجرة من الاشجار يقلعها بأنيابه ولا يبالى بالاخطار

(قال الراوى) وكان لهذا الملك وزير عاقل خبير أفضاله شهيرة واسمه الوزير عميره فلما سمع من الملك هـذا الكلام نهض واقفا على الاقدام وأشار يفسر المنام بهذا الشعر والنظام

يقول عمير، وفؤاد محسر   من أهل عامر يا شبيب تحذر

بنى هلال جمعهم قد أقبلوا   مثل الجراد يا شبيب وأكثر

من نجد قد رحلوا بجمع وافر   وفرسانهم من كل ليث قسور

قتلوا العطيبي مع حرب هائل   وأتوا إلى الكوفة بهذا العسكر

لاقوا الخرمند سعد الاعجر   قتله أبو مرعى بحد الابتر

أما فتى الهمام فارس قومه   قتله الفتى الزغبي ديب الاشقر

قتلوا الخزاعى بن حامد فى حلب ... ثم غربوا إلى حماة وسنجر
ولقد رأيت النار فى نومك تضي ... وسباع بر كالجراد وأكثر
أما السباع بني هلال وحربهم ... أما الشجر أبطالنا تتنثر
فالقرم منهم ما يسلم روحه ... إلا بضرب السيف حتي يكسر
هذا الذي قد بان عندي يا ملك ... هذا منامك يا شبيب تفسر
الرأي عندى أن تدق طبولك ... واجمع عليهم يا ملك العسكر
هذا كلام الصدق قول عميره ... شجاع يوم الحرب يشبه عنتر

(قال الراوى) فلما فرغ الوزير من شعره ونظامه وفهم الملك تفسير حلمه ومنامه استعظم هذه الامور والاحكام وكان قد بلغه قدوم بنى هلال إلى قرب الشام فزاد ذلك الامر اهتماما على اهتمام لأن أبو زيد كان عند رجوعه من تونس ومروره إلى الشام كما سبق الكلام قد استخلص من داره سرية عربية واسمها قنوع العامرية وسار بها نحو بنى هلال فتأثر شبيب من هذه الافعال وكانت هذه القصة عليه من أعظم بلية لا تبرح من باله بالكلية فاستدعى بسحاب وكان من الانجاب وأمره أن يسير فى الحال ويكشف له أخبار بني هلال فقال السمع والطاعة وسار فى تلك الساعة الي أن وصل الى بني هلال ودار بهم من اليمين والشمال حتي وقف على حقيقة الاحوال ثم دخل على الامير حسن وهو فى الصيوان وحوله الامراء والاعيان فحيا وسلم وبأفصح لسان تكلم فالتقوه بالترحيب والاكرام وأجلسوه فى أعز مقام وبقى عندهم ثلاثة أيام ثم ودعهم وسار وجد فى قطع القفار حتى وصل الي شبيب التبعى عند المغيب فدخل عليه وهو جالس فى الديوان ومن حوله الوزراء والفوارس وأرباب الديوان والمجالس فأشار يشرح ويقول:

يقول الفتى مسرور عما جرى له ... وبين قلبي [illegible] شرار
على ما جرى ليه [illegible] ... وصار حيرة والأمور [illegible]
[illegible] كشف فى [illegible] ... فسرت وفى قلبي [illegible]
وما زلت سائر فى البراري وسهلها ... حتي وصلت [illegible]
[illegible] وصلت [illegible] شبيب الأرض [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
دخلت [illegible] ... [illegible]

وقال لى أهلا وألفين مرحبا　　لك الخير منى انت ضيف الدار
وأمر لى حسن بخلعة سنية　　بعشر تفافيح وخمس زرار
وجدت قنوع العامرية جالسة　　ومن حولها الشبان والامارا
وباتت قنوع ترفع الصوت بالغنا　　بصوته يحاكي العود والمزمار
قد مدحت بالسكر حتي تمايلت　　وقد طار عنها برقع وخمار
تميل على غصن الرماح وتنثني　　إلي أن عرفتنى بغير انكار
فقالت لى اوصى شبيب وقل له　　يلاقى هلال فى صفا ووقار
إذا جاء ابو زيد يبغي حربكم　　يكون شبيب فى لقاه حذار
ترى عدد قوم هلال وعامر　　أربع تسعينات ألوف جهار
أبوزيد من زحلان قومه عدادهم　　تسعين ألفا كلهم أمار
ودياب فى تسعين ألف محارب　　من آل زغبي من فروع كبار
وتسعين للقاضي بدير الفايد　　قاضى هلال فارس الجبار
وتسعين الى حسن الهلالى ابو على　　أمير حوى جاها وكل وقار
وهذا الذى أبصرت يافخر الملا　　وقولى صحيح ما به انكار

(قال الراوى) فلما سمع شبيب هذا الشعر والنظام وفهم فحوى الحديث والكلام صار الضيا فى عينيه كالظلام وقد خاب من عواقب الامور واثارة الفتن والشرور فقال لأكابر الاعيان ومن حضر فى الديوان ما هو رأيكم في هذا الشان لأن بنى هلال قد مهدوا الملوك والابطال وحضروا الآن إلى هذه الاطلال بعساكر كعدد الرمال فقالوا إن الرأى هو ان نبادر بالقتال ولكن فى أول الحال ارسل واطلب منهم عشر المال فان اجابوك إلي هذا الطلب بلغت القصد والارب والا تحاربهم فى العسكر وتشتتهم فى البر الاقفر فاستصوب شبيب رأى القوم وارسل يطلب منهم عشر المال من ذلك اليوم وكتب اليهم يقول :

يقول الفتى المدعو شبيب بن هاشم　　ولى قلب اقوى من صفا الجلمود
أنا صاحب العز والمجد والعلا　　أنا صاحب الصيوان والعامود
أنا صاحب الدرع الذى قد ورثته　　من عن جدودى من عمل داود
أنا صاحب السيف الذى قرانه　　يضوي شبه المشعل الموقود
ولى خودة من عهد جدى ورثتها　　لها عشر تفاحات وخمس بنود
ويا حسن قدم لنا المال عشره　　وقدم لنا من احسن الموجود
وقدم لنا عشر الخيول جميعها　　وعشر الحرير بيضها والسود

وقدم الفين عود من القنا   وقدم لنا الفين سيف هنود
وقدم لنا الفين عقد جواهر   عقود ثمينة قليلة الوجود
وقدم لنا الفين طير جوارح   ومعها ضوارى كاسرات أسود
وقدم قنوع العامرية بخدرها   وهاتوا عطور الورد أم الجود
وهاتوا فتاة الحى أم محمد   صبحة الوجه أم العيون السود
وقدم جمال الظعن بنت سلامه   ووطفا وريا غاية المقصود
من بعد هذا امكثوا فى بلادنا   وتكتفوا من شرنا ونكود
مقال شبيب التبعى ابن مالك   ومن كان عارف يفهم المقصود
وإياك تمهل كل شيء ذكرته   والا تروحوا للجبال شرود

(قال الراوى) فلما فرغ شبيب من شعره ونظامه طوى الكتاب وختمه بختمه وأرسله مع نجاب فى الحال الى الامير حسن سيد بنى هلال فأخذ الكتاب وسار وجد في قطع القفار الى أن وصل الي الديار فدخل علي الامير حسن واعطاه الكتاب وطلب منه الجواب فلما فتحه وقراه فهم معناه قال لاحول ولاقوة الا بالله فكلما وصلنا الى مدينة او بلد يلاقينا ملكها بالشر والنكد ويطلب منا عشر المال فالى متي هذا الحال فقد ضجرنا من الحرب والقتال والقيل والقال ثم جمع أمراء بني هلال ومن يعتمد عليهم من الرجال واخبرهم بالكيفية وقال ما هو رأيكم في هذه القضية فقال الامير ابو زيد والامير دياب ليس له عندنا جواب الا الرمح المكعب والسيف القرضاب فحينئذ قال الامير حسن للرسول اذهب الى مولاك شبيب وقل له انى سأرسل له الجواب فى وقت قريب وبعد ذهاب النجاب نهض ابو زيد كليث الغاب والقي امام الامير حسن خطاب اعلم ايها الملك الهمام ان الامير شبيب ملك الشام قد استعد لمحاربتنا وجمع الرجال لمصادمتنا ومن الرأى ان اسير مع بعض الفرسان الاخيار الى تلك الديار لاجل كشف الاخبار والوقوف على عدد العساكر والابطال التى تجهزت للحرب والقتال وذلك فى شعراء حتى لا يعلم بنا احد ولا يدرى وبهذه الوسيلة نبلغ المقصود ثم نرجع ونعود فاستصوب الامير حسن هذا الكلام وقال لقد اصبت [illegible] فى مسيرك الى تلك البلاد واكتشاف اخبار الاعادى والاجناد ثم استقر الرأى على مسير ابو زيد والامير دياب مع الامير عرنس و[illegible] مفرج وابو الليث الكندي الذي يعرف علم الرمل والحساب الى تلك الديار ليجسوا الاخبار وهكذا انفض الديوان وتفرقت السادات

والفرسان وفى ثانى الايام استعد ابو زيد الى المسير الي الشام مع الفرسان الذين سبق عنهم الكلام فغيروا ما عليهم من الثياب وتزيوا بزى فرسان الرباب ودخلوا على الامير حسن فودعوه ثم تركوا الحى وفارقوه وجدوا فى قطع البرارى والآكام حتى وصلوا الى دمشق الشام فدخلوا بسلام وقصدوا الامير شبيب فسلموا عليه وتمثلوا بين يديه وكان جالساً على كرسي مرصع بالجوهر يدهش العقل ويذهل البصر وحوله الاتباع والخدم فرد عليهم السلام وقال لهم من تكونون من العرب الاجواد وما هو سبب قدومكم الى هذه البلاد قالوا نحن شعراء نقصد الملوك والامراء فنمدحهم بالقصائد الحسان ونرجع بالخلع والاحسان وقد سمعنا بجودك ونداك ومكارم أخلاقك وحسن مزاياك فأتينا اليك وقصدنا لنمدحك وننمل ثناك ونرجع مجبورين الخاطر الى الديار وندعوا لك بطول العمر على مدى الدهور والاعصار ثم ان ابو زيد بعد هذا الخطاب عدل الرباب وأشار بمدح الامير بهذه الابيات يقول :

يقول الفتى المدعو الامير سلامه	بدمع جرى فوق الخدود سكيب
ركبنا وجئنا يا أمير على نقا	من فوق نوق شبه ريح هبيب
فقلنا لهم يا نوق أين مسيركم	فقلنا الي نحو الامير شبيب
شبيب بن شيبان بن مالك	أمير البوادى والبلاد شبيب
شبيب الذى كل البلاد عياله	ونحن بقينا من عيال شبيب
شبيب الذى ان قل ماله يوما	فيغزي الى مال العدى ويجيب
شبيب الذي لا يوجد فى الترك مثله	ولا ربت العربان مثل شبيب
أتينا لي منك العراق بدربنا	فالج وصالح والامير نحيب
وجاد علينا بالمكارم والعطا	وبالخود أيضا ثم مسك وطيب
يا أمير اعطينا ولك منا ثنا	فنشكرك عند الصحا ومغيب

فلما فرغ ابو زيد من كلامه شكره شبيب على حسن نظامه ثم انه صرف معهم هذا النهار في الحديث والاخبار ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركب شبيب الى الصيد وركبت معه الفرسان وبيده صقر ما عدا الشعراء وابو زيد فالتفت شبيب الي الشعراء وقال لهم لماذا لا تركبون معنا في هذا النهار فقالوا له اعلم ايها الملك ان الذى يمنعنا عن ذلك هو عدم وجود الخيل لان مطايانا لا تصلح للركوب في الوعور والسهول فأمر لهم شبيب بخمسة أفراس من الخيل الجياد فركبوا

عليها من عدا ابو زيد فارس الطراد فقال له شبيب علامك لا تركب وما هو السبب فقال ان هذا الجواد لا يحملني وهذا هو السبب الذي يمنعني فأمر السايس ان يأخذه الى الاصطبل ويختار له جواد من أطايب الافراس فذهب معه الى الاصطبل وجعل ابو زيد ينظر في الخيول فلم يعجبه سوى جواد شبيب وهو الغطاس وكان قصد ابو زيد بهذا العمل الغريب هو الاكتشاف على خيول شبيب وكان السايس قد رجع على الاثر واعلم شبيب بذلك الخبر فقال له وقد زاد تعجبه اعطيه اياه ان كان يقدر يركبه فعاد السايس الى الاصطبل من قريب واعلم ابو زيد بما سمعه من الامير شبيب وقال اعلم يا شاعر العرب ونخبة الادب ان هذا الحصان هو جواد الامير شبيب الغطاس الذي تضرب به الامثال بين الناس فلا يقدر أحد منا أن يقربه أو يدانيه واذا أردنا أن نطعمه ندلي له الشعير من سقف البيت الذي هو فيه فخذه ان كنت تقدر عليه فتقدم ابو زيد اليه فصهل الحصان حتى زعزع المكان لأنه كان بطران فلطمه ابو زيد بالكف بين عينيه ثم سرجه وركب عليه وسار الى عند شبيب فتعجب منه كل العجب وقال في نفسه وحق ذمة العرب ان هذا الامر مستغرب وهذه الافعال والاعمال لا تقدر عليها الشعراء بل صناديد الابطال وقد تأثر من ذلك الامر ثم انهم ساروا في جوانب البر وجعلوا يصطادون حتى صار وقت العصر ثم ارتدوا راجعين قبل دخول الليل وفي أثناء طريقهم أمر شبيب أن يعقدوا ميدانا لسباق الخيل فامتثلت أمره الفرسان وجعلوا يتسابقون في الميدان فعلم أبو زيد على جميع الشجعان بالسيف والسنان حتى حير العقول وأذهل الابصار وكثرت فيه الظنون والافكار ورجعوا الى البلد ونزل أبو زيد في دار الضيافة مع جماعته وكان للتبعي رجل اسمه عكرمه وكان قد خرج معه للصيد فاجتمع به في قاعته وقال له على مراد [illegible] الزمان اني في حيرة من جهة أولئك الرجال الذين حضروا أمس عند غروب الشمس وادعوا أنهم شعراء وما أقول الا انهم جواسيس عرب [illegible] من أفعال أحدهم في هذا [illegible] الذي لا تقدر على فعله الا [illegible] على جميع الناس وهو راكب [illegible] الغطاس [illegible] تضرب [illegible] وتعجب [illegible] قد صرت مشغول البال [illegible] سمع وطاعة [illegible] صحة الامر في هذه الساعة ثم انه أحضر [illegible] من [illegible] الابيات وجعل [illegible] هذه الابيات :

يقول أبو عكرمة الرمال صادق   خرجنا يا شبيب الى البراري
وجدنا صيدة يا نعم صيدة   أكابر قيس من فوق المهاري
فهم خمسة كأنهم أسود   ومنظرهم عفائف كالحرارى
وفيهم سيدٌ شهمٌ اديب   بكل حوادث الايام داري
وفى جسمه رسوم كثيرة   تدل على معانى كالدرارى
عريض الصدر ممدوح السواعد   وسيع الوجه مثل السبع ضارى
عساه يكون أبو زيد الهلالي   وتدميه المنية في الديارى
يذكر فعله بنهــار أمس   بوادي السطر عند الاعتكار
وهو يحشر جواده بين طي   كحملات المراهف والقطار
ورفاقته فهم أمراء هلال   محاسن وجههم مثل الدرارى
فاقطع يد أبو زيد الهلالي   واقطع انفه هذا النهار
فهذا يا امير قد كان عندى   وقولى حق ليس به فشارى

(قال الراوي) فلما فرغ الرمال من هذا الشعر والنظام وعرف شبيب فحوى الحديث والكلام غضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد وفى عاجل الحال أحضر أبو زيد ومن معه من الرجال وصاح فيهم وقال أتيتم أيها الامرار إلي هذه الديار لتجسسوا الاخبار ونسبتم أنفسكم أنكم شعراء تمدحون الملوك والامراء فلابد من قتلكم في هذا النهار بحد الحسام البتار ثم انه بعد هذا الكلام أشار يتهددهم بهذا الشعر والنظام :

يقول شبيب التبعي بن مالك   ونيران قلبي زايدات لفاح
فمن أي أرض أتيتوا بلادنا   ونحن حمانا صعب ليس مباح
[illegible]   ونحميه بالسيوف ثم الرماح
[illegible] حنت أرضنا   ومعنا شباب صرف ثم ملاح
[illegible] مشتهر   تغنى له الشعار والمداح
[illegible]   [illegible] الفرسان [illegible]
فلما وصلتم [illegible]   [illegible] وسعدا دون مراح
[illegible] عليكم في شور [illegible]   دشمعت بكم سعدا وعملك راح
رجعت خيب [illegible] حتى تمكيم   أتيت إلي أرض لنا وبطاح

أخذت قنوع العامرية بلا حفا لهـــا وجنتين تشابه التفاح
ولما رحلتم من حما نجد وأرضها وجئتم لارض الشام يا سواح
والآن أتيتم حسة لبلادنا أتيتم كما الشعار والمداح
فان طعتمونى أرجعوا لبلادكم وخذوا مواشيكم وكل ملاح
والا سنلقاكم بكل جيوشنا وندعى دماكم فى الفلا سواح
أبو زيد تحسب ذلك فارس ثم أنت تلقانى بسوق نطاح
فعندنا ميتين الف ومثلها وميتين الف من خدم ورماح
أنا فارس الميدان دا وام سوقه أشتت فوارسكم طعن رماح
وآخذ حلائلكم وكل أموالكم وآخذ منكم خيلكم وسلاح
مقال الفتى شبيب ابن مالك الايام أكثرها بكاء ونواح

(قال الراوى) فلما فرغ الامير شبيب من هـذا الشعر والنظام أمر العبيد والخدام أن يأخذوهم إلى المشنقة فامتثلوا أمره بالسمع والطاعة وأخذوهم فى تلك الساعة ووضعوا المرس فى أرقبتهم ودورهم فى [illegible] وأطلالهم وبعد ذلك رجعوا إلى المشنقة وزادوا يفعلوا فيهم الشناعة واذا بصقر ابن الامير شبيب آتى من الصيد والقنص ولما نظر ذلك سأل عن الخبر فأخبروه بذلك الامر المنكر فعند ذلك نزل عن ظهر الجواد الى الارض والمهاد وخلصهم من ذلك الشار وقطع المراس من رقابهم والآذان فوصل الخبر الى شبيب فأحضرهم الى عنده للديوان ووبخ ولده على هـذا الشان وقال له هؤلاء أعداء بنى هلال وأتوا إلى منازلنا والاطلال لاجل أن يمتنوا الرحال ويفعلوا [illegible] الاحوال قال له صقر يا أبى ما عندى خبر من ذلك لاجل [illegible] الامر قد جرى وصار وشفعى فى هولاء الشعار ولا [illegible] كلامى [illegible] مقامى فلا [illegible] أن تنصر لهم [illegible] وتقتلهم وتدعى من [illegible] فلا [illegible] فتقتلهم من دون [illegible] معيرة [illegible] أحضر شعر [illegible] رمور وأسى [illegible] شبيب [illegible] والامر [illegible] ثم [illegible] يا أديب [illegible] شعر [illegible] شعر [illegible] وادعيهم أن يرموا [illegible] مرحالك [illegible] أبو زيد [illegible] جيد فعند ذلك دعى الامير

شبيب الى الشعراء بلادة وكانوا أربعة وعشرون شاعرا وكبيرهم يدعي صولجان ابن ماهر فلما حضروا أمرهم أن يرموا رموز على أبو زيد ورفقاه فأجابوه بالسمع والطاعة فاحتبك الديوان في تلك الساعة فالتفت أبو زيد الى الشاعر صولجان وقال له يا سيد الفرسان مرادى قبل أن تبدى شعر وقصدان أن تسير الى موضعك يا همام وتأتى لنا بطعام حتى يصير بيننا وبينك خبز وملح كى لا تبوق في حقى فأجابه بما قال وسار الي بيته في ساعة من الزمان وحضر الي الديوان وقدم أبو زيد قطعة ملانة عصيدة وفيها ملعقة وقال له كل يا ابن الكرام من هذا الطعام وادعى لنا بدوام العز والاكرام فأخذ أبو زيد شقفة براس الملعقة وذاق شيء قليل وجدها مرة مثل الحنظل قال له هذا زادك لا رحم الله أبو شبابك قوم يا ذليل بامهان وهات ما عندك من الاوزان فعند ذلك تقدم الصولجان واخذ الرباب وبدا يلعب حتي اطرب ذوى العقول والالباب واما ابو زيد بدا يراقب الكواكب فنظر نجمه حاجب وهو سعيد ففرح بذلك فرحا شديد ما عليه من مزيد فلما رأي الصولجان ينظر فى الكواكب ظن أنه ينظر الى بنات نعش عندها أشار يقول :

رأيت ناظرك الى بنات نعشي   عن قبل العشى لحين تعشي

وهل عاديت نجم فى سواها   وهل تعرف من النعشات نعشى

فنحن فى حمانا كل مسا   نقري ضيفنا لحم ومحشى

فمالي أبصرك تقطع وتبلع   وكثر الزاد فى المأكول يفشى

كانك ضفضعة فى واع جب   يجيها الماء رشا بعد رشي

واذا تاها الماء يوما تسبح   وتسمن أكل الوحل وتمشى

وقل لي كم بين السحاب دعا   وبين الارض من شبر وكمشى

وعن عنزه تغى جحج ليلا   وهل حاددت او تعلم بدي سى

وعينها ضواى وهى عميه   واذنا عراض والسمع طرشى

فلا فرح ولا بيض لولده   ولا حمل ولا تسقل بشى

وقل لى لانك جهلا غشيما   وكم من مدعى ما يعروشى

فلما فرغ الصولجان من كلامه و ... سمع نظامه فاشار بجوابه على شعره ويقول :

اراك تداوش لاشعر دوشى   وما عندك من العقل ولا شى

فونك عن ابو زيد الهلالى   عشيما ما تعرف الشعر الا دشى

فانتم تعرفون فلا تراغوا فقول الصدق مابه من غبشي
فكم من يوم قيس جرعوكم سم الافاعى من سمن ودقشي
فسوف ان هذا الحديث يجرى ويعفش فى صدور الخيل عفشي
وتشبع ضعنكم حربا وطعنا وتبقي الروس مكدوشات كدشي
وتنظرونى على احمر طحومه ارش الدم علي الارض رشي
ونجزى المعتدين بالشر معنا وننقش دياركم بالسيف نقشي
وعيب عليكم إذا لم تعرفونى ازيح الخيل بالارماح مغشي
الله يطعمك طعنة غموسى من يد فارس قط ما يرحمشي
تكون من يد ابو وطفا دياب يروح الرمح فى كرشك ويمشي
لانك لا تصد ولا ترد ولا تلقي الضيوف أولا تعشى
أنا يا طول ما أقريت ضيفي لخطار المسا اهدى مفلفل ومحشي
أنا أبو زيد أنا صور الصبايا ولست بفارغا منكم بلبشى
أنا حذرتكم لا تجهلونى بتهشكم ساع البو نهشه
أيا صولجان اعلم بأني عرفت مسائلك صنعا ونقشه
تسايلني عن عرس عظيم وكم بينه وبين الأرض كشى
وعنزة تغنى بجنح ليل روى ما بالأرض عطشا ثم عطشه
تقدم أخبرنى عن عشرة عشرة عددهم خمسة تربع وترشي
وهم من حين خلق أبوك آدم إلى يوم الحساب ولم يموشى
يموتوا ثم يحيوا بعد موتا ومنهم شيء لم يتبعشي
ومنهم طائفة تاكل وتشرب ومنهم منذ عمره ما أكل وماشى
وعن حوت ورق الحوت جوت وتحت لكن بحر الماء يمشي
ودولاب يدور الشغل منه مجوهر فيه من صنف الملحشي
اذا لم تخبروني عن ما أقلك والا أنت عندى مثل ححشي
فنحن نشبع الخطار لحم ونحمش منهم الأولاد حمشي
وحيا الى أجاويد الرجال ومن هو كلامي يستمع لي

ولما فرغ أبو زيد من كلامه وشاعر طي يسمع عدده تحيير الامرة من ذكاوة أبو زيد وما عاد الشاعر يعرف يحاوبه فاغتاظ شبيب غيظ شديدا عليه بن مزيد وحلق دقن الشاعر وطرده من عنده وتقدم الى أبو زيد وقال له

بقي لي عليك ست أشياء ان عرفتهم خلصت من دهاهم واذا ما عرفتهم قتلتك أنت ورفقتك فأجابه ماهم أخبرني عنهم فقال له المصارعين والمشابكين والمدافقين وراميين النشاب وسايلين العلم وطباخين الكيما فقال اذا ما أجبتك عن ذلك فانى لاشك هالك ولكن لاحول ولا قوه الا بالله العلى العظيم ثم انهم باتوا تلك الليلة الى الصباح فقام شبيب وأحضر كبير المصارعين وكان بطل زين ماله من قرين فلما رآه أبو زيد قال له يا أخا العرب دونك والطرب لابد أن أجعلك في التراب ولا تظن الصراع أكلة حلو فقال له المصارع دع عنك من شقشقة اللسان ياذليل يا مهان واليوم يبان الشجاع من الجبان فقال له أبو زيد اليوم عندى عيد يقتلك يا مهان ثم نهض وأثبت الاقدام وأسرع اليه مثل الاسد الدرغام والتقى البطلين كانهم جبلين وحان عليهما الحين وزعق فوق رأسهم غراب البين قال وكان المصارع دافن فى ركن التبان حربة مثل الثعبان وهي شغل بلاد الروم مذخرها لمثل هذا اليوم ويريد بها هلاك أبو زيد فى تلك البيد فرآها دياب وقال له بالك يا امير من هذا الشيطان الرجيم وانظر هذه الحربة التي كانها نقمة فقا أنا رأيتها قبلك يا أمير دياب وهذا اليوم أدعيه ملقى على التراب ثم اصطدما وافترقا واقتربا وابتعدا وما زالا على هذا الشان مدة ساعة من الزمان فما وجد المصارع مع أبو زيد طالع فعند ذلك هجم عليه وأدخل دماغه بين رجليه وأراد يقلبه ويقصف عمره فما كان من أبو زيد الا انه طبق فيه من صوابين ركبته واتكأ على رقبة المصارع فك جوزة رقبته ومازال كامشا عليه حتى خرجت روحه من بين جنبيه فقلبه على قفاه قدام شبيب وصاح غيره يا أمير يسلم راسك بهذا التحرير ثم تقدم المدافق ودافق أبو زيد ساعة من الزمان فالتقاه بهمة وشان وضربه بالعصا على دماغه فرطش بزر مخه وقال غيره يا أمير شبيب قدم فارس نجيب فتقدم المشابك وشابك أبو زيد ففرك أنامله وانقطه فى يده ملخها من الباط فتقدم رامي النشاب فذهب أبو زيد ووقف فى تلك الهضاب واما ذلك الرجل فرشق أبو زيد اربعين فاستعان عليه برب العالمين فما اصابه شيء ثم ضربه ابو زيد من قفاه وعلى الارض رماه فوقع قتيل وبدماه جديل فعند ذلك تقدموا سائلين العلم فغلبهم وكذلك طباخين الكيما طلعت طبخته احسن من طبختهم ثم التفت الى شبيب وقال له يا امير لك عندنا شيء بعد هذا التنكير فاتركنا نذهب الى اهلنا وعيالنا فعند ذلك غضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد وقال له لاشك انك عفريت

من عفاريت سليمان وبعد ذلك امر الخدام ان يأخذوهم الى السجن لاجل القصاص والانتقام فأخذوهم فى الحال ووضعوا فى ارجلهم القيود والاغلال ووكلوا بهم جماعة من صناديد الرجال وكان الامير دياب ومن معه من الاصحاب فى خوف وحتساب خوفاً من القتل والعذاب وكانوا فى شدة واضامة وقد قطعوا الامل من السلامة فجعل ابو زيد يشجعهم فى المقال ويوعدهم فى الخلاص من الاعتقال ويقول لهم ان الفرج قريب بعون الله السميع المجيد واننا فى هذه الليلة نذهب الى اهلنا وننال المأمول ثم اشار يقول :

لاتنتظر الهم بل انظر الفرج   ولا شدة ابتدت حتى لها فرج
فهذه الدنيا ما دامت الى احد   وما الصبر الا بعده الفرج
افتكر فى نوح لما جاء الموج عليه   سبعة بحور يبرمها بالمجج
بالصبر صير له البارى سفينته   من التخوف اتاه العون والفرج
نعم ومن بعده يعقوب قد بكى   حقا على يوسف لكن نجاه ونجا
نعم موسى باذن الله خلصه   من سيف فرعون باشياء تلم المهج
ونال داود بالصبر العظيم مثل   ايوب لما شكي من صبره لهج
عيسى فأحيا من الموت بكلمته   قاموا وادوا له التسبيح بالدهج
باذن رب عظيم قادر ملك   آياته تقطع الآيات والبهج
صبرا جميلا لقد رحلوا وانتقلوا   عن الدنيا ونالوا غاية الفرج
ونحن نقدر فى هذا الليل نتخلص   باذن مولانا ذاك المنظر البهج

(قال الراوي) فلما فرغ أبو زيد من كلامه وفهمت الامراء فحوى حديثه ونظامه طابت منهم الخواطر وأملوا بالفرج من الخاطر وجعلوا يتحادثون بالكلام حتى أظلم الظلام ونامت الحراس وباقى الناس فعند ذلك أخرج الامير ابو زيد من الكيس حجر المغنطيس والقاه على القيود والاغلال فانفكت فى الحال ثم انه صاح على الامير دياب وباقي الفرسان الانجاب وقال لهم قوموا بنا فقد تخلصنا باذن رب الارباب فنهضوا فى الحال وجدوا فى قطع الروابى والتلال حتى وصلوا إلى بني هلال وكان وصولهم عند الصباح ودخلوا على الامير حسن فالتقاهم بالسرور والافراح لأن أفكاره كانت مشغولة عليهم فقبلهم بين عينيهم وقال الحمد لله على سلامتكم لأنى كنت مضطرب الافكار من جهة غيابكم فخبرونى باحوالكم وقصتكم وما جرى لكم مع شبيب فى سفرتكم فاخبروه بحديثهم من الاول إلى الآخر

واطلعوه على الباطن والظاهر فشكر الله على خلاصهم من الاعتقال وأثنا على أبي زيد نظراً لما أبداه من حسن الفعال وهم فى هذا الحال والا وقد عليهم مرسال من عند الامـــير شبيب يطلب الجواب لأن الامير شبيب تفقد المحابيس فلم يجدهم وهذا هو السبب الذى أوجبه الي ارسال ذلك النجاب ثم انه بعـد ان عرف حقيقه الاحوال وفهم ما عند شبيب من الفرسان والابطال أشار يكتب له الجواب ويقول :

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي   فلى حربة كالمشعل الموقود
ولى همة تعلو علي كل ماجد   أخلي الاعادى على الجبال شرود
تهيا غداً أيا شبيب لحربنا   مع كل أبطالك وكل جنود
فكم حاكم مثلك ملكنا بلاده   من بعد حرب يشيب المولود
ملكناها بحد سيوفنا   وزلت لنا يوم القتال جنود
تريد منا اليوم عشر موالنا   فسوف ترى منا رجال أسود

فلما فرغ الامير حسن من هذا الخطاب طوى الكتاب وسلمه الى نجاب وأمره أن يسير الي شبيب بالعجل فأجاب وامتثل ولما دخل علي حضرته سلمه الكتاب ورجع من ساعته ولما قراه غاب عن الصواب وفى الحال أمر بجمع العسا كر والابطال والاستعداد الي الحرب والقتال فاجتمع عنده مائة ألف مقاتل بين فارس وراجل وكلهم بالسيوف والرماح وآلات السلاح فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح دقت طبول الحرب واستعدت العساكر للطعن والضرب وركب شبيب فى أول الفرسان ومن حوله الوزراء والاعيان وصار بهذا الجيش الكثير والعدد الغفير إلى قتال بنى هلال وكانت بنو هلال قد استعدت فى ذلك النهـار واصطفت من اليمين والشمال ولما تقابل الجيشان برز شبيب الي ساحة الميدان ومقام الحرب والطعان وطلب براز الشجعان فما أتم كلامه حتى برز أبو زيد وصار أمامه فلما رآه شبيب حمى عليه وهو ينشد ويقول :

يقول شبيب التبعى ابن مالك   صرفت كل الليل بالتفكير
أبو زيد يا أبو زيد يا ولد الخنا   وأنت ردى الاصل يا طنجير
ذهبت لأرض القيرواني وقابس   تروود الأرض مثل لص حقير
رجعت إلي أهلك أتيت جمعهم   أخذت قنوع الظلام عكير
وبسوء فعالك قد حبست رفاقتك   وحبثك بين الانام كثير
فوالله إنى قاتلك بمهند   واجعل لدمك شبه نهر كبير

واقتل دياب الخيل أيضا يا فتي   واجعل حسن من لمع سيفي يطير
مقال شبيب التبعى بن مالك   لا خير فى رجل يعيش حقير

(قال الراوى) فلما فرغ شبيب من نظامه وفهم أبو زيد فحوي كلامه أجابه على شعره يقول وعمر السامعين يطول :

يقول أبو زيد الهلالى سلامه   ونيران قلبي زيدات سعير
أنا أبو شيبان قهار العدا   أفك رموز العلم بالتفسير
فلا فخر للمرء إلا فعاله   وفرط السخا وكل فضل شهير
أنا الرجل الذى يبرد حربته   يوم الوغا فى صدر كل أمير
اليوم تنظر حربنا وقتالنا   وفعالنا حقا بغير نكير
وتبقى على الارض ممددا   ويأكل جسمك كل طير يطير

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من هذا الشعر والنظام انطبق الفارسان على بعضهما مثل أسود الآجام وأخذوا فى الحرب والصدام وكان شبيب كما تقدم فى الكلام من جبابرة تلك الأيام فقاتل قتال الأسود وفعل أفعالا تشيب الاطفال فى المهود فثبت أبو زيد أمامه كالجبل الراسى والتقاه بقلب أقوى من الصوان القاسى فكانا تارة يتقدمان وتارة يتأخران كأنهما أسدان كاسران وقد تعجب من قتالهم الفرسان وتعلمت منهما حقيقة الحرب والطعان وما زالا على تلك الحال وهما فى أشد قتال إلي قرب الزوال وكان أبو زيد قد انحل عزمه وقصر فرجع الى الوراء وتأخر فعند ذلك دقت طبول الانفصال فافترقت العساكر من ميدان القتال ورجع أبو زيد فى أسوأ حال مما شاهد من الاهوال فسأله الامير حسن عن خصمه فقال انه فارس شديد وبطل صنديد وانى قد بارزت الابطال فى معارك النزال فما وجدت أفرس منه فى القتال ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح ركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلت بالرماح والنصول واصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف فكان أول من برز الى ساحة الميدان وطلب براز الفرسان الامير شبيب الفارس العجيب فبرز اليه الامير دياب وهجم عليه كليث الغاب فالتقاه شبيب فى الحال والتحم بين الفارسين القتال وجرى بينهم عجائب وأهوال تشيب رؤوس الاطفال وما زالا فى قتال وصداء الى أن أقبل الظلام وكان الامير دياب قد أبصر فى ذلك النهار من قتال شبيب ما يذهل الابصار ويحير العقول والافكار ولم يقدر أن ينال منه المرام لا بضرب الرمح ولا بضرب الحسام فارتد راجعا الى الوراء ثم نزل الميدان القاضي بدير ابن فايد وجعل يتصادم مع شبيب فى ساحة

الميدان نحو ثلاثة ساعات من الزمان وكان القاضي قد كل ومل وضعف عزمه وانحل فرجع وتأخر خوفا من وقوعه الخطر فبرز الامير زيدان وتقاتل معه فى ساحة الميدان وبعد قتال شديد وحرب ما عليه من مزيد ولي الامير زيدان من أمامه خوفا من حربه وصدامه ثم تقدم غانم أبو دياب واقتتل معه القتال الشديد وثبت ثبات الجبابرة الصناديد الا انه لم يكن من رجاله ولا يعد من أقرانه فما لبث أكثر من ثلاث ساعات من النهار حتي طلب الهزيمة والفرار فبرز اليه الامير عرندس كانه المفترس فجال معه وصال وتقاتلا فى ساحة المجال وما زالا على تلك الحا الى وقت الزوال وكان عرندس قد ضعف وتعتع فولي وارتجع وبعد ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت عن بعضها الفرسان والابطال وكانت بنو هلال قد اعتراها الانذهال وخافت من عواقب الاحوال فلما رجعت الخيام جمع الامير حسن الامراء الكرام ومن يعتمد عليهم من فرسان الصدام واستشارهم فى أمر شبيب ملك الشام فقالوا له فارس جبار وبطل مغوار لا يصطلا بنار هجماته هجمات الاسود وقلبه أقوي من الجلمود ومن الصواب أن نحاربه غدا بالعسكر ونترك برازه الى يوم آخر لبيما يكون قد تعب من القتال فحينئذ تبرز اليه الابطال فاستصوب الامير حسن هذا الخطاب ورآه عين الصواب وباتوا تلك الليلة على هذه النية وفي قلوبهم نار الحمية ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح استعدت بنو هلال للحرب والقتال ودقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلت بالرماح والسيوف وركب الامير حسن على ظهر حصانه وتبعه جميع أبطاله وفرسانه وكان شبيب الآخر قد لتقاهم بالعسكر وعند ذلك حمل وصاح وحملت معه فرسان كالقداح وفى الحال لتحم القتال والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وجرى الدم وسال وعظمت الاهوال وتزعزعت الروابى والتلال من صياح الفرسان وقعقعة السنان وكانت بينهم وقعة عظيمة ومعمعة جسيمة فتل فيها خلق وعدد عظيم وبه در أبو زيد والامير دياب فانهما هجما كأسود الغاب وحكما السيوف والحراب فى الصدور والرقاب ونكسا البيارق بطعن أشد من نزول القضاء عن وبعض شبيب ايضا في ذلك النهار العجيب والقى نفسه على العطب وما زالوا على تلك الحالة الى وقت الزوال وعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت الفرسان والابطال وفي اليوم الثاني اصطفت الصفوف وترتبت الميات والالوف والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وكان يوما شديد الاهوال انتصرت

فيه عساكر الشام واسرت فيه عدة من البنات والنسوان وقتلت جملة من الفرسان ولما أقبل الظلام رجعوا وباتوا فى الخيام وهم فى قلق واهتمام :

(قال الراوى) وفى اليوم الحادى والثلاثين برز الامير حسن مع السادات والمقدمين وطلب براز شبيب وقلبه أحر من نار اللهيب فما أتم كلامه حتي صار شبيب أمامه وأشار اليه يقول :

يقول شبيب من قلب قويا فنيران قلبي مصطليا
ألا يا غادرين فسوف تلقوا قتالا من إعساكرنا قويا
فما تعطوا قنوع بغير ضرب يقد الهام والدرع القويا
قنوع يا كرام فمن رآها لها جبها كما الشمس المضيا
فان لم تحضروا ما قد طلبته سأسقيكم كاسات المنيا

(قال الراوي) فلما فرغ شبيب من نظامه اغتاظ الامير حسن من كلامه وأجابه يقول وعمر السامعين يطول :

قال الفتى حسن الهلالي ابو علي ها قد جهلت يا شبيب بحالك
ادعي إلي الله واحفظ عهده وارح بالى يا شبيب وبالك
ان كان عندك ألف ألف مقاتل عندي لها ألفين ألف قبالك
تسعين الفاً آل قيس ومثلثا تسعين ألف مهيئة لقتالك
وثلاث تسعينات أخرى وغيرها نأخذ مواشيكم وكل جمالك
نحن وأنتم ملوك جميعنا فلا يغرك كثر جيش رجالك
فجيوشنا ورجالنا متحضرة هذا النهار نخربكم وقتالك

(قال الراوى) فلما فرغ الامير حسن من هذا النظام صدق على خصمه مثل ليث الاجام فالتقاه التبعى بالحسام وتجاول معه فى معركة الصدام حتى حجبهما الغبار عن العيون والابصار وما زال الامير حسن يحارب شبيب حتي قرب وقت المغيب وكان قد أبصر منه الاهوال فالتفت اليه وقال قد ولى النهار [illegible] وعند الآن من القتال وفى الصباح نعود إلى البراز والقتال فتبسم شبيب من هذا الكلام وقال ان شئت وأنا أمهلك ثلاثة أيام ثم رجع بمن معه من الجموع وفى ثلاثة طريق نزع عند الدرع وعند رجوع حسن قالت جزية أم محمد قد رجعت العساكر والعدد والعرب لما رجعات فى الوقائع ولغارات فتحمس الامير حسن من هذا المقال ورجع الي خصمه وصاح فيه وطعنه طعنة قوية بهمة وحمية فأصابته فى

رقبته فانجرح ووقع عن ظهر الجواد وانطرح فأدركوه قومه فى الحال ونشلوه من ساحة المجال وأخذ العسكر الي داره وهو فى حالة النزاع يقاسي الالم والاوجاع هذا وقد ارتدت العساكر على بعضها البعض واقتتلوا قتالا شديداً فى تلك الارض حتي كان ذلك اليوم مثل يوم العرس كثرت فيه الاهوال وجري الدم وسال وزاد الخوف وعظم البلاء وتمددت القتلي على وجه الفلا واستمر القتال على هذا المنوال الى وقت الزوال وكانت بنو هلال قد خلصت أسراها من الاسر والاعتقال بضرب السيف وطعن النصال فعندها دقت طبول الانفصال فارتدت عن بعضهما الفرسان ورجعت بنو هلال فى فرح واستبشار على ذلك النجاح والانتصار وأما الملك شبيب فانه كان كما تقدم قد أشرف من ذلك الرمح على العدم فلما رأى حاله طريح الفراش زاد عليـــه الخوف والارتعاش وقد عظم عليه واسودت الدنيا فى عينيه ولا سيما رأى الاهل والاصحاب في عويل وانتحاب فتنهد من فؤاد معبول وأنشد يقول:

يقول شبيب التبعي بن مالك	قد زال عقلي يا ناس وراح
اتتني جنوب تلطم علي خدودها	وهي فى عويل وكثر نواح
فقلت لها تحملي همي واصبري	ان طبت باكر عزك ماراح
انا ان سلمت يا جنوب الى غدا	ترى الاعادي فى بكا ونواح
سأقتل منهم كل قرم غشمشم	في دز مزراقى وطعن رماح
وان مت أمرى لالهى وخالقى	وارضي بحكم الواحد الفتاح

(قال الراوي) فلما فرغ شبيب من نظامه غاب عن الدنيا لكثرة آلامه فوقع في قومه البكا والنحيب هذا ما كان من أمر شبيب وأما ما كان من بنى هلال فان الامير حسن كان قد جمع سادات الرجال وقال لهم مرادى هذا الصباح أن أبادر الاعادى بالقتال والكفاح فقال له أبو زيد تمهل فسوف تبلغ القصد والامل وأنا مرادى عند طلوع النهار ان ادخل المدينة واكشف لكم الخبر وأنا بصفة طبيب فلعلى اجتمع بشبيب فيفرح قلبي ويطيب فقال حسن افعل ما تريد أيها الفارس الصنديد فعند ذلك سار ابو زيد الي مضربه وهو يؤمل ببلوغ اربه ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح نهض ابو زيد بالعجل ولبس أفخر الحلل وتعمم بعمامة كبيرة ولبس جبة قصيرة وغسل وجهه ببعض العقاقير فصار أبيض مثل الثلج وانعم من الحرير حتى لم يعد يعرفه أحد من الانام ثم ركب ظهر كديشة

عرجا ودخل مدينة الشام وهو فى هذ الزى والهندام وجعل يجول فى الاسواق. وهو ينادى أنا الطبيب أنا الجراح فمن كان فيه علة ازلتها باذن الاله الفتاح وما زال يطوف ويجول وينادي ويقول أنا الحكيم أنا الطبيب حتى وصل إلى قصر شبيب وكان لشبيب ولد مثل البدر يقال له الامير صقر فاتفق انه كان هناك وسمعه من الشباك فقال فى نفسه ان هـذا الطبيب رجل غريب ولو لم يكن من الشطار والحذاق ما كان يطوف فى الاسواق فمرادى أن اتعرف فيه واجعله يداوي أبي لعله يشفيه ثم طلبه فحضر وسلم فقال أنت طبيب قال نعم قال اذا شفيت أبي من هـذه العلة والعرض وأزلت عنه المرض اغنيتك الى الابد وقدمتك على جميع أطباء البلد فقال انى سأبذل الجهد وأداويه ولا أخرج من هـذا القصر حتي أشفيه ففرح كل من حضر هناك بهـذا الخبر وزال عن قلوبهم الغم والكدر ولم يعلموا بأن هذا الطبيب هو عدوهم الاكبر ثم تقدم أبو زيد الي شبيب فى صفة حكيم وطبيب وهو يترقب الفرصة ليعدمه الحياة عن قريب وكان راسه معصوباً بمنديل وهو يتنهد من قلب عليل ففك العصبة ومسح الدم ووضع لهم المرهم وقال لقد زالت الاكدار باذن الواحد القهار فاتفق أن شبيب فتح عينيه فرأى أبو زيد حواليه فخاف وأنذر وأيقن بالموت الاحمر فصاح من حلاوة الروح بصوت خفيف هذا ابو زيد صاحب المكر والكيد فقال الحاضرون ما هذا الذى يقول شبيب أيها الطبيب قال يريد ان تملوا السراج زيت وتخرجوا جميعكم من البيت حتى يستريح ويزول عنه الياس لأن العليل تضيق أخلاقه بكثرة الناس ففرحوا الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد وخرجوا بالحال من القاعة ولما خلى المكان من الجماعة اخرج أبو زيد من جنبه السكين وذبح شبيب من الوريد الي الوريد وقد بلغ قصده ثم غطاه الي فوق راسه وخرج من عنده فسألته الجماعة عن حال شبيب فقال انه بخير وعافية فلا تدخلوا عليه الا بعد ساعة لبينما يكون قد صحى من النوم ولابد ان يشفي من علته فى هذا اليوم لانى عالجته باحسن علاج فلا تكونوا فى قلق وانزعاج فشكروه علي ذلك الاهتمام ووعدوه بالخلع والانعام وبلوغ القصد والمرام ثم ودعهم وسار ولو له اجنحة لطار هذا ما كان من ابو زيد العيار وما فعله فى ذلك النهار واما زوجة شبيب وباقى جماعته فانهم بعد ذهاب ابو زيد بساعة دخلوا على شبيب فى القاعة فوجدوه على تلك الحال فخرجوا عن دائرة الاعتدال وعلموا ان ذاك الطبيب كان

ابوزيد المحتال لانهم كانوا يسمعون عنه اشياء كثيرة فاستعظموا الأمر واخذتهم الحيرة واقاموا العزا والنحيب على فقد شبيب وهم يلعنون ذلك الطبيب وكان وكان لشبيب اخ اسمه الصحصاح وكان من ابطال الكفاح فاسودت الدنيا في عينيه وعظم الامر عليه وقال لابد لي أن أتبع هذا الغدار وأسقيه كاس الدمار لانه فجعني بأخي الحبيب وأضرم في قلبي نار اللهيب ثم ركب جواده وسار وراه وهو يهدر كالاسد الي أن التقى به بقرب طاحون خارج البلد فلما نظره أبو زيد ورآه عرفه انه الصحصاح وانه يريد قتله وفناه فدخل على الطاحون وغير لونه بالاعشاب ونزع عنه تلك الثياب ثم خرج ووقف علي الباب فلما وصل الصحصاح اليه اشتبه أمره عليه فقال له من قب محزون أعلمني أين صاحب هذا الكديش فقال له في الطاحون فنزل عن ظهر الحصان وسلمه مع الرمح الي ابو زيد فارس الميدان ثم سل سيفه ودخل الى الطاحون وهو من شدة الغيظ مثل المجنون فلم يجد سوى الطحان هناك فضربه بالسيف اورثه الهلاك وخرج في الحال وهو يظن أنه بلغ الآمال وقتل أبو زيد المحتال فوجد أبو زيد على ظهر الحصان فتعجب من ذلك الشان وقال له من تكون يا فلان فما أتم كلامه حتي طعنه أبو زيد بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع علي الارض قتيلا وفي دمه جديلا وسار أبو زيد بالعجل وهو مسرور على ما فعل حتي دخل على الامير حسن في الصيوان وحوله الامراء والاعيان فأعلمه بماجري وكان وكيف انه قتل شبيب والصحصاح ورجع بالفوز والنجاح فشكروه الجميع على ذلك الاهتمام وقالوا لاعدمناك يا فارس الصدام فقد هان علينا الحال وبلغنا المرام وسوف نبادر الاعدا بالحرب والمهاجمة لانهم بعد شبيب لاتقوم لهم قايمة هذا ما كان من بني هلال وأما ما كان من أهل شبيب فانهم لما علموا بقتل الصحصاح زاد عندهم النواح وأحضره لجانب اخيه وأقاموا عليهما النحيب فتقدمت جنوب زوجة شبيب ترثيه بهذه الأبيات وزادت عليها الحسرات

تقول جنوب الحميرية بما جرى	بدمع جرى فوق الخدود سكيب
الأيام والدنيا كفي لله شرها	ومن عاش فيها ينظر التنكتب
فما أضحكت الا بكت بعد ضحكهم	فيالها من حسرة بعد شبيب
ألا يا نجوم الليــل عالمينه	لعل أوجاع الفؤاد تطيب
أيا قصب الزرقاء ملك نايم	ومالك لا تبكي لفقد شبيب

شبيب الذى فرقع له الرعد بالسما   وصاحت ديوك العرش مات شبيب
شبيب الذى ما ربت الترك مثله   وما ربت الدايات مثل شبيب
شبيب الذي يلقى الضيوف بفرحه   ومسرة ولو كان الزمان جديب
فياليت من كان السبب بفراقنا   يقتل بحد الماضيات قريب
الا ياحمام النوح نوحوا واندبوا   وابكوا على فقد الامير شبيب
ياهل ترى الأيام عادت تلمنا   وتجمعنا به بوقت قريب
شبيب الذى بكته الناس كلها   وصاحت ديوك العرش مات شبيب
تقول فتاة الحي على ما أصابها   ولاعيش لي بعد الحبيب يطيب

فلما فرغت من هذه المرثية جعلت تبكي وتنوح من فؤاد مجروح وتلطم على خدودها من شدة الأسف وتقول والله لقد انهدم بعد شبيب العز والشرف فبكت الناس لبكاها وعزوها على مادهاها ثم اجلسوا شبيب على كرسى من الذهب الأصفر مرصع بالدر والجوهر والبسوه عدة الحرب والطراد وتقدمت النساء والبنات والامراء والسادات وبكوا على ملكهم حتي كثر الصياح وارتفع البكاء والنواح وتكسرت السيوف والرماح ثم تقدمت جنوب وهى ترقص بالسيف وبعد ذلك تقدمت اليه وقبلته بين عينيه وقالت له اطل عند يا ابا الخنساء مالك نائم يا مقرى الضيوف قم وانظر هؤلاء الامراء الذين قد جاءوا لضيافتك فما لك الان نائم لا تقوم وتجيبهم وهي ترقص بالسيف وتقول انى من بعدك لا اريد الحياة ثم وضعت رأس السيف فى بطنها وقبضته فى الارض واتكئت عليه فخرج يلمع من ظهرها فحينئذ ضج الجميع فى العويل وكثر الولاويل ثم دفنوها مع الصحصاح بكل احترام ومن بعدهم دفنوهم بالاحتفال والاكرام واقاموا مناحة طويلة واظهروا احزانا جزيلة فتمثلت بهم سائر الانام فى شدة الحزن والاغتمام هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من الامير حسن وبنى هلال فانهم بعد هذا الحال استعدوا للحرب والقتال فتقلدوا بالسيوف والنصال وهجموا على المدينة بقلوب كالجبال ومكنوا الضرب فى الرجال من اليمين والشمال ونهبوا ما فيها من الامتعة والاموال فعند ذلك خرجت الامراء والاعيان والبه فى جماعة من النسوان وطلبوا من الامير حسن العفو والامان فاجابهم الى ذلك الشان وأرسل مناديا ينادى فى الاسواق بالامان فتوقف القتال وخرجت بنو هلال واقامت فى الخيام وبلغت المرام وزالت عنها الاوهام وبعد ذلك بعشرة

ايام وولى الامير حسن الامير صقر مكان ابيه على تخت مدينة الشام وخلع عليه الخلع والانعام ثم امر بدق طبل الارتحال والمسير من تلك الاطلال وفى الحال هدمت الخيام والمضارب وركبت الفرسان ظهور الجنائب وجدوا في قطع الروابى والاكام حتي وصلوا الى القدس الشريف بعد ستة ايام فنزلوا خارج المدينة فى المضارب والخيام وزاروا الاماكن المقدسة بكل احترام وتصدقوا على الارامل والايتام ثم رحلوا منها بعد عشرة ايام الى غزه بقلوب معتزة .

﴿ انتهى الجزء الحادي عشر ويليه الجزء الثانى عشر ﴾

الجزء الثانى عشر من

تغريبة بنى هلال الكبرى

الشامية الأصلية

قصة السركسى بن نازب

وما جرى له من الحروب والأهوال التى تشيب رؤوس الأطفال

(قال الراوى) يا كرام لما رجعوا بنى هلال من مدينة الشام قصدوا بطريقهم القدس الشريف لاجل الزيارة فوصلوا اليها بعد ستة أيام وزاروا فيها الاماكن المقدسة بكل احترام وتصدقوا على الارامل والايتام ثم بعد عشرة أيام رحلوا من القدس الشريف قاصدين غزه بقلوب معتزة وما زالوا مجدين في قطع البرارى والآكام حتى أقبلوا على تلك المدينة وهى مشيدة حصينة فنصبوا فيها الخيام والرايات والاعلام وفرقوا مواشيهم فى جوانب أقطارها وأكلوا من محصولاتها وأثمارها ولما رأت الرعيان تلك الفرسان قد ملأت البرارى والقفار ذهبوا الى ملكهم وأعلموه بذلك الشان

(قال الراوى) وكان صاحب غزة فى ذلك الزمان ملك قوى الجنان لا يهاب قتال الشجعان ولا يبالي بأحد مهما كان صاحب جيوش ومواكب يقال له السركسى ابن نازب وكانت عدة عساكره خمسين ألف من الابطال الذين يعتمد عليهم فى الحرب والقتال ولما بلغه الخبر من الرعيان بقدوم بني هلال الى الاوطان اغتاظ وتكدر وطار من عينيه الشرر فجمع الوزراء والاعيان وأكابر الديوان واستشارهم فى ذلك الشان وكان عنده وزير عاقل خبير ذو رأى وتدبير يقال له الامير راشد وكان كثير الشر معاند ولما سمع السركسى هذا الكلام قال [illegible] الملك الهمام انى من أخبر الناس ببنى هلال وأعرف ما عندهم من الغنم والجمال والخيل والاموال لانني قد ذهبت الى نجد من نحو عشرة أعوام وأقمت فيهم [illegible] عددهم أربع تسعينات من الذكور وبناتهم مثل البدور ومن حيث قد أقبلوا الى هذه

الاطلال فمن الصواب أن نبادرهم بالحرب والقتال وننهب ما عندهم من الاموال لاننا أشد منهم بأسا وأقوى مراسا ثم انه بعد هذا الكلام أشار يصف لهم بنى هلال بهذا الشعر والنظام :

اسمع كلامى أيها الملك الهمام ... يا كرنلق القوم فى سوق الصدام
ونلتقيهم بالصوارم والقنا ... ونقتل منهم كل بطل همام
ثم نكسب كل بيضة ناعسة ... تسحر العشاق من دق الوشام
بنت قاضيهم بدير الفايد ... تشبه النجم فى جنح الظلام
أما فتاة الحى أم محمد ... تشبه البدر عنـــد التمام
أما عطور الجيد بنت أبو على ... ما مثلها بالترك مع أرض العجام
أما جمال الظعن وطفا بعدها ... أبوها دياب الخيل فى يوم الزحام
فان ظفرنا بهم وحزنا بناتهم ... يصير لنا سطوة ما بين الانام
شد عزمك ثم انهض بالعجل ... من قتل ولى ومن عاش اغتنم

(قال الراوى) فلما فرغ الوزير من شعره ونظامه وفهم السركسى فحوى قصده ومرامه استصوب ما قال وقد طمع فى بنى هلال وفى الحال كتب لهم هذا الكتاب يطلب منهم عشر المال :

يقول السركسي هو ابن نازب ... بدمع جرى فوق الخدود يسيل
ونيران قلبي كل ما اقول تنطفي ... يهب لهاطي الضلوع شعيل
يا سائرا بالله خذ لى رسالتي ... مكتوبة منى بلا تمهيل
الى حسن امير قيس وعامر ... امير البوادى فى الملوك جليل
فارسل لنا عشر الموال مع الغنم ... وعشر النسا وجمالكم والخيل
وهاتوا فتاة الجازية ام محمد ... لها عين سوداء م طرف كحيل
ومن عطور الجيد بلا خفا ... بعيون سود مكحلات يميل
وهاتوا [illegible] ثم وطفا بعدها ... ليس لهم بين النساء مثيل
و[illegible] تجيبوا يا امرا لطلبي ... اخلى دماكم بالفلاة يسيل
واقتل دياب الخيل بحد صارمى ... وادعى الفتى زيدان بالتنكيل
واقتل ابو زيد الهلالى سلامه ... واقطع لراسه فى حسام طويل
واقتل جميع هلال فى حد صارمي ... وادعى نساكم فى بكا وعويل
مقال الفتى السركسى ابن نازب ... حاكم بلاده بين الملوك جليل

(قال الراوى) فلما فرغ السركسى من هذا الخطاب طوى الكتاب وسلمه الي النجاب وامره ان يأخذه الى الامير حسن ويأتيه بالجواب فأخذه وسار وجد فى قطع القفار وما زال يقطع الراوبى والتلال حتى وصل إلى نجع بنى هلال فدخل على الامير حسن وسلم عليه وأعطاه الكتاب ووقف بين يديه وكان حسن جالسا فى وسط الديوان وحوله الامراء والاعيان منهم الامير أبو زيد والامير دياب وعيرهم من السادات والانجاب فلما فتح الكتاب وقراه وعرف حقيقة فحواه انشغل باله وتغيرت أحواله ثم أعرضه على الامراء وقال لهم ما هو رأيكم أيها السادات فقال الامير أبو زيد والامير دياب ليس عندنا سوى لطعان والضراب فعند ذلك أشار الامير حسن يجاوب السركسي بهذا القصيد :

يقول الفتى حسن الهلالى أبو على   بدمع جرى فوق الخدود نقوع
ونيران قلبي كلما أقول تنطفي   يهب لها طي لفؤاد نتوع
اسمع تري يا سركسي لمقالتي   فأنت تريد الجازية وقنيع
وتطلب بنات محسنات كواعب   وتريد تاخذ سيوفنا ودروع
فمالك عندي سوى السيوف والقنا   واجمع عليكم من دريد جموع
أبو زيد والزغبي دياب بن غانم   لهم ضرب يقطع عسكرك وجموع
فنحن ملوك هلال ليس مثالنا   ويا ما قتلنا من ملوك جموع
وكم قد قتلنا من ملوك مثالكم   تركنا دماهم فى الفلاة نقوع

(قال الراوى) فلما انتهي الامير حسن من هذا الجواب طوي الكتاب وسلمه إلى ذلك النجاب فأخذه وسار يقطع لسباسب حتى دخل على السركسي بن نزب فسلم عليه وقبل الأرض بين يديه ثم ناوله الكتاب فلما قراه وعرف ما تضمنه من الخطاب طار الشرر من عينيه وأمر الوزير أن يجمع العساكر والابطال لمحاربة بنى هلال فامتثل أمره فى العجل وجمع ثلاثمائة ألف بطل وكلهم بالأسلحة الكاملة والعدد الشاملة وركب الامير السركسي فى اول عسكر مع الأمير رشد الوزير الأكبر ومن حوله الأعلام و الرايات و الفرسان و الساد ت وجد فى قطع البرارى والقفار قاصداً قتال بنى هلال ونهب الأمتعة و لأموال [illegible] وعرفت بنو هلال بقدومه فى ذلك اليوم استعدت للقتال والطعان و الحرب وركب الأمير حسن فى عاجل الحال وتبعته بنو هلال وكان الامير [illegible] بفرسانه وأبطاله والامير دياب راكب عن شماله بجموعه [illegible]

العساكر بعضها البعض وقف كل فريق في ناحية من الارض وكان أول من برز إلى ساحة الميدان وطلب براز الفرسان السركسي وهو كالليث الواثب فبرز اليه أبو زيد في الحال فالتقاه السركسي بقلب كالجبال وأشار يتهدده بهذا المقال

يقول السركسي هو ابن نازب   ناري بالحشا زادت شعالى
ونيران بقلبي أحرقتنى   على ما قد فعلتم ياهلالي
طلبت المال منكم والعطايا   وعشر الخيل أيضا والجمال
فلم ترسل لنا مالا ونوقا   وأنتم لم تخافوا من قتالى
فجردت العساكر إلى لقاكم   لأقتلكم على وجه التلالي
وأقتل لك وللزغبي ديابا   وأقتل بعدكم حسن الهلالى

فلما فرغ السركسى من هذا المقال أجابه الامير أبو زيد فى الحال

يقول أبو زيد الهلالى سلامه   والنار فى قلبي تزيد ضرام
أرسلت تطلب خيلنا وجمالنا   وتطلب بناتا شبه بدر تمام
أما تستحي تطلب بنات كواعب   أمارة أصائل من فروع كرام
وراهم الفتي حسن الهلالى أبو على   حامي اليتامي يوم حرب صدام
فلابد عن قتلك وقتل رجالكم   يوم الوغى عند حرب حسام

(قال الراوي) فلما فرغ أبو زيد من هذا الشعر والنظام انطبق على السركسي انطباق الرعد فى الغمام فالتقاه السركسي كأنه ليث الاجام وأخذ معه فى طعن الرمح وضرب الحسام وكان السركسي أفرس أهل زمانه ولا أحد يعادله فى ميدانه في ضربه وطعانه وكانت تضرب به الأمثال وتهابه الفرسان والأبطال فقاتله خصمه أشد قتال حتى اتعبه وأكربه وضربه بحد الحسام قاصداً أن يسقيه كاس الحمام فاستتر أبو زيد بالدرقة ونزلت الضربة على رقبة الجواد كأنها صاعقة غيرتها كما يبري الكاتب القلم فوقع أبو زيد على الأرض وتحطم فهجم السركسي عليه هجمة الاسد وأراد أن يتى عليه بالسيف المهند فلما رأي أبو زيد تلك الحال خاف من الهلاك والوبال فطلب منه أن يعفو عنه فأجابه إلى ذلك الشان وقال له اذهب من الميدان وأرسل لي الأمير دياب حتى أعلمه حقيقة الطعن والضرب أو تحضروا عشر المال حتى أوقف عنكم القتال فرجع أبو زيد على الأثر وهو فى حالة الذل والكدر ورجع مع باقى الخيش والعسكر حيث كان أظلم الليل واعتكر ولما وصل فى المضارب والأبيات لتقته النساء والبنات وسألوه عن حاله وماجري

له في قتاله وكانت أمام البنات عطور الجيد ابنة الأمير حسن فأشار اليهن يقول .

قال أبو زيد الهلالي سلامه   والدمع من فوق الخدود سواجم
أيا عطور الجيد ان السركسي   يشبه لذئب قد حظي بغنائم
روحي وقولي لأبوك أبو علي   ينزل اليه باكراً ويهاجم
ما دامت النسوان تولد في الورى   تظهر فوراس كالسباع تصادم
هذا السركسي ما أحد يصادمه   إذا قام في ظهر الحصان يلاطم
فامضي إلى حسن الهلالي والدك   وقولي له أبو زيد ولي هزايم

(قال الراوي) فلما فرغ أبو زيد من هذا الشعر تعجبن البنات واستعظمن الأمر ورجعن وفي قلبهن لهيب الجمر وعلمن ان السركسي بطل عنيد وفارس صنديد ثم ان أبا زيد ذهب إلى عند الأمير حسن وهو في الديوان وأعلمه بما جري وكان فتعجب الأمير حسن وباقي الامراء على ما تم وجرى وقالوا ما دام الامر على هذا الحال فما بقي غير الأمير دياب أن يبرز الى السركسي في ساحة المجال فلعله يقضي الاشغال ويبلغ منه الامال والا تصعضعت منا الأحوال وطمعت فينا أبطال غزة دون باقي الابطال فاستصوب الامير حسن هذا الكلام وأشار يحمس الامير دياب بهذا الشعر والنظام :

قال لفتي حسن الهلالي ياذياب   انت فارس خيل شهم منتخب
فقم وانزل لقتاله يا أمير   واسقيه بحرب كاسات العطب
واترك دماه فوق الوطا   كما فعلت بالخزاعي في حلب
بالحرب والمرجله انت مجرب   يا عز قيس في العكره والكرب
قال الفتى أمير قيس وعامر   اليوم اقتله وابلغ الارب

(قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من كلامه أشار الامير دياب يجيبه على شعره ونظامه :

يقول لفتي الزغبي دياب المنتخب   وحق النبي ومن بمكة قد خطب
لابد عن قتله يا امير الملا   واسقي دمه على الارض حتى ينسكب
واليوم تملك في بلاده بلا خفا   وتصير غزة تحت احكام العرب
نحن ملوك هلال فرسان الوغى   وليوث حرب لا تخاف من العطب

(قال الراوي) فلما فرغ الامير دياب من شعره ونظامه شكره الامير حسن

وباقى الأمراء على حسن اهتمامه وباتوا تلك الليلة على تلك النية وقد خافوا من عواقب القضية ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح برز السركسي إلى ساحة الميدان فصال وجال وطلب براز الأبطال فبرز اليه الأمير دياب كانه ليث الغاب وهو راكب على فرسه الخضرا وكل العيون تنظر اليه وترى ولما سار فى ساحة الميدان التقاه السركسى بقلب كالصوان وقال له من تكون من الفرسان قال أنا البطل المصادم والليث المقاوم الذى شاع ذكره فى الأعارب والأعاجم الامير دياب بن غانم فضحك السركسي من هذا المقال والتقى خصمه فى ساحة المجال واقتتلا بالرماح والنصال أشد قتال وهجما علي بعضهما هجوم الأسود حتى خدرت منهما الزنود ومازالا على تلك الحال إلى وقت الزوال وكان السركسى كما تقدم الكلام من أشد الفرسان العظام فى تلك الايام فانه استطال على الامير دياب بعد أن لعب عليه من أبواب الحرب اثنين وسبعين باب فهرب من أمامه مع عسكره وخلانه ولم يثبت لحربه وصدامه حتى دخل المضارب والخيام وهو مقهور ورجع السركسي إلى قومه وهو بغايه الفرح والسرور وبات تلك الليلة مشروح الفؤاد على نيل المراد وأما الامير دياب فرجع وهو غائب عن الصواب حتي أقبل على صيوان الامير حسن فلما رآه قال له علامك يا أمير دياب فأني أراك فى خوف واضطراب فعنـد ذلك أشار يخبره بهذه الأبيات على مسامع الأمراء والسادات :

قال الفتي المدعو الامير دياب والنار فى قلبي تزيد لهاب
يا حسن اسمع كلامى وافتهم واصغى الى قولى ورد جواب
السركسى ما رأيت مثله فارس يفتح علي بالحروب أبواب
وقد هالنى لما يروح ويرتجع نزل على مثل سبع الغاب
ماله مثيل فى هلال وعامر أيضا ولا فى سائر الاعراب
قوموا بنـا ننجو حتي نرحل يا أبو على الراس مني شاب

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير دياب من كلامه وأمراء بنى هلال تسمع نظامه احتسبوا من السركسى وخافوا من الشرور وعواقب الامور وجعلوا يتخابرون كيف يكون العمل فى قتل ذلك البطل وباتوا تلك الليلة وفي اليوم الثانى جمع الامير حسن الابطال والفرسان ونزلوا الى ساحة الميدان فالتقاهم عساكر السركسي فى ساحة المجال واقتتلوا أشد قتال وهجموا علي بعضهم البعض واشتبك بين العسكرين

القتال وجرى الدم وسال حتي كلت منهم الزنود وبقيوا على هـذا الحال إلى إلى نصف النهار فما كنت ترى إلا رؤوسا طائرة ودماء فائرة وفرسانا غائرة حتي دارت علي قوم السركسى الدائرة وفيما هم على مثل هذا الحال ومتضايقين بالحرب والقتال وقد آيسوا من النجاة وكانت بنو هلال محيطة بهم من اليمين والشمال فبينما هم فى ضربات قاطعات تهد الجبال الراسيات واذا بغبار من خلفهم قد ثار حتي سد منافس الاقطار وبان من عسكر جرار ليس له قرار وفى مقدمتهم الوزير راشد الاسد المعاند فانه كان قد جهز مائتين ألف فارس أسود عوابس وكان السـبب في قدومهم أن السركسي أرسل يطلب منهم الامداد للحرب والطراد فحضر الوزير بمائتين ألف عنان فلما وصل الي ساحة الميدان ووجد ما بقومه من الذل والهوان هجم علي بني هلال وأحاط بهم من اليمين والشمال وخلص السركسى من بين أيدى بني هلال واقتحم هو والعساكر إلي ساحة المجال بقلوب كالجبال ومازال الحرب يعمل والرجال تقتل والدم يبذل الي أن انكسرت بنو هلال أشد انكسار وانهزم الامير دياب ببني زغبي وأبو زيد ببنى زحلان والامير حسن والقاضى بدير ببقية الفرسان وتبعهم الوزير راشد بكل بطل مغوار وأسد كرار وشتتهم فى جوانب القفار مسافة ثلاثة أيام وكسب منهم غنائم كثيرة وأموال غزيرة ولما أظلم الظلام رجعت الفرسان عن بعضها البعض ورجع الوزير والملك وهو بحالة الانتصار وقد كسبوا من بني هلال المال والبنات والنوق والجمال وصارت بنو هلال مشتتين فى البراري والتلال وفى تلك الليلة اجتمع الامير حسن والامير دياب والامير أبو زيد وأكابر الاجواد وأخذوا يتشاورون فى خلاص ما أخـذه منهم قوم السركسى وكيف يقتلون الوزير الذى كان سبب هذا البلاء .

(قال الراوي) وكان للامير حسن ابن أخت شديد البأس قوى المراس يسمي الامير عقل وكانت أوصافه ممدوحة مستحسنة وعمره أربعة عشرة سنة فلما رأي ما جرى وكان ذو همة لا يطاق وغرضه من قتال السركسى فى ساحة الميدان ستعصه [illegible] الى عند خاله الامير حسن وتعهد بقتل السركسى وازالة الكروب وعن يشرط أن تذهب معه النساء والبنات ليشجعوه فى حرب والثبات ثم انه بعد ذلك الكلام أنشد هذا الشعر والنظام

يقول الفتى عقل الامير بما جري ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ونيران قلبي زايدات وقيد

أنا فارس الفرسان فى حومة الوغي ... أخلى الاعادي بالفلاة شريد
فنادي بنات هلال يأتون سرعة ... ونادى لنا أم الامير شديد
ونادي للجازية أم محمد ... وغيا وريا ثم أم الجيد
ونادى لوطفا بنت عمى وزينب ... وعليا ونجلا حسنهن بزيد
فأوريك فعلى فيه يا أبو علي ... وأوريه طعنا فى المجال شديد
على ظهر حمرا ليس يوجد مثلها ... أنا فوقها قرم أصيل عنيد
مقال الفتى عقل الامير بما جرى ... لا خير فى رجل يكون بليد

(قال الراوي) فلما فرغ الامير عقل من كلامه شكره حسن وباقى الامارة على حسن اهتمامه وقد تعجبوا من ذلك الامر وقالوا لعل الله أن يأتى على يده بالفرج والنصر ثم ان الامير حسن أمر أخته الجازية أن تنتخب فى الحالماية بنت من خيار البنات الابكار اللواتي يشبهن الاقمار فحضرت بهن لعند أخيها بالعجل وقالت له ماذا تريد أن تفعل قال تذهبي مع البنات ومع الامير عقل الى ساحة الميدان وتنشدونه بالاشعار الحسان كما فعلتم مع غيره من الفرسان حتي يتحمس على قتل السركسى بن نازب فلعله يقضى الاشغال وننال المقاصد فلما سمعت الجازية فحوى كلامه استعظمت الحال وقال كيف نذهب مع عقل وهو ولد صغير السن وليس هو من رجال الحرب والقتال فاذا كان أبو زيد ودياب ما قدروا على قتال السركسى فكيف يقدر هذا الصبي وربما نحن بهذه الوسيلة نقع فى الورطة الوبيلة ويأسرنا السركسى بن نازب ونبقى معيرة بين الاعارب فلما انتهت من هذا الخطاب تقدمت وطفا بنت الامير دياب وأنشدت تقول :

تقول فتاة الحى وطفا التى شكت ... بدمع جرى فوق الخدود بديد
أبو زيد وأبي دياب الغانم ... ما مثلهم بين الملوك شديد
راحوا هزايم منه ياأمير أبو على ... فكيف ترسلنا مع طفل وليد
مقال فتاة نوع لبين قلبها ... فاحكم بعدل لا تكون عنيد

(قال الراوى) فلما فرغت من شعرها ونظامها وعرف الأمير حسن فحوى كلامها اغتاظ الغيظ الشديد وقال لها هذا الكلام لا يفيد ثم أمرهم بالركوب مع الأمير عقل وفى الحال ركبت لعماريات أمام الفرسان والابطال واعتقلوا بالرماح والنصال وقصدوا ساحة القتال فلما وصلوا اصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف وكان الأمير عقل مسربل بالسلاح وهو راكب على ظهر جواد سابق

الرياح فبرز إلى الميدان عرض وبان وطلب براز الفرسان فبرز اليه السركسى كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل فقال له عقل من تكون من الابطال وصناديد الرجال فاني أري نفسك شامخة معتزة . قل أنا السركسي أمير غزة وانت من تكون من الشبان . قال الأمير عقل بن الأمير بدر ثم أنشد وقال :

يقول الفتى عقل الامير بما جرى ... بدمع جرى فوق الخدود سكايب
أنا فارس الفرسان فى حومة الوغى ... أخلي دماك على الاراضي سكايب
ونحن الهلاليون ما فينا غبا ... فمن نجد نملكها لأرض الغارب
ولا بد ما أدعى لشخصك مجندلا ... وتصير غزه بعد منك خرايب
دونك سوق الحرب بيني وبينك ... وتشهد بنات القوم من كل جانب
مقال الفتى عقل بقول صادق ... فلابد من سيفي تروح شطايب

فلما انتهى الأمير عقل من كلامه أجابه السركسى على نظامه

يقول الفتي السركسى بن نازب ... ونيران قلبي زايدات المهايب
فيا أيها الشباب الذى ضر نفسه ... أظنك مجنون بلا عقل ذاهب
مالك ومال الخيل تلوى عنانها ... وتحارب أصحاب الحد والشوارب
فان طعتنى اسلم بروحك وانهزم ... وارجع إلى قومك وولي هرايب
هجمنا على عسكر هلال وعامر ... فساروا وولوا فى الروابي هرايب
فارجع عن الميدان يا ولد الخنا ... والا ادعى دمك على الاراضي سكايب

(قال الراوى) فلما فرغ السركسي من كلامه التقاه الامير عقل وأخذ فى حربه وصدامه هذا وقد التقى البطلان فى ساحة الميدان كأنهما جبلان أو أسدان كاسران وعلا عليهما الغبار حتى حجباعن الابصار وقد قدحت حوافر خيلهما شرر النار وما زالا على تلك الحال وهم فى أشد قتال إلى قرب الزوال وكان السركسى قد تعجب من حرب الأمير عقل واستعظم قدره لأنه رأى منه في مواضع [illegible] والضرب ما أدهشه وأذهله ثم ضربه بالدبوس قاصداً أن يعدمه الحياة ويجعل مأواه ويخلى عنه فراحت الضربة خائبة لأن كانت صائبة ثم ان الأمير عقل استقبل خصمه مثل الاسد وضربه بالسيف فنزلت الضربة على رقبته [illegible] كما يبرى القلم فوقع السركسى على الارض وخمد فأدركوه قومه فى عاجل الحال وشالوه من ساحة القتال فحمل عليهم الامير عقل بجماعته وألجأهم الى الانهزام حتي وصلوا الى غزة عند الظلام ورجع الامير عقل هو والفرسان من

معركة الصدام وهو فى فرح واستبشار ورجعت معه البنات الابكار وقد تعجبن من أمره نظراً لصغر سنه فدخل على الامير حسن وسلم عليه وعلى جميع الامراء الذين حواليه وأعلمه بما جرى وكان وكيف أن خصمه ولى من ساحة الميدان بعد أن حاربه طول النهار وقال له ان كنت فى ريب من كلامى فاسأل البنات الابكار فشهدت له البنات بالشجاعة والفروسية والهمة العلية فشكره الامير حسن على فعاله وقد تعجب من قتاله وثباته وأجلسه بقربه في صدر الديوان ووعده بالجميل والاحسان ورفعه إلى درجة الأمراء والاعيان هذا ما كان من بنى هلال وأما ما كان من السركسى فانه رجع من ساحة القتال وهو مشغول البال فاجتمع بوزيره وأعلمه بقتال الامير عقل ووبخه بالكلام ولامه أشد ملام وقال له قد كنا في غنا عن هذا التعب والعنا لأنك انت الذى أشرت على في حرب بني هلال دون باقى الامراء وسادات الرجال حتى جرى ماقد جرى فى هذا النهار من ذاك الولد الجبار والبطل المغوار فقال له الوزير لا تخاف يا ملك الزمان انشاء الله نهار غد انزل الى الميدان وأبارز هذا الولد وأذيقه الاهوال والشدائد وباتوا تلك الليلة يتحارسون وفى الصباح اصطف الجيشان وتقابل العسكران وبرز الوزير راشد إلى ساحة الميدان وطلب براز الفرسان فبرز اليه الامير عقل فالتقاه راشد بقلب كالجبال والتحم بينهما القتا فى ساحة المجال وتضاربا بالسيوف وتطاعنا بالنصال وفعلا أفعالا تعجز عنها صناديد الابطال وما زالا على تلك الحال وهما كل يوم في حرب وصدام يشيب الاطفال قبل الفطام مدة خمسة أيام على التمام وفى اليوم السادس التقيا فى ساحة الميدان وتقاتلا أمام الفرسان الى أن اختلف بينهما ضربتان قاطعتان وكان السابق الامير عقل وجاءت الضربة على رأس الوزير راشد فوقع قتيلا وفى دمه جديلا فلما رأت قومه ما حل به من الوبال نشلوه من ساحة القتال وأما الامير السركسي فلما نظر ما جرى وكان وكيف أن وزيره قد قتل وحل به الهوان غاب عن دائرة الصواب وهجم على الامير عقل مثل ليث الغاب فالتقاه عقل وانطبق على السركسى كليث الاجام وأخذ معه فى الحرب والصدام فالتقاه السركسي بقلب أقسى من الصوان وتقاتل معه فى ساحة الميدان حتى تحيرت من قتالهما الفرسان وما زالا على تلك الحال وهما فى أشد قتال إلي وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجعا عن الحرب والقتال ورجع السركسي وهو غضبان على ما قاسى من الحرب والطعان فيساحة الميدان وخصوصاً على ما أصاب الوزير

من الهلاك والتدمير وصمم النية ان فى ثانى الايام يهجم بالفرسان والابطال على بنى هلال ويذيقهم العذاب والنكال هذا ما كان من السركسى وما جري له من الاحوال وأما بنو هلال فان الامير حسن بعد رجوعه الى المضارب والابيات أحضر اليه الامراء والسادات وقال لهم اعلموا أيها الرجال انه قد طال علينا الحال فى هذه الاطلال ونحن جل قصدنا الوصول إلي تونس الغرب لنخلص أولادنا من أسر الزناتي بالحرب والطعن والضرب والرأى عندى ان نهجم فى الصباح بالابطال والفرسان ونحارب أعدانا بقوة الجنان حتي نبلغ الآمال ونسير بالعجل من هذه الاطلال ويركب الامير دياب فى بني زغبي الشجعان والقاضي بدير والخفاجى عامر مع الامير زيدان والرياشي مفرج وعرندس الزغبي والامير يقصدون الميدان والامير أبو زيد يركب فى بني زحلان ويقصد أبواب غزة بعد حضور السركسى الى الميدان وهكذا تم الاتفاق وصار الافتراق

(قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح دقت طبول الحرب وركبت الفرسان للطعن والضرب واندفعت الشجعان إلى ساحة الميدان من كل جهة ومكان وطلب السركسى معركة القتال وطلب براز الأبطال فبرز اليه الامير دياب وتجاول معه ساعة من الزمان ثم هجمت العساكر على بعضهم بعض فى البقاع كأنها كواسر السباع : وجعلوا يتضاربون بالسيوف ويتطاعنون بالرماح حتي جرى الدم وساح وزهقت الأرواح وما زالوا على تلك الحال إلي قرب الزوال فعند ذلك هجم الامير عقل وزيدان واقتلعوا السركسى عن ظهر الحصان وأوثقاه بالسلاسل والقيود وأخذاه إلى الخيام وبلغا المقصود ولما بلغ أبو زيد هذا الخبر فرح واستبشر وكان كما تقدم القول انه محيط بالبلد من جهة الشرق فعند ذلك هجم بالفرسان والأبطال على عساكر السركسى الذين انهزموا من ساحة المجال وحكم فيهم ضرب السيف الفصال وبعد أن دخلت بنو هلال إلى غزه بغصوب معتزة فغنموا الاموال وبلغوا الامال وخلصوا اسيرهم من الاسر والاعتقال وكان قد حضر الظلام فخرجوا وباتوا في الخيام وفى اليوم الثانى قبضت أهالى البلد والاكابر والعمد وطلبوا من الامير حسن الامان فأجابهم الى ذلك الشان وأرسل المنادى ينادى بالامان والاطمئنان واستكنت الاحوال واستبشرت بنو هلال بالنصر والاقبال ثم حضرت قواد الفرسان والامراء والشجعان إلي عند الامير حسن بن سرحان فشكرهم فى ذلك الاقدام وخصهم بالعطايا والانعام ثم حضروا عقل وأكرموه

قابه الاكرام على ما أبداه من الحرب والصدام من مزيد الاعتناء والاهتمام وقلده الامير حسن مقام الامراء العظام والبسه سيفا مرصعا بنفيس الجواهر ثم أشار بمدحه بهذه الابيات ويعرض عليه ما يريد من بنات النساء والسادات مكافأة لافعاله ومجازاة لاعماله وأشار يقول :

يقول الفتي حسن الهلالى أبو على ... بدمع جرى فوق الخدود بديد
عقل اسمع إلى كلامى وافتهم ... يا ليت عمرك كل يوم يزيد
أنت نصرت هلال فى حد سيفك ... ومنت الى السركسى فى البيد
نحن كنا غافلين بحربنا ... نصرت قوم هلال بالتأييد
لولاك كنا الآن في حالة الردي ... سبايا عرايا فى البلاد شريد
فخذ لك منى ما تريد وتشتهي ... واطلب مني كل شيء تريد
وهذه بنات هلال ما فيهم خفا ... صبايا عليهم من خلاع جديد

(قال الراوي) فلما فرغ الامير حسن من نظامه وفهم الامير عقل فحوى كلامه شكره وأثنى عليه أما السادات وقال له يا خال أرجوك أن أحوز الاشتمال بنظرك السعيد طول السنين والاجيال لانه ما حل وقت زواجى وطلوع نجم أبراجى فتقدم الامير زيدان شيخ الشباب والتمس من الامير حسن المهاب أن يأمر بعمل عرس لاولاده الامارا الذين حان وقت زواجهم فى هذه الادارة حيث انه تمت الوقائع والحروب واسترحنا من الشدائد والكروب فقال له الامير حسن لا بأس وركبت أولاد الامارا فوق ظهور المهارا والافراس وعملوا إعراضة عظيمة لها قدر وقيمه وبعده عملوا عرسا طافحا بالمسرات رقصت فيه أمامهم النساء والبنات المخدرات ومكثوا على هذا الحال ثلاثه أيام بالفرح والسرور وشرب المدام والخمور فى المزاهر حتى خلوا العقل حاير وبعد ذلك أحضروا الامير السركسى مقيدا بالاغلال وهو صامت الفم واللسان وأدخلوه الى عند الامير حسن فترامى على أقدامه وطلب منه العفو والامان وكان جالس الامير أبو زيد عن يمينه والامير دياب عن شماله وتهدده الامير دياب فى العقاب والانتقام على ما جرى منه فحينئذ طلب منه العفو والامان وقال له يا أمير دياب الوزير غشني وكان هو سبب الاذية والضرر وكان سببا لسب النساء الحسان وارخاء العنان في ذلك الشان فأرجوك أن تعفو عنى فخالا أمر الامير حسن فى اطلاق الاغلال عنه وقال له يا أمير السركسي اعفو عنك اذا حفظت الشرائع الملوكية وهى أوصيك بمحبة الله وحفظ شرائعه ووصاياه ما دمت فى قيد الحياة ولا تكون لجوجا فى الكلام

ولا مدمنا لشرب المدام بل حافظا ذمام الاحتشام متخلقا بأخلاق الكرام مع الخاص والعام متجنبا كلام الهزل والهزيان واقيا نفسك من عثار اللسان لانه صدور الاحرار قبور الاحرار فمن صان سره ملك أمره ومن باح به لم ينجح وزاد ندمه واحذر يا سركسى من النساء الاشرار فان مكرهن عظيم وخطوتهن تؤدى الى قاع الجحيم لانهن أصل الاذى والضرر وسلاح ابليس عدو البشر يتظاهرون بين الرجال تحت براقع العفاف والكمال وهن أغدر من الحيات ومن أعظم المصائب والبليات وبهن استعان الشيطان علي ملك سليمان وكان من أعظم حكماء الزمان وأفضل رجال العصر والاوان حتى غدره وطغاه ونال منه مبتغاه ثم لما تسلط علي أيوب بأمر الله كما هو مذكور فى التوراة وأعدمه كل خيراته وفجعه ببنيه وبناته واتخذ امرأته له سلاحا فكان يحاربه بها مسناء وصباحا وهو الذى وسوس الى حواء فاغوت آدم وبها دخلت الخطية الى العالم وبالخطية دخل الموت الذى لا مهرب منه ولا فوت فبالجملة أنهن مفاتيح الشرور ولا يركن اليهن بأمر من الامور لان ليس لهن عهد ولا أمانة ، ولا شريعة ولا ديانة ، اذا استغنى زوجهن أمرضنه بلسانهن وان افتقر أكلته بأسنانهن واذ شب واكتهل عاملته بالجفاء والملل وجحدن جميله وخيره ، وصاحبن خليلا غيره ، ولو كان فقيرا وصعلوكا حقيرا وان مات تزوجن بعده وما حفظن حبه ولا عهده كما هو ظاهر للعيان فى كل عصر وزمان والا استدعيك أيها الامير السركسى لكى تسمع وصيتي ، وتصغي الى نصيحتي ، بحضور أرباب دولتي ، وقل له سركسى أطوع عبيدك ، وجميع أموري راجعة اليك ، فشنف أذناي بأقوالك اللطيفة ، ونصائحك الظريفة ، فاني لامرك سامع ، ولوصاياك خاضع ، فقال الامير حسن متي توليت أحكام البلاد ، وتحكمت على رقاب العباد ، فاياك أن تغفل عن أحوال الرعية ، وتتعدي القواعد الهلالية ، وتخالف قوانين وشرائع الملوكية ، بل كن سالكا الطريق المرضية ، معاملا الكبير والصغير بالسوية [illegible] شكوى المظلوم [illegible] فى وجهه [illegible] واضع الاشياء فى محلها ، واستخدم فى [illegible] ولاة [illegible] أرباب الوظائف الكبار فينبغي أن يكون هؤلاء رجال من خواص [illegible] أهل الفضل والكمال ، موصوف بالاستقامة والامانة ، ومشهود [illegible] وصدق النية لا يميزون بين الحقير والشريف ولا يقهرون القوي على الضعيف [illegible] جميع المأمورين ويقتدى بهم فى المستخدمين ، لانهم أصحاب الكلام ، وولاة الاحكام

وبيدهم أزمة الامور وتدبير مصالح الجمهور ، ومحافظة الحدود والثغور ، فاذا كانوا على هذه الحالة تستقيم أحوال الرعايا وينتشر العدل والامان ، فى كل مكان فترعى الذئاب مع الغنم وتبات العصافير مع الرخم اما اذا كانوا خلاف هذه الاوصاف ما يلين الى الاعوجاج والانحراف ، ولا يبالون بمنافع الخلق ولا يعلمون بما يقتضيه الحق بل يصرفون الاوقات بالملاهي واللذات وسماع الاغاني والاصوات وارتكاب الكبائر والمنكرات ، ويسمعون كلام الوشاة ، وينقادون لطغيان العداة فتضطرب الاحوال ويوقع الاختلاف ويكون سببا لضرر البلاد ، عوض الاصلاح ونفع العباد فيضيع الحق والانصاف يكثر الجور والاعتساف وترفع الادنياء على الاشراف ، وتتسلط البهائم على الاكارم بالبراطيل والولائم ، وبذل الدراهم فتسقط المملكة الهلالية ، ويصير وجودها كالعدم ، بين ملوك الامم ، لان الشوكة والصولة ، وتمكين قواعد الدولة لا تقوم بكثرة الجنود ، ولا باتساع الاقاليم والحدود ، بل انما بالوزارة ، وحسن التدبير والادارة ، وعدالة السلاطين والملوك ، والتصرفُ بأحسن سلوك واياك أيها الامير أن تسمي وزيرا وتقيمه مديرا أو مشيرا ، الا بعد الفحص والامتحان ، ولو كان ابن رفعة وشان ، حتى تستقيم أمور دولتك ، وتسعد به أحوال رعيتك ، فهذا الذى يقتضيه مقامك ، ويحسن به في الدارين ختامك واياك أن تعتز في الدنيا ولذتها وتلتهى بأفراحها ومسرتها فانها محتالة غدارة وجميع أمورها مستعارة فلا تركن اليها ولا تثق بها وتعتمد عليها فكم أفنت من الملوك وفتكت بالانبياء ، وما هي الا كالظل الزائل والجدار المائل ، واعلم يا أمير السركسي ان مراتب العليا ، وسعادة الانسان في هذه الدنيا لا تنال بالفصاحة والمهارة . ولا فى كثرة السعى ومعاطاه التجارة ولا بالتقوي أو قوه البأس ، كما يتوهم بعض الناس وانما هي مواهب وعطايا وعناية من رب البرايا . لأناس خصصهم الله دون الغير وفتح فى وجوههم أبواب الخير ، وذلك لغايات لا تدركها العقول ، ولأسباب لا تهتدى الى معرفتها الفلاسفة الفحول فمنهم أتقياء وأبرار ، ومنهم أشقياء وأشرار ، كما هو ظاهر بالاختبار كالشمس فى رابعة النهار ، ولكن يجب على صاحب الدولة أن لا يتكل عن مساعدة العناية ويصرف وقته فى الكسل ، دون أدنى عمل لكن عليه أن يسعى ويجتهد ، وعن طريق الشر يحيد ويبتعد فيجب على الانسان الحاذق ، أن يخضع لاوامر الخالق ويقبلها بالرضى والتسليم لان الله كريم وعادل وحكيم ، وهو الشفوق على عباده

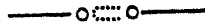
كما الوالد على اولاده ، فلا اعتراض اذا على ما حكم ، ولا فيما سمح به ورسم ، وسوف تتضح هذه الامور في يوم المنشور عندما تقوم الموتى من القبور فتظهر الحقائق وتعرف الخلائق مقاصد الخالق وأوصيك متي توليت تخت مملكة غزة أوصيك فى الحكم والحكم والسيف وواجب عليك أن ترسل لي الجزية فى كل عام فحينئذ نهض السركسي فقبل يديه وقال له أنا طوع يديك وجميع أموري متجهة اليك وما أنسى جميلك واحسانك ما دمت في قيد الحياة فحينئذ أمر له الامير حسن في قلعة سنية وحلة ملوكية ونهض الامير أبوزيد والامير دياب وألبسوه إياها أمام الوزراء والقواد وأرسلوه إلى محكمته فى احتفال عظيم وأجلسوه علي تخت المملكة وودعوا بعضهم بعض ثم أخذوا فى أهبتهم للمسير الى بلاد الغرب لكي يخلصوا أولادهم من الاسر والكرب فركبت الاربع تسعينات ألوف وانتشرت البيارق والصفوف وضربت الطبول فى الصحاري والسهول وأخذوا يجدون فى السير ويسابقون فى مسيرهم الطير الى ان اقبلوا وادى العريش فنصبوا المضارب والخيام وسرحوا مواشيهم فى تلك الوادى والآكام

﴿ انتهي الجزء الثاني عشر ويليه الجزء الثالث عشر ﴾

الجزء الثالث عشر من

تغريبة بني هلال الكبرى

الشامية الأصلية



قصة البردويل بن راشد

ونزول بنى هلال عليه وما جرى له مع أبو زيد من الحروب والاهوال وما أعقب ذلك من السحر والكهانة بالكمال والتمام

(قال الراوى) انه كان في وادى العريش ملكا من الملوك العظام صاحب بطش وإقدام يقال له البردويل بن راشد وكان فارس شديد وبطل عنيد وكان باني له قصراً مشيد الأركان عالي البذان وحوله العساكر والفرسان وكان مجوسي يعبد النار دون العزيز الجبار ويسجد الي الشمس فى كل نهار ويلبس طاقية الاخفاء ويقرأ الطلاسم والبرهان فما يعود أحد ينظره من الفرسان وبهـذا الشان يقهر الأبطال والشجعان ففي بعض الايام أخذ خبر بنت ملك سنبس مرصاد حاكم هاتيك البلاد وعنده ثلاثمائة ألف فارس ما بين مدرع ولابس والبنت اسمها عليا وكانت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبهاء وكمال فلما سمع البردويل بوصفها ما بقى يملك العقل ولا درهم فكتب كتاب الي ابوها الملك مرصاد يطلب ابنته عليا الى الزواج فأبى الملك مرصاد ذلك فحاربه البردويل وقتله وقتل وزيره وأخذ ابنته عليا زوجة له هذا ما كان من أمر البردويل والملك مرصاد ولنرجع بالكلام الي بنى هلال فانهم لما انتهوا من حرب السركسي فى غزة قصدوا وادى العريش فنصبوا فيها المضارب والخيام وسرحوا مواشيهم على تلك البوادي والآكام وكانت هاتيك البلاد يحكم عليها البردويل فلما سمع بقدوم بني هلال الى بلاده ونزولهم فى وادى العريش ضد مراده واطلقوا طروشهم فى كرومه يأكلون الأثمار ويتلفون الاشجار اغتاظ وتكدر وشخر ونخر واقسم برب البشر ان لا يبقي من هلال لا عينا ولا

ثم واستدعى بوزيره منصور اليه فتمثل بين يديه فقال ما الرأى فى هؤلاء العربان الذين غطى سوادهم البطاح والوديان واشار يقول :

قال الهامى . ودمعى سجامى . أنا ابن راشد . قاهر الاخصامى . جونا هلالى فوق الجمالى . ونزلوا قبالي . وابنوا الخيامي . وابنوا البيوتى . ثم التخوتى . وهيوا الرخوتي . لخيل كرامي . واملوا الاراضى طولا وعرضي . اليهم لامضى بجنح الظلامي . معهم دروعى . سيوفا لموعى . جملة جموعى . قوما لزامى . معهم رماحى بيضا صفاحي . لاجل الكفاحى . ليوم الصدامى . يا وزير منصور . قل لي ما الشور . اتركب وندور . ندركهم قوامي . لنركب عليهم . ونبلغ اليهم ونهجم عليهم وقت المنامى . دولى خوارج . جونا دوارج . مثل المدحرج . ادفعهم أمامى : يقول ابن راشد . للقول ناشد . وللأعداء حاصد فى يوم الزحامى

(قال الراوى) فلما فرغ البردويل من كلامه والوزير يسمع نظامه أجابه وقال يا طويل العمر ورفيع القدر ان كنت تريد رأيي وشورى ولا تقع لقول غيرى اكتب الي الامير حسن فى طلب عشر المال والنوق والجمال فان أعطى كان قتالهم حرام وان ما أعطي يكون مالهم حلال . وملام فبعد أن أتم الوزير هذا الكلام عندها طلب البردويل قلم وقرطاس ودواية من مذهب الخاص وأخذ يكتب إلى الامير حسن فى طلب عشر المال والخيل والجمال ويقول :

يقول الفتى البردويل ابن راشد	وفارس الهيجا بيوم طرادى
ولى همة تعلو على كل ماجد	ولى فى ملاقاة المنون عوائدى
يا حسن اسمع كلامي وافتهم	واصغى لقولي لاتكون معادى
من أرض قد اتيتوا لبلادنا	وانا حميتهم فوق ظهر جوادى
يا ابو علي وادى العريش حميته	بسيفي ورمحي [illegible]
يا ابو علي قدم لنا عشر خيلكم	وعشر المواشي مع حمد وادى
وقدم لنا وصفا وبنت القاضى	وقدم لنا ... غير عنادى
وإن ما تجيبوا كل شيء ضمنته	رأيتوا فى خمس سريع ردى
ما قال البردويل بن راشد	وانا ذو سيفى [illegible] حصادى

(قال الراوى) فلما فرغ البردويل من كلامه ونظمه طوى الكتاب وختمه واعطاه الى عبده سعيد فأخذه وسار فى الحال الى ان وصل الى بني هلال فسأل عن صيوان الامير حسن فدلوه عليه فدخل اليه وان كان تقدم مجتمعين حوليه وبعد

آن وصل الرسول وسلم وقدم الكتاب ولم يتكلم ففضه الامير حسن وتلاه وفهم رموزه ومعناه واطرق وافتكر ساعة ثم قال ابو زيد ما الخبر فأومأ اليه الامير حسن بطرف البصر إلي العبد فمضوا به إلي دار الضيافة بحسن لطافة وأخذ أبو زيد المكتوب قراه علي رؤوس الجميع فقال الامير حسن اصغوا الى ثم أنشد يقول :

يقول الفتي حسن الهلالى ابو على ‏ النار فى قلبي تزيد لهاب
اسمعوا لى يا أمارا وافهموا ‏ من أجل هذا صارفكري فى حساب
للبردويل أخبار شاعت فى الملا ‏ كم بطل يا قوم أدعاهم ذهاب
قاطع درب القوم جميعها ‏ وقد نهب أموال مالها حساب
هـذا بيعرف يا ملك اسما عظيم ‏ إذا تلاه على أصم الصخر داب
وان تلاه على عسكر ضـده ‏ يقطع الاعضا منها والرقاب
وقبعة الاخفا عنـده حقيق ‏ وإذ لبسها يخفي ورا الحجاب
لو كان مثـل الناس باين شخصه ‏ كنا جعلناه سريعا فى التراب
دبروا شى رأى حطوا للغفر ‏ هـذا شور مليح هو نعم الصواب
قال الفتي حسن سرحان ابو على ‏ صبحت كالسكران من كاس الشراب

فلما فرغ حسن من كلامه والامارا تسمع نظامه فقال الامير دياب والله حيث ان الامير ما حكى إلا صحيح الخبر فالواجب ان نباشر فى لم الغفر حيث ما أحد يلقي البردويل فى هذا السبيل فلما سمع أبو زيد من دياب هذا المقال وقف شعر شاربيه وقال يا امير ما كنا متأملين منك هذا الكلام وانا والله على فى قتل البردويل وأخلي جميع العربان تشهد لي بذلك فقال له دياب لا تحسب اللعقات كلها زلابية وأشار إلى أبو زيد فى هذا القصيد :

قال أبو وطفا دياب الماجد ‏ أبو زيد خلي القول عنك والخطاب
أبو زيد ما كل الرجال على السوى ‏ اياك تلقاه وتنزل للحراب
تهلك وتهلكنا جميعا كلنا ‏ يأخذون المال مع كل الشباب
أبو زيد ما كل البحور رقيقة ‏ ولا الأرانب يا فتي مثل الذئاب
ولا الرخم مثل الصقور الطايره ‏ ولا الثعالب يشبهوا دبك العقاب
ولا البواشق مثـل عصفور الذى ‏ تبقى ملاذ الأرض ايضا والرحاب
ولا السيوف القاطعة مثل الحديد ‏ ولا الخنافس مثل حيات الجبابه

يا حسن البردويل نعم الفتي قد شاع في كل الأراضي والشعابه
قوموا ادفعوا رسم الجزية وسلموا وأنا علي الدفع من قبل الشباب
نعطيه عشر المال أيضا والنسا ونسير اليه جمعنا مثل الضباب
قال أبو موسى دياب الماجد قولا صحيحا ما به ادنا عتاب

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه والجميع يسمعون نظامه احمرت عينين الامير أبو زيد وقال كل هـذا الذى نسبته الى وراح يتكنا فى قتال البردويل ويعاتب دياب ويقول :

قال أبو زيد الهلالى يا دياب لست اخشي البردويل ولا أهاب
فكم وكم من فارس قد أرديته ادعيه مدفون من تحت التراب
ان كان عنده مكر عندي الف مكر او كان عنده باب عندى الف باب
ان كان عنده اسم عندي الف اسم كل اسم للبرايا لا يهاب
لابد من قتل راشد يا امير لو كان فى حصن وداخل الف باب
ان كنت تخشي يا امير كفاحه اجلس فى صون النسا ضمن الطناب
وأنا الذى اغدوا اليه عاجلا وازل انذو [illegible] للحراب
ان كان يقتلنى فيا تعسا لكم او كنت قتله [illegible] لركاب
دياب تعرف همتى فى يوم الوغى انا صور الخيل فى يوم الحراب

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير أبو زيد من كلامه والأمير دياب يسمع نظامه فقال له أنا مارحتك يا أمير حتى أنظر ما يكون عندك من التدبير وعند ذلك نادى أبو زيد العبد وقال له اخبر سيدك وقل له ليس لك عندهم غير ضرب الحراب ورمى الرقاب فراح العبد وأخبر مولاه البردويل فى هذا الخبر الثقيل فلما سمع البردويل هذا الكلام صار الضيا فى عينيه كالظلام وفي [illegible] ذي [illegible] منصور البطل المشهور وقال له اركب في مائة الف من الابطال [illegible] فى هؤلاء [illegible] ولا تبق رفيع ولا وضيع [illegible] لاجل [illegible] والابطال [illegible] مائة الف [illegible] فى [illegible] كل [illegible] فى [illegible] كر حتي مع [illegible] بنو هلال عساكر البردويل [illegible] فى [illegible] تتطاير من عينيه الشرر ونادي عبده [illegible] وقال [illegible] دياب دعني أنوب عنك فى هذه الكرة [illegible] على [illegible] فى [illegible] جميع

وأتوه مثل سباع الكواسر فدقت الطبول وانتشرت الرايات وركب الامير دياب على الخضرا وانطلق على عساكر الوزير وأبلاهم بالذل والتدمير وعندما انتصف النهار التق بالوزير منصور وهو كالاسد الجسور وانطبق عليه انطباق الليالى على الايام وصالا وجالا والتحما واصطدما وابتعدا وافترقا واختلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق فى الضربة الوزير فى الرمح خلى عنها الامير دياب فراحت الضربة خايبة بعد ما كانت صايبة فعند ذلك هز عود الزان الامير دياب حتي التوي الكعب إلى السنان وضربه بين البزين طلع يلمع من بين اللوحين فوقع قتيل وفى دماه جديل فحين ما نظرت عساكر البردويل ما حل فى الوزير انطبقوا على الامير دياب مثل سباع الغابت فتلقوهم بني زغبي مثل الاسود الكواسر بالسيوف البواتر والرماح الطوال ولله در الامير دياب فانه أبرى الروس مثل الاكر ونثرها كاوراق الشجر فلما أمسي المساء ولت قوم البردويل وهم ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور وأخبروا ملكهم بما فعله بهم الامير دياب الاسد الذي لا يهاب كانه نمر جارح أو ذيب خاطف وركب على ظهر جواده الاشهب ولبس ثلاث دروع وثلاث خود وثلاث دوارق ووضع فى جيبه طاقية للاخفاء ونادى بالرجال والابطال وركبوا وراه فلباه أربعمائة الف فى عاجل الحال وانتشروا في الروابي والجبال فدقت طبو الحرب واستعدت نيران الطعن والضرب فجفلت بنو هلال مما رأت من الرجال والابطال لاسيما من نظر البردويل وهو مشهر فى يده الحسام ولما التقت العين بالعين انطبق عليهم كأنه صاعقة أو الجن الماحقة فحين نظروه بنى هلال اعتراهم الخوف والرعب فى الحال ولكن لله در بعض أبطالهم فانهم أظهروا الجلد وأخفوا الكمد ومع كل ما جاهدوا وعانوا استظهرت عليهم عساكر لبردويل وكسروهم فى آخر النهار فرجعوا على أعقابهم مقهورين وقد كان أبو زيد غائب فى الصيد والقنص ولم يعلم ما جرى فى هذه القصص فى صيوان الامير حسن ومن بعد رجوع بنى هلال من هذه الوقعة التى كانت عليهم اشأم الوقائع اجتمعوا واخذوا يتشاورون فى دفع الجزية للبردويل وإذاهم فى الحديث قبل ابو زيد فلازموا السكوت فسألهم الامير ابو زيد ماهم وعما لاقوه من حرب لبردويل اجابه الامير حسن وقال له والله ان البردويل لا احد يلقاه لا انس ولا جان فقال له الامير ابو زيد والله يا امير حسن قد اغركم الوهم ولا شك انكم تتشاورون في دفع الجزية للعدو فوالله ثم والله ماطاوعتكم

أبدا ولا أرسل الجزية ما زلت أقدر على ركوب الجواد وأتقلد فى آلة الحرب والجلاد وراح يتكنا بقتل البردويل ويقول :

يقول أبو زيد الهلالى يا حسن   اسمع كلامي أنت مع من حضر
لا تخافوا من طعان البردويل   انى اطفي لكم منه الخبر
وغداً باكر أنا أنزل اليه   فوق مهر مثل طير أو صقر
سوف أسقيه المنية عاجلا   ثم اتركه حديثا يتذكر
ما شاء ربى ويركبنى الجواد   لا تخافوا من ملوك ووزر
وكفي التسليم فى كل الأمور   وهنيئا للذى بلغ الوطر

فلما فرغ أبو زيد من كلامه والقوم يسمعوا نظامه قالوا له ياويلنا من بعدك ياأبو شيباذ يامزيل الكروب فىوقت الطعان وقد انصرفوا من الديوان وتوجه كل أمير للصيوان ولم يبق عند الامير حسن غير دياب والقاضى بدير وطى بن مالك وأبو العوف وعامر وحماد وعرندس فتشاوروا مع بعضهم وقالوا غدا يذهب أبو زيد إلي البردويل فيقتله البردويل ونبقى بعده فى حزن طويل مانكون عملناشى،ثم نهض الأميرحسن ودخل الىخزانة السلاح وطلع قيد مملكته وهو أربعة أرطال فضة ووضعه فى منديل وأعطاه الى دياب وقال اذهب إلى عند الأمير أبوزيد أنت وخالك القاضي بدير والامير طى بن مالك والامير أبوعوف وعامر وحماد وعمك عرندس وقل له ان كنت طايع الله والامير توضع رجلك فى هذا القيد لبكرة وباكر نجى نفتح لك فان حسن خايف عليك أن تذهب إلى البردويل يقتلك فأخذ القيد دياب والامارة الذى قال عنهم حسن وساروا إلى عند أبو زيد ودخلوا وسلموا عليه فقام لهم على الاقدام ورحب بهم غاية الترحيب وأجلسهم فى دار الضيافة [illegible] فقام دياب ووضع المنديل قدام أبو زيد وقال له [illegible] الامير حسن [illegible] ففتحه ووجد فيه القيد فقال له [illegible] توضعه فى رجلك لبكرة وأخبره بما قال حسن [illegible] حسن ما [illegible] يطيعه [illegible] ووضعه فى رجله وقال [illegible] وتفتحوا لي القيد بكره [illegible] فخاف حسن أن يتعوقوا علي [illegible]

خذى مفتاح القيد حطيه معك ولما تشوفين الفجر لاح يمكن الامارة أن يتعوقوا على بعلك وابقي اعطي المفتاح لابنك مخيبر وادعيه يفتح لابيه القيد ويقول له توجهت وأحضرت المفتاح من عند الامير حسن واياك يا أم مخيبر يعلم بك أبو زيد وتخبريه عن المفتاح فقالت له سمعا وطاعة ثم ذهبت الى عند أبو زيد وقعدت قباله هذا ما جرى على أبوزيد الضرغام ويرجع الكلام الى البردويل الهمام فانه فى الصباح دق طبول الحرب والكفاح وبرز الى ساحة الميدان وطلب براز الفرسان فانحدر اليه الامير حسن وحين التقت العين بالعين قال له البردويل أهلا وسهلا فى أمير بني هلال وعامر ومن في الديار والحيل علينا يخامر اما حسن فلما شاهد البردويل وهول جثته وكبر هامته وغلاظ رقبته فقال والله ان هذا من عفاريت السيد سليمان ومن أفرس ابطال الانس والجان فانطبق علية وأخذ معه فى الصداء من الصباح الي وقت الظلام فافترقوا على سلام وكل منهم رجع الي الخيام ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح برز البردويل إلى ساحة الميدان فبرز اليه قاضى العربان

فلما نظره البردويل قال أنت قاضى العربان تريد تحارب الفرسان فقال له القاضي اليوم أريك أفعالى وأبليك بنزالى وهجم عليه وتكاونا وتصادما ولم يمض عليهما ساعتين حتى ان البردويل برم الدبوس فى يده وضرب القاضي بين كتفيه فظن أن روحه خرجت من بين جنبيه فدار رأس جواده وولي هارب والى النجاة طالب فانحدر اليه الامير زيدان وانطبق عليه انطباق الغمام فما طال عليه المطال حتي كل فى الحرب فولى هارب والي النجاة طالب فبرز اليه مخيبر وبعده عكرمة ثم مفلح وأيضا عقل حتى برز اليه خمسة وعشرون أمير من الفرسان المشهورة والابطال المعروفة فقهر الجميع وعم على الكبير والصغير ولم يمكث أن وجد منهم أكثر من ساعة لا ويولي هارب والى النجاة طالب ومازالوا هكذا حتى أمسى المساء وأقبل الظلام دقت طبول الانفصال أخذ كل منهم يشكو مما أصابه من هذا البأس الشديد وفى ثاني الأيام برز الامير دياب الاسد المهاب وصال وجال ولعب برمحه العجيب حتي حير عقول الشيوخ والشبان وطلب براز الفرسان فبرز اليه البردويل وهو أعظم جثة كالفيل فالتقى البطلين كأنهم جبلين وحل عليهم الحين وحلق فوق رؤوسهما غراب البين وأخذوا فى كر وفر واقتراب وابتعاد ولما شاهد الامير دياب أن خصمه شديد وقرم عنيد فأشار الى بني زغبة فانطبقوا على قوم البردويل فتلقوهم أولئك فى ضرب مثل

النار حتي ما عدت تنظر فى ذلك النهار إلا رؤوس طائرة ودماء فائرة وفرسان غائرة وأنذال حائرة والروس تتساقط مثل ورق الشجر فيالها من وقعة مهولة تشيب رؤوس الاطفال وتحير عقول الابطال وكان ذلك اليوم على بني هلال بئس الايام وأشر الاغوام وقد كسرتهم عساكر البردويل وأرجعوهم الي الخيام ينوحون على مصائب الايام ورجع البردويل الى قصره فرحان وهو يدمدم كالاسد الغضبان هذا كله والامير أبو زيد مقيد قال الناقل ولما بلغ أبو زيد هذا الخبر وما جرى على بنى هلال من العبر اغتاظ وتكدر وصارت عيناه تقدح شرر وصار أبو زيد يتقلب على الفراش مثل الثعبان فقالت له أم مخيبر علامك أنت حامل كل هذا الهم وأنت عندك ما أكثر من غيرك وأنت الامارة ما يدفعوك غفارة لاى شيء ترمي روحك فى المهالك مع هذا الساحر وأنت ماسمعت ماذا عمل مع العباد فقال لها أبو زيد والله ما هو على شيء ولكن من غيظى من حسن ودياب ما يعذروني ولازم أن أروح للبردويل واقتله وأنا بعون الله تعالى قده ثلاث مرات بكل ما يمكن واما لبردويل قد طلب مال وخيل وجمال وعبيد وجوار وسلاح وبنات ملاح وأول ما طلب بنتك جمال الظعن كيف تعطيه اياها قالت لا يرحم الله أبوه ولكن أن تقدر عليه وعلى طلاسمه وسحره قال لها ان شاء الله تعالى وانت ما تعرفى بعلمك يا ام مخيبر و الامير حسن كل يوم عند الصباح يعطيك المفتاح ومرادي الآن فى هذا الليل ان تسيري اليه وتسرقى المفتاح من جيبته وتجي تفتحي لى القيد وانوجه الي البردويل واقتله وآخذ اباحة على بنى هلال وانشا يقول :

يقول الفتى المسمى الامير سلامه	ودمعي من فوق خدود طافحا
يا ام مخيبر اصغي لي كلامي واعلمي	عقلي وذهني و[illegible] قد راحا
روحي سيري لعند حسن [illegible]	وتسرقي من جيبته المفتاحا
وتجي فيدي [illegible] عاجلا	حتى يروح عني هم [illegible]
حتي روح للبردويل واقتله	وادعيه من فوق [illegible]
واطفي جمره ثم صلى حرقتي	ويعود فى قلبي [illegible]
مقالات ابو زيد الهلالي سلامي	[illegible] تفرحي [illegible]

(قال الراوي) فلما فرغ أبو زيد من كلامه و ام مخيبر بنت عمه تسمع [illegible] فضحكت وقالت له هذا تعطي الذي يحب بك المفتاح فقال لها [illegible]

عندك أربعين يوم فاذا كنتي تريدي أن تفرجي كربتي فافتحي لي القيد واطلقي الباز للصيد فقالت له ان الأمير حسن قد اقسم على بأن لا افتح لك الي الصباح فالى اين تريد الذهاب في هذا الليل فاني اخاف عليك من البردويل أن يقتلك ويعجل بدمارك فقال لها ان اقتلني تأخذي لك رجل آخر وان قتلوك بعدى ما أنت احسن منى فقالت له بذلنا من عندك يا ابو شيبان واخرجت المفتاح وفتحت له القيد فوثب للحال مثل النمر الحرسان وشد على ابن الحيصا وتصفح بخمس صفح من البولاد ولبس الدرع المصفح وشد حاله بانواع آلة الحرب حتي صار قطعة من البولاد واعتلى على ظهر الجواد كانه قلة من القلل اوقطعة فصلت من جبل وشلح عليه وعلى الخصان هياكل الطلاسم والقسام وتحوط بايات الله العظام وسلم روحه الي الواحد العلام وقد جد السير للحال حتي بلغ قصر البردويل الريباء ودار حواليه ثلاث دورات فوجده عالي لبنيان رفيع الأركان وهو منفرد عن القوم مسافة نصف يوم وكان وصوب أبو زيد عند طلوع الشمس فكان البردويل نايم على ركبة عليا ومتمرد مثل العفريت من أول القصر الى آخره فكان وصوب أبو زيد فتقدم الى الباب فوجده مصفح في الواح من البولاد كانه من بنيان ثمود وعاد ورفع يده وضرب الباب في دبوس الحديد فتزعزع القصر بسكانه وكاد يزيح من مكانه وعند ذلك اتكى على مزراقه وصار يتأمل فيمن يرد علته ويفتح له فما [illegible] رد عليه فدق الباب ثاني وثالث واتاه سعيد عبد البردويل واطل من الشباك فرأى أبو زيد راكب على ظهر الجواد وهو كقطعة من بولاد فقال له ما تريد يا أبا الفوارس [illegible] فقال له أبو زيد أريد مولاك البردويل اياه لعله [illegible] فذهب اليه وقال [illegible] فارس على الباب طالبك الى الحرب والكفاح [illegible] من هذه [illegible] فرجع واخبر سيده عليا بهذه [illegible] وان مولاه البردويل كان نائما على ركبته فقال له يا مولاي أن فارس على الباب اسمر اللون [illegible] الأرض [illegible] ولما رآني قال لي قل لمولاك البردويل [illegible] الحرب والكفاح فقلت له [illegible] عن اسمه [illegible] ولا سمعت صوت من [illegible] القصر [illegible] حتى كادت تهتز منه [illegible] القصر وكان الصوت صوت [illegible] من [illegible] فلما سمعت [illegible] الصوت [illegible] البردويل

عن ركبتها ووضعته على مخدة ناعمة وأشرفت إلي الشباك قبال الأمير أبو زيد وتأملت فيه وإذا هو مثل الصقر وقلبه أشد من الصخر فلما نظر أبو زيد ذلك المنظر كأنها البدر المنير حول نظره عنها فقالت ما مرادك ومن أي قبيلة أنت فقال لها أنا الأمير أبو زيد من بني هلال ومرادي أحارب البردويل في هذا النهار وأدعيه ينزل إلى حربي فلما سمعت منه هذا الكلام أخذت تترحب به وتخبره عن حالها وتقول :

تقول فتاة الحي عليا التي شكت   ولي قلب من جور الزمان تلوف
ولي عين طول الليل ما تألف الكرى   هما دمعها فوق الخدود ألوف
أنا كنت قبل اليوم ما أعرف البلا   وربي بلاني والزمان ظروف
فاسمع أيا صنديد مني وافتهم   واصغي لقولي لا تكون جنوف
ان الملك مرصاد ما مثله أحد   يحكم على قوم بغير حنوف
مائة الف أمير تركب مع أبي   ومائتين الف عساكره وصفوف
خمسون الف من العبيد وغيره   مأكولهم لحم الغنم معروف
وأنا التي قد فاق حسني على القمر   حتي دعاه البردويل كسوف
قتل أبوي بوسط عكا بظلمه   ودعاه من فوق الثرى محذوف
وأباد عساكرنا وشتت شملنا   وأنا أخذني غصب عني عسوف
وأنا ثمان سنين أندب حائرة   حتى الهي من سماه يشوف
فاراد أخذي ابن راشد زوجة   أيام سعدي [illegible] سعوف
ان كنت يا صنديد تفرج همنا   جبر القلب [illegible] المهموف
أدعو لربه من سماه يخلصك   من شر هذا [illegible] معروف
ما قالت عليا على ما جري لها   [illegible] قلبي لا [illegible]

فلما فرغت عليا من كلامها والأمير أبو زيد يسمع [illegible] التقصيد ويقول :

يقول أبو زيد الهلالي [illegible]   [illegible]
ولي همة تعلو على كل [illegible]   [illegible]
[illegible]   [illegible]
[illegible]   [illegible]
[illegible]   [illegible] معروف

لابد من قتل ابن راشد عاجلا　　بزندي وكفي والقنا وسيوف

واما يقتلني واما اقتله　　وانت عيونك للتنين تشوف

وآخذ لك بالثار تشفي غليلك　　ونجم سعدك على النجوم يشوف

يا عليا ادعى البردويل بسرعة　　ينزل إلى حربي بلا مكلوف

يقول أبو زيد الهلالي سلامه　　يا نار قلبي مثل بحر يطوف

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه والست عليا تسمع نظامه قالت أنا خائفة عليك من البردويل أن يذيقك الحرب الوبيل لأنه فارس ما له مثيل ولا يوجد مثله فى الآفاق قال لها أبو زيد نبهيه أن يأتيني من دون اطالة كلام واليوم تنظرين أفعالي والسلام ولابد أن تذكرى فعالي على الدوام فعند ذلك توجهت عليا الى البردويل فرأته غارقا في المنام فلما أفاق قصت عليه ما سمعت من الكلام وأخبرته عن قدوم البطل أبو زيد الصنديد وانه عن قتله لا يحيد فلما سمع كلامها من الاول الى الآخر قام وقعد وأرغى وأزبد وقال لها بغضب كيف أقلقتنى وفى هذا الكلام أزعجتيني ثم أشار عليها في هذا القصيد يقول :

يقول البردويل بن راشد　　وقلبي صفا منذ صرت أنا مرتاح

فما لك توعيني ووقتي ما أتى　　وأنا في لذيذ النوم وقت صباح

يا عليا خليني أنام بجانبك　　لعند صلاة العصر أنا مرتاح

وقلبي بك دون الأنام مولع　　لو كان غيري كان عقله راح

بعلك شجاع القلب ما له مناطح　　سبع الفلا من هول حربه راح

قال الفتى البردويل بن راشد راشد　　أنا الفارس القهار أنا الجحجاح

(قال الراوى) فلما فرغ البردويل من كلامه قال ما كنت أعزمن عيونى وشاع فيك غرامى وشجونى لكنت ضربت عنقك فى هذا الحسام فكيف تخيفينى من فارس أو من ألف فارس وأنا لا أحسب لكل من دب على الغبرا وطار فى السماء حساب فقالت له أهى كل الرجال رجال أو الثعالب مثل أسد الدحال فما زالت النساء تحيل وتنده على وجه الارض شطر فلما سمع من عليا هذا الكلام صار الضيا فى عينيه ظلام وصرخ صوتا أدوت له الجبال واهتزت من هوله التلال وقال لها كف عن هذيك يا بنت اللئام والا قطعت رأسك بهذا الحسام فلما سمعه أبو زيد من خارج الدار صاح عليه صوتا وقال له اسكت يا حمار وانزل الي قبالى فستري بلائى انزل قبالي والا هجمت عليك العصر قبل أن يأتى وقت العصر فلما سمع البردويل هذا الكلام صار الضيا فى عينيه ظلام فقام لساعته ولبس آلة حربه وعدته وأفرد على بدنه درع

داوودي مصفح وتقلد في سيف كأنه البرق اللامع أو الموت الماحق ووضع على جنبه طاقية الاخفا ونادى على عبده مسعود وقال شد لي على جوادى المعهود للحال شد علية وأحضره اليه فوثب راكب عليه وعلا فوق ظهره كالبرج المنيد وهو كقطعة من حديد حتي صار كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وقال للعبد افتح لى الباب وحافظ على ما فى القصر والا أذيقك العذاب ففتح العبد الباب وكان مصفحا بالحديد وحصل أبو زيد على فرح ما عليه من مزيد ولما فتح الباب تأخر الي الوراء وأخذ يقرأ آيات الله العظام ويقول عونك يا رب الانام وحينئذ خرج البردويل كانه سبع كاسر أو أسد ظافر وأخذ يلاعب حصانه كانه فرخ جان أو من عفاريت السيد سليمان وكان أبو زيد متكى على رمحه يلتفت ذات اليمين والشمال فنزل اليه البردويل وناداه قائلا تعال يا أعرابي حتي أنظر ماهو مرادك وما الذى قادك وغربك فأخذت أبو زيد الحمية الجاهلية والنخوة العربية وهجم عليه هجمة الأسود فالتقيا البطلين كانهما جبلين أو اسدين درغامين او بحرين متلاطمين كانهما كفتى ميزان او بيضتي قبان تكللوا بالعرق الى ان صارت الخيل تحتهما كالعلق وكل من على رفيقه طبق وتمنى كل واحد منهما انه ما كان خلق تارة يتفارقا وتارة يتلاقيا وعلت منهما الصيحات حتى ملأت الفلوات فعندما رأى البردويل انه تعبان من صدمات ابو زيد ليث الميدان طلب سعفة ملوك الجان وانشد وقال :

قال ابن راشد من فؤاد مبتلي   والنار فى قلبي تزيد وقدى

ألا يا ملوك الجان قولي فاسمعوا   ألا افهموا ما قلت من الانشادى

يا مالك شمرخ اتيني بعزوتك   عكرش ومكرش ثم ابن جرادي

كذاك يا غرموس هات لعصبتك   واقف قبلي أين شخصك بادى

وانت يا غيلان هات لقومك   مثل الجراد واربطوا بالوادى

يا شمرذان فلا تخالف كلمتي   وشفي لقلبي مرة فى مرادي

ولد راشد اليوم اقضوا حاجته   قبل ذ يروح مهزوس وينادى

(قال الراوى) فلما فرغ البردويل من كلامه وأبو زيد رافع عينيه في السماء غير مكترث بنظامه بل كان يقرأ الفاتحة ويذكر كلام الله ثم بعد ذلك التفت إلى نحو البردويل فوجده لابس الطاقية فقال له أراك يا أمير راشد جهول ثم أشار بيده إلى الملوك العلويين وقال :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه ... فأنا بفعل المكرمات أنادى
أصيل من الجدين فخرة بيلتى ... شريف زكي الاصل من أجداد
وأمي شريفة يا ابن راشد أصلها ... منسوبة الجدين ذات عماد
واسم أمك صالحا يا بردويل ... من لمثلك كانت تشيل مرادى
أبوك افرنجى وجدك حنا ... وانت مخالف يا لعين مرادى
إن كنت ما تسلم دهيتك طعنة ... واصيرلك نين بين الملوك معادى
وان كان عندك قبع آخرالبسه ... وقلوسى البس مع لبادى
عندي عزايم مع مزايد كثيرة ... بحكم على الخدام تم مرادي
لسبع قبائل والملوك سبعة ... أيضا خرفوس طاع والاجنادى
والكواكب والمنازل والبروج ... هو مسندى عند المنام وسادى
والرمل عندى من زمان اسكندر ... واليوم جيتك بالمزراق أنادى
ضربت أنا بالرمل أخذت علامك ... لقيت لك اضمار وشكل سوادي
وعزيمتك بطلتها يا بردويل ... لو صار لك أجواز مع أفرادي
قلت بسم الله أول ما ابتديت ... انى بعون الله أنا معتادى
أنا اسألك ربى بموسى وعيسي ... كذا بالنبي المختار ذى الامجادى
فارسل ملائكك يعتنى بحراسني ... واحفظنى يا رب من ذى عادي
وارسل روفائيل نحوى يعيننى ... ويخزى ملوك الجان عنى عادى
يا رب يا رحمن اسمع دعوتى ... وغثنى بلطفك يا سميع مرادى
مقالات أبو زيد الهلالي سلامه ... فاليوم جاك الموت والانكادي

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه والبردويل يسمع نظامه استشاط غضبا وغيظ فما عدت تسمع إلا صياح وهدير ودمدمة في السن مختلفه وكنت تسمع الصوت ولا ترى ذوات هذا والبردويل لما وجد حاله مغلوب ولم يقدر أن يختفي من قدام ابو زيد حيث الملائكة العلوية طردت ملوك الجان السفلية الى سابع أرض وبطلت عزيمته وعدمت تبعته السحرية ولا تخفيه عن الاعين ندم على ما فرط منه في حرب ابو زيد وكانت عليا تتفرج من الشباك فلما نظرت البردويل قد انقطع امله وحار في امره وابو زيد غلبه فرحت وصارت تزغط الى ابو زيد فظن البردويل ان هذه الاغتناء لاجله ولا يعلم انه لاجل عجزه وفشله فأخذته الحمية والنخوة وهجم على ابو زيد مثل النمر الخطر فتلقاه ابو زيد كما تتلقى الارض

العطشانة وابل المطر وعلا منهما الصياح حتى ملأ الروابي والبطاح وصار الامير ابو زيد يدور حول البردويل وهو مشرعا سيفه الثقيل ورمحه الطويل فحينئذ تيقن البردويل فى ذهاب روحه وزوال سعادته فهز ابو زيد فى يده عود الزان وصرخ فيه صوت هائل وقال له خذها من يد سلامه لأجل عينين عليا مالها اليوم فردت عليه عليا وقالت له أنا شاهدة ونعم شاهد وقواك ربي يا متين السواعد فلما نظر البردويل هذا تعجب واخذه الخوف والاضطراب فطلب من ابو زيد الامان وعلى ما فرط منه ندمان فأنشد من قلب كوته الحسرات هذه الأبيات :

قال ابن راشد فى بيوتى متمممى النار فى قلبي تهب وتضرمي

يا امير ابو زيد انا واقع عليك جيرني يا ريت عمرك يسلمى

(قال الراوى) فلما فرغ البردويل من هذه الابيات ونيران قلبه تشتعل بالجمرات وهو متأسف على ما فات قال له ابو زيد دع عنك هذا المقال ولا تطلب المحا ثم صرخ فيه صوتا مثل الرعد القاصف وانطبق عليه كالموت الخاطف ثم ضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه وقرب اليه وحاداه وحك الركاب فى الركاب بقلب لا يهاب ثم هز عود الزان حتى التوي الكعب ودق بالسنان وصاح صيحة ارعبتة ورفع يده وقال اللهم استر عن عبدك يا من رفعت السماء وبسطت الارض وطعن البردويل فى صدره خرج الرمح يلمع من ظهره ومن عظم الضربة أصاب الرمح صخرة كانت وراء البردويل فشقها فوقع البردويل على الارض فختبط طوله بالعرض وزالت عنه النعم وحلت به النقم وذهبت روحه إلى جهنم فقالت له عليا لا شلت يمينك يا فارس الزحام وحامي دين الاسلام وحالا نزل ابو زيد عن ظهر الجواد وسحب لسانه وازال اسنانه واخذ طاقية والدرع والسيف والخوذة والرمح ثم تقدم الى تلك الصخرة وكتب عليها خط واضح هذه ضربة ابو زيد الهلالي سلامه وذكر فى آخر كلامه ملعون ابن ملعون كل من يمر من هذا المكان ويقرأ الكتابة ولم يمسح الغبار عنها والصخرة موجودة الآن فى [illegible] مصر ثم التفتت الست عليا وقالت الى الامير ابو زيد خذ [illegible] البردويل فأنت احق بها فأخذها الامير ابو زيد وعلق [illegible] فى [illegible] من [illegible] الى نحو باب مصر وكان ذلك وقت العصر وختمه فى خيمه [illegible] وقال خذ حذرك يا ست عليا يا بنت الاكابر [illegible] واقعة الحال وتتكلمي كما نظرت وخبري كما شئت [illegible]

لأجل اخذ الراحة ثم تناول الطعام ايها البطل الدرغام والليث الهمام لأنه قد طال عليك المطال وتعبت فى كل حال من الحرب والكفاح فى البيض الصفاح فقال ابوزيد انا لا ادخل الدار خوفا عليك من العار لكونك غريبة فيكون كلام الناس امر من ضرب السلاح واما الآن اعطيني المفتاح لكى اقفل عليك القصر حينئذ حققت عليا شهامته وعرفت نخوته واكدت انه من امارة بنى هلال فأعطته المفتاح فأخذه وقفل باب القصر ودار رأس جواده الي ناحية بنى هلال فوصل فى نصف الليل ودخل الى صيوان ام مخيبر فرآها اخذت فى البكاء والعويل والحزن الطويل فقال لها ابو زيد مالك يا ام مخيبر حايرة تذرفين الدموع فلما نظرت الامير أبو زيد شهقت من شدة الفرح وقالت له قد احرمتنى النوم نوم الليل وانا ساهر نجم سهيل وقد طالت غيبتك هذين اليومين وخشيت ان يسألني عنك أحد واحرم من مشاهدتك الى الابد فقال لها لله الحمد على اجتماع الشمل وزوال الكروب قال هذا ووضع ما اتى به من امتعة البرديل فى الصندوق ثم قيد نفسه بالقيد الذهبي حيث وضعه فى رجليه وتظاهر بأن لا له ولا عليه

هذا ما كان من ابو زيد واما ما كان من الامير حسن وهو فى الديوان وحواليه الأمارا والأعيان فقال لهم نهار البارح قد التهينا فى الضيوف وتركنا الامير ابو زيد ولا شفنا كيف حاله والبردويل ما عاد طلبنا للحرب فقوموا واذهبوا لعنده وادعوه يأتي حتي ننظر ما هو رأيه فراح احد الاماره واخذ معه المفتاح غير الذى كان مع ام مخيبر ودخل على أبوزيد وقال له عن أمر الامير حسن رفع القيد من رجلك واذهب ليه فقال له أبو زيد قد صار لى ثلاثة أيام ولا نظرت منكم أحد نسيتم ليوم أبو زيد ولكن لا بأس فالله يجازى كل بأعماله فقال له الامير قايد وسيد أمير أبو زيد ما نسيناك ولا غدرنا بك ولكن كان موجود ضيوف عند الامير حسن وهذا هو المانع من زيارتك وبعد هذا الكلام فك القيد من رجل الامير أبو زيد وقام وركب دون سلاح وما حمل معه سوى عصاه بيده وتوجه نحو الامير حسن حين وصل إلى الخيام قام الجميع له على الاقدام وحيوه أحسن تحية وسلام وقال له الامير حسن لا تؤاخذنى يا ابن عمي فقد غفلنا عنك بمدة الضيوف وضيقة الغربه فقال له الامير أبو شيبان لا بأس ولكن ماذا عملتم من مصالح فى حرب البردويل فقالوا نحن أرسلنا وراك لنأخذ رأيك الخليص فقال له الامير أبو زيد والله يا حسن ان البردويل هو فارس

من الفرسان وليس من يقدر علي حربه من ملوك الانس والجان فما رأى إلا ان ترسل له عشر المال والنوق والجمال والنسا والعيال ونروح جميعنا اليه والمحارم فى رقابنا فقال حسن في هذا الوقت تكلمت الصواب والقول الذى لا يعاب وأشار اليه فى هذا القصيد يقول :

قال الفتي حسن الهلالى ابوعلى	الآن يا ابو زيد قد قلت الحقيق
ابن راشـــد تراه قرم غشمشم	مقاتل بالوغي يوم المديق
من له يوم الطعان يقـاربه	قد دعا دمه على الغبرا دقيق
قومه ســتين الف عدادهم	ستين الفا دمهم راحوا سحيق
لو كنت تبرز ياامير لحربه	قد كنت ذقت الموت ذا أمر حقيق
قال الفتى حسن الهلالى ابوعلى	حدث يا ابو زيد عن صدق الطريق
رد ابو زيد الهـلالى وقال له	انت لى يا على صـدق الصديق
كان قصـدي أن أسير لحربه	وأنا سكران من خمر عتيق
قلت كل الناس في الحرب سوي	ثم غالطت الهواجس و الطريق
ما نزل له فارسا إلا غدا	مائتا أو ممسكا بلا رفيق
فأنا أعطيـــه مالا وافيا	عشر ذى الأموال مع شيء يليق
قال ابو زيد الهلالى ســـلامه	قلبي شعل يا ناس بنار الحريق

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه والامير حسن و بقية الامرا يسمعون نظامه قالوا بارك الله فيك وأعطاك كما يكفيك الآن أرحت أفكارنا واشتريت أعمارنا هذا ما كان من أمر هؤلاء السادات وأما ما جرى من بعد ذلك انه فى صباح اليوم الثاني الذي قتل فيه البردويل خرجت الرعيان فى تسريح المواشى حسب العدة وسار منهم ثلاثة رعيان وسرحوا فى قرب قصر البردويل وكان لهم عادة يضجعوا فى ظل القصر لأن البردويل ما كان يقوم الا الي العصر فقبل أن بلغوا المكان المقصود نظروا شخص البردويل على الثري ممدود وهو مثل البرميل ولم يعلموا انه قتيل ولكن توهموا انه راقد فصاروا يتغامزون بعضهم لبعض هذه النومة ميشومة فتأخروا ولم يتجاسروا على الدنو من ذلك المكان خوفا من أن يسطى عليهم هذا القرنان وكان بينهم عبد [illegible] أنا مرادي اذهب اليه وانظر ما حوليه [illegible] من عند العرب وأريد أن أعيش فى ظلك وأذل للعرب [illegible] رجع

واتركه عنى الفزع فقالوا رأيك مناسب فتوجه مسعود الى أن وصل الى قرب القصر خايف ولهان فرأى البردويل مقتول وعلى الثرى مغلول وعظم جثته كجثة الغول ورأى رأسه بعيد عن جثته ولسانه مأخوذ امنه فأخذ يتفرج على ذلك الرأس وهو قدر رأس الثور الكبير فأخذه الرعب والفزع والقلق والجزع وصار يتلفت يمينا وشمالا وخلفا واماما فلم يجد أحداً فقوى قلبه وسكن روعه وجأشه وعليا تنظر اليه من الشباك فصاح مسعود هيا أصحاب القصر علام سيدكم قتيل وأنتم نيام يا حيف هذ البنا يترك هذا المقدام فأجابته عليا من الشباك وهي تضحك عليه فسأل عن زوجها البردويل فأشارت اليه تقول :

تقول فتاة الحي عليا بما جرى ... والنار فى جوا الحشا زادت ضرام
اسمع كلامى أيا مسعود وافتهم ... ما أتى راعى ولا قد جاء غلام
هــذا بعلى البردويل بلا خفا ... من اين اتاه السهم هل من الغمام
بان لى بأنك انت غريمه ... باين عليك انت من الفوارس العظام
افتخر فى قتله عند الملوك ... يبقى لك هيبة كما سبع الآكام

(قال الراوى) فلما فرغت الست عليا من كلامها ومسعود العبد يسمع نظامها ظن أنه يخدعها وقال لها أنا الذى قتلته وللحياة أعدمته ومرادى آخذ راسه إلى أميرنا حسن الهلالي وافتخر فى قتله على جميع العربان فقالت له افعل ما تريد لأنك تستاهل أن تكون سيدا على العبيد فأخذ مسعود الراس وكان هايل جدا فقدح الدينين وربط الرأس فى مرسة وعلقه فى كتفه وراح يترنم بقوله ما كل العبيد عبيد ولا كل الموالي موالى فلما شاهدوا العبيد قالوا إيش هذا يا ابن الخالة قال لهم استكتوا يا طناجير وأولاد لا رزال أنا قد قتلت البردويل وسأصير سيدكم ومولاكم الجليل وها أنا آخذه لعند الأمير حسن وأنتم اشهدوا لى فى ذلك قالوا له على الرأس ثم العين فساقوا الجميع ومسعود العبد يعدهم بالخير ونوال الآمان حتى وصلوا الى النجع وعند ذلك شاعت الأخبار بأن مسعود العبد قتل البردويل فعندها اجتمعت الناس ولاقوه بالأغانى والأفراح وخلعوا عليه الخلع الحسان وأخذوا يثنون على مسعود ويحمدونه وهو يضحك ضحك الديك على المزابل فقاموا الضجة والصراخ وكان العبيد حول مسعود يغنون الأغانى وينشدون النشائد وكان هو حامل رأس البردويل على كتفه حتى وصل الى صيوان الامير حسن ورمى الراس قدام الصيوان وكان كرسى مردة جن فخرج الامير حسن والامارة يتفرجون

على ذلك الرأس الهائل والشعر فيه كالجدايل وقد تعجب الجميع من مسعود البطل
المعدود فقال الامير حسن والله الذى أتى برأس البردويل هو بطل ماله مثيل وله
مني الانعام الجزيل فوثب مسعود وقال لعينيك يا سيدى عبدك مسعود أتى بالراس
وأخمد من ذاك الشقي الانفاس وأعدمه الاحساس فقال الامير حسن لله العجب
من كان يقول أن منية البردويل على يد عبدنا مسعود وقد كان هذا يخطف
الارواح ويتركها كالاشباح وذقنا من حربه البلاء والكرب وأنواع الذل والعجب
وقد خرب البلاد وهلك العباد ثم التفت إلى العبد وقال يا مسعود كيف عملت فى
قتل البردويل فقام وقبل يد الامير حسن وقال يا طويل العمر وعديم المثال فى
مدى الدهر قد كان عبد دولتكم فى البريه والجمال سارحة فأخذتنا هجمة لنوم
فنمنا قليلا ثم استيقظنا فوجدنا بوشنا غابت عن أعيننا حتي بلغت قصر البردويل
وتلك القفر فتوجهت بنفسي لاردها وعن عنادها أصدها فلاقاني ابن راشد ونهرني
وظن أنه يوهرني ولكن لم أرد عليه وتقدمت اليها لاردها فأتاني وهو مثل لسبع
الكاسر ورفع في يده الدبوس واراد اعدامي الحياة ويذيقنى المات فزحت عن
الضربة فراحت خائبة غير صائبة ثم وضعت حجرا فى مقلاعي وفعلت فعل داود
فى جليات وأذقت البردويل الحسرات لانه بالقضاء والقدر اتت الضربة بين عينيه
فخرج الدم يتدفق من بين شفتيه وحالا تقدمت اليه وعجلت عليه وطرحته على
الارض فانقطع منه النفس وخلص منه البصر وسحبت فى يدي لسكين وقطعت
رأسه واخمدت انفاسه وان هؤلاء العبيد جميعهم يشهدون لى بذلك فقالت العبيد
نعم ثم نعم انه قد قطع راس البردويل امامنا فقال مسعود اريد منك يا سيدى أن تجعلني
سيدا على كافة العبيد وان تزوجنى ابنة بيضاء واربع جوار سود وان تعطيني
جواد من خواص الخيل وعدة حرب كاملة والف دينار ومواشي وعبيد وغلمان
فقال القاضى تستاهل يا مسعود ازود من ذلك فاحتد نهض ابو زيد على اقدامه
وقال كفاك يا عبد السوء هزيان ما تستحي انت تقول قتلت البردويل يا ابها
المهبول قال العبد نعم وحياة راسك وراس الامير حسن فقال له يا عبد انت غرس
منى ومن الامير دياب فقال مسعود ان لكل انسان منية والبردويل منيته على
يدى فقال ابو زيد فى اى شيء قتلته فقال حسن كيف ما كان قتله انا ار حته
منه ربما كان يلعب فى الميدان وقنطرفيه الحصان ومسعود جز راسه فقال ابو زيد
تمهل يا حسن قليلا ثم قام وفتح فم البردويل وقال اظنه كان اخرس لان ليس

له لسان فهاهذا اليك الشأن وقام الجميع ونظر ذلك وتعجبوا فقال حسن يامسعود لما طلع البردويل ما كلمك ابدا فقال نعم وكان صوته مثل الرعد القاصف فبالحال وقف ابو زيد وقال له اين درعه واين طاقيته وابن سيفه ورمحه وجواده وبدلته وحصانه وقد اخذت من ابو زيد الحدة وصار يستهزى على من حضر لتصديقه على كذب العبد وانشد يقول :

يقول أبو زيد الهلالى سلامه   وعزمى أمضي من سيوف ورماح
ياامارا اسمعوا شرح قصتي   واصغوا القولي وقللوا المزاح
وهذا العبد مسعود يضحك عليكم   ايضا حسن يختم له بنجاح
هذا الكلام كلام كذب ماهو صادق   أين عقلك ياحسن والذهن راح
أين لسان البردويل ياذا القروم   طوله شبرين يشبه للوشاح
أين درع البردويل وعدنه   أين سيفه ثم رمحه والسلاح
أين طاقية الاخفا وأين الحصان   دقاته العالي الي خد الصفاح
ابن راشد كان خيالا مليح   ما أحد يلقاه فى وقت الكفاح
تحته أدكم مشمر يا حسن   عند ما يركض يشبه للرياح
كيف عبدك جاب راس البردويل   ما معه ياأمير سيف ولا رماح
سر لنحو القصر واكشف للخبر   زوجته تنبيك في أمر الوضاح
انما سيفى الذى قد قده   اسأل لعليا زوجته ست الملاح
آلة الحرب شهود والجواد   وكذا الطاقية والدرع الصفاح
قال أبو زيد الهلالى سلامه   الحق لايخفي على قوم فصاح

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه والامارة تسمع نظامه وقام وركب جواده الى عند المخير وأتى بعدة البردويل والحصان والطاقية والسيف والرمح وكل ما عنده من أمتعة البردويل واتي بهم الى صيوان الامير حسن ووضع الجميع قدام الامارة ثم رمى بلسان البردويل أمام الامير دياب وقال له تفرج على هذا يا مسعود فبهتت الامارة وتعجبوا من هذا الامر واما مسعود العبد فحين نظر ما جرى صار يسحب حروفه الى ان هرب من الصيوان لعند الرعيان اما الامارة فقاموا من ساعتهم وركبوا خيولهم وكانوا خمسين أمير من الفرسان المعدودة والرجال المشهورة وقالوا الى الامير ابو زيد اركب معنا فقال انا ما اروح حتى ينكشف لكم حقيقة الخبر فركبوا وفى اوائلهم الامير حسن

وساروا الجميع نحو قصر البردويل وعند وصولهم اليه وجدوه قصر عالى البنيان مشيد الاركان فداروا حواليه فوجدوا قبة الباب كأنه طود من الاطواد فقالوا والله ان البردويل كان فارس عظيم فتقدم حسن نحو باب القصر فوجده مختوماً بختم ابو زيد فقال حسن ياهل ترى هل يوجد احد فى هذا القصر فما أتم كلامه الا وعليه اشرفت من الشباك فشاهدت الامير حسن وامارة بني هلال قال الناقل وكان للقصر باب صغير غير الذى قفله ابو زيد وختمه بختمه فنزلت عليا منه واقبلت امام الامير حسن وقبلت يديه وتمثلت بخدمته وحينئذ سألها عن قتل البردويل فحكت له كل ماجرى لابوزيد معه ومافعل العبد مسعود بعد ذلك وماذا جاوبته عند ما سألها عن قتل زوجها

فلما فرغت الست عليا من كلامها والامير حسن وبقية الامارة يسمعون قولها قال الامير حسن والله ما هذه الا افعال الامير أبو زيد ثم قال الى عليا واين المفتاح

فقالت له مع الامير أبو زيد وبينما هم فى الحديث الا واقبل الامير أبو زيد راكب على بن الحيصا فعند مااقبل قاموا له على الأقدام ولاقوه وحيوه فى الاكرام وثنوا عليه وقالوا له لله درك من بطل مقدام لاتخشي نوائب الايام وحينئذ قام أبو زيد واخذ مفتاح الباب المصفح بالحديد والزرد النضيد وفتحه وادخلهم الى القصر ليتفرجوا على حسن فرشه وما فيه من أنواع التحف والموارد التى تحير العقول وتدهش الفكر هذا ماكان من هولاء الكرام واما ماكان من قوم البردويل عند ما علموا بموت ملكهم ساروا لعند ابن اخته مسعود وكان عدو لخاله البردويل وكان نازل فى اطراف العريش فاخبروه بقتل خاله البردويل ثم قال لهم سعيد ما الرأى عندكم فى بنو هلال فلو تجمع عرب وديلسان زنبنو هلال نجم سعدهم عالي واميرهم حسن الهلالي وهذا قد ارتقى ما لا يرتقى غيره من درج المعالى فاننا نشير عليك أن نركب جميعنا ونسير اليه ونوقع بين يديه وتطلب منه أن يجلسك مكان خالك فاستصوب سعيد كلامهم وسار معهم لعند الامير حسن

فلما وصلوا الى دار بنى هلال طلبوا أن يؤذن لهم بالدخول على الامير حسن فدخلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه وخبروه عن حالهم فترحب بهم حسن غاية الترحيب ولبس الامير سعيد خلعة سنية وحلة موكية واجلسه مكان خاله

البردويل وبعد ذلك أمر الأمير سعيد على الست عليا امرأة خاله للبردويل وبعد ذلك أمر الأمير حسن بدق الطبول وأن يرحلوا من تلك التلول فنشرت الرايات وركبت العماريات على الهوادج واعتلوا الفرسان ظهور الخيول واخذو يجدون السير حتى وصلوا الى مصر القاهرة

﴿ انتهى الجزء الثالث عشر ويليه الجزء الرابع عشر ﴾

الجزء الرابع عشر من

تغريبة بني هلال الكبرى

الشامية الأصلية

ديوان الملك الفرمند

حاكم مصر القاهرة ونزول بنى هلال عليه وتبليج الملك فرمند ومحاربة بنى هلال مع اهالى مصر

(قال الراوى) انه كان فى بلاد مصر ملك يقال له الملك فرمند ابن متوج وكان ملك عظيما الشأن يحكم على أبطال وفرسان يكل عن وصفها اللسان واما بني هلال قتلوا البردويل وولوا مكانه ابن أخته سعيد قاموا ونهوا على الرحيل وساروا يقطعوا كل سهل وبر حتى وصلوا الى مصر ونزلوا فى تلك النواحي والاطراف ورعوا الزرع حتي حصدوه حصيدهذا ما كان من بنى هلال وأما ما كان من فرمند ملك مصر فانه فى تلك الليلة حلم مناما هائل المنظر فقام مرعوبا فأحضر الرمال وأشار يخبره عن ذلك المنام ويقول :

يقول الملك الفرمند بن متوج	بدمع جري فوق الخدود سجام
أيا نار قلبي زايدات فى لهيبها	يهب لها ريح تزيد ضرام
رأيت مناما آخر الليل راعنى	وأقلقني والعالمين نيام
رأيت ناراً أضرمت فى بلادنا	وقد أحرقت أشجارها واكرام
وأضرمت على الماء والتراب وغيره	والشجر الاخضر عاد حطام
ورأيت سباع ماليا السهل والفضا	ومعهم لبوات بحس قوام
يهيوا لى بالعين قدام ناظرى	كغزلان زنجى فى مراح خزام
فهميت إلي اللبوات الى أصيدها	الا وسبع أسمر على حام
ورفع إلي عنقه وهم وناشي	ووليت منه هاربا وهرام
فوليت نحو القصر هارب ومرتعب	الا وطير أبيض على حام
ضربنى بمنقاره وحط مخالبه	فى وسط قلبي والاله قدام
ففزيت من هذا المنام خايف	تحيرت يا ناس فى هذه الاحلام

ونستغفر الله العظيم من الخطا   الله تعالي واحد علام

(قال الراوى) فلما فرغ القرمند من كلامه والرمال يسمع منه نظامه فأشار الرمال يفسر له منامه :

يقول ابن بدران الفهيم الى شكى   فسبحان ربي واحد علام
فسبحان رحمن جل جلاله   يعلم دبيب النمل جنح ظلام
خلقنا وأنشانا ويعلم عدادنا   ومنه العطا والخير والانعام
عرفت منامك يا مليك وبان لى   وقد راعني من دون كل منام
فالنار هذه حرب بصير وضجة   وتعلا عجاجته وضرب حسام
هذه عرب نسموا هلال بن عامر   عربان على عدا الحصا وردام
وخربوا بلاد الاعجام قبل ما أتوا   ومن بعدها خربوا بلاد الشام
وأما السباع الذى تقول رأيتهم   وهم يتزاحمون فى البلاد زحام
والسبع الاسمر هذا الهلالى سلامه   أمير الملا سائر بهم قدام
والطير الذى جاء من البر لا شك   وخلا دماك على الثرى سجام
فهذا أبو موسي دياب ابن غانم   وتحته شهبا مثل طير وحام
عمرك بيده يا ملك في بلادنا   وتنعى عليك الاهل والالزام
فان طعتنى يا أمير لا تعرض لهم   هما بوادى خيرين كرام
فما ينزلوا أرضك وما يقربونها   ولا ينصبوا فى ذى البلاد خيام
محابيسهم عند الزناتى خليفة   لهم عنده مدة سبع أعوام
وانا بنصحتك يا أمير لا تعرض لهم   وأنا ناصحك والنصح خير كلام
وهذا كلامي يا ملك مصر افهمه   ولله كل الامر والاحكام
ونستغفر الله العظيم من الخطا   الله تعالي واحد علام

(قال الراوى) فلما فرغ الرمال من كلامه اضطرب الملك اضطراب عظيم وصار فى حساب وأمور صعب وهو فى هذا الحال واذ دخل عليه المهلهل حاكم الصالحية وسلم عليه وبكي بين يديه وأشار يعلمه بواقعة الحال ويذكر قدوم بنى هلال الى تلك الاطلال بهذا الشعر والمقال :

يقول الفتي المسمي لامير مهلهل   أيا ملك اصغى وافهم لقول
بنو هلال قد أتوا لبلادنا   كل النواحي عرضها والطول
رعيوا مراعينا وكل زرعنا   والارض قفرا عشبها مأكول

مثل الجراد فروعهم وجموعهم والبوش والله يذهل للعقول

يا أمير ماجوا أرض إلا وغدت قفراً وحكم سحابها معزول

قتلوا لسادات العجم وملوكها وتغنموا بمالهم وخيول

كذا الخزاعى مثل بدريس الملك قتلوه في حلب بحد نصول

أما قبرس كان فيها حاكم يسمى الملك هراس قرم مهول

قد أسر أميرهم دياب بحيلة نخلصه ابو زيد من كل شدة وهول

كذا شبيب التبعي بالزرقا قتلوه وصار حكمه معزول

والسركسى قد راح داخل غزة مأسور من فرسانهم مخزول

والبردويل أسقاه أبو زيد العنا وكانت يده على انام بطول

أيضا بالاسكندريه راح ابن عجاجة ذاقه الفتى الزغبي دياب الهول

واليوم قد صار الجميع بمصرنا والناس منهم قد غدوا جفول

ان لم تبادرهم بجمع العسكر ملكوا الأرض عرضها والطول

قوموا بنا ندهم هلال وعامر نهجم عليهم والانام غفول

قول الفتى المسمى الأمير مهلهل من كان عارف يفهم المعقول

(قال الراوي) فلما فرغ المهلهل من شعره ونظامه وفهم الفرمند فحوي كلامه اشتدت عليه المصائب وخاف من العواقب فأحضروا الوزراء والأعيان وعقد مجلساً بهذا الشان . وبعد جلسة طويلة ومفاوضة مستطيلة استقر الرأى بوجه الاجمال . فى أن يرسل يطالبهم بعشر المال والنوق والجمال . فان اجابوه إلى هذا السؤال كان جل القصد والمراد وإلا يبادئهم بالحرب والجلاد فاستصوب هذا الرأى وكتب اليهم يقول وعمر لسمعين يقول

يقول الفتى الفرمند بن مفوح ملك مصر من نظمه قال

يا غاديا [illegible] من ضامر [illegible] قد [illegible] في سيله وجبال

اذا جئت في حية هلال وعامر [illegible] حسن [illegible]

وقول له من اين اتيتم لأرضنا [illegible] كثير وحيلة [illegible]

دخلتم بلادي [illegible] حسن شعركم [illegible]

سمعنا بكم من قبل أن تسحوا بلادنا أخذتم [illegible]

هذه مصر ليس غزه وغيرها وحاكم الفرمند [illegible]

وعندي من الأبطال كرات تنسحب مصرية [illegible]

ثلاثمية [illegible] قروم [illegible]

واحكم على مصر ابن يعقوب يوسف ... وطاعت لحكمي سهلها وجبال
ألا يا هلالي يا حسن رد وارتجع ... وأبو زيد لا يعمل هنا محتال
ان كان قصدك تدخلوا بلادنا ... للغرب تبغوا فى هنا واقبال
فهاتوا لنا عشر المال مع الخدم ... والبوش مع خيل لكم وجمال
وهاتوا لنا ألفين سيف مسقط ... وألفين رمح عاليات طوال
وهاتوا لنا ألفين درع وخودة ... وألفين دبوس ملاح ثقال
وهاتوا بنات من الملاح كواعب ... صبايا تحاكى الغصن وهو ميال
سمعت أنا بالجازية فارسلوها ... وحسن وحسنا والبها وجمال
ووطفه وفتنه حالا لى ارسلوهم ... وهاتوا الى ريا بغير امهال
فان جبتم كل الذي قد ذكرته ... تبقون فى أمن وحسن الحال
وارعوا المراعى باكرام واوردوا ... وتأتوا الي عندي أيا أبطال
وان كان ما تأتوا بما قد طلبته ... والا فردوا يا هلال شمال
من قبل ما ندهمكم بجيش عرمرم ... أقيم عليكم ضجة وأهوال
قول الفتى الفرمند ابن متوج ... ولا خير فى قول بغير فعال

(قال الراوي) فلما فرغ من الشعر والخطاب طوى الكتاب. وأعطاه الى الحاجب ليأخذه الى الامير حسن ويأتيه بالجواب فأخذه وسار وجد فى قطع القفار حتي وصل الى القوم فى ذلك اليوم فدخل علي الامير حسن وهو فى الصيوان وكان عنده جماعة من الامراء والاعيان فتقدم وسلم وبأفصح لسان تكلم وناوله الكتاب ووقف من جهة الحجاب انتظار الجواب فلما فتحه وقراه وفهم رموزه ومعناه اغتاظ الغيظ الشديد على ما عليه من مزيد وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فان كل من وصل الى اقليمنا يبادرنا أميره بالتهديد والتوهيم ويطلب منا عشر المال او الحرب والقتال. ثم أمر الخدام أن تأخذ الرسول الى دار الضيافة فأخذوه وأكرموه غاية الاكرام وبعد ذلك قرأ الكتاب على أرباب الديوان واستشارهم فى هذا الشأن فقال أبو زيد أرى من الصواب أيها الامير المهاب أن ترسل له الجواب وتوعده بالحرب والكفاح وتطلب منه مهلة عشرة أيام فيما نكون قد أخذنا الاستعداد للحرب والصدام فاستصوب الحاضرين فى الحال ارسال هذا الجواب

يقول الفتى حسن الامير أبو على ... فانى من كثر الهموم عليل
ونيران قلبي كلما أقول تنطفي ... يهب لها طى الفؤاد شعيل
يا غاديا مني على متن ضامر ... يسبق هبوب الريح لما يشيل
إذا جيت للفرمند بن متوج ... سلطان مصر فى الملوك جليل
وقل له قال الامير أبو على ... أصبحت فى فومى عليك نزيل
ونحن ضيوفك يا أمير جميعنا ... يا برمكى يا فخر كل أصيل
ترى لضيف له يومين مع يوم ثالث ... وفى يوم رابع نرتحل ونشيل
نحن لنا يومين عدنا بأرضك ... وبعد هذا عنكم نجد رحيل
لنا بالمغارب يا أمير ثلاثة ... عند الزناتى وسط قصر جميل
ونحن ترانا سالكين بدربنا ... عليكم ومانى رايد نتطويل
فأمهلنا يا أمير عشرة أيام بلا اخفا ... ومن بعدها نرسل جميع ما قيل
لنجمع من العربان عشر أموالهم ... وعشر النسا والخيل بالتعديل
وهذه مقالات الامير أبو على ... وعار على مثلى أن يكون بخيل

(قال الراوى) فلما فرغ الامير حسن من شعره ونظمه طوى الكتاب وختمه بخاتمه وأعطاه إلى الرسول فسار وجد حتى وصل إلى عند الفرمند سلمه اياه ففتحه وقراه وعرف رموزه ومعناه ففرح واستبشر وراح عنه الغم والكدر وأيقن ببلوغ الوطر وظن انه سينال ما طلب من المواشى والفضة والذهب ولم يعلم ان دون هذا الطلب الهلاك والعطب ولما مضى الوقت المعين ولم يقف على مودة من الامير حسن نما غيظه وقد زاد عليه الحال وكتب إلى الامير حسن يطلب منه عشر المال بهذا الشعر والمقال :

يقول الفتى الفرمند ابن متوج ... ولى قلب أقوى من صفا الجلمود
ولى همة تعلوا على كل ماجد ... وملك مصر من ابى وجدود
يا غاديا منى على متن ضامر ... [illegible] سار فى البيد وجد حدود
إذا جئت لى حسن الهلالى ابو على ... [illegible] مكتوبى على المقصود
كم جهد توعدنى وغمك حسن ... كأنك حاسى حديث وكبير
ألا يا حسن [illegible] ... [illegible] وعيد غيبة [illegible]
وهاتوا [illegible] وغيرها ... وهاتوا [illegible] حتى [illegible]
إذا لم تطيعوا الكلام وتسمعوا ... وإلا [illegible]

(قال الراوى فلما فرغ الفرمند من هذا الخطاب طوى الكتاب وسلمه الى نجاب وأمره أن يسير به الى الامير حسن ويأتيه بسرعة الجواب فأخذه وسار وجد فى قطع القفار حتى وصل الي بني هلال قبل الزوال فدخل على الامير حسن وسلم وبأفصح لسان تكلم ثم أعطاه الكتاب وطلب منه الجواب فلما قراه وعرف فحواه التفت الى من حوله من الامراء والاعيان وأعلمهم بما كتب لهم الفرمند وقال ما رأيكم فى هذا الشان فقال أبو زيد للنجاب سر بامان وقل لمولاك الملك بانه فى هذا النهار ينال المطلوب ويحصل على تمام المرغوب ففرح النجاب بهذا الخبر ورجع على الأثر وأخبر مولاه بما سمع وأبصر ففرح واستبشر وزال عنه القلق والضجر وبعد ذهاب النجاب التفت الامير حسن على أبى زيد ليث الغاب وقال له ماذا عولت أن تفعل يا أبا الحيل قال مرادى أن أحتال على الفرمند بحيلة يكون ما سبقني عليها أحد وهو أن أختار أربعين بنت من بنات العمد من جملتهم الجازية أم محمد وأحضر أربعين صندوق يكون كل صندوق بطبقتين واجعل فى الطبقة الاولى القماش والحرير وفى الطبقة الثانية الفرسان المغاوير ونجعلهم على ظهور الجمال واركب أنا مع البنات والاحمال ونسير الى عند الفرمند على سبيل تقديم المال وندخل السراية وهو لا يعلم بهذا الحال حتى إذا وصلنا الى هناك احتلنا عليه وذبحناه ونلغ منه ما تمناه ونهبنا ما فى قصره من الأموال ثم ارتحلنا لمخيمنا واعيننا من هذه الاطلال وليس لنا غير هذا التدبير أيها الامير فلما انتهى أبو زيد من هذا الخطاب التفت اليه الامير دياب وقال ليس هذا الرأى بصواب لأنه خوفاً أن ينكشف الخبر ويعود الى الأمر وبال وتقع البنات الابكار أسرى فى أيدى الاعداء والرأي عندى أن نبادرهم بالقتال ونشغل فيهم ضرب السيوف وطعن النصال فتعجب أبو زيد أمام السادات فى المساء والمنات وانه يرجعهن سالمات فقال له الامير حسن افعل ما تريد أيها الفارس الصنديد وعند ذلك تجهزت البنات فى الحال وفعل أبو زيد كما أشار وقال وكانت هذه البنات من المحسنات وكان من جملتهن وضحة بنت الامير دياب ليث الغاب وجمال نعمى بنت ابو زيد وبنت القاضي بدير وأخت زيد وبدر النعام وجوهرة العقول وسعد الرجا ولبس أبو زيد ثوباً من جلد الماعز وتقلد بالسيف من تحت الثياب وأرخى له شعراً طويلاً من أذناب الكدش ولما رجع يقود برسم ناقة الجازية أم محمد وقد تعجبت من فعله السادات العمد وقال له الامير حسن تبارك على هذه الحيلة فلم يسبقك عليها أحد ثم جعل يوصيه بالبنات بهذه الأبيات :

قال الفتي حسن الهلالي ابو علي ولقد وقعت وقعت اليوم في وسواس
أوصيك يا ابو زيد باخي الجازية يا فارس الفرسان يا دعاس
أوصيك في كل البنات مع النسا من سطوة الفرمند والجلاس
احرص عليهم عند ليل طائل لما يدور الكاس ثم الطاس
ارقص والعب لا تكون مسربلا واطرب وغنى ثم دير الكاس
واحفظ وصياتي يا أمير سلامه اياك تغفل يا شديد الباس
أودعتكم الله ربي وخالقي فيجيركم من كل شر واسي
ان كنت تأتي بالبنات مهانة يبقى انا معيار عند الناس
مقال الفتى حسن الامير ابو علي يا طال ما في كل يوم اقاسي

(قال الراوي) فلما فرغ الامير حسن من شعره ونظامه أجابه أبو زيد على كلامه يقول وعمر السامعين يطول :

قال ابو زيد الامير سلامه يا ابو علي لا تخشوا هم البنات
سيدخلوا لمصر لعند الملك ويرجعوا الي عندك سالمات
أنا امامه يا ملك مثل الاسد ارعى بعيني للعيون الذابلات
يخشي الملك فرمند يقرب منهم اسقيه مني يا ملك كاس الممات
يا ابو علي سيروا اوهدوا وارحلوا في ليلكم و[illegible] نحو الفلات
في يوم ثالث اجتمعوا يا رجال [illegible] كاملات
اكون طالعت البنات جميعهم والملك من قصره [illegible]
وان اتبعنا يا ملك وسنقتله ونصير في حرب [illegible]
يقول ابو زيد الهلالي سلامه لا [illegible] القوم [illegible] تغدي شتات

(قال الراوي) فلما فرغ ابو زيد من كلامه شكره حسن على حسن اهتمامه ثم [illegible] وسار بمن معه من البنات الابكار و [illegible] ومن [illegible] الاقمشة [illegible] و [illegible] حتى دخل [illegible] وصح [illegible] الفرمند فوجده [illegible] حسن [illegible] مفروشات ثمينه وكان [illegible] من الخدم واستقبلهم بالترحاب والاكرام [illegible] فقابل اهلا [illegible] الاكرام و [illegible] ولاجل [illegible] امام الجميع وهو يرقص ويلعب ويضحك ويطرب وكان [illegible] الشاب التي ذكرناها وهو على تلك الصفة [illegible] الفرمند [illegible]

والنسوان من يكون هـذا الانسان . فقلن هذا مهرج يزيل الغموم بحركاته ويفرج ، فانسر غاية السرور ، وسأله عن اسمه قال اسمي قشمر بن منصور قال مثلك من يصلح لمسامرة الملوك لمافيك من الحركات وحسن السلوك فاملي لي هـذا الكاس حتي أشربه أمام الجلاس ويزول عني الباس فأملاه وناوله إياه فاخذه الملك وهو مسرور الفؤاد وقد ظن أنه بلغ المراد وحصل علي ما أراد ولم يعلم أن دون ذلك خرط القتاد فعند ذلك غنت البنات ودقت على الآلات حتي كاد يرقص القصر ويطير من شدة الطرب والفرح الكثير وكان الملك قد وقعت عينيه على الجازية فهويها وتعلقت نفسه فيها لانها كما تقدم الخبر جميلة المنظر ولطيفة المحضر فاجلسها على جانبه الايسر والتفت الى أبي زيد وقال من تكون هذه يا قشمر قال هذه الجازية ذات الوجه الحسن وأخت الامير حسن فالتفت اليها وقال غني لي على هـذا الكاس يا صاحبة الجمال فان قلبي اليك قد مال وما زال يشدد عليها ويتذلل اليها حتي أجابته إلى مقاله وأخذت تغنيـه بهذه الأبيات حسب طلبه وسؤاله .

تقول الجازيه من قلب محرق	فنحن اليوم قد جئنا هـديه
هدية من أبي مرعى الهلالى	أمير البوادى والرعيه
أخى ابن سرحان المسمى	أمير ابن أمير برمكيه
أيا حيف الغلا يأتى بلادى	ونجد يا ملك أرض عديه
نشف ماءها وقل الخير منها	وصارت مقفرة أرضا رزيه
رحلنا نبتغى أرض المغارب	أنا فى هودجى وسط الخبيه
وجئنا لمصر عدنا لك حلائل	ولا عاد في رواح ولا مجيه
تقول الجازية من قلب محرق	أياحيف الزمان أجنف عليا

(قال الراوي) ولما فرغت الجازية من كلامها طرب الفرمند من نظامها وأشار اليها يقول :

ألا يا جازية حني على	وعقلى راح كله بالسوية
ألا يا مرحب فيكم جميعا	وراح الشر عنكم والرزيه
الا يا جازية حسنك سباني	ومثلك ما رأينا في البرية
فعيناك كما عين الغزالة	وحواجبك كقوس منحنيه
جزاة هلال عند كل حي	لان حسن ارسل لنا هدية

مقالات الفتي الفرمند صادق ونيران بقلبي مصطلية

(قال الراوى) فلما فرغ الفرمند من كلامه شرب الكاس علي اسمها وهو يتأمل فى محاسنها وبياض جسمها ثم امر قشمر ان يملى له كاسا آخر فاملاه وناوله إياه فأخذه وتقدم إلى وطفا بنت الامير دياب وقال لها غنى على هذا الكاس يا بنت الاماجد فجعلت تغني وتقول :

تقول وطفا من فؤاد اكتوي بدمع جرى فوق الخدود غزار
ونيران قلبي كما تقول تنطفي يهب لها فى وسط قلبي شرار
الا ياملك سعدك على الناس داير وطاعت لامرك سائر الاقطار
يا مير حبك سكن فى ضامرى وألهب حشاى يا ملك بالنار
يا مير مصر اشرب واسكر بالهنا وانظر بنات تشبه الاقمار
منهم جمال الظعن بنت سلامه وريا وعيا من فروع كبار
ومنهم فتنة افتتنت كل عاشق ونجلا نراها نزهة لنظار
ومنا الجازية ام محمد ما مثلها فى سائر الاقطار
وانظر جمالي واعتدالى وبهجتي وحسني فاق علي الاقمار
وعنقى كعنق الريم او كعنق شارد وانظر وشامى يحير الافكار
نحن الهلاليات ما فى مثلنا نشبه لتفاح على الاشجار

(قال الراوي) فلما فرغت من كلامها انشرح لفرمند من نظامها وشرب الكاس علي اسمها وأعطاه اقشمر فملاه وقد زاد عشقه وهواه ثم تقدم وجلس أمام جمال الظعن وقال من تكونين ياربة الحسن قالت أنا بنت أبو زيد قال انت بنت بغية المراد ومسرة الفؤاد وأنا أسأل الله رب العباد أن يرزقني منك بولد يكون مثل جده كالاسد كل هذا وأبو زيد يسمع الكلام ويلتفت لى وراه ويبدي لا يتسم ثم قال لها وحياة رأسي أن تغنى على كاسي فشرت تقول :

قالت جمال الظعن بنت سلامه ابيات شعر لائقات غرايب
ملك مصر لك البشارة فانشرح وانظر بنات فاقت كواعب
انظر بنات هلال يا امير نضرة بيض ونحن كالاسود نحارب
مسكين فرمند سكرت لاجمه والعقل كأنه من دماغه سايب

فلما فرغت من كلامها وتمع فرمند رونق نظامها طرب من كثرة شرب المدام ولا عاد يميز بين النور والظلام ثم صرف الاعوام والخدم حتى لا يكون احد

حاضر فى ذلك المقام وبعدذلك شرب الكاس على اسمها وشكرها على نظمها وأعطاه القشمر ليملاه فاملاه وأعطاه اياه وجلس أمام نجلا وكذلك جلس جميع البنات الابكار وهن ينشدونه الاشعار وهو يشرب العقار حتى فقد الوجود وصار بصفة مفقود فعند ذلك بنجه أبو زيد حتي غاب ونهض مثل الاسد الوثاب ونزع ما كان عليه من الثياب حتي عراه وجعله عبرة لمن يراه ولفه بحرام عتيق ثم فتح الصناديق فخرجت الابطال مثل الاسود الدحاب فنهبوا ما فى القصر من الاموال والتحف الغوال ولم يتركوا قيمة عقال فعند ذلك أنشد أبو زيد وقال :

يقول ابو زيد الهلالى سلامه	ومثلي من يدخل عميق المطارح
تعالوا انظروا فرمند فتروه	بالقصر مبنج سقيته كاس طافح
قوموا واملوا ماله فى عدولكم	سيوف مسقطه واملوا الصفائح
ولا تبقوا فى القصر شيئا ولملموا	غير الملك خلوه بالزلط شالح
وسيروا بجنح الليل الى عنداهلنا	علي كل شاهين من الابل جارح
قول ابو زيد الهلالى سلامه	انا صاحب الهات اذا صاح صايح

(قال الراوى) فلما فرغ ابو زيد من كلامه وفهمت الابطال فحوي قصده ومرامه شكروه علي حسن تدبيره واهتمامه وكانوا كما تقدم الكلام نهبوا ما في القصر بالكمال والتمام وكانت وطفا قد أخذت خاتم الفرمند على تلك الحالة التي تقشعر منه الابدان ولو أرادوا قتله لقتلوه واسقوه كاس الهوان حتي وصلوا وساروا إلى باب البلد فاعترضهم الحارس فأرته وطفا خاتم الفرمند وقالوا نحن من حملة الخدم وقاصدين لان هلنا لأجل المهام فعند ذلك فتح لهم الباب ولم يعرف حقيقة الاسباب فساروا فى سرور وأفراح وقد استبشروا الفوز والنجاح الى أن وصلوا إلي بنى هلال ففرحت بقدومهم جميع الرجال ودخل أبو زيد على الامير حسن بن سرحان وأعلمه بما جرى وكان فالتقاه بالترحاب والاكرام وشكره على ذلك الاهتمام ثم سأله عن واقعة الحال وما فعله من الفعال فاجابه وقال :

يقول أبو زيد الهلالى سلامه	ابو علي جبت البنات وجيت
وجبت لك مال كثير عدده	تحف وجواهر يا ملك عيت
وجبت دروع ثم طوس مذهبه	ملابس مع أطمار لك لميت
وجبت معادن مع سيوف مسقطه	وديباج مع كتان لك شديت

دخلت الى قصر الملك يا بو علي   وأركانه يا أمير لك هديت
رقصت للملك وطيبت خاطره   ومن بعد ذلك كله اسقيت
انقلب مردون على الارض واقع   فقمت أنا من ساعتي فزيت
جئنا بعون الله يا امير كلنا   فلا تحسبوني نمت واتسريت
وضمنت أنا للبيض من كل ريبة   وقمت بقولي يا حسن ووفيت
وجبت لبنات مع الموال جميعها   وهذه فعالي والذي سويت
قول ابو زيد الهلالي سلامه   وقط يوم الروع ما زليت

فلما فرغ ابو زيد من شعره ونظامه شكره الامير حسن على مساعيه واهتمامه وأشار بشكره على ما فعل بهذه الابيات أمام الأمارا والسادات :

يقول الفتى حسن الامير ابو علي   لمثل هذا اليوم انت خبيت
ولولاك ماسرنا الي الغرب خطوة   ولا كنت من نجد أتيت
ياليت عمرك الفعام على المدى   أما عدوك من حسامك ميت
حميت البنات بمصر بل انت عزهم   وقد جئتهم يا نعم ما سويت
فانت امير هلال يا ابو مخير   ومثلك انا والله قد حبيت

(قال الراوى) فلما انتهى الامير حسن من كلامه وتممت الامراء وتحوى مرامه قالوا عن فرد لسان ان الاوفق لنا ان نرحل من هذا المكان قبل ان تدهمنا الابطال والفرسان واستحسن الامير حسن هذه الخطة ورآها عين الصواب وفي عاجل الحال أمر بدق الطبول للمسير والارتحال فدقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول وارتحلوا من تلك الاطلال بحريم وأعيال حتى تبعدوا مسافة يومين عن البلد خوفا من أمر يتجدد وكان الامير دياب والزناتي في قرب الفرسان هذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الاحوال واما ما كان من وزراء العرمند وأكابر الأعيان فانهم كانوا قد استطولوا حضور ملكهم الى الديوان فلما فات الوقت ولم يحضر اخذهم القلق والضجر وقلوا لا بد لهذه العادة من سبب وكان له ابن اخت اسمه محمود الغضنفر وكان وزيره الأكبر وقائد العسكر فصعد الى القصر في جماعة من الحجاب وقرع الباب فلم يجبه احد فخلع الباب ودخل الى القاعة فرآها خالية ووجد خاله مقتولا ملقى على الارض منطرحا في الزاوية فغاب عن الصواب واستعظم هذا المصاب فارسل واحضر ارباب الديوان فلما دخلوا الايوان نظروا ملكهم على تلك الحال اعترتهم الدهشة ثم قالوا لابن اخته

أعطاه ضد البنج فعطس وخرج مثل فلق العدس ففاق وهو على آخر نفس فوجد ذاته ملفوفا فى ذلك الحرام وهو فى حالة الذل والهوان ولم يجد أحد من البنات والنسوان فزاد مصابه وعظم اكتئابه فبادر ابن اخته فى العجل وأتى بحلة من افخر الحلل فلبسها وقد اعتراه الخجل لا سيما لما رأي حاله على تلك الحال وهو بين الوزراء وسادات الرجال ولكنه تصبر والتفت الى من حوله من الوزراء وقواد العسكر، وقال لهم أتعلموا من فعل معى هذه الفعال واحتال على بهذا الاحتيال حتى بلغ القصد والآمال قالوا ومن يكون يا ملك الزمان فأنت أخبر بهذا الشان فعند ذلك أخبرهم بواقعة الحال وطلب منهم أن يكونوا مستعدين للحرب والقتال وختم الكلام بهذا الشعر والنظام :

يقول الفتى الفرمند ابن متوج ... أنا لم يلمني بالهوى قط لائم
وعقلي شرد من دماغي بسرعة ... وقد جرت لي مجارى عظائم
هنيئا لمن شاف إلى بنت قائد ... وشاهد إلى الزينات نسل الاكارم
ونظر إلى وطفا وغيا ونجلا ... والجازية من نسل قوم أكارم
لهم أوجه كالبدر عند اكتماله ... والشعر على الاكتاف كريش النعائم
أبو زيد أحرمنى منهم نظرة ... أبو زيد أخذ عقلي وهد القوائم
أبو زيد أتانى فى اسم قشمر ... ولابس له قبع وشال العمائم
أبو زيد شاكك لادناب الثعالب ... وأجراس مع حس رأيتهم ملائم
فلو انى أدري لكنت قتلته ... ولكن فات الوقت وأضحيت نائم
ولكن أقسم يا ابن أختى بهمتي ... أذيقه طعام الموت ثم السمائم
واقتل حسن ودياب ثم القاضي ... واجعل عجاج القوم للجو قائم
وافني قبائلهم واشتت جموعهم ... واكسب بنات البدر ثم الغنائم
يا ابن أختى اجمع [illegible] واركب ... نلحق هلال قبل ان يغدوا هزائم
ونبه على كل [illegible] يركبوا ... نجيب غنائمهم بحد الصوارم
وأشفي غليلي من بني زيد بينهم ... وافعل به قصدي وذا الأمر لازم
وأشويه فوق [illegible] وادرى رمده ... قد عذب عنى وقد صرت ولهان هائم
مقال الفتي الفرمند عما جرى به ... فلا بد أبقيهم جميعا هزائم

(قال الراوي) فلما انتهى الفرمند من شعره ونظامه وفهم ابن أخته وباقى الأمراء فحوى كلامه استعظموا القضية واستغربوا تلك العملية وكيف أن أبا زيد

جاءه بتلك الوسيلة وانطلقت عليهم الحيلة فقالوا الامر اليك وهانحن طوع بين يديك فأمر بدق طبول الحرب والاستعداد للطعن والضرب فدقت في الحال واجتمعت الفرسان والأبطال . وكانت نحو مائتي الف مقاتل بين فارس وراجل فركبوا فى الحال واستعدوا للقتال وركب محمود في مقدمة الجنود وخفقت على رأسه الرايات والبنود وأشار إلي خاله يقول وعمر السامعين يطول :

قال محمود ابن أختك يا ملك ... انا مربع الخيل يوم الغارا
انا وزيرك صاحب الرأي الرشيد ... نركب عليهم قوم جد الغارا
نهجم عليهم ثم نقطع اثرهم ... نفني اكابرهم وكل صغارا
انا مربع الخيل فى سوق الوغى ... ادعى الروس من السيوف نثارا
واقتل اكابرهم وافني جمعهم ... بالأسمر البولاد والخطارا
انى شبيه الزير حين احارب ... فى صولتي ومعاركي وشرارا
واشبه لعنتر عبس يا امير الملا ... وادعى الفوارس ميمنة ويسارا

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره ونظامه شكره خاله الفرمند على حسن اهتمامه وقال له سر بمائة الف من الأبطال واتبع بنى هلال الانذال وامنعهم عن المسير والارتحال واقيم فيهم ضرب السيف افصال من اليمين والشمال وانا اتبعك بباقى العساكر والرجال فى عاجل الحال ثم سار الوزير بالفرسان والابطال وجد فى قطع الروابى والتلال حتي ادرك بنى هلال فلما رات بنو هلال العساكر المنصرية قد اقبلت من تلك البرية استعدوا للحرب والقتال . وركبت الفرسان والأبطال والتقت بعضها البعض فى تلك الأرض ، وخرج الوزير محمود من بين الأبطال فصال وجال فى ساحة المجال وطلب براز الفرسان والابطال وقال لهم هل من مبارز هل من مناجز فلا يبرز لي لا كسلان ولا عاجز اليوم يوم الهز ثم انشد يقول :

يقول الفتى محمود عما جرى له ... [illegible]
فمن اين تيتم الهلال بجمعكم ... رعيتم مراعينا وكل [illegible]
بعثنا [illegible] منكم [illegible] ... وعشر [illegible]
[illegible] ... ومعه [illegible] حصان
[illegible] خالى ثم رجع [illegible] ... فهذ [illegible]
اريه كيف يكون [illegible] ... واجعل دمه على الارض [illegible]

(قال الراوى) فلما [illegible] ابو زيد وزير [illegible] كلامه حتي [illegible] معه و [illegible]

عليه انطباق الاساد بدون شعر ولا انشاد فالتقاه الوزير بالعجل وهجم عليه وحمل واخذ في الطعام والصدام والمهاجمة والاقدام والمفارقة والالتزام واختلف بينهما الطعن في ذلك المقام حتي تحيرت من قتالهما العربان وتعلمت منهما حقيقة الضراب والطعان واستمرا على تلك الحال لوقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فافترقا على سلامة ولم يعلم احدهما على الآخر بعلامة وعند ابو زيد الي الخيام سأله الامير حسن عن خصمه فقال هو بطل همام وليث درغام فقال الامير حسن لابد في ثاني الايام ان نهجم عليهم بالمواكب ونبليهم بالويل والمصائب لان الحريم والعيال قد سبقونا مع الامير دياب وفي ثاني الايام استعدت العساكر للحرب والصدام فنفخت الزمور ودقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالسيوف والنصول وهجمت المواكب على المواكب والكتائب على الكتائب وتطاعنوا بالرماح وتضاربوا بالقواضب وعظمت الاهوال والمحن والمصائب وزاد الامر الناس فوق الحد والقياس وتضايقت الانفاس وتقطعت الدروع والاتراس واشتد الصدام والكفاح وعملت اسنة الرماح في الصدور والاشباح وضجت الفرسان من الم الجراح ونعق غراب البين وصاح وبان شخص الموت ولاح فلله در ابو زيد فارس الجحجاح ودياب ليث البطاح فانهما اشفيا بقتالهما الصدور وفعلا فعلا يذكر علي مدى الايام والدهور وكذلك فعل الامير زيدان وباقي الابطال والفرسان فانهم قاتلوا اشد قتال ونازلوا اعظم نزال ومازال السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل الى ان صار وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فارتدت عن بعضها الابطال ورجعت بنو هلال بالعز والاقبال والعساكر المصرية في وبال

(قال الراوي) واستمر الحال على هذا المنوال مدة ثلاثة أيام علي التمام والكمال وفي اليوم الرابع انكسرت عساكر الوزير وأصابها الفنا والتدمير ولم يعد لها أدنى ثبات فولت في جوانب البراري والفلوات واتفق لها في ذلك الوقت قدوم الفرمند بباقي الجنود ثم اشرف في ذلك المكان ورأى ما جرى وكان اغتاظ الغيظ الشديد الذي ما عليه من مزيد وحمل على بني هلال بمن معه من الابطال وأحاط بهم من اليمين والشمال فنكس بعدة الميامن والمياسر وحكم الطعن في الصدور والخواصر وتبعته ابطاله مثل الاسود الكواسر وقاتلوا أشد قتال ونازلوا أعظم نزال وكانت العساكر المنكسرة لما رأت جماعتها ظافرة منتصرة ارتدت الى معركة

لصدام وقاتلت بعد ذلك الانهزام وكان الفرمند قد التقى بالامير حسن فى ساحة الميدان وهو ينخى الفرسان والابطال ويحثهم على الضراب والطعان فتقدم اليه وهجم عليه وأنشد يقول وعمر السامعين يطول :

يقول الفتى الفرمند بن متوج ونيران قلبي زايدت شرار
أنا ملك مصر وحاكم بلادها أنا فارس الفرسان بالبتار
ألا يا حسن ماتخجلوامن فعالكم أيا بايقين السيط يا غجار
بعثتم لنا مالا صحبة سلامة ومعه بنات مفتنات أبكار
دهانى وأخذ مالي بحيلة فلو علمت انه هو ذلك المكار
وقد أتيناكم بجيش كما القضي ونسبي حلايلكم وكل جوار
ويبقى فعل الله بيني وبينكم ونقتل أكابركم وكل صغار
وتنظر أسودآفوق خيل ضوامر وصوت طبول تزعج الاقطار
وضرب سيوف ثم ضرب بواتر وهجات خيل مع قنا وغبار
انا جيتكم قد جاكم الشر والبلا فرمند خلفه عسكر جرار
يقول الفتى فرمند بن متوج اليوم اطلق فى جموعك نار

(قال الراوى) فلما فرغ الفرمند من كلامه أجابه حسن على شعره يقول وعمر السامعين يطول :

يقول الفتى حسن الهلالى ابو علي لا شك عقلك من دماغك طار
ألا فاستمع لى يا امير وافتهم واصغى لى قولى بنظم شعار
نحن ترانا سايرين مغرب عند زناتى خليفه المختار
لما وصلنا يا ملك لبلادكم ارسلت تطلب مالنا وجوار
فأرسلنا لك من بنات قومنا فوق الهوادج بغية النظار
وارسلنا معهم ابو زيد صانعهم ورجع بهم شبه الاسد هدار
لو راد قتالك كان جز اراسك ولكن ما هو خاين ولا غدار
وكيف تريد بدنيا موتنا وتاخذ حلائلنا فهذا عار
وكم ملك مثلك دعيناه على الوطا قتيل ولا يؤخذ [illegible]
ولو كان خلفك سبع كرات [illegible] يحمونك من سيفنا [illegible]
انجا بروحك قبل أن تفنى عساكرك وننثركم بالاضيت [illegible]
نصحتك أنا من شفقتي بدماركم وما أصعب غرق وبعد [illegible]

مقال الفتي حسن الهلالي أبو علي   يا مير فرمند الفلك دوار

(قال الراوى) فلما انتهى الامير حسن من كلامه وفهم الفرمند فحوى شعره ونظامه انطبق عليه وحمل فالتقاه حسن بالعجل وانصب عليه انصباب الغيث اذا هطل وتطاعنا بأطراف الاسل وتضاربا بالسيوف علي القلل حتى حارت منهما المقل وارتفع عليهما الغبار وحجبه عن العيون والنظار ولم نزالا على تلك الحال وهما فى أشد قتال حتي اختلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الفرمند فراحة خائبة بعد ما كانت صائبة وأما ضربة حسن فالتقاها الفرمند فى درقة البولاد فسقطت على رقبة الجواد فبرتها كما يبرى الكاتب القلم فوقع الفرمند على الأرض وانحطم وصار وجوده كالعدم فعند ذلك هجمت فرسانه مثل سيل المطر وخطفوه وخلصوه من الخطر وفى الحال التقت الرجال بالرجال والابطال بالأبطال وتقاتلوا أشد قتال حتي جرى الدم وسال وعظمت الاهوال ومازالوا على تلك الحال الى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت العساكر عن بعضها ونزلت كل طائفة فى أرضها . ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح جمع الامير حسن أكابر الديوان ومن يعتمد عليهم من الفرسان وقال لهم مرادى أن أكتب الآن واستدعى بالامير دياب ليحضر إلى هذاالمكان ويساعدنا على الحرب والطعان والا طال الحال وقتلت الرجال لأنه كما تقدم المقال ان الأمير دياب كان قد سبقهم بالحريم والعيال فاستصوبوا رأيه وقالوا لقد اشرت بالصواب فاكتب الى الامير دياب فعند ذلك كتب اليه يقول :

يقول الفتى حسن الهلالي ابوعلي   ونيران قلبي زايدات لهاب
على ما جرى فينا وما قداصابنا   وصرنا بحيرة والامور صعاب
[illegible]   وقل الى الزغبي الامير دياب
[illegible]   قروم شداد مثل سيل سحاب
[illegible]   وقتل من نزل من الانجاب
[illegible]   وابن حسن ثم لامير دياب
[illegible]   [illegible] يا امير دياب
ضربته فى [illegible]   فقدت جواده وكادهو ينصاب
والتقت الجيشان فى ساحة [illegible]   [illegible] قتلهم من شيوخ وشباب
[illegible] يا مير [illegible]   نيل ورجال مثل اسود الغاب

مقال الفتى حسن الهلالي ابو علي   انا شعر راسي قبل وقته شاب

(قال الراوي) فلما انتهى الامير حسن من هذا الخطاب ختمه وسلمه الى نجابة وامره أن يسير به الى الامير دياب ويعود بسرعة الجواب فامتثل وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى عند دياب في وسط النهار فسلمه الكتاب وطلب منه الجواب فلما فتحه وقراه وعرف ماحواه احمرت عيناه وزاد بلاه وامر بدق الطبول فدقت في الحال واقبلت اليه الفرسان والابطال فاعلمهم بجلية الاحوال وقال لهم استعدوا لمساعدة بنى هلال قبل أن يحل بكم الوبال وتسبى الحريم والعيال فلو لم يكونوا في أشد الأهوال ماكان كتب لى حسن هذا الكتاب وارسله مع النجاب فلما سمعوا منه هذا الخطاب تحمست منهم جميع الجهال والشباب وركبوا فى ساعة الحال طالبين معركة القتال وفي مقدمتهم الامير دياب ليث الغاب والامير زيدان شيخ الشباب حتى اشرفوا الى بني هلال عند الغياب فلتقوهم بالاكرام والترحاب وشكروهم على ذلك الاهتمام وفى ثانى الايام ركبت الأبطال والفرسان وطلبت معركة الطعان وكان أول من برز الى ساحة الميدان وطلب براز الشجعان الوزير محمود ابن اخت الفرمند قائد الجنود ولما صار فى ساحة المجال قال هيا يا بني هلال أين فوارسكم المشهورة أين أبطالكم المذكورة أين الامير دياب الذي تلقبوه بليث الغاب فما تم كلامه حتى صار الامير دياب أمامه فعند ذلك أنشأ يتهدده بهذا القصيد ويفتخر بنفسه على الابطال الصناديد

يقول الفتى محمود عما قد جري   أنا ناطح الابطال يوم نكيد
أيا ابن غانم صرت أنت غنيمتي   وسوف ترى مني قتال أكيد
فلا تظن بانني منك خائف   لاولاعن حربك عمري لا احيد
وسائل الابطال مثلك كم قهرت   لابد لي من قطع راسك بعيد
أن طعنتي أسلب روحك باليدين   واخلع لدرعك وما عليك من حديد
وارمي لسيفك ثم رمحك والثياب   واترك الخضر اولاتكون عنيد
قول محمود الوزير المجد   لابد [illegible]

(قال الراوي) فلما انتهى الوزير من كلامه أجابه [illegible] على شعره [illegible] يقول وعمر السامعين يطول:

قال الفتى المسمى دياب الغانم   [illegible]
انى دياب الخليل في حومة الوغا   [illegible]

كم فارس جندلته بمهندي وجعلته من بعد عزه فقيد
محمود لا تصلح تسوس خليلنا من كان مثلك نجعله بين العبيد
لا بد ما اضرب لراسك بالحسام واترك دماك على الفــلاة بديد
فقال أبو موسى دياب الغانم اسمع كلامي يا أمير ولا تزيد

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من هذا الشعر والنظام انطبق على خصمه مثل صاعقة الغمام فالتقاه الوزير كسبع الآجام وأخذا في العراك والصدام وما زالا في قتال شديد وضرب يشيب الطفل الوليد نحو ساعة من النهار وقد شخصت نحوهما الابصار ثم اختلف بين الاثنين ضربين قاطعتين و كان السابق الامير دياب ليث الغاب لأنه كان أشجع وأقدر وأعرف بمواقع الطعن وأخبر فجاءت الضربة على رأس الوزير فحل به الهلاك والتدمير فوقع على الأرض يختبط بعضه ببعض فلما رأت العساكر المصرية ما حل بوزيرها من البلية وكيف انه شرب كاس المنية عظمت عليهم الأمور وانقضوا على بنى هلال مثل الصقور وأحاطوا بهم من اليمين والشمال فالتقتهم بنو هلال بقلوب كالجبال وتقاتلوا أشد قتال حتى جرى الدم وسال وعظمت الاهوال وما زالوا على تلك الحال إلي وقت الزوال فعنـد ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت العساكر عن ساحة المجال وأما الفرمند فانه بات مشغول البال في قلبـه نيران الاشتعال على ما فقد له من الرجال ولا سيما قتل محمود بن اخته فانه كان عنده أعز من مهجته فما صدق أن يطلع الصباح حتي برز إلى ساحة الكفاح كأنه ليث البطاح ثم صال وجال فى ساحة المجال وقال لا يبرز لي من الابطال غير أبو زيد المحتال فما اتم كلامه حتي صار ابو زيد أمامه فالتقاه الفرمند فى الحال وأنشد وقال :

قال الفتى الفرمنـد قرم مهولا اليوم تبقي يا فتى مقتولا
اني مربع الخيــل يوم الغاره سيفى تري بدم العدى مبلولا
دخلت الى قصر عملت مهرج حبت البنات وجيت كالمبهولا
شكيت فى راسك دبب ثعاب قد كان لعبك عندنا مقبولا
لو كنت اعرف حيلتك وفعايك لقطعت راسك يا ردى بالطولا
جبناك يا ابو زيد بكل مدرع مسربلين ومجردين نصولا
دياب قتــل الوزير بضربة وجعل دماه في الفلا مهطولا
قول الملك فرمند عما جرى له اليوم يبقى جيشكم مقتـولا

(قال الراوى) فلما فرغ الفرمند من هذا القصيد اغتاظ ابو زيد الغيظ الشديد وانطبق عليه بقلب أشد من الحديد وأخذ معه فى الحرب والجلاد بدون جواب ولا إنشاد فالتقاه الفرمند بقلب كالجبال وأخذ معه فى الحرب والقتال وقد هان عليه الأجل وبلوغ الأمل فقاتل قتال من استقتل فثبت ابو زيد لفعاله وفعل كفعاله ومازالا فى حرب وصدام مدة عشرة أيام وفى يوم الحادى عشر ظفر به أبو زيد واستطهر فهجم عليه هجمة جبار وضربه على عنقه بالسيف البتار واذا براسه قد طار فوقع على الارض قتيلا وفى دمه جديلا فلما رأت المصريون تلك الأحوال خابت منهم الآمال وأيقنت بالهلاك والوبال واجتهدت ان تخلص جثة ملكها فما قدرت وقد أهالها ما رأت وأبصرت وانحلت عزائمها وتأخرت واشتد عليها الحصر وخاب أملها من النصر فرجعت طالبة مدينة مصر وهي على أسوأ حال لا تعرف اليمين من الشمال فتبعتهم بنو هلال على الاعقاب وفى مقدمتهم أبو زيد والامير دياب والامير زيدان شيخ الشباب وحكموا فيهم ضرب السيف القرضاب على الاجسام والرقاب حتي دخلوا البلد وهم فى حالة الذل والنكد فلما رأت أكابر المدينة والاعيان ماجرى وكان وكيف ان الفرمند شرب كاس الهوان خرجوا إلي عند الامير حسن بن سرحان وطلبوا منه العفو والامان فأجابهم إلى ذلك الشان وأوصى الابطال والفرسان ان لا ينهبوا شيئا من أمتعة المدينة لا رخيصة ولا ثمينة وان يكونوا فى هدو واحتشام اكراما مزارات الاولياء ومقامات العلماء العظام وكان للفرمند ولد منتذر اسمه الامير منذر فأحضره اليه وقبله بين عينيه ثم ولاه مكان أبيه بحضور أكابر البلد والذوات العمد بعد أن أوصاه أن يتصرف بحسن السلوك ويتخلق بأخلاق الملوك ثم انه أنشد وقال بحضور سادات الرجال :

يقول الفتي حسن الهلالي أبو علي	وسمحان ربى حاكم الـ[illegible]
خلق الخلائق ثم أحصى عدادهم	له الحكم والتدبير والاحسان
الا يا أهل مصر اصغوا لقصتي	وكل واحد منكم يكون [illegible]
قمت أنا المنذر عليكم حاكم	فلا يعترض منكم [illegible] لسان
وكونوا بطوعه ثم اصغوا لقوله	فهو اليوم حاكم وهو سلطان
وانت يا منذر فكون عليهم	شفوق ولا تظلم منهم انسان
واحكم بقانون النبي محمد	نبي الهدى من آل عدنان

مقال الفتى حسن الهلالي ابو علي ومن له فعل مليح يباد

فلما انتهى حسن من هذا الشعر والنظام وسمعه الخاص والعام قالوا عن فرد لسان قد رضينا بمنذر علينا سلطان ثم قامت الافراح وزالت الهموم والاتراح وكان الامير حسن قد استحسن مصر كل الاستحسان نظراً لكبرها وما فيها من الأبنية الحسان فصمم أن يبني فيها على اسمه جامعا ليكون ذكراً له على طول الزمان فأمر البنايين وجماعة المهندسين ببناء الجامع المذكور فى ظرف ستة أشهر فأجابوه الى ذلك المرام وبعد أن تم بالتمام أمر أن يفرشوه بنفيس الفرش وينقشوا حيطانه بأحسن النقش فامتثلوا أمره فى الحال وفعلوا كما ذكر وقال كان جامعا عظيم المثال يزهو كالهلالي وكان مكتوب على بابه بماء الذهب هذا جامع الامير حسن الهلالي سيد العرب وبعد ذلك بثمانية أيام أمر الامير حسن بهدم المضارب والخيام فهدمت فى الحال وركبت الابطال ظهور الخيل والجمال وسارت العماريات بالنساء والعيال أمام الفرسان والابطال وجدوا فى الترحال قاصدين بلاد المغرب والامير ماضي بن مقرب وما زالوا يقطعون القفر العريض الطويل حتى وصلوا إلى مكان يقال له المخاضة

﴿ انتهي الجزء الرابع عشر ويليه الجزء الخامس عشر ﴾

الجزء الخامس عشر من

تغريبة بني هلال الكبرى

الشامية الأصلية

قصة غريق بنى هلال

في أرض المخاضة وزعل عليا مع الجازية ورحيل حسين الجعبرى إلى أرض نجد وديوان الماضى حاكم بلاد الصعيد وما جرى لبنى هلال فى تلك البلاد

(قال الراوى) تقدم فى آخر الكتاب السابق أن بني هلال دخلوا إلى مكان يقال له المخاضة ، والآن نقول أنه اتفق بالأمر المقدر أن الماء فى ذلك المكان المسمي المخاضة وكان فى ذلك الوقت ممتد فى السهول والبساتين والحقول وكان الأمير زيدان والنساء والعيال سائرين أمام الفرسان والأبطال وكان أبو زيد خلف جميع بنى هلال وعند وصولهم إلى ذلك المكان تضعضعت أحوال الرجال والنسوان والاطفال والشبان لأن الماء كان جاريا فى تلك السهول كالطوفان فوقعت الأحمال عن ظهور الجمال وصاحت النساء والعيال وصرخت الاطفال خوفا من الغريق ولم يعودوا يعرفون الطريق وقد عدموا المعاونة والتوفيق فلما شاهد الامير حسن تلك الحال خاف على الحريم والعيال وتضعضعت منه الاحوال وأيقن بالهلاك والوبال وقال لبعض القوم أين هو أبو زيد فى [illegible] هو مع عمه حسين الجعبرى فى آخر الظعن مع حريمه وعياله فأرسل واستدعاه اليه فدخل وسلم عليه وقال له الامير حسن قد شمتت [illegible] على الحريم والعيال من الغرق والوبال ثم أنشد وقال :

قال الفتى حسن الأمير أبو علي ... تفكرت في [illegible] وكل [illegible]

رحلنا من نجد لغربة الأوطان ... نريد بلاد الغرب نبغى وصالها

هل هو هلال يا أبو غيير أنه | تغرق نساتا مع جميع طفالها
أبو زيد هلال علي الماء تزاحمت | كثير من العربان غرقت جمالها
ترى ان كان ذلك حاجة تريدنوالها | خذ لك ثلاث حاجات مني بدالها
وان كان صابك يا أمير مصيبة | بعلم القلم يا أمير عندى زوالها
وان كنت خائف ان عليا تفارقك | فاجعلها قدام وامشى قبالها
قول الفتي حسن الامير أبو علي | ونيران قلبي زايدات شعالها

فلما فرغ الامير حسن من شعره ونظامه وفهم أبو زيد فحوى كلامه أشار يقول وعمر السامعين يطول :

يقول أبو زيد الهلالى سلامه | فكم جهد قلبي ما يقاسي غباين
من قال لكم يا أمير تمشون بالعرب | تمشون وسط الماء وانتم ظعاين
أنا تأخرت مع ظعن عمى الجعبري | حسين أبو عليا وبعض الظعاين
تقول بأني يا أمير مكدرا | علامك على يا ابن سرحان كاين
فاقف قليلا حتى أعود بسرعة | وأتي بعليا مع باقي الظعاين
وجيب إلى عمي فيمشي بقربنا | هذا غريب الدار يا أمير حازن
مقال أبو زيد الامير سلامة | من حزن قلبي صرت يا أمير جانن

(قال الراوى) فلما انتهي أبو زيد من شعره ونظامه وفهم الحاضرون معني كلامه قالوا له عن فرد لسان قطع يا أبا زيد العربان! فلكز الحصان وبين لهم طريق الامان لانه كان يعرف المكان قبل ذلك الاوان فجعلت تتواردالعرب وقد استأمنت من العطب وكان أول من عبر الجارية وعليا زوجة الامير أبى زيد لغضنفر فاتفق أن هجنهن تزاحمت بعضها ببعض حتي كان يقعن على الارض وتشاتما بالكلام وتخاصمن أشد خصام وكانت الجارية ازدرت فيها وتكلمت معها كلام لا يرضيها فاغتاظت عليا من كلامها ورجعت الى الوراء وعلمت أبيها بما تم عليها وجري ثم أشارت تقول .

قالت عليا و... قلبي تسعرا | اسمع كلامى يا أبى وتبصرا
ولقد جرى لى ... بي مشاجرة | من بنت سرحان كلاما منكرا
عند ... ضة هودجي زاحم لها | وتحطمت أطرافه وتكسرا
... دت وقلت يا عشيقة عمده | ردى لهودجك تغير تغيرا
ردت للهودج لاجل كلامها | والدمع من عيني غدا يتفجرا

ارجع أبي عن هلال لأرضنا ولا تروح إلي المغارب تخسرا
لا تحمل المعيار يا أمير الملا القلب مني والفؤاد تسعرا
عليا تقول وليس قولي كاذب ما عاد لي جلد به أتصبرا

(قال الراوي) فلما فرغت عليا من شعرها ونظامها وفهم أبوها فحوى كلامها اغتاظ الغيظ الشديد الذي ما عليه من مزيد وعلم أن ذلك كان من الجازية عدوان وافتراء وأمر عربه في الحال أن ترد الظعن وترجع الى الوراء فامتثلوا أمره في الحال ورجعت العرب بالنوق والجمال في عاجل الحال فلما رأى أبو زيد بأن الظعن راجعة وهي وراء بعضها متتابعة اندهش وتعجب وسأل عن السبب فقالوا اعلم يا نور العين هذا ظعن عمك حسين وهو قاصد أن يرجع الى الاطلال بالحريم والعيال فلما سمع أبو زيد هذا الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام ثم ركب فرسه الحمرا وقصد عمه حتي التقي به في تلك الصحراء فقال له مالك راجع الي الوراء فبكي حسين من فؤاد متبول وأشار ينشد ويقول

قال الامير الجعفري مما جرى العرض مني هتك بين الملا
اسمع كلامي يا أمير سلامه النار في قلبي تهب وتشعلا
عند المخاضة اجتمعت نساءكم وبناتكم فوق الهوادج تنجلا
وتزاحمت عليا وجازية المها عند المخاضة والمياه ينحدلا
شتمت لعليا الجارية بكلامها وعلت عليها المصائب والبلا
قالت لها عليا ما هذا الامل منك أيا بنت سرحان العلا
أنا زوجة أبو زيد الفتى هو ابن عمك في الرجال مجملا
قالت فروحي يا عشيقة عبده سأقطع رأسك ما أخاف من الملا
زادت على عليا كلام يغيظها كسرت حرمتها أتتني ترولا
فبكت وشكت ثم قالت ارتجع فرديت ظعني يا سلامه معجلا
وحياة راسك ما بقينا نرتحع للغرب وحية لمن أرسلا

فلما فرغ حسين الجعفري من كلامه وفهم أبو زيد فحوى شعره ونظامه اغتاظ واحتد وكان ذلك عليه أقوى من ضرب السيف وأشد ولكنه أخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد وقال له [illegible] أيها العم [illegible] ليس على كل [illegible] ثم التفت الى زوجته وقال لها علميني يا بنت الكرام بما جري بينك وبين الجارية من النفور والخصام فأعلمته وأوقفته على جلية الأحوال وكيف انها

قابلتها بوجه الغضب وشتمتها بدون سبب جعلتها معيرة بين نساء العرب فقال اخزي الشيطان وقوى بنا حتى نرجع الآن قالت . اذا رجع أبى رجعت أنا ولا أجعل نفسي عرضة للاهانة والعناء واسمع كلام أولاد الزنا فجعل يتلطف بخاطر عمه ويطلب منه الرجوع فقال ان كلامك على الراس والعين إلا فى هذا الامر فانه غير مقبول ومسموع الا بشرط أن تقطع راس الجازيه وتعدمها الحياة فعند ذلك ارجع وأكون قد بلغت ما أتمناه فقال ابشر بما طلبت يا عماه فعند ذلك رجع أبو زيد على الأثر والسيف فى يده مشتهر حتى دخل على الأمير حسن وهو فى الصيوان وحوله الامراء وأكابر الأعيان فسلم عليه وهو عابس فقال له الامير حسن علامك يازين الفوارس فانى أراك عابس غضبا فاعلمه بما جرى وكان وقال له فى آخر الكلام ان مرادى أقتل الجازية بحد الحسام واسقيها كاس الحمام على ما بدا منها وجرى من كلام الذم والافتراء وحدثه بما فعلت من الأول الى الآخر فقال الامير حسن دع عنك كلام النسوان ولا تغتاظ من هذا الشان وقم بنا الآن حتى نتعطف بخاطر عمك ونعود ولا نجعل سببا لشماتة العدو والحسود فأجابه إلى ذلك المرام وركب هو وإياه وعند وصولها الى المضارب والخيام استقبلهما حسين الجعبرى بالترحاب والاكرام فأخذ حسن يستعطف خاطره بالكلام ويقول له ارجع معنا يا ابن الكرام ودع كلام النسوان ولا تشمت بنا الاعداء فى هذا المكان لاننا غرباء عن الاوطان ولا يجوز أن نختلف في هذا المكان فقال وحق الواحد الصمد انى لا أرجع إلا برأس الجازية فقال ابشر بما طلبت وارجع بالعجل وانى أبلغك القصد والامل فعند ذلك أجاب وامتثل ورجع معهما فى الحال بمن معه من العيال ولما بلغ الجارية هذا الخبر أخذها القلق والضجر وخافت من الخطر فسارت الي عند القاضي بدير وسلمت عليه وترامت على قدميه وقالت أنا فى جيرتك وقد وقعت على حضرتك لأنك كهف الانام ومن التجى اليك لا يضام فقال لها ابشرى بالسلامة والخير فقد صرت فى جوار القاضى بدير ثم انه أخذها إلي عند الحريم وزاد لها فى التكريم والتعظيم لانها من أشرف نساء العربان ولاسيما انها أخت الأمير حسن العظيم الشان ثم رجع الى الديوان وهو يتعجب من ذلك الشان وحوادث الزمان وبينما هو كذلك اذ اقبل الامير حسن وأبو زيد فارس المعارك فالتقاهما بالبشاشة والترحاب وأخذ معهما فى الحديث والخطاب وقال لهما ما بالكما

متكدران فأعلماه بذلك الشان وان مرادها قتل الجارية دون باقي النسوان فقال نفسى فداها فكيف يمكنني أن اسلمكم اياها وقد دخلت الى دارى وصارت فى زمامى فهذا لايكون ابداً ولو شربت كاس حمامي فقال ابو زيد لابد من قتلها على وقاحتها وفعلها فتقدم حسن الى القاضى بدير سرا وقال اخاف من رجوع ابو زيد الى نجد اذا ما بلغناه غاية القصد وتقع فى هذه الديار وتحل بنا الهلاك والدمار فقال القاضي من الصواب ايها السادة الانجاب ان نحضر عليا والجارية للمحاكمة والاستنطاق فالتي تكون مذنبة منهما تستوجب القتل والاستحقاق ولا يعود يلومنا احد من الناس لان هذا الامر خارج عن حد القياس فلما انتهى القاضى من هذا الخطاب رأوه عين الصواب وهكذا استقر الحال ورجع ابو زيد الي عند عمه واعلمه بواقعة الحال وارجعه مع ابنته عليا الى الديوان وكذلك حضرت الجارية للمرافقة فى ذلك الشان فجلست خلف الستار خوفا ان يقتلها ابو زيد بالسيف البتار فعند ذلك سألها القاضى عن سبب اهانتها لعليا وما هو الداعي الموجب لذلك المقال الذى يورث القيل والقال فأنكرت امام الحاضرين بأنها ماقالت لها كلام يغيظ ولا يهين بل كان كلامها على سبيل العتاب كما جرت عادة الاحباب .

(قال الراوى) فلما فرغت الجارية من كلامها وفهم القاضي بدير فحوى نظامها التفت الى عليا وقال يظهر من هذا المقال بأن الجارية لم تتكلم فى حقك بشيء يورث القيل والقال وان كان معك شهود فاحضرهم لكي يشهدوا عليها فذهبت عند الباب اللواتى كن فى ذلك الوقت حولها واعلمتهم بما قد جرى وكان وطلبت منهن ان يحضرن معها الى الديوان فقلن نحن لا نذهب معك ولا نترك الجارية ونتبعك فعادت على الاثر واعلمت القاضى بذلك فحكم وقال هى بريئة ليس عليها ادنى حق والقد تكلمت بكلام الصدق ثم دخلت عند حريمه ورجعت عليا لعند ابيها وهي في غم عظيم فلما رآها ابو زيد راجعة تنهد من فؤاد قريح وقلب جريح وقد عظمت عليه المصيبة وقال لو تكن معي عمي فى هذه الغربة ما كنا امتثلنا له ولا غدرنا بأحد ولو كنا اضعف [illegible] كنت [illegible] نظرتها وهى فى الميدان يشتد همي الجديد ولا اعود [illegible] ثم انه تأوه وتنهد وبعد ذلك انشد يقول .

يقول ابو زيد الهلالي سلامة   لي الغرب قد سارت جميع الفوارس

أنا ثالث الاثنين ان جد سيرهم ورابعهم وان أحوجت كنت خامس
أنا مزعج الفرسان في ساحة الوغي واني قوى العزم صعب المرايس
فيوم أتونا الملوك وجهزوا وقد أسروا الزينات ثم النواعس
وقالت عليا يا أبو زيد غيثنا أيا أمير لا تخشى حديث المجالس
ثمانين بنتا يا هلال أسارى بنات الامارا لابسين الاطالس
وقلنا الينا يا هلال انجدونا غدينا سبايا مع الوجوه العوابس
أبو زيد انجدنا واستر عروضنا فمثلك من يصلح لحرب الفوارس
فلما سمعت القول هاجت ضمائري وقد ثار مني هادسا وأي هادس
فشجعت نفسي ثم كربت على العدا ومكنت ضربتي بالدروع اللوابس
وكانوا يجوني من هناك ومن هنا فرديتهم شبه الجراد المحابس
ولما رأت عليا هجومي على العدا نخافت أن أكون على الارض نا كس
ناديت أيا زغبي فانجد سلامه أحاطت به الفرسان مثل الاشاوس
أتاني الفتى الزغبي دياب الغانم يطارد الاعدا كالليث عابس
نخمسة منا طاردوا خمسمائة وفيهم أماجد ثم فيهم فوارس
فأولنا كان الخفاجي عامر وثانينا القاضي يكيد الفوارس
وثالثنا الهلالي أبو علي ورابعنا الزغبي وأنا كنت خامس
مقال أبو زيد الهلالي سلامه أنا راجع الى نجد دون الفوارس

فلما فرغ أبو زيد من هذه الانشاد ركب ظهر الجواد وقال والله لقد مليت م الحرب وليس لي بعد حاجة في بلاد العرب ثم رأته الامراء والفرسان قد رجع ا الوراء زادوا هما وكدرا واستعظموا الحال وعلموا أنهم بدونه لا ينفعون ا القتال فعند ذلك تقدم الامير زيدان وقال للسادات وأرباب الديوان نحن وا بدون أبي زيد لا نقدر على عمل وحيلة ولولاه ما كنا قطعنا كل هذه المسا الطويلة ثم انشد يقول :

يقول الفتى زيدان عم جرى له اری ابو زید الهلالي راح
اذا راح ابو زيد الهلالي مشرق ما عاد لكم بين الانام نجاح
ولنيل حايجتكم ومنع ضعنكم وسط الخاضة مثل بحر طفاح
ابو زيد ما له بالمغرب حاجة حتي يسير له يجد رواح
وان جمعتم يهلكوا اولادكم ويبقوا على وجه الاراضي طراح

ولئن جد ماتقدر نعود بظعنتنا يوجد لنا اعداء بكل بطاح
فاسكندرية والعريش وغزة والله والرملة وكل انواح
والقدس ثم الشام وحمص وبعدها اما حلب ابطالها فرجاح
هؤلاء جميعا مبغضين لقومنا ذاقون منا بالحروب كفاح
فاذا رجعنا يقتلونا كلنا يدعونا فوق الرمال تراح
ابو زيد ان عاد يذهب بينهم فى حيلة منه وضرب صفاح
قوموا اليه ادركوه بالعجل بكباركم وصغاركم وملاح

فلما فرغ زيدان من هذا الشعر والنظام وسمعه الامير حسن وباقي الامراء الكرام قالوا لقد تكلمت بالصواب واشرت بأمر لا يعاب لأن ابا زيد سيفنا الثقيل ورمحنا الطويل وقال الامير حسن مرادى ان اذهب اليه وألح بالكلام عليه فعساه ان يسمع ويرجع والا بدونه فلا نصح ولا ننفع ثم ركب فى الحال واخذ معه جماعة من الابطال وسار الى عند حسين الجعبرى وقد علم ان ابا زيد محق فى رجوعه وغيره مفترى فالتقاه بالتعظيم والاحترام واكرمه كل الاكرام وبعد ذلك قال له الامير حسن ان كل غاية مرادك ان ترجع الى ارضك وبلادك فدع ابو زيد يوصلنا الى بلاد الغرب والا تشتت شملنا وتهنا عن الدرب ثم اشار يقول من فؤاد متبول :

يقول الفتى حسن الهلالي ابو على ولي قلب من بين الجوانح طار
أيا أمير قد جيناك نرجو لهمتك أيا ريت عمرك أطول الاعمار
فأولادنا بالقيروان وقابس رهاين وهم فى قلعة وحصار
نريدك ترد ابو زيد يا ملك يدلنــا للقيروان جهار
فادخل عليه لا بد يقبل عزمتك يا برمكى يا مقرى الخطار
حتي نروح إلي البلاد نجيبهم ونجعل بلاد القيروان دمار
فقلبي على مرعى قد ذاب وانكوى وشبت بقلبي والضمائر نار
لأن سلامة خاضعا لأوامرك وانت معى ارجع ولا تندار
وخلي كلام الجازية أم محمد فلا بد ما اتركها نروح نثار
على شان مرعى هنت حالي وجئتكم وتتوك هلال كبرهم وصغار

فلما فرغ الامير حسن من شعره ونظامه وفهم حسين الجعبرى فحوى كلامه قال أنا لا بد لى من الرجوع إلى ديارى وتلك الربوع ثم انه لتفت الي ابى زيد وقال

بحياتى عليك ان ترجع إلى قومك بنى هلال وتذهب معهم إلى بلاد الغرب وتلك الاطلال فقال سمعاً وطاعة ثم انه ودع زوجته وعمه ورجع من تلك الساعة وكان قد تأثر على فراق عليا لأنها كانت اعز عليه من نساء الدنيا فبكى بدمع مهراق من ألم الفراق فلما اشتدت عليه الاحزان اجتمعت الامراء والاعيان ودخلوا على الامير حسن فى الصيوان وقالوا ماهو رأيك ايها السيد المحترم فان ابا زيد كثير القلق والغم فقال عرندس والامير دياب وجماعة من اكبر الجهال والشباب انه من الصواب ان يتزوج فتزول عنه الشدة ويحصل على الفرج فصار كل واحد منهم يقول انا ازوجه ابنتى واشاركه فى مالى ونعمتي ثم انهم جمعوا بنات امراء القبيلة وزينوهن بأحسن الثياب الجميلة وكان من جملتهن ثمانين بنت من بنات الامارا وهم بنت الامير دياب ليث الغاب وبنت الامير حسن وبنت الرياشى وبنت عرندس الاسد المفترس وبنت الليث الكندى والقاضي بدير والجازية أم محمد التى بسببها حصل هذا النزاع والنكد وأحضروهن أمام أبى زيد وأعرضوهن عليه وأوقفوهن بين يديه وقالوا له اختار واحدة من هذه البنات زوجة لك عوض عليا فان كل واحدة منهم أجمل منها وأحلى وانت أحق بهن وأولى فلم يرضى ولم يقبل أحد منهن ثم تقدمت الجازية إلى بين يديه وأعرضت نفسها أيضا عليه وكان كما تقدم عنها الخبر جميلة المنظر ومحبوبة من جميع البشر فقال لها ارجعى ارجعي على مرتين والا جعلتك بسيفي قطعتين فاغتاظت من هذا الكلام وكانت تظن ان يتزوج بها وتبلغ المرام ثم خرجت هي والبنات إلى المضارب والابيات وفى اليوم الثانى عبرت بنو هلال نهر النيل وقد استراح بالهم من هذا القبيل ومازالوا يقطعون البرارى والبيد حتى وصلوا إلى بلاد الصعيد

هذا ديوان القاضى فى بلاد الصعيد

وكان الحاكم عليهم فى تلك الأيام رجل صاحب قدر ومقام وفضل واحترام عديم المثل بين الرجال قد اتصف بالجود والكرم ومحاسن الشيم وبجوده كانت تضرب الأمثال فى المشرق والمغرب واسمه القاضى ابن مقرب وكان صاحب حسب وأصله من بلاد المغرب وكانت اقامته فى بلاد نجد العدية إلى أن تملكها بنو هلال بالقوة الجبرية وقتلوا ملكها هيدى بن عضيه واستوطنوا فيها وانتشروا فى جميع نواحيها فاصطحب القاضى مع الامير حسن وسادات بنى هلال غير أنه لكثرة

الرجال وازدحام المراعى بالنوق والجمال ارتحل الماضى من تلك الارض وسار بأهله وعياله ونوقه وجماله ومن يلوذ به من رجاله وأتى الى بلاد الصعيد وسكن فى تلك البيد وكان ملكها رجل جبار صاحب بطش واقتدار وهيبة ووقار يقال له نصار فائتلف مع الماضى أشد ائتلاف وجعله نائبه في تلك الاطراف ثم زوجه بابنته وشاركه فى ماله ونعمته وبعد موت الملك نصار تسلطن الماضي على تلك الديار وكان محبوبا من الكبار والصغار فلما وصلت بنو هلال الى تلك البلاد كما كما تقدم الايراد التقاهم بالترحاب والاحترام وأظهر لهم مزيد الاكرام نظرا لما بينه وبينهم من الحب القديم والوداد المستقيم وأنزلهم فى بلاده مع رعياه وأجناده وأخذ الامير حسن ومن يلوذ به بحضرته من أعوانه وأكابر عشيرته إلى سرايته وأجلسهم أعز مقام وذبح لهم الطيور والاغنام وجعل يترحب بهم بهذا الشعر والنظام :

قال الفتي الماضى بن مقرب	يا مرحبا فى من أتوا لصعيدنا
يا مرحبا بك يا أمير أبو على	يا ابن حازم كان جدك سيدنا
أنتم أقاربنا ونحن أقاربك	حاشا نكيد لكم وانت تكيدنا
رحلت من نجد وجئت لارضنا	أرض الصعيد وملكها فى أرضنا
قد كنت أبكي دائما لفراقكم	حقا وما عاد البكاء يفيدنا
أضاءت بكم منازلنا بكم يا أبو على	والله من فضله علينا يزيدنا
يا مرحبا بك يا أمير سلامة	أنت الامير فخر العباد وسيدنا
ياميت أهلا وسهلا يا أمير بقربكم	أنت قليد هلال ثم قليدنا
أهلا وسهلا فى بدير الفايد	ودياب زغبي ضب فيه نشيدنا
أهلا وسهلا فى هلال جميعهم	مع كافة العربان حلو بيدنا
جولوا وارعوا فى البلاد ضعونكم	واستوطنوا فى أرضنا وصعيدنا
قول الفتي الماضى بقلب فارح	قلبي فرح بيكم وزال كميدنا

(قال الراوى) فلما انتهى الماضي من شعره ونظامه شكرته الامراء على حسن اهتمامه ثم أخذهم الى أبياته وأقام الامير حسن فى ضيافته مع أهله وسادات عشيرته مدة عشرة أيام فى اعزاز واكرام وشرب مدام واكل طعام وبعد ذلك تفرقوا فى بلاد الصعيد وانتشروا فى لبيد وهم فى سرور وأفراح وبسط وانشراح واتفق فى بعض الايام بينما كان الماضي جالسا على الطعام قال له أحد الاعوان

يا ملك الزمان قد بلغني من بعض النسوان أنه يوجد في بني هلال امرأة بديعة الجمال عديمة المثال في الحسن والكمال والقد والاعتدال وفصاحة المقال لا يوجد مثلها بين الخلق لا في الغرب ولا في الشرق واسمها الجازيه كأنها الشمس الضاحية فاذا خطبتها منهم حصلت على السرور والافراح لان طلعتها تنعش الصدور والارواح فقال الماضي يا قوم ما لها وجه وان طلبنا منهم يقولوا الماضي بده حق ضيافته منا بنت من بناتنا فقال له الوزير ياملك الزمان الزواج بين الناس ماهو عيبه والذي يتقرب من الناس خير من الذي يبعد عنهم فلما سمع الماضي كلامه أشار يقول

يقول الفتى الماضي بن مقرب … قلبي الي نحو الزواج يريد
وفي خاطري أرسل كتاب لبوعلي … أطلب منه أخته يوكيد
ولكنني خايف يقولوا بذاتهم … عزمنا الماضي للديار عميد
عطانا وحيانا وحيا ركابنا … وارسل الينا بالكتاب يريد
يريد فتاة الجازية أم محمد … وهي بنت سيد يا أمير وسيد
ويبقوا بأفكار وعظم وسواس … سكارى حيارى والفؤاد حقيد
ودولا ضيوفي طالبين مغرب … الي تونس الخضرة بلاد بعيد
يا قوم ما لي عين أرسل لبوعلي … وأنا مستحي والرب على شهيد
أنا عملت المعروف يا قوم معهم … من الخير أكلفهم وكوز سنيد
يجنا الثنا يا قوم خير من الغني … تري الكل يغنوا والاله مريد
فلو قعدوا عندي عوام كثيرة … وجبت لهم رزق يسد سديد
فما أكرم قدر ربح أبو علي … ولا قدر أبوزيد الامير وكيد
وعمر وعامر والامير ابن غانم … وأيضا بدير والامير سعيد
غدا يرحلوا عنا ويروحوا امغرب … ولا يتركوا في ذا البلاد وليد
وهذا كلام قط ما فايد … ورد جوابي في كلام مفيد

فلما فرغ الماضي من كلامه وقومه يسمعون نظامه فقال بعض الحاضرين وكان من الوزراء المتقدمين لقد سمعت أنا أيضا بخبر هذه الصبية وما فيها من المحاسن البهية ولكن اعلم انهم لا يزوجونها بأحد ولو كان من الملوك وأعاظم العمد فاذا كان ولابد منها ايها الملك من ذلك فاطلب أولا فرس دياب الخضرا التي لا يوجد مثلها في جميع الممالك وأنا أعلم أنه لا يعطيها لان نفسه معلقة فيها وبهذه الحيلة يصير لك وسيلة على أن تطلب الجارية وتنال المراد بعون رب

العباد فلما سمع الماضي هذا الكلام تعلق قلبه بالجارية وهام وكان استحسن هذا الخطاب ورآه عين الصواب فكتب الي الامير حسن يقول وعمر السامعين يطوله

يقول الفتي الماضي ابن مقرب ودمعي جري من فوق خدي عايم
باغاديا مني علي متن ضامر تسبق هبوب الريح ثم النسايم
اذا جئت الي عند الامير أبوعلي حسن ابن سرحان وفي الزمايم
فقل له ابن عمك وصاحبك وقلبه يحبك من سنين القدايم
وقل له اسمع يا أمير مقالتي وافهم من الماضي معاني لوازم
فقد بلغني يا أمير بانه موجود في قومك خيول أكارم
ألا فارسلوا لي من خيار جيادكم أريد أنا خضرة دياب بن غانم
وان كان تعطوني يا أمير نظيرها فابقوا عطيتكم ألا يا أكارم
فرد جوابي يا أمير أبو علي واسرع في الجواب ان كنت فاهم
مقال الفتي الماضي علي ماجرى له أنا مستحي منكم والله عالم

(قال الراوي) فلما انتهي من هذا الخطاب سلمه إلي نجاب وأمره أن يسير في الحال إلي بني هلال ويسلم الكتاب إلي الامير حسن ويأتيه بالجواب فأخذه وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى بني هلال قبل الزوال فدخل على الامير حسن وسلم عليه وأعطاه الكتاب وتمثل بين يديه فلما فضه وقراه وعرف حقيقة فحواه اعتراه العجب واحتار من هذا الطلب ثم انه تلى على أبو زيد الكتاب وقال له كيف عاد الرأي عندك أنا أعلم أن دياب ما يطلع عن الخضرا ولو ذهبت كل بني هلال فلما سمع أبو زيد هذا الكلام أشار يقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه هذه أمور مشكلات صعابي
احضر اكابرنا وكل شيوخنا ونسير الي عند الامير دياب
تطلب الخضرا منه يا ملك وان أبى لاتكون مرتاب
نرسل عوضها الجارية في هودج نجزى بها الماضي يا أحباب
وتقول له رحنا لعنه الزغبي من أجل خضرته بجمع ركابي
واعطيه مال وخيل سوابق واعطيه خدم وعوج رقابي
أبى فأرسلنا اليك الجارية هي بنت عمك أبخر لانسابي
قول الفتي المسمي الامير سلامه يابو علي هذا جميع جوابي

فلما فرغ أبو زيد من كلامه والامير حسن يسمع نظامه فقال أبو زيد ان

الرأي عندي أيها الملك المهاب ، ان اذهب أنا وانت مع القاضي بدير الى منازل الأمير دياب ونعلمه بما تم وجري ونطلب منه أن ينعم بالخضرا وندفع له عوضها مهما أراد من الأموال والخيول الجياد والا ساءت أحوالنا وانشغل بالنا فقال الأمير حسن دبر يا أبا زيد برأيك الحسن وركبوا وساروا في الحال حتي أشرفوا على تلك الاطلال فالتقاهم الامير دياب بالاكرام والترحاب وأولم الولائم وقال أهلا وسهلا بالسادات الاكارم وبعد أن جلسوا قليلا التفت الامير حسن الى دياب ابن غانم ، وقال له لي عندك حاجة أريد أن تقضيها وتبلغ أمانيها ثم أشار يخاطبه بهذه الابيات أمام الامراء والسادات :

قال الفتى حسن الهلالي ابو علي ... يا أمير زغبي افتهم أعلامي
أتانا من الماضي كتاب يقول به ... سلام ومن بعد السلام كلام
يقول اريد خضرة دياب الغانم ... أمير بني زغبـه أبو غنام
أتينا اليـكم يا أمير جمعنا ... ومن يقصد الاجواد لا ينضام
ألا يا دياب خذ خيولي جميعهم ... وبوشي ومالي يا فتى وغنام
وخذ لك بنتي يا أمير حليـلة ... واسترنا يا ابن خير وكرام
مقال الفتى حسن الامير أبو علي ... اني دخيـلك يا ابو غنام

(قال الراوي) فلما فرغ حسن من كلامه ، وفهم دياب فحوى قصده ومرامه قال محضور السادات يا أمير حسن كل شيء عندي في قبضة يدك الا الخضرة ما فيهـا تفريط لأن روحي وروحها سوا ثم ان دياب أشار الى حسن يقول :

قال الفتى الزغبي دياب الغانم ... أنا صاحب الجودات والاكرام
يا ابو علي اطلب موالي جميعها ... واطلب لبوشي يا حسن وسوام
واطلب بناتي وعبيد وابلنا ... واطلب الي موسى مع غنام
أما خضرتي فلا تذكروهـا ... وليس بها دستور يا ضرغام
انا رابط لخضرة حوت مرادي ... وحافظها من كل قرم همام
وقيدين فيها ليس من دقيقة ... ومفتحها عندي بغير اوهام
بيدي رعاها بحق نفيسة ... وأطعمها خبز القـديد دوام
وأسقيها ابن لقاح على اسمي ... وأفرش لها فرش الحرير تنام
ربيتها مهرة صغيرة تحيا ... الى ما بقت فرس عديل تمام

وعلمتها طبعى تعلمت طبعها   وفيها خصائل يا أمير بهام
إذا نمت فى أرض الفلاة مع الخلا   وكنت فريد فى البر والآكام
تضل على راسى يا أمير واقفة   وتنظر لنحو البر يا درغام
إذا نظرت الزوال تضرب بيدها   وتندهى سريعا أقز قوام
وإن كان ترميني وأعود مشولح   توقف بجنبي ما تريد هزام
وعند ما أركبها أنال مطالبي   شبهتها بالبر طير حمام
فوالله لو جابوا العرب كل خيلهم   وأموالهم من نجد لأرض الشام
فما ينظروا الخضرة يا أمير نظرة   لو ملكت الدنيا ياسر تمام
ولا الماضى فارس ولامن رجالها   ولا هو يشابه لابو غنام
مقال الفتي الزغبي دياب الغانم   واقصر عنا يا امير كلام

فلما فرغ دياب من كلامه التفت اليه خاله القاضي بدير وقال له هتكتنا لامارة وكيف بجوا الي عندك وما تقضي غرضهم فقال دياب ياخالى ان الخضرا أعز على من البنين والبنات فخذ عوضها مهما تريد من الخيول السوابق لانى لا أعطيها ولو اجتمعت على كل الخلائق فاغتاظ حسن من هذا المقال وعول على الرجوع الي بنى هلال فمنعه الامير غانم عن الرجوع واضافه عنده بمن معه من الجموع وذبح لهم الاغنام واكرمهم غاية الاكرام وفى ثانى الايام دخل على ابنه الامير دياب وعاتبه أشد عتاب وغلظ عليه فى الخطاب وأمره أن يعطيهم الخضره رغما عنه وجبرا فاجابه الى ذلك المرام ولم يقدر يخالفه بالكلام ثم انه أسرج الخضره فى الحال وقادها الى الامير حسن وانشد وقال .

يقول الفتى الزغبي دياب الغانم   أنا صاحب الهمات يوم طراد
يابو على لست بخيل ولا ردى   ولا [illegible] من [illegible] [illegible]
ولكن جيتم ياأمير لنحوى   تريد لى بحضره [illegible] جواد
وما طاق قلبى يا أمير فرقتها   [illegible] حسن من [illegible] لاولاد
وقلت أنا ماهى عطية لبو علي   وليس [illegible] [illegible] [illegible]
ولكن سيرسلها لابن متروب   أنا احق فى [illegible] من [illegible]
وقدرك كبير عندنا يابو على   ونحن عبيدك [illegible] [illegible]
ترى المال ثم الابل يا ملك   الى حضرتك يابو على [illegible]
أنا تحت ظلك يامير بو على   فافعل [illegible] ما يفعل الاجواد

مقال الفتى الزغبي دياب الغانم روحي فدتكم والحشا وكباد

(قال الراوى) فلما فرغ الامير دياب من كلامه شكره الامير حسن على حسن اهتمامه واشار يجيبه بهذه الابيات على مسامع الامراء والسادات

قال الفتي حسن الامير أبو على اجاد الفتى الزغبي دياب اجاد
اجاد أبو وطفا دياب الغانم أمير على كل الاكابر ساد
فدونك مني يا أمير قبالها ثمانين فاطر تعجيب النقاد
وخذ لك ميتين بكره عديله وميتين درعا من شغل بغداد
وخذ لك ميتين عبد وعبدة ملاح المعانى عندنا تنقاد
وخذ ميتين حمل من الذهب وحملين عنبر ثم حمل زباد
وخذ لك بنتي يامير عطية ياابن قوم جيدين جواد
وانت عمرك ما بخلت بحاجة وانت دياب سيد الاسياد
يا ليت عمرك الف عام على المدا تعيش ولم تنظر ألم ونكاد
مقال الفتي حسن الهلالي ابو على أتانا أبو وطفا بلا ميعاد

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير حسن من هذا المقال قال له أبو زيد اكتب كتاب إلي الماضي وارسل له الخضره وفى الحال فكتب اليه يقول:

يقول الفتي حسن الهلالى أبو على فحاشا لمثلي أن يكون بخيل
أيا ماضي أرسلت الينا تقول لنا أريد أنا خضرة دياب عجيل
أرسلت لك خضرة دياب بسرجها والدرع والدبوس والتكميل
وما مثلها عند الملوك جميعها وليس لها عند الملوك مثيل
أيا ليتها يا ابن عمي مباركة فوكل عليها يا أمير وكيل
مقال الفتى حسن الهلالى ابو على تمنيت عمرك أن يكون طويل

فلما انتهى حسن من هذا الخطاب سلمه إلى النجاب وأمر أن يسير بالخضرة لعند الماضي ويعطيه الكتاب وبكي دياب علي فراقها وتقدم اليها وعانقها فأخذها النجاب وجد فى قطع الاراضى حتي وصل الى عند الماضى فقدم له الفرس وأعطاه الكتاب فلما قراه ورأى الخضرة تعجب من كرم الامير دياب ثم انه سلمها الى اثنا عشر سائس ووكل بها جماعة من الفوارس واجتمعت من حوله أكابر قومه وهنوه من نحو الخضره ونظروا اليها فرأوا لها نظير بين الخيل فقالوا له يا أمير ماضي هنيا لك بهذه الفرس الله يجعلها مباركة فقال لهم الماضى اركبوا الخيلكم ودعونا

نطلع على الصيد ونجرب فعلها فقالوا نعم الرأى ثم انهم ركبوا خيلهم والماضي شد على للخضرة وركبها وساروا الى أن وصلوا الى مكان الصيد فأطلقها الماضى مشوا وطلعت الخضره لقت الخيال ما هو خيالها وكانت تشيله من ظهرها أكثر من خمس أدرع فوق على الارض مثل عدن الخنة وتمت الخضره مشوارها الى أن أخذت حدها وعادت الي فوق راس الماضى ووقفت فوق راسه وصارت تهز برأسها هذا والماضى غشيان فلما أفاق من غشوته لقا الخضره واقفة فوق راسه فقام على حيله وقادها من رسنها وما قدر عاد ركبها وسار الى عند قومه فقالوا له كيف يا أمير فعل الخضرة أشار يحكي لهم ويقول :

قال الفتي الماضى بن مقرب ‏ ‏ الرجل لا يأمن هموم الدهرى
اسمع كلامى يا أمير وافتهم ‏ ‏ قد حرت يا ذا الوزير أمري
جئت ترى الخضرة فرحت بشوفها ‏ ‏ وانشرح مني الحشا والصدرى
وركبتها حتي أشوف لركبها ‏ ‏ طارت شبيه الضيغم الوكرى
وراحت كما لغزلان سدت بالفلا ‏ ‏ وقعت فوق الفلا عند العصر
غبت عن نفسي وحيلى انقطع ‏ ‏ وتكسرت جنبي من ظهرة
وزير مالى قلب اركب لها ‏ ‏ أخاف ترميني أزور القبر
وكيف يقواها دياب وعزمها ‏ ‏ شبهتها بالقلع وسط [illegible]
هذه ما تصلح أكون حيلها ‏ ‏ الله يعد [illegible] لأمير [illegible]
أن برسلها غداً لأهلها ‏ ‏ [illegible] وترعى طوع [illegible]
مادايكون شور عندك يا وزير ‏ ‏ [illegible] عمري

(قال الراوي) فلما فرغ الماضى من كلامه والوزير يسمع [illegible]
الوزير يا أمير ماضي [illegible] ما هي خضرة [illegible] من حيل خضر كثير يمكن [illegible] هذه خضرة [illegible] وقدم من بين الامارة [illegible] الخضره وفى فيها علامة [illegible] تكون [illegible] الا القديد [illegible] لا تشرب [illegible] ركبها توقف فوق [illegible] تضرب في [illegible] الارض [illegible] في رأسها حتى يقوم فان كان هذه الخصايل فيها تكون خضرة [illegible] وان كان هذه الخصايل ما فيها تكون ما هي الخضرة فقال [illegible] ضى حين خبرها [illegible] شعير

فجابوا شعر وحطوه فى مخلاية وحطوا المخلاية فى راسها فما أكلت منه فقال هاتوا القديد فجابوه وحطوه قدامها فأكلت منه حتي شبعت فقال هاتوا امية فجابوها وحطوا قدامها فما شربت فجابوا لبن الجمال شربت حتي ارتوت فقال هاتوا واربطوها قدامي فربطوها قدام منه فصارت تنام وتقوم ولا كانت تنام فقال هاتوا الخام فجابوا الخام ومدوه تحتها فما كانت تنام فقال هاتوا فراش الحرير فجابوه ومدوه تحتها فنامت الخضرة ومدت كل أجر من ناحية فقالوا هذه خضرة دياب بن غانم بعينها فقال الماضي يا قوم دياب ما أعطا فرسه الا غصب عنه من حسن ونخاف تقع بينهم عداوة ونكون نحن سببها فبينما هم بالكلام واذ بنجاب مقبل من صدر البر وهو قاصد الماضي ولم يزل حتي وصل الى باب صيوانه فحول على باب الصيوان وسلمه كتابا وتمثل بين يديه ففتحه الماضي وقراه أمام السادات والعمد واذا به من عند شكر الشريف بن هاشم زوج الجازية أم محمد يتضمن على سلام وافر وشوق متكاثر ومن أعجب ما تضمنه وحواه هو تنازله عن الجازية وتقديمها له لتكون من جملة نساه وكان السبب الذي أوجب الى ذلك الامر المستغرب الذي لم يسمع مثله فى العجم والعرب هو أن بنى هلال عند وصولهم الى مدينة الشام وحروبها مع شبيب التبعي كما سبق الكلام كانت الجازية أرسلت بعلها المشار اليه كتابا تسلم عليه وتعلمه عن مسيرهم الى بلاد المغرب وانهم سيجتازون فى طريقهم على الامير الماضي ابن مقرب وانه لا بد ان ترجع اليه وتراه فلما اطلع زوجها على هذا التحرير وقراه وعرف حقيقة محتواه أوجبه الحال أن يكتب للماضى ذلك المكتوب لأنه كان يحبه ويود قربه فتنازل له عن زوجته نظراً لفرط مودته وأرسل به أيضا صورة الكتاب على سبيل العهد والميثاق وهذه صورته

قال الفتى شكر الشريف ابن هاشم ‏ ‏ ‏ ولي قلب ومن وسط الحشا موجوع
وعيني لا تنام ولا تألف الكرى ‏ ‏ ‏ جري دمعها فوق الخدود ينبوع
رخصت حرير مشتري حبها ‏ ‏ ‏ واحط لي فى وسطهن قلوع
وهذه مسيرت من كتبي بيدي ‏ ‏ ‏ وأبكي على فقد الحبيب دموع
مليح سبا قلبي وروحي ومهجتي ‏ ‏ ‏ وأصبح قلبي والحشا مصدوع
[illegible] تغدى على [illegible] ‏ ‏ ‏ [illegible] سري فى [illegible] وربوع
إذا جئت الى الماضي بن مقرب ‏ ‏ ‏ فاعطيه مكتوبي وكون خضوع
أمير الملا سلطان كل بلاده ‏ ‏ ‏ ومقرى اليتامى فى سنين الجوع

أيا ماضي جاك العرب من بلادنا   وأنت تراهم سائرين نجوع
عرب ان احتاجوا اليك تخاضعوا   وإذا استغنوا ما ينفعوك ندوع
فيهم فتاة الجازية أم محمد   عليها ثياب الطيلسان لموع
إذا خيط الخياط وضيق ثوبها   تقول يا خياط زيد وسوع
أرسلت لك يا ابن مقرب حليلتى   يا صاحب الصيوان العالى الرفوع
يا زخرة المحتاج ان قل ماله   يا حاكما علي بلدانه وجموع
أهديها لك فاتخذها زوجة   وادخل عليها لا تكون جزوع
فهذه تكون منى اليك عطيـــة   وهى تحت تصريفي فلا تمنوع
وان عصوا فلم عليهم يا أمير جموعك   وجرد عليهم فى كثير جموع
نعم هكذا قال الشريف بن هاشم   سلامى عليكم ثم كل جموع

فلما فرغ الماضى من قراءة الكتاب وهم الحاضرون محتواه من الخطاب اعتراهم العجب وأخذهم الطرب وقالوا وحق علام الغيوب لقد جاء هذا الكتاب صدق المرغوب لانه قط لم يخطر فى بال أحد بأن شكر الشريف يتنازل عن الجازية أم محمد فاتفق رأي الجمهور بوجه الاجماع على أن الماضى يرسل الخضرة لبنى هلال ويعلمهم بواقعة الحال ويطلب منهم ارسال الجازية بدون امهال فاستصوب الماضى هذا القرار وأيقن ببلوغ الاوطار وكتب الى الأمير حسن [illegible] وأرسل الخضرا وطلب منه الجازية أم محمد وهذه صورة الكتاب وما تضمنه من الخطاب .

يقول الماضي ابن مقرب   بدمع جري فوق الخدود [illegible]
ياليت عمرك ألف عام على المدا   [illegible] وتحير ولا [illegible]
أرسلت لك حضرة [illegible]   وأنت فيها [illegible] حيد
وسامح [illegible] جرابها   ولكن قلبه فيه كثير [illegible]
تورث العداوة يا أمير وغصه   وتجرى [illegible]
أن قصرت نشر وحلف بمكه   وقضيت [illegible]
ونحن نعرف يا أمير [illegible]   وكم [illegible]
وأنت نعم [illegible] على [illegible]   [illegible]
أريد [illegible] جازية أم محمد   وهي [illegible]
وخذ لك مني ميت حرة [illegible]   وميت حصان [illegible]

وميت حمل حرير من صنعة اليمن ... وميت حمل من عمل بغداد
وميت عبد يا أمير وعبـدة ... وميتين سرية من الاعباد
وميتين مملوك من الترك أصلهم ... والفين سيف صنعة الهناد
وألفين حربة صنعة أبو جباره ... مركبة يا أمير على أعماد
وميتين درع يا أمير وخوذة ... وألفين دبوس من البولاد
وخذ لك ثمانين ألف من الدراهم ... ذهب مصرى يعب النقاد
مقال الفتى الماضى بن مقرب ... وأنت لنا يا أبو على اسـناد

(قال الراوي) فلما فرغ الماضى من هذا الخطاب طواه وأعطاه الى النجاب وسلمه الخضرة فرس الامير دياب وأمر أن يسير بها الى عند الامير حسن ويأتيه بالجواب فامتثل وسار وجد فى قطع القفار حتى وصل الى عند بني هلال قبل الزوال فدخل على الأمير حسن وسلمه الكتاب وطلب منه الجواب واتفق بالأمر المقدر أن الامير دياب كان حاضر فى ذلك المحضر فلما فتح الكتاب وقراه قال الحمد لله وقد زال العنا والكرب وقد حصلنا على بلوغ الأرب ثم التفت إلي الامير دياب وقال له أمام الامراء والاعيان هافرسك قد رجعت اليك فقم وخذها بأمان واشكر الاله الرحمن علي هذا الجميل والاحسان فقال دياب انني ماوهبت قط حاجة فى حياتى وعدت استرجعتها الي أبياتى فابقيها لك واجعلها من جملة خيولك فقال هذا لا يكون كثر الله خيرك وأنت صاحب المعروف وأحق بها من غيرك فعند ذلك أخذها دياب وسار وهو فى غاية الفرح والاستبشار وبعد ذهاب الامير دياب استدعى الأمير حسن بأخته الجازية اليه فأتت ودخلت عليه وقبلت راسه وبين عينيه وقالت له ماذا تريد أيها الملك السعيد وأخبرها كيف أرسل الماضي يطلبها ومراده يتزوج بها فلما سمعت هـذا الخطاب غابت عن الصواب وقالت كيف يتم هذا الامر وبعلي هو شكر الشريف وأبو أولادى محمد وعمر ثم أنشدت تقول :

تقول فتاة الحى الجازية أم محمد ... بدمع جرى فوق الخدود بداد
ألا يا أخى استمع شرح قصتي ... واسمع لقولى ولا تزيد عناد
ترى الحرمة ما تحت اثنين يا فتي ... بأى مذاهب حل وبأى اسناد
أنا بعلي شكر الشريف بن هاشم ... سلطان مكة من أب وجداد
وفارقت أولادى بغير ارادتى ... وطاوعتك ما كان لي يمراد

وما فرقة الاولاد الا مصيبة　　فما يدخل عيني قط سهادي
وماشفت عمري من شكر قط نكبة　　كلاما مغلط ثم زود عناد
وما طلقني حتى أريد بداله　　وصار بقلبي لهيب ووقاد
فوالله لست للشريف رايدة　　ولكن ترى لى عنده أولاد
مقال فتاة الجازية أم محمد　　وهكذا حكم ربي على عاد

(قال الراوي) فلما فرغت الجازية من كلامها وفهم الامير حسن وأبو زيد فحوى شعرها ونظامها كتب الامير حسن هذا المكتوب يعتذر للماضى عن تقديم المطلوب .

قال الفتى حسن الامير أبو علي　　أضحيت من كثر الهموم مقلقا
كنا بخير وفي سرور وفي هنا　　لما بجينا الضيف نفرح باللقا
أمر جري فيما جرى ياماجرى　　ياامير ماضي جا كتابك واللقا
طالعته وفهمت كل رموزه　　ان المقدر من الاله الخالقا
ان كنت طالب للزواج بلاخفا　　فبنتنا مثل البدور المشرقا
يا أمير خذ ما تريد وتشتهى　　لكن أختي للشريف معلقه
ولها ثلاث أولاد عنده ياملك　　ما هي لك يا ماضي حقيق مطلقة
لولا ذلك كنت تحظى بقربها　　وتجيك في هودج وتفرح باللقا
قول الفتى حسن الهلالي ابو علي　　لست هزيلا بل رجل مزرقا

(قال الراوي فلما انتهى الامير حسن من هذا الخطاب سلمه الى النجاب ليأخذه الى الماضي ويأتيه بالجواب فامتثل وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى الماضي فأعطاه الكتاب وطلب منه الجواب فلما قراه وعرف معناه كتب الى الامير حسن بذلك الصدد وكيف ان شكر الشريف قد تمنع من تجاوزه أم محمد ثم أرسل ذلك التعريف مع الرسول الذى حضر من عند شكر الشريف فلما وصل اليه دخل وسلم عليه وكان جالسا في الديوان وعنده جماعة من الامراء والاعيان وكانت الجازية ايضا من جملة الحاضرين في ذلك المكان فلما فتح حسن الكتاب وقراه وعرف رموزه ومعناه تعجب وانبهر من ذلك الخبر ومدى ذلك الخطر في فكر بشر ثم التفت الى النجاب النديم وقال له كيف احوال شكر الشريف ابن هاشم فقال الحمد لله بخير وعافية وهو يهديكم جزيل الاشواق الوافية فعند ذلك خبر الحاضرين بذلك التعريف وما كتبه الى الماضى شكر الشريف فلما

اطلعت الجازية على هذا الحال اعتراها الانذهال وخرجت عن دائرة الاعتدال وقالت هذا لا يكون أبدا ولو شربت كاس الرداء "فقال" لها أبو زيد انه من الصواب يابنت الكرام أن نرسلك إلى الماضي بكل احتفال واكرام لأن له علينا جميل واحسان ولا سيما أن زوجك قد رخص له بهذا الشأن فمتى صرت عنده حاوليه بامر الزواج وانا اخلصك من هذه القضية وتذهبين معنا الى الغرب بالسوية وهكذا انقضت الاشغال وتمت الأحوال واغتسلت الجازية بالاطياب ولبست احسن الثياب وكانت كما تقدم الخبر بديعة المنظر تزهو كالقمر فازداد حسنها عن الأول لما تزينت بافخر الحلل ولبست الجواهر التي تزهل البصائر ثم ركبت فى هودجها بجماعة من البنات والنسوان وركب معها ايضا الامير حسن وعدة من الفرسان وجدوا فى قطع الأراضى طالبين الماضي وارسلوا نجاب يعلمه بقدوم الجازية والامير حسن عليه فاخذ الكتاب النجاب وسار وجد في قطع القفار حتي وصل الي عند الماضي فاعطاه اياه فلما فتحه وقراه زادت افراحه وكثر انشراحه وايقن بلقا الحبيب في وقت قريب وامر احد وزرائه العمدان "يركب بالعساكر والعدد يلاقى الامير حسن والجازية الي خارج البلد فركب فى الحال بثلاثة آلاف من الابطال وسار يقطع الفلوات بالأغانى وسماع الاصوات وسارت معه ايضا جماعة من البنات والنسوان الذين لهم قدر وشان فكانت النساء تدق بالدفوف والمزاهر والابطال تلعب بالرماح والسيوف البواتر الي ان التقوا ببعضهم البعض فى تلك الارض فزادت بينهم الافراح وجدوا فى قطع البطاح حتي دخلوا البلد نصف النهار وكان يوما يستحق الاعتبار ولم يسمع مثله فى سالف الاعصار وكان الماضى قد زين القصر بانواع الحرير والقماش الفاخر وعند وصولهم استقبلهم احسن استقبال واحتفلهم اعظم احتفال واجلس الامير حسن فى صدر المقام وجلست من حواليه الامراء الفخام ونزلت العروس عند حريمه وهي فى تعظيم وتكريم ثم دارت الحلويات وكاسات الشرب على مائدة الامراء والسادات وبعد ذلك حضرت سفرة الطعام وفيها من جميع انواع المحمرات كالخضر والدجاج والحمام وبعدان اكلوا وشربوا ولذوا وطربوا شغلت النوبات ورقصت النساء والبنات وغنت المغنيات بانواع الاصوات فكانت ليلة لم يسمع بمثلها ولم يفعل احد كشكلها واستمر الحال على

هذا المنوال والقوم في فرح وسرور وغبطة وحبور مدة ثلاثة ايام على الكمال والتمام

واتفق في اليوم الرابع استأذن الامير حسن من الماضي بن مقرب بالمسير إلى بلاد المغرب فقال الماضي من الصواب أيها الملك المهاب تقيم عنـــدي في هذه الاطلال فبلادي واسعة وكثيرة المراعي والاوفق أن نبقى معا ثم أجابه بهذه الأبيات بحضور الامراء والسادات :

يقول الفتى الماضي بن مقرب يا بو علي مالي أراك ضجور
أراك تريد السير ياأمير ابو علي فاسمع كلامي يا أمير وشور
ابقي عنـدي بالصعيد وأرضها واسكن مدائنهـا وكل قصور
واعمل بها سـلطان يا أمير الملا وأنا وزيرك في البــلاد أدور
آتيك بأموال من كل جانب وتبلغ مناك وما تشوف كدور
فوالله ما عاد لي قلب يفارقك حتى أموت وأبقى بالسرا مقبور

(قال الراوي) فلما فرغ الماضي من كلامه شكره حسن على حسن اهتمامه وأشار يقول وعمر السامعين يطول :

قال الفتى حسن الهلالي ابو علي وحولي عساكر مثل موج بحور
فبلادك وســيعة يا امير زهية وفيهـا فواكه زاهية وزهور
ولكن لانحمس ظعون سـلامه وأيضا ضعن دياب ست شهور
فلا بد عن سوق الظعون مغرب وعملك مدائنها وكل قصور
ونخرج مرعي ويحيي ويونس من حبسهم ويحظو بعد اعنا بسرور
لنـا عندكم يا أمير ميتين ليـلة ذبحت بها يا أمير الف جزور
فابقى بخـــير يا أمير بنعمة تنال بها الافراح وكل سرور
مقال الفتى حسن الهلالي ابو علي واني على جور الزمان صبور

(قال الراوي) فلما انتهى حسن من هذا الشعر ولا شاد وعرف الماضي بأن لابد لهم من المسير إلى تلك البلاد بكى بدمع كالمطر من شدة ما جرى عليه من القلق والكدر ودعى لهم بالتوفيق وبلوغ الوطر

ولما صممت بنو هلال على الذهاب والرحيل حملت الجارية تبكي بدمع جزيل لأنه لم يكن لها صبر ولا سلوان عن فراقهم ساعة من الزمان فلما زاد

عليها الحال واكثرت من النحيب والاعوال انزعج الماضي من تلك القضية
وسمح لهم بالذهاب معهم إلي الديار الغربية ففرح بذلك الامير حسن وحالا أمر
الفرسان بالركوب وركبت الفرسان ظهور الخيول وساروا قاصدين بلاد المغرب
وتلك الديار فعند ذلك ركب بالفرسان وسار بصحبتهم مسافة ثلاثة أيام
ومن ثم حلف عليه حسن بالرجوع فترجلت حينئذ جميع الفرسان وودعوا بعضهم
بعض فدعي لهم الماضي بالتوفيق والانتصار وسارت بنو هلال لبلاد تونس
لخلاص مرعى ويحي ويونس

﴿ انتهى الجزء الخامس عشر ويليه الجزء السادس عشر ﴾

الجزء السادس عشر من

تغريبة بني هلال الكبرى

الشامية الأصلية

ديوان الزناتي خليفة

وما جرى له مع أمراء بني هلال من الحروب والاهوال التي تشيب رؤوس الأطفال على التمام والكمال

(قال الراوي) وما زالت بنى هلال تقطع السهول والبوادي ، من بعد رحيلهم من عند الماضي حتي وصلوا إلى بلاد الغرب ودخلوها ونزلوا في واد يقال له وادى الرشاش وكان ذلك الوادى بين جبلين واحد عن اليمين وثانى عن اليسار فلما نزلوا بني هلال في ذلك الوادي سدره من جبل الى جبل وكانت الوحوش تخفى منهم وكان الزناتى له ابن أخت يقال له العلام بن غضبيه فالتفت إلى الزناتى وقال له يا علام أخرج للصيد واتنا بما تقتنص فأجابه سمعا وطاعة وقام العلام وركب وأخذ جماعته ومعهم الكلاب والصقورة وطلع على الصيد فما مشوا إلا قليلا ووجدا الوحوش من كل جنس بين أرجلهم فاصطادوا حتي حملوا خيلهم ورجع هو ومن معه إلي عند الزناتى فلما دخل العلام ومن معه والقوا الصيد أمام الزناتى قال له يا علام ما هذا أنا أرى خير لأن ما جاب هذا الصيد إلا العجائب فقال العلام وأنا أقول أن ذلك العبد الذى حبست رفاقه راح وجاب لنا البلا وعند ذلك أنشا العلام يقول :

يقول الفتي العلام ولد قضيه الأيام والدنيا تسبب عجائب
نيران قلبي كل ما أقول تنطفي يهب لها جوا ضلوعى لهايب
حكمنا بلاد الغرب فى السيف التفت وطاعت لدينا الغرب وأهل الحدايب
وشبابنا تسرح للصيد والقنص يصيدون أولاد الوحوش القصايب
مرة نصيد اثنين ومرة ثلاثة وفى بعض مرات ترى الصيد غايب

وكنا نصيد الوحوش من واسع الفلا صرنا نصيد اليوم جوا المخارب
رأينا وحوشا تذل العقل يا ملك تدعى لعقل الناس يا أمير ذاهب
جتنا وحوشا ما حصينا عدادهم جتنا ذرافات الهوا والمراتب
أجا الثعلب والنمس والدب جملة والذيب املا ارضنا والجنايب
وسبع الذى كان مأواه الفلا سكن عندنا اليوم جوا المخارب
فانا وجدنا الصيد بالقرب يا ملك كثيرا وأجناس الوحوش غرايب
فمنها كالتمساح يزحف عالثري وذيله على الارض ساحب سحايب
ومنها مثل القط والنمر مثله براتيمه ترتع فوق المخالب
ومنها مثل الطور بقرون لاوى يسما أبو الفرمند راخى الشوارب
ومنها كما الانسان شبه ابن آدم بدينين بعينين بأربع حواجب
ومنها مثل الغول يا ناس واكبر وذيله على ظهره شبه الذوائب
ومنها مثل الضبع فى لون أصفر وخشمه ثلاث أشبار على الأرض ساحب
ومنها مثل الفار يدعى مقشمر فتغدى وحوش البر منه هرايب
والوحش املا أرضنا وأوطاننا وعدنا نصيد جوا الخرايب
يا أبو سعدا لا تفرحوا بهذا كله ما جاب هذا الوحش إلا العجائب
فلابد أن قوما أتت لبلادنا إلي حد بحر النيل جتنا نشايب
أخاف من ذاك انه راح وارتجع وجاب قروما جاءت الينا تحارب
لاجل رفقاه الذين حبستهم جتنا ملوك الشرق لارض المغارب
ما قال الفتى علام ولد غضيه لا بد ما تجري أمورا صعايب

ولما فرغ العلام من كلامه والزناتي يسمع نظامه عاد فى حساب وأمور صعاب ثم انه فك الديوان وكل من طلب محله والاوطان والزناتى نام فرأى فى منامه ولذيذ أحلامه أن أتته عربان مثل الخان ولهم سلطان كبير الشان ومعهم العبد الذى أتى إلى عنده وراح وخلى رفاقه وشاف فارس أشقر مثل السبع الغضنفر اسمه اسم الذيب وقضى العرب فى حكمه وملكوه بلاده وقتل أجناده فقام من منامه طايش العقل واستعوذ من شيطان ورجع من بابه هذا المنام واستدعى بابن عمه العلام وذكر له فسر رأيت منه فقال العلام ما يكون فأشار الزناتى يقول

يقول أبو سعدا الزناتى خليفة أنا صبحت يا أجواد كما الكسوف
أنا كنت من رغد سلطانا من الدنيا وحكمى على كل البلاد يطوف
ان شاء رب العرش اهلاك صائعة يسلط عليها طاغيا وعروف

ويمهلهم حتى يضلوا ويكفروا　　وأرواحهم منهم تروح ألوف
علام يا ابن العم فسر منامنا　　أنا أصبحت من هذا المنام رجوف
رأيت أنا عربانا أتت لبلادنا　　فغطوا الاراضى سهلها وحروف
وأما ملكهم كالأسد فوق ضامر　　حوله جمع كما الجراد زحوف
وقد جاء معهم العبد كالأسد　　قدامهم والقلب ليس مخوف
ومعهم فتى رأيته فوق خضرة　　واسمه على اسم الوحوش موصوف
تكاونت أنا وإياه فى حومة الوغى　　وهو ذهب وأنا قدامه كخروف
وقلت له خذ ملكنا مع بلادنا　　وانا لك على طول الزمان سعوف
فقد شاوروا أبو زيد أن يطيع له　　وجانى على غفلة وهو ملهوف
وقال وحق البيت والركن والصفا　　وحق الذي ليه العباد تطوف
لابد لى عنك يا زناتى خليفة　　أسقيك ضرب المرهفات سيوف
هذا رأيته فى المنام وراعنى　　واصبحت منه مختشى ملهوف
عسى أن يكون هذا المنام لغيرنا　　يناديكم بالعابين زحوف
يقول الزناتى والزناتي خليفه　　فسر منامي يا أمير وشوف

فلما فرغ الزناتى من كلامه والعلام يسمع نظامه استحضر الرمل وحطه قدامه وحرر الاشكال على شرح البال وولد البنات من بطون الامهات فبان عنده أهوال وضرب رماح ونصال من عرب كالرمال وفيهم كل أمير يكثر الجيش الكثير فقال :

يقول لفتي العلام وله غضبه　　لقد بان عندى يا أمير حروف
كلاما صحيحا ما به قط ريبه　　وعلما صحيحا ما به مكلوف
وهذا عربان الهلالى أبو على　　عليهم الذهب وهم عقسين دفوف
وهذا ملكهم ابن سرحان يا ملك　　امير ابن امير سيد معروف

فلما كمل العلام كلامه والزناتي يسمع نظامه فعند الزناتى فى هم وتنكيد وندا لهصيص قد أقبل واخوانه بصحبته وقام الزناتى ومن فى المقام لملاقته واستقبله وانزله فى أعز مقام ثم جلسوا على الطعام وأخذوا يتفاوضون بالكلام فقال لهصيص يا اخوان مالى أراكم متغيرين الاحوال فأخبره الزناتى بما حلمه من الاهوال فقال وانا حلمت بمثل ذلك وأشار يقول :

مناما حلمت بآخر الليل راعني　　بنارين من حولي تزيد لهيب

وقد أحرقت ذيلي وهبت بأرضنا   وصارت تحرق كل أرض خصيب
وقد أحرقت شجر النخل وغيره   وعاد لها بالقيروان ديب
ومن بعدها قد راعني ديب ابيض   فما مثله بين الكوامر ديب
ومن بعدها قد شفت فارس احمر   تحاربت انا واياه حرب صعيب
ضربني رماني عالوطا يا زناتي   وراح جوادى من وراى جنيب
فما هذا الديب الذى قد رأيته   وما لنا من اهل مربع هريب

فلما فرغ المصيص من كلامه والزناتي يسمع نظامه فعاد في حساب وامور صعاب من هذا الاعراب ، وكان حاضر رجل اسمه سليمان خبير في طرق واراضى تلك البلدان ، فقال له يا سليمان اذهب واكشف لنا هؤلاء العرب واتنا بالخبر عن حقيقة امرهم وان فعلت يكون لك عندنا جزيل الاحسان ورفعة الشان فأجاب سمعا وطاعة وركب جواد وخرج من تلك لساعة ومازال يقطع الفيافي والاوعار والمعامع والاقفار حتي وصل الي وادى الرشاش فوجدهم قد كسوا تلك الارض فتخيل له يوم العرض وراياتهم تخفق بين الوف بيوتهم كالبحر الزاخر ولا ينظر لها اول من آخر فسأل عن بيت امير العربان فأرشدوه فدخل على الصيوان فرآه مثل زهر البستان وصاحبه الامير حسن يترحب في كل من جاء ويودع من ذهب وادهشه كرم بن سرحان وما رأى في بيت القاضى من الاموال فعاد الي اهله الى ان وصل فدخل على الزناتى وسلم عليه وتمثل بين يديه فقال الزناتي ياسليمان سمعنا عما خرجت اليه فأنشد يقول :

يقول الفتى سليمان عما جرى له   ارى الهول يا اجواد من ذو القبائل
والهول تم الهول من كثر جمعهم   جموعا انت مثل حمل الرمايل
الا فاسمعوا لى يا ملوك بما جرى   انا جيتكم يا عزوتى بالزعايل
حضرت الى وادى الرشاش وارضها   نظرت لقوم كأنهم بحر جايل
يقولون معهم مية الف مدرع   وميتين الف ناقلين الزوايل
وميتين الف بالصوارم وللقنا   عليهم من الحشمة لبس الكوايل
وتنظر لي وادى الرشاش عند المسا   لها ضوء زاهر مثل وقد المشاعل
وخيمة ملكهم مية ذرع علوها   على ضوءها تلفي جميع القبايل
وفيهم قروم يقطع القلب حسها   كما موج بحر في تواليه جايل
قالوا اتوا من نجد و قصى بلادها   قد جابهم منها شديد المحايل
هطالبون الغرب والخصب ولصفا   الى ارض فيها البر والخير حاصل

وقالوا لنا أولادنا عند خليفة ... بالحبس أولاد الملوك الاصايل
ونحن قد جينا نخلص أولادنا ... من تونس جينا اليها نوازل
قد طلب الفرسان مصر موالهم ... فقاموا اليه بالقنا والسقايل
ومنهم قلع أبو زيد الف قلعة ... وخلادما الابطال على الارض سايل
ونزلوا بأرض الماضي ابن مقرب ... قدم لهم خيرات عادت جزايل
ورحلوا من أرض الصعيد لاجلنا ... وهذا خبر تحقيق ما فيه زلايل
لملم بلاد الغرب واجمع ملوكها ... وميلوا عليهم شللوهم شلايل
تعالوا اليهم بالظلام وا كبسوهم ... وخذوا جميع موالهم والحلايل
لان معاهم كنتب ادلهج نواظري ... ومعهم زينات ملاح النفايل
أبعث ورا كل القروم جميعها ... على الحرب يتيهوا لضرب النصايل
وفرق سلاحك على الرجال جملة ... وحافظ بلادك ثم قيم المحافل
أنا اوصيك يا هصيص بالحرب والقنا ... وحضر قومك لا يكونوا غوافل

فلما فرغ سليمان من كلامه والزناتي واخوه يسمعون نظمه فصاروا فى حساب وافكار صعاب وتغيرت من الزناتي الالوان وعاد في بلاء واحزان من هؤلاء العربان ، فقال له الهصيص علامك يا اخى تغير لونك وارتعب كونك وانت سلطان هذه البلاد وتحكم على فوارس واجناد وتحت يدك اربعة وعشرين اميرا وكل امير يحكم علي مية الف عنان ، فقال الزناتى اكتب يا اخى الى ملوك بلادنا فاستدعى الهصيص بقلم وقرطاس واشار يكتب الي ملوك بلادهم ويقول :

يقول الفتى الهصيص قام الحرب ... ولنصر بالله والسيوف الخدب
يا حاضرين اسمعوا ثم انهضوا ... قوموا وسيروا لبلاد الغرب
وانت يا علام روح الاندلس ... ايالك تحكى او تنادي بكسبي
وانت يا منصور روح لفارس ... هات لي الابطال هم من صحبي
وانت يا زيتون روح لقاعة ... قول لهم يا قوم ابوكم دكى
وانت يا غضروف روح لناسه ... حتي يقفوا كلهم بالدرب
وانت يا درعام روح لمغيره ... ايضا بلاد الكرج قوم نجب
وانت يا هدار روح للمندرة ... وارض زيلاني يجونا لقربى
وانت يا شمعوز روح لاكره ... وقول لهم القوم عادت قربى
وانت ياطلهام روح لباجه ... وقول لهم اسرعوا جري النجب

وانت ياعماد روح لاغمداس   ولجيل ولديرم ابن المعي
وانت ياجفال روح لسكرة   مثل المبوب وقول لهم ياعصبي
وانت ياارداح روح لفتراة   للمبر وسلمان الغربي
وانت يافراج روح وانهض   ونادي لكركر ثم بلادي العنب
وانت يا عجاج روح لثغرب   لارض مركاش ثم ارض السلب
وانت يا بلهيس روح لتورس   الى ارض مفرق ثم ارض القصب
وانت يا حماد روح وبادر   لأرض مكناس وبلاد الشهب
وانت يابولاد روح لخربة   ودور كل ديرة المنتهي
وانت يا شداد روح لقابس   دعهم يقيموا عند باب الدرب
وانت يا عبود روح لمن يجى   ونادي بأعلا الصوت جاكم كربي
وانت يا حماد روح مقصد   واركب جوادك لبلاد الهدبي
وانت يا سلمان اظهر للخبر   فى قيروان وقابس والغربي
واظهر الاخبار باعلا صوتك   فى الجهر أيام العلا تغي
قوموا بنا ميتين الف مدرع   مع ماية الف بالسيوف الحدب
نكد عليهم بالظلام جميعنا   بالمرهفات الماضيات القضب
يا امير قومك يتتخون بحبهم   يا ما يذوقوا من حروب صعب
الحرب ساعة والثبات شجاعة   من ذلة راحت روحة بالكئب
ان الشجاعة للرجال غنيمة   والذل يصبح للنسا والعجب
الحروب تريد قلب ثابت   مثل العقاب على الطيور النعب
يا اهل قابس ارغبوا فى كبسهم   انتم جميعا كلكم مع حزبي
لنصر الله والسيوف مع لقنا   والخيل والتبان عندى تسبى
قال الفتى هصيص كونوا على حضر   وانذالكم يا حاضر بن نتغربي

فلما فرغ الهصيص من كلامه والزناتي يسمع نظامه فبعث الزناتي الى جميع الامراء وعلمهم فى هؤلاء العرب الذي مثل الجراد ورجع الكلام الي لهصيص فركب هو والعلام وجرد وترم نحو ثلاثمائة الف وقال لي اخيه ابقى مكانك وانا اريح افكارك وكن م جب فرعه ارسلهم حتى ماتخلي العرب تدخل جدارنا وصار الهصيص فى القوم وفى ايام ثلاثة قد وصلوا الى وادي ارشاش فقال الهصيص الى ابن عمه العلام روح قدامنا بألف فارس واكشف لنا العرب اين

نازلين فأخذ العلام الف فارس والسار قليلا وإذا مقبل عليهم فرسان مثل الجراد الزحاف وكان عقد القوم أبو زيد ومعه من الامارة الخفاجي عامر وزيدان بن غانم فلما نظر الامير أبو زيد إلى ذلك القوم قال إلى رفاقه احترسوا من هؤلاء الابطال هذا العلام ابن عم الزناتي فوصلوا إلى بعض ووقعت العين على العين ونزل العلام للميدان وعرض ومان وسقط اليه أبو زيد مثل سبع الحردان فقال له العلام من تكون من الفرسان حتى جيت إلى هذه الاوطان انت عبد المحابيس المردان قال نعم هو يا جبان فقال له أين المال قال أبو زيد أنا معي الف والباقون خلف وأنا أبو زيد الهمام ولما تحقق العلام هذا الكلام صار الضيا في عينيه ظلام وأشار يقول :

يقول الفتى العلام يا عبد مالك	عدمت عقالك كنت تقول كاذب
فلا بد انى اليوم أشيل لراسك	ماجيتني ذا اليوم بالقوم ضارب
يا عبد يا زربون ما أكثر كلامك	سيدك يحيي شب وانت تحارب
والله لولا لعيب طيرت راسك	وخليت دمك على الارض ساكب
ومن انت تخرب الارض يا ردى	يا اللون أسود وهن انت غايب
ترى الغرب تحميه سباع كواسر	مذخرة للحرب يوم الكرايب
أولهم العلام ولد غضية	وثانيهم الهصيص كشف الغرايب
أما خليفة حاكم الارض كلها	وحوى المغارب من جميع المغارب
مقال الفتى العلا ولد غيضة	لا بد ما أسقيك كاس العصايب

فأجاب أبو زيد يرد عليه ويقول وعمر السامعين يطول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه	الايام والدنيا تسوى العجايب
الايام والدنيا كفى الله شرها	تدعيك شيء بعدما كنت راكب
أنا عبد للضيفان وهم بمنزلى	أضيفهم من غاليات الحبايب
فتحسب انى عبد ما تعلم انني	مقدم تسعين الف والقوم راكب
أما حسن سلطاننا وأميرنا	له منسب عالى حسب وركايب
أما بدير قاضى البدو كلها	يقدم على الفرسان من كل جانب
وفينا فتى يسمي دياب بن غانم	من فرع عالى مين حيه شارب
وحياة راسى ثم والبيت والصفا	لا ادعى الغرب تبقى خرايب
تقول لمثلى عبد ما تعلم انني	أمير بن أمير صاحب الرحايب

واني شريفة سيدة بنت سيد الاشراف ماترضى ببعد النسايب
ماقال الفتى أبو زيد الهلالي سلامه ولي عزم أمضى من رهيف الارايب

(قال الراوى) فلما فرغ ابوزيد من كلامه والعلام يسمع نظامه التقوا البطلين كأنهم جبلين وحان عليهم الحين وزعق فوق رؤوسهم غراب البين وابتدر بينهم ضربتين قاتلتين وكان السابق في الضربة الامير ابوزيد فى ذلك الحسام فاخذها العلام فى ترس البولاد فسقطت على رقبة الجواد فابرتها كما يبري الكاتب القلم فوقع العلام على الارض فادركوه وقاموه ومن قدام الامير ابوزيد اخذوه فمال ابوزيد على اليمين والشمال واذرى واهلك من الابطال وولوا هاربين والى النجاة طالبين ووقعوا فيهم بني هلال حتى ادخلوهم فى الجبال وعادت حالتهم فى سوء حال وعادت عنهم بنى هلال كاسبين الخيل والمال ولما اقبل العلام وقومه على الهصيص وهم فى تلك الحالة فصاح فى الفرسان اعلمونى بما جرى من هذا العربان وطلع الهصيص من معه الي الجبل مثل السيل اذا سال والبحر اذا جال حتى اقبلوا الى بني هلال فنظر ابوزيد واذا غبار قد حجب الابصار فقال الى قومه كثرت عليكم القوم ياشجعان فقالوا نحن فداك ونلقي اعداك ونزلوا الى الارض وركبوا حزم خيلهم وجالوا فى الطول والعرض وشنوا على الاعدا غارة وغاصوا فى في القوم والامارة وارموهم فى الذل والخسارة والغبار قد ملا الاقطار والهوادح كالاقمار والعماريات تنخي الفرسان على قتل العشبان واول من ادرك أبو زيد الامير دياب ووراه اقبلت جميع العربان فلما نظر ذلك الهصيص وقومه اعطوه كسره واراد الهرب فما تكاملت العربان والا أبو زيد كان كسرهم في آخر النهار وورد الخيل الشاردة والمددة رجاله الهصيص [illegible] وكمن لي [illegible] وركب هو وقومه وكبسوا بني هلال واقاموا فيهم الزعقة [illegible] العرب الصحيات وعلت الصيحات من كل الجهات واخلوا بني هلال [illegible] الهصيص خيلهم والبنات [illegible] وضربت المغاربة الرواح فكر أبو زيد حملة جمع اربع كرات وركبت معه العماريات وسبق القوم [illegible] الطريق [illegible] عليهم العدو ن فتلاقوا الفرسان على الجازية مع [illegible] عليهم الامير دياب فتلقاه الهصيص مثل فرخ العقاب وضربه دبوس على الطاسة فحرك خضرته وولى من الهصيص هارب والى النجا ولحقه قومه بني زغبي فمر على البنات فنظروه فمدته بنته وطفا علامك يا ابي

هارب فما رد وراح وخلاها واذا بالماضي بدير مهزوم هو وقومه فنادته الجازية
لاتروح وتخلينا فقال وراى اخوك واذا حسن وقومه هاربين فنادته الجازية
لاتروح وتخلينا فقال لها أبوزيد يخلصكم من الاسر فاذا أبو زيد قد اتى عليهم
فلما نظروه البنات ضجوا عليه وقالوا له لا تموت ما انظرتنا فلما رأى ذلك أبو زيد
عادت درايه مشعلات ورد هو وقومه وضاق العنان وحشم الفرسان في لقاء
العسوال وحميت طهره لشجعان فالتقاه الهصيص في الميدان فوقع فيما بينهم ضرب
شديد يفك زرد الحديد فتقدم أبو زيد في غره الركاز وضرب الهصيص في لرمح
فشك في ذرعه ثوره وارماه على الأرض زحه فهجمت قومه و[illegible] رجال
طعن شديد يفك زرد الحديد والبنات تنادى وتنحى قومه [illegible] لهم
وأبو زيد في أوله وولوا قوم الهصيص شرايد وخذوا منهم [illegible] حلالهم
واهل [illegible] وعادوا الى أهليهم فلاقتهم الامرة والبنات [illegible] فصحت
وراحوا قوم الهصيص شتات واهل بني هلال فجتمعوا في [illegible] حسن
وحضرت الجازية تشتم وتسب وتوبخ من هرب وتمدح من حضر [illegible] تقول

تقول فتاة [illegible] بدمع جرى من فوق [illegible]
[illegible] كلامي [illegible] وحوا الخش [illegible] قلبي [illegible]
[illegible] ولا كان في هلال [illegible]
[illegible] ونغدو شريد [illegible]
[illegible] الهصيص [illegible]
وولوا [illegible]
على موقف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] خضرى [illegible]
[illegible] خضر [illegible]
وراح [illegible]
[illegible] الاثم
[illegible]

فقال العز يا أم محمد … مالى أصابع أمسك الرمح دائم

ولكن وراي فارس الخيل أبو علي … بيدهحسام مثل مشهاب ضارم

وثالث من جاني حسن بن والدى … وجمع الدريد مثل سحب الغمائم

وقلت له يا حسن يا ابن والدى … مالى أراك منهرم لا تقاوم

قف عند خدرى يافتي واطعن العدى … وتهرب ومالي تخشى كلام اللوائم

فقال وراى ابن رزقه سلامه … أبو زيد صور الخيل يوم الزحائم

أيا جازية تعلق فى ذيال … وهو ابن عمك من خيار اللزايم

وراح وولى وأسكن القلب حسرة … وراح وخلى ذابلات الوشائم

ولا عتبي إلا على ابن والدى … وباقى هلال ما عليهم لوائم

ألا يا مميا راح أبوك وخالك … وكل ليوث الحرب ولوا هزائم

فقالت رجائى فى ابن رزق سلامه … أبو زيد صور الخيل يوم الزحايم

أبو زيد صور الخيل يوم ازدحامها … أمير الهلاليات ماضى العزائم

وجانى سلامه والرشاوى نكفه … فقلت سلامه مالك اليوم هازم

قف عند خدرى يافتى واطعن العدا … واحمى هوادجنا بضرب الصوارم

فكم أفرجتها يا سلامة … يا أشجع الشجعان يا أبا الحشائم

هي الحال لبانى أبو مخيبر … وهو فارس الفرسان مدري الجماجم

أنا صوركم يابنت سرحان فى الوغا … سوق المنايا بايع الروح سائم

دعوا هودجى رمانة زاد حملها … مدلية الأثمــــار تحت الكمائم

طعن دون خدرى أربعين ومثلهــا … جماجم بالسيف راحت قسائم

وسمع بين الخيل هرج ســلامه … كفرخ العقاب وعاد الصيد حائم

وحمرة أبو زيد تنوح وتحتمي … وكاد فى بحر من الدم عائم

ويطعن لعين الحرية أم محمد … ويثنى لأعين دابلات الوشائم

وثالث لعين الحرية أم محمد … ورابع محمة فى دياب ابن غانم

وخامس لعين الحــــرية أم محمد … وسادس فى محمة دريد الاكارم

وسابع لعين الحــــرية أم محمد … وثامن محمة في حسن والا كارم

وتاسع لعين الحــــزية أم محمد … وعاشر محمة فى هلال والخشايم

وطعنات أبو زيد بعيى رأيتهـ … كما النار تشعل بين يابس الهرايم

أبو زيد حامينا بكل كريهــــة … أبو زيد صور البيض من كل طائم

ما قالت فتاة الحى أم محمد على حالها تبكى دموعا سحايم

(قال الراوى) فلما فرغت الخازية من كلامها تقدمت سميا وأشارت تقول توبخ الأمارة فى هذا القصيد :

قالت سميا ودمع العين رد فى ... ريمها ناشف والقلب لهافى

من هوى تعد الخيرين به ... فى ملقع خلى من بعض الاشرافى

ويا هلال اسمعوا ما أقول لكم ... من بحر فكرى حدث مرتب شافى

فلو نظرت ولد سرحان قول له ... حيف على سيد فى لكون حوافي

ويا حيف نفس النظيف ومجلس العالي ... وشاشت الخلو وسط الجمع رورافى

تمر على الخازية يا أبى منهزما ... ولونها منكسف من بعد اشرافى

دياب دليت دن الله سايقتك ... لمن عدا كأنه جلمود [illegible]

تمر على البيض كأنك ما يعرفوهم ... وأعنا خلفهم [illegible] وعرفي

والمير حداش مثل الليث منصبا ... جارى على خصمه كالصير خصوفى

وأما الأمير معيقل انه بطل ... مهذب لدرب الحرب [illegible]

وأما أبو زيد زايد وصفا ... وفى مهنده لمروس [illegible]

الله أكبر من ضربت صارمه ... على الجمجمة يشبه سيل طوافى

وأنتم هربتم وجيتم حلايلكم ... فوق الهوج وسط [illegible]

والخازية كأنها بدر على جمن ... [illegible] الموت وصح [illegible]

فما عاد تصلح زينات العيون [illegible] ... [illegible] ولا تحطوا [illegible]

وتقلدكم السيوف [illegible] مفتحة ... و[illegible] من فوق [illegible]

ما منكم فارس يذكر حليته ... [illegible] فى معرج [illegible]

[illegible] ... مع كل [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

تستاهل [illegible] ... [illegible] وشليت [illegible]

(قال الراوى) فلما فرغت سميا من كلامها والامارة يسمعون نظامها . فغضب الأمير دياب غضباً شديد ما عليه من مزيد وقال ياسميا أتوبخينى بقولك وأنا ما خليت معركة الا وقعت فيها ولكن أبوزيدزايد علينا نعم نحن نعرفه بغير قولك ، وأشار الأمير دياب فى هذا القصيد يمدح الأمراء ويقول :

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم ولى عزم امضى من حديد المبارد
ولى عزم امضي من حسام إذاسطا ولي همة تعلوا على كل ماجد
وأما أبي سبع تملى بلبوة وجابتنى ضيغم وكم لى عوائد
وجابتنى أمي وقد زال همها بليلة شتا والبرد يعطى الرعايد
وجابت مقياس من الحروب بن غانم ان اغتاظ تخشاه القلوب الجمايد
إذ مالت الثريا والموازين غربت وهب نسيم فى دجي الليل بارد
ألقي خطا طير الفلا بعد نومه رمانى ردى الخال فى البيت لابد
ولي منسف لا يلحق الرمح قاعه مرتب للخطار واللحم واجد
ولي بيت مرفوع الستارات متسع إذا ماغدا طوفا يجى طوف وارد
ولا أفرس مني فارس ينقل القنا أنا أفرس في يوم الوغى من يطارد
ولكن عندي يا هلال شهادة يامن حضر في الجمع من كل ماجد
أفرس منى ابن رزق سلامه أنجب منه قرم يعاند
وأشجع منى عند خيل تكاسرت إذا نادت الزينات ياأبو العوايد
وأكرم منى ابن رزق سلامه وأنا أسرع عند جر الموايد
نحن عصافير وأبو زيد باشق نوالي من الباشق إذا جا يطارد
بيوم تصيح الجازية ياسلامه مفرعة ماهي من العوائد
يلبيها أبو زيد قرم مجرب يجيها على حمرا من الخيل جايد
يقحم جلاميد المنايا حصانه كما نزحف البولاد ماضى البواتر
أبو زيد زايد عن هلال وعامر كما زاد كانون الشتا فى الرعايد
وأكرم أهل الشرق والغرب أبو على إذا ماحكم فصل السنين الشرايد
سميا ترميني وانا ولد غانم وعزمي يهد الشامخات الرواكد
والله لولا عيب ضوحت رأسك وخليت دمك عا الاعادى برايد
أنا الفتى الزغبي دياب ابن غانم ومالي من أصحاب القلوب القلايد

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه والامارة يسمعون نظامه وحي

أبو زيد الى الجازية فأخذت البنات وراحت والتفت أبو زيد إلى الأمير دياب وقال من الزم الناس إلى المسبة سبوه بالحق وأشار يقول وعمر السامعين يطول

يقول أبو زيد المكنى سلامه وكل فتي عند الكلام يقاس
ومن كان حرا صادق فى كلامي له فى أساليب الحديث قياس
وفي الناس من هؤلاء بلوى كلامه ليبيت على ما يحمدون الناس
ومن لا يجود اليك يجود لغيرك حقيقا ولا ناس تشابه ناس
ولا كل من يطلب ينال مراده فكم واحد قد ذل حظه وخاس
ولا حيط مبنيا عميق أساسه يشابه الى حيط بلا أساس
ولا عامنا هذا يشبه الذى مضي ولا ليلة القمرة كما الاغلاس
ولا سكر حلو يشابه حنظلا ولا ذهب النقي سعر نحاس
ولاأى من مسك اغنا يطعن العدا ولا كل من لف لف اما مة راس
حشد علينا جوافل الغرب بأحسن بالخيل والشبان والأفراس
غزوا نجعنا صبحا وكسبا ضعوننا وكانت غنيمة والغلام غلاس
وأميرهم يوم الوغي يندعونه يسمونه بلسنهم غلباس
سبوا مالكم وجمالكم مع بناتكم بضرب النواصي و [illegible]
جردنا لهم ستين ألف ومثلها وتلي من [illegible] أهلاس
وبتنا نراقبهم وهم يراقبونا فى الصبح [illegible] بعاس
وصى علينا [illegible] خبيثة [illegible]
وتقتو منا نعيمي من تعلب [illegible] الضرب سيفه [illegible]
وعادل بنت النعيقى تكثر [illegible] [illegible]
ذلك الشرى [illegible] بشري [illegible] [illegible]
كسرت [illegible] وشت [illegible] [illegible]
[illegible] جميعكم [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] أبو [illegible] [illegible]

[illegible] أبو زيد [illegible] الكلام [illegible]
[illegible] أبو زيد [illegible]
بعضكم [illegible] الى [illegible]

فى الليل وأما أبو زيد كان تعب من الكون وعرق وبرد فى الليل وهو داير فى الحرس فاعتراه وجع فى جوفه وما عاد يقدر يجلس علي ظهر الجواد فوقف الخفاجي عامر موضع أبو زيد وبقى أبو زيد سبع أيام ضعيف هذا ماجرى الي بنى هلال وأما ما كان من المصيص أخو الزناتى فجمع قومه وقال لهم والله أنا أريد أعمل لهم حيلة تسوي قبيلة وارمى الاسكر بينهم حتي ننال مرادنا منهم ولو يدرى أن أبو زيد نايم لغار عليهم بالنهار جهراً ثم قال إلي قومه اركبوا والحقوني وأتي إلى بنى هلال من ناحية الشرق وأرسل إلى الامير حسن يخبره ان الزناتى عدونا ونحن جايين نجدة معكم عليه وسمى روحه الامير مقلد وأشار يقول :

يقول الفتى المسمي الامير مقلد — من أرض كورج والكبار جميع
أتينا نفدى يا حسن مع قومكم — أمارة هلال كل قرم سجيع
أريد أسلفكم جميلا وطيبا — ومن أسلف الاجواد ليس يضيع
لما سمعنا بسيطكم جينا لكم — ونكسب غنايمهم وكل تخت رفيع
فلا تحملوا هم الزناتى خليفة — أنا لكم عونا سريع مطيع
ولابد نملك ارض تونس بلادهم — وندعي خليفة فى المجال يضيع
هذا كلامى يا أمرة افهموا — أنا مقلد بالطراد وليع

(قال الراوى) فلما فرغ مقلد من كلامه طوى الكتاب وختمه فى ختمه وأرسله إلي الامير حسن فقراه وعرف معناه وكان أبو زيد له ثلاث أيام مريض وكان حاضر الامير دياب وبني هلال جميعهم فقرا عليهم حسن الكتاب واعلم بنى هلال ما فيه فقال دياب أتونا فى وقتهم وأشار حسن يكتب الي مقلد ويقول :

يقول لفتي حسن الهلالى ابو على — وأخبارنا فى كل أمر تشيع
فيا مرحبا فيما أتانا جمعهم — لكم فضة الديا وكل وقيع
فيا مقلد اقبل اليوم عاجلا — واركب معانا ثم اتى سريع
لأن لفتي لمصيص يا امير هاننا — بحرب شديد يا أمير شنيع
كبسنا بجنح لميں رعب قومنا — ودقنا مرار الهول والتقشيع
فاجه سلامه والتقا بالقنا — والروح فى سوق المجال تضيع
وضربه أبو زيد ارماه عالوطا — فمن كان معه أدركه جميع
فولي مخوف فى جموعه هارب — من حرب أبو زيد الامير سجيع
ولكن سلامه قدانتقص يا مقلد — وقد عاد من فوق الفراش وجيع
والحمد لله جيت الينا عاجل — وصرت لنا أخا رفيق تبيع

وان ملكت الغرب لاعطيك نصفها ... وتصير عنـدي فى مقام رفيع
هذا مقال الهـلالي ابو علي ... يا مرحبا فى من أتانا وضـيع

(قال الراوى) وركب الامير حسن ودياب والقاضى بدير وأكابر بنى هلال نحو الف فارس يلاقوهم من غير عدد سوى المزاريق لأن البدوى اين ماراح رمحه على كتفه فلما قاربوا الهصيص ركب ولاقاهم ودق طبله ونشر الاعلام وشهر الحسام وهجم على بني هلال مثل السبع الغضبان وتفرقت قومه من كل مكان وغاروا على البيوت ونهبوا الاموال ومالوا يمين وشمال وأخذوا الخيل والجمال ومايه بنت فايقات الجمال وأخذ البيوت من أهلها وساروا نحو قومهم فرحانين كاسبين وقال الهصيص أنا ما نظرت الاسمر ولا سمعت صوته لعله يكون قد قتل اليوم وأما أبو زيد فكان نايم من الضعف فسمع الضجة فقام من نومه وقال ماالخبر بهذه الصرخات فخبروه فى حية لهصيص وما عمل فى بني هلال وكيف نهب البوش والمال وسبي النساء والعيال وكيف هربت الرجال وحال فيهم الحال فصاح من قلب جريح وفؤاد قريح ونهض من ساعته وركب حجرته ودق طبله وعدل رايته فاجتمع الى عنده من بنى هلال اثني عشر الف فارس والباقى كانوا هاربين على رؤوس الجبال وأخذ الحاضرين وساروا الى القوم وربط لهم الطريق وصاح فيهم يومكم فرفرفت النساء على ابو زيد مثل رف الحمام وقالت الينا يا صور الحريم فقال ابشروا يا بيض وقوم بيده عامود الحديد فصاح فى القوم وقال خلوا الحريم والمال وهجم عليهم فى الحسام ددعهم ردم وكانت ساعة تحير الانس والجان وغار على الفرسان كفرخ الحمام وهو يميس على الميمن والمياسر وأتى الهصيص الى ناحية أبو زيد مسدر وهو كالسبع كسروته الى مع أبو زيد واصطفت الجيشين ، ووقعت العين في العين وولت الهصيص [illegible] في حي وفى كل موضع [illegible] وقال أبو زيد فى هذا الوقت أبيات المعانى وشرع يقول وعز السامعين يقول :

قال ابو زيد الهلالى سلامه ... لي همة تشتد أنا عقيلها
أنا بن رزق الخير قرم [illegible] ... [illegible]
هصيص اسمع لكلامي وقوله ... [illegible] خصمك جئتك [illegible]
[illegible] ... [illegible]
تريد تأخذ [illegible] ورجلت ... من هو [illegible]

واليوم يا هصيص لازم اقتلك   بين الحوافر جثتك القيها
ولا بد عن قتلك وأخذ جوادك   لي حربة بالسم انا ساقيها
لأهلك أهلك ياردي من بعدك   من حد سيفي ماأحد يحميها
قال ابو زيد الهلالي سلامه   اليوم أفنى عصبتك وادريها

(قال الراوي) فلما فرغ ابو زيد من كلامه أشار الملك الهصيص الي ابو زيد يقول

قال الفتى الهصيص قول صادق   في همتي نيران هبت فيها
أنا لي زمان أريد حربك والصدام   لي همة لاجلك أنا مخبيها
أنت أبو زيد الذي قد جيتنا   رواد جيت لرفقتك تسميها
وحبستهم حتى جيت فكاكهم   ومدامعك من أجلهم تجريها
شمعت بكم سعدا وكانت عاويه   من أجل مرعى حبه كاويها
ورحت يا أبو زيد نحو بلادكم   وجيت قومك والنذل غاشيها
وجيتم وارميتهم وسط العصا   شورك علم في البلا باليها
لابد عنكم يا هلال أفنيكم   وحريمكم لابد ما أسبيها
ما في المغارب قرم يلقى سطوتي   أبطال قومي يشهدوا لي فيها
[illegible] يا أبو زيد سوق محالها   روحك [illegible] في الوغا اشتريها
[illegible] الفتى الهصيص [illegible]   سوق المحال متعود احميها

(قال الراوي) فعندها التقوا الاثنين كأنهم جبلين وطار من تحتهم الغبار وقدحت حوافر الخيل [illegible] والعربيات تنظر إلى نحوهم وحريم بني هلال تزاعط إلي ابو زيد من وراء [illegible] لكي يخلصهم من اعدائهم فعندها صرخ الهصيص صوت ادوت [illegible] وقوم [illegible] في [illegible] وطوحه إلى ابو زيد وأخذه في السيف أمريه كما [illegible] لا [illegible] الهصيص ولاصقه [illegible] عليه طرقه وضرابته وهو [illegible] حتى [illegible] إلي [illegible] وضعه بين [illegible] طلع من بين لوحيه ثم [illegible] عليه السيف [illegible] ما صار ولوا الادبار وتبعتهم قوم [illegible] قيمة وعاد ابو زيد وجماعته إلي [illegible] الشاردة [illegible] والامير حسن [illegible] وقومهم كانوا [illegible] ابو زيد حتى الهصيص [illegible] قمية فتلملموا [illegible] وكان [illegible] الى عنده الامير [illegible] كفيت [illegible] خيل اعداكم [illegible] من طول عمرك تفرح عن بنى هلال عمها

ثم عادوا في المكاسب الي البيوت والنسا تزاغط الى ابو زيد واما هو فانه جلس في صيوان الامير حسن واشار يقول :

يقول ابو زيد الهلالي سلامه حرام علي عين المحب تنام

اذا لم يجيها ما تريد وتشتهي عليها بلا شك المنام حرام

ينام الذي قلبه سليم من النيا وقلبا شطاه البين كيف ينام

وكيف يجيه النوم والحب فارقه له عند بينات الملاح غرام

يا ابو علي اسمع وخبرك ما جرى وجمع الرواتي باللقا هجام

جانا اخوة المنحل يدرس احصنا عم ما ومن فوق الغمام عمام

كسكم طلوع الشمس والامير ذكر اتوم طشم قد يعدون صنم

وحلفوا لكم بالله يمين معظم وقالوا نحن لاجلكم حشاه

وود هجم الهصيص بوسط خيله ومن حوله قوم خاث لئام

ودق ضوله طلعة الشمس اكر علي راسه بد شد لاعلام

وقد جالت الفرسان من كل جانب وكم حط منكم [illegible]

وحط علي الرايات ولطعن كمه وحاش [illegible]

بقي واخذ من قيس مية مليحة وعشر [illegible]

وانا كنت موجعا علي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ودقيت طبلي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ضربي اخذت الرمح بحد صارمي   وقد كان سيفي باللقا صمصام
طعنته بزرقا من يمين سلامه   بها غنت الشعار طيب كلامي
طعنت عنيد القوم بين بنوده   فخرجت حشاه والزرد وقتام
وجبت بنات البدو من قبل سبيها   وخفت العتب والعار يا طنام
وكنا اثنى عشر الف يا ابن مزيد   مجربة في كل يوم زحام
ولا فارس الا وقد فاز بطعنة   لها في صدر المدرعين سهام
راحت جياد القوم منا هزايم   ولا يعرفون خلف من قدام
وجاني دياب والامير ابو علي   وجاني بدير والامير خزام
وقالوا يا ابو زيد اين عساكره   فقلت لهم راحت بحد حسام
فقلت لهم حوشوا العدائم خيلهم   بهمة ابو زيد الامير سلام
دياب اخذ مايه وخمسين سابق   من الظهر حتى غربت بظلام
بدير اخذ مايه وعشرين قلايع   عرندس اخذ مايه جواد تمام
وحسن اخذ ميتين قليعة   وغنمت انا لرفاقتي الاكرام
ما قال ابو زيد الهلالي سلامه   هنيئا لمن عند الصباح ينام

(قال الراوى) فلما فرغ ابو زيد من كلامه مدحوه الامارة على مافعل وقالوا ياذلنا من بعدك ياابو شيبان وعند ذلك اشار القاضي يشكر ابو زيد ويقول

يقول الفتى بدير ابن فايد   ترى الحرب هتاك الرجال الفوارس
ترى الحرب هتاك الرجال بكونها   اذا طارت الهيجات جونا عوابس
على اول بلاد العرجا نا قرومهم   على وادي الرشاش والضمد عابس
وكنا معايا ناعين بغفلة   فجانا عساكر يشبهون الابالس
كسبوا غنايمنا وأخذوا موالنا   واستأسروا منا قروما فوارس
وقام صياح القوم من كل جانب   وغاد ريق الفم بالحلق يابس
فقام أبو زيد الهلالي سلامه   وصاح بأعلى الصوت والليل عابس
وعاد علينا الهصيص في ماضي القنا   طعنه بزرقا زال منه المنافس
ورد على الفرسان هلك جموعهم   خلي د ما الابطال مثل البواطس
ورد الينا المال ولبوش كله   وكل العذارى مع ملاح لعرايس
وجاب الاسارى من وراء مكتفة   ثلاثين الفا قدهم بالمرايس
طلعت نسانا من الخباياء وهلهلت   بأصوات تفرح كل قلب عابس

أبو زيد رد الخيل عنا وصدها | وساق العذارى تجلى كالعرايس
وخاض بوسط القوم قطع رؤسهم | كما ليث ضرغام على الصيد غاطس
وهذه فعايل ابن رزق سلامه | وقد قال من ساواه يوم المعابس
ما قال الفتى المسمى بدير القاضي | وهذا كلامي يا قروم الغناطس

(قال الراوى) فلما أتم القاضى من كلامه والامارة يسمعون نظامه فقال أبو زيد كونوا على حذر لأن الذين حاربناهم نقطة فى بحر لأن قوم الزناتي أربعة وعشرين سلطان وكل واحد يحكم على كرة مائة ألف وأنا فى هذه البلاد أخبر منكم ولكن البوش نخاف عليه من العدا لئلا يأخذوه ومرادنا نبعث معه أمير فقالوا من يروح من البوش فأرسلوا وراء الجازية أم محمد لأن كان لها ثلث الشور فأتت وأرمت السلام فردوا عليها السلام وأجلسوها فى أعز مقام ثم بعد ما دارت القهوة وكاسات الشراب التفت الامير حسن نحو الجازية وقال لها قد أرسلنا وراك لكي نشاورك فى أمر البوش لأنه ليس لنا مرعي لبوشنا فى هذه الارض فرادنا أن نرسله لغير موضع فشورى علينا من يروح مع البوش أبو زيد مالنا بعده تدبير وان اكون أنا لا يصلح لأنى امير ونخاف أن تطمع بنا الاعادى ويقولون ان اميرهم راعي والقاضي بدير أصابعه مقطعة وما يصلح إلا الأمير دياب لأنه يحميه من الأعادى فاخبرينا ماهو الشور فقالت له هذا راس الشور فأشار السلطان حسن ينخيه ويقول :

قال الامير حسن والقلب فى حرقة | من أجل البوش لنا خير ين يسيب
نحن نخاف الزناتى غدا يشغلنا | ويصير ما بيننا ضرب وتغريب
والبوش تأتيه أبطال مسرعة | ويأخذوا البوش منا وينهبوا النهب
دياب يا أمير زغبة ليوم [illegible] | وارع لنا [illegible] وحميه من الديب
وادى الغبا والغبراين اقصدوه [illegible] | فى ست آلاف عوج كالعراقيب
[illegible] فيه شهرين متتابعة | حتى نرد لتونس وبلاد المغرب
ونهدم مدانيهم ونقتل فوارسها | [illegible] فى فنتركه فى [illegible]
ونسقيه كاس الموت من فمه [illegible] | [illegible] قصور [illegible] تغدو [illegible]
والقبب العالية لا بد نكسبها | وكل من جا [illegible] تقصيب
مرعي ويحيي ويونس ان نخلصهم | نجيب سعدا فتورينا [illegible] ديب
تنظر لنا من أبيها مع خزاينه | والمس ايضا وأموال [illegible]

يصير مرعى إلى سعدا لها بعلا   قولا أكيد ترى من غير تكذيب
دياب من بطل يحمى الفلا غيرك   اليوم يوم الحشيمة كن كما الذيب
السيف ما ينظر إلا لحزته   يوم الكريهة تظهر للاعاجيب
ياليت عمرك طويل زايد الافراح   أما عدوك يرى عكسا وتنكيب

(قال الراوي) فلما فرغ الامير حسن من كلامه والامير دياب يسمع نظامه عرف انها مكيدة من الجازية ولكن اخفي الكمد وأظهر الجلد وأشار يطيب خاطر حسن فى حماية البوش بهذا القصيد :

أنا دياب بن غانم ياحسن طيب   ولا تخافوا على لوسطى الذيب
طيبا الملك على بوشك أيا ملك   ولا تخافوا على يوم المخاريب
والمال مالي ما يدنو اليه أحد   انى مجرب باذن الله تجريب
أنا ابن غانم وكل الناس تعرفنى   فعلي شهودى وتعرفه الاقارب
وانتم كونوا حذارى نحو انفسكم   وحافظوا على حريمى والمراكب
ثم احضروا الزناتي حين يطلبكم   كونوا اقروماعوا بس وقت المضارب
انتم هلال اسنا ما احد يقهركم   حكمتم الارض تشريقا وتغريب
كم من ملك قد غدا عن ملكه قهرا   ودعيتم قومه شرقا وتغريب
الهند والسند ثم السرو واليمن   كل الملوك بقوا منا مهاريب

(قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامه والامارة يسمعون نظامه وشكروه وقالوا له انت علينا صاحب الغفارات وترد عنا القوم فى كل غاره وأشار يقول :

قال ابوزيد لمسمى ذ كلام اكيد من جدي : خذ البوش وروح ارعاه ويسيره الي قصى الجردي . تسم منك ملوك هلال . كذا الرعيان مع العبدي . ومثلك من يحمى ذا البوش . هم مثاك ما حدى ان كن توفى هذا البوش . يا امير لك كلامي . تسود عليهم . وبقى لك فخر المجدى . احفظ نفسك والرعيان . من بطل ومن يردى . اخف عليك من نغارات . يجوكم ليلا بالبردى يالك بليل تندم . فى يوم مع الرقدى . واكرم من جالك قاصد اياك بقولك تردى ومن يثبت منكم معنا . ينال الخير مع القصدى . غدا خليفة يلقانا . واكون له انا الجندى . نخاف يروح مال هلال ويأتى الهم مع النكد ابو سعدا قرم مجرب وهدته مثل الرعد هذا الزناتي وضربته لا ترتدي باكر يصبح

يلقانا في البولاد وفي الزرد ومعه جيش تأتينا على خيل ضمر كالجرد وأنا يا اجواد احصركم أنا أبو زيد انا السند غدا أغنمكم منهم مكاسبهم ماتنعدى وتفرح كل هوادجنا يفوح المسك مع الند أنا أوصيكم يا فرسان كونوا عصبة مشتدى غدا أبو سعدا يأتينا لا يخشى ضربة حدى ولا تزعل يا أمير دياب فكون بعزمك مشتدى خذ البوش واسرع فيه بالف غلام تنعدى والفين فارس خياله وثلاثين ألف من الجندى وكن على الاهوال ولا تتوانا على البعد اسمع يا أبو وطفه دياب ياابن غانم اشتهدى . لولاك هلال ماسكنت . بلاد الغرب ولا نجد الذل تمكنل فيه . وزغبي حولك كالأسد كم وقعت أشقيت هلال . أنت يا زكي الجدى

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه ودياب يسمع نظامه أشار يرد عليه ويقول:

يا أبو زيد أنت السيد ، وفيك الخير مع السعدي : حسن يا أمير أنت خبير دياب المشير ، كالأسد . اتيكم دوم . نحن نيرم ، أنا الغشوم كما اعيد . لو قام الحرب ، بيوم الكرب ، وطعن وضرب . عمر جهدى وخيل تعون . ودم يسون وكم مقتول وممتدى ، أبو زيد هوش ، والجيوش ، برمحه شرش . لا حردى وأخاف بجوك ، بليل دهوك ، جميع [illegible] حمدى . [illegible] ، [illegible] اسمع لدياب ، لما يبدى ، وان جاك صديق . كون شفيق ، و[illegible] . [illegible] تغدى اسمع لدياب سبع الغاب ، انت مهاب ، [illegible] . [illegible] لهم رعي . يجلب [illegible] ، [illegible] . [illegible] . ولا تغدى . أبشر يا خال ، في حفظ [illegible] ، و[illegible] هلال . [illegible] . [illegible] الغاب . ولا يرتاب ، من العدى . [illegible] وأن حاديه . [illegible] الضيغم . [illegible] [illegible]

يعود [illegible] . [illegible] مستعدى . [illegible] حدى ، [illegible] سعيد . [illegible]

لا كذب ومعتدى

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه و[illegible] شكروه على هذا الكلام وركب الأمير دياب في [illegible] فارس و[illegible]

بيضا وسار أبو زيد يدله علي وادي الغبا والغباثن وساقوا البوش والرعيان كانوا ست آلاف راعي وساروا الجميع إلى أن وصلوا إلي وادي الغبا والغباثن فلاقوا فيه الزهور فائحة والميـاه سائحة فنزلهم أبو زيد فى الوادي وأوصاهم من الأعادي وعاد الى بني هلال وأما الأمير دياب فنصب صيوانه في الوادي ووقف رقباء علي الجمال أربعة آلاف خوفا من العدا ويرجع الكلام الى أمير بلاد الغرب فانه لما علم في قتل أخيه غضب والوقت جرد عسكره وركب هو وقومه الى أن قاربوا العربان فنظر ذلك أبو زيد وكان فى هم شديد فنظر فيه الزناتى وقال له من أنت يا قرنان حتي تنزل الى السلطان أما أنت عبد المحابيس قال نعم فقال الزناتى أين المال قال معي الف والباقى خلف قال انترحت تجيب ماء أو رجال فعندها أشار يقول :

يقول أبو سعدا الزنتى خليفة	لي عزم أمضي من رهيف حسام
ولى همة تعلو على كل ماجد	ودائم على خيل العدا هجام
وهذه بلاد الغرب الف مدينه	غير الذين هم ناصبين خيام
وجاءوا جميعا طائعين لكلمتي	عصيبة وقهراً قد أتوا ارغام
فأين تروحوا ياعرب وتسلموا	اليوم تغدوا فى البرارى هزام
أبو زيد أما تذكر وأنت بحبسنا	وعينك تذرف بالدموع سجام
وقلت أنا عبد لـكل رفاقتى	وتحلف بحق الله والأقسام
فأطلقتك حتى تجيب فكاكهم	فجبت لنا الفرسان يا هجام
يا حبذا ذلل اليوم كنت قتلتك	وكنا استرحنا من عنا وسقام
ولكنكم جيتوا الينا غنيمة	وندعيكم تغدوا شقا ودمام
واين أبو سرعى واين ديابكم	واين دياب قاضي الضرغام
أناهو الزناتى حاكم الارض كلها	والحرب فيكم يا هلال سلا

(قال الراوى) فلما فرغ الزناتى خليفة من كلامه وأبو زيد يسمع نظامه فأشار الأمير أبو زيد يرد عليه الجواب وهو شاهر بيده السيف القرضاب

يقول أبو زيد الهلالى سلامه	الا يازناتى أنت فى أحلام
الا يا زناتى حاقك الشر والبلا	أظنى بنومك قد رأيت مناه
فلو كنت تعتقد ما كنت جيتكم	ولا كنت جيت القوم والاحشام
فما كنت تذكر يوم أتينا بلادكم	ونحنا ببستان لكم مقام

وناديت للجلاد حالا فقادنا   لتحت المشانق في حبال برام
ولولا الصغيرة قلت راحت رواحنا   ومالك علينا عفة وذمام
لكنني قد جيت اوريك فعلنا   وادعي قرومك في البلاد هزام
واريك حربا من يمين سلامة   وطعن يفك الدرع والاجام
وانتم تروحوا مثل ماراح غيركم   بحد الصوارم ما ترون سلام
تونس ترى تخت الأمير أبو علي   حلالا له لكن عليك حرام
أنا هو أبو زيد الهلالي سلامه   أنا ماحق لابطال والاخصام

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه والزناتي يسمع نظامه التقوا البطلين كأنهم جبلين وحان عليهم الحين وزعق فوق رؤوسهم غراب البين وراح ضربتين قاطعتين فكان السابق بالضربة الامير أبو زيد وأخذها الزناتي بطارقة البولاد فشطحت على رقبة الجواد أبرته كرى النوم فوقع الزناتي على الارض وركضت القومين على بعضهم البعض وأقاموا الزناتي وخلصوه والتقوا الجيشين والتحم الفريقين وقاسوا الأهوال وبطل القيل والقال حتى أمسى الزوال ودقت طبول الانفصال وقعدوا القومين الى الصباح واشتدوا بعزهلا والزناتي طلبوا الكفاح ونزل الزناتي مع قومه للميدان فحملت الشجعان على الشجعان وظهر الشجيع وولي الجبان وطارت الرؤوس عن الابدان وحدهم أبو زيد وخم حتى خلى القوم عدم وبقوا على هذا الحال للرواح ودقت طبول الانفصال وكل منهم طلب الاهل والاوطان فلما عادت بنو هلال جلسوا في صيوان الامير حسن بن سرحان فقال الامير حسن [illegible] أبو زيد [illegible] القوم أنت بنفسك وما تعطيني خبر وأنت والله ماعدت تركب معنا وأمرك في قيسه [illegible] أبو زيد ان كنت طائع الله والامير توضع رجتك في [illegible] أبو زيد [illegible] وأنا أتبع كلامك كل ساعة [illegible] في [illegible] في [illegible] حسن فلما أصبح الصباح دقت [illegible] فلما رأي أبو زيد [illegible] وطمع [illegible] كل جيد ومحق الفرسان [illegible] الرواي و [illegible] سبعة مراحل وفي آخر مرحلة [illegible] وأخذ الخيل والجمال والحريم ولا [illegible]

[illegible]

الى متى أبو زيد مقيد فى الحديد وقالوا له فك القيد من رجليك فأشار أبو زيد يقول :

قال أبوزيد اسمعوا . يامن لقلبي أوجعوا . والقوم منكم يشفعوا . اليوم يوم الحربي
حسن دق طبولك . ثم شد على خيولك قوم الزناتى حولك . فرسان قوم الغربي .
ياعبدهات الحمرا . واقم طواسى السمرا . وهات بنت القمرا . فى سرجها ورك بي
وسيفي اليمانى عندى . من عهد أبى وجدى . محفوظ دايم عندي . لاجل الوغى
والحربي . هلال ياشجعانى . يامنية الاعيان . عدوكم جبانى . بقيم فيه الرعي .
قوموا بنا نلقاهم . بسيوفنا نضحاهم . ونفوز كسب غناهم فى طعننا والضربي
شوفوا الزناتى جاكم . يريد سفك دماكم . هذا العدو أتاكم . قيموا عليه الحربي
حطيتني فى التيدى . وما كان رأيك جيد . مثل أميري وسيدى وأنا حاكم فى السربي

(قال الراوى) فلما انتهى أبو زيد من كلامه والامارة يسمعون نظامه شكروه وقالوا له ياويلنا من بعدك يا أبو زيد ثم انه اشتد واعتد حتى صار كانه قلة من الفل أو قطعة فصلت من جبل ودق طبوله ونزل فسمع الزناتى دق طبول بنى هلال ونادى على الابطال لا ينزل إلى الميدان إلا الامير حسن بن سرحان أو القاضي بدير أما أبو زيد فما أتم كلامه الا أبو زيد قدامه فقال له أين كنت متخفي يا أبو زيد ياصاحب المكر والكيد فقال كنت غائب واليوم جئتك محارب فالتقوا البطلين كانهم أسدين ضرغامين ورف فوق رؤوسهم غراب البين حتى تعبت منهم السواعدين وكلت من تحتهم الجوادين وداموا فى قتال وجدال حتى قرب الزوال دقت طبول الانفصال وكل من طلب حيه والاطلال وباتوا يتحدثون إلى أن أصبح الصباح ركب القومين واصطفت الجيشين ووقعت العين على العين وصار قتال هول الى قرب الزوال وبقوا على ذلك الحال سبعة أيام حتي كلت منهم الزرد وذلت منهم الكبد وفى آخر نهار ولى الزناتى هارب وولي الجيش غاضب مغربين ليه الامير أبو زيد قدامه وفى حلقهم حتي أرجعهم أربعة عشر مرحلة الى ورائه ودخلهم بلدهم وهارب الزناتى المدينة دخل أبو زيد تونس وعسكره وراءه وتلك ما يقيب أهل تونس ورائه ثم استدعى بقلم وقرطاس ودواية من ذهب خالص وأشار يكتب الى الامير حسن ويقول

حلق الزناتي طاره . يا معشر الحضاره . من أجل قوم جونا خربوا البلاد دماره
أنا الزناتى عندي . أبطل ما تعد . والحرب حاكم عدي . يشبه لهيب النارا .

يا ابو علي القانى . فى حومة الميدان . وأوريك طعن الزان [illegible] قتلت امارة .
ياأبو علي فى بالك . انالدهر يصفا لك . لابد ما شوف حالك وشرف شيء
ما صاره . وتشوفني بالنومي . وتقول جانى قومى . مرعوب [illegible] : [illegible]ك
وذهنك طاره . ارحل نظعنت شدى . فى عزوتك و[illegible] دى . [illegible]
ما هي لغيري داره . ايك من [illegible] سعدا . يحيك مثل الرعدا . [illegible] سعدا
نجمك عليه غباره . [illegible] غار . من فوق [illegible] . [illegible]
ان صاب راسك طاره . و[illegible] لأتنيكم . و[illegible]كم تعيكم . [illegible]يكم
وأعمل بكم جزاره . كم فارس مقتولى من طعنة المغزولي . [illegible] حولي
يا العزلى تذكاره . [illegible] . [illegible]
دوما كشبه ناره . يا [illegible] و على اتهر . [illegible] لا تغير . [illegible] فى طعن
مثل الناره .

ولما فرغ [illegible] من كلامه طوى الكتاب وختمه [illegible] و[illegible] الى حسن فأخذه وقراه وعرف رموزه و[illegible] عليه [illegible] قصيده [illegible] بن يزيد

ما قال لفتى حسن [illegible] كريم [illegible] من [illegible]
كريم الحد من [illegible] [illegible]
نحن ما [illegible] ولا [illegible]
دولا [illegible] و[illegible] فى [illegible]
[illegible] و[illegible]
ولا [illegible] ولا [illegible]
وكم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وكم [illegible]
[illegible] الارض [illegible]
وفي كل [illegible] حكت وكم [illegible]
ولولا [illegible]

ولا نحنا مطايانا بأرضك ولا السمر العوالى لك تميلا
حبست أولادنا وقد عبت فينا وتتهدد علينا يا هزيلا
غدا ما بيننا سوق المنايا ويبقي النصر من رب الجليلا
أما تأخذونا يا زناتى أما نحن فيكم قد نميلا
ونملك أرضكم ونشيخ فيها ونحكم بعدكم دهراً طويلا
ما قال الفتى حسن الدريدى ونيران القلوب لهـــا شعيلا

(قال الراوى) ولما انتهي حسن من كلامه طوى الكتاب وختمه بختامه وأرسل إلي الزناتى خليفة ولما وصل لبين يديه قرأه وعرف رموزه ومعناه شق الكتاب ورماه وصاح بمن حداه وأمر فى دق الطبول والركوب على الخيول ثم ركب الأمير حسن ودق طبول الصبوح وطلب من الله النصر والفتوح ونزل هو وقومه إلى الميدان فنزل اليه الزناتي وعرض وبان وقال لا ينزل لي ردي ولاجبان ولا يبرز إلا أمير العربان فما أتم كلامه حتى صار حسن قدامه وقال له الزناتى أنت مثلى وأنا مثلك فعندها التقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وغنا فوق رؤوسهم غراب البين وداموا فى قتال حتي ولى النهار ودقت طبول الانفصال وعاد كل إلى مكانه ولما أصبح الصباح نزل أبو زيد إلي الميدان وطلب مبارزة الفرسان فنزل اليه الزناتى وقال له من أمرك أن تنزل لحربى أنا طالب الامير حسن حتى أذوقه طعني وقال الامير أبو زيد أنا خصمك جيتك فعند ذلك أشار الزناتى يقول

أنا الزناتى فى الحروب مجرب صعب المراس ومهلك الأبطال
جيتم تريدون تملكون لبلادنا الله يعلم أنكم جهالى
أبو زيد جيتم الضعن الينا عاجل غطى الأراضي سهلها وجبال
دا الوقت أرى حتتك فى سيفي بين الصفوف أدوسها بنعالى
واقطع أنا لرقابكم فى سيوفى وأنزل عليكم نزلة الزلزال
لشر حقك يا سلامى منى وقعت فى بحر عريم مجال
طعنات رمحى فى البلاد مشهورة سم الأفاعى براس رمحى غال
أبو زيد لك منى نصيب يزور لا تغيث منها وادر وزلال
اليوم يا أبو زيد تنظر منى طعنا يشيب المرد والاطفال
كيف جيتم يا ردى لبلادنا ردتم علينا الجود يا أنذال
ارجع بقومك يا سلامة ارجع جاك الردى مثل سبع صالي

قال الزناتي من فؤاده مولع   اسلم بروحك واختشي لقتالي

فلما فرغ الزناتي من كلامه أشار أبو زيد يرد عليه في هذا القصيد ونعم السامعين يزيد :

قال أبو زيد الهلالي صادق   كل الامارة يشهدوا لفعلي
من نجد إلى تونس قهرت ملوكها   وفرسانها وشجعانها الابطالي
أولهم الدبيسي ابن مزيد   قد راح مني على الوطا ورماله
وثانيهما الحرمند أمير العجم   أسقيته كاس الفنا وودلي
وقبله الصنصنيل راح مجندل   من فوق بحر اسرج سرعة مالي
أمير مصر بحربتي أدهكته   لي معجبات تحير الابطال
ومثله عدا غنام ابن مجاجة   كان حربه يشيب الاطفال
وكما ترى الهصيص أخوك قتلته   وأنت نلحقهم عدا [illegible]
ولا ملك الا ملكنا بلاده   وخربتها وأخرجت منها المال
أنا أبو زيد ابن رزق سلامه   بنو قريش عمومي وخوالي
ان طعتني خلي الخواد ولبسك   [illegible] و[illegible] وباقي [illegible]
بقي حسابك من الذين قدمضوا   ما عدت أرثي لك ولا ترثى لي

(قال الراوي) فلما فرغ أبو زيد من كلامه والزناتي يسمع نظامه [illegible] كانهم جبلين وحل عليهم الحين وزعق فوق رؤوسهم غراب البين [illegible] للساعدين وتعبت منهم [illegible] [illegible] إلى وقت [illegible] إلى الحرب والكفاح [illegible] أبو زيد [illegible] في الحرب على الزناتي خليفة [illegible] ما لقي [illegible] فدار راس جواده وولى هارب [illegible] وانكسرت [illegible] فدارکه أبو زيد حتى [illegible] في [illegible] تونس [illegible] حتى [illegible] وغلق الباب في وجه أبو زيد [illegible] أبو زيد [illegible] وضرب [illegible] في الباب [illegible] قومه [illegible] وقتل منهم [illegible] بينهم من [illegible] وشكروه [illegible] الحص [illegible] .

[illegible] القوالين . [illegible]

آهلكت . وجبت لخيله عنــدى هين . ملكت الشرق بحد السيف . وعدنا فيها حاكمين . ملكنا نجد بحد السيف . وهد حصون البنايين . سبع قبائل شتتنا وولوا منا فزعانين. فى عزم دياب . أمير زغبى المضمونين . أما حسن فيها سلطان حاكم فيها ملكناها بالتمكين . وسيفه طال فى الابطال . ولم أموال قسامين . وطاب العيش وراق البال . بطيب الكاس وقصاصين . بنات هلال جمال ظراف . كما الغزلان العطشانين لما غاب السعد وراح . جانا المحل ودام سنين . خمس أعوام علينا دام . عام وعام متوالين جى مرعى مثل السم . ويحيي ويونس كالهصين . ثلاث شبان كما العقبان . [illegible] لتونس مشتاقين . سرعة ودعنا السربة . وفاضت دموع البكايين قطعنا جبال بجنح الليل . سلكنا أرض الرواضين . ثلاث شهور نمشى بسهول . لتونس جينا عيانين . نزلنا عمنا فى بستان اجتنا عبيــد غضبانين . ربطونا وقد ساقونا . [illegible] منهم فزعانين . وجابونا لعند الامير . نهرنى وقال لى يا مسكين . كيف قد جيتونا يا مكار أتم جيتم جساسين . قلت له اسمع يا سيد نحن جينا طالبين محمنا فى [illegible] يا جيد . انك تكرم عالمسكين . غضب ودعا للجلاد . وجانا شيخ [illegible] . ضربنا ضربا مثل الماروا شفي فينا الحسادين . وقال شنقهم يا جلاد [illegible] . شمعت فينا [illegible] سعدا . وعاد الاعادي حيرانين . وقال خليفة [illegible] سعدا [illegible] . ورحت خذتنا سعدا . [illegible] فيها وراحانين . قالت [illegible] . ركبت هين [illegible] الهجانين [illegible] . وحط [illegible] ضرب [illegible] عرب [illegible] الشرايين [illegible] . ابن عمه . [illegible] زيد سياج [illegible] . [illegible] رداج الحرب [illegible] . [illegible] طعنة [illegible] قطعت [illegible] لارواح [illegible] . [illegible] سعدا [illegible] . [illegible] صرت [illegible]

بعود صلاب يسمي عود الثلاثين . حديد قديم يقيم سنين و كم حداد يجيء اليها .
تعود عينيه منقشمين فراح الباب ثمان كعاب . وهيك زنود الضاربين

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه والامراء تسمع نظامه فقالوا يا ويلنا من بعدك يا ابو شيبان ويا حامي الاظعان ثم يرجع الكلام الى الزناتى لما انخرق الباب من ضربة ابو زيد جاءت قومه الى عنده وقالوا له عن الضربة الذي ضربها ابو زيد خرقت الباب ثمانية كعاب فعاد الزناتى فى حساب وأمور صعاب وجمع قومه وقال لهم كيف الرأي ثم [illegible] فى [illegible] الى [illegible] يوم دق طبله ونزل الى الحرب والقتال ودخل [illegible] الى عند [illegible] الزناتى وقال له من ينزل الى الميدان [illegible] يا حضرة الارباب [illegible] قباض الارواح ثم انه اخذ يكتب الى الامير ابو زيد ويقول :

قال ابو سعدي [illegible] خليفة لي [illegible] و [illegible]
لي دار [illegible] من يحي [illegible]
وكل بلاد الغرب [illegible] [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وكم من امير راح من دز القنا وكم من زنود طايرات كفوف
كسرناهم سبعة بسبعة قبالها وكم اصيل راح منا تلوف
حصرونا في تونس واخذوا اموالنا ولا مير منا بالعجاج يشوف
ولا شفت بالجيشين مثل سلامه ولا اظن مثله فارسا موصوف
تكاونت انا واياه في حومة الوغى وعاد لنا بالحرب عظيم رجوف
ثمانين رمح تكسرت ما بيننا وعشرين طير بالارض صار نتوف
وسبعين سيف انحطم بذراعه والكل كانوا من الجياد رهوف
وتحته حمرا يقطع العودا عزمها مسربلة فى لبسها وزعوف
ثلاثين الف امير جز رقابهم وخلى دماهم على الوطاء زروف
وما هكذا الاجواد يا ابو خير تكون بحكمك طاغيا وجنوف
وانت مقدمنا وانت اميرنا وانت حمانا تنجد الملهوف
اسعفنا يا امير يا طيب الثنا وقلبي يحبك ليس منك صروف
فارفع عنا الحرب يا امير الى غدا وارفع عنك شرك المعروف
واعطيك من خيلى جياداً سوابق عشرين الفا سلايل وعروف
واعطيك ميتين حمل حرير احمر وميتين كاس مذهبات تحوف
وميتين الف من سيوف مسقطة بيض اليمانى كلها مرهوف
واعطيك ارض القيروان وقابس بلاد الغرب سهلها وكهوف
ابو زيد خذ مالى وملكى جميعه وانا عبدك على الدوام معروف
بالحرب ما بلقاك يا فارس الوغي واسمع تري عنى وكون عفوف
وكل بلاد الغرب تستلمونها وبجنوا بساتين لها وظروف
ابو زيد اقسمها ولم خراجها واقبل دخول الخايف الملهوف
عدد عسكر ميتين الف ومثلها ومايتين الف مثل بحر يطوف
وتسعين لفا فوق ما حررتهم تركب معى فى معركات الخوف
ابو زيد يا بيت الندي قد زرته ان تعفنى من حربك الموصوف

(قال الراوى فلما فرغ الزناتى من كلامه طوى الكتاب وختمه وارسله مع الوزير لعند ابو زيد فلما وصل اليه اخذه وقراه وتوجه نحو صيوان الامير حسن واعطاه الكتاب فلما قراه قال بحيث ان الزناتى زل من حربنا ابعث له ان يعتق اولادنا من الحبس ويرسل لنا اياهم فراح ابو زيد يكتب الى الزناتى ويقول

يقول ابو زيد الهلالى سلامه　　ولي قلب اقوى من حجر صوان
ولي عزم بالهيجا اذا قام سوقها　　ولى طعن ما كن يكسر السندان
وكم من ملك مثلك كان مجرب　　يطعن يهد العزم راح مهان
من الشرق الى الغرب راحت ملوكها　　وكم ذل لسيفي امير مع سلطان
خليفة تبعث بالكلام تقول لى　　هذا كلامك زور مع بهتان
ان كان ما قلته صدق مؤكداً　　اطلق لنا اولادنا فى الآن
هذا مرادنا يكون منك يا ملك　　وانا منكم من ضرب عود الزان
فلو تزرع الجودات يا ولد صاغ　　حصدت بداله اربع وثمان

(قال الراوي) فلما فرغ ابو زيد من كلامه طوى الكتاب وختمه واعطاه الى المرسال فسار الى ان وصل لعند الزناتي اعطاه الكتاب فحمد الله الذى رضوا فى فكاك الاولاد فبعث الزناتى الى بنته سعدا وقال لها اطلقي المحابيس حتي نرسلهم الى اهلها فلما وصل اليها الخبر اتت لعند ابوها وقالت له يا حيف عليك يا ابي انت صدقت كلام العرب هؤلاء العرب ما بقوا يفرقوا هذه البلاد فقال الزناتى والله لقد صدقني ولو عدمنا الحياة ما عدنا نرسلهم وكان تلك الساعة مرعى عندها فقال لها عملني هكذا وما رضيت نروح لعند اهلنا فقالت اين يا حبيب القلب الم تعلم انني متى اطلقتكم تذهب روحي برفقتكم ثم اشارت تسليه بهذه الابيات وتقول :

تقول سعدا بنت امير تونس　　وجرح الهوى قد علقني حبايله
جرحني الهوى فى القلب اهانني　　ومشعل نار الوجد اشعل فتايله
انا ما ضناني غير مرعي ودلني　　فيارب تجمع شملنا وأواصله
ضوؤه يشابه للبدر اذا مشى　　متى تسمح الايام وانظر جمايله
أنا خايفه يطلقكم ابي وترحلو　　لان سلامه كل يوم يزاعله
وان كان يرسلكم تروحو لاهلكم　　وينظركم حسن وتشفي غلايله
انا خيفة بعد حربنا مع قومكم　　يفرح بمرعي حين ينظر عقايله
ويا مرحبا بالشيل سرعة لارضكم　　وتروحو الى نجد العدية جمايله
هذا قالت سعدي والهوى قد اضامني　　على حب مرعي في فؤادي عمايله

(قال الراوي) فلما فرغت سعدى من كلامها انشد مرعي يجاوبها ويقول وعمر السامعين يطول :

يقول الفتى مرعى بعين سخية   لما بعد نوم الهاجعين دراف

لأن حبك يا مليحة دابى   وجانى هواك والغرام صداف

ولكن أبوك يا مليحة أهاننا   بالحبس صرنا موجعين ضعاف

وان كان يطلقنا ولا تمنعيه   حتي نروح لأهلنا وسلاف

و [illegible] حبس [illegible]   أبوك بين الملا عراف

[illegible] منه   وتعطيه خيلا مع أموال طراف

هذا [illegible] مليحة ومنيتي   نريد الحلال وما نريد خلاف

[illegible] ليس فيه عائق   لاني أنا من نسل قوم أشراف

[illegible] أرضكم و [illegible]   وآخذك حقا بغير خلاف

[illegible] لما   يداركنا الرحمن بالالطاف

[illegible] مرعى [illegible] كلامه وسعدا تسمع نظامه فبقوا على ما كانوا عليه في [illegible] الحبس [illegible] تجيبه الى عندها وتنام هي [illegible] ولولاهم ما طلعوا من الحبس قام [illegible] في [illegible] تكون [illegible] أريد سيدك آحد [illegible] وشرع يقول :

[illegible]

[illegible] عطاه [illegible] حضر ان كنت [illegible] يا سيدي [illegible] من [illegible] حتي [illegible] أي ميدان

قال له أنا خضر ابن موسى فضحك أبو زيد ووقف يشوف ماذا يريد فأشار خضر يقول :

يقول حضر ابن موسى الذي شكا   أنا للزناتي يا فتى نواب

تري خليفه ما عاد ينز.ـ لمثلك   ولا يلتقيك يافتي بحراب

أوعدني اذا جبت له راسك   يعطيني سنجق بغير عصاب

وجيت اليوم اليك لكي أقاتلك   ولا بد مني ما تذوق عذاب

والايام كلها ما تجي معك سعادة   يوم له خير ويوم نكاب

والابطال يا أبو زيد ما كلها سوي   هذا فارس وهذا صعب دراب

أنت أبو زيد الى خضر ادر   لا شك في أنك قتلت صواب

رد ابو زيد الهلالي بقوله   احترقت بنار القلوب حرابي

حرقني الزناتي من فعاله بحقنا   وكان علينا دعيا [illegible]

نزلت لميدان الزناتي أقاتله   لا بد مني ما [illegible]

يا أيها الرجل الذي جاء [illegible]   [illegible]

ان كنت فارس [illegible]   لانك أتيت [illegible]

أما ما يلتقيني لا خليفه أسيركم   [illegible]

[illegible]

[illegible]

(قال الراوي [illegible])

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

افتح فى الباكر واسكر فى المسا وأنا قاعد فى صنعتي مرتاح
قال الفتى خضر الذى نظر العجب وياما نظرنا من ليالى أفراح

فلما فرغ من كلامه والزناتى يسمع نظامه فللوقت استدعى بقلم وقرطاس وأشار يقول :

قال ابو سعدا الزناتى خليفة فزادت هومي اليوم ثم النكايد
جفتنا ليالي العز صارت رزية ولا عاد تأتينا ليالى السعايد
أنا دل عندى فى خراب بلادنا من وقت اجانا ابو زيد رايد
فعتقته عفواً وحالا فقد غدا وجاب ألوفاً من قروم حشايد
حصرنى سلامه حصرة وهي حصرة ولا لى على حرب الهلالى جلايد
أيا غاديا منى على متن ضامر تجد الثرى في قربها والبعايد
إذا جيت الى زيد الهلالى سلامه فاخبره عنى أكيد النشائد
وقل له يا عز قيس وعامر ويامن علي الاجواد فى الجود زائد
سألتك بحق الله يا أمير جرنى بدينك إذا ماكنت للدين رايد
لأنك تعفو عن قتالى وترجع ينالك طري من طيبات الفوائد
وأنا عتيقك يا أمير سلامه وكسب الثنا والجود هولك عايد

(قال الراوى) فلما فرغ الزناتى من كلامه طوي الكتاب وأرسله مع عبده إلى أبو زيد فأخذه وسار إلى أن وصل فركع وباس يد الامير ابو زيد واعطاه الكتاب وأخذه أبو زيد وقراه وعرف رموزه ومعناه وأخذه لعند الامير حسن فقراه ابضا وهم فى الحديث وإلا عبد من عبيد الامير حسن اسمه غازي كان راح ودار بلاد الغرب الجواني من يوم دخل بلاد الزناتى لأن بلاد الغرب الجواني تسمى الشقور وفيها سبعة ملوك وكل ملك يركب بمائة الف خيال رجع وابتدأ يخبر الاسياد ويقول :

ما قال نعق العبد غازى يا ملك جتكم عساكر مثل بحر طافح
اجود ملوك الغرب كلهم من فوق خيلا صافنات قوارح
قد رحت بلاد الغرب وريتهم ومنهم كما رف الجواد السامح
[illegible] أتوه نحدات من بعد المطارح
من لا يقاتل عند عرضه يقتل اخيد ما يرضى فعل القبايح

(قال الراوى) ولما انتهى غازي من كلامه والاماره يسمعون نظامه قال ابو زيد

ارتاحوا أنا علي فى جميعهم وحدي ثم انه نبه فرسانه وراح الى صيوانه فقام الامير حسن وراح لعنده وقال يا ابو زيد انت رايح وأنا خايف من الزناتي يجينا ويأخذ حق الله منا فقال أبو زيد انا احط لكم راية حمرا على بوابة تونس فلا يطلع عليكم مادام الهوى يلوح بها ونمشي بالليل ولا ندق طبل حتي نلاقي القوم ونرمي فيهم الوهم فعاد الامير وأما من ابو زيد صبر الى الليل هو وقومه بني زحلان ومشوا نحو ذاك العدوان مقدار سبعة أيام حتي وصلوا الي موضع فيه ربيع ومياه فقال أبو زيد حولوا فحولوا وفرشوا له الحرام فنعس ابو زيد ونام وتوقع ان ذلك علي وكر ثعبان فطلع وضرب ابو زيد فى فخده وقلب وارمي سمه ففاق ابو زيد من ضربة الثعبان وصاح صوت من صميم الفؤاد يا أجواد فركضت عليه اخوانه فبحثوا على الثعبان وقتلوه وإذا هو عشرة أشبار وعاد فى قلب ابو زيد لهيب النار وعاد القوم في اكبرهم فحملوه وعادوا فيه الى البيت فقامت عياله البكاء والنواح على هذا الاسد المسموم وصار النكاب فى بني هلال وعرف الامير حسن وخاف من الزناتى وأما من الزناتى فلما عرف أن أبو زيد ملسوع دياب غايب قوى عزمه وفرح وبات معتمد على حرب بنى هلال وأشار يكتب الي الامير حسن ويقول :

يقول أبو سعدي الزناتى خليفة	وقلبي عليكم يا هلال حقود
قتلتم رجالى فى المجال غصيبة	وعاد دماهم فى البلاد بسور
قتلتم أخي المصيص غدر وبوقة	وهو كان ضد الظالمين عنود
ولي طار سالف من عهود قديمة	وطاري عندكم من زمان جدود
والله لا جرد عليكم عساكر	واحشد عليكم بالأنام حشود
واسبي حلايلكم وآخذ موالكم	وابدل لطيب عيشكم بنكود
أنا أبو سعدا أنا قاهر العدا	ولى فى فعالى يا كرام شهود
شهودي زنودي والقنا ثم صارمي	وبيض العذارى راخيات جعود
يا ادوعلى قوم لتقيني بلا بضا	وتروح من سيفي طعام لدود
جميعنا الف عدة جموعنا	عليهم من أزرد المتين نود
يا وعلى ارحل بطعنة من رضمنا	وفوز بنفسك تبلغ المقصود
مالك عندي إلا الطعن وقمع	وضرب بشيب هدمة المولود
قاد عاني ربي سريع أهلكتكم	واعقد عليكم كل يوم عقود

أنا أبو سعدى الزناتى خليفة هنيا لمن خالى عنا وحقود

(قال الراوي) فلما فرغ الزناتى من كلامه طوى الكتاب وأرسله الى الامير حسن فلما وصل اليه كتب له الجواب وأنشد فى عاجل الحال :

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي مضي العمر منا بشدة وبكود

مضى عمره بالضرب والطعن والقنا زمان المضي ما عاد ظن يعود

من عهد بني تونس قرن ملوكها وكم جيش سلطان غدا ممدود

ما عد عرفك يا زناتي مصادم كم واحدا مني غـدا مطرود

غدا الله ينصف ما بيني وبينك أجيك بدرع من عمل داود

وجرد السيف والقنا وصارمي وحوله شباب يشبهون فهود

حاد وغازي يا ابن مذكور فيهم على خيل ضمر بالطراد تجود

أنا حسن المسمى سرحان أبو علي أنا للأعادى حنظلا مبرود

أنا شوكة أنا لوعة البلا بيوم يصير الريق منه جمود

وأنا ما انسيت يا زناتي خليفة ولا عن قتالك عاجز مطرود

غدا تنظر الرايات وعل أبو علي نه في صدور المدرعين قيود

ما قال الفتي حسن الهلالي أبو علي يا سعد من لا شاف يوم نكود

(قال الراوي) ولما فرغ الامير حسن من كلامه طوى الكتاب واعطاه الي النجاب فاخذه الى مولاه واعطاه اياه وقراه وعرف رموزه ومعناه ولما اصبح الصباح دق طبوله وركب واطلق الغارة على بني هلال فركبت بنو هلال خيولهم ودقت طبولهم والتقي الفريقين وانعطت العين على العين فبرز الزناتى الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه الامير حسن والتقوا البطلين كانهم جبلين وطار من تحتهم الغبار حتى سد منافس الاقطار وقدحت حوافر الخيل نار وتكسرت بينهم الرماح الطوال والسيوف الثقال وكلت منهم الزنود وزهقت منهم ... ولم يزالوا على هذا الحال حتى دق طبل الانفصال فافترقوا على سلامة ... فلما صبح الصباح واضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابي ... برز الزناتي سعيد ن وطلب الضرب والطعان فاراد الامير ... لا تخاف عليك من الزناتي وابو زيد ملسوع وذياب غايب ... حادث بتروح بنى هلال شرايد في الجبال فقام الخفاجي عامر وطلب الزناتى فمنعه حسن وقال انت نزيل عندنا والنزيل ماعليه حرب فتقدم الخفاجي واقسم يمين عظيم ان لا يبرز للزناتي يرحل بقومه عن

بنى هلال فتركوه وثانى يوم دق طبل الزناتى ونزل الميدان فبرز اليه الخفاجى عامر فالتقوا البطلين كأنهم جبلين وزعق فوق روسهم غراب البين وفى الثالث كل الزناتي وولى هارب من قدام الخفاجى وكان عند الزناتى خطيب يسمى مطلوع فقال للزناتي باكر انت انزل اليه وانا اتخبى بين الورد وانت انكسر قدامه فيلحقك حتى يفوتني فاجيه من وراه واطعنه من قفاه واعدمه الحياة واما من الخفاجي فانه رأى مناما ان قدام بيته شجرة طويلة اجاها نجار قطعها وحفر على شلوشها فقام من منامه مرعوبا واستدعى فى بنته ذوابة وامرأته وقال لهم عن منامه

يقول الخفاجي والخفاجى عامر   رأيت مناما منه عقلى طار

رأيت شجرة نابته وسط دارنا   قطعها سريعا يوسف النجار

وقدم منكوشه وحفر شلوشها   وقطعها بالقدوم والمنشار

وامس ارسل الزناتى يقول لى   كلاما أكيدا واضح الاسرار

يقول لى يا امير اترك قتالنا   وبعض عنا جملة الاضرار

اوعدنى بالمال والملك والعطا   يرغبنى فى معدن وبهار

فما ردت فى هذه العطاية يا ذوابة   وارميت فى قلبي لهيب [illegible]

نخاف انهم حسبوا احسابى جميعهم   وقوم الزناتى كلهم مكار

لان منامى يا ذوابة راعني   وارمى في قلبي لهيب [illegible]

ولكن مهما يفعل الله جائزا   الله تعالى واحدا قهار

قال المسمى الخفاجى عامر   من ذا المنام بقيت كالمحتار

ردت ذوابة بنت عامر تقول له   اترك حليفة لا [illegible] اشرار

انا خائفة من ذا المنام يصيبنا   ويرمي [illegible] والاضرار

[illegible] عليك من الزناتى خليفة   لانه [illegible] غدار

له سطوة بالحرب ما شفت مثله   [illegible]

ما شفت قوم هلال فيما جرى لهم   خلى [illegible] على [illegible]

فاهجم ولا تطع واقعد [illegible]   [illegible] غرفة [illegible]

ما قالت ذوابة والبكا هد حيلها   يا حسرتى [illegible]

(قال الراوى) فلما فرغت ذوابة من كلامها وهو يسمع نظامها قال لها يا بنتي اذا ركبوا بنو هلال ماذا يكون الجواب وانا حالف يمين بانني احارب الزناتى

عشرة أيام فقالت له اهمل حالك ضعيف يعذروك أما بني هلال دقوا طبولهم وركبوا خيولهم وفقدوا الخفاجي عامر فما وجدوه بينهم فسأل عنه حسن فقالت الجازية أنا أروح اليه فراحت تلاقي ذوابة نائمة تبكي فسألتها عن الخفاجي قالت أصبح مريضا فرجعت أخبرتهم فقال حسن الخفاجي قسم يمين أنه يحارب الزناتي عشرة أيام وكان له ثلاثة أيام بقي عليه سبعة أيام وكان حاضر أمير اسمه ظريف محب إلى الخفاجي فقال أنا بروح اليه وبنظر معانيه فراح إلى عند الخفاجي فقال فلما وصل كان نائم فجلس على حيله وقال له حول يا أخي نحو عن جواده فسأله عن حاله فأشار الخفاجي يقول :

قال الخفاجي ولد درغام عامر	يا ظريف حول تعالي أضيف
وحيلي ارتخى مني يا أمير وانقطع	وعام جسمي يا أمير تليف
مرعوب مما نظرته في منامي	وقد عهدت من هذا المنام رجيف
رأيت شجرة طالعة وسط دارنا	لها غرس نائف وظريف
اجانا نجار وقطع غصونها	واحرقها بمنشاره تحريف
وشفت الزناتي راح مني هزيمة	وكنت عليه بالطراد جنيف
خايف يكون دبر علينا حيلة	ومها تشوره ما به تخيف
ورد الفتى المسمى ظريف وقال له	ألا يا خفاجي لا تكون مخيف
شد واركب للزناتي وصادمه	أخاف تصبح بين الانام مخيف
يا أمير ان العمر من رافع السما	مكمن علينا ليس منه مخيف
ما دام لك أجل ما قط تقتل	ولو كنت نازل وسط بحر مطيف
خيار الفتى موته بظهر جواده	بيوم يكون الريق فيه نشيف
يقتل ويقتل يكسب الحمد والثنا	يبيض لعرضه وثناه نظيف
... ولا تخشى ... جميعها	ولا عيشنا بالذل والتخويف

قال الراوي ... ظريف من كلامه والخفاجي يسمع نظامه وثب كالاسد وشد على جواده وتقلد ... الحرب والجلاد وسار مع ظريف فعندها رنقعت ... ودنت ... وحين شاهده ... أنشد يقول وعمر سامعين يقول :

يقول ابو ... من فؤاد معمر	نيران قلبي رايدات وقودها
أنا خليفة الحروب مجرب	لي سابقا بالخيل أنا ردادها

ألقى ألوف الخيل مانى خايف أبطال تعرفنى بيوم طرادها
أجول في حربي وحين طرادى وتزيد فى حربي ترى أنكادها
ابشر بقصر العمر جالك واكد لابد ما تسكن عميق لحادها
رد الفتي المسمي الخفاجي وقال له نار الحروب أنت قائم شرارها
أرسلت لى مكتوب كون صديقي وأعطيني تونس وكل جدارها
ماردت درب العيش ياأبو سعدا أخاف ترخص عندنا أسعارها
من ما كون الخفاجي عامر فى جاه عند كبارها وصغارها
أصبح هزيلة فى هلال ممسح ويكشفون عروضها وسطورها
لكن هذا اليوم جيت لحربك لابد ما أسقيك كاس مرارها

فلما فرغ الخفاجي من كلامه التقوا الفارسين فى حرب وصدام وصاروا فى جرب شديد يفك الزرد النضيد فانفك عزم الزناتي من شدة حربه فولي هارب وللنجاة طالب وحكم دربه نحو جنائن الورد وكان الخطيب كامن بين السياجات وماسك الرمح بيده وإذا بالزناتي والخفاجي لاحقه فطلع الخطيب وطعن الخفاجي بين كتفيه خرج يلمع من بين لوحيه فأرماه قتيل وفى دمه جديل فغار الفريقين والتحموا الطائفتين وصاح على رؤوسهم غراب البين وأما ظريف صديق الخفاجي فقد شوش عليه فلحق الخطيب وطعنه فى الرمح أصاب الجواد أرماه على الارض فرد الزناتي اليه وخلصه من بين يديه وركبه جواده وزال بينهم القتل حتى ولي النهار فانفصلوا عن القتال وأملئت الارض من القتلي وأخذوا الخفاجي عامر الى بيته ومددوه فأشارت بنته ذوابة تقول من فؤاد متبول .

قالت ذوابة دموعى من أماقيها نيران قلبي من يقدر يطفيها
جادت علينا سليما من نوائبها وأسقت لعامر شربة من أوانيها
أبكت ذوابة دموعا لأجل والدها بات الخفاجي من يقدر يمكيها
ياحيف رحنا ما شفنا منه زلة يا حيف يا بدر دار العز تخليها
أنا ذوابة أبوى عامر المجد سند المكارم وقد شيد مبانيها
قد كان مالك فى أرض العراق له كم كربة من هموم قدر يخليها
البين يا ربع بأرض البين شتتنا جور الليالى تجور ليالها
جاله مطاوع على شهب مبرشمة تشبه لريم الفلا تمرح علاليها
طعنه بحربة طول الليل يسقيه وراح عامر ضريح العرش سالمها

بعاله ظريف سريع من فوق سابقة ضرب مطاوع ضربة جاهده فيها
رأضحي الخفاجي بأرض الغرب منطرحا ماظن عدنا لارض الشرق تقنيها
من هو لذي بوصل الاخبار نديرتنا وعلام عامر ترى من عاد يحميها
ما قالت ذوابة ونار القلب مشتعلة على أبوها وغربتها وتاليها

فلما فرغت ذرابه من كلامها فاق أبوها الخفاجى عن غشوته وعيونه تدفق بالدموع وأنشد يقول :

يقول الخفاجي بن درغام عامر بدمع جرى ما أظن مثله مدامع
نيران قلبي كلما أقول تنطفى يهب لها جوى ضلوعي لدايع
أنا مثل صقر رابياً تحت عشه من المحل جابه بروق اللوامع
نسى وكره لمن طلع من بلاده وخلافي وكره فروخ الجوازع
يبات ويسرى طالب الصيد والفلا يمنع حتي ما ترى الوفد جامع
وإن كان هذا الطير ضيع وكره وراح على ذكره مديد الوسايع
اذا ما جفتك الدهر يوما بقربه اسأل عن الاجواد ان كنت ضايع
ولا تنزل إلا فى بلاد رتيبة بلاد العدية حولها السم ناقع
وشبابها تنقل السيف والقنا على كل طافح يرعب الخيل قارع
وشيوخها ترمى العدا فى مهالك بالروح ماهو بالمهمات القوانع
قولوا للطير الذى فى بلاده أيضا طيور قد نجينا نواجع
ماجئتك إلا يكسب حمد وثنا تجيني وتأتيني بعقل رواجع
ذوابة إن كنت دنت منيتى فأوصى ظريفا يجعل القبر واسع
وبعد ما تبعثوا كتب لاهلنا عسى الخير منهم يجيكم مسارع
ولا ظنى خير يأتيكم من بلادنا بلادى بعيدة سهلها والبقائع
أبى وامى ترى كيف حالهم يستنظرون رجوعى ولست براجع
ولا بد من بعد موتي بنتي لهم دعوتهم من بعدى يسكبون مدامع
وقولوا لهم تم تعظم ما جرى وذكم عمر عند ربه دتلاوع
بوصيك يا حسن ما بالى ترعى دون ابنتى ماهم من مدافع
وأنت شفوق على ابنتى يا محسن يعضيك ربك عاليات المواضع
يا أيها الطير الذى طار بالفلا تسى الى الدهر الذي بك مطالع
أذا كل ربيع بأرض مصر وزرعها وتبيض فى أرض العراق المواضع

سلم علي أبي وأمي وقل لهم   يرضوا عليها في صلاة الجوامع
وأشهد أن الله لا رب غيره   فهو واحد وماله من ينازع
وأن محمد عبده ورسوله   نبي أتى برحمته عاد شايع
أودعتكم لله ربي وخالقي   وقاتي دنت ما عاد لها من ممانع
وهذه مقالات الخفاجي عامر   والروح من رب الخلائق ودايع

(قال الراوى) فلما فرغ الخفاجي من كلامه والامير حسن يسمع نظامه شهق شهقة واحدة واسلم الروح فقام عليه الصياح والتمت عليه العربان من كل تاح حتى ملوا الروابي والبطاح وكسروا عليه السيوف والرماح وغسلوه وكفنوه وواروه التراب يرجع كلامنا الى الزناتي فانه دق طبله ونزل الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فما برز اليه احد فقام حسن وقال علامكم يابني هلال ما احد يبرز للزناتي فما احد رد الجواب عليه فقال القاضي مرادي أكتب أوراق ووضعهم في جواب والذى تطلع ورقته ينزل غصب عن رقبته فقال هذا هو الرأي الصواب والامر الذي لا يعاب فكتبوا الاوراق ووضعوهم في الجراب ومد القاضي يده وشالها فقال لهم ورقتي فقالوا انزل اليه فقال ياقوم احفروا لي قبر حد الخفاجي لانني أعلم أنه دنى أجل وحل ارتحالي من هذه الدنيا ولكن أمر الله مامنه مهرب فقالوا له اذا لزم الامر مالها لازيد ولا عمر فقام واشتد واعتد ورمي العمامة عن رأسه ونزل الي الميدان فقال له الزناتي يا قرنان من تكون من الفرسان قال أنا هو قاضي العربان قال له أنت القاضي تعرف الحق من الباطل وتجهل والى حربي تنزل فأشار بيده عليه ويقول وعمر السامعين يطول

قال الزناتي من فؤاد انكوى   سيفي تحني في رقاب الظالمين
كل الفوارس هنتها يوم الوغى   جميع قوم هلال مني خائفين
خافوا جميع هلال من ضربتي   من رمحي ينفسخ لصخر متين
جونا هلال يملكون بلادنا   يبغوا ديارنا كأنها مستريحين
لافيتهم سرعة بجيش عرمرم   وندبتهم تقضي ابو زيد تبين
وهفيت منهم كل قرم شمشم   ...
ألا يا بدير أنت رجل قاضي   كيف تتبع للرجال ...
أنت قاضي الشرع ما بين العرب   تقرأ كلام الله وعلم مبين
كيف حال قتالنا في شرعك   نحنا وأنتم يا أمارا مسلمين

قال الزناتي ما بقالك مسالك ... وقعت فى حربى وماعاد لك معين
رد الفتي القاضى بدير وقال له ... يا خليفة كن فى قولك رزين
نحن بشرع الله نحكم دائم ... هدى جميع الخلق للحق المبين
لما اجانا المحل زار بلادنا ... وقد غشانا المحل فى جد السنين
سبعة سنين ما اجانا قطرة ... ولا زارنا برق ولا رعد مبين
قمنا بعثنا الامير سلامه ... أرفاقه ثلاث شباب مجربين
صاروا يدوروا فى البلاد جميعها ... كل البلاد أتوا اليها رائدين
ما أحد تعارضهم فى كل الطريق ... إلا انت حبستهم يا متين
فارسلت تطلب من ابوزيد فكاكهم ... جمال ودراهم مع ذهب ثمين
ما رضينا الذل نرسل لك أموال ... جينا لارضك يا زناتى راحلين
وانت تخوفنا بحربك والنزال ... أين قائدكم غدا مني طعين
قال الفتي المسمى بدير القايد ... لا بد أدعيكم جميع مجندلين

(قال الراوى) فلما فرغ القاضي من كلامه والزناتي يسمع نظامه وقع فيما بينهم حرب شديد ضرب يقطع الزرد النضديد مقدار نصف النهار فقام الزناتي فى عزم الركاب وضرب القاضى بدير على كتفه الأيمن وشقه نصفين إلى الخاصرة فوقع القاضي قتيل وفى دمه جديل فلما رأوا بنى هلال قاضيهم قتل التقت الرجال بالرجال حتي جرى الدم وسال وفضت الروابى والتلال ولا زلوا على تلك الحال حتي ولى النهار واقبل الليل بالانسدال ودقت طبول الانفصال فانفصلوا الطائفتين عن القتال وحملوه إلى بيته وقاموا عليه الصياح من كل ناح وصار عزاه كأنه يوم القيامة ووقعت الحسرة والندامة فقال حسن ما ينفع الموت هذا العدد لكونه شىء لايفيد فغسلوه وكفنوه وفي التراب واروه وأشارت بنته فتنة تقول :

ما قالت فتنة بنت قاضى العرب ... ودموعها فوق الخدود رشوش
على فقد صناديد الرجال وعزها ... بدير بن فايد ليس فيه غشوش
هو أبى وعزى وفخرى وذخرى ... على فقده عقل الرجال بطيش
ما كان مثله فى هلال وعامر ... ولا عمره انطق كلام وحيش
تقي نقي ما يعرف العيب والخنا ... ولا يرتضى بالنقص والتغشيش
ولا عمره حط النساء فى همته ... ولا يريد كثر الشر أو التوحيش
يحسن على الايتام بالفحظ ونعلا ... وكل الارامل في حمه تعيش

قتله ابو سعدا بحد حسامه وعاد لأجله بالفؤاد تشيش
تلاطم هو وإياه فى حومة الوغي تقول سبعين التقوا فى هيش
وتزاحموا الفرسان يوم ابن فايد وصاحو الهلاليات ما منعيش
قبرناه بأرض القيروان وقابس وقمنا على قبره ضلال عرش
وقديت قمصانى وكل ثيابي وعدت شبه الطير من دون ريش
عشرين الف قميص قد مزقونها وكانت ثمينة حسن التلبيش
وسابوا بنات البدو بعد موته واصبح فؤادى مندهش تدهيش
الله لا يبلي الخاليق بلوتى من ابتلى مثلى ليس يعيش

(قال الراوى) فلما فرغت فتنة من كلامها أخذوها عن القبر وعادت بنى هلال فى حسرة على القاضي وثانى يوم دق الزناتى طبله وبرز للميدان وطلب مبارزة الفرسان فقال حسن هاتوا الجراب فجابوه فتقدم مفضل اخو القاضي بدير ومد يده طلعت ورقته ولبس آله حربه وبرز إلى الزناتى وأشار يقول :

يقول الفتى المسمي الامير مفضل ونيران قلبي زايدت اللهايب
يهب سناها بين راسى ومهجتي لهيبا لها جوا الضمير تلاعب
أكيدهم أخذوا أخي ابن والدى وزادت فينا معظمات المصائب
أتيت أريد الثار منك بلا خفا فبادر الينا يا زناتى وحارب
اليوم يوم طال فيك نهاره وتنظر ما تقضي اليك النوائب
قتلت لنا القاضى يجازيك ربك إلى جانب المولى فلا كنت راقب
أنا مفضل كاسب الجود والثنا ألا يا خليفة جئت لأجلك محارب
وهذا كلامي يا زناتى وافتهم لا بد ما ادعى دموعك سكايب
فرد عليه أبو سعدا وقال له سعد الفتى ماهو على الدهر غالب
وعمر الفتي مكتوب من رافع السما إذا فرغ يغدى تحت التراب
الايام يا مفضل صارت سوية يوم به سعد ويوم صعيب
أخوك بدير تمنا فى قتالنا وحلل اقتتلي فى جميع المذاهب
وهو اعقل العقال ما بين قومكم واصبح لنا دون ابن اخي محارب
لما رأيته جن ما له هدى وطلوع هلال ثم اصحي بمضارب
قلت له ما عاد فيها حشيمة والعود ما له منزل ولا صاحب

لا أيتم النسوان فى ضرب صارمى يجى بينهم يلسع كلسع العقارب
شرت بدير يا مفضل قتلته وقد صار منى جيفة الترايب
وانت اخوه بتريد تأخذ بثاره وغريت نفسك بالبلا والمصائب
روح بحالك يا مفضل واهتدى لأنى خبير فى أمور الصعائب
فهذه نصيحة من زناتى فافتهم وان كان ما تسمع كلام المعاطب

قال الراوى فلما فرغ الزناتى من كلامه التطموا الفارسين فى حومة الميدان وبدوا فيما بينهم الحرب والطعان وما زالوا فى كر وفر حتى طار عليهم الغبار وسد منافس الاقطار وقدحت حوافر الخيل نار وقد داموا فى الحرب والصدام مقدار خمسة عشر يوما حتى اندهل الزناتى من حرب مفضل فضرب ديوان وقال لقومه من منكم يقتل الامير مفضل وأشار يقول :

يقول ابن سعيد الزناتى خليفة ويا ما نظرت عيوننا من نكادها
والسعد قد ولى وراحت رواحنا وقد راح من طيب الليالى رقادها
لياليى اعطناها خير ونعمة حكمت المغارب مع بلادها
ولكن رد الدهر الذي ضرنى لزمنا وبلغنا الاعادى مرادها
وجانا ابو زيد بجيش كما الجراد من الشرق جونا للمغارب فصادها
وأضحى يطاردنى بميدان حربه لقيته على كل البوادي سنادها
وبعده قتلت قروم هفيتها وأخذت نسوان لها مع أولادها
أنا كل ما جانى أمير أكيده وأقول غدا ما عاد فيها روادها
يصبح يقاتلنى أمير بداله أمارة شبيه النحل بالوكر اجادها
يا قوم اعجزنى مفضل بحربه طعناته بالحرب ما فى مثالها
كنت أقول ما مثل ابو زيد بينهم تارى ما هو نقطة ببحر أسيادها
ان فيكم يا قوم من يحاربه يذيق الاعادى والفوارس شرادها
ينزل الى الميدان يقهر مفضل ينال العطا منى وينال مرادها
أعطيه منى ما يريد ويشتهى ويعلى مقامه بين قوم اسيادها
ما قال الزناتى والزناتى خليفة إذا ابيضت الدنيا جدد سوادها

(قال الراوى) فلما فرغ الزناتى خليفة من كلامه والخطيب مطاوع يسمع نظامه قال انا انزل اليه وما لمفضل الا الخطيب ولما أصبح الصباح لبس الخطيب آلة الحرب والقتال وبرز الى الميدان فنزل اليه مفضل وقال له أين الزناتى فقال أنا

جيت أكاون عنه وأشار الخطيب يقول وعمر السامعين يطول :

قال الفتى المسمي خطيب مطاوع قد جيت أرميك بحرب لدائع

سمعت بالقاضي يهدد اقومنا وعاد فى حرب الزناتى طمائع

يا مفضل روح روحك راحت وعود إلى قومك سريع راجع

وادعى لقومك يرحلوا من ويقصدوا واسع الفلا والبقائع

ان قامت الهيجا وثار عجاجها كم قرم منى بالمعامع واقع

لي فى محاربة الرجال سوالف وأخبارى شاعت فى كل المواضع

أتيت لحربي يا فتى لا تهرب وكن لحربي يافتى قرم مانع

مقال الفتى المسمي مفضل وقله لا ياخطيب اسمع وكن لى مطاع

قد أنا جيت لحزب الزناتى عاجل قد منك الثار مانى فازع

أناأخي الي الزناتى قاصده ادعاه أبو سعدا قتيلا واقع

يتم ولاده وهم صغار فى حينا جميع النسا شقت عليه البراقع

فغضبت أنا من فعل أبو سعد به وجيت أنا له يامطاوع سارع

كالحته بالحرب أول وقعة وجار فى قصره رفيع [illegible]

خمسة عشر يوما قمت بحربه وراح جاهل من قتلي فازع

كيف أنت اليوم جتني تهرج [illegible]

ان كان أبو سعدا [illegible] وهو شديد [illegible]

أنت خطيب ليس [illegible] تحسب [illegible]

يا خطيب [illegible] ان [illegible] راجع

لا تروح [illegible] [illegible]

لابد [illegible] يا خطيب [illegible] [illegible]

[illegible] مفضل من كلامه [illegible] الطعن [illegible] وقد تقطعت [illegible] فكان [illegible] خطيب ضرب [illegible] [illegible] فقتل [illegible] جميل [illegible] [illegible] مفضل [illegible] فعاد [illegible] لكن [illegible] بقتل مفضل وكان عند أبو [illegible] حكيم [illegible] يدى منك

دوا يبري السقم من لسع الثعبان لأن عندي جارية انقرصت فأجابها دوا يقطع آثار السم فاستدعت عبد من عبيدها وقالت له خذ هذا الخنجور أعطيه الى أبو زيد وإياك تخلي احد يدري فيه لك متى كلما تريد فاخذه العبد واعطاه الى أبو زيد ورجع فشرب منه أبو زيد شيء قليل فبرى لوقته وفي ساعة الحال دقت الطبول وزعقت الزمور وذهبت عن بني هلال الهموم والمكدور فسمع الزناتي وعرف أن أبو زيد قد طاب من لسع الثعبان ووقع في قلبه الخوف والارتعاب وقال باكر ينزل أبو زيد الينا من يبرز منكم وقال الخطيب أنا له والى ألف من مثاله فبرز الخطيب الى الميدان وعرض وبان وطلب الفرسان فبرز اليه أبو زيد وأشار يقول:

قال الفتى المسمى خطيب مطاوع ... أرميت قوم هلال في حرابي
وقت البقا طعن القنا بيماننا ... والشوص عاكفة شبيه دياب
أين أبو زيد كنت عنها ... من أمس ما شفناك رد جواب
والخيل تصهل بالعجاج كأنها ... رعد تحدر من أعالي سحاب
وحريمكم تندب لفقد رجالها ... فوق الحنايا ما تريد نقاب
ولا لكم قرم عاد يبرز ... وقد خاف كل شيوخكم وشباب
ما ردها غير لأمير مفضل ... قد جاء الينا مثل فرخ عقاب
وطعنته في سن رمحي طعنة ... سنها يلمع كبرق شهاب
وغدا مفضل من قدتي واقع ... وحريمه شقت عليه ثياب
واليوم يا أبو زيد تبقى مثله ... مرمى على وجه الفلا وتراب
رد أبو زيد الهلالي وقال له ... قولك ما فيه خطيب صواب
تحقيق أنك يا خطيب مقرقع ... وقعت بالاشراك والاطنان
مسكين عقلك ما بقا لك ملجأ ... أنا سلامه قاهر الطلاب
كم قد قهرت من فرس بلوغا ... كل الملوك أنا لها قصاب
خضت وقائع بالضراب شديدة ... كم فارس مني غدا قلاب
انت قتلت لي مفضل برقعه ... هذه المنايا كلها اسباب
كيف تدعي كان نعرفه جميعا ... وادعي منازهم تصير خراب
تحسب خطاب خرب جيت تخطب ... تعم لاولاد بالكتاب
قال ابو زيد هذا في سلامه ... يا مطوع لا تكن هراب

(قال الراوي) فلما فرغ أبو زيد من كلامه لتقي البطلين كأنهم جبلين وحان

عليهم الحين وزعق على رؤوسهم غراب البين مقدار ساعتين فقام أبو زيد في عزم الركاب وضرب الخطيب بالسيف على هامه حط راسه قدامه فلما رأت قوم الزناتي ان مطاوع قتيل وفي دمه جديل ولوا هاربين وإلي النجاة طالبين فلحقهم أبو زيد وبني هلال ودعوا منهم القتلى تلول وجابوا خيلهم وعددهم وعادت بنو هلال لعند حريمهم بالعز والاقبال وأما أهل الغرب فوقع عليهم الذل فعنـــد ذلك أرسل الزناتي الاعلام إلي سلاطين القشور وكانوا سبعة سلاطين وكل سلطان يملك على مية الف عنان وارسل يقول لهم انه قد أتانا عساكر وعربان ومعهم مكاسب لا يمكن يصفها لسان فبادروا الآن لنأخذهم في حد السيف والسنان فلما وصل الخبر اليهم جردوا عساكرهم بالحال ومشيوا من يومهم فتواردت أخبارهم إلى بني هلال فقال أبو زيد علي فيهم وحدي بعون الواحد القهار وأشار بهذا القصيد يقول

قال أبو زيد الهلالي ســـلامه اصغوا لقولي يا جميع هلال
طمعوا بنا الاعدا جميعا واعتدوا وجاهدنا فيهم بحرب طال
قتلوا أجاويد الدريدي وعامر فرساننا راحوا بحد نصال
وأنا كنت ملسوعا عن الحرب قاصر أقاسي وجع في الضر والانكال
لما الفرج قد جاء من رافع السماء ذهبت عني الاوجاع والاهوال
نزلت لميدان الزناتي اصادم من الصبيح بكر قاصد الأبطال
أسرع وبارزني الخطيب مطاوع فغدا مطوح فوق تل رمالي
وجبت فرسه خلف مني جنيبة والدمع منها على فراقه سال
يا قوم هموا ثم قوموا واركبوا ميتين الف تابعة في الحال
نقصد ملوك الشقور نبيدهم قبل أن يضيقوا على هلال مجال
لابد ما أقهر جميع ملوكهم ونغنم جميع جمالهم وأموال
وأنت يا حسن الهلالي أبو علي هذا الزناتي جار في الأحوال
قرم عنيد فاحذر من حربه ولا تزلوا من القتال زلال
وان زحمكم ارسلوا لي بلا بطا أجي وأدعي للقتول تلال
ما قال أبو زيد الهلالي سلامه لي قلب يشبه صخرة وجبال

(قال الراوي) فلما فرغ أبو زيد من كلامه دعوا له بني هلال بطول العمر والبقا وركب في قومه بني زحلان وأخذ أولاده معه مخيبر وشيبان وأخذ معه من بني زغبي لتين عنان وصاروا إلى ملتقى الملوك ثلاثة أيام وثلاث ليال حتى

وصلوا الى وادى النمور وكمنوا للقوم فى الليل ولما أصبح الصباح أقبلت عليهم جيوش مثل الغمام وعندها التقت الفرسان وركب أبو زيد فى أولهم والتقى القومين فعندها صاح أبو زيد بصوت ومال فيهم على الميمنة وشيبان وباقي القوم على الميسرة حتى خلى القتلى تلول والدم نهور وقتلوا السبع ملوك وجيوشهم وكسبوا خيولهم وأسلابهم ورجعوا فيهم نساؤهم عنده لم أبو زيد عسكره ونزلوا وربطوا فى الوادى خيولهم غيرهم وهذا ما كان من أبو زيد ورفقاه وما جرى لهم فيرجع الكلام الى الزناتى فلما سمعه الخبر دق طبله وبرز الى الميدان وبرز اليه زيدان ابن غانم شيخ الشباب فقال له الزناتى من أنت ومن تنسب ومن الفرسان فقال أنا الأمير زيدان ابن غانم وأشار يقول :

يقول الفتى زيدان ابن غانم ... أنا مرعب الأبطال والفرسان
ولا في على في الملا يا خليفة ... ولا يلتقي مثلى ندا الفرسان
ولكن عليك عتبتم بحكمكم ... وفعلك بنا قد شاع في العربان
قتلت [illegible] وفرومنا ... وراحوا منك في التراب دفان
قتلت [illegible] ... وأخوه مفضل قد غدا منهان
ولا وقعة [illegible] ... [illegible] يا زناتى [illegible]
[illegible] ... [illegible] يا خزان
[illegible] جيت [illegible] ... [illegible] صرت [illegible]
[illegible] ... [illegible] منهان
[illegible] ... [illegible] زيدان
[illegible] ... [illegible] زيدان
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] حتى داروا الجهد [illegible] كذلك خاد [illegible] الى باب المدينة

فقفلوا الأبواب في وجه زيدان وكانت خطيبة زيدان معه وهي بنت عمه واسمها ضيا فلما تزاحمت القومين جفل هودجها ورماها فأخذوها قوم الزناتي ولما رجعوا من الحرب أمر الزناتي أن تحضر ضيا الى عنده وأمر سعدا أن تبقى ضيا عندها وتحفظها وأشار يقول وعمر السامعين يطول :

يقول ابن مهران الزناتي بلا اخفا ‏ ‏ ‏ أما في المدامع قرح الجفن لونها

على ماجري بيني وبين أهل عامر ‏ ‏ ‏ فرسانها لو قاتلوا في جنونها

كل يوم أذل أمير وأكيده ‏ ‏ ‏ واقول ما عاد أحد منهم يصونها

يصبح يكاوني أمير وثاني ‏ ‏ ‏ وزادوا علينا واكتروا في فنونها

جاني الفتى زيدان من صبح باكر ‏ ‏ ‏ ضربته بالدرع أروت سنونها

زيدان يشبه ابو زيد بالوغا ‏ ‏ ‏ وطعناته تلك التي تعرفونها

ولا نظرت مثله في هلال وعامر ‏ ‏ ‏ يشابه افرخ البز عند شبونها

تلقاه ببحر السرح يقلب على الوطا ‏ ‏ ‏ يبقي يشابه [illegible] يحسبوا بها

يرجع لبحر السرح كأنه حمامة ‏ ‏ ‏ مرقعة ما بان منها عيونها

ولي ثلاث ايام اقاسي حربه ‏ ‏ ‏ من الصبح حتى الشمس [illegible]

ضربني ضربة من يمين صميدع ‏ ‏ ‏ قطع زرد درعي [illegible]

انطرحت في قصري [illegible] ‏ ‏ ‏ [illegible]

يا سعد [illegible] ضيا [illegible] ‏ ‏ ‏ [illegible] زيدان [illegible]

ولا [illegible] ‏ ‏ ‏ ولا [illegible]

[illegible] يا سعد [illegible] ‏ ‏ ‏ [illegible]

[illegible]

أرسلت ضيا الى ابن عمها [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

من [illegible] الحرب [illegible]

فرجع له مطاوع وهو في الحفيرة فضربه على هامه ارما راسه قدامه وارسل راسه صفقة مع روس الامارة على سور تونس فاشتبك القومين واطبقوا علي بعضهم الفريقين حتى ولى النهار ودقت طبول الانفصال فرجع الفريقين وباتوا الى الصباح وثانى يوم برز الزناتى الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه بدر ابن غانم اخو زيدان فالتحموا فى الحرب اى التحام وصار بينهم ضرب شديد يقطع الزرد النضيد الى نصف النهار فوقع فيما بينهم ضربتين قاطعتين وكان السابق فى الضربة الامير بدر ضرب الزناتى بالرمح فخلا منه وثنى عليه بالسيف فأخذها بدرقة البولاد وثلث عليه في الدبوس فخلا منه ببراعته وكثرة شطارته فاعتدل الزناتى على ظهر الحصان وضرب بدر بالسيف فقطع راسه وارسله الى تونس فوضعوه بجانب راس اخوه زيدان وكان لبدر ولدين واحد اسمه عقل والثاني نصر وكانوا افرس اهل زمانهم واجل اهل عصرهم وأوانهم فقال عقل لابد ان ابرز الي الزناتى وكانت ام الاولاد اخت الامير حسن واسمها هولا فسمعت عقل يقول هذا الكلام فعزت الدنيا فى وجهها وفزعت عليه من الزناتى لانه اولا بطل مغوار وثانيا متى انغلب يدبر حيلة في قتل من نازله فابتدت هولا عن حرب الزناتى وتقول :

تقول فتاة الحي هولا الحزينة	ودمعي جرى من مقلتى سخين
جسمى انضنى من لوعة البين والنيا	ولى قلبي من جور الزمان حزين
أيا عقل ارجع عن مقالك واهتدى	واصغى إلى قولي وكون فطين
أنا خائفة عليك يا ابنى من العدا	نعمى عيونى من البكا وأنين
نت صغير السن ما ذقت لوعة	وأما الزنانى فى الحروب متين
له سطوة فى الحرب ما شفت مثلها	كم فارس قد أراح منه طعين
خليفة ترى صعب المراس مجرب	وما أحد له يوم الحروب مهين
ما انت يا ولدي أراك قبالة	بينك وبينه يا فتى خمسين
أما أبوك غدا وراح بيومه	أنا خائفة أفقد اثنين بحين
بالله عليك يا عقل رد كلامك	وقلبي بقى من ذا الكلام حزين
ما قالت فتاة حى هولا حزينة	قلبي انقطع من علة وعنين
رد الفتى عقل الذي هاج ما به	لى قلب من فقد الزمان طعين
طعين من فعل الزناتى خليفة	قتل والدى وزيدان عمى دفين
يا أمي أنا بالحرب باكر أكره	بسوق المنايا ما أحد لى يعين

مهما قضى الله على العبد صابه ... وعمر الفتي يا أماه حصن متين
غدا ينظر الزناتى فعل ابن هولا ... إذا ما بقى للصافنات غبسين
وتبقى الصبايا بالعطاف دوالع ... فوارغ جوالس كالبدور ضمين
ويزلغطوا قد هاج عقل على العدا ... وعقــل بصوت الغانيات دهين
وشورك أنا يا أمي ما أريده ... شور المذلة للرجال يهــين
فلا بد عن قتل الزناتي خليفة ... بقول حقيق وأكدى بيقين

فلما فرغ عقل من كلامه رأت أمه بأن كلامها معه لا يفيد راحت لعند اخوها ووقعت عليه فركب حسن واتى لعند عقل وأشار ينهيه عن حرب الزناتى ويقول :

يقول الفتي حسن الهلالي ابو علي ... يا عقــل اسمع لى وكن عروف
واترك كلامك يابن اختي واهتدي ... خليفة ترى صعب المراس جنوف
قتــل من أبطال الدريدى وعامر ... أيضا وزغبي حالهم متــلوف
ولا عاد له يا عقــل فينا مقاتل ... ولو كنا مائتين الف ألوف
يتم لنـــا أطفالنا فى محلنـــا ... وبكوا عليهم بالدموع ردوف
فما سوى عمـــك دياب ابن غانم ... ونحن عجزنا وحالنا متلوف
فكيف يا ولدى انت تقاتله ... وتلقى لضربات القنا وسيوف
لا تقرب النيران توقع بوسطها ... فاقصر عن قولك وكن عروف
فانت صغير السن لا ينسخى عليك ... ترى الزناتي ديب وانت خروف
فاعقــل ألا يا عقــل يكفي تعاند ... أمك لأجلك عقلهــا مخطوف
رد الفتي عقــل ابن هولا وقال له ... لا بد يا خالى غدا ما تشوف
قمم كراديس المنايا بهمــتي ... وسـيفي وزينات العيون تشوف
هناك يرد الخيــل عقل ويثنني ... وكم فارس منى غدا محــذوف
أنا يا خالى ما أريد إلا معاركة ... بيوم الوقائع ما أريد وقوف
وانت تقول يا خال قوم وارتجع ... وكن عن حرب زناتى مخوف
وشـورك لى يا خالى ما أريده ... أنا أخاف قدرى يرتجع مخسوف
أكون ابن بدر الخيل ابى على نقا ... وانت خالي يا حسن معروف
يصبح ابن اختك ذليــل من الملقا ... ويغدى قدرى منخفض مخسوف
فلا ارتضى ان اكون هزيمة ... لو كنت اغدى بالسيوف نتوف

وغدا لابد أن آخذ الثار منهم   وانى الى حرب العدا وتشوف

فلما فرغ عقل من كلامه علم حسن أن ماله خلاص وقال له الله ينصرك عليه فلما أصبح الصباح لبس عقل بن هولا آلة الحرب والكفاح وركضت المهاريات والعات فرعات ينخو على الحرب والثبات وصار عقل في الميدان وعرض وباز وطلب مبارزة فرسان وبرز للزناتى خليفة وقال له من أنت فقال الزناتى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم نقتل كباركم يحوى صغارهم فصار عقل يهد على الزناتى بهذا القصيد ويقول :

قال الفتى عقل بن هولا صادق	لى عزم أقوى من متين جبال
انى أنا الحروب مجرب	منسوب من زغبي وقوم هلال
بن أبى اسم جدى غانم	أما التي حسن الدريدى خال
عمى دياب الفارس المتغطرس	سبع الفلا حامى لطعن هلال
اسمع كلامي يا زناتى أوافقهم	اني أصيل من فروع طوال
جيتك لأخذ الثار منك عاجل	أيضا لثار عمومتي وخوال
زيدان عمى كان خيال الوغا	غدرته وأدعبته على الرمال
أبرى قتلته بعد عم بالوغا	وملت فيا ميمنة وشمال
وهديت منا كل قرم غشمشم	ويتمت من بعد الرجال طفال
وتد جيت يوم آخذ ثارهم	وأدعيك متقولا بغير محال
عقل الفتى تنظر ما في الوغى	اليوم تنظر همتى وفعال
رد ابن مهران الزناتى وقال له	أنا مريع الخيل فى يوم النزال
يا عقل راح نعقل منك شارد	أنت صغير السن مالك حال
زيدان عمك كان أكبر منك	قرم مجرب قاهر الابطال
[illegible] تقتله بالوغا	أدقته كاس المنية مال
[illegible]	قد ذاقي ياعقل كل هوال
[illegible] أعجب عجب	وحط عقلك يا صبى بدلبال
وان كنت منى ترجى دهبت طعنة	تروح منا تحت تل رمال
أنا الزناتى بالحروب مجرب	ما شبيهي بالوغا ومثال

(قال الراوى فلما فرغ الزناتى من كلامه فالتطموا الاثنين كأنهم جبلين او اسدين زائرين حتى حمى وحمي عليهم الزرد فعرف الزناتي عقل انه فارس

لايطاق وأمرّ من العلقم ومن صغر سنه خبير بطعن السنان وضرب اليمان وصاروا الزينات ينخوا الوحي ياحامي الزينات وعقل قد زاد حربه واشبع لزناتي من ضربه وحمى الميدان بفعله لا زالوا فى قتال وجدال لحين الشمس مالت للزوال فدقوا طبول الانفصال . ولما أصبح الصباح ركبوا القومين والتحموا الفريقين فبرزوا الى الميدان وصاح على روسهم غراب البين واما الزناتي كل ود. وضعف قوته وانحل فلوى عنان جواده وولي هارب والى النجاة طالب فتبعه عقل واطلق له من بحر راق وقلب مشتاق وخدته الطعنة للجواد أرما الزناتي على الأرض وادركوه قومه وخلصوه فانحدف عليهم عقل وبنى هلال وعظم الحرب والأهوال ولم يزالوا بالقتال حتي ولي النهار بالزوال واقبل الليل بالانسدال فدقت طبول الانفصال فعاد الزناتي مرهوج ومن حرب عقل مزعوج وصار يوحى فرسان قومه على قتل عقل ويقول وعمر لسامعين يطول:

يقول أبو سعدا الزناتي خليفة   ونيران قلبي زايدات ضرام

حرب الاعادى طال على مجاله   وكل نهار طال فيه قتام

أيا احبتي وأهل الخشيمة فاسمعوا   وكونوا لقولي يا كرام فهام

ومن منكم ينزل الى عقل يقهره   ويدعيه فى وسط للجود ينام

أعطيه تونس ثم تورس وأرضها   وأعطيه بصرة ملكه ولزم

واعطيه سعدا أن تكون حليلة   ويكون عندى فى أعز مقام

ويشتفي مني فؤاد بقتله   يالخشيمة يا ملوك كرام

هذا ما قال الزناتي خليفة   حربي كيد الاعدا سجام

(قال الراوي) فلما فرغ الزناتي من كلامه وقومه يسمعون نظامه فقام ابن أخته مطاوع [illegible] خال [illegible] حرق [illegible] وأجيب ساعه يحرم على [illegible] الرمح [illegible] ويحوم على شعر فوق رامي [illegible] الزناتي [illegible] عينيه .

ولما أصبح الصباح ركب مطاوع جواده و[illegible] فى عدته وجلاده ودقت طبول بنى هلال وركبوا الخيول الابطال وركب عقل [illegible] لاكل يوم فلما شافته الزناتية و[illegible] ولى منجة صابين و[illegible] مطاوع فقال له الزناتي لما انهزمت يا ابن أختي فقال انهزمت قومنا و[illegible] عقل وصل تحت سور تونس فطلت بنت الزناتي ثانية وكان [illegible] فنظرت

الى عقل وقع هواه فى قلبها وملك فؤادها وانشدت تقول :

تقول فتاة الحى بسما التي شكت ونار الهوى لوع ضميرى لهيبها
وحبك بقلبي عقل أضنى لحالتى فأنت من روحى وانت عديلها
خليفة ثم أولاد مذكور كلهم بني مذكور كبرها مع صغيرها
وقال لهم يا عزوة الجود والسخا رمونا العدا فى حرب زائد نكيدها
فمن منكم يبرز الى عقل بالوغا ويسقيه من كاس المنايا غليلها
فنهض مطاوع وقال يا خال اذا انه واسقيه كاس الموت طافح بذيلها
وباتوا على هذا الشور يا ابن هولا وان خليفة لروحك لازم يشيلها
وأنا علمتك يا عقل شفقة عليك لانك صغير الوقائع جهيلها
وأنا أرى يا فتى رد لاهلك وخلي البلايا كثيرها مع قليلها
وهذا الخبر يا عقل اصحي وافتهم وحبك زاد الروع منى غليلها
قالت فتاة الحى بنت خليفة بسما اشتهت أن عقل يكون حليلها

(قال الراوى) ولما فرغت البنت بسما من كلامها فأشار الأمير عقل يقول وعمر السامعين يطول :

يقول الفتى عقل ابن هولا المتيم جرح الهوى خلى الفؤاد نحيل
جرحنى الهوى يا بسما على صبا ولا يلتقى لي بالغرام خليل
وقد عدت يا بسما من الوجد هائم ركبت الهوى عسفا بغير دليل
وأنا أحب الاهوى كل كاعبة بنات الأمارة للعقول تزيل
أحب طراد الخيل والحرب واللقا اذا اصطلت نار الحروب شعيل
أخوض غبار الخيل [illegible] عقيده ويرمق لنحوى كل طرف كحيل
ألا يا [illegible] كلامك واقصرى أنا عقل مانى بالشباب هزيل
لا تحسبي [illegible] من العدا ولا أنا من حروب الرجال جفيل
[illegible] يلاقونك عني والقروم تميل
[illegible] وقد ذاق من حربى الا تكليل
[illegible] مطاوع ويرى قتلى بالطراد عجيل
[illegible] مطاوع لادعيه [illegible] فوق الوطا قتيل
وأنت تشوفى يا بسما [illegible] وبيض العذارى بالعطاف تميل
[illegible] ودى الأمير مطاوع [illegible] يوم الحرب والتنكيل

وهذا كلامي يا مليحة فاسمعي ولا تكثري لي القال ثم القيل

(قال الراوي) فلما فرغ عقل من كلامه وبسمة تسمع نظامه فعاد عقل لعند العماريات وعقل نوقهم وقال ردونها فلما شافه مطاوع عقل نوق العماريات فبرز الى الميدان وأشار يهد على عقل ويقول وعمر السامعين يطول :

جاك مطاوع من يطيق حروبه مضرم الفرسان فى نار الحريق
جاءونا قوم هلال ذاقونا البلا قلبي من أجلهم دايم حميق
قتلنا منهم كل قرم غشمشم بسيوفنا راحوا منا محيق
ما عاد غير أولادهم يطلبوننا ثاراتهم يريدوها منا حقيق
إن كانت الابطال ما كادوننا كيف الذي بالحرب مايعرف طريق
أنا مطاوع للعدا كابد حقيق بيوم المعامع انسمى بحر عميق
أين يغدى عقل من طعناتنا قالون انه بالوغا شب وثيق
أنت صغير السن ماذقت الوغا ولد جاهل تسمى مانك عتيق
أنا قتلت قرومكم راحوا هفا ما منهم فارس إلى حربي يطيق
شيخ الشباب قتلته راح مقطع وأنت من بعده تكون لحيق
اليوم يومك يا ابن هولا وأكد وتشوف مني يا ولد عظم مضيق
هذه مقالات الأمير مطاوع ما ينفعك اليوم خل ولا صديق
رد الفتى عقل ابن هولا المتيم مفرج الشدات فى وقت المضيق
أنا ابن بدر الخيل خليفة غانم عمى دياب الفارس الزغبي حقيق
أما حسن خالي الأمير أبو على سلطان قيس واسمه على حقيق
أيا مطاوع لا تمجد روحك إني أنا بالملقا ثابت وثيق
سابل خليفة يوم عارك حربنا راح مني هرب ودمعه دفيق
ما أظن أنك أنت أقوى منه ذاك فائق وأنت نائم ما تفيق
ابشر بقطع الراس مني عاجل يوم من سيفي أنا تغدى محيق
ما عاد فيها يا مطاوع عفة لي عندكم ثارات سابقه عتيق
حيث ما استوفيتها من دون خفا ما عاد غير الطعن والسيف البريق

(قال الراوى) فلما فرغ عقل من كلامه سحبوا الحسام وانعقد الغبار والقتام حتى سد منافس الاقطار وهم فى حرب وصدام وافتراق والتحام وتجريح الموت الزؤام قدحت حوافر خيلهم نار وطار من سلاحهم الشرار فيا لها من

أسدين درغامين وبحرين متلاطمين أما مطاوع فرأي قدامه فارسا كرار وأسد مغوار وشافه من عقل حرب حير عقول الأطفال فعول على الهرب والفرار فاشتلق عليه الزناتي فغار على عقل والثاني راح الى عند مطاوع والثالث قدامه وحطوا عقل ابن هولا مواسطة فالتفت عقل وضرب واحداً منهم أرماه وغار على الذي قدامه فلا زالوا الجميع من قدامه هاربين فنزل عقل عن جواده وعقل نوق العماريات وأشار يقول :

يقول عقل الشجيع الفارس	عقلون جمالكم ياذا البنات
عقلوها وانظروها لقمايلي	وأنتم من خلفي جيعا دالعات
ولا تخافوا من مصادمة العدي	كل من قرب اليكم ذاك مات
هل يوم يوم لا أريد خلافه	أنا سياج البيض عز المحصنات
جبار موت القوم فى سوق اللقا	إذا بقت طعناتهم معخالفات
يموت الفتى فى عزة يكتب الثنا	ان المضرة فى ضهور الصافنات
لاعاش من هو بالرجال مزوق	مصفصفاغاوى بلبس الفاخرات
ما يري فى الحرب يوم مجالها	يهرب ولا يخشي حديث المعيرات
أنا ابن بدر الخيل ما فى غبا	خالى حسن عز الملاح المفتنات
عمى لفتي الزغبي دياب الماجد	حامي الزينات عز المحصنات
يا جازية معقلوا جمالكم	وانظروا عقل ابن هولا يابنات
هـذا مقال ابن هولا صادق	كونوا لقولي ياعذاري فاهمات

(قال الراوى) فلما فرغ من كلامه والبنات يسمعون نظامه فأشارت الجازية أم محمد تقول :

قالت اجازية يا عقل استمع	واصغى الى قولي وكن خبير
أنت صغير سن ما دقت لوعة	ولا بعمرك خضت بحر كبير
ياعقل لا تجهل ولا يغريك الطمع	خليفة تراه فارس وذو تدبير
تريد تعلق نوق بجهلك	بهذه المعامع ليس شور خبير
أخذف تعقلهم فيأتوك عدي	يدعوك تبقي بالرماح دمير
ويسبون بنات البدو منك غصيبة	ويبقي عليك العار والتدمير
من قال انه دوم لدهر غالب	هذاك عقله ناقصا وحقير
يوم به نصر ويوم مذلة	والدهر دولاب يضل يدير

وتحذر يا عقل من ذا الثلاثة   والرابع المذكور راح غفير
منهم فارس لابس ثوب أحمر   هذا ما خليفة مابه تنكير
واحذر منه كم قتل من فوارس   وكم ذل منه بالطراد أمير
قد وصفت الكل لك يا ابن هولا   واني نصحتك نصح رأى مشير

(قال الراوى) فلما فرغت الجازية من كلامها وعقل يسمع نظامها فما قيل بل عقل النوق وقال أنا دونكم وغار على قوم الزناتى وكل فارس وقع أمامه زوره المقابر والبلا فنزل اليه الزناتى ومطاوع والعلام وعلام بن نجدة اثنين من قدام واثنين من ورا وغدره مطاوع فى طعنة بقفاه أرماه فقال الزناتى خذوه حى فتزاحمت عليه الرجال حتي جرى الدم وسال فراح جسم عقل تحت نعال الخيل ما بان له آثار وانكسرت بنى هلال ودقوا طبول الانفصال فرجعوا القومين الي الاطلال وكان الى عقل أخ يسمي نصر فقال غدا انزل إلى الميدان آخذ ثاري من هؤلاء الأعداء الغدارين فلما سمعت أمه هولا بكت بكاء شديد وتحسرت على عقل وأشارت تقول :

مقالات فتاة الحى هولا الحزينة   وفى القلب نيران تزيد لهاب
وحزن عقل الخيل أضنى لحالتى   فتي من جميع العالمين يهاب
فتى خليفة الاجواد قرم مجرب   له فعل بالهيجا كسبع الغاب
غدره مطاوع والزناتى خليفة   وخلا دموعى جاريات سكاب
فيا نصر انظر أخوك ابن والدك   هفوه العدا تحت النعال وتراب
فراح المسمى قتيل مطاوع   ابن للردى من أمس فينا غاب
أريد له يانصر تاخذ لثاره   وتزيل عنى العار ياحباب
أريد يا نصر تقتل مطاوع   وتدعى دمه على الوطا سكاب
الزم تجيب شهبة مطاوع جنيبة   يحكون فى عرضك كلام عتاب
ولا يكون خذلك الهلالى أ.وعلى   ولا عمك المسمى أمير دياب
ولا أخوك عقل ولا بدرو ...   ولا يسمعك ... شع... ...
يا ولدي ان الفتى عز النفس   ولا يرتضي بالذل عرضه ساب

(قال الراوى) فلما فرغت هولا من كلامها والامارة وولدها نصر يسمعوا نظامها أشار يقول :

يقول الذى قد فتت الحزن قلبه   ياأم لا تبدى على عتاب

فلا تحسبي انى أخاف من العدا أنا نصر اسمى قاهر الطلاب
فان كان أخى قد راح بيومه وليس الأجل يبعد ولا بعتاب
وموت الفتي بعزه مثل عرسه إذا قام سوق الصافنات طلاب
وان لم أجب شهبه مطاوع جنيبتى فلست عز البيض يوم حراب
وان كنت لم آخذ بثار ابن والدي أكون ردى الاصل والانساب
غدا تنظرنى شهبة مطاوع جنيبتى ودماه من فوق التراب سكاب
ولا بد عن قتل الزناتى خليفة بثار شيخ أبطالها وشباب
أنا نصر الزغبي الاصل ماقي غبا أبو على خالى وعمى دياب

(قال الراوى) فلما فرغ نصر من كلامه قد طاب خاطر أمه وثاني الايام برز نصر إلى الميدان ونادى في أعلى الصوت وقال ابرزوا يا أبطال فبرز اليه الزناتى وقد ظن أنه عقل ما كان يعرف أحدهما من الآخر فقال الزناتى لقد عاش عقل ورجع للحياة عاد يؤكد فيه نصر يهد عليه ويقول :

جاك ابن هولا ونصر قرم ثابت يقتل مطاوع والامير زناتى
موجوع من غدراتكم وفعالكم وقد جعلتم نار فى أحشاءي
أيا ابن مهران عمرك قد فرغ فى صارى المنقول ثم قناتى
أنت قتلت أبى وعمى قبله وأسقيتهم صرف النيا كاساتى
وبعد ذلك قد غدرتم عزمنا عقل ابن هولا فارس الشبات
حرقت قلبي والفؤاد مهجتي وحرمت عيني النوم اليها يأتى
فكيف أنسى عقل وآخذ ثاره واليوم كلكم تصبوا موات
ياأمير ارسل لى مطاوع العجل لكى أقتله وا كتسب السمعات
قال الفتي نصر ابن هولا صادق نيران قلبي زايدات لهبات
رد ابن مهران الزناتى وقال له يا نصر جاك الموت والشدات
كم فتي يا قبلك وأبوك بعده من راس رمحى بجملة الاموات
عمك غد قبلك وأبوك بعده وأخوك عقل راح من حملاتى
تحت حوافر ما بن به حجر ما انحط فى كفن ولا حفراتى
واليوم أنت تروح مثله هالك وتذوق منى أوشم الموتات
ما جاء بكم الا نصيبي منكم أرز قكم والبوش نحو ابياتى
قال الزناتى من فؤاد معظم ياما تركت جيوش راحوا اشتاتى

فلما فرغ الزناتي من كلامه صدم الامير نصر صدمة جبار لا يهاب فالتقاه بقلب أقوى من الصوان والتطموا البطلين كأنهم جبلين واختلف بينهم ضربتين قاطعتين كان السابق نصر للزناتي بالسيف فالتقاه بالدارقة فشطح السيف على رقبة الجواد براها كما يبرى الكاتب القلم فوقع الزناتي على الارض فأدركوه قومه فى جواد وأركبوه ومالت المواكب وهاجت الكتائب وما عاد يعرف العدو من لصاحب كان يوم مذكور كأنه يوم النصر المنظور وبقي السيف القرضاب يعمل على الرقاب حتى ولت الشمس الي الغياب فدقوا طبول الانفصال وباتوا الفريقين يتحادثون الى الصباح فركب نصر وبرز الي الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه مطاوع فأنشد نصر يهد عليه ويقول :

قال الفتي نصر ابن هولا صادق | اليوم جيتك يا أمير مطاوع
قتلت عقل الخيل غدرا يا ردى | ودعيت رمحك من بدنه طالع
أحرقت قلب أمي عليه يا ردى | عادت تنوح وتسكب المدامع
اليوم يومك فيك اخذ ثاره | ما عدت أنت إلى اولادك راجع
اليوم اخذ ثار أبي وعمي | وثار عقل منك يا مطاوع
أتيت لحربي لا تكون مقرقع | ان كنت ما بين الامارة شايع
لا تسمع الاسباط فى حربك ترى | وادعى حسامي هام راسك قاطع
اليوم يوم الفارس المتغطرس | فلا تكون فى القتال مخادع
هذه مقالتى فاسمع يا ردى | يا مغربي يا ابن كلب جايع

(قال الراوي) فلما فرغ نصر من كلامه ومطاوع يسمع نظامه فأشار يرد عليه ويقو وعمر السامعين يطول :

قال الفتى المسمى أمير مطاوع | النار فى قلبي تزيد لدايع
يا نصر روح بين الاولاد العب | أنت ما تقدر الي تسارع
أخوك عقل كان أفرس منك | على الوطا غدا قتيل ينازع
اليوم أنت جيت تأخذ ثاره | رح الي أهلك وكن مني سامع
ان كان ما ترجع جيتك بضربة | تروح ميت من حسامه واقع

فلما انتهى مطاوع من كلامه انطبقوا بالحرب الشديد حتى حمى ازرد لمصيبه فاختلف بينهم ضربتين وكان نصر السابق فوقع رمحه فى صدر مطاوع فطلع السنان يلمع من ظهره فوقع على الأرض قتيل وفى دمه جديل فعندها غارت قوم

الزناتي وحملت أيضا فرسان بنى هلال وزادت المصائب والاهوال والتحموا الفريقين فى المجال وصار الزناتي وفرسانه يحاولوا نصر وامر الزناتي فى أناس تقاتله واناس تحفر له حفاير ومازالوا بالحرب والصدام حتى وقع نصر فى الحفيرة فغار عليه الزناتي وضربه بالسيف على هامه حط راسه قدامه فأخذوه وأمر أن يحطوه على صور تونس جنب راس عقل فغارت القومين وتزاحمت الفريقين وزعق فوق روسهم غراب البين ولم يزالوا فى القتال حتي ولى النهار وزا وأقبل الليل بالانسدال رجعوا عن الحرب والصدام واخذوا نصر يدفنوه بجانب ابيه ولحق عمه واخيه واما امه واخته قصوا شعورهم واقاموا احزانهم واشارت امه تقول

تقول فتاة الحى هولا الحزينة	بدمع جري فوق الخدود بنار
على ما جري فينا وماقد اصابنا	والفكر ثم العقل منى طار
على عقل عقلي راح من مستقره	ويا نصر مالى بعدكم انصار
ونزلت دموعى كالنهور الجارية	وجانى البلا قاصد لربع الدار
فيادمعي جودى واجرى صبابة	على اخوين كانوا كالاقمار
فلو ان نهر النيل بالقلب يجرى	وسيحون مع جيحون والابحار
ونهر الفرا ودجلة والشط كلها	وعاصى وحما وكم نهر دار
على نار قلبي ليس يطفي لهيبها	وتزيد فيه حرقة وشرار
على شان عقل ونصر ثنتين جملة	كأنهم قلبي مع الابصار
ولا عاد لى حيل ولا قوى	تجرعت صبر حنظل المرار
ايا ليتني قد مت قبل فراقهم	ورحت انا تحت التراب وحجار
مين بعد كم صان العذارى من العدا	ويزيل عنا الضيم والاضرار
ايا ابنتى قومي اندبى طول عمرك	على اخوتك كانوا حماة الدار
ويا طول حزنى كم دمت الحيا	ان جاء دياب الحى وسط الدار
ينادون عقل ونصر اولاد ولادك	يزيدوا علينا الحزن والاضرار
فهيا تى وجودى بدمعي واسكبي	ويا حيف اعمار الجياد قصار
فنوحوا على هولا واجري لها	فان عيوني مثل كى النار

(قال الراوى) فلما فرغت هولا من كلامها اشارت بنتها فتنة تقول وعمر السامعين يطول :

قالت فتنة بدمع جري اسجي	يجرى على الخد شبيه السيل طفاحي

أبكي على دارنا قد أصبحت قفرا فيها طيور التيا والبوم صياحي
تنعي أجاويدها من ظن تقاهم والدار من بعدهم زادتها أنواحي
كنا بخير وعز قبل فرقتهم وفارحين برغد ثم أفراحي
ودوم عقل إلي الخطار يكرمهم السيف والضيف موقف دوم دباحي
ونصر مثله ولاعب يخالطهم هم غطاريف عدات الحرب وكفاحي

فلما فرغت فتنة من كلامها قاموها الناس هي وأمها عن القبور فقال غانم أنا من بعد أولادي لا أريد حياة ومرادي أنزل الزناتي وأحاربه اما اقتله وآخذ منه الثار واما يقتلني واستريح من الاحزان وكان غانم صار اختيار فبرز إلي الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز أولا الزناتي قدامه فأشار غانم يتهدد الزناتي ويقول

يقول الفتى على ما جرى له بدمع جرى فوق الخدود وغار
ألا يا زناتي استمع شرح قصتي وكون لحربي فارسا هدار
أتاك غانم يا زناتي خليفة يشبه إلي ليث الوغى أمهار
قتلت أولادي يا زناتي كلهم وأولادهم اثنان كالاقمار
وتسعين أميرا ياخليفة قتلتهم وقمنا عزاهم ليل ثم نهار
وجيت أنا اليوم آخذ بثارهم فما يغلب إلا زايد الاعمار
أنا فارس الفرسان أبو دياب بالوغا اليوم أنا آخذ منك الثار
قال الفتي المسمى بفعله غانم حمل البهر ما هو كحمل حمار

(قال الراوي) فلما فرغ غانم أشار الزناتي يقول :

قال الزناتي بن مهران صادق ولي قلب أصلب من حجر صوان
أنتم علينا يا أمير اعتديتم زرتم بلادي وأخربتم البلدان
قتلت أولادك راحوا بذاتهم بدر الفتي المسمى أخو زيدان
وأولادهم برزوا يريدوا قتالنا عقل وأخوه زينة الشبان
قاتلتهم راحوا بغامض الثرى وصفيت راس الكل على الحيطان
تسعين أمير صار واروسهم عندي ورملت من بعدهم تري لدوان
ما عاد إلا انت يا أمير جيتنا فأنت شايب بالكبر وزمان
تروح يا مسكين ما قل عقلك ما يلتقي حربي سوى المردان
فارج روح صلي واعبد ربك واختم لهم في سورة الرحمن
أنا ما اقتلك وحط خطك برقبتي فتلك تراه ضد ثم عدوان

(قال الراوي) فلما فرغ الزناتي من كلامه فالتقوا البطلين كأنهم جبلين ولم يزالوا في قتال وجدال إلى أن الشمس ولت بالارتحال فدقت طبول الانفصال فرجعوا عن الحرب والكفاح ولم يزالوا على ذلك مدة شهر على الكمال وبعدذلك كل الامير غانم وما عاد له عزم على الحرب ومن غيره فماعاد أحد ينزل الى الزناتي فضرب الزناتي ديوان وقال لقومه ما عندكم من الرأى فتقدم ابن عمه العلام وأشار يقول :

يقول الفتي العلام ولد غضية	أوصيك انت عار ثم فاهم
أوصيك لا تأمن زمانك ولو صفا	وافعل فعال الخير ما دمت سالم
ولا تأمن الدنيا الغرورة ولو صفت	ورجل يعاندها تخليه نادم
وتمضي ليالي الطيبات بطيبها	وتعرض ليال مظلمات قتائم
ما ذا لك يا دنيا ومن يقتني بك	تخليه فوق الارض غرقان نائم
تفكرت أنا في حالنا وماجرى لنا	وشفت أموراً مزعجات همائم
أيا نار قلبي كم يزيد لهيبها	يزيد شعيلها في فؤادي ضرائم
على أيام أبوسعدا الزناتي خليفة	زمن اجماع الشمل كنا لمايم
فلا نعرف الشدة ولا نعرف الرخا	وكنا في نعمة والخير دائم
والا الليالى قد سعت بفراقنا	وطير النيا فوق الدار حايم
بيوم أتي ضعن الهلالي ابو على	بأربع كرات ألوف بلغو العمائم
تسعين الفاً للهلالى سلامه	وتسعين للزغبي دياب بن غانم
وتسعين الفا إلى بدير بن فايد	وتسعين إلى ابوعلي بالسعد دايم
تسعين اف له توابع وقدهم	يراعوا جميع البوش وكل الغنايم
يدلهم ابوزيد في ارض تونس	وفيهم أمارة كالجبال الصدايم
بهم كل قرن ينطح الف وحده	أحاويد شجعان بوقت اللزايم
صبرنا هم قلنا يقوموا يرحلوا	وهم قد أتونا طالبين الغنايم
زحفوا علينا كالجراد زحف	وتلاحقت نار البلا بالسمايم
أول نهار لا علينا ولا لنا	وثاني نهار في تقطع جماجم
وثالث نهار كان يوم عرمرم	ورابع نهار بقي علينا ملازم
وخامس نهار الشمس مال ضوءها	وعاد السواد شبه ليل الطلائم
والسادس احمرت الارض بالدما	تدوس الخيل على الجثث والجماجم

وسابع نهار عقد علينا غبارها ... وما خاضه إلا قوي العزائم
وثامن نهار خاضت الخيل بالدما ... وعاد عجيج الخيل وقت الظلايم
وقالت عزيزة يا زناتي خليفة ... انا حلمت حلما ما حلم فيه نائم
رأيت مناما يا أبي قد رأيت ... سهرت وغيري خالي البال نائم
رأيت طيور الشرق أتوا البلادنا ... طردوا طيور الغرب ولوا هزايم
وفيهم طير مثل برج مشهر ... ومن فوقه قوم قوى العزائم
دخل قرار البيت وارمى عموده ... قمت ضربت الرمل بان منه علايم
فذاك العمود انت هو بلا خفا ... والطير هي خضرة دياب بن غانم
فقم يا خليفة شد واركب ... على سابق اشقر من العتب سالم
واطلق عليهم غارة أي غارة ... وقلي أوفوا يا عرب للزمايم
انا لا اشبع الغربان والبوم والرخم ... بضرب ما يرشيه سلك الملايم
قالت بنات هلال اين سلامه ... ينادون يا ابو زيد كل الحرايم
فكوا يديه من القيد جانا مطوح ... على ظهر حمرا مثل برق الظلايم
كسرنا سبعة ثم سبعة نظيرها ... وعاد علينا مثل سبع يزاحم
ولا يعتنى الا بكل مجرب ... ومن يضرب به يبقى على الارض نائم
ابو زيد ماسك جنبها مع يمينها ... وزيدان على اليسري يسوى المظائم
ومن يضرب زيدان مايعود ينثنى ... يعود على اعلى المدرجات حايم
تلوح عليه البيض من كل جانب ... يظلوا نسانا سابغات المدايم
وعقل بن هو لالا يرع الخيل لو رمح ... من لحمه يعرف جميع اللهايم
ميتين طعنة لابن هولا حسبتها ... ولا طعنة الا وترمى الجماجم
ينادى ابن عشرة ما يموت ابن تسعة ... ولا ما يقضي جميع اللوازم
يضل ورانا حتى نخش قصورنا ... ونغلق الباب وكل المخارم
فيلعب حصانه عند ابواب تونس ... من الصبح لثاني يوم وقت الظلايم
فسكوا شبابيك القصور بناتنا ... ودلعت لأجله ذبلات نواعم
سياج العذارى ولو كان يقلع خيارنا ... فيدعوا له بالنصر يرتب سالم
وطلبت بسما بنت سلطان تونس ... تنظر الى عقل لشجيع المخاصم
وقالت له يا عقل ابي نصحتك ... وانا اخبرك صار باس لا كارم
خليفة جمع أولاد مذكور كلهم ... واظهر لهم خبرك وكل العلايم

وقال لهم يا عزوة الجود والسخا ... يا أهل المروة يا كبار الحشائم
من منكم يقتل عقل ويجيب سابقه ... أعطيه نصف الحكم ما دمت سالم
وأعطيه بصرا ثم زرقا وتونس ... وأعطيه سعدا بنت ماضى القوائم
ووليه أســـواق المدينة كلها ... وأعطيه ياناس كل الغنائم
ما دام شاشى يلوح مع الهوي ... لاجعل فرسان البوادي هزايم
تنبه مطاوع للزناتى وقال له ... ياخال أنا أفديك بعقل بأعلي اللوازم
ان كان ما أقتل عقل وأجيب سابقه ... يحرم على دالعات الرشائم
يحرم علي السرج والعز والهنـا ... يحرم على الزواج بين العوالم
أما يقتلني ويأخذ سابقي ... أما أجيب حصان عقل المخاصم
وصوت الزناتى يرعب الخيل بالوغا ... يلاطم كراديس المنايا يلاطم
نادى فى الميدان عقل وقال له ... مالك ومال الخيل فيه تخاصم
فتلاطموا الاثنين فى حومة الوغا ... وعاد عجاج الخيل للجو قايم
فغار الزناتى والفتي عقل رايح ... أنا مطاوع مشـــيد برج النعايم
دزه بطعنة من فماه أرماه ... وصاح لخاله أين ياخال هازم
رد الزناتى الى عقل وطعنه ... دعاه مكبوباً على الارض نايم
حلفوا الهلاليات ما نخلي قتيلنا ... تتفرج عليه دابلات الوشايم
حلفوا الزناتيات ما تأخذونه ... لو كان نفدى بالمواضي قسايم
بقنا طول الليل والحرب بيننا ... وتزاحمت خيل الجياد الصـــوادم
الى ثانى الايام ولقنا يوقع القنـا ... وخيل تفرقع فى حديد اللجايم
وراح ابن هولا بالخواطر واختفا ... وما بان من جسمه رسوم العلايم
يوم ابن هولا خضت الخيل بالدما ... وصارت لها مثل التلول الجماجم
وتلاطموا عنده وطا عجاجهم ... وعاد النهار يشبه لليل الطلايم
قال الزناتى سلمت من ابن هولا ... وقلنا بعده ما عاد فارس يخاصم
وجا ثانى يوم نصر بن ولده ... طالب لثارات الفتى عقل هايم
ترنقط ريات من فوق قصورنا ... وقام بحر الحرب وبدا يلاطم
قال له حسن هلالى ابو علي ... ولا تقحم الخيلين يا ابن الاكارم
أنت صغير السن مشتهر لعدا ... يصيدوك أصحاب اللحا والعمايم
رد الفتى نصر بن هولا وقال له ... ياخال ماني من قليل العزايم

لاتخش فى خيل الاعادى ودوسهم   واقهر أنا لكل جبار ظالم
طلت هولا من الهوادج وزلغطت   حين شافت نصر الخيل قاحم
وقالت يا نصر الموت خير من الحيا   عمرك ما أجليت عني هايم
انت واخوك اثنين جيتم جملة   فى بطن واحد قد جئتم توائم
لا أنا ولا أبوك ولا أحد هانكم   بمدة خمسة عشر سنة في الحشايم
ولا شافت الجيران بهجة وجوهكم   حتى ركبتوا الخيل وصرتم عظايم
وخيلكم يا نصر ما فى مثلها   سلايل من خيل شداد العزايم
حصان عقل احمر من خيل أبو على   أعطاه ؟ برمكة من القدايم
ومهرك يا نصر من خيل والدك   وابوه من خضرة دياب ابن غانم
لما سمع نصر قولها مال نحونا   يشابه عقاب الجو فى الصيد حايم
مرة لثارات عقل الفتى ينتخى   ومرة لعين ذابلات الوشايم
أتي الى مطاوع بالطراد وصده   وصار عليهم عظيم البلا والقتايم
ضرب نصر لمطاوع برمح محكم   رماه تحت السرج على الارض نايم
وراحت معه شهبة مطاوع جنيبة   واخذ لثار عقل وافى الزمايم
عمامه وأبوه أجواد كاسة الثنا   نعم هو قرم من نسل الاكارم
قتل مطاوع زادنا عليه حسرة   وبعد مطاوع ما عاد لنا غنايم
أنا اقول ان الدهر فينا قد لوى   وبعد مطاوع عيشنا دوم نايم
وقوم هلال فعلهم دوم زايد   أجاويدهم طلابة لحرب دايم
قوم الهلاليين ما فيهم غبا   ملاعين ضرابين للشر دايم
أنا أخاف يبنوا الشور بينهم   يودوا يجيبو لك ديات ابن غانم
وقد صار عندك ديون كثيرة   يريدوا وفاها مايرد لك غنايم
وهو فارس ما فى البوادى مثاله   قد بان لي الكذب عنه علايم
أيا خليفة ان سلمت منه   فهان علينا الصعب يا بو الهمايم
فهذا حسابي والذى دوم حاسبه   سهران من كيد اعدا الست نايم
ما قال الفتي العلام ولد غصية   ويا نار قلبي زايدات الضرايم

فقال الزناتى دياب ما قتل مع الذين قتلتهم وقال العلام دياب هو حاضر وهو فى ديوان الغبايين مع بوش بني هلال قال الزناتي كان مرادنا نرسل له من يقتله ويجيب البوش منه والتفت الى واحد من اخوته وكان يسمي ابو خريبه وهو

فارس صنديد فأمره الزناتي في الركوب الى وادي الغباين ويجيب البوش منه فقال سمعا وطاعة وركب من ساعته وأخذ معه عشرين الف فارس قروم عوابس ولم يزالوا سائرين حتي وصلوا وادي الغباين وغاروا على بوش بنى هلال وعلقوا ضرب السيف فيهم فقامت الرعيان بالعياط والصراخ فلما سمع دياب ركب جواده وطلعت فرسانه وراه فلما وصل أشار ابو خريبة يهد عليه ويقول :

أبو خريبة قال يا راعي الجمال	فوز بنفسك وخلي لي الجمال
لست تعلم أنني أكيد العدا	أخي الزناتي حاكم والحكم طال
كل أرض العرب حاكمها أخي	حوله أبطال تشبه للرمال
وأنا حارس صاير للحمي	فارس الفرسان ما مثلي مثال
انت تعلم ان ذا الوادي لنا	من القبله للغرب الى قاع الشمال
أنا خريبة بألف فارس انحسب	كم مدينة قد غدت مني تلال
هذا البوش اسوقه في القنا	الى ابو سعدى يبقى له حلال
ثم نأخذ خليكم ولبوسكم	والبنات المحسنات مع الموال
رد ابو وطفا دياب المنتسب	من حسامي ما بقالك انفلال
افهم الى قولي وكون على حذر	وان عصيت الامر تنظر للهوال
قال ابو وطفا يا نذل الرجال	اين تغدي ما بقالك انحلال
ان هذا البوش محمى بالقنا	من يريده الراس عنه ينعزل
أما سمعتم في دياب وذكره	فارس الفرسان ما مثله مثال
قال أبو وطفا دياب الماجد	عدمت نفسك من حسامي لا محال

(قال الراوي) فلما فرغ دياب من كلامه التحم الحرب بينهم بطعن يقصف الاعمار وصار منهم ضرب مثل لنار فعندها قام دياب في عزم الركاب وضرب خريبة بالسيف على هامه حط راسه قدامه فوقع على الارض يختبط بدماه طولا وعرض ولما شافوا قومه اميرهم قتل ولوا هاربين والى النجاة طالبين فلحقوهم بنى زغبي ومدوا السيف في اعناقهم واعدموهم احبابهم واصحابهم حتي وصلوا الي عند الزناتي واخبروه عن قتل اخيه فستدعى اخاه الثاني وكان اسمه مكحول وقال له خذ قومك وامضي الي دياب بن غانم خذ ثارك منه واجلب بوش بنى هلال ومهما جبتم من هؤلاء يكونوا وهبة مني اليك فركب وسار عساكره مقدار خمسين الف همام وسار حتي وصل الي الوادي وكان دياب وقومه في الصيد وما بقي من البوش الا مقدار الف فارس

فغارت عليهم الخيل ومكحول في اولهم وساقوا البوش جميعه فراح الصوت الي الامير دياب واعلموه في الخبر فعندها غارحتي وصل الي القوم وبرز الى مكحول واشار يهد عليه ويقول :

قال دياب الي حصرتك ياهبيل ... ميل عن ذا البوش او تغدي قتيل
ان هذا البوش محمى بالقنا ... كل من جا طالبه يغدى ذليل
يامكحول خريبة كان اورس منك ... جا يريد البوش ياعجيل
قد ضربته من يميني ضربة ... أدعيته فيها على الغبرا جديل
صحت في قومه فولوا هاربين ... في البراري دمه جاري يسيل
خمسة آلاف قدغدوا فوق الوطا ... والامارة قد غدوا مني جفيل
وانت جيت اليوم تاخذ بوشنا ... كان عقلك شارد اما هبيل
عادعمرك من حسابات من مضوا ... زارتك مني الرزاية ياهبيل
انحدر عن ذا الجواد بلا بطا ... واصغي لقولي واقلع الدرع الثقيل
كم فارس مثلك راح بصارمي ... وكم نظرنا من كثير ومن قليل
فارس الهيجا انا الزغبي دياب ... ان راسك راح من سيفي عذيل
رد الفتي مكحول يا ذا الهبيل ... فلا تظن باني فارس قليل
اخي الزناتي جاك ماعادلك فكاك ... قد رماك الدهر ماعاد لك سبيل
تونس الخضرا وقابس ديرتي ... إلى بلد مكناس إلي ارض النخيل
هابت الفرسان من حربي انا ... كم ملك مني غدا راسه عذيل
ميل عن هذا البوش واسلم ياجبان ... أما أنا أدعيك على الغبرا قتيل
كيف جيتم أرضنا وبلادنا ... جابكم حفظ الزناتي يا هبيل
قا مكحول الذى كاد لعدا ... جاك مني السم في قلبك غليل

(قال الراوي) فلما فرغ مكحول من كلامه التحموا في الخصام وتجرعوا شرب كاس الحمام فضرب مكحول دياب في الرمح وقام دياب رجبه من الركاب وأخذها من تحت فخذه ثم قام في عزم الركاب وطعن مكحول في الرمح واراد ان يخلي منها مثل دياب جا الرمح في صدره طلع يلمع من ظهره فوقع قتيل وفي دمه جديل وأخذ درعه وجواده وغار على قومه وبدت فيهم حتى قتل منهم مقدار خمسة عشر الف فارس وهربوا الباقين حتي وصلوا لعند الزناتي واعلموه بقتل اخيه فغضب غضبا شديد ثم في ثاني الايام برز إلي الميدان عرض وبان وطلب

مبارزة الفرسان ما آجد رد عليه فقال الامير حسن الي قومه كيف الرأى فأشار الى ابن عمه عرندس يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى المسمي عرندس	الهم جانا وكثر الضيق
يا ابوعلي هــذا الزناتى كادنا	من عاد ينزل الى حربه يطيق
افنى اكابرنا ويتم أطفالنـا	وخلى دماهم على الوطى دفيق
وولوا اجاويد الرجال جميعهم	تســعين امير روحهم تمحيق
فمـا عاد له الا دياب الماجد	دياب له عزم شــديد وثيق
انا لرأى عندي أن تنادوا دیابكم	لأنه عم القوم هو نعم صـديق
قال لفتى المسمى الاميرعرندس	ما كنت أوجد فى الزمان صديق
رد الفتى حسن الهلالى وقال له	اترك كلامك ما به توفيق
فوالله لو أنا قتلنا جميعنـا	ورحنا بحد الماضيات رحيق
ما قلت للزغبي دياب يعيننا	ولا انظره يأتى لنا بطريق
دياب الينا خاين العهد بايق	ولو نقصده ما لنا صـديق

(قال الراوى) فلما فرغ حسن من كلامه واذا بالغبار قد علا وطار حتى سد منافس الاقطار وبان من تحته فرسان على خيول غزلان واذا هوالرياشى مفرج الذي كان مع أبو زيد فى غزوة ملوك الشقور فحول وسلم عليهم فسالوه عما جرى فصار يخبرهم وهم فى الكلام واذا ببيارق حمراء قد طلعت وابو زيد فى أول الخيل فلاقاه الامير حسن وبني هلال وهنوه فى السلامة وفرحوا فى ملقاه وطلعت النساء مع الاولاد وهم الى القتلى الذين قتلهم الزناتى وقعدوا على المقابر لابسين السواد هاتكين الستور باكيات نائحات ووصلت الخيل التي اتى بها ابو زيد من الاعدا والمكاسب والغنائم واخبر الامير حسن ابو زيد بما فعل فيهم الزناتى وكم اهلك من الفرسان فلما سمع ابو زيد كلام حسن صار الضيا فى عينيه كالظلام وحزن حزنا شديدا على من قتل من الفرسان وعندها قام ومر على المقابر وشاهد النساء والبنات فلما شافوا الامير ابو زيد رفعوا اصواتهن فى البكاء وصاروا يشكوا اليه بما اصابهم فطيب خواطرهم وقال لهم ان اراد الله نأخذ لكم بالثار واترك ديار الزناتى خراب فعند ذلك دخل الى منزله وبات الى ثاني الايام وقسم القسائم والاموال واعطا حسن جزء وشال الى دياب قسم وثانى الايام برز ابو زيد الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان وتعرض تحت ابواب تونس ونادي ابن الزناتى يبرز الي الحرب والطعن واين رجال الحرب اصحاب الطعن والضرب

فما احد رد عليه فوقف تحت زعلة الباب والأبواب مسكرة لا أحد يخرج ولا أحد يطلع سوي النسوان من فوق الاسوار يتفرجون فعندها صاح فى البواب افتح الباب أم ارسل مولاك فسار البواب الى عند الزناتى وقال له قم كلم أبوزيد واقف على الباب يريد يواجهك فقال الزناتى يا بواب من يقدر يشوف عزرائيل حتى يقبض روحه قال له البواب افتح له الباب لكي يواجهك فقال الزناتى دير بالك يا مقصوف العمر وهات المفاتيح التي معك فعند ذلك أخذ مفاتيح أبواب تونس ووضعها عنده وخباها وقال روح اقعد خلف الباب ولاتفتح لاحد واذا أحد سألك عن سيدك قول له ما يطلع فعاود البواب وأعلم الامير أبوزيد بذلك الكلام الى الامير حسن التفت الى أبو زيد وقال له ما دامك جيت ما بقي الزناتى يفتح الباب ولا يطلب قتال وفى غيبتك ياما عمل بدايع ثم ان الامير أبو زيد قال لهم قصدى أعمل حيلة تسوى قبيلة فقال له الامير ماتكون قال له أبوزيد اندهوا الجازية ثم انهم ندهوا لها فحضرت الى بين يديهم فالتفت اليها الامير أبو زيد وقال لها مرادى تجمعي مابة بنت من أحسن بنات العرب وأحضريهن فى الليل فمن ساعتها أحضرت مابة بنت الى الامير أبو زيد فقام ابو زيد ولبس ثياب بيض مثل النسوان ولبس درعه واحتزم بسيفه وسار هو والبنات والجازية وكان صار نصف الليل الى ان وصلوا الى بوابة تونس فقال ابو زيد اقرعي الباب فنادى البواب من يقرع باب تونس فى هذا الليل فقالت الجازية نحن كم من بنات العرب جايبين معنا بضائع لكى نبيع ونشتري من عندك على قدر احتياجنا فقال لها البواب روحوا ما افتح الباب فى الليل ثم انها تدخلت على البواب فما فتح وانما راح الي عند الزناتى واخبره بالذى صار على الباب فقال له روح اياك تفتح لهم انا قريت كتبهم قبل ما حضروا الي هذه البلاد لان هذه حيلة من حيل ابو زيد ثم ان البواب رجع الي عند البنات واخبرهم بما قال له الزناتى ثم ان الجازية ابتدأت بالمنادمة هي والبواب واشارت تقول :

يابواب صاره . افتح للعذارى . حنانا مشندر . الى حد نسوره . وروحى ياظريفة . تا شاور خليفة . له حربة رهيفة . تقسم الحجارة . يا بواب منصور . افتح لي باب السور . تا ندخل بدستورر . ونبيع لعطاره . المفتاح ماهو بيدى . تا روح شاور سيدى . ذا الباب الحديد . فى فتحه مشاره . افتح وكن طايع . جبنا لك بضايع . وتحف بدايع . تصلح للاماره . لا افتح ولاشى . ولا عقلى

بلاشي . وإن كنتم عطاشى . روحوا على البياره . يا بواب افتح . هل الباب المصفح . بالزينات تصبح وتنظر للعذارى . قال لها عندي ثريا ثم هندى . نجلا أم سعدى . تصلحوا لهم جواري . قال سلامى وراها . قرما فى علاها . خايف من بلاها يجى على الخيل غاره . افتح لى شويه . وشوف الحسن فى . تجيك الرزية قديشك حماره . روحى يا مليحه . أنا أخشي الفضيحه . وأنت مستريحه وأنا واقع بناره . افتح يا يهودى . لزينات الخدودى . حمر كما الوردى . اذ فتح بداره : ليس الشور لي . لأهله يا عليه . أخاف من البليه وتصطلى بناره . افتح لا تبالى . مامعنا رجالى . جبنا لك تخالى . وحزما للمهاره وحق الله ربى . وعنك ما يخبي . وفتح لباب صعبي . مالي اقتداره افتح ياحبيبي . وجودك لا يغيبي ترحم للغريبة كلغنا بكاره . أنا السلطان حكالى . لا تفتح ولا لى : دولى قوم هلالى . من قوم مكاره . افتح خاب ظنك . خلي الهرج عنك . ونحن البيض جيناك . ياابن صاره : أخاف افتح يجينا . رجالا طالبينا ، يجوا غارينا . على ظهور المهاره . افتح يا معتر . ولا تعتبر كبارا مائة بنت تحضر . قدامك جهاره لا تكون غائب . والامير غائب . ومن طلب المكاسب يوقع فى الخساره . افتح يا ابن عمى . حتى يزول غمي . خزامي فوق تمى . تاره فوق تاره روحي ياحامي لا تزيدي لكلامى . من سلامه . حيلاته كعاره . افتح يا أغاتى . لا تزيدوا اللغاتى جملتنا بناتي . ما فينا ذكاره سلامه سعاكم . سامع . للغاكم . هو واقف حداكم . مع بنات الاماره .

(قال الراوى) ولما فرغت الخازية هى والبواب من المنادمات والبنات يسمعون كلامهم احذهم الامير ابو زيد ورجع الى ربعه يرجع الكلام الى مرعى وسعدا صار مرعى يبكي فقالت له سعدا لا ابكى الله لك عين فقال لها يا سعدا الى متى الانتظار وقد طال علينا [illegible] وابوك لا يطلع الى محاربة ابو زيد ولا يفتح الباب فضحكت سعدا وقالت [illegible] هذا المشكل لان يا مرعى ما يقتل ابى الا دياب [illegible] ولا يقتله [illegible] غيره لان [illegible] عندى فى الكتب ولكن انا اروح هذه [illegible] عنه [illegible] دياب فلما دخل الليل استعدت سعدا على [illegible] حضروا قبلوا اياديها وقالوا اما تريدين منا فقالت لهم [illegible] تتفرجوا على بنات هلال والامير حسن أبو المحاسن [illegible] ورجع [illegible] سمعا وألف طاعة ثم أمرت لهم

بأربعين خلعة من خاص الحرير والديباج الملون وأمرت بأربعين جواد من خيل الجياد فصاروا ياخذوا العقول وركبت سعدا امامهم مثل البدر المنير لانه ما كان يوجد في عصرها اجمل منها وتقلدت البنات بافخر السلاح وصاروا حتى وصلوا الى باب البلد وقالت للبواب افتح الباب واياك تتكلم قدام احد فاعدمك الحيوة فقال لها ياستي مافي تعب من فتح الباب ان أردتى تروحي أوتقعدى ولكن المفتاتيح مع أبوك أخذهم منى فقالت أنا لا احتاج اليهم وتقدمت للباب وضربته فانفتح فى وقته وخرجت هى والبنات وأمرت عبدها لطواشى يقعد على الباب لحين رجوعهم فقفل الباب وقعد ينتظرهم إلى الرجوع فعند ذلك سارت سعدا هى والبنات حتي وصلوا لعند الحارس فقال العبد ماهذه الخيل فى هذا الليل فقالت له سعدا ضيوف فقال لها مرحبا بالضيوف فقالت أين مولاك الامير حسن فقال لها نايم فقالت له ادخل عليه وقل له سعدا بنت الزناتى تريد تواجهك وترجع فى الليل فقال لها استنظرى وراء الستار ودخل لعند جارية اسمها مبركة وقال لها اعلمى مولاك أن بنت سلطان تونس حضرت عندنا ودخلت وأعلمت مولاها الامير حسن فتعجب حسن من حضورهم في الليل ثم خرج وقال يا سالم مالك فأنشد يقول :

يا أمير جانا سرية خطاره ملوك متقطرين قطاره
يا أمير جونا من بلاد بعيدة وأنا بأمري يامالك محتاره
ارتاع قلبي من نظرهم يامالك شبهتهم يا أمير شعلة ناره
ماراعني إلا الخيول ولبسهم وكتهم يا أبو علي شامهاره
ولبسهم ديباج بلون واحد من ذهب وفوق الصدور زراره

(قال الراوى) فلما فرغ العبد من كلامه والأمير حسن يسمع نظامه فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال لعبده اخرج العبيد عبيدهم وانزلهم عن خيولهم وربطها ومشي قدامهم وسلمت سعدا على الأمير حسن وعرفته بنفسها وبرفقائها وسلموا عليه وسلم على سعدا وسلم من الحريم واما ام مرتين فقامت وضمتها إلى صدرها وقالت له دخلت على مرتين كيف حاله وقبلتها بين عيونها وسلمت عليها سلام الأحباب وقام حسن سلم علي سعدا وصار يبكي ويقول

يقول الفتى حسن الهلالى أبو على وفى القلب نيران تزيد ضرايم
على ماجرى بيننا وماقد أصابنا من عن حرب فى امور عظايم

أرسلت أولادي وأبو زيد لعندكم　　يدوّر لنا أرضا بها الخير دائم
مسكهم أبوك يا مليحة وهانهم　　واجنف عليهم كان بالحكم ظالم
وجانى أبو زيد وجابلى خبارهم　　فغديت أنا بالليل جنح الظلائم
يا سعدا بالله كيف أحوالهم　　مرعى عديل الروح والرب عالم
وأبو زيد احكى لي عن أحوالهم　　وأخبرنا عن أفعالك والعلائم
وأنت شفوقة يا صغيرة عليهم　　وخلصتيهم من جميع الوهائم
مقال الفتى حسن الهلالى أبو على　　على فقد مرعى دمع عينى سجائم

(قال الراوى) فلما فرغ حسن من كلامه وسعدا تسمع نظامه فقالت يا أبو على لا يكون عندكم افتكار لنحو مرعي ورفقاه لأنهم فى أعز مكان وانما الرأى عندى أن ترسلوا تجيبوا دياب ابن غانم لأن ما احد يقهر أبي الا ديابه وانشدت تقول :

تقول فتاة الحى سعدا التي شكلت　　كلامي صدقا بين كل العوالم
حويت الذكا والفهم والعلم كله　　الى الرأي والتدبير رأيى دايم
وأعرف معانى الحرب وأين تعمل　　تفاسير كتب خلفوها القدايم
عرفت يوم الذى رحلتم بقطعكم　　من نجد العدية جا أبو زيد هايم
سار الفتى مرعى ويحيي ويونس　　وأبو زيد مقدمهم وعندى علايم
وأعلمت سلطان البلاد وأخبرته　　أتانا غريب الدار للحي قادم
وأرسل فى ساع سريعا أتى بهم　　وأمر بشنق الكل والرب عالم
شفعت فيهم غصب عنه وجرتهم　　لاكرام مرعي ذاك وافى الزمايم
وأطلقنا أبو زيد الهلالى سلامه　　وراح وأخبركم بكل العلايم
وهذا لكم عامين وحرب معلق　　وستة شهور فى حروب الهمايم
وحين وصلتم أرض تونس بقطعكم　　جهلتم يا أصحاب العقل الفهايم
قتل أمراكم [illegible] خليفة　　تسعين أميراً من كبار العمايم
أبو علي [illegible] مجرب　　ملك ملوك الارض [illegible]
ومرعى عيني ومرعى سرورها　　[illegible]
وأنتم ذليتم يا أمير أبو على　　ولا عاد فيكم من قروم تصادم
دبروا لكم رأى يخلص نفوسكم　　ويسقى الزناتي كاس بالسم عايم
خليفة عليه [illegible] ما تقدروا　　ما يقهر الزناتي الا دياب ابن غانم

وحاكم أبي يا هلال جميعكم يشتتكم بالبراري تغدوا هزايم
وأنا الرأي عندي يا أمير أبو علي ابعتوا جيبوا دياب ابن غانم

(قال الراوي) فلما فرغت سعدا من كلامها والامير حسن يسمع نظامها فشكرها وأثنى عليها وأرسل إلى أبو زيد حالا حضر وحضرت لعنده سعدا وسلمت عليه وشرحت الكلام اليه وودعت حسن وأبو زيد وخرجت عليهم ان يرسلوا وراء دياب وذهبت هي والبنات معها حتي وصلوا لقصرها هذا ما كان من سعدا يرجع الكلام الى حسن وأبوزيد بعد ماذهبت سعدا قال حسن كيف الرأي يا أبو زيد فقال كلامها صدق ولكن أنا ان هلكت بني هلال ما أرسلت ورا دياب قال حسن وأنا كذلك لم أرسل وراه ولا أريد عيني أن تراه فقال أبو زيد احضر البنات وأمرهن أن يكتبوا الى دياب ويستدعوه إلي أخذ الثار فأول ما تقدمت ذوابة بنت الخفاجي عامر كتبت مكتوب وقصت شعرها ووضعته فيه وحطته قدام غانم أبو دياب ثم تقدمت بعدها وطفا وكتبت مكتوب وقصت شعرها وعلونعه ووضعته قدام جدها غانم وقالوا اكتب إلي ولدك دياب لكي يفرج همنا لانه ياما خلصنا من السبي فأنشد غانم يكتب إلي ولده ويقول

يقول الفتى غانم علي ما جري له بدمع جرى فوق الخدود سكيب
ونيران قلبي كلما أقول تنطفي يهب لها جوا الضلوع لهيب
علي ما جرى فينا وماقد أصابنا وأمر جري فينا تراه عجيب
أيامن يودي لدياب رسالتي إلي أمير بالوغا غريب
وقول له يا فارس الناس كلها ويا عز من نقل القنا وقضيب
وفى تقدامك مية جلفا دفعتها وميتين نجديه وألف جنيب
وغلوا علينا نقدها يا ابن غانم وأنا كنت فيم يطلبون أجيب
وألفين أميرا من هلال وعامر مشيتهم نبيت منضل وخطيب
وأمك هذه بنت منضل بلا خفا نبا درع منسوب وجد حسيب
جابتك أمك وقد زال همنا وجا السرور وجيت ءة نجيب
انت الندا ابن الندا أجابك ندي فيث الندا ومجرب تحرتب
وأنا كبرت وما بقي في حيلة وعزمي غدا مثل الريح ذهيب
وعمك مسلم عم الشيب رأسه ما عاد له عزم ولا ترتيب
عمك عرندس فارس الحيل بالوغا وأبوك انحنا وماعاد فيه نصيب
وبدر وزيدان أميرين اخوتك قتلهم خليفة أمس وقت المغيب

عقيل ونصر اولاد اختك قتلوا ... وقد دعاهم فوق الوطا سكيب
واخرب ابو سعدا جميع ديارنا ... وما عاد فينا سامع ومجيب
داير كما الدولاب يا ولد غانم ... ينادي دياب من لقانا هريب
وقد طاردته ثلاثة ثم أربعة ... وشمس الضحى بعد الطلوع تغيب
قتلت جواده طلعت الشمس باكر ... وقد جاه من قومه سريع نجيب
ألا يا دياب الخيل اسرع نحونا ... واقتل خليفة يا امير غصيب
وان كان ما تقتل خليفة برمحك ... تري البيض تلفظ بكلام معيب
وتبقى الهلاليات جميعا مع العدا ... بعد ابو وطفا مع كل ندل معيب
قتل خليفة ابن عمك زامل ... واخوك غدا ما عاد فية نصيب
وخالك مفضى بن مفضل محقق ... وكان مفضل بالحروب دريب
كاون خليفة أيام خمسة وستة ... من الصبح حتي بدا النهار يغيب
ثلاثة عشر يوم والحرب بينهم ... وراح الزناتي من لقاه هريب
ويوم الربع عشر أرسل خليفة ... خطيب لقد كان قرم نحيب
ضرب مفضل ضربة اباده ... وراح على وجه التراب يخيب
يا ما جري لبنت الامير مفضل ... هـا كل ما حاز الظلام نحيب
ثمانين أميرا من هلال وعامر ... دهاهم ابو سعدا برمح كعيب
ولا أسفي إلا على بدر مهجتي ... وزيدان راحوا يادياب غصيب
قتلهم ابو سعدا الزناتي خليفة ... وادعي دماهم على الوطا سكيب
وضيق علينا يا دياب ودافنا ... وحط علينا بالظلام رقيب
وعاد يجينا [illegible] الليل غائر ... بيده حربة مثل نار لهيب
يصيح [illegible] على لصوت [illegible] امراكم ... حسن بن سرحان ونعم نسيب
وابن [illegible] [illegible] ... وما عاد [illegible] يا دياب نجيب
ونزل معيقل [illegible] وحده ... ورز سيفه ولقنا وفضيب
[illegible] معيقل ... وقلت معيقل بالطراد لبيب
[illegible] على جمع [illegible] حميدة ... [illegible] و [illegible] كنار لهيب
[illegible] حرى كرد بينهم ... من الصبح [illegible] طيت لغيب
ورابع [illegible] معيقل ... ومن رجفته راح ممرق كئيب
غلبه [illegible] كان غالبه ... معيقل نعجة والزناتي ديب

ضرب معيقل ضربة عامرية ... لقاه على الوطا قالبا وقليب
ونادوا على الابطال اين أميركم ... وما عاد فيكم يا هلال مجيب
نزل له يا أمير خالك بلا بطا ... بدير بن فايد عاجلا وقريب
ضربه الزناتي ضربة شال راسه ... غدت خوذته والدرع منه كسيب
وجتنا سعدا آخر الليل بالدجا ... ومعها بنات أربعين نجيب
وهم لا بسين بزى مردان كلهم ... يخلوا عقول العـــالمين تغيب
ونزلت بصيوان الامير ابو على ... ونادت على ابو زيد جاها مجيب
وقالت لهم ان الزناتي خليفة ... على مجموعكم يا أمير عطيب
ولا يقتله إلا دياب بن غانم ... وهـــذا كلامي ما به تكذيب
اليها الينا يا دياب ابو غانم ... ولا انت عنا يا دياب غريب
فأنت عامود البيت ونحن طنابه ... وما جتنا ملاح وقت مشيب
وجتني نساهم والبنات جميعهم ... دوالع ووارع والدموع سكيب
وجاني حسن للبيت يمشي على نقا ... وابو زيد جاني صاحب الترتيب
دعوك الامارة يا دياب جميعهم ... دعوك الامارة يا دياب اجيب
رهنت لساني للبنات بلا خفا ... بنات لهم بنيات بنات تخريب
يا آل الوحى تجد هلال وصونهم ... تنال العــــلا والفخر والترتيب
وان لم تفرج همنا بعد كربنا ... تقول بنت الزينات قول معيب
قال الفتى غانم على ما جري له ... ولى قلب طول الليل بتعذيب

(قال الراوى) فلما فرغ من كلامه طوي الكتاب وختمه بختمه ووضعه في مكاتيب البنات وقال لعبده سعد خذ هذه المكاتيب الى مولاك دياب ولا تجي الا وهو معك وان رجعت بلاه اعدمت الحياة فعند ذلك أخذ المكاتيب وسار [illegible] الغبايز فوصل ووجد مولاه دياب على القطوع والعرب حوله من كل جانب [illegible] حتى رفعوا الطعام فدخل على مولاه وقبل اياديه ووضع المكاتيب [illegible] له يا سعد أرى وجهك أصفر ما [illegible] من الاخبار [illegible]

يقول [illegible] [illegible] ... [illegible]
علامك أيا سعد [illegible] مغير ... كأن [illegible] قيت [illegible]
[illegible] ... [illegible] بعد [illegible]
وبدو [illegible] كيف [illegible] ... [illegible] ولا [illegible]

أياسعد أنا بعقلي وفكري وخطري   بان فوارسنا علاهم شرارها
فان كان يا سعد قد قتلوا الجميع   فوارسنا قد غاب منها قمارها
اعرف انا ان قام حرب مع العدا   ما يصطليها غيرهم عند نارها
لأنهم جهال لا يعرفوا اللقا   وكم جاهل جهله رماه بنارها
فان كان راحوا اخوتي ذاك يومهم   وان عشت انا ياسعد آخذ بثارها

(قال الراوي) فلما فرغ الامير دياب أشار العبد يخبره ويقول :

يقول الفتى سعد الذي فاض ما به   تسأل عن أولاد الملوك وحالها
زيدان وبدر ونصر معهم   راحوا بيوم كان مغتم بنارها
بيوم مسحت الدم عن حسن وجوههم   ومسحت عن تلك المحاسن غبارها
ويوم الثلاثاء كانوا حربنا   ويوم الاربعاء أضرمت حر نارها
وقد طووا ست [illegible] خليفة   وطلون معها بنات جمارها
[illegible] أخوك [illegible] الا [illegible]   وساروا في وسط الحافر غبارها
طعنه [illegible] غدرا   ولا عاد يعرف حالها وافتكارها
وعليه حسن [illegible] قد بكي   وعدت دموعه [illegible] انتشارها
[illegible] كهلا   أميراً مسمى من خيار رجالها
[illegible]   يفور الدما منها شبه انفجارها
[illegible]   [illegible] الخفاجي زار أعلى قفارها
[illegible]   [illegible] كان فرس هلالها
[illegible]   [illegible] حراراها
[illegible]   اجديد زغبي راح [illegible] خبارها
[illegible]   حضرت [illegible] على باب دارها
[illegible]   يحرك [illegible] من جهنم ونارها

(قال [illegible] ومولاه [illegible] يسمع [illegible] على اخوته واو [illegible] مكاتيب [illegible] حتى انتهى الى [illegible] ومكتوب [illegible] مكاتيب الأمير حسن [illegible] هذه ثمانين مكتوب [illegible] حتى يرسل [illegible] حيث الي هذا المكان الا برأيهم [illegible] على كلام البنات حتى [illegible] حسن

وأبو زيد إلي أين جيت ومن أرسل وراك وحساب حسن وأبو زيد قريحه وصحبته من زمان فقال العبد البنات ما كتبوا إلا بأمر الأمير حسن وأبو زيد وبحضورهم فقال دياب يا سعد ان رحت على كلام البنات وقعلت الزناتي ما يعدوا لى أباها وان تكلمت يقول لى من بعث وراك وماذا يكون جوابي لهم وهذه اخر الوقعات بيني وبين ارناتي وما هو قليل ومرادى أملكهم الغرب كما ملكتهم الشرق وبعد أن أكون سيدها طبل فى عرسها فان كان مقصد هلال حضورى هات لي مكتوبين وحجتين من حسن وأبو زيد حتى أروح وجاب نار وأحرق المكاتيب وأنشد يقول :

يقول الفتى الزغبي دياب الغانم — ونيران قلبي زايدات التهابها
ولي عين عادمة لذة الكرى — تزيدها دمعي كثير أتعابها
بكيت على قوم هلال وزغبي — أيا ما قاسوا عظايم مصابها
حسبنا خليفة خايفا من مثالنا — وهو قرم قاسي باللقا ما يهابها
ولا أسف إلا على ابن والدى — زيدان فى حرب لعدا أوغابها
وبدر أخي يا ناس أضنى لخاطري — غداة مجا الحرب يوم اضطرابها
وأولاد عقال ونصر لقد غدوا — وهولا عليهم شقة لشيابها
وخالي بدير العامري ابن قايد — لعد ضرني حزنه وأنا بانطرابها
يا سعد قلي كيف حال أولادهم — غدوا يتامى ما يردوا جوابها
أيا حزني طول الزمان لاجلهم — إلى حين أسكن حفرتي وترابها
أنا مثل طير كل طير [illegible] — [illegible] جنحه وضاق [illegible]
ترى لاخوة [illegible] — [illegible] لا جناح ولا يعتنى بها
ولكن كثرة النوح والحزن [illegible] — [illegible] على حوابها
ما دام [illegible] معي دوق جثتي — لأسقي [illegible]
يا سعدي [illegible] خليفة — [illegible]
وجد في [illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] يرسل حسن [illegible] — ومهما تقضى عاروح [illegible] نصيبها

فقال الفتى الزغبي دياب الغانم   عاود اليهم يرسل لى كتابها

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه وعبده يسمع نظامه فقال العبد أنا ان رحت وما أنت معى حالا يقتلونى البنات أنا ما بقيت أروح لكن أقعد هنا وأنشد وقال :

يقول الفتى سعد لذى فاض وجده   ودمعى جرى من مقلة العين هامل
ثمانين عذرا من هلال ارسلوا   اليك ما يدرون ما أنت عامل
واخوتك يا أمير حزنا لفقدهم   طعنوهم العدا فى مرهفات الصقايل
وأنت حامى البوش في وادى الغبا   يا ريت عمرك مع وجودك طائل
وإذا لم تجينا يا دياب ابن غانم   هربنا لعندك مع جميع القبائل
يا أمير انهض بالعجل ثم انتخي   لانك من فرع ذكي الاصايل

فلما فرغ العبد من كلامه وسيده دياب يسمع نظامه عند ذلك تهدده بالضرب فخاف العبد وقال يا مولاى اكتب لى الجواب فأشار الأمير دياب ويقول

يقول أبو وطفا دياب المساجد   والدمع من عيني على الخد سيول
ان جيت يا دعي غانم والدى   أعطيه هذا الخط من قبل النزول
وقل له يا أمير غانم استمع   من ابو وطفا وما يبدا يقول
يا اب ما لك عقل تركن للنسا   وتزبد كلامك يا غانم والفصول
كتب النسا يا اب جونى حقيق   وكتاب وطفا من حضرتك وصول
والله لو قتلوا هلال جميعهم   ما رحت اليكم وما ارجع اقول
لو ان ابا مرعى يرسل لى فى كتاب   قد كنت اسمع لكلامه بالعجول
وكنت اركب خضرتى بالسريع   واترك خليفة وجمعه يغدوا قتول
يا ابي قد ضرنى حزن اخوتى   دمعى لاجل فراقهم يجرى هطول
وابشر [illegible] الزغبي دياب   يعوض فى العدا عرضا وطول
قول الفتى الزغبي دياب المساجد   والنار فى قلبى تزيد لها شعول

(قال الراوى [illegible] دياب من كلامه طوى الكتاب وختمه بخاتمه واعطاه [illegible] بنى هلال [illegible] عند مولاه غانم واعطاه الجواب ففضه [illegible] ومعناه واستدعى البنات وقرا عليهم المكتوب وقال لهم لا يجي [illegible] مكاتيب واذا ما ارسلوا له لا يجي ولو [illegible] بنى هلال فرجعوا [illegible] وراحوا لعند الامير حسن وهن باكيات

صارخات وقالوا يا ابو علي ارسل لناوراه بهذه الساعة لكي يأخذلنا الثار ويكشف عنا العار وان ما ارسلت لنا وراه تروح كلناه فعند ذلك استدعى الامير ابو زيد وقال له انظر هؤلاء البنات وما مرادهم واكتب لهم مثل ما يريدوا واسترنا منهم فقال ابو زيد يا حسن انا ما بكتب ولا ارسل وراه لانى ما احبه ولا اطيق ذكره فقال حسن وانا كذلك حتي ترسل ورا ابوه غانم وندعيه يروح وراه فعندذلك ارسلوا ورا غانم فحضر وحيا بالسلام فقاموا له على الاقدام فقال الامير حسن ياغانم مرادنا منك تروح ورا ابنك دياب تجيبه فقال غانم يا حسن ابني ما يجي مالم تكتبوا له انت وابو زيد فلما اصبح الصباح عول غانم على السفر واستدعى بقلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص وحرر مكتوبين عن لسان حسن وابو زيد إلى دياب وحطهم معه وركب هو وحرمته وصاروا طالبين دياب الي وادي الغباين وارسل عبده يعلم ابنه في قدومه اليه هو ووالدته فطلب دياب لملاقاتهم وتوجه الي امه وانزلها عن الهودج وقبل راسها ويدها وقال لها ما الذى جابك الينا فأشارت تخبره وتقول :

تقول فتاة لوع البين قلبها — ارجع الى قومك واصل الزمايم
ونحن يا امير جئنا لعندك — فما هذا الرجا منك يا ابن الاكارم
ضيعت حق من رباك والدك — وسفهت قولى يا قليل الحشايم
ولو كنت يا ابنى حافظ مقامك — فما كان العدا دعونا هزايم
اغظت غانم يا امير وغظتني — وعادت دموعي فوق خدودي سجايم
ترى الزنانى قد قتل من رجالنا — قتل اخوك يا امير راحوا رمائم
وخالك بدير مع الخفاجي عامر — ومن غيرهم كثرة امارة اكارم
فقم بنا نرجع الى نجد ارضنا — نعيش بها من غير غضب ابن غانم
ما قالت فتاة لوع البين قلبها — وزاد قلبي زايدات الغرايم

(قال الراوي) فلما سمعت ام دياب من كلامها شرع دياب يقول :

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم — غصبتم علينا يا وجوه [illegible]
ان لاجلها تقتل حليفة سعدي — [illegible] دمي دماء فوق الارض [illegible]
واخذ الثار ريان بسيفي و[illegible] — و[illegible] خلفة [illegible]
و[illegible] الى الرجى [illegible] شرى — ان جيتكم [illegible]
فلا بد [illegible] كم واشي قوبكم — من فوق خضر [illegible]

واقتل أنا خليفة حقيق مؤكد | أنا سيد الفرسان عند اللزايم
وتعرفني الفرسان في حومة الوغى | إذا جيت الميدان ولوا هزايم
فلا بد أن آخذ لثارات اخوتي | وثارات خالي والقروم الاكارم

(قال الراوي) فلما فرغ دياب من كلامه وأمه تسمع نظامه فطاب خاطرها وتوجهت إلى الخيام ولقي بعد ذلك أبوه فلما وصل اليه سلم عليه وقبل يده وقال السلام يا أبي فقال له غانم لا تكلمني لا انا أبوك ولا انت ابني وانا بريء منك يا دياب لو كنت ابني كنت سمعت كلامي وأخذت لي ثاري من الزناتي الذي قتل اخوتك وأولادي واحرق فؤادي وأكبادي وأشار يقول .

يقول الفتي غانم على ما جرى به | بدمع جرى فوق الخدود سكيب
يا ولدي هذا أبو علي خليفة | اهلك فوارسنا وكل نجيب
ثم [illegible] أميراً من [illegible] | ودعاهم طعم الرخم والديب
وجتنا [illegible] يا أمير [illegible] | بعشم حسن نحوى بلا تكذيب
وحتى [illegible] | أبو زيد هو لك يا أمير حبيب
[illegible] جيت [illegible] | وخليت هذا [illegible] دمه يسيب
[illegible] | [illegible] مع زيدان يغدوا [illegible]
[illegible] | وما أص من قصد [illegible] يجيب
[illegible] | [illegible] تريب
[illegible] | [illegible] وسيب
[illegible] | وحتى ابو زيد والامير [illegible]
[illegible] | [illegible] لي [illegible] وجيب
[illegible] | [illegible]

[illegible] ولما دياب يسمع [illegible] لأبيه [illegible] وقعدت عليه [illegible] على [illegible] من وراقها

ولكن ان أراد الله تعالى أروح معكم وأطلب رضاكم وما عدت أخالفكم وآخذ لكم الثار بعون العزيز الجبار وأنشد وقال :

على ما قال أبو موسي دياب … شربنا الخمر فى صافي القداحى
وكم نذل أتى وقت المعارك … يبقى هاربا يطلب رواحى
أسألك يا إلهى أكون طيرا … عقابا كي أخفق بالجناحي
أطير بهمتى وانزل سريعا … واهدى بين مشتبك الرماحى
لآخذ الثار عن خالى بدير … وبدر وأخوه زيدان الرياحى
وما فعل الزناتى بالأمارة … فطار العقل من غانم وصاحى
أنى معذور يا أمي حقيقا … دعيه يقوى فى عرضى قباحى
غدا أرضيه فى قتل الزناتى … وأبدل حزنكم بالانشراح
قولى لهلال النصر جاهم … نهار الأحد أعزم على الرواحى

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه وامه تسمع نظامه فرحت وقالت يا غانم مرادنا نسير لان بنى هلال فى انتظارنا فقال اذهبوا حتى نسير ونعلم بنى هلال ان دياب يحضر يوم الاحد لعندهم فركبوا وساروا حتى وصلوا الى بنى هلال فطلعوا الجميع لملاقاتهم فكانت ضجة قوية فنظروا غانم [illegible] وحده فقالوا اين الامير دياب فقال غانم ابشروا بالغنيمة يا بنى هلال نهار الاحد [illegible] الامير دياب بعد ما راحوا والديه من عنده امر [illegible] ومكان وساروا الجميع قدامه وسار طالب بنى هلال [illegible] ثم طلعوا الصيوان [illegible] العكام [illegible] ثم [illegible] ونشر اعلامه وسار حتى [illegible] بنى هلال [illegible] فى انتظاره [illegible] يوم الاحد خرجوا الاربع [illegible] من بنو هلال [illegible] كبير ولا صغير حتى [illegible] ولنوبات [illegible] وزات [illegible] الامير [illegible] دخلوه [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] وزيد [illegible] و فى [illegible] لما وجد [illegible] زيد عرف [illegible] ولم يزل سائر فى ذلك الموكب العظيم حتى وصل الى [illegible] درجت منه

منه تلك الارض بالطول والعرض وطلعت الحريم على الاسوار للفرجه على الزينة وارتعدت من الزناتي وجميع من عنده القلوب وانحلت المفاصل وقال الله يعينا على حربه واما دياب رفع رأسه الى نحو سور تونس فوجد روس الامارة وهم ثمانين راس مشكوكين على الرماح فسأل من يكونوا هولاء فقال له عمه عرندس هؤلاء روس بنو هلال الذين قتلهم الزناتي وهم اخوتك واولاد عمك فقال دياب كل هذا جرى في غيابي وضل سائر الي التربة فلا قوه اهل القتلى والبنات وشالوا البراقع وحدفوها الي دياب فطيب خاطرهم وانشد يقول

قال ابو موسي دياب المفتخر   فارس الهيجاء وخيال الوغر
حامي الزينات سور المحصنات   مفرج الكربات في يوم العسر
منية الخطار في سن القلا   مشبع الجيعان زاكي منتشر
زال عنكم همكم ياذا البنات   والزناتي حل في عمره قصر
وآخذ الثار من بوسعدا حقيق   وجميع قومه من حسامه تنبهر
وأخبروني يا بنات بما جرى   واعلموني بحقائق تنذكر
مالكم على القبور جوالس   وشعوركن على الكتاف انتشر
كم من أميرة شقت ثوب الحيا   وقبل هذا اليوم كانت تنستر
لمن هذا القبر يابنت الكرام   من هو الذى تحته قد انطمر
أهل أبو زيد او الامير حسن   كم ربع هدموه وأصبح مندمر
ألا بدير العامرى خلنا   ياحيف وجهه بعد نور ينفطر
فابشروا بالثار أنتم يا بنات   فى ماضي الحدين بولاد انذكر
أنا نعليهم مثل سبع كاسر   من عد اليهم يا عذاري انحدر
و نظروا فعل دياب يا بنات   عون من أمره علينا قد قدر
افرحوا اليوم يابنات واشروا   وخاطر المكسور منى ينجبر

قال الراوي فلما انتهى دياب من كلامه تقدمت وتنة بنت خال بدير بن فايد تقول :

قالت [illegible] بنت [illegible]   ودمع عيني فوق خدى منحدر
أصبحت حزينة وعملي [illegible]   واطلب مني يا جماعة انفطر
وابنت [illegible] حلى [illegible]   أنظره في عينيك فينا وافتكر
من دمي أبو سعدا [illegible] حليفة   قتل الابطال فى سيفه سكر

وان كان تأخذ ثارنا بسيفك ... يبقي ثناك علي العوالم مفتخر

تمدح الزبنات فضلك والسرا ... ويفضل فضلك فى البرايا منذكر

(قال الراوى) فلما فرغت بنت القاضى من كلامها طيب بخاطرها وسار مع الموكب حتى دخل بين البيوت فمر على صيوان الامير حسن والامير أبو زيد فلقاهم يتفرجوا فلما وصل الامير دياب إلى عند الصيوان حول وسلم علي حسن وأبو زيد فقاموا له علي الاقدم وحيوه بالسلام وا كرموه غاية الا كرام وبعدها قام دياب وركب إلى بيته وتفرقوا كل واحد لمحله فرجعت بنت الامير حسن صارت تخبره وتقول

قالت فتنة بنت سلطان الملا ... اسمع كلامى انت يامير العرب

طلعت بنات هلال وجميع النسا ... الجازية طلعت وارخت للنقاب

بجنب الوادى لقد وقفوا الجميع ... ينظروا لدياب قرم منتخب

لما طلع ضوء النهار وانجلى ... أقبل دياب الخيل من حوله سرب

والخيل شهبا يا بوى أقبلت ... وفوقها من كل فارس منتخب

أما الفتى الزغبي دياب أمامهم ... الفين طبل من وراه قد ضرب

والحل لخيولهم خاص الحرير ... وكل من خلفه حصانه قدسحب

لما رأته بنات قيس يا أبي ... قرعت كل العذارى علي التراب

وولولوا ومسكوا ركابو يافتي ... انجد لمن قد جاك قاصد للطلب

ان الزناتى قد أباد قرومنا ... ودمهم فوق الاراضي قدسكب

ونريد أخذ الثار يا بو موسى ... ونحنا عدنا نايحات كما العطب

قال لهم يا بيض غدا فابشروا ... والهم عنكم يا عذارى قد ذهب

لابد عن قتل الزناتى يا بنات ... قد زال بيت العز عنه وانحرب

أنا دياب الخيل طعان العدا ... أنا مريع الخيل فراج الكرب

فلما فرغت فتنة من كلامها وابوها يسمع نظامها فقد كان مراده من يروح لعند دياب ويكشف لنا ايخبر كيف يقوى في حربه مع الزناتى فقامت داية من الحريم وقالت انا اكشف لك عن ذلك وصارت الى الصيوان فلما وصلت اليه وجدته نائم وله بنت صغيرة اسمها نجيبة وهو يلاعبها ويقول لها اين اضعن الزناتى فقالت له بعينه فقال قولك مبارك وحياتك ما اطعنه إلا بعينه فرجعت الداية عند الامير حسن وأخبرته عما رأت من دياب ثم افتكر وأطرق رأسه الى الارض

ساعة من الزمان وفاق وتنهد وانشد يقول :

يقول لفتي حسن الهلالي أبو علي — الاجواد تختبي ليوم النوائب
وما سندنا الا دياب ابن غانم — لأنه صميدع من خيار القرائب
ونرجوا من الرحمن يفرج همنا — لأن العرب وقعوا بعظم المصائب
عسي من الزغبي يحينا غاية — ويقتل خليفة بين جمع المواكب
دياب أمير وابن أمير واميرة — ولادته في شرقها والمغرب
قال الفتى حسن الهلالي أبو علي — وقلبي فرح في ملتقي الحبايب

(قال الراوي) فلما فرغ حسن من كلامه وامرأته تسمع نظامه وكان اسمها نافلة وهي اخت دياب فاشتلقت على حسن أنه داخله الحسد من اخوها فعندذلك انشدت تقول :

ما قالت التي نالت رجالها — ودمع عيني فوق الخدود سجايم
سعدنا في بني زغبي دياب — شبيه البحر موجه جا بلاطم
فلما أقبلت خيله علينا — ففرحوا البيض دقاقين الوشايم
طبوله حوله يا أمير تضرب — شبيه الرعد بوسط الجو قايم
وخافوا الاوادي حين شافوا — بني زغبي وهم نسل الاكارم
وقد قال الزناتي لأهل تونس — يصيروا أهلها لنا خدايم
قالت التي ذلت رجالها — وسعدك يا حسن في ابن غانم

(قال الراوي) فلما فرغت نافلة من كلامها والامير حسن يسمع نظامها قال لها يانافلة عسى الاميردياب يقتل الزناتي ونملك تونس وارضها ونخلص اولادنا فهذا ما جري الي الامير حسن ونافلة فيرجع الكلام للامير دياب فانه التفت الى قومه واصرفهم الى المنام وقال لهم باكراً ارجعوا احضروا جميعكم فقالوا سمعا وطاعة ولما اصبح الصباح نهض الامير دياب وطلب مبارزة الفرسان ولاعب الخضرا في اربعة اركان الميدان وجال وصال ولعب بالرمح حتي حير عقول الشيوخ والشباب والابواب مسكرة ولا حد يخرج ولا احد يدخل فتقدم الاميردياب الى ابواب تونس ودق في شكة الرمح فارتج منه السور فقال البواب من داخل فرد الامير دياب وقال روح عند سيدك الزناتي ليخرج الى حربي لاجل ان يوفي للناس ديونها وان سألك عن فقل له الامير دياب قاتل اخوتك خريبه ومكحول ابرز اليه واخذ ثارهم فمضي البواب واعلم مولاه الزناتي فضاقت في وجهه

الدنيا وماعاد يعي على حاله لأن المنية لها أسباب والزناتي منية على يد الاميرذياب فارسل احضر ابنتهسعدا وقال لها ياباغية ماحد جاب لناهذا البلا غيرك فلومن الاول تتركيني أقتل المحاييس وأبو زيد كنا ارتحنا من بني هلال ولا نظرناهم وانا لااخاف الا من دياب ابن غانم فقالت لهسعدا يابي لاتحمل همدياب ولاغيره وانا أرده عنك ثم أنها مشت على شراريف القصر لفوق دياب فنظرته يلاعب الخضرا فنظر اليها وكف وجهه عنها خسن صورتها وقال لها مااسمك وماتريدين قالت له سعدا أنا ابنة الزناتي خليفه وأنت من تكون وما تريد وأشار دياب يخبرها ويقول :

يقول ألفتى الزغبي دياب الغانم ولي قلب يشبه بيضة البولاد
وعزمي كسبع الغاب في حومة الوغا راسي يوازن شامخات جبال
ألا يا صباح الخير يا وجه لبها ويا شبه ريما بالفلا شراد
ألا يا صغيرة اسمعي نظم قصتي وردي جوابي بعد كل مراد
واليوم يوم الكون بيني وبينكم واليوم نار الحرب تزيد وقاد
دياب جاكم اليوم يخرب دياركم وقد كان براً قائم الاطراد
ولا خائفا منكم ومن جمعكم بعون المهيمن صاحب الايجاد
وقد جيت اليكم طالب شركم ولبسكم بعد لبياض سواد
ألا يا صغيرة اندهي لي ابوك وقولي دياب الخيل قد جا وعاد
وقولي له ينزل لحربي بلا بطا ويلبس الدرع المتين وزراد

(قال الراوي) فلما فرغ الامير دياب من كلامه عادت سعدا تجاوبه وتقول :

تقول سعدا بنت الامير تونس ألا يا دياب الخيل يا صنديد
حسبنا حسابك قبل ما جيتنا جتنا ملامك وانت كنت بعيد
وتشهد لك الابطال في كونها بأنك صميدع فارس صنديد
فاعفي عن الزناتي خليفة وخذ منا ما تشتهي وتريد
وخذ ملكنا ثم الرزق كله بساتين تونس قريبها وبعيد
فبطل عنا الكون يا ابن غانم فتبلغ من الخيرات كل مزيد
ما قلت بنت أمير تونس الله يفعل كل ما يشاء ويريد

(قال الراوي) فلما فرغت سعدا من كلامها أشار دياب يقول :

قال الفتى الزغبي دياب الغانم ولي عزم يقطع للصفا الجلمود

ولي همـــة تعلو على كل ماجد … بيوم الوقايع للقروم اصيد
وكان كلامك قبل الأرواجب … وأنا في غريب البر كنت بعيد
أبوك خليفة قد أباد قرومنا … فوارس أمارا بالطراد تزيد
فلابد عن حرب الزناتي خليفة … لو كان جوا الف حصن حديد

(قال الراوى) فلما فرغ الامير دياب من كلامه وسعدا بنت الأمير تونس تسمع نظامه وقالت له قف عندك حتى أرسل لك أبى وعادت لعند أبوها ونخته على حربه وأشار الزناتي يقول :

يقول أبو سعدا الزناتي خليفه … ونيران قلبي زايدات وقيد
وعيني نبات عادمة لذة السكرى … كأن بها نبل الحديد جديد
ألا يا صغيرة قد دنت منيتي … حين أتي دياب حق أكيد
أيا سعدا حربة دياب بن غانم … لها طعنات بالطراد تزيد
أيا سعدا حربة دياب بن غانم … سمعت لها بأقصي البلاد رعيد
أيا سعدا حربة دياب بن غانم … لها سن يفلق الصفا الجلميد
أيا سعدا حربة دياب بن غانم … تغنى بها الشعار نعم قصيد
أيا سعدا حربة دياب بن غانم … فما قط بنظرها أحد ويعيد
أيا سعدا حربة دياب بن غانم … بها السم ناقع والفعال شديد
أيا سعدا حربة دياب بن غانم … بها تقتل الابطال حقا أكيد
أيا سعدا حربة دياب بن غانم … كم راح منها ابن ست وسيد

(قال الراوى) فلما فرغ الزناتي من كلامه ركب جواده وبرز إلى الميدان وأشار بهذا على الامير دياب ويقول

يقول [illegible] الزناتي خليفة … ولي قلب أقوى من رهيف صقال
[illegible] تونس … قتلت فوارس من ملوك هلال
قتلت [illegible] … [illegible] و الأبطال
[illegible] … [illegible] والفتى سرحان
[illegible] … [illegible] في الوادى سال
[illegible] … حتى [illegible] على الوطا وتلال
[illegible] … [illegible] عامر [illegible] الدلال
[illegible] … [illegible] فوارس الهيجا بيوم قتال

جاني اخوك خريبة قتلته وارميته مطروح فوق جبال
ومن بعده مكحول جاني مطوح طعنته بحربة عن جواده مال
واليوم يومك يا زناتي خليفة وخل الوفا واشتفت انا للمال
قال الفتي الزغبي دياب بن غانم فلابد من سيفي تروح شلال

(قال الراوي) فلما فرغ الامير دياب من كلامه والزناتي يسمع نظامه فالتطموا البطلين كانهم جبلين وتصادموا صدام الأبطال وضربت فى حروبهم الامثال وقلق الزناتى من حرب دياب ورأي منه أبواب ما كانت تخطر بحساب ورآه بحرا ماله قرار وقبان ماله عيار فاحتار الزناتى وغاب وعيه ورشده وما زالوا فى الحرب والطعن والضرب وهم فى أشد ضيق وقتال وكون ونزال الي نصف النهار فزاد الامير دياب على الزناتى بحربه وعاد يفعل حوله على الخضرا مثل الصاعقة فخاف الزناتي وانحل عزمه وولي من قدام دياب هارب والى النجاة طالب الى أبواب تونس ودخل هو وعسكره وفتحوا له الطريق ودياب لاحقه مثل الاسد الكرار فهجم دياب وعسكره على قوم الزناتي والتقت الرجال بالرجال وجرى الدم وسال وولى الجبان وراح صاحب الحلاد لصوب الحرب والكفاح فيها من وقعة تشيب رؤوس الاطفال وراح من الفريقين عدد كثير من الفرسان والشجعان وكان لتونس ثلاثة أبواب داخلة فى بعضها باب صدره وباب منصوره وباب حصره ففتحوا حتى دخل الزناتى الابواب وسكروهم فى وجه دياب فضرب الباب بالرمح فغرق اربعة أكعاب فأطمعت قوم الزناتى على قوم دياب فالتقاهم دياب بسيفه القرضاب وجند منهم الشيوخ والشباب فهجموا بنى زغبي وعظمت الاهوال وبطل القيل والقال الي أن ولت الشمس للغياب ودقت طبول الانفصال فولت قوم الزناتى من خارج السور هاربين والى النجاه طالبين . ورجع الأمير دياب وقومه الى بنى هلال فهنوه بالسلامه وأكلوا وشربوا وحضر الأمير حسن والامير أبو زيد لعند الامير دياب وعنقوه وهنوه بالسلامة وجلسوا معه فى المنادمة والكلام وأمر دياب فى تذبيح وعمل الولائم فسألوه عن حرب الزناتي فتبسم الامير دياب من كلامهم وقال يا أبو زيد هل خوفكم الزناتى وأرعب قلوبكم بعناية البارى تعالى أنا أكفيكم شره وأقصر عمره فقالت لا بارك الله أجارك الله يا دياب وغدا الق الزناتي واقتله وملكنا الغرب كما ملكنا الشرق فقال إن أراد البارى تعالى ولكن يا حسن الذي يقتل الزناتي يكون سلطان الغرب فقال

الامير حسن نحن أولاد عم واما بين الاهل لايوجد فرق والرزق واحد والحكم واحد وبعد ذلك انصرفوا الى حالهم ولما أصبح الصباح برز دياب الى الميدان فبرز الزناتي وانطبقوا على بعضهم انطباق الغمام وطال بينهم الطعن والصدام من شروق الشمس الى وقت الظلام فدقت طبول الانفصال وانفصلوا الفريقين عن القتال وكل منهم عاد إلى محله والاطلال وأما الزناتي فعاود في سوء حال وعرف حاله مع دياب أنه مقهور وأيقن بلانزاع فضاق صدره واحتار في أمره فجلس وفتح شباك القصر يتقلب على الدراس فذهب من عينيه النعاس فجلس وفتح شباك القصر ونادى على بنته سعدا فأتت وجلست قباله في شباك آخر وتنهد الزناتي من فؤاد مشبوك وصار يعاتب ابنته سعدا ويقول وعمر السامعين يطول

يقول الزناتي والزناتي خليفه	تونس مدينتنا ونحن كبارها
من نسل حمير وأهل تبع نسبتي	ونتلو كتاب الله حملة سوارها
وكنا بخير سالمين من لنيا	الي ان جاء أبوزيد للعرب زارها
حكمت على أبوزيد وجملة ارفاقه	قصدت أنا أخفيه وأطوي خيارها
ناديت بجلاد حرد ثيابهم	ونادي عليهم في شوارع حدادها
ربط مرسهم في الرقاب وساقهم	لعند المشانق أراد يقطع جدارها
ألا وسعدا مثل شمس منيرة	لما رأت مرعى أرخت عذارها
وقالت يا أبي ترفق بحكمتك	ترى ظلم يقطع للبوادي ديارها
امسك جيد القوم واترك عبدهم	ويجيب لنا خلعات تتبع بكارها
طلقت عبد القوم وهو كبيرهم	وما علمت عبد القوم هو من خيارها
وجاب لنا ميتين [illegible]	نزلو الى تونس وهوا جدارها
وراح [illegible]	بنت الامارا [illegible] حمارها
وصاتت [illegible]	[illegible] وزروع الكرم حتي ثمارها
[illegible]	[illegible] تونس جردوا [illegible]
عذب [illegible] شمس [illegible]	وطعن الزناتين [illegible]
كان [illegible]	ثمانين أميرا قد غدا [illegible]
ولا [illegible] جميعهم	ولو كانو عددالحصي في بحارها
ولا [illegible] دياب [illegible]	له حرقة كالنار ترمي شرارها
تغني بها الشعر في كل محضر	وطعنته خش المسامع خبارها

الا يا سعدا حربة دياب بن غانم   كسهم رمي من كف ، عامر وتارها
ايا سعدا اجتني من الخيل ساق   تشبه لريح طائر بى قفارها
ان عانني ربي ومسكت ابن غانم   لأذيقه طعم الموت واسقيه مرارها
واجعل حكمي على البلاد جميعها   واقتل اكابرها وأيتم صغارها
ولكن هذا حكمها مع شورها   فلا تأمن الأنثي لدار جارها
ما قال ابو سعدا الزناتي خليفه   قتلتني سعدا بزود مكارها

قال فلما فرغ الزناتي من كلامه وابنته سعدا تسمع نظامه فقالت له يا أبي انا ما عملت انام الليل من اجلك ودائما اطلب الى الله ان يهدي بالك وينولك مرادك ولكن انا بنت فما يطلع مني اكثر ثم انها انصرفت وهي موهومة من كلام ابوها وحزنت عليه ولكن الهوى غالب عليها لانه يذل الأسود ويهين العزيز ثم ان الزناتي غلق شباكه واتكي وهو مرضوض من التعب وهو يبدي الانين من قلب حزين .

فلما اصبح الصباح طلعت بني هلال من خيامها وركبت سوابقها . واما الزناتي سكر ابواب تونس وماعاد يفتح ولا عاد له قلب للخروج الي الميدان لخوفه من الأمير دياب .

واما دياب قام من نومه وتقلد سلاحه وركب الخضرا وبرز في الميدان فحين نظره الزناتي تحركت في راسه مروة لرجل وهانت المنية عليه اسباب فبرز الزناتي لدياب وصدمه صدمة جبار لا يهاب نزول الاخضر وهدش [illegible] كما الجمل وطلعت الردة على اشداقه لانه تذكر رده واما [illegible] ت المنية عليه فالتقاه دياب بالسيف العرضب وقصد [illegible] عليه على الشيوخ [illegible] فحملو على بعضهم وضربوا بينهم غبار حتى [illegible] عنان لما [illegible] الحرب [illegible] الى [illegible] واتفقوا على [illegible] شبرين [illegible] برزوا الاثنين الى [illegible] فقصد [illegible] دياب [illegible] في [illegible] الركاب وطعن الزناتي [illegible] في [illegible] من جانب إلى آخر [illegible] الى الارض [illegible] بذهاب الروح فادركوه قومه في حوش من الخيل وركبوه [illegible] الأمير دياب بالسيف القرضاب وزادت نار الحرب اللهيب وقطعت منهم [illegible] لرقاب

وساقهم دياب سوق الغنم حتى دخلوا المدينة وسكروا ابوابها فطلع الزناتى إلى قصره وأيقن بزوال عمره فنام على فراشه وهو غارق بالافكار لنصف الليل فقام مرعوب فى جسمه مكروب فنادى إلى ابنته سعدا فأتت إلى قباله فى الشباك فأشار يدعى عليهم وينشد لها وصار يسمعها ويتنهد فى هذا القصيد ويقول :

يقول أبو سعـدا الزناتى خليفـة	الايام والدنيا قريب زوالهـا
الايام والدنيا كفي الله شرها	تخفض عزيز القوم ترفع انزالهـا
وروحى تفارقنى بطعن وغيره	ويعرف مجالى مع أماره هلالهـا
أيا ما إلى عين الزناتى خليفة	كمطروقة قد الف النوم حالها
تبات على ضر وتصبح على نقا	ونيران قلبى قد كوانى شعالها
أنا أبوك ياسعدا أنا قاهر العدا	أنا صور للزينات حامى عذارها
أنا أمير تونس وسيد معوارها	وبيدى أميلها وبيدي اعتدالها
وبيدى أسيرها وبيدى أميلهـا	وبيدى أسعفها اذا شح مالهـا
ولى رمح يا سعدا أقوس ملون	ولي درقة ما أظن أمير نالها
ولي سيف ماضي الشفرتين مجرب	اذا صاب صخر الصم قطع وصالها
ولي خودة بأربع مفاتيح من ذهب	لقد عجزت الصياغ تصنع مثالها
ولي درع حارت فيه صياغ تونس	ان راح منها زردة لبالهـا
ولى حربة من عهـد المرحوم والدى	مسقية سم الافاعى دالهـا
ما تصلح الا لابن رزق سلامه	ولا أحد بالترك والعرب نالهـا
أنا شعت يا سعـدا مناما أراعنى	وقد رمي بالقلب أعظم هوالهـا
حلمت انى غارقا ببحر من الدما	وحولي رجال واقفة مع أبطالها
قد غرقنا والنقاذيف تكسرت	ترى كيف عقلك يا زناتي صفالهـا
يا حيف منى قد رمتنى بخيـله	وعقلى أنا دون المـلا قد صفالها
قد قربوا من سعدا ونزلوا	على أرض مصر فككوا حبالهـا
نو خيم عاليات وشيدوا	على دار قابس تحت عتم ظلالها
يريدون منا الملك أن يأخذونه	أدل رجال الدو ما أكثر هبالها
وبيدى عدلهم وأنا أطعن لعدا	تروح أظعان البوادى جفالهـا
جموع هلال جاءوا من لشرق غربوا	تقول جراد المنتشر فى جبالهـا

على دار قابس حاصروا بظعنهم أمارة أصايل من فروع طوالهـا
وقد زينوا بالبيض الفين هودج عليها من قصب الغوالى جلالهـا
وفيهم صبية يسلب العقل حسنها كشمس الضحا زلت عليها جبالها
لهـا خد أحمر والعيون نواعس وارمت بقلبي علة لا دوا لهـا
تلالى لهم نحو العدا ان يثبتوا تصفق بأيديهـا نوحى رجالهـا
يجوني على الخيـل كالريح جريهم وأسرع من البرق اليمانى نفالهـا
ومعهم أبو زيد الهـلالى سلامه يجينى على حمرا قصير شكالها
أنا أبوك يا سعـدا ازناتي خليفـة اذا ثقلت الاحمـال انا شيالهـا
رحلتهم فى يوم سبعـة مراحـل رحلتى ابو زيد سبعه يسبعة قبالهـا
وانحدر الى الميدان بدر بن غانم فولت سوابق خيلنا مع قفالهـا
توجه بيض هلال والخيل غائرة وبقى لها بدر الخيل خيالهـا
فبارزنى للحرب بسرعة وقا لى أيا حميري نحن امارة هـلالهـا
طعنته بيدى وهو بين قومه فأضحي طريحا فى فيافى رمالها
وأخوه زيدان بعـده قد قتلته زيدان قد أزعجنى في مجالهـا
بدر وزيطان والخفاجى قد غدوا وراح الفتي القاضى بأسوأ احوالها
ثمـانين أمير من هلال قتلتهم ملكنا الهـلاليات حتي رجالهـا
أبو زيد جاب انا جموعا كثيرة قبايل غزيرة مذكر هنا زوالهـا
وأميرهم حسن الهلالى أبو على امير عامر ثم جمله هلالهـا
والـكل قد هابوا قتالى وسطوتى وداخل قرو هـلال منى وجالها
طبق رأيهم وجابوا دياب ابن غانم يريدون اخـذ الثار لاجل اجالها
وجانى دياب ابنى غانم فوق خضرا تطير جلاميد الحصى من نعالهـا
تجاولت انا واياه فى حومة الوغا عشرين يوما حيرتنى مجالهـا
ايا سعدا اكره دياب وذكـره كما تكره النسا اولاد رجالها
ايا سعدا ركبة دياب ابن غانم تزين الفرس فى سرجها [illegible]
ايا سعدا خضرة دباب ابن غانم ما شفت انا خيال [illegible]
ايا سعد خضرة دياب ابن غانم فلا بالشرق والغرب يوجد [illegible]
ايا سعدا خضرة دياب ابن غانم جميع البوادى شاهدت [illegible]
ايا سعدا خضرة دياب ابن غانم على دور باب الله قاسوا [illegible]

ايا سعدا خضرة دياب ابن غانم ... رطلين بالميزان وزنوا لجامها

عليها دياب ارعب مفاصلي ... طعناته بالرمح تفكك قفالها

ولو لم تكن عين دياب منيتي ... لكان امس العصر ابو زيد نالها

ايا سعدا حربة دياب ابن غانم ... تشابه شعاع الشمس نور شعالها

ايا سعدا حربة دياب ابن غانم ... ارمت بقلبي رعبة لا دوا لها

ايا سعدا حربة دياب ابن غانم ... بعيني نظرت الموت واقف قبالها

ايا سعدا حربة دياب ابن غانم ... جميع ملوك الارض هابوا قتالها

ايا سعدا حربة دياب ابن غانم ... انا خائف منها لروحي تنالها

ايا سعدا حربة دياب ابن غانم ... انا بان لي بالرمل عندي دلالها

وما صنعت الا لاجل منيتي ... ومن بعد ابو سعدا دياب ينالها

ايا سعدا خنت ابوك ووالدك ... ولا منية الا وابوها دلالها

ايا سعدا اني [illegible] سعيدة ... وهذه لسعادة لا غنى عن زوالها

ايا سعدا [illegible] بقيت يتيمة ... وبعد ابو زناتي يا ترى من هوالها

جهول غفول [illegible] منسا ... ومن يستمع للنسا مع سوالها

ايا سعد خنتني رجلي [illegible] ... وخنت ابوك لاجل مرعى دعالها

[illegible] ... لاعمل لك بكره وعلى حبالها

[illegible] ... حرام علي عيني الكرا ان تنالها

[illegible] ... ترى [illegible] لدار غير رجالها

[illegible] ... وهم يملكون تونس وكل [illegible]

[illegible] ... وقطعوا رجا من بعد كم كرمالها

[illegible] ... ولا تنزلوا الا على جبالها

[illegible] ... [illegible] تعلى ذوا الخلال جلالها

[illegible] ... لو كانوا بعد الحصى ورمالها

[illegible] ... بفرسان بدوان الخيافي مجالها

[illegible] ... [illegible] رجال الغرب تحت نعالها

[illegible] بالاخذ [illegible] ... تحوت المعالي ابو علي ارتقى لها

[illegible] لتونس [illegible] ... واميرهم كل السعادة ينالها

ولكن من شور سعدا مشيرتي   عليها غضب ربي وتعدم خصالها
وهذه شكايات الزناتي خليفة   هنيا لنفس لا عليها ولا لها

(قال الراوي) فلما فرغ الزناتي من كلامه وابنته سعدا تسمع نظامه فعزتها الدنيا وبكت حيث لا ينفعها الندم وصارت تشجع والدها على حرب دياب وثاني الايام برز الى الميدان فبرز اليه الامير دياب فأشار الزناتي يقول وعمر السامعين يطول

يقول بن سهران الزناتي خليفة   ولي قلب من جور الزمان جريح
تسعين أميرمن هلال وعامر   وكل أمـــير بالوغا رجيح
أسقيتهم كاس الحمام بلا خفا   نساهم عليهم بالظلام تصيح
سأقطع لراسك ياابن غانم بهمتي   وشرح للحمك والحشا تشريح
وآخذ الخضرا وراثي جنيبة   واسكر بدمك كالمدام واسيح
فاعطوني عشر المال والخيل والنسا   وتبقوا رعايانا على التوضيح
واجري بساط الصلح بيني وبينكم   ومن يطلب الصلح عاد مليح
رد الفتى الزغبي دياب وقال له   ترى الهرج بين العاقلين قبيح
لي ثار عنـدك يا زناتي خليفة   وقد دق في قومي بكي وتنويح
قتلت عامر والقروم جميعهم   وقتلت منا كل قرم رجيح
تسعين أميرا من هلال وعامر   غدوا وتطلب ان تكون صحيح
وتطلب انى يا زناتي أصالحك   أنا ونبي بين رجب صحيح
فمن يعتق الحيـــة يضره سمها   ويضحي فؤاده بالسموم طريح
أين بدر العامري أين قايد   أين اخوتي [illegible] مليح
أين سـلطان الخفاجي عسر   [illegible] في يوم [illegible] رجيح
وتحتي خضرا يقطع الودعزمها   [illegible] في [illegible] نتوسح
[illegible] سوى الطير [illegible]   [illegible] بين القروم نطيح
وأنا لك منطح يا زناتي خليفة   [illegible] خضرا ثم فيك صحيح

(قال الراوي) فلما انتهى دياب من كلامه والزناتي يسمع نظامه [illegible] ابطلين كأنهم أسدين كاسرين [illegible] في الحرب [illegible] ودقت طبول الانفصال وثاني الايام برز البطلين الى الميدان [illegible] نشد الزناتي وعمر السامعين يطول :

يقول الزناتي يا دياب [illegible]   جاك الزناتي [illegible] شعلة نارا

جاك الزناتي فوق أدهم ضامر ... لو كان فيه جناحين طارا
تسعين أميرا من هلال قتلتهم ... صفيت روس الكل عا لاسوارا
زيدان مع بدر الامير قتلتهم ... أيضا وخالك كان عز الجارا
واليوم لازم أذبحك بمهندى ... واسقيك يا زغبي كاس مرارا
ان طعتني انزل وبوس ركابى ... وادخل علي لكى تكون مجارا
دميت نفسك في حروب خليفة ... والشر حاقك والبلا قد صارا
قال ابن مهران الزناتي خليفة ... قصاب عامل فيكم وجزارا
رد الفتى الزغبي دياب وقال له ... ألا يا زناتي لا تكون فشارا
من نجد الى تونس جموعها ... وملوكها وأبطالها وأمارا
لي ثار عندك يا زناتي خليفة ... أحرقت قلب أبطالنا بالنارا
أتيت الي سيفي وسن قناتى ... لابنى أمورك بالملا تذكارا
وأملك لقصرك والبلاد جميعها ... وآخذ حريمك كلها وجوارا
عنك فما لى يا زناتي عفة ... لا بد ما اضرب لهيب النارا

(قال الراوى) فلما فرغ الاثنين من الشعر والنظام لم يزالوا فى حرب وصدام لحين أتى الظلام ندقت طبول الانفصال وثانى يوم برزوا البطلين فأنشد الزناتي يقول من فؤاد متبول :

يقول الزناتى والزناتى خليفة ... لى عزم فى البيدا كسبع الغاب
أنا القرم أنا الدرغام أنا قاهر العدا ... أنا مهلك الابطال بيوم حراب
أنا البطل المسمي الزناتى خليفة ... كم من ملك جانى وظنه خاب
حكمت على كل الملوك جميعهم ... وتركت كل الخلق تحت ركابى
يا دياب الخيل انظر همتي ... لأوريك منى اعجب الاعجابى
كم من ملك مع جيوشه قهرته ... عاد دماهم عا لوطي سكابي
أنا اليوم خصمك يا دياب ابن غانم ... لا بد عن قتلك تروح ذهابى
ما عاد غير الطعن فى سمر القنا ... واضرب فى سيف اليمانى طلابي
ما قال ابو سعد الزناتى خليفة ... لا بد أذيقك يا دياب عذابي
رد الفتى الزغبى دياب الامجد ... ولي عزم أمضى من سنان رماحي
كم من ملوك قد قهرت بصارمي ... وكم من مثالك يا زناتي راحي
فراح فى حد السيوف مجندل ... خليت دمه على الوطا سباحي

وراح منجد والهيدبي ومفرج والخزاعى فى حلب قد راح
وان كان ما أشني غليـلي منك بحرم على وصال بيض ملاحى
قال أبو موسى دياب ابن غانم لا أنا مهـــذار ولا مزاحى

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه والزناتى يسمع مقاله وأخذ فى الحرب والصدام لحين أتى الظلام فدقت طبول الانفصال وثانى الايام برز الامير دياب الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه الزناتى وأشار يقول :

يقول الزناتى أفرس الفرسان فى القلب منى زايدة نيران
بليت فيـــكم يا هلال بليـــة ربي بكم دون الملا ابلانى
قتلت منـــكم قوم ما لهم عدد راحوا اطعان الوحوش والغربانى
صافف رؤوش رجالكم انظرلها على الصور منشورة كالصيوانى
أنا خليفة أيا دياب تحضر يا ما قهرت ابطال مع شجعان
انزل عن الخضرا وبوس ركابى واسلم بروحك لا تكون ندمان
تبنى بضلي يا دياب وقومك وتعيش بخدمتي تحت أمانى
ان طعتنى وخدمتنى بنصاحة اعطيك تورز ملك من سلطاني
وان لم تطعنى اقتلك فى سيفي واسقيك كاسا طافحا مليان
واوسع لراسك فوق سور بلادي واقول راس دياب قد أكفان
رد الفتى الزغبي دياب وقال له اقصر كلامك لا تكون وهمان
أنا دياب والدما مشربى وكم كاس شربته الى الفرسان
معتاد سيفى للدروع يقدها رمحى وسيفي في الدما غرقان
يكفي تهـــدد على دياب وتعتنى ان كنت فارس بالحروب القاني
لى ثار عندك يا زناتى قاصد تسعين بيضا بلدجا مهران
خالى بدير والخفاجى عامر مع بدر أخي ونعتي زيدان
أولاد هولا يا زناتى خنتهم فى ماضى الحدين ضرب يمان
واشني غليـــلي يا ابو سعدا خوفى من اريدت لا تنسانى

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه التقوا البطلين فى الحرب والصدام وذاقوا ألم البلا والكرب حتى كل الرائين ومن وعزمه ذل وعرف حاله مع دياب أنه فارس مغوار ، وبطل كرار لا يصطلي له بنار وبقوا فى الحرب والطعان الى أن ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار ودقت طبول الانفصال وتفرقوا من المجال

ورجع الامير دياب الي قومه والزناتي الى قصره وقد ذل بعد العز سبحان من ذل الجبابره بقوته القادرة فعزته الدنيا وقد بكي على احواله وملكه وبات تلك الليلة فى هم وأتراح إلى وقت الصباح فنهض الزناتي من نومه وطلب دواية وقرطاس وأشار يكتب الى الامير دياب بالصلح ويقول :

يقول أبو سعدا الزناتي خليفة   حرام على عيني المقام حرام
وحملي ثقيل أبهر الناس كلها   بسيفي ورمحي أرعب الحكام
حكمت وحكمي طال فى الغرب كلها   على صالح التوفيق والأحكام
بميت بيوت لضيف للمدح والثنا   وضيوفنا شبه الحجاج دوام
واقرى اليتامي والأرامل جميعها   واكسي العرايا واسعف الايتام
ووالى ورزقي فيه لله خصه   أقربها فى كل دهر وعام
ولا خنت منه طول عمري بنصره   ولو كان ذمة أو حقير إسلام
أنا أبوك يا سعدا زناتي بلا خفا   إذ طارت الهيجا بيوم زحام
أنا صون [illegible]   بطعن يشيب راس كل غلام
ألا واستمع لي يا دياب [illegible]   اصغى سولى واترك الاوهام
واجروا أمور الصلح بيني وبينكم   وسامح وصالح يا أبو غنام
واقبل دخولي يا دياب وجيرني   وسامح بما أذنبت من الآثام
واقبل دخولي يا دياب [illegible]   عبدك أنا داخل على الاقدام
[illegible] دخولي يا دياب [illegible]   عبدا لديكم خادم الخدام
[illegible]   ودوس الخطا بين الموت حرام
[illegible]   [illegible] حرام
[illegible]   وريح [illegible] قلمه منضام
[illegible]   [illegible] الزمان ودام
[illegible]   [illegible] ورق وتمام
[illegible]   [illegible] أقوام
[illegible]   [illegible] يا ابن نسل كرام
[illegible]   [illegible] الصلح عندى سيد لاحكام
[illegible]   أقبل ايديكم مع الاقدام
[illegible]   وحق الذي حجت له الاسلام

وحق المنا والزائرين الى المنا   وحق النبي مع جملة الاسلام
وحق الحرم والبيت والركن والصفا   ومكة وزمزم ومن لهم خدام
بأني وقيع الصلح يا امير واكد   ومامضي ما تخلفه الايام

(قال الراوي) فلما فرغ الزناتي من كلامه طوى الكتاب وأرسله إلى الامير دياب وكان دياب قد برز إلي الميدان وجميع أمارة بني هلال راكبة معه فلما وصل النجاب وأعطاه الكتاب ففضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فعند ذلك ألوى الجا الخضرا وتوجه لعند الامير حسن وعرض عليه كتاب الزناتي فقرأه حسن وأبو زيد على رؤوس الامارة وجميعهم بهتوا ساعة طويلة فقال الامير أبو زيد يا أمارة الزناتي اعت طالب الصلح ما تقولون فقالوا الجميع رأينا عند حسن ودياب وعندك يا أمير أبو زيد فقال أبو زيد رأيت أنكم تصالحوه ومن أبى عن الصلح يغلب . أما الجاريه فلما سمعت هذا الكلام من أمارة بني هلال التفت إلى الأمارة وقالت [illegible] الحاكم من بني [illegible] ذليتم عن حرب زناتي ودياب أيضا [illegible] بعد موت اخوته وأولاد عمه [illegible] معكم دياب شاطر في ركوب الخضرا وتعريض الصدر وحالا نادت على النسوان دونكم والخيل ونحن [illegible] ونأخذ ثارنا منه والتفت إلي دياب وقالت له حول عن الخضرا حتى اركبها واحارب الزناتي وأشارت تقول :

تقول فتاة الحي [illegible] محمد   وآنا لي على حرب الزناتي [illegible]
أنا بنت سرحان الامير بلاغبي   أخي حسن سلطان على القوم سيد
على [illegible] وحدي واكيدنا   بسمر القنا والماضيات [illegible]
ألا يا عذارى شدوا الخيل واركبوا   على [illegible] جرايد
ونلبس [illegible] والدروع وخيالهم   ونحن [illegible]
ونقتل الزناتي الخليفة وقومه   [illegible]
خذوا [illegible] وعطوا [illegible]   [illegible]
ونحن نشفقكم و[illegible]   ونكرم عليكم [illegible]
ألا يا بنات [illegible]   [illegible]
ذليتم من حرب الامير [illegible]   [illegible]
تريدون صلحا بعد تسعين أميرا   [illegible]
وفرحوا العذاري فيك يا ولد غانم   وقالوا دياب الخير [illegible]

ما قالت فتاة الحي أم محمد فلا بد من حرب الزناتي أكيد

(قال الراوى) فلما فرغت من كلامها والامارة يسمعون نظامها فعنـد ذلك تبادرت البنات إلى الخيل وكل واحدة مسكت لجام فرس وقالت لراكبها انزل واركب موضعي في الهودج وأنا أركب جوادك وأما الجازية فغارت على دياب وقالت له انزل أنا اركب موضعك أحارب الزناتي فعندها غضب الامير دياب وقال لها لمثلي يقال هذا الكلام فأنا كم مرة خلصتك من السبي وماخليتك تنهتكي يا بنت الاجواد لو صالحوا كل بني هلال ما أفوت ثار اخوتي وأولادهم ولا صالحت الزناتي قومي وارجعي إلي الوراء وردي هؤلاء البنات وأشار الامير دياب يرد علي الزناتي يقول وعمر السامعين يطول :

يقول الفتي الزغبي دياب بن غانم	وذم الفتى بعد الفعال حرام
وحمد الفتي بعد الفعال مذمة	وحمد الفتى بعد الفعال تمـــام
أنا دوم ممدوح بفعل الأكارم	بخير وجود بالفلا وخصام
كم فارس أنا بقتاني قتلته	وأدعيته جوي اللحود ينام
من نجد إلى تونس ابدنا قرومها	سلاطين ابنوا للضيف خيام
وأخذنا إلى أموالهم وظعونهم	وأخذنا مكاسبهم وكل غنام
وماعاقنا من نجد الى ارض تونس	عوايق ولا خيل بهـا هجام
سواك يا امير الملا يا خليفة	فتكت فينا فى قنا وحسام
تسعين أمير من هلال قتلتهم	وراحوا طعام الوحش والاوهام
وباعت تصالحني من بعد عزوتي	فهذه أمور مبعدات عظام
أتينا بلادك يا زناتي خليفة	اصبحت تكاوننا بغير لزام
تسعين اميرا أنت ناسي عدادهم	اريد الوفا منك بحد حسام
غدا التقيني طلعة الشمس باكر	يوما طويلا ابرك الايام
انا عنتر الشداد انا وبد غانم	انا الزير ابو ليلى اهمام
فمن يمدحوه لناس يزيد قدره	ومن مدح نفسه عدم الافهام
ولابد عنك يا زناتي خليفـة	ولو كان حولك ماية الف غلام
وان طرت وغرت لابد عنك	ولو كنت جوى الف برج رخام
اذا صطفت الخيل واشتبك لقنا	ونصرت الاسلام بيوم زحام
فنزل الى الميدان عن غد باكر	لأوريك طعناً يقطع الاوهام

وخذ من يميني طعنــة قوية　يغنوا بها الشعار نظم كلام
ويظهر خبرها فى البلاد جميعها　تشق الحشا طعنات ابو غنام
وترحل بلاد الغرب عالما ودونها　وتبقي أمارتنا بها حكام
أنا فارس الشرقين والغرب واليمن　وذكري ملا مصر وأرض الشام
فلا بد أن أملك بلادك كلها　وقومك يصيروا عندنا خدام
ماقال الفتي الزغبي دياب بن غانم　غدا التقينى الى وفا والاذمام

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه طوى الكتاب وأرسله الى الزناتي خليفة فلما وصل اليه فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه وانخمدت أنفاسه وزادو سواسه ولما أصبح الصباح دقت طبول بني هلال للحرب والكفاح وبرز الامير دياب الى الميدان فنظر ذلك الزناتى فأشار يكتب إلى دياب ويقول :

يقول أبو سعدا الزناتى خليفة　والهم قد جانا مع الوسواس
يا دياب الخيــل يا طيب الثنا　يا امير حامي حومة البرجاس
فاصفح عن حربى وخذ لك ما تريد　أموال خذ مني وكل أجناس
واعطيك مني القيروان وقابس　تونس وقابس ودير المكناس
وبالحال ارسل للمغارب جميعها　ونادى باسمك في جميع الناس
واحكم انت فى بلادى وأرضها　على الخلايق كلها والناس
ونقيم لك الرايات فى كل محضر　واذكر لجودك طيب الانفاس
أقسم عليك بجاه ربي تجيرنى　وبحق الله العرش رب الناس
وأصير عبدك وعبد عبدك للأبد　وفضلك على أعياننا والراس
وبطل الحرب عنى ولا تلومنى　وديني بقولي ما أنا دلاس
ما قا أبو سعدا الزناتى خليفة　دياب ترفق يا شديد الباس

(قال الراوى) فلما فرغ الزناتى من كلامه طوى الكتاب وختمه بختامه وقدمه الامير دياب فلما قراه مزقه ورماه وصرخ فى الخادم صرخة ارعبته وقال له لولا ما يكون قتل الرسول حرام لادعيك على التراب مقتول ولكن ارجع الى مولاك وقل له مالك عنده جواب الا سيف القرضاب فرجع النجاب واعلم مولاه بذلك وأما دياب فانه بات تلك الليلة الى الصباح فهب من نومه ونزل الى الميدان وعرض وبان وطلب براز الفرسان فما احد رد عليه جواب فعندذلك عاد دياب الى صوب بوابة تونس فحكمت طريقه على خندق كبير فلما نظره حول عن الخضرا وقاص

الخندق فطلع عمقه خمسة رماح ووسعه ثلاثه فعرف ان الخضرا تقفزه فعند ذلك تفلي بظهر الخضر وأرجعها الى وراه وابتدا يلاعبها حتى صارت اربعتها تنحط في المد ودار راسها صوب الخندق حتى وصلت الى حفته وحشكها في الركاب فقفزت الى جانب الآخر وظل عاير الي الباب لقي لبواب نائم دلكزه في كعب الرمح ففاق لبواب فوجد فارس فوق راسه قال له الامير دياب يابواب روح ارسل سيدك لينزل الي الميدان وان كان ما ينزل قل له الأمير دياب اليوم قفز الخضرا فوق الخندق غدا يقفزها السور فراح البواب واعلم مولاه ودياب رجع الى قومه فعند ذلك نزل دموع الزناتي وصار يبكي على حاله وأرسل ورا سعدا ابنته لكي يرودعها وكان قصده قتلها ولكن ليس له اليها وصول وكانت سعدا ضربت الرمل فعملت أن منية أبيها قد قربت فأتت الي الشباك قباله وقالت له طب نفسا وقر عينا لأن بان عندي بالرمل أنك منصور على دياب وفي ثاني الأيام دق طبله وبرز الي الميدان فبرز اليه الأمير دياب فاشار بهد عليه ويقول :

قال أبو سعدا ملكت الغرب	في عزم أبطالي وشدة حربي
ملكتها غصب عن أميرها	ودعيت جميع القوم مني هربي
يا بن غانم جيت لأجل منيتك	ذا الوقت تسقي من المنايا شربي
واخذ الخضرا ودرعك عاجل	الله أكبر يا دياب الزغبي
تسعين فارس يا دياب قتلتها	فرسان قومك قروما عصى
شرف لقراعي كسهم قدامك	على السور مصفوفين شرق وغربي
في بيضة الميبوس اكسر راسك	واطحن عظامك وادفنك بالتربي
أنا الزناتي في الحروب مجرب	في حد سيفي قد حميت الغربي
رد أبو وطفه دياب وقال له	يا امير أنا ما احد يلاقي ضربي
جبتك على الخضرا كما لمبازه	ولا بد ما تروح مني بالحربي
[illegible]	وشرب لك دنيا زناتي شربي
وسيح في ترب [illegible]	واحذر لهم بارض ترمي
لآخذ [illegible]	بدير مع زيدان قاضي العرب
قال ابن غانم [illegible] الزغبي دياب	ستر العذارى يوم كشف الحجبي

(قال الراوي) فلما فرغ الأمير دياب من كلامه لتقوا البطلين كأنهم جبلين وغني فوق رؤوسهم غراب البين فوقع بينهم ضربتين قاطعتين كان السابق لضربة الزناتي

طعن بها دياب بالرمح فأخلى عنها فأصابت الخضرا فوقعت على الارض ووقع دياب كأنه طود من الاطواد فطمع الزناتي فيه وسحب السيف من غمده وهجم عليه ليعدمه الحياة فكانوا بني هلال أدركوه وقدموا له جواد من الخيل الجياد فعندها ركب الامير دياب وانتفر على الزناتي في قلب لا يهاب وما زال السيف بينهم إلى وقت الظلام فانفصلوا على سلامة من الحرب والقتال وأما الامير دياب فانه حزن على الخضرا كثيرا وأمر أن يغسلوها ويكفنوها بشقق الحرير ويدفنوها وبني على قبرها قبة عظيمة وذبح على قبرها الف ناقة وفرقها على الفقراء ذكاة عن سلايلها واولادها وثاني يوم نهض دياب واعتد في عدة جلاده وركب على ابن الخضرا وكان مهر رباعي طويل الباع لين الطباع وبرز الى الميدان كأنه فرخ جان وطلب مبارزة الزناتي فبرز اليه لأنه فرح بقتل الخضرا وظن انه يملك اربه من دياب ويقتله كما قلت له سعدا وأما حسن وبني هلال تحقق عندهم ان في هذه المبارزة يقتل الزناتي ولا محالة لأجل ثار الخضرا فركب الامير حسن مع سائر بني هلال وركبوا العماريات في الهوادج اصطفت العساكر قبالة بعضها لبعض هذا والزناتي ودياب في حرب شديد يقطع الزرد انعقد من الصباح الى ان صارت الشمس في قبة الفلك الأعلى فثارت في رأس دياب نخوة الرجال والهمة الكافية العلية وولاه مولاه على الظفر على من عاداه فسحب الدبوس من تحت فخذه وبرمه في يده وضرب الزناتي على راسه فطير جميع شعر راسه وخلت طاسة البولاد ونزل على هامه فدار الزناتي راس جواده وعول على الفرار من عظم الألم فما عاد يدري كيف يتوجه ولاجل نفوذ الاحكام لما هرب الزناتي قام الامير دياب في عزم الركاب وأطلق به الريح لأن الزناتي كان هاربا يلتفت لكي ينظر دياب ان كان لاحقه فأصاب الرمح عينه و[illegible] قدامه [illegible] الامير دياب [illegible] دياب وقت [illegible] على الوقوع فسحب دياب [illegible] قدامه [illegible] الامير دياب [illegible] على [illegible] الزناتي فبلغوا أفراحهم [illegible] الزناتي على الارض [illegible] جثة بلا روح كثرت المصائب عليهم [illegible] يعرفون [illegible] هاربين والى النجاة طالبين [illegible] الزناتي [illegible] واقعين على دياب ورموا اسلاحهم وسلموا الى الموت أرواحهم وطلبوا من دياب الامان

واولهم كان العلام وطلبوا من دياب مكان يقيموا فيه ويأجون حريمهم فأعطاهم مدينة الاندلس وما حولها وهم على ثياب الأقوياء ورحل العلام وقومه بالحريم والعيال وقطنوا بذلك المكان ورجع الامير حسن والامير أبو زيد وبني هلال نحو تونس لينظروا كيف فعل أما دياب فانه ملك تونس وبالحال نادي عبده خليل وأعطاه الرمح وأمره أن يوضعه فوق باب تونس وينادى أن ما فى أمير الا الأمير دياب وكل من لا يدخل تحت هذا الرمح يقتل تحت الرمح ففعل العبد كما أمره مولاه وصار ينادى بنداه فلما سمعت سعدا بقتل أبيها لبست أفخر مليوس وصارت تتمختر كأنها العروس وأتت لعند الامير مرعى وهو يتمشى بجنان القصر عند لعصر وهو لابس ملابس الحرير وعلى رأسه طربوش مغربي حسب عادة أهل الغرب ومنتظر الفرج والتيسير من هذا الامر العسير ثم دخلت عليه سعدا وقبلت يديه وقالت اعلم أيها الأمير وسيدي الخطير قد جاء الى الفرح بعد التعسير . وتعاهده هى واياه بأن لا يأخذ غيرها من النساء ووعدته أيضا أن لا تأخذ غيره من الرجال ولو قطعت بالسيوف الصقال . وبعد ذلك وعدوا بعضهم البعض وكل واحد ذهب الى سبيله يرجع الكلام الى الامير دياب بعد قتل الزناتي أمر بتعليق رأسه على السور وبتنزيل روس أمارة بني هلال ليدفنوهم وملك دياب تخت الزناتى خليفه وحاز الملك والمال والنوال والخدم قدامه وأمر باطلاق مرعى ويحيي ويونس وخلع عليهم وأرسلهم لعند أهلهم وجلس دياب على تخت الزناتى ولبس التاج على رأسه وكان ذلك التاج مصنوع من قديم الزمان من أيام مهران خليفة أبو الزناتى ومرصع كله بالمرجان الاحمر والياقوت الاخضر ومنسوج بالدر والجوهر والذهب الاصفر واجتمعت حوله بنى زغبي صفوف صفوف ميات وألوف وأتوا الجميع حبوا يداه فلما سمعت سعدا بجلوس الامير دياب على كرسى ابوها خافت وارتعدت فرائصها وخاب ظنها بمرعى وندمت حيث لا ينفع الندم وتوجهت هي لعند الامير دياب وحبت يداه وترجته في دفن ابوها وانشدت تقول :

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم ولا فخر فى الانسان الا فعايله
ولا فخر الانسان الا بعزمه وفعل الردى الخال ينشي قناديعه
أيا سعدا انني علمتي بانني خصيم ابوك قاطعا لشقايقه
طعنته بوسط العين فى نصف وجهه فاضحى قتيلا واقعا فى مصارعه

واركزت رمحي فوق باب تونس   وقلت حسن يختشى من خدايعه
وعندي حسن يوم الوغا مثل خادمي   أما دياب ما عاد أحد يصارعه
قتلت أبوك والقنا يقرع القنا   وقد كان يحسبني بأني لا كعه
أيا سعدا قد راح أبوك بخليفة   وأخذت تاجه وتخته وتوابعه
أنا تعرف الفرسان عزمي وهمتي   وسيفي بدم العدا أنا نافعه

فلما فرغ الأمير دياب من كلامه أشارت سعدا تترجاه وتقول :

تقول سعدا بنت الأمير تونس   ألا يا دياب خيل يا أبو الهمام
أنا اليوم دخيلك وبجيرتك   تجيرني أجارك رب العرش دائم
قومي غدوا يا أمير من تحت الوطا   وكانوا زناتية وراحوا هزائم
ألا يا زناتيين وقوم خليفة   والسعد منكم راح عندنا رمائم
أيا حيف يا خليفة تسكن بالثرى   وتبديل قصور العز بالتراب دائم
ألا يا دياب الخيل يا كاسب الثنا   يا طويل الباع يا ولد غانم
أرجوك ان أبي تواريه التراب   وأمر بدفنه يا أمير تحت الردائم
وادفنه يا أمير بجانب اخوتك   تنال الخير والثناء وكسب الغنائم
لقد كان خلك يا أمير وصاحبك   وكان يعزك دون كل العوالم
وكان يحبك دون كل قرايبه   ويا ما مدح فيك بين الأكارم
كم مرة قال لي دياب بن غانم   ما شفت أفرس منه قرم ملاطم
يا أمير جيرني بالنبي المصطفي   يجبرك إلهي من جميع الهزائم

(قال الراوي) فلما فرغت سعدا من كلامها أمر دياب أن يدفنوا أبوها بين قبور إخوته بدر وزيدان وطيب خاطرها وأدخلها في حريمه وأكرموها غاية الاكرام هذا ما جرى الى دياب وأما ماجرى الى حسن وأبو زيد وهم راجعين سبق منهم أناس فشاهدوا رمح دياب والمنادي ينادي باسم دياب و [illegible] خليفة حين رأى الامير حسن والامير أبو زيد [illegible] ورجع [illegible] فقال لهم دياب ارجع نادي كما أمرتك فرجع العبد [illegible] وينادي أن السلطان دياب وكل من لا يدخل تحت رمحه [illegible] فقال حسن [illegible] كيف الرأي يا أبو زيد ندخل أم لا [illegible] أبو زيد [illegible] حسن [illegible] الرمح فكان عبد الامير حسن [illegible] ضرب الرمح قطعه [illegible] قطعه كما قطع الرمح وأما حسن هجم على ديوان [illegible] دياب [illegible] على

التخت وحوله أكابر بني زغبي والخدام والعبيد بين يديه والتاج على رأسه فلما نظروا حسن هجم مثل الجمل المايج وقال ما هذه القعدة ياذياب ما كفاك مرقتني من تحت رمحك وتلبس التاج على راسك وتريد تورثني وأنا حي وتعزلني من منصبي ورثة جدي وأبي ونحن من الذي قصر منا عن حرب الزناتي لا بد عن قتلك يانجس بعد هذا العمل وانحدف على دياب فوقف أبو زيد والرجال بوجه حسن وقبلوا أياديه وقلوا له يا مولانا ان دياب خطي ومنك المسامحة فهذا كله جرى ودياب جالس على الكرسي ما هو متفكر فيه ولا في كلامه فزاد في حسن الاضرام وقال اتركوني حتى أقتل هذا العايب فقال له دياب ياحسن أنت بعد فيك هذه الشطارة فلماذا ماقتلت الزناتي وملكت ملكه ولاى سبب أرسلت تتدخل على أنت وأبو زيد وكل بني هلال حتي قتلت الزناتي ومهدت لكم البلاد فقال حسن وأنا والامير أبو زيد ما أرسلنا وراك ولا أحد من جميع بنى هلال الا البنات وابوك غانم فعمل دباب المكانيب عندي فقال حسن كذبت وحق البيت والحجر والركن المطهر لابد عن قتلك وهم في هذا الكلام فتقدم ابو زيد وقال :

يقول ابو زيد الهلالي سلامه	مالك ياحسن سرحان هايش
تريد تقتل دياب يا أبو علي	وهو حامي طعننا من كل هايش
لانه جعل رمحه على باب تونس	فهذا ما هو ذنب يا مير طايش
حريمنا بعثوا البرقيع لدياب	ليدعى أبوسعدا بدمه يشالش
وجا على خضرا وجندل عدونا	واخذ ثار نافي ماضيات الطرايش
قوموا بنا نقسم بلاد الزناتي	ونادوا بالاطمنان العيش عايش

(قال الراوي) فلما فرغ من كلامه تقدم الي دياب وقال له يا ابن العم العين لا تعلوا فوق الحاجب قوم حتي تركب حسن على الكرسي وتقسم البلاد فعند ذلك قام دياب ومسك حسن واخذه أبو زيد بياطه وقدموه على التخت وأجلسوه وتقدم الأمير دياب وأشار يقول :

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم	والنار من جوا الضلوع شجونها
أيا بو علي لولا دياب بن غانم	غدا ظعنكم بحرب الزناتي رهونها
ولما قتلت العيدي وأنت شاهد	وأبو زيد حاضرها كيف تنكرونها
طعنته رميته والقنا يقرع القنا	وبيض العذارا شاخصات عيونها

وملكتم نجد العدية وأرضها   وقفت بها بيض العذارا يقتنونها
تكاونت انا والزناتى خليفة   وما تعلم الارواح من هو ردونها
وقد راحت الخضرا وشنت بها النيا   من طول عمرى للعدا اصونها
وجاءونى بنى هلال وعامر   وجاءونى بنات هلال يندبونها
وجابوا القماس الحرير الغالي   وجاءوا الى الخضرا يكفنونها
حفرت لها بالارض قامة ومثلها   خايف وحوش البر ينهشونها
ان مت بالله ادفنونى بجنبها   فى وسط روضة موضع ان دفنونها
عسي نلتقي يوم القيامة جميعنا   واقبل الخضرا وامسح عيونها

فلما فرغ الامير دياب من كلامه فاعتذر له الامير حسن وقال له يا أمير دياب الخطا يقع من قلب الصواب والخضرا خذ عوضها مدينة تونس من غير حساب واقسم لك ثلث الغرب الذى تريده انا مثلك وابو زيد مثلي فحضروا جميعهم الديوان تقاسموا الجميع بالاسوة من دون تونس الى الامير دياب من غير حساب وانصرفوا على هذا الحال اما الامير مرعى فانه اجتمع مع ابوه وسلم عليه ووقعت الافراح وذهبت الاحزان وعملوا الولائم وذبحوا الاغنام الى الخاص والعام ونادوا بالامان فى جميع البلدان وسلطنوا اعلاه على قبس ومكناس وتلك البلاد وبعد ذلك امر الامير حسن فى بناء قبة عظيمة على قبر الزناتى وامر باحضار الحفارين والنجارين والمرخمين والدهانين وجميع ارباب الصنائع ان يبذلوا المجهود فى تزيين تلك القبة على قبر الزناتي وان يكتبوا عليها اسماء الله الحسنى فزينوها بالفضة والذهب وصنعوا له مشهد ومزار

﴿ انتهى الجزء السادس عشر ويليه الجزء السابع عشر

الجزء السابع عشر من
تغريبة بني هلال الكبرى
الشامية الأصلية

قصة الأمير صبرا

ابن الامير أبو زيد وقتل العلام ابن عم الزناتي وتملك سبعة تخوت بلاد الغرب والاربعة عشر قلعة

تقدم في الكتاب السادس عشر بأن دياب قتل الزناتي خليفة وتولى مكانه الأمير حسن وقد أمر البناءون أن يصنعوا مشهدا ومداراً على قبر الزناتي وتقاسموا البلدان الأمير حسن والامير أبو زيد والامير دياب وولوا الاعلام على قابس ومكناس : هذا ما كان من أمر بني هلال وأما ما كان من قوم الزناتي وهم الامراء وائل ومحمود وزائد وغيرهم من الحكام الذين يحكمون على سبعة تخوت بلاد لغرب والاربعه عشر قلعة لما سمعوا بتسلطن العلام وقتل الزناتي هاجوا وماجوا والتمت القروم من جميع جزائر الغرب وأتوا إلي ملكهم و كان يدعى ناصر وهو أخو الزناتي و كان حاكم على الاربعة عشر قلعة وعلى سبعه تخوت بلاد الغرب فدخلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه وأخبروه عن بني هلال وعن قتل الزناتي خليفة أخيه فهاج وماج ورغرغ وهاج واسودت الدنيا فى عيناه وحالا أمر فى تجهيز العساكر والابطال وأرسلهم إلى عند العلام ليتهيأ إلى حرب العربان فلما وصلوا اليه ودخلوا عليه قبلوا الارض بين يديه وبكوا على ملكهم الزناتي وأظهروا له الحزن والهم والكدر والغم وانهم خسروا ملكهم الزناتي وقالوا يا دننا من بعده والله لنأخذ بالثار ونكشف عنا العار ونرجع تونس بسيف البتار لانه أرسلنا اليك الامير ناصر أخو الزناتي حتى تتهيأ للحرب والقتال فكان جواب العلام للقوم انني كايت من حروب والاهوال وليس لي عزم على ملاقاة الابطال والرجال فاعفوني بدالكم و . أدم كم بالاموال وهكذا قررتهم وأرسلوا يعلموا ناصر أخو الزناتي ولما

بلغه هذا الجواب أخذ في تجهيز العساكر في الحال من الغرب الجواني وما مضت مدة من الزمان حتى تجهز عنده ستمائة الف مقاتل بين فارس وراجل فنهض بهذا العسكر الجرار الذي هو مثل موج البحار وقصد بني هلال وما زال سائر حتى قارب أطراف تونس ، هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الامير دياب فانه دخل يوما على قصره أي قصر الزناتي فوجد سعدا تبكي وتنوح من فؤاد مجروح على فقد أبيها وعلى فراق مرعي ويحي ويونس لما كان عندها لهم من الحب والهيام ومزيد الشوق والغرام فلما نظرها الامير دياب على هذا الحال حياه بالسلام فمال اليها وزاد غرامه فيها وأراد أن يأخذها زوجة له فقال لها طيبي نفسا وقري عينا حيث انك صرت في ملكي وتحت حكمي وأريد أن آخذك لي زوجة طيعة ولاوامري سميعة وأشار اليها يقول وعمر السامعين يطول :

يقول أبو موسى دياب بن غانم ... ولي عزم في الهيجا كليث رهيس
ولي عزم أمضي من حسام اذا سطا ... وماني ردي الاصل ما أنا خسيس
ألا فابشري ثم ابشري يا ابن غانم ... أنا صرت حاكم في دريد وقيس
ألا يا سعدا قري وافرحي ... وانا صرت بعلك دون كل رئيس
عليك أمان الله ما دمت سالم ... على ظهر شهبا قمة لرجيس
فلا تحزني من بعد خوفك وافرحي ... أنا هو دياب الخيل يوم عكيس

فلما فرغ دياب من كلامه وسعدا تسمع نظامه اغتاظت الغيظ الشديد الذي ما عليه من مزيد وأشارت اليه تقول :

تقول سعدا بنت سلطان تونس ... سطا البين وتمدى مليد ومد
يا زمان المضي وراح وانقضى ... تعال [illegible] زمان [illegible]
يا مين يرى سعدا وابو خليفة ... زمان اعتدل الدهر [illegible]
أنا كنت أميرة بنت أمير وأميرة ... وقصري على شرافتين [illegible]
[illegible] برقبتك يا دياب ابن غانم ... قتلت [illegible]
تقتله وترمني [illegible] ... [illegible] يا دياب [illegible]
فان اخذتني [illegible] ... [illegible] لروحي [illegible]
ولا الناس تقول اخذت [illegible] ... ولا [illegible] لي يا دياب [illegible]
ولا ارى [illegible] دياب ابن غانم ... الا مقطع فوق روس [illegible]

(قال الراوي) فلما فرغت سعدا من كلامها والامير دياب يسمع نظامها اسودت

الدنيا فى عينيه كالظلام وقال لها على تتجاسرى فى هذا الكلام يا بنت اللئام وحينئذ أمر عبيده بضربها وان يشغلوها الاشغال الشاقة ويطحنوها الملح ويلبسوها الملابس الخشنة وتركها ومضى ففعلوا كلما أمرهم به وبقيت على هذا الحال مدة عشرة ايام وفى اليوم الحادى عشر دخلت ناولة اخت الامير دياب فلما رأتها على هذا الحال سألتها عن حالها وما جرى لها فأخبرتها عن ظلم دياب وكل ما جرى لها واشارت سعدا تخبر ناولة بهذا القصيد وتقول :

تقول سعدا بنت امير تونس   وتجرى دموعي فوق خدى عوابر
ابكي على ابوي الزناتي خليفة   وعلى قومنا راحوا بحد البواتر
امرنا وعوننا يوم حربنا   وفارسنا عند اختلاف العساكر
يوم التقي يا ناولة ابن غانم   والبس ملبوس كثير المفاخر
وتصادموا الاثنين فى حومة الوغى   وصار غبار الخيل للجو طاير
اصيب بحربة من يدين ابن غانم   فحكمت له بين العيون والنواظر
ولما قتل ذلت احاويه قومنا   وراحوا كما الطير بالجو طاير
و[illegible] يريد [illegible] اكون له حليلة   ويقتل ابوي فوق خيل ضوامر
فو[illegible] ليس بخاطرى ان اقابله   ولست انا ارضاه والرب حاضر
بكيت على دهرى الذى قد جانى   ومن حين ولو ما جبر لى بخاطرى
[illegible] جرى من [illegible] حليلة   طحنت الملح مساء وباكر
[illegible] من عزى على [illegible]   [illegible] سعدا فى لحود المقابر

فـ[illegible] كلامها والامير دياب [illegible] امامها وكان قد سمع منها الخطاب [illegible] وفى غضبانه ان يزيدوا عليها الاشغال ففعلوا كما امر [illegible] قيت [illegible] مدة عشر يوم وهي تبكى وتنوح من فؤاد مجروح وكان [illegible] فتكر فيها وكان عندها عبد من جملة العبيد [illegible] من عبيد ابيها واستعطفته اليهـا وقالت له [illegible] من حاس لان مرادى ان اكتب إلى الامير حسن [illegible] الراس والعين و[illegible] بما طلبت فأشارت [illegible] وتقول

[illegible] سعدا اتى خاطر [illegible] وراح
[illegible] على من [illegible] اذا [illegible] مشى يسبق هبوب رياح

فحين وصولك للهلالي قول له   يا كامل المعروف والاصلاح
نسيت الصغيرة يا هلالي ابو علي   ومعكم ترى ما قد فعلت قباح
ألا فاذكر يوما أتونا أولادكم   إلى الغرب رادوها برأي فلاح
أراد الزناتي ان يشيل لروسهم   ويريد يخطف منهم الارواح
تشفعت فيهم ثم جاءوا بنعمة   ولولاي كانوا قدغدون شراح
قد قال لي مرعي آخذك لي حليلة   وحياة راسك جد غير مزاح
نظرتم أبوي كيف باد جموعكم   وكان عليكم بالوغى نطاح
وجازيته يا قتل يا أمير لأجلكم   وسري بكم يا أمير صار مباح
وأنا التي ملكتكم أرض تونس   وخنت أبوي ذاك مات وراح
فقال دياب آخذك حليلة   فأبيت أمره يا حسن وقباح
فأخذني دياب وحطني في مذلة   وتضربني عبيده في مسا وصباح
واحمل على ظهري الحطب يا ابو علي   واملي جرار الماء الاتراح
وذاك ليوم أدري حالق ابن غانم   يعاملني بالشر كل صباح
رميتموني يا ابن سرحان ابو علي   وكيف تخون المليح قباح
نسيتموني والتي ما نسيتكم   ورأيت [illegible] جد غير مزاح
مرادي أكون بقربكم يا ابو علي   و[illegible] في مسا وصباح
تقول فتاة الحي سعدى التي شكت   [illegible]

فلما فرغت سعدا من تحرير الكتاب [illegible] وأرسلته الى الامير حسن فأخذه وقراه وعرف رموزه و[illegible] فاغتاظ من الامير دياب وارسل وراء الامير ابو زيد [illegible] من الاول الى الآخر فقال له [illegible] سعدى [illegible] وفي ثاني اليوم ركب الامير حسن والامير ابو زيد [illegible] وتوجهوا الى الامير دياب [illegible] وسلموا عليه فالتقاهم الامير دياب [illegible] وترحب فيهم ويقول :

يقول فتى الزغبي دياب بن غانم   أهلا وسهلا بصحب [illegible]
أهلا بمن قد شرفوا محلنا   ابو زيد وسلطان [illegible]
أهلا بسلطان الاعراب جميعهم   [illegible] في [illegible]

فلما فرغ الامير دياب من كلامه شكروه الامارة على نظامه وبقاوا فى ضيافته ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع قال الامير حسن للامير دياب مرادنا نقسم بلاد الغرب فقال دياب الامر لابو زيد فقال ابو زيد انتم مرادكم قسمة بلاد الغرب فان قدامكم مصاعب ومتاعب كثيرة فانكم ملكتم تونس وهي من جملة المملكات والباقي سبعة تحوت يجلس عليها سبعة ويحكمون على أربعة عشر قلعة ثم أشار يشرح لهم ويقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامة   الاجواد ما تنقل كلام معاب
تونس ملكتوها بحد سيوفكم   ملكتوها من سائر الاجناب
فكيف يكون الرأى ياأمير ابو على   فابدى لنا رأيا يكون صواب
فهذه أربعة عشر قلعة ياابو بريقع   مداين وتسعين لها بواب
أولهم كوبج أنا انبيك عن الخبر   وبرج الدمع عالي حصين الباب
واجه وبرنيجه وطنجه وطبنجه   تجدد الى من شعر راسه شاب
هؤلاء سبعة يابن سرحان يا حسن   وانبيك عن الباقي من الاعجاب
أولهم قابس مع سرت يا حسن   وفى مغرواه شعب يا أحباب
ياتيب ما حازوه الا الذين مضوا   بروج وحصون لها ونواب
تر القيروان ما تشتهى النفس   من الخوخ والرمان والعناب
والاندلس يا أمير ما شفت مثلها   وفيها حصون مغلقة الابواب
يوجد فيها دور كلها من نحاس   ومرصع الابواب والاعتاب
على الصور صوة طير ياأمير جالسة   وهي ذهب من أعجب الاعجاب
بمنقار متخلص بمخلاب منفرد   وطابق على ذا الصور بالمخلاب
وان اتت اقوام تطلب حربهم   يدور بعسكره كما الدولاب
وان جاء يزعق ولكن زعقته   تزلزل مدينتهم مع الاعتاب
تصلق مدافع من على لسور يا حسن   وترمى بنيران تزيد لهاب
فالفرس والعرب عنهم عجزة   سلطانها حماد قرم مهاب
وكان لسبب تأسيس ملكها   عجب من عجب وأعجب الاعجاب
وكان ثمة يسمى سليم بن مرعى   عالى عماد المجد والاعتاب
هذا خليفة كان فى العرب قدما   فى العرش تحسبه كسبع الغاب
على الزناتى صار حتى حقه   وحتى الملك ولى على الاعقاب

يلاقي الرصد يعلو السور كالجبل   علما بان هـذا دليل عجاب
غاروا على القلعة وبطشوا بالملك   ثم بعده داروا على النواب
وقطعوا أمارتهم وقتلوا كبارها   وملكوها من سائر الاجناب
وقلعة زواره قط ماشفت مثلها   ملكها الملك حماد كليث مهاب
وتراه وسط الحرب فلا راكبا   وتارة يركب لسبع الغاب
فذا الاربعة عشر قلعة أعطيتكم   ووصفتها اليكم بحسن خطاب

فلما فرغ أبو زيد من نظامه والامير حسن والامير دياب يسمعون كلامه وبينما هم في مثل هذا الخطاب والا مقبل عليهم العبد مرجان بن ابو القمصان مخضب بالدماء ومهشم الاعضاء فسألوه ما الخبر ماذا جرى عليك فقال لهم ان الشباب قد هلكت وقد نزلت عليهم قوم الامير ناصر اخو الزناتي الذي من تحت يده سلاطين سبعة تخوت بلاد الغرب وان كان لاتدركوهم بسرعة الحال والا ذاقوا الوبال وجعل يخبرهم بهذا القصيد عما جرى له ويقول :

يقول الفتي مرجان والقلب ذايب   لفقد الاماره مع شباب هلال
سرحنا بعون الله للصيد والقنص   نقنص وحوشا بالفلا وجبال
نلاقي الى قوم الامير ناصر   ومعهم الفتى اعلام والابطال
نزلوا علينا ثم رادوا لقتلنا   فحاطوا علينا يمين ثم شمال
وان كنتم لا تدركوهم بالحال   والا راحوا تحت تبن رمال
فهـذا ما اخبرتكم يا هلالي   وقلبي أ[illegible] صابر له بلبال

فلما سمع الامير حسن هذا الكلام صار الضيا في عينيه ظلام وكذلك الامير أبو زيد والامير دياب اغتاظ الغيظ الذي ما عليه من مزيد وفي الحال دقت طبول الحرب واجتمعت عند الامير حسن فرسان الطعن والضرب فاخبروهم بهذه التحارير واعلموهم بما اجرته المقادير وهاجت الابطال وتعاظمت الاحوال وركبت جموع بني هلال للحرب والقتال وفي مقدمتهم العبد مرجان بن ابو القمصان وخلفه الامير دياب والامير ابو زيد ليث غضبان والفرسان يقطعون البراري والقفار فهذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من شباب بني هلال فانهم موسى بن الامير دياب وصبرا بن الامير ابو زيد واخوته شيبان وهجير فانهم كانوا خرجوا للصيد والقنص ومعهم عشرة من اولاد الامراء وقعدوا مدة ثلاثين يوما يجولون في البراري والقفار والسهول والاوعار يقنصون من الوحوش والطيور وسبب

التقادير بينما هم بالصيد إذ وصلوا إلى عين يقال لها عين توزر فنزلوا عن خيولهم لأنهم كانوا تعبانين وجلسوا على شاطىء النهر وقام البعض منهم يوقدون النار والبعض يذبحون الغزلان وهم في أرغد عيش وأهنأ بال وإلا بقوم الامير ناصر والعلام مقبلين عليهم وهم مثل الجراد المنتشر لا يعرف لهم أول من آخر وكان السبب بقدوم ذلك العسكر الجرار هو أن الامير ناصر والجابلي بن مفرب أتوا ليأخذوا بثار الزناتي وأخذوا معهم العلام بالحيلة لانه كان مختبر تلك الاراضي ولسبب التقادير صادفت طريقهم علي عين توزر فالتقوا بشباب بنى هلال فأحاطوا بهم من اليمين والشمال فحينما رأي الامير صبره والامير موسى ابن الامير دياب تلك الاعداء أحاطت بهم من كل جانب ومكان صاحوا على أرفاقهم يا شباب اركبوا ودونكم ريشة الخيل من أمام قبل ما تدركنا الاعداء والدشمان فحينئذ ركبت الامارة ظهور المهارة وتقلدوا بالسيوف والنصول وهجموا على تلك الفرسان وأذاقوهم بلذل و لهوان ونزلوا عليهم بضربات قاطعات تهد الجبال الراسيات وفرقوا الميادين علي المياسر حتي ما كاد الواحد منهم يعرف الآخر وقتلوا منهم مقتلة عظيمة جسيمة وبقيوا على هذا الحال حتى الزوال فافترقوا عن بعضهم البعض و الامارة جمعوا حالهم في تلك الارض فوجد صبره مجروح وشبيان أخو صبره مقتول ووجدوا أبو التمصاز مفقود لانه غير موجود وبقيوا يحرسوا بعضهم بعض الي أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وأشرقت الشمس علي رؤوس الروابي والبطاح فنهض الامير صبره من النوم وجد عساكر الاعداء محيطينهم من كل جهة ومكان وصاروا يشجعوا بعضهم البعض وركبوا على ظهور الخيول وتقلدوا بالرماح والنصول وهجمت عليهم قوم الامير ناصر فتلقوا الصدمة والهجمة كأنهم أسود ولاقوا [illegible] أخذ [illegible] وقرب [illegible] وضرب شديد يشيب الرؤوس لعظيم ولا زالوا على هذا الحال مدة عشرة أيام وفي يوم الحادي عشر هجموا الخصم عليهم من كل جهة ومكان وأوردوهم في الذل [illegible] في ضعفت وضربات ماضيات وحرب شديد يشيب الطفل الرضيع حتى انه [illegible] قتلت من عساكر الامير ناصر مقدار خمسة آلاف فارس وفي ثاني يوم كمت الامارة [illegible] وقلت عزمهم واضمحلت فأحاطتهم عساكر الامير ناصر من كل مكان ونزلوا عليهم بضربات مثل زخ المطر وكانت وقعة عظيمة ومقتلة جسيمة لان قوم الامير ناصر كانت دائما تأتيهم

النجدات من العلام ومن السبع تخوت وقتل بتلك الواقعة ثمانية من جهال بني هلال وقبضوا على الأمير صبره وقادوه بالسلاسل والأغلال وأحضره قدام أميرهم العلام فلما رأى صبره هذه الأحوال وانه وقع مع الاعداء فالتفت إلى العلام وقال لقد ضيعت العهد والميثاق وصرت من أهل الشقاق وأنشد يقول :

مقالات صبرا عندما عجل القضا   ولله كل الامر والتدبير
يدبرنا مهما يريد ويصنع   ومنه العطاء والخير والتيسير
فاسمع كلامي اليوم يا بو عدية   وكن حليما لا تكون مجير
ولا تتبع الشر الردى مع فعايله   تندم وتحسر يا مير كثير
آه يا علام لو كان جوادي   اركب على ظهره واجيك مغير
وتأتوني واسع المجال مع الضحى   بضرب الصوارم مثل برق منير
أنا خايف خبري يصل لاهل عامر   يقولون صبرا في عداه مجير
فبالله لا يا علام لا تقتلوني   خلفي فوارس في الحروب تغير
فبالله يا علام لا تقتلوني   قتلي يشيم الشر وتكدير
وخلفي يحيى حسن الهلالي أبو علي   زين المنا[illegible] ولسنين عكير
وخلفي أبوي ابن رزق سلامه   ودياب أبو موسى ونعم أمير
[illegible] كم ضالتين سروتهم   [illegible] رمان [illegible] [illegible]
وتبقى [illegible] ما لها من يلمها   وتبقى الفوارس في [illegible] [illegible]
[illegible] حوتكم   [illegible] على [illegible] [illegible]
تبدى [illegible] [illegible] [illegible]   [illegible] [illegible] [illegible]
يا [illegible] من الحمى [illegible]   [illegible] [illegible] [illegible]
وأطلقته من قوم [illegible] وحير   [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]   [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]   [illegible] تسعيت [illegible] [illegible]
نزلوا على أرض [illegible] [illegible]   [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] لا [illegible]   [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]   [illegible] في الحروب [illegible]
ما قال [illegible] العلام [illegible] [illegible]   [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible]

فلما [illegible] الاثنين من كلامهم [illegible] [illegible] لانه كان [illegible] مع الامير

أبو زيد فلما لحظ الامير الجابلي فعل العلام فقال له يا علام لماذا هذه المطاولة فأخذوا بثار الزناتي لانه ابن عمك وهو من لحمك ودمك وقد قتلوا منكم أضعافاً وسحب الجابلي الخنجر بيده وضرب صبره في صدره طلع يلمع من ظهره وقال للفرسان الذين حواليه دونكم وارفاقه الذين في الميدان فوجدوا موسى بن الامير دياب واقع مع جملة من الفرسان ونازلين عليه بضرب مثل زخ المطر وهو يدافع عن نفسه من حلاوة الروح ويقول يا ابو زيد ياحامي الميدان لو تكن حاضر ابن عينيك يا ابوى دياب تراني وتخلصني من هؤلاء الانذال وبينما هو في ذلك الحال ورايحين يتلوه والا بيارق بني هلال هطلت والسيوف لمعت والعساكر نفذت وفي أولهم الامير دياب في بني زغبي وخلف الامير أبو زيد مع بني زحلان وكان السبب في مجيئهم بأن مرج بن ابو القمصان اخبرهم بذلك الشان وعند وصولهم نظروا العساكر قد ملأت تلك الارض في الطول والعرض فوجدوا الامير موسى ابن الامير دياب بينهم علي حالة الردى فلما نظر الامير دياب هذا الحال صاح على الابطال وهجم علي الاعدا من الميمنة وابو زيد على الميسرة وبقية الرجال هجموا على أعدائهم بقلوب قوية وهمم عليه وتقدم الامير سرور بن القاضي بدير نشل الامير موسى من بين الاعداء وقبله بين عينيه وهناه بالسلامة ثم اخبرهم عما حصل لهم من الأول الى الآخر وعن قتله صبرا وشيبان ثم ارتدوا على الفرسان بالسيف والسنان فما كنت ترى الا الخيل غابرة والروس طايرة والدما فايرة والفرسان بانفسها حايرة ودارت على قوم الامير الجابلي الدايرة وبقي الكون عاقد وابليس راقد والريق جامد وما تسمع إلا قعقعة السلاح ورز الرماح وبقيوا على هذا الحال الى أن اقبل الزوال فباتت بني هلال في تلك الأرض يحرسوا بعضهم الى ان أقبل الصباح وأضاء بنوره ولاح وأشرقت الشمس على روس الروابي والبطاح فوجدوا الأعداء حايطينهم من كل جهة ومكان ومرادهم أن يكسبوهم لأن قد أتتهم النجدات من جزائر الغرب وتلك الجهات وسقطوا على بني هلال من اليمين والشمال ، ونزلوا عليهم الضربات قطعات ، وضربات ماضيات ، وكثرت الأهوال على بني هلال وشتتوهم في تلك الروابي والجبال حتى انكسر بني هلال سبعة مراحل الى الوراء وحين أمسى المسا جتمعت الفرسان الى عند الامير دياب وقالوا له كيف الرأي فقال لهم الرأي عند الأمير ابو زيد وحينئذ افتكر ابو زيد بقتل ابنه صبرا وهاجت براسه الحمية ونخوة العرب الجاهلية وصاح على الفرسان ان شاء الله غدا

فنزل اليهم بالسيف البتار ونلحقهم الدمار ونأخذ منهم ثار الامير صبرا وصار يحمسهم على قتال الأبطال ويقول :

يقول أبو زيد الهلالى سلامى   بدمع جرى فوق الخدود وسال
الآن وقت الطعن في سمر القنا   ضرب الشواكر وسيوف نصال
ألا فارجعوا ردوا الاعادى بعزمكم   بعزم قوى يهلك الابطال
ولاقوهم بالسيف وبيدوا جموعهم   وحلوا دما الاعدا كسيل سال
وخذوا بثارات الامارة جميعهم   بقوتكم ياساير الابطال

فلما فرغ أبو زيد من كلامه ثارت في روس الابطال نخوة الرجال وفي الصباح اصطف الجيشين والتقى العسكرين ونصبوا سوق المجال فانحدر أبو زيد الى ساحة الميدان وطلب مبارزة الفرسان فسقط ليه الامير الجايلى كانه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وصدم أبو زيد صدمه تزعزع الجبال فأشار أبو زيد يتهدد الجايلي ويقول :

ألا ماقال أبو زيد الهلالى   أنا ليث المعامع والجدال
أنا ليث الحروب بكل وقعة   اورجها اذا وقع القتال
ألا يا جايلى اسمع لقولى   ورد على شعرمع مقال
واعلم انى ليث قدير   عريس الخيل هراء الرجال
ولى قلب كما الصوان ثابت   أكيد الخصم حنذ لا أبالى
ألا يا جايلى دونك هماما   تقطع همته صم الجبال
ألا يا جايلى صبرا قتلته   وشيبان [illegible] حامى [illegible]
وابن ابوالعوف مع كامل ومكمل   تقد سيوفهم جثث الرجال
وحق الله خلاق [illegible] [illegible] في [illegible]
لاقطع حمير واسى [illegible]   [illegible] في [illegible]
واقطع جنسكم يا آل حمير   ولا [illegible] رجال ولا [illegible]
وآخذ ثار شيبان وصبر   [illegible] فوق [illegible]

(قال الراوى) فلما وعى الامير [illegible] كلامه [illegible] [illegible] [illegible] رد جواب وصار [illegible] في الحرب و[illegible] [illegible] في الرعد وكما فتح الامير أبو زيد باب [illegible] [illegible] حتى [illegible] عليه اثنين وسبعين باب [illegible] و[illegible] الحرب و[illegible] على [illegible] الى وقت العصر

فصاح الجايلى على أبو زيد وضربة بالرمح راحت الضربه خايبة بعدما كانت صايبة فتنى عليه بالسيف فأخذها بتارقة البولاد فانكسر السيف شقفتين فحينئذ تعدل الأمير ابو زيد على ظهر الحمراوقا ، خذها من يد الأمير ابو زيد صاحب المكر والكيد فارس العرب والعجم والترك والديلم ، وضربه بالرمح فقلب الجايلى تحت بطن الجواد فراح الضرب خايب فتنى عليه بالسيف القرصاب فحكم على محكم الرقاب وأخذ الراس والخاصرة سوي وسقط السيف على الجواد فقطعه قطعتين فدلت الأبطال على الأبطال من اليمين والشمال حتي ضعفت قوم الجايلى لما رأت ملكهم قتيل وفي دمه جديل فحل بهم الدمار واركنوا إلي الهزيمة والفرار ولا زالت بنى هلال تضرب بهم بالسيف البتار ولاحقينهم فى تلك البرارى والقفار حتي كادت ان تمحى منهم الآثار ، إلي أن أوصلوهم الديار ، وكان قد ولى النهار ، وأقبل الليل بالاعتكار فباتوا الفريقين يحرسوا بعضهم البعض إلي وقت الصباح ونزلوا الى الحرب والكفاح ، فنزل الأمير دياب الي الميدان عرض وبان بقلب اقسى من الصوان وطلب مبارزة الفرسان فانحدر اليه الأمير ناصر وأخذوا فى الحرب والصدام الي نصف النهار فغار الأمير دياب على الأمير ناصر وضربه بالسيف فخلا منه فأتت على رقبة الجواد فبرته كما يبرى الكاتب القلم فوقع ناصر علي الأرض فانحدر العلام أمام الامير دياب بقلب لايهاب فنزل الأمير ابو زيد الي العلام خوفا من ان يقتله الأمير دياب لأنه كان معاهد هو واياه فى سنة الزيادة فصار يتجاول هو واياه فضرب الامير ابو زيد راس جواد العلام فأوقعه على الارض فأتت قومه وأركبته جواد آخر وصار يتجاول هو واياه الى وقت الغياب وفى ثانى الايام نزلوا الي الحرب والكفاح وبقيوا على هذا الحال مدة عشرة أيام وكان كل يوم يقتل له جواد ويحاربه الى آخر النهار حتي ضجرت العرب من قتالها فحينما انزلت عن القتال اتت الجازية الى امارة بنى هلال والامير ابو زيد وقالت له لماذا هذه المسكنة ايها الامير وصبرا قد قتل بواسطة العلام وقد قتلوا تسعين امير من امارتنا وحينئذ لتفتت الجازية نحو اماره بنى هلال واشارت تقول :

تقول فتاة حى جازية ام محمد الا فاسمعوا الى يا هلال الاكابر
ابو زيد للعلام ينزل يحاربه من الصبح لما الليل يسود عاكر
فينزل يحاربه ويقتل جواده ويترك العلام على الارض حاير
لانه حالف عمره ما يخونه ومتعاهد وإياه والعهد ظاهر

ولو يحاربه مدي العمر يابطل ما يقتله أبداً ولا له يقاصر
ولو مات منا كل يوم قبيلة فمازال أبو زيد علي العهد سائر
وربي علمت القوم كامل بماجري فاني أقول الحق والحق ظاهر
ألا فاسمعوا لي يا أمارة جميعكم وبكره ان أتى الغلام بالحرب غاير
ورأيتم أبو زيد اهلالي يجاوله فصيحوا على العلام فرادعوه شطاير
وادعوه علي الغبرا قتيل مجندل في ثار صبره عز قيس الاكابر

فلما فرغت الجازية من كلامها والامارة يسمعوا نظامها فانتبهوا الي ما كانوا عنه غافلين فحينئذ اجتمع عشرة من امارة بني هلال وضربوا الرأي بعضهم علي أنه في الغد اذا نزل أبوزيد للعلام فيجتمعوا العشرة ويضربوا العلام بعشرة رماح سوى حتى لا يوقع اللوم من أبو زيد علي أحد الأمارة لانه معاهد هو والعلام ففي ثاني الايام نزل العلام الي الميدان فبرز اليه الامير أبو زيد فلما رأت الامارة من أبو زيد هذه الاحوال هجمت علي العلام من اليمين والشمال وضربه بالعشرة رماح فوقع قتيل وفي دمه جديل فحزن الامير أبو زيد عليه ورجع الفرسان من حواليه وتقدم اليه وقبله بين عينيه وكان قد أقبل الظلام ودقت طبول الانفصال فأخذه الي الخيام ورجع الامير نصر وقومه حزنانين خسرانين علي فقد العلام وأما أبو زيد حمل العلام الي الخيام فحينئذ فاق العلام من غشوته وانشد يقول :

يقول الفتى العلام ولد غضبيه وهذا الذي قد كنت به موعود
وأخبرتك هنا ألا يا سلامه سنة نزيادة حين أتيت ترود
بضرب ملاحم ناطق الشكل صايره ورضيت بأحكام على المعبود
عرفت أن ذا يجرى ألا يا سلامه وحق الذي قد لانت له الجلمود
ألا يا سلامه العرب قد عاندت ما رمت وحكم ربك ما له ليس عنود
خان أنا الذي وعايب على العرب وخنت الذي يبقى يقد وعهود
فجازني ربي الاله بحصن وأمسيت من فوق الثرى ممدود
فاني أوصيك وصية يا سلامه اذا مت غسلني بماء وورود
وادرجني بالقطن والطيب وتكفن واقبرني بلك عميق حدود
وأنا رحت ما عاد الرجوع بخاطرى وأمسيت من بعد الحياة مفقود
وأشهد أن الله لا رب غيره اله تعالى واحد معبود

فلما فرغ العلام من كلامه تنفس الصعداء وسلم الروح فحزن الأمير أبو زيد عليه وبعدذلك دفنوه بالاكرام وعملوا عليه مناحة عظيمة اكراما لأبو زيد فلما سمع الامير ناصر وقومه بموت العلام ودفنه حزنوا حزنا شديدا فولوا الادبار واركنوا إلى الهزيمة والفرار . فما زالت بنى هلال تابعتهم مدة عشرة أيام حتى شتتوهم فى البرارى والقفار وبعد ذلك اجتمع الامير أبو زيد مع الامير دياب وبقيت الامارة وعملوا مشورة فى تلك الليلة ، فقال الامير أبو زيد يا أمير دياب ان قد صرنا فى نصف بلاد الغرب وقد بعدنا عن حريمنا وأوطاننا وحولنا جزائر بلاد الغرب وقد كثرت أعداءنا ومالنا معين على المغاربة لان ليس لهم قرار لانهم كثيرين فى الديار ونخاف أن يعملوا علينا حيلة ويهلكونا لاننا وحدنا بهذه الديار وأمامنا أربعة عشر قلعة محصنين فماذا يكون عندك من التدبير أيها الامير فقال الرأى عندى يا أمير أبو زيد أن نعلم الامير حسن بهذا الشأن ونوصية فى المال والعيال لانه قدامنا أربعة قلعة وسبعة تحوت بلاد الغرب فقال ابو زيد لا بأس بذلك أيهـا الامير فحينئذ أرسل الامير أبو زيد كتاب يعلم الامير حسن بقتل ولده صبرا وارفاقه وعن قتل الجابلى وكيف أن العلام خان العهد والميثاق وكيف طغاه الامير ناصر أخو الزناتى وعن الحروب التى حصلت لهم من الاول إلى الآخر وسلم ذلك الكتاب النجاب فأخذه وسار يقطع البرارى والقفار إلى أن وصل الامير حسن وسلمه الكتاب ففضه وقراه وعرف رموزه ومعناه وقال انا لله وانا اليه راجعون فحينئذ استحضر بقلم وقرطاس وجعل يخبرهم بهذا القصيد ويقول :

يقول حسن الهلالى أبو على ... والنار فى قلبى تهب وتشعل
حركت عندي يا هلالي ساكنا ... وأصبحت من هذا الكلام فى وجل
فان احتجت لدياب [illegible] العجل ... تلقيه يحى لك مثل قطعة من جبل
وان احتاج اليك انت وروحه ... فى عسكر من فوق خيل داعجل
[illegible] سرور [illegible] سلامه [illegible] ... داعي لكم طول الزمان ولم أزل
[illegible] عرش [illegible] ينصركم ... [illegible] الاهل
[illegible] ... [illegible] اذا سأل
[illegible] ... [illegible] مشتعل

فلما فرغ الامير حسن من تحرير الكتاب أرسله الى أبو زيد فحين وصوله قراه الامير أبو زيد على وجوه الامراء [illegible] ثم قال للامير دياب أنت يا أمير تتوجه

نحو كوبج وتلك القلاع وانا اتوجه نحو قابس وتلك القلاع بشرط ان يكون علمكم معي وعلمي معكم فاذا اراد وملكت انا قابس لا ارحل الى ار أن أرسل اعلمك ويكون الاتفاق على هذه الحالة حتي تملك الاربعة عشر قلعه فحينئذ قرئت القواتح وامر الأمير ابو زيد والأمير دياب بدق الطبول ونفخ الزمور فركبت الفرسان الخيول وتقلدت بالرماح والنصول فركب الأمير ابوزيد بتسعين الف من بني الزحلان وركب الأمير دياب بتسعين الف من بني زغبه ودعوا بعضهم البعض فتوجه الأمير ابو زيد بمن معه الى قابس والأمير دياب بمن معه نحو كوبج وصار الأمير دباب في بني زغبي يقطعوا البراري والقفار والسهول والأوعار الي ان وصلوا الى تلك الديار فنصبوا الخيام .ورفعوا الأعلام فاستدعى الأمير دياب بقلم وقرطاس ودوايةمن الذهب الخاص فأشار يكتب الي الملك وائل ملك كوبج ويقول وعمر السامعين يطول.

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم ... ولي عزم امضى من سنان حراب
نعم ايها الغادي على متن ضامر ... فسلم على وائل بحسن خطاب
وبعد السلام قله دياب يقول لك ... حماة لعذرى بكل يوم حراب
ان كنتم تجدوا السلام نجاتكم ... وتكفو شرور حرب الأمير دياب
تجوني وانتم مطرقون بروسكم ... تبسوا ركابي وتقصدو الأطناب
وان كنتم تأبوا فقوموا لحربنا ... حرب يشيب راس من لا يشاب
فان قامت الهيجا وطار عبارها ... وجا يومها عاقد كمثل ضباب
أجي فوق شهبا يسبق الريح جريها ... اخلي الدماء تجري كمثل سحاب
فكم من امير ابن امير و ميرة ... أسكنته [illegible] عفير تراب
سلاطين نجد أرديتهم بعد عزهم ... وخليت [illegible] نواخر [illegible]
وقتلت أبو سعدا الزناتي خليفة ... وخليت سعد [illegible]
فان طعتموني تسلموني جميعكم ... ولا [illegible] حرب [illegible]
مقالات [illegible] دياب [illegible] ... [illegible] خطاب

(قال الراوي) فلما فرغ الأمير دياب من تحرير ذلك الكتاب طواه وأعطاه للنجاب وطلب منه رد الجواب فتوجه النجاب نحو الأمير وائل [illegible] ووصل اليه وقدم بين يديه وأعطاه الكتاب فأخذه الأمير وائل وقرأه وعرف مضمونه ومعناه لكن [illegible]

ودواية من الذهب الخاص وأشار يكتب إلي الامير دياب ويقول :

يقول الفتى وائل بعين وجيعة ... ونيران قلبي أشعلت بالضرايم
أيا غاديا منى على متن ضامر ... فسلم على الزغبي دياب ابن غانم
وقل له وائل ارسل لك كتابه ... يقول به شعرا بأحسن نظايم
ترسل تهددنا وترسل تقول لنا ... تعالوا حفايا اختشيت الملايم
وترسل تهددنا بقتل جموعنا ... والهلس بين الناس مثل العلاقم
نحنا أمارة عندنا خيل مثمنة ... ودروع مكنونة وسيوف صوارم
ونحمى على العرب في حرب الوغى ... نخلي دماء الاعداء كما بحر عايم
فكم من أمير جاء يريد حروبنا ... فيغدى مقتولا بحد الصوارم
أنا طالب منك لثار خليفة ... لانه ابن عمى من خيار اللوازم
غدا نلتقيكم نحن في حومة لوغى ... نخلي دما الفرسان كما بحر طامم
فان قتلتك أخذت ثار خليفة ... وندعى دماكم فوق الأرض عايم
وان كان تقتلني ولك سعد بالوغا ... نأمرى لمن هو مالك الملك دايم

(قال الراوى) فلما فرغ الامير وائل من نظامه طوى الكتاب وأعطاه إلى عبده تلبيس ابن إبليس وقال له ايتني بالجواب فتوجه العبد وسار وجد في قطع القفار حتى وصل لعند الامير دياب فأعطاه الكتاب وطلب منه رد الجواب ففضه وقراه وعرف رموزه ومعناه ثم لتفت نحو العبد وقال له اخبر سيدك أن ليس له عندنا جواب غير السيف لقرضاب وغدا نلتقي في ميدان الحراب فالحال توجه العبد وأخبر مولاه بما أجابه الأمير دياب فلما سمع وائل ذلك لكلام صار الضيا في عينيه كالظلام وفي الحال أمر بدق طبله وتحصين سده بالمدافع والابطال ونشر رايته في الحال، ولبس درعه المانع، وتقلد بسيفه القاطع وعلا فوق ظهر الحصان، كأنه فرخ من جان، أو عفريت من عفاريت الملك سليمان وكذلك ركبت الفرسان ظهور الخيول وتقلدت بالرماح والنصول وتأهبت الأبطال للحرب والقتال وكل من رفيقه صاح كأنه عزرائيل قباض الارواح وبعد ذلك انحدر الامير وائل إلي الميدان عرض وبان وطلب مبارزة الفرسان الفحول وهو يصول ويجول كأنه الغول فبرز اليه الامير دياب حماى الركاب فأنشد ليه الامير وائل يتهدد بهذا القصيد ويقول :

يقول الفتي وائل على ما جرى له ... ونيران قلبي أشعلت في لهيبها

أنا فارس الفرسان في يوم الوغى | بيدي أسقي القوم كأس عطبها
فأنتم تعديتم وجيتم بلادنا | إلى أرض كوج قصدكم تملكونها
فحولي فوارس يقطع الظهر عزمهم | تقول سباعا زائدة في عصيبها
فارجع والا يا دياب قتلتكم | بطعنات وائل ثم ضرب حديدها

فلما فرغ الامير وائل من كلامه والامير دياب يسمع نظامه اغتاظ الغيظ الشديد الذي ما عليه من مزيد حتى صارت عيناه تقدح مثل نار الوقيد وأشار يتهدده بهذا القصيد ويقول وعمر السامعين يطول :

يقول ابو موسى دياب ابن غانم | حماة الخيل في يوم الهوائل
فكم قوم أتت ترغب قتالي | ألاقيهم بفرسان جحافل
وأشتت شملهم وأفني عددهم | وآخذ مالهم وخيلا سلائل
وانت اتهتني وتطلب رجوعي | الى تونس بفرسان بواسل
لابد ما اقتلك واملك بلادك | واقطعكم بضربات النصايل

فلما انتهى الامير دياب من كلامه انطبق عليه الامير وائل كأنه فرخ العقاب وابتدوا في الحرب والطعن والضراب وقتال يشيب روس الاطفال الى أن تناصف النهار فانهزم الامير دياب من أمام الامير وائل وارتد الي الوراء هو وقومه وتبعوهم قوم الامير وائل بطعن الرماح وضرب السيوف والصفاح وانطبقت الجيوش على بعضها بعض وانتشب الضرب والطعان من كل جهة ومكان حتى جرى الدم وسال وصارت القتلى كالتلال. فكانت وقعة مهولة لا يعرف بها الابن ابوه ولا الأخ أخاه ولكن لله در الامير وائل فانهم هجموا على قوم الامير دياب واصابوهم بأعظم مصاب وما زالوا منهزمين وقوم الامير وائل لاحقينهم بضرب السيف حتى شتتوهم في الاوعار الي أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وردت الفرسان عن بعضها البعض ونزلت قوم الامير دياب المهزومين في قطعة من تلك الارض وصاروا يجمعون بعضهم البعض وحينئذ قام الامير دياب وجمع اكابر قومه وكل من يعتمد عليهم وأشار يحمسهم بهذه القصيد ويقول :

يقول أبو موسى دياب بن غانم | أمير الخيل في ما يعيـــ
أنتم فوارس تم قرومها | حميتهم في يوم يورث عظيمها
وسلطاننا حسن الهلالي وعلى | تضرب له أمثال ما ينثني بها
ثمانين قلعة قد حضرت فتوحها | ولا قلعة حتى هدمت حصونها

ملكنا من نجد الي قاع تونس　　بطعن يورث للأعادى عطيبها
فردوا اطعنوا الاعدا بالسيف والقنا　　كمثل سباع زايدات غصيبها
واعحوهم بالسيف وبددوا جموعهم　　وخلوا دماهم على الاراضي سكيبها
والاهلكتوا فى البرارى جميعكم　　بسيف الاعادى ثم ضرب جريدها
وتبقوا عارا بين قيس وعامر　　وتشمت بنا الاعداء سوء مصيبها

فلما فرغ الامير دياب من كلامه والامارة تسمع نظامه هاجت براس الابطال نخوة الرجاء وكثر القيل والقال وفى ثانى الايام برزوا الطائفتين الي الميدان ومحل الضرب والطعان وهجموا على بعضهم البعض فكثرت الضجات وعلت الصيحات فكانت موقعة عظيمة ومقتلة جسيمة وما عدت تنظر الا الروس طايرة والدما فايرة والفرسان غايرة ودارت على قوم الامير وائل الدائرة حتى قتل منهم عشرة آلاف ، ومن قوم الامير دياب مائة واربعين ، وبقية قوم الملك وائل ولوا هاربين والى النجاة طالبين فتبعوهم قوم الامير دياب وشتتوهم فى البرارى والهضاب وادخلوهم البلد وهم فى حالة الذل والنكد وذلك من سيف الهمام والاسد الضرغام فارس الاعارب والاعاجم الامير دياب ابن غانم ومازال القتال على هذا الحال الى قرب الزوال فدقت طبول الانفصال فدخل الامير وائل المدينة حزين ليس له معين وخاصة لما نظر عساكره مجندلة وعلى الاراضي ممتدة وتقدمت اليه الحجاب والوزراء والنواب وتقدم اليه الوزير الاكبر وقال له غدا ان شاء الله انزل الى الميدان وأبليهم بطعن السنان وأكفيك شر هؤلاء العربان بعون الله الواحد الديان واما قوم الامير دياب دخلوا عليه وسألوه عن خصمه فقال لهم انه فارس شديد وقرم عنيد ولكن غدا ان شاء الله انزل اليه وآخذ روحه من بين جنبيه وفى ثانى الايام لما أصبح الصباح تقلدت الجيوش بالرماح ونزلوا الي محل الكفاح وانحدر الامير دهقان الى ساحة الميدان كأنه فرخ جان وطلب مبارزة الفرسان ونزل اليه امير من امارة بني هلال وكان اسمه المهاب فقال له الامير دهقان من انت من الفرسان وما اسمك فقال اسمي المهاب وصنعتي حذف الرقاب فحينئذ صدق على خصمه كالاسود وتقلب كالجلمود وتجاولوا مدة من الزمان حتي كلت منهم الزندان وطارت منهم ضربتان ماضيتان وكان السابق المهاب فضربه الامير دهقان بالسيف أخذها بطارقة الزراد وأتت علي رقبة حصانه برمته كما يبرى الكاتب القلم وأتاه الامير دهقان علي جواد

آخر وسقط عليه بالسيف وضربه علي راسه شقه إلى تكة لباسه فنزل اليه فارس آخر قتله والثاني جندله والثالث محقه وما زال يجندل فارس بعد فارس حتي جندل خمسين فارس وأخيرا نزل اليه الامير دياب وكان ذلك الحين قبل الغياب فتجاول هو وإياه ساعة من الزمان حتي عرف دياب قوة الامير دهقان فلاصقه وضايقه وضربه بالسيف على هامه أرمي راسه قدامه وحينئذ دقت طبول الانفصال ورجع الملك وائل في حالة الغم والاسف لفقد أخيه الامير دهقان وحين وصوله الى الديار سألوه عن قوة الامير دياب فاجابهم بهذا القصيد :

يقول الفتي وائل بعين مريضة ... ونيران قلبي زايدات لهيب
على ما جرى فينا وماقد أصابنا ... ولكن تصاريف الزمان عجيب
سقانا الزمان خمرة عتيقة مكررة ... سكرنا بها من بعد عز وطيب
كنا بخير في سرور وفي هنا ... ولبس الصبايا من حرير رطيب
لما بعد ذاك العز ذل وحسرة ... وحزن يخلي الطفل منه يشيب
تقلب علينا الدهر ياسوء ما فعل ... بقي الزاد ثم الشهد سم زيب
أتتنا فوارس ما عرفنا صفاتهم ... ودمهم اسمه علي اسم الديب
يسمى أبو موسي دياب ابن غانم ... فلله دره من همام مجيب
تلاقيت أنا وإياه في حومة الوغى ... تاريه في يوم الطراد صعيب
يهمز علينا همز في حومة اللقا ... كما سبع كاسر في اللقا غضيب
يصيب ضرباتي ويعطي نظيرها ... بطعن يورث في فؤاد عطيب
غدا التقي وإياه في حومة الوغى ... بطعن يحير كل فكر لبيب
ان قدر الرحمن لاخطف روحه ... وادعيه فوق الجواد قليب

(قال الراوى) فلما فرغ الملك وائل من كلامه وقومه تسمع نظامه وقع الوهم في قومه من الامير دياب وأما ما كان من أمر الامير دياب فانه رجع الى الخيام فسأله قومه عن الملك وائل فقال لهم لله دره من بطل شديد وقرم عنيد فقالوا له قومه هل يكون أشجع من الزناتي فقال لهم ان الزناتي ما وجد على الارض فارس مثله ولكن الملك وائل أقدر وأخبر وفي مواقع الحرب أشطر وأجسر وما زالوا في هذا الحديث الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فدقت الطبول ونفحت الزمور وركبت الفرسان وحملوا في ساحة الميدان طالبين الحرب والطعان

فلما وقعت العين على العين التقى الأمير دياب بالأمير وائل فانطبقوا البطلين كأنهم جبلين وحام عزرائيل فوق روس الفريقين فتكسرت بأيديهم الرماح وسحبوا السيوف الصفاح ولعبوا بهم اللعب حيرت عقول الشيوخ والشباب حتى زهقت منهم الأرواح دضربوا بعضهم الاثنين فطارت فى أيديهم السيوف الحربية فسحبوا الدبابيس فتكسرت بأيديهم من شدة العزم وما زالوا الاثنين فى عيطات مرعبات وصرخات مرجفات وضربات هائلات فيالها من بطلين درغامين وأسدين كاسرين تعلمت منهم الفرسان أبواب الحرب والطعان وبعد ذلك خرج من الاثنين ضربتين قاطعتين فكان السابق الامير وائل ضرب الامير دياب بالرمح فغطس تحت بطن الشهبا فراحت الضربة خائبة بعد ما كانت صائبة حينئذ تعدل الامير دياب وضرب الامير وائل بالسيف على هامه حط راسه قدامه فوقع الامير وائل قتيل وفى دمه جديل (قال الراوى) فلما رأت قوم الامير وائل ملكهم قتيل ولوا الأدبار وأركنوا الى الهزيمة والفرار فتبعوهم قوم الأمير دياب وجردوا فيهم السيف القرضاب الى أن دخل الامير دياب البلد وجمع الاكابر والعمد وجلس على كرسي المملكة ونادى بالامان فى جميع المدن والبلدان وبعد ذلك استدعى بقلم وقرطاس وكتب الى الامير حسن يخبره بما جرى وصار فلما وصل الخبر الى الامير حسن قرأ كتب الامير دياب على روس الامارا والسادات وحينئذ فرحوا فرحا شديدا وعملوا عرضة عظيمة لها قدر وقيمة إكراما لدياب لانه ملك تخت كوبج وأرسل حسن نائب من قبله لعند الامير دياب أما ما كان من دياب فانه سلم تخت كوبج الى نائب الامير حسن وتوجه من كوبج وما زال سائر الى أن وصل الى ناحية برج الدمع فهناك أمر عساكره بالنزول ونصب الخيام ورفع السناجق والاعلام وحينئذ أحضر قلم وقرطاس ودواية من الذهب الخالص وأشار يتهدد الامير بكار ملك برج الدمع بهذا القصيد ويقول وعمر السامعين يطول

يقول أبو موسى دياب بن غانم ونيران قلبي زايدة فى اللهايب
انا أبو الفوارس على متن ضامر إذا جيت إلى بكار عالي المراتب
وقيل انه دياب الامير يقول لك حامي العذاري من البلاو النكائب
إذا زادت الهيجا وزاد غبارها أجيكم بطعن مثل لسع العقارب

إذا كان تريدوا للسلام فسلموا وإلا أباديكم بعظم المصائب
وأخرب مدينتكم كما صاب قبلكم وادعى دماكم عالاراضى سكايب
فياما جرى فى أرض كوبج وماوقع وقتلت وائل كان قرم محارب
فان طعتموني نلتم الخير والرضي وترتاحوا من شر حرب الاعادى

فلما فرغ الامير دياب من نظامه طوى الكتاب وأرسله الي الامير بكار صحبة النجاب فهذا ما كان من الامير دياب وأما ما كان من الامير بكار سلطان برج الدمع فانه كان جالسا في الديوان وإذا بجملة فرسان من كوبج الدين سلموا من القتل دخلوا عليه وقبلوا يديه فقام لهم الامير بكار على الاقدام وسلم عليهم غاية السلام وسألهم عن سبب قدومهم اليه فأجابه أحدهم وكان يسمي الامير قائد بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

يقول الفتى قايد على ما جري له ونيران الحشي زادت شعال
سهور الليل لا نوم لعينى أبات أبكي على ما قد جري لى
على ما صاب قلبي من هموم أمور ما رأيت لها مثال
أمير بكار اسمع لى وافهم واصغ لقصتى واسمع مقالي
أتانا قوم ما يحصي عددهم يهزوا فى الرماح وفى العوالى
ركبنا والتقيناهم جميعا بطعن يورث الاعدا خبال
كبير القوم يسمى ابن غانم أمير دياب شيال الحمال
قتل وائل وأفناه جريحا وقد ردي الوزير بلا محال
فولينا هزاما من لقاهم ولا عقنا لهم أبدا قتال
فهذا ما جرى خبرت عنه وهذه قصتي وآخر مقالي

فلما فرغ قايد من نظامه والامير بكار يسمع كلامه حزن الحزن الشديد الذي ما عليه من مزيد خصوصا على قتل الامير وائل لانه ابن عمه ومن لحمه ودمه ولكن استغاث بالله الجبار على قتل دنا لانسان عمر وبينما هم بمثل هذا الخطاب اذ أقبل عليهم نجاب الامير دياب وبيده كتاب فدخل وسلم وبأفصح لسان تكلم وسلم الكتاب للامير بكار ففضه وقرأه وفهم جميع ما حواه فكثر عليه الحزن وازدادت عليه نيران الغضب وأمر بقواده وعساكره أن يكونوا تحت الطلب وحينئذ أمر باحضار قلم وقرطاس ودواية من الذهب الخالص وأشار يتهدد دياب ويقول :

يقول الملك بكار والنار في الحشا ونيران قلبي زايدات اللهايب
سقانا الزمان خمرة عتيقة مكدرة سكرنا بها من فوق عالي المراتب
سكرنا بها باللحظ واللهو والغنا وزينات تخطر في حرير الرطايب
فيا أيها الغادي على متن ضامر اذا جيت للزغبي دياب المطالب
فقو له بكار ارسل يقول لك أتانا كتابك يادياب المحارب
على ماجرى بأرض كوبج وماقع قتلت وائل كان عز الصحايب
فلا تغتر ألا يا دياب بقتله ولا تطمع في ملك أرض المغارب
فطاوعني وارجع بعزوتك والا نباديكم بضرب القواضب

فلما فرغ الملك بكار من كتابه أرسله مع نجاب الي عند الامير دياب فلما وصل النجاب اليه سلمه الكتاب ففضه وقراه وأطلع علي رموزه ومعناه فزاد به الحقد والغضب وعند الصباح أمر بدق الطبول ونفخ الزمور وأمر الرجال بالتأهب للحرب والقتال فتحضرت الفرسان وركبوا ظهور الخيول وساروا قاصدين الميدان ومحل الضرب والطعان هـذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك بكار أحضر جميع العساكر والقوادوساروا بهم الي خارج البلد لاجل المحافظة من الاعداء والدشمان وبينما هم علي هذا الحال والا أقبلت عساكر الامير دياب فلما وقعت العين علي العين ما نظروا الا عرض وبان إلي حومة الميدان الملك بكار فصال وجال علي أربع أركان المجال ونادي بأعلى صوته هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز لي لا كسلان ولا عاجز فما أتم كلامه حتي صار دياب قدامه فأشار الملك يهد عليه ويقول :

علي ما قل بكار المسمى سياج الخيل في يوم يلاطم
فاذا انتصب سوق المنايا اشيل الروس من تحت العمايم
ابيد الخيل في يوم المعامع بطعن الرمح مع ضرب الصوارم
ايا زغبي ودسمع الى كلامي وكون لقصتي ياامير فاهم
مرادك تملك ارضنا مع بلادنا فما هي سايبة يا ولد غانم
نحنا قروم في يوم كريهة نبيع الروح في يوم الزحايم
فدونك يا ذيب انت لحربي وافعل ماتشاء وانزل وصادم
فلابد عن قتلك وقتل رجالك وادعي دمكم على الارض عايم
وآخذ ثار وائل في حسامي واعود سعدا لنا عز اللزايم

واشتت شملكم وأفني عددكم   وآخذ خيلكم وكل الغنايم
فرد عليه أبو موسى ابن غانم   سياج البيض فى يوم الزحايم
أنا الدوغام فى يوم الوقائع   أكيد الضد فى حد القواضب
أجرد فى يدى هند عانى   يقولوا جا أبو موسى المحارب
أيا بكار اسمع لكلامى   واقبل النصيحة ان كنت راغب
فارجع يا فتى واسلم بروحك   وكون مطيع لسلطان الاعارب
وان خالفتني تندم وتخسر   وتبقي منطرح عالارض عاطب

فلما فرغ الأمير دياب من كلامه هجم على الملك بكار وصدمه صدمة جبار فالتقاه الملك بكار واصطدما صدام الابطال وتطاعنا بالرماح وتضاربا بالسيوف والنصال فضرب الملك بكار الامير دياب بالرمح انجرح جرح بليغ فوقع دياب على الارض طريح فجرد الملك بكار الحسام وأراد أن يكمل عليه فحمل الأمير محمود بن الأمير دياب وخلص أبيه من ساحة المجال وبقى فى معركة القتال إلى قرب الزوال فرجع الى عند أباه وسأله عما جرى عليه فأجابه قد استحضرنا الحكيم الهندى واعطانى شربة تمر هندى واليوم الجرح خفيف بعون الاله اللطيف فعند ذلك توالى الفريقين إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فبرز الامير محمود للميدان فبرز اليه بكار وما زال هو وإياه فى حرب وصدام من الصباح الى وقت الظلام فرجعوا الى الخيام وفى ثانى الايام نزلوا الحرب والصدام وبقيوا على هذا الحال مقدار سبعة أيام وبعد ذلك اغتاظ الامير محمود وقال وحياة راس أبى لازم أشيل راسه وأخمد انفاسه بهذا النهار وألحقه البوار فلما دقت طبول الحرب نزل الامير محمود والامير بكار إلى ساحة الميدان فتطاعنوا بالرماح وتضاربوا بالسيوف الصفاح حتي زهقت منهم الارواح وما زالوا فى أخذ ورد وقرب وبعد وكسر ونصر لقرب العصر فاشتهروا الاثنين من تحت الغبار فتطاولت لهم الأعناق وشخصت لهم الاحداق الى ان راح من الاثنين ضربتين قطعتين وكان لسبق الامير بكار فغطس الامير محمود تحت بطن الجواد فراح الضرب خائب بعد ما كان صائب فاعتدل الامير محمود على ظهر الجواد وضرب الامير بكار بالسيف على راسه وشقه نصفين والقاه الى الارض قطعتين فوقع قتيلا وفى دمه جديل فصاح الامير دياب لاشلت يداك ولا شمتت بك أعداك يا أمير محمود وهجم بنى زغبى على عسكر الاعداء من كل ميل وأبلوهم بالذل والويل ودخلوا البلد وجلس الامير دياب على الكرسى

واستلم أموال القلعة وأمر ينادى بالأمان فى سائر المدن والبلدان وبعدذلك أشار يكتب الى الامير حسن يعلمه بكل ما جري له ويقول وعمر السامعين يطول :

يقول أبو موسي دياب بن غانم — وسعدي معي فى طول عمري سعيد
له الحمد عن سبعة خصال احتويتها — عطية مهيمن فى علاه وحيد
السعد والاقبال والعز والمنا — وحرمة وقيمة وقول تفيد
ملكنا الى برج الدمع بقومنا — وأخذنا مكاسبهم بضرب هنيد
وبددنا قوم الأعادي بعزمنا — وأخذنا قلعة وهى بصور مشيد
فارسل لنا نائب لنقيمه ونرتحل — الى ناحية برنيجه أمير عميد
ونرجو الدعا منكم على طول المدا — ونرجو النصر من إله مجيد

فلما فرغ الامير دياب من كلامه طوى الكتاب وختمه بختامه وأعطاه الى نجاب فأخذه وسار يقطع الفيافى والقفار الى أن وصل الي الديار فدخل على الامير حسن وقبل الارض بين يديه وأعطاه الكتاب ففضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فارسل الامير غصاب نائبا على كرسي برج الدمع

فعند ذلك ودعه الامير غصاب وودع جميع بني هلال وصار يقطع الفيافى والقفار الى أن وصل الى برج الدمع فسلم على دياب وجميع بني زغبي فحال وصوله اجلسه الامير دياب على كرسي تخت برج الدمع بحضور أكابر البلد وسلمه الاحكام وأمر المنادي ينادى فى البلد بالأمان والسلام وجعل يوصيه بالرعايا ويقول هذا القصيد وعمر السامعين يزيد :

يقول أبو موسى دياب المجد — ولى قلب أصلب من حجر صوان
أوصيك ياغصاب اسمع وانتصح — واحكم بشرع الله وكل امان
ولا تترك حقوق الناس تطلب — بهم أمام الحاكم الديان
وانا قاصد الي برنيجه عاجل — لاملك مداينهم مع البلدان
واملك سلاطينهم وآخذ اموالهم — واكتب كتاب اعلم ولد سرحان
وولي عليهم نائبا يحميهم وشيك — يحكم بهم بشريعة الرحمن
هذا قول أبو موسي دياب غانم — الله يبلغنا الي الاوطان

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامه أمر العساكر بدق الطبول وركوب الخيول فركبت الفرسان وركب الامير دياب وودعهم وسار قاصد برنيجه وتلك الاقطار فما زال سائر الى أن وصل تحت برنيجه فنصب الخيام واستدعى

بقلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص وجعل يطلب عشر المال من الملك زايد بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد :

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم   حماة العذارى من عنا وسقام
قرم مجرب ما له من مناطح   يخلى الفوارس نايحات دوام
سلاطين نجد قهرتهم بعد عزهم   واخربت منازلهم مع الآكام
كسرت الخزاعي في حلب وقومه   وبرجيس مرمى فوق تل ردام
واشتت العساكر في حسامي   ويا ما جرى لما أتينا الشام
قتلنا شبيب بوسط قصره   وكان شديد العزم بيوم صدام
ولما جينا مصر أتتنا ملوكها   ومصر أفخر من حلب والشام
ورديت عقيد القوم ابن معوج   وكم قتلنا من ملوك عظام
ويوم تونس يا ما قد جرى   وكم راح منا فارسا مقدام
جاء أبو خريبة علينا واعتدي   ساءوا الذين لهم في القبور عوام
الزناتي قتل ثمانين أمير مجرب   خلا نسانا نايحات دوام
بعث لي حسن الهلالي ابو علي   كتاب يخبر عن أمور عظام
ركبت على الخضرا وجئت لنحوهم   كالذيب هاجم على الأغنام
نزل لي الخليفة دوق خضرا مبرشمة   وجاء كسبع لصيده حام
بقينا عشرة أيام والحرب بيننا   تمت الفرسان من ضرب حسام
ضربته من فوق مهره محنجله   وخليته وسط اللحود [illegible]
وبعد الزناتي اسمعوا يا ما جرى   في حرب كريج من زين حسام
ملكها وائل من قروم عشمشم   مناجيح الفرسان يوم صدام
فقتلنه ودعيت دمه على الوطى   وملكنا أراضيه وكل [illegible]
ألا أيها الغادي بلغ بما جرى   يزيد وخبره بصدق كلام
يدفع لنا عشر المواл بلا خفا   وعشر الخيل وجمة [illegible]
وان كان لا تقبل جهز بالعجل   ونلتقي لعندكم وضرب حسام
ونملك قلعتكم وكل براجها   ونأخذ الاموال مع الأنعام
ما قال ابو موسي دياب المسمى   عضيد الفوارس في نهار صدام

فلما فرغ الامير دياب من الكتاب ارسله صحبة نجاب الى الملك يزيد [illegible] كان من امره واما ما كان من امر الملك برنيجه بينما كان نايم في بعض الليالي اذ رأى

«نال مزعج فنهض من الرقاد مرعوب خافق الفؤاد فاستدعى بالحارس وأمره باحضار الرمال مسرور فذهب وأحضره فسأله الرمال ما الخبر أيها الملك السعيد فقال له انني قد نظرت منام مهول وأشار يقول :

يقول الملك زايد بقول صادق كلام يؤرخ في الكتاب سطور
لنا مدة في أرغد العيش والهنا بركب خيول ثم نفخ زمور
زها الدهر قلناما بي الدهر ينقلب فتارى هذا الدهر باغيا وغدور
رأيت منام أبدل العز والهنا بغم وحزن دائما وكدور
حلمت انني بواسع البر والخلا ملقى طريحا ومائي يفور
وفوقي ذيب مثل سبع كاسر وبقيت معه في الخلا مأسور
ضربني ضربة جاءت علي كأنها مدمع خرج من وسط برو صور
فرحت مرمي على الارض منطرح وأضحي دمائي على التراب يحور
فاضرب يا رمال رملك بالعجل وخبر كلام الصدق يا مسرور

فلما فرغ الملك زايد من كلامه والرمال مسرور يسمع نظامه ففتح كتاب الرمل وولد البنات من بطون الأمهات وحرر الاشكال والمفردات ثم التفت الى الملك وقال له اعطني الامان يا ملك الزمان فقال له عليك الامان امان علي ابن طالب أمان من لا يخون فاشار الرمال يخبره ويقول :

يقول الفتي الرمال فيما قد جرى وعبرات عيني علي الخدود حدور
تفسر منامك يا أمير فافتهم وهذا المنام جدد على أمور
تقول انك كنت في البر والخلا وسبع كاسر قد أتاك يغور
فارس عرمرم يقرح الخيل بالقنا يحلى الدما جاري شبيه بحور
يسمى أبو موسي دياب بن غانم فارس صميدع في اللقا مشهور
يجينا بقومه وينزلون بارضنا وتبقي معاهم في بلا وشرور
وتتكاوزات وايده في حومة الوغا وتمسى معه يا ملك مأسور
ويظفر عليك [illegible] مثل برجاله ويدعى الفوارس في عميق قبور
ويملك قلعتنا ويحذ [illegible] ويسبى حلايلنا وكل قصور
فهذا منامك [illegible] أمير مؤكد ومن يستطيع أن يدفع المقدور

فلما فرغ الرمال من كلامه [illegible] يسمع نظمه فتوجه الى الديوان وجمع الاكابر والاعيان واخبرهم بالمنام وعن الامير دياب وقال لهم كيف العمل في هذا الفارس

القادم علينا والواصل الينا فنهض أكبر وزرائه و كان فارس مشهور وبطل مذكور يقال له الوزير ماجد وقال له ايا ملك الزمان أنا سمعت أن هذا الفارس دياب قد قتل الأمير وائل ملك تخت كويج وقتل الملك بكار حاكم برج الدمع وهو قاصد الينا فالأوفق أن نسلم له المال والخيل والجمال وإلا يبيد عساكرنا ويهلك أبطالنا لان معه تسعين الف فارس من بنى زغبي كلهم شجعان كأنهم مردة الجان فلما سمع الملك زايد هذا الكلام قلبت الدنيا بوجهه ظلام وقال ويلك يا كسلان تخوفني من رجال وفرسان التي هي عنـدي شبيه النسوان فوحق ذمة العرب وشهر رجب ما اترك أحداً ينزل إلى حربهم وقتالهم بل أنا أنزل اليهم وأشتت جمعهم وجزب بيده الحسام وضرب الامير ماجد على هامه حط راسه قدامه ثم انه أشار ينشد قومه بهذا القصيد ويقول :

على ما قال زايد في قصيد	ونيران الحشا زادت شعايل
فاصغوا الى يا أمارة وافهموا	وأنتم الى من أعز القبائل
ماجد يهددنى بقوم يجونى	وأنا فى قتال مثل سبع جافل
اذا صح الكلام وأتوا الزغابة	فما منكم أحد للقوم نازل
ولا ينزل سواي والتقيهم	بضرب الرمح مع ضرب النصايل
فسوف تروا قتالى مع فعالى	لاخلى الدمع شبه النيل سايل
وأنتم تعرفوا عزمي وفعلى	وطعنى حين تجتمع القبائل
وان كان دياب مقبل علينا	يكون مغرور فى عقله وجاهل
أنا زايد وأنتم تعرفونى	بيوم الحرب ما أخشي مقاتل
وأفنيهم عن بكره أبيهم	وأترك خيلهم تغدى جفايل

ولما انتهي الملك زايد من كلامه والحاضرون يسمعون [illegible] فشكروه على شجاعته وسطوته و [illegible] فى ذلك [illegible] وإذا [illegible] الامير دياب دخل ومعه كتاب وقبل بين أيادى الملك وناوله الكتاب فلما فضه وقرأه وعرف رموزه ومعناه اغتاظ الغيظ الشديد وقال للرسول [illegible] لى مولاك وقل له [illegible] عندى جواب سوى السيف القرضاب [illegible] [illegible] الرءوس [illegible] [illegible] الطبول [illegible] الزمور فاستعدت [illegible] الحرب [illegible] الميدان وأما الملك زايد [illegible] كتب الى الأمير دياب [illegible] لى

الحرب والطعان وسار بهم الى خارج البلد فبينما هم في ذلك والا حضرت فرسان الأمير دياب كأنها اسود الغاب فلما التقت العين بالعين نزل الامير زايد الى الميدان فصال وجال على اربع أركان المجال ولعب العاب تحيرت منها الشيوخ والشباب وطلب براز الفرسان فانحدر اليه الأمير دياب كأنه أسد الغاب وصدمه صدمة تزعزع الجبال فقال له الملك زايد من تكون من العربان يا انذل الفرسان فقال له لا تزيد في الخطاب فما قدامك الا حداف الرقاب الأمير دياب فاشار يتهدد عليه بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد :

يقول الملك زايد وناري بالحشا والدهر وافاني وسعدى مقبلي
اليوم جيتونا لناخذ ثاركم وندعي دماكم على الاراضي سايل
واخلي سروج الخيل من ركابها وتبقى الاراضى تحتنا تتزلزلي
أتيت لحربى يا دياب وهمتى لاجعل رجالك من حسامي مجندلي
وابيد قومك بالحسام جميعهم واسقيهم كاس القضاء المنزل
فوز بنفسك وارتحل من بلادنا بقومك والا عن قريب تقتل

فلما فرغ الامير زايد من كلامه والامير دياب يسمع نظامه فقال له دياب يا زايد الان خصمك يروعه كلام ولا ينهزم من صدام وحق الملك العلام لا بد ما افنيكم بهذا الحسام وادعيكم مشتتين على روس الروابي والاكام واشار يرد عليه ويقول

يقول الفتي الزغبي دياب ابن غانم أنا فارس الفرسان يوم زحام
فما أطعن الا كل قرم مجد واجعل دماه على التراب سجام
يا زايد اسمع كلامي وافتهم واصغى الى شعرى وحسن نظامى
ان أردت تسلم من حروبى والقنا وتفوز في نفسك ولا تنضام
تنزل وتأتيني ليلا خاضعا وأعطيك مني اليوم حسن زمامي
واكتب لعشر من مد العرب وتكون مرتاحا مدى الايام
وان كان تخالفني وترفض نصيحتي اثبت قبالى والتقي لصدامى
ولي سادتي جموعكم في دهنذي وادعى الفوارس في عنا وسقام
وتنظر لي عزمي وتعرف همتي وتسكر يا زايد بغير مدام

فلما فرغ الامير دياب من كلامه التقوا بطلين كأنهم جبلين وحان عليهم الحين وغنا على روسهم غراب البين كأنهم كفتين ميزان او فرسين رهان تارة يتباعدوا وتارة يتقاربوا وما زالوا في هزل وجد وأخذ ورد الى وقت الظلام فدقت

طبول الانفصال وفى ثانى الايام اصطفت الكتائب وترتبت المواكب فنزل الامير دياب الى الميدان فبرز اليه الملك زايد كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من ذيل جبل فالتقوا البطلين كأنهم جبلين وحام على رؤوسهم غراب البين وصاحوا بأصوات مزعجات تهد الجبال الراسيات فيالهم من بطلين درغامين وأسدين كاسرين تعجبت من قتالهم الفرسان وتعلمت منهم أبواب الحرب والطعان وكان الملك زايد قد استظهر على الامير دياب فجزب الحسام فى يمينه حتي حك الركاب بالركاب وضرب الامير دياب بالطارقة فراحت خائبة بعدما كانت صائبة فاعتدل الامير دياب على ظهر الجواد وأراد ضربه فتلقاه زايد بالعمد فى يمينه وأطلق عليه الضرب فخلى دياب من الضربة أتت على قطعة السرج من خلف طيرتها ووقع العمد من زايد فغار الامير دياب وأخذ العمد بيمينه وحمل على الملك زايد وقال له خذها من يد الامير دياب حداف الرقاب وأطلق عليه الضرب أتى على راسه فطير جميع أضراسه وأخمد أنفاسه والقاه على الارض قتيل وفى دمه جديل ثم انه صاح بقومه وهجموا على قوم لاعدا وارتمي الامير دياب كأنه صاعقة نزلت من السماء ومال على طابور الا وفرقه ولا جيش الا ومزقه فقلب الميامن ميسر والمياسر ميامن وتظاهرت أفعال الامير درغام والامير محمود ونكسو الرايات وبنو دوصير واوجوه البيض سود وقتلوا الفرسان والجود وقحمت بنى زغبي ورديح واشتد الصياح وضربوا بالسيوف الصفاح وطعنوا بالرماح وكان أكثر اشغل بذلك اليوم على عزرائيل قباض الارواح فما عدت تري الا رؤوس طائرة ودمية دائرة وخيول غايرة فبينما هم في ضرب شديد يفك الزرد المنضد وقد التقي الامير دياب بوزير الملك زايد وكان اسمه نادع فتجاولا بساحة الميدان وتصادما استاذ لى الامير دياب ضايقه ولاصقه وسد عليه طرقه وطرقاته وضربه بعد مخدت درعه فتلعه من سرجه كأنه عصفور فى يد الباشق حسدوا وضربه الارض احتى طوله بالعرض وأوقعه قتيل وحمل على بقية عسكره فلما رأت قوم الامير زايد هذه الاحوال ولوا الادبار وارتكنوا الي الهرب والفرار فتبعتهم قوم الامير دياب بالنصال والسيوف الصقال وفتكوا بهم حتى نهب الغنائم ودخل الامير فى البلد وأحضر الاكابر والعمد واستلم الامور والمخازن وجلس على كرسي المملكة فبعد جلوسه أشار بخبر الامير حسن بهذا القصيد :

يقول الفتي الزغبي دياب بن غانم ومروحي كسولا على بشراه

ألا أيها الغادى بلغ رسالتى ... لحسن الهلالي عزم قوم شلالها
أخبرك يا بو علي فيما جري ... بأرض المغارب من عظيم هوالها
أتينا برنيجه ونبغي أخذها ... تاري بها زايد كشعلة نارها
أتانا إلى الميدان يا مير أبو علي ... كما برج مبني فوق عالي سوارها
تلاقيت أنا وإياه فى حومة الوغى ... عشرين يوما اتعبونى مجالها
ضربنى بيده يا هلالي بالعمد ... لو جاء علي قلعة هد حجارها
نسيعتها وخليت عنها بهمتي ... فراح عمده من يمينه وطارها
فاخذت أنا للعمد حالا وجئته ... وسديت عليه يمينها وشمالها
ضربته على راسه فراح مجندل ... وأدعيته ملقي باعلى جبالها
ملكنا أموالهم وحصونهم ... وأخذنا قلعتها وكل عمارها
انى أخبرتك على ما قد جرى ... وأطلعتك علي جميع أسرارها
فارسل لنا نائب يجنا بلا مهل ... وادعى لنا يا بالنصر يامغوارها
لكي نذهب ونقصد خلافها ... ونطلب من المولي الكريم انتصارها

فلما فرغ الامير دياب من كلامه طوى الكتاب وأعطاه الى النجاب فاخذه وراح يقطع الفيافى والبطاح حتى وصل الاوطان فدخل على صيوان حسن وسلمه الكتاب ففضه وقراه على روس الامارة والسادات فشكروا فعل الامير دياب ودعوا له بالنصر وأما الامير حسن استدعي الامير رضوان وأخلع عليه وقلده وظيفة قائمقام على قلعة برنيجه وتلك الاوطان فعند ذلك أخذ الامير رضوان مائة أمير من عشيرته للمسير بصحبته ولما أصبح الصباح ودع الأمير حسن وقبل يديه وطلب منه الرضا فقال له مرادى أرسل الى دياب كتاب وأخذ يكتب ايه بهذا القصيد ويقول :

يقول ابن سرحان الهلالي أبو علي ... ونيران قلبي دوم يكثر وقيدها
نعم أيها الغادى على متن ضامر ... كفرخ حمام فى البرارى فريدها
سر على الزغبي دياب وقول له ... يافارس النرساد يوم طريدها
وليت لك رضوان قائمقام ... فاوصيه باحوال الرعايا جميعها
وتتوجه منها وتطلب خلادها ... بضرب الصوارم ثم طعن حديدها
والله ينصرك دوم على عدا ... بحرمة نبي خير البرايا وسيدها
ما قال حسن الهريسي أبو علي ... وقوم الأعادى فى حسابك نكيدها

فلما فرغ الامير حسن من كلامه طوى الكتاب واعطاه للامير رضوان فعند ذلك ركب وتوجه الي ناحية برنيجة وما زال سائرا الى ان وصل اليها فدخل على الامير دياب فاستقبله واكرمه غاية الاكرام واجلسه على كرسي المملكة وامر المنادى بان ينادى فى البلد باسم الامير رضوان ويكون الحاكم عليها ثم بايعه الاحكام وسلمه الاموال وامر بدق طبل الرحيل وودع اهالي البلد وتوجه من هناك الى ان وصل الى ناحية قلعة فضرب هناك الخيام وركز الأعلام واستدعى بقلم وقرطاس ودواية من الذهب واشار يكتب الي الملك حمود يطلب منه عشر المال ويقول :

ما قال ابو موسى دياب ابن غانم   كبير القوم قيدوم النواجع
الا يا غادياً من فوق ضامر   تجد السير فى وسط البلاقع
الا اوصل كتابى للمسمي   الفتي حمود قيدوم الربايع
وقول له نريد العشر منك   وقدم ما تريده وكون خاضع
فاوزن عشر مالك والغنايم   وعشر الخيل مع عشر البضائع
وان خالفتني فابرز لحربي   والتي الطعن فى يوم الهيازع
وجرد فى يدى هندى يمانى   واجي راكب على ادارع
وافنيكم على بكرة ابيكم   اخلى دمكم مثل القواصع

فلما فرغ الامير دياب من شعره طوى الكتاب وختمه وعطاه الى النجاب فاخذه وسار يجد فى قطع القفار حتي وصل لعند الملك وقبل الارض بين يديه وسلمه الكتاب فاخذه الملك وقراه وعرف رموزه ومعناه فقلبت الدنيا بعينيه ظلام والتفت الى الرسول وقال له اذهب لعند مولاك وقول له ما له جواب الا السيف القرضاب ورمي الرقاب فسار الرسول الي أن وصل لعند مولاه واخبره بجواب الملك فاغتاظ دياب من هذا الجواب ولما أصبح الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح من الفريقين ولما وقعت العين بالعين حملت على بعضها [illegible] الحرب على ساق وقدم وشابت [illegible] وحكم [illegible] وصار وجود القوم عدم وجري [illegible] وقعة عظيمة تشيب [illegible] لا عمر [illegible] وما زالوا على هذا [illegible] مدة خمسة عشر صباح [illegible] القوم الفريقين عساكر [illegible] حتى [illegible] على [illegible] وعسكروا [illegible]

للملك حمود اكابر الديوان وقال لهم كيف العمل مع هؤلاء العربان الذين كانهم مردة الجان فانا مرادى ان اطلب منهم الامان فقال له الرأى رأيك ونحن سامعين مطيعين لأوامرك فحالا استدعى بقلم وقرطاس وجعل يكتب الى الامير دياب ويطلب منه الصلح ويقول

قال الفتي حمود من قلب وجميع — لهبات قلبي زايدات نيران
نيران قلبي كلما اقول تنطفي — يهب لها جوا الحشا دخان
اسمع كلامي ياابن غانم وافهم — يا عز قيس وجملة العربان
انى اتيتك طايعا يا سيدى — فاقبل خضوعي واعطني الامان
واملك الى اجه وكل ابراجها — واملك مداينها مع البلدان
ونبقى عبيدك ياأمير على المدى — ونعيش بظلك بكل أمان
فاعفو عنا يا دياب وسامح — فاني أتيت طايعا منهان

فلما فرغ الملك حمود من الكتاب أرسله إلى الاميردياب وفى الحال أمر دياب بالأمان فى جمع البلدان ودخل البلدواجتمعت اليه الأكابر والعمدومن بعد ما استلم الخزائن والقصور ولى الملك حمود على تخت إجه بشرط أن يدفع الجزية فى كل عام وأرسل أعلم الامير حسن بما جرى وصار من الاول الي الآخر فقال له افعل ما تريد أيها الفارس الصنديد ووفق الله رأيك السديد فحينئذ ودع الملك حمود وسار قاصد قلعة طنجه وتلك الامصار وما زال يطوي الفيافى والقفار والمهامى والاوعار الى أن اقترب الى قلعة طنجه وتلك الديار فأمر بنصب الخيام وتركيز الاعلام وجلسوا لاجل الراحة وأرسل الامير دياب من يكتشف له خبر أهالى طنجه وقعد فى أكل وشرب مدة ثلاثة أيام الى أن رجع الجاسوس

فقال له ما معك من الاخبار فقال له أعلمك أن ملك طنجه يقال له نايل وهو فارس شجاع وقرم مناع وأما أسوار المدينة فهى عالية متينة وعساكره لاتعد ولا تحصى وقد علم بخبر وصولنا من الرعيان وقد جهز عساكره للقتال والحرب والنزال

فلما سمع الامير دياب هذا الكلام دق الطبول ونفخ الزمور وركبت الفرسان الى ساحة الميدان ثم نظر الملك نايل قوم الامير دياب أمر بدق طبوله فتجمع بالحال عنده ثلاث مية الف من الابطال فخرج بالعساكر الى

خارج السور إلى أن التقت العين على العين فنزل الامير درغام إلى معركة الزحام وطلب براز الفرسان فما أتم كلامه حتى صار الملك نايل أمامه وصدمه صدمة تزعزع الجبال وقال من تكون من الأبطال فقال له اعرفني ما دونك الا الأمير درغام ابن الامير زيدان وأنت من تكون من الفرسان فقال له أنا فارس من القبائل ومهلك الجحافل حاكم مدينة طنجة وملك نايل ثم التقوا البطلين كأنهم أسدين وقام الحرب وزاد الضرب واشتد الكرب إلى تناصف النهار فرجح نايل علي خصمه الدرغم قنطار فلاصقه وضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه وضرب يده لجلبات درعه اقتلعه من بحر سرجه وحدفه الى الوراء فأخذوه قوم الملك نايل أسير وقيدوه بالأغلال والجنازير فبرز الى الميدان الامير زيدان فلاقاه الملك نايل وأخذوا فى ضرب الصفاح وطعن الرماح حتي زهقت منهم الارواح فضربه الملك نايل بعقب الرمح فقلبه وسلمه لقومه أسير وقاده ذليل حقير فبرز اليه آخر أرداه وثاني أعدمه الحياة وثالث بدد أمعاه ورابع غرقه بدماه وما زال يقتل فوارس حتي قتل عشرين وأسر ثلاثين لي أن أقبل الظلام دقت طبول الانفصال فارتدت القبائل إلى الخيام ورجع الا مير دياب وهو غايب عن الصواب من عظم ما جرى عليه من فرسانه وعلى من قتل منهم ثم شجع الفرسان على الحرب والطعان وتخليص الأسرا من الذل والهوان . فلما أصبح الصباح ضربوا طبول الحرب والكفاح وجردوا بأيديهم السيوف الصفاح فبرز الأمير نايل الى ساحة الميدان كأنه فرخ جان أو عفريت من عفاريت السيد سليمان ونادى وقال هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز للميدان لا كسلان ولا عاجز فما أتم كلامه حتي صار الامير دياب بن غانم قدامه وقال له ابشر بالهلاك فقد أتاك الأمير دياب فتشاتموا بالكلام وردت أياديهم الى الحسام وانطبقوا انطباق الغمام فراح بينهم ضربتين قاطعتين كان لسبق الأمير دياب فوقعت الضربة فى صدر الملك نايل أرماه قتيل وفي دمه جديل وولت قومه هاربين وفي النجاة طالبين فدخل الامير دياب البلد وخلص الاسرى وجلس على تخت طنجه وأمر أن ينادى في البلد بالأمان وجمع الذكور وستلم الاموال والذخائر ولما ستولي على الملك استدعى بأمير عقيل وأجلسه نايب على البلد وخرج قاصد مدينة طنجه ومازال سائر إلى أن وصل إلى سهل واسع خضبت فيه العيون جاريات فسرحوا الاغنام ونصبوا الاعلام مدة خمسة أيام

(قال الراوى) هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من الملك مزيد ملك قلعة طنجه فانه كانت قد تواردت اليه الاخبار بما فعل الامير دياب من الحروب والاهوال فاستدعى وزيره الاكبر وكان اسمه عمر فقص عليه هذا الخبر وكان هذا الوزير عاقلا خبير وصاحب رأى وتدبير فأخبره الملك عما فعل الامير دياب بالقلاع وهم كوبج وبرج الدمع وبرنيجه واجه وطنجة

فلما سمع الوزير هذا الامر صار قلبه مثل لهيب الجمر وقال للملك الاوفق أن نخلى لهم البلاد ونحجب دماء العباد ونرتاح من حرب هؤلاء الاوغاد فقال له الملك رأيك هو ليس بالصواب وانك خايف من حرب هؤلاء الانذال فبالغد إن شاء أترك قتلاهم كالتلال وفى الحال أمر بدق طبول القتال لتحضر للحرب والنزال فتحضرت عنده العساكر والفرسان .

فلما كان اليوم الثانى عند الصباح برزت الطائفتين للحرب والكفاح فاصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف واذا الملك مزيد وهو مضيق اللثام كانه قطعة من غمام راكب على جواد أشقر عالى مضمر طويل القامة عريض الهامة فبرز إلي ساحة الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه الامير دياب وهو راكب على الشهباء وقال له من تكون أيها الفارس فأجابه مادونك بحومة الميدان إلا الملك مزيد فارس عشيرته وحامى قبيلته وأنت من تكون من الفرسان ياأنذل العربان فقال له أنا الامير دياب بن غانم فارس الاعارب والاعاجم والليث المصادم مفنى الاعادى بالصوارم وأشار يتهدده ويقول .

يقول الفتى ابو الزغبي دياب بن غانم	وسعدى علا فوق كل سعيد
وسعدى مساعدني عالدوم والمدا	وعزمى في يوم اللقا شديد
ملكت الى كوبج بعزمى وهمتى	وقتلت بكار بطعن حديد
وزيد ونافع قد غدوا بمهندي	وعمر مع نايل غدون فقيد
ملكنا قلاعهم وأخذنا أموالهم	وجينا نطلب منك العشر ياصنديد
وتدفع لنا عشر الوف مع خدم	فى كل عام ترسلوه أكيد
وإن أبيت ليوم تخسر وتندم	وتبقى طريحا على التراب مديد
رد ملك مزيد عليه وقال	والنار فى قلبي تهب وتوقدي
اسمع كلامي يا بن غانم وفهمه	أظن عقلك من دماغك شاردى
أعاود بجندك من بلادي وترتجع	من قبل روحك من حسامي تفقدى

أنا فارس الفرسان في يوم الوغا   مردي الاعادي وكل قرم أمجدي

فلما فرغ الملك مزيد من كلامه والامير دياب يسمع نظامه حملوا البطلين كأنهم جبلين وحان عليهم الحين وغنى فوق روسهم غراب البين . فشخص لهم الاحداق وامتدت لهم الاعناق. وتجلى عليهم الخلاق . وأخذوا الاثنين على بعضهم بالانطباق وضربوا في البيض الرقاق حتى كلت من تحتهم الخيل وصارت حالتهم بالويل وما زالوا في حروب وأهوال . تشيب روس الاطفال مدة سبعة أيام وفي اليوم الثامن عند الصباح تقلدوا بالسيوف الصفاح وحضروا لمحل طعن الرماح فعظمت الاهوال وزاد القتال الى أن تناصف النهار فزاد الامير دياب على خصمه [illegible] قنطار فلاصقه وضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه حتى حك الركاب بالركاب وجذب الحسام وضرب على راسه فهوى السيف الى بطن الجواد والقاه على الارض أربعة أقسام وحمل على العساكر ومن وراه بنى زغبي ورياح وفتكوا بهم فتك الذيب بالغنم وأبلوهم بالذل والعدم حتى خرس اللسان وولى الجبان وهاجت الدما كالغدران فولت عساكر الملك مزيد هاربين والنجاة طالبين فتبعوهم بنى زغبي وقد أخلوا منهم الديار بعد ماملوا العدد المبددة والخيل الشاردة ودخلوا البلد وجلس الامير دياب على الكرسي وضبط الاموال وجمع الاغلال ووضع عليها أمير يسمى الامير خليل وقالت له أنت تكون نائب على مدينة طنجة وتقوم مقامنا بالاحكام وترسل لنا الجزية في كل عام وحينئذ أمر المدعي [illegible] الذي هو الحاكم على قلعة طنجه فانقادت اليه القواد وطاعت له العباد وحينئذ أمر الامير دياب بدق طبل الرحيل وجد المسير الي قلعة الخانجة وكان الملك عليها اسمه سليمان فعندما علم بقدوم الامير دياب أمر حالا بتجهيز العساكر للحرب فحضرت العساكر وتجهزت العساكر واصطفت الجيوش خارج البلد فبينما هم بالانتظار وإلا الغبار غبر والصفا تكدر وبان من تحته فرسان كأنهما عقبان على خيول أخف من الغزلان وفي مقدمتهم الاسد الكرار وبعض الغوار فارس الاعراب والاعاجم الامير دياب ابن الامير غانم

فلما وقعت العين على العين ونظرت بعضهم الصفتين فهجمت فرسان على الفرسان واصطدما الفريقان وتضاربا بالسيوف وتطاعنوا بالسنان حتى جرى الدم كالغدران وما زال القتال على هذا الحال مدة عشرة أيام . وفي يوم الحادي عشر برز الامير دياب في الميدان وصار يضرب بالطعن [illegible]

سليمان كأنه فرح جان وانطبقوا على بعضهم انطباق الفرسان حتي كبت الخيل بالعرق ورنت سيوفهم على الدرق وكل واحد على رفيقه طبق مقدار ساعتين من الزمان فطلع من الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الامير دياب فاستلب الرمح وطعن الملك سليمان فى صدره طلع يلمع من ظهره فوقع الى الارض قتيل وفى دماه جديل فلما نظرت عساكر الملك سليمان إلى ملكها قتيل انحلت ظهورها وولت الادبار وأركنت إلى الهزيمة والفرار فتبعتها أبطال بني زغبي وهم يضربون بأقفيتهم السيف البتار حتى شتتوهم فى البراري والقفار هذا ورجعت عساكر الأمير دياب إلى البلد وجلس دياب علي كرسى المملكة واستلم زمامها وأموالها وانقادت الي طاعته فرسانها وحكامها فعند ذلك ولي الامير عبد الله الجليل ا ياحى نائب من قبله وأوصاه بأحكام البلاد وراحة العباد وبعد ذلك حضرت عند الامير دياب جميع بني زغبي وذبحوا الذبائح وعملوا الولايم ودوروا الافراح لخلوصهم من الحرب والكفاح وقد انقادت لطاعته العباد وسكان تلك البلاد فهذا ما كان من أمر الامير دياب فى تلك السبعة قلاع بلاد الغرب قسمته

* * *

هذا حرب الامير ابو زيد مع اهالى الغرب وأخذه السبعة قلاع

واسمع ما جرى للأمير أبو زيد بعدما ودع الامير دياب حينما قروا الفواتح وتوجه كل واحد لأجل قسمته وتوجه الامير أبو زيد من هناك قاصداً بلاد فاس وما زال يجد السير فى النهار و لليل حتى وصل الي أرض فاس عند الظلام فنصب هناك الخيام وأحاط البلد من جميع الجهات

فلما أصبح الصباح قامت أهالى البلد ونظرت عساكر بني زحلان كأنهم مردة الجان فارتعشوا من هذا الامر وأخبروا الملك فياض وكان شديد الباس قوى المراس فلما سمع منهم هذا الامر هدر وزمجر وصاح علي الفرسان والرجال وأمرهم بالخروج الى الحرب والقتال فركبوا الخيول وتقلد بالنصول وركب الملك فياض بمقدمهم وخرجوا خارج البلد وصاحوا على الدشمان ونزلوا عليهم بطعن كما [illegible]

فلما رأى الامير أبو زيد وقوم زحلان العساكر أقبلت تعدلوا علي ظهر الخيول

وصاروا يعددوا الفرسان بالعرض والطول وبينما هم في حروب متينة تهد القلاع الحصينة اذ التقى الامير أبو زيد بالامير فياض فتشاتموا بالقول ووقع بينهم القتال التقوا الفارسان واخذوا في الحرب والطعان ولكن لله درهما من بطلين درغامين واسدين كاسرين فشخت لهم الاحداق وتطاولت اليهم الاعناق وتعلمت منهم الفرسان ابواب الحرب والطعان فما تناصف النهار حتى صار الدم جاري كالانهار هذا والامير ابوزيد وفياض يتضاربا بالسيف البتار فقام الامير فياض بعزم وضرب الامير ابوزيد فخلي عنها فراحت الضربة خائبة بعدما كانت صائبة واعتدل الامير ابو زيد على ظهر الحصان كأنه فرخ جان وضرب الامير فياض بالسيف على هامه حط راسه قدامه وهجم هو وقومه وعلى المشهان وارتمى كأنه صاعقه نزلت من السما وكحل مباصر الاعدا بالدما وما ولى النهار حتى عسكر الملك فياض ولت الادبار واركنت الى الهزيمة والفرار فتبعوهم قوم الامير ابوزيد الي ان ادخلوهم البلد وملك الامير ابوزيد القلعة واستلم ذخائرها واموالها وطاعت لهم جميع سكانها وطلع الامير ابوزيد الى الديوان وجلس على كرسي السلطنه واحضر امير من بنى زحلان اسمه الامير حمزة وولاه قائمقام على تخت قابس ثم ودعه وسار قاصد قلعة سوت وكان الحاكم عليها الملك عظيم الشان ذو جند واعوان يقال له البهلوان وكان قد وصلت له الاخبار بما جري للملك فياض من الامور عن يدابو زيد الفارس المشهور فجمع العساكر والابطال ونصب خيامه خارج البــلد وهو منتظر قدوم الامير ابو زيد

(قال الراوى) وما مضى ثلاثة أيام حتى الغبائر غبرت ولحيي أقبلت والطبول ضربت والزمور نفخت والرايات انتشرت والاعلام لمعت والابطال زعقت وقوم الامير أبو زيد على الاعداء حملت والرجال زحفت والرماح للصدور خرقت والسيوف للرماح قطعت والدما دفقت وضربت أبو زيد سعرت ومحقت وصرخاته للجبال زلزلت ومنه الفريقين برب يحلق تعوزت حتى [illegible] لابطال بطعناته وأفناهم بضرباته وأبهرهم بصرخته وشتتهم بحملاته وبينما هو يصول ويجول ويجندل الفرسان عرضاً وطولاً [illegible] التقي [illegible] ابو ز [illegible] فتحولا في ساحة الميدان وصرخوا صرختان ارتجت [illegible] عظم صرختهم [illegible] ابو زيد على خصمه وفاجأه وضربه بحسامه فبدد أمعاءه واعدمه الحياة وجعل [illegible] فلما نظرت عساكره هذه الحال وان ملكها تمدد على [illegible] ولوا الادبار وأركنوا

إلى الهرب والفرار فتبعهم الامير أبو زيد ودخل البلد وملك أبراجها وأسوارها وولى عليها أميرا يقال له الأمير هزان وأجلسه على كرسى المملكة وأرسل أخبر الأمير حسن بما جرى ورحل من هناك طالب قلعة مغواره

هذا ما كان من أمر المنهزمين من قوم الامير البهلوان فانهم مازالوا سائرين حتى وصلوا مغوار فدخلوا على ملكها وأخبروه بما جرى لهم مع الأمير أبوزيد وكيف قتل ملكهم وملك قلعتهم وأخبروه أن هؤلاء العربان هم الذين قتلوا الزناتى وملكوا وسبوا العباد

فلما سمع الملك منهم هذا الكلام قال لهم يا قوم الرأى عندى أن نترك لهم البلد وتذهب إلى مدينة القيروان لعند زهير لان أراضينا لا تحمينا من هذه العساكر وذلك من كثرة الخوف والرعبة فذهبوا وتركوا البلد وقصدوا مدينة القيروان فلما وصلوا اليها ودخلوا على ملكها الامير زهير وأخبروه بواقعة الحال وماجرى لهم من الاهوال فقال لهم إن هذه الارض لا تكفينا فالاوفق أن نذهب الى الاندلس لانها واسعة حصينه وبها قلعة متينة فاستصوبوا رأيه وسارت الرجال والاحمال إلى الاندلس لعند الامير حماده وأخبروه بواقعة الحال وما جرى لهم فالتقاهم بالاكرام وأنزلهم بأحسن مقام وأمر بتحصين البلد وتبريز الخيام الى الخارج وجلسوا بانتظار الامير أبو زيد

هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من الامير أبو زيد فانه ما زال سائرا الى أن وصل الى قلعة مغوارة فخرجوا أهل البلد وهم رابطين محارم الامان فى رقابهم فسألهم عن ملكهم فقالوا له إنه لما سمع بقدومكم خرج هو والعساكر من البلد وهربوا الي مدينة القيروان لعند الملك زهير فحينئذ أعطاهم الامان ودخل البلد وضبط الاموال وولى الامير مروان على تحت القلعة ورحل طالب مدينة القيروان ومازال سائرا الي أن وصل اليها فاستقبلوه الاهالي وفى رقابهم المحارم فسألهم عن ملكهم فقالوا له بأنه ذهب الى الاندلس فحينئذ أعطاهم الامان وضبط أموال القلعة وولى عليها الامير مسعود وأوصاه بالاحكام ورحل طالب قلعة الأندلس ومازال سائر حتى وصل البلد فنظر العساكر كأنها قطع الغمام فامر بنصب الخيام وكان قد قبض الظلام فباتوا الفريقين يتحادثون تحت مشيئة الرحمن إلى أن أصبح الصباح فضربوا طبول الحرب والكفاح وركبوا الجراد القداح وتقلدوا بما يلزمهم من السلاح واعتقلوا بالسيوف والرماح فبرز الأمير حماد إلى

ساحة الميدان ولعب بالسيف والسنان حتى حير عقول الفريقان ثم طلب براز الفرسان فبرز اليه الامير أبو زيد كأنه عفريت من عفاريت السيد سليمان فأشار الامير حماد يهد عليه بهذا القصيد ويقول :

يقول الفتي حماد والقول صادق ... أبو زيد القي همتى وطرادى
أنا فارس الخيلين والزان مشتبك ... إذا أظلمت والهول فيها زاد
أنا الأسد الريبال فى حومة الوغى ... فكم قرم أرديته بضرب حداد
مرادك تبيد مقوم فى حد صارمك ... وقتلك إلى أرض وكل بلادى
فقد خاب ظنك والذى أنت طالبه ... وبقيت خالي العقل والارشادى
تبدى له الهلالي ثم قال له ... أنا هزام فرسان الطراد
فيا حماد كف القول واسمع ... ودع للحرب واترك للعناد
واوزن عشر مالك والمواشي ... والا دعيتكم فوق الجماد
وان خالفتني فالقي لحربى ... وسوف أوريك ضربات الحداد
فمن قبلك غدا الهصيص هازم ... وادعيته منطرح فوق الجماد
وقتلت الملك فياض حقا ... بطعن الرمح مع ضرب الهناد
أنا أبو زيد مهلك للفوارس ... سأملك أرضكم ثم البلاد

فلما فرغ أبو زيد من كلامه والملك حماد يسمع نظامه التقوا البطلين كأنهم جبلين وحان عليهم الحين وغنا فوق روسهم غراب وتضاربوا بالسيفين وتطاعنوا بالرمحين وصاح الامير أبو زيد على خصمه وفاجاه وضرب الحسام وأتاه حتى حط الركاب بالركاب فلاح الحسام بيمينه وأفرغ الضرب على الملك حماد فأتت الضربة على راسه شقته إلى تكة لباسه ولما رأوا قوم الملك حماد ملكهم قتيل ولوا الى الهرب ورجعوا قاصدين البلاد فهجم الامير أبو زيد وهجمت من وراه بني زحلان الشجعان وتبعوا الدشمان بضرب السنان حتى دخلوهم البلد ونزلوا عليهم بضرب بلا عدد وجردوا بهم السيف البتار حتى صار لهم فى المدينة كالانهار وبعد ذلك رجعت عنهم العربان وجلس أبو زيد على كرسى المملكة وحينئذ طلبت منهم الامان واعطوهم الامان وطاعت لهم سكان الاندلس وقيروان وحينئذ الامير أبو زيد ولى عليها [illegible] مالك فأقام تلك القلعة ووصاه بالاحكام وساروا قاصدين مدينة مركش وم وصلوا اليها [illegible] خيمهم من حواليها وذكروا الاعلام [illegible] العربان جمع كبار دولته [illegible] عن سبب قدومهم [illegible] من قوم

بني هلال الذين قتلوا الزناتى والعلام وملكوا جميع البلادوهم رفقات الذين تملكوا السبعة قلاع ناحية المشرق وقد أتو الينا ليملكوا أرضنا وبيناهم بالحديث واذ برسول مقبل عليهم فدخل وقبل الارض بين أيادى الملك وقال له ان سيدى الامير أبو زيد يقريك جزيل السلام وهو يقول لك أن تسلم البلدوالا يحل بك كما حل بغيرك من ملوك البلاد فلما سمع الملك من الرسول هذا الكلام خاف الخوف الشديد والتفت الى أكابر البلد وقال لهم ما عندكم من الرأى فقالوا له الرأى ان عندنا أن تصالحهم وتسلمهم البلد فالتفت الملك الى العبيد وقال لهم خذوا المرسول الى بيت الضيافة وجهزوا حالهم وخرجوا الي ملتقا الأمير أبو زيد والأمارة وضربوا طبول الملاقاة فلما رأت بنى هلال أحسن ملاقاة وسلموا على بعضهم البعض وضافوهم قوم الامير مالك وأقاموا بواجبهم أحسن اقامة مدة ثلاثه أيام وفى اليوم الرابع طلب الأمير ابوزيد البلد فحالا قدموا الدفاتر والأموال فاستلمهم الامير ابو زيد واجلس الأمير مالك على كرسيه بشرط أن يدفع الجزية فى كل عام وبعد ذلك ودعوهم وساروا وما زالوا سائرين أول يوم والثاني وفى اليوم الثالث بعد الصباح وصلوا الي مدينة حصينة بالخيرات سكينة فيها ابراج وانهار واطيار تسبح الملك القهار ونظروا خارج البلد خيام منصوبة ورايات مركوزة وسرادق مضروبة واسمها قلعة زواوه وكان يحكم عليها ملك عظيم الشان ذو جند واعوان يدعى الامير كامل وكانت قوم الامير مالك المنهزمين قداقبلوا عليه في عشرة وعشرين واخبروه بما جرى عليهم من الاول الى الآخر واخبروه بأنهم قاصدين ليه فبالحال امر بتجهيز العساكر والمهمات والذخاير وان تحضر الابطال الى ملاقاة الحرب والقتال واستدعي بقلم وقرطاس ودوايه من الذهب الخاص واشار يتهدد بنى هلال ويقول :

يقول الفتي كامل على ماجرى له	ونيران قلبي زايدات الضرايم
فيا ايها الغادى توصل رسالتى	الى حسن سلطان قيس الاكارم
وقول له لمن كامل يقول لك	بأى سبب الى ارضنا جيت قادم
فان كنت تطلب للسلامة فارتجع	وهد خيامك ثم ارتد سالم
مرادكم قلعة زواوة ترملكها	فيها قروما ليس يخشوا الصوارم
نهار احتبك الحرب فى الوغي	اجيء كما سبع للصيد حايم

فلما فرغ الامير كامل من شعره ارسل الكتاب صحبة النجاب فلما وصل

العند الامير ابو زيد فضه وقراه وعرف ما حواه فأمر بدق طبول الحرب ونزلت الفرسان لمحل الطعن والضرب فلما سمع الامير كامل صوت الطبول امر بدق طبوله وتحضرت الفرسان إلي ساحة الميدان فلما التقت الطائفتين ووقعت العين على العين برز الامير كامل الى الميدان كأنه الأسد الغضبان وكان يعد فارس الفرسان وبطلا تبطل عند ابطاله الشجعان فبرز اليه الامير ابوزيد فتقاتلوا بالميدان حتى كلت منهم الزندان وقدحت لهم الاعيان وتعلمت منهم الفرسان ابواب الحرب والطعان ومازالوا في حرب شديد يفك الزرد النضيد ويشيب الطفل الوليد مدة عشرة ايام حتى ضجرت الابطال من هذا الحرب والقتال وفي اليوم الحادي عشر برز الامير ابو زيد الي الميدان فصال وجال وطلب براز الأبطال فبرز اليه الأمير كامل كأنه قصاص الجادل فالتقوا البطلين كأنهم قلعتين حصينتين وابتدأوا بضرب السيوف وطعن يؤثر بكل قلب ملهوف حتى تحيرت من قتالهم الفرسان وتعلمت منهم الحرب والطعان وما زالوا على هذا الحال الي ان قرب الزوال فطلع من الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الامير كامل فضرب بها الامير ابو زيد فراحت خايبة بواسطة الحيل والقوى فقام الامير ابوزيد بعزم الركاب وضربه بالسيف على هامه حط راسه قدامه وحينئذ هجم وهجمت من وراه الفرسان وغاروا على الاعداء من كل مكان وما زالوا عليهم بطعن السنان وضرب يكسر الصوان الي ان ادخلوهم البلد فبالحال جلس الأمير ابو زيد على كرسى المملكة وضبط الاموال واستلم جميع الأحوال واحضر الامير هادي ووضعه قائمقام على قلعة زواره وامر باشهار المناداة باسمه وهو الحاكم عليها بكل حفظ وامان وبعد ذلك جهز الامير ابو زيد الاموال وحملهم على الجمال وامر بدق طبل الرحيل وساروا الجيوش والمواكب والفرسان والكتايب ومعهم الأغنام والمكاسب وما زالوا سائرين يطووا الفيافي والقفار حتى وصلوا لي عين توزر وهي بنصف الطريق فجلس هو لأجل اخذ الراحة وامر بذبح الأغنام وشرب المدام وبينهم على هذا الحال والا طلعت عساكر الأمير دياب من ناحية المغرب الجنوبي فلما التقي الأمير أبو زيد بالأمير دياب هنوا بعضهم بالسلامة وأخبروا بعضهم بما قاسوا من الحروب والاهوال وجلسوا ثلاثة ايام وقاموا وجدوا بالمسير الي ان وصلوا الي تونس فلما علم الأمير حسن بقدومهم خرج لملتقاهم بالفرسان والرجال وجميع الذين كانوا بالاطلال وعند ملتقاهم هناهم بالسلامة ودخلوا بموكب عظيم

ودارت البشائر فى رجوع بنى هلال وفرحت فى قدومهم النساء والرجال وبعد ما استراحوا سألهم الامير حسن عن الاحوال التى جرت لهم نخبروه من الاول الى الآخر بما قاسوا من الحروب والاهوال فى تملك سبعة تخوت بلادالغرب اى الاربعة عشر قلعة وحينئذ امر الامير حسن بعمل وليمة كثيرة وبذبح الاغنام وترويق المدام ودعى اليها الخاص والعام وبعد مدةمن الزمان قسموا بلاد الغرب بينهم بالسوية اى ان الامير ابو زيد اخذ الثلث والامير حسن الثلث ودياب الثلث واما تونس لدياب من غير حساب لانها عوض الخضرا ثم رحل الاميرحسن الى القيروان وجعلها عاصمته والامير ابو زيد جعل الاندلس عاصمته وحينئذ جلس كل واحد بمملكته بكل امان .

﴿انتهى الجزء السابع عشر ويليه الجزء الثامن عشر﴾

الجزء الثامن عشر من

تغريبة بني هلال الكبرى

الشامية الاصلية

———o⁘o———

دايون اليتامى

قتل الست سعدا بنت الزناتي خليفه وحضور زعيمة اخت الزناتي لكي ترمي الفتن بين بني هلال وحبس الامير دياب وقتل الزغابا

(قال الراوى) تقدم الكلام في قصه الزناتى بان بنى هلال تملكوا تخوت بلاد الغرب الاربعة عشر قلعه ولنرجع الآن بالكلام الي سعدا ابنة الزناتي فانها بقيت فى قصر ابيها عند حريم الامير دياب تقاسى الذل والعذاب وهي كما ذكر الكلام ولما رأت ان الامير حسن نسيها وما عاد افتكر فيها ولا ابو زيد فجعلت تكتب الى الامير حسن وذكرته بخلاصها من الامير دياب وانها مظلومة عنده للغاية وارسلت الكتاب صحبة نجاب فلما وصل الى الامير حسن اعطاه الكتاب ففضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فتغيرت منه الاحوال وعب به الغضب بالحال وحينئذ ارسل عبده جوهر الى الامير ابو زيد واخبره بالقضية فحالا حضر الامير ابو زيد ومعه خمسه الاف فارس من بنى زحلان كأنهم مردة الجن فلاقاه حسن وسلم عليه وبعد ما ارتاح ابو زيد قال الامير حسن ما الخبر حتى ارسلت ورائى فحينئذ اعطاه كتاب سعدا فلما قراه من حضر تعجب ولما حضر بين يديه قال له اخبر الست سعدا اننا بعد ثلاثة ايام نكون عندها ... بعهو خبرها بانهم آتين ليأخذوها ففرحت وقامت تنتظر قدومهم ... ابو زيد ركبوا في ثاني الايام وساروا حتي دخلوا الى تونس وقرب ... الامير دياب ...

ولاقاهم بالترحيب والاكرام وأدخلهم القصر وذبح لهم الذبايح وأقاموا بضيافته ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع قال لهم الامير دياب لقد شرفتونا بمنازلكم وكان الواجب أن ارحل انا بالاول اليكم واقدم الواجب علي فقال له حسن نحن ماأتينا الا لامر مهم ثم اشار حسن يقول وعمر السامعين يطول :

يقول الفتى حسن الهلالي أبو علي ولي قلب من جور الزمان كواه
ولي عين طول الليل ماتألف الكرى ودمعي يجري فوق خدي سجاه
ألا يادياب الخيل اسمع مقالتي واصغي لقولي وافتهم معناه
أتينا إلى نحو الزناتي خليفة وقمنا لسوق الحرب وسط فلاه
بقينا قدر عامين والحرب بيننا وقد راح منا كل قرم عتاه
ومن بعدها قد جيت يا ولد غانم على ظهر خضرا مثل سبع فلاه
قتلت الزناتي كان هذا مقدر من عند ربي من أعالي سماه
وحطيت رمحك فوق باب تونس وقصدت تدخلها بغير حياه
ومن بعدها قد قمت حاكم مكانه وكل هذا الفعل سامحناه
عطيناك ثلث الغرب ومهما تريده أنت وأنا وأبو زيد بالمسواه
اخذت تونس بدل خضرا أصيله وما عاد لك قط حق سواه
وسعدا بقت عندك وديعه لبينا بروق منا البال نقيم هناه
طلبت منها ان تكون حليلتك هذا فعال العيب لا نرضاه
وجعلتها عند الجوار لخدمتك وتطحن للملحك والحطب ومياه
عيب ترى هذه الفعال جميعها وما هي مروة الرجال تراه
سعدا مرادي أخذها لضعوننا وزوجها مرعي بأحسن جاه
وهي يتيمة يا دياب ابن غانم أبوها قتلته أنت وسط فلاه
ما قال الفتى حسن الهلالي أبو علي قلبي تحمل جور ثم أساه

(قال الراوي) فلما فرغ الامير حسن من كلامه والامير دياب يسمع نظامه اغتاظ دياب الغيظ الشديد الذي ما عليه من مزيد ولكنه أخفي الكمد وأظهر الجلد وقال ان سعدا باقية كما هي ، وأما قولك أني طلبت أن أتزوجها فهذا كذب فقال حسن هذا كتاب سعدا اقرءه فقراه دياب واغتاظ أكثر من الاول وقال ياحسن هذه سعدا بوءة وخاينة والتي تخون أبوها لا يكون فيها خير لاحد والواجب قتلها فقال حسن هذه خطيبة ابني مرعي فاطلب أن تسلمني

اياها والا يقع ما بيننا أسباب ما هي في حساب فعندها أشار الامير دياب يجاوبه ويقول هذا القصيد وعمر السامعين يزيد :

يقول الفتي الزغبي دياب بن غانم   ولي عزم أمضى من حساب شظاه
ولي همة بالحرب إن قام سوقها   ادعى دما الابطال شبه قناه
أيا ابو علي اسمع كلامي وقصتي   اصغى الى قولي وافتهم معناه
لما دخلنا الغرب يا أمير أبو علي   نسيتم فعالي واخترقتم علاه
فقلتم دياب الخيل يرعى جمالنا   ونحن نكاون الزناتي بلاه
فتحتم ميادين الوغى مع خليفة   نعم أبو سعدا شديد لقاه
رجعتم عملتم بالزغابة حيلة   دعاهم أبو سعدا بسيفه هفاه
قتلتم بدير الخليل خالي واخوتي   زيدان مع الامير سواه
تسعين أميراً من قرايبي قتلتهم   وأبو زيد ناظر لا يريد طفاه
قتل عقل سلطان الفوارس كلها   فيا لهفي يا عقل رحت هفاه
فو الله ارض الشرق والغرب كلها   بأظافير يا عقل الخيل لا ارضاه
مضي عقل مع نصر وانا كنت غايبا   عرايس سوق الخيل وقت لقاه
ولما عجزتم عن خليفة وحربه   وقلتم غير دياب لا يلقاه
بعثتم براقع مع شعور بناتكم   وما جئت الا محتبين سواه
ومنك ومن ابو زيد بيهم تقولوا   يا للوحى يا امير زغبي تعاه
وجيتكم من فوق خضرا كريمه   لها جرى يسبق برقها ولمعاه
لقاني ابو سعدا الزناتي خليفة   من فوق اشهب مثل طير ملاه
ثلاثة شهور الكون عاقد بيننا   ويا ما جرى بيننا ودهاه
قتل خضرتي تسوى المداين كلها   وقمت على الخضرا كثير بكاه
طعنته بحربة مثل نار تنطفي   في وسط عينه نفذت من قفاه
وراح ابو سعدا قتيلا على الوطى   وراحت الخضرا عيونى معاه
تقول عطيتوني اثلث ملككم   خذته بضرب السيف ثم قداه
توبخني من أجل بنت خليفة   اذا كنت ارضاها كعشر [illegible]
طحنتها الملح هذا جراها   وهذ جزاء من كان [illegible]
وتقول تأخذها لعندك يا حسن   وهذ ترى [illegible] لا [illegible]
انا قلبي انكوى وانت خليا   والجمر تحرق في مكان [illegible]

ملكتكم الشرق والغرب كلها وما بان لى معكم جميل تراه
فهذا أبو زيد حاكم بيننا وإنى لحكمه يا حسن أرضاه
ماقال الفتى الزغبي دياب بن غانم ومن يعاندنى الحسام دواه

(قال الراوى) ولما انتهى الأمير دياب من الخطاب إلاوفز حسن واقفاً على قدميه وقد احمرت آماق عينيه وقال لدياب والله لوما كنا ضيوفك لكنت ضربتك بهذا الحسام وأذقتك كاس الحمام كيف تقول ملكتنا الغرب والشرق وتظهر فضلك علينا كل وقت فقال دياب نعم أنا ملكتكم الغرب لانكم عجزتم عن الزناتى ولولا فرسان بنى زغبي ما كنتم بقيتم يوم واحد بحرب الزناتى لأنى أشهد أنك أنت وأبو زيد من الفرسان وأما عساكرك وبنى زحلان كلهم مثل النسوان وما طلع منهم فارس يعرف بين العربان وأما بني زغبي كلها أبطال معدوده ، ثم أرادوا يهجموا على بعضهم فمنعهم أبو زيد وقال لهم ما هذه الفعال تتقاتلوا على شان بنت وأنا عندى رأى أحسن وأوفق فقال الامير دياب ما هو وقال أبو زيد نحن نوضع سعدا فى مكان بعيد بآخر الميدان ونقف نحن راكبين خيولنا بأول الميدان ونطلق الاعنة والذى يصل إلى سعدا بالاول تكون ملكه ويأخذها وقصد أبو زيد أن يأخذ سعدا من عند دياب وقال فى نفسه إن دياب خضرته ماتت وبنتها صغيرة ما هى مثل خيلنا لانهم عتاق وما هي معودة على الجرى فنحن نسبق وإذا أخذتها أعطيها لحسن وينخصم لشر لاننا ضيوف عند دياب ولا يليق أن نأخذها غصبا عنه فقال حسن رضيت بذلك وقال دياب وأنا رضيت أيضا ثم اتفقوا على هذا الحال وفي اليوم الثانى أخرجوا سعدا إلى الميدان ووقفوا فى آخره ووقفوا هم فى أوله وأعطوا لبعضهم إشارة فخرجوا كأنهم نشاب وكان دياب راكب الشهباء ابنة الخضرا وكانت أحسن من أمها فراحت أمام الجميع ومن خلفه أبو زيد على الحمره وخلف لكل حسن على الحيصا وكانت المسافة مقدار ساعة ولما وصل اليها دياب قالت له أنا أختك يا دياب وكان أبو زيد علمها أن تقول ذلك فلما سمع دياب كلامها عرف المقصود فشهر حسامه وضربها به فجرحها جرح بليغ وصاح عليه حسن وقال له هذا عملت شكنه يا دياب قال أنتم قلتم الذي يسبق اليها تكون ملكه وهي صارت ملكي أتصرف بها كيف ما شئت وبما أنها خاينة لا أريد أن أخليها عندى ثم لوي عنان الشهباء وعاد رجع وأما أبو زيد فقال لى حسن صدق دياب هذا حقه ثم نزلوا الى سعدا فوجدوا فيها روح فحملوها وساروا حتى

دخلوا القيروان واجتمعت البنات والنسوان لما عرفوا بقتل سعدا وكذلك مرعى فانه مزق ثيابه ونتف شعره وصار كالمجنون واما سعدا فانها فتحت عينيها واشارت من حلاوة الروح تودع الدنيا وتقول

تقول فتاة الحي سعدا الذي شكت　　بدمع جرى فوق الخدود سجام
وعيني تبات الليل ماتألف الكرى　　عليها لذيذ النوم عاد حرام
انا لايمة روحي ولا لوم غيرها　　ومنها كسيت الضر والآلام
تبعت هوى نفسي وخنت لوالدي　　مربيني من خمسة عشر عام
ومحجوبة بالقصر ما احد يشوفني　　عن الاهل والاخوان والاعمام
ابيت على فراش المنا لا اعرف العنا　　مسهوى من قصري الى الحمام
اذا سرت للحمام ترتج تونس　　جواري من خلفي ومن قدام
انا كنت سعدا اسعد الناس كلهم　　شبيه القمر ان بان تحت غمام
مولعة بالغني والعز والصبا　　انا وابي في لذه ونعم
فلما اتى ابو زيد للغرب رادها　　ومعه امارة خيرين كرام
عملت بهم من قبل يأتوا بلادنا　　ضربت بتخت الرمل ولا فهم
جاءوا الى بستان قابس بالضحى　　وابو زيد من سهر الليالي نام
اتوهم عبيد السوء وقفوا حولهم　　وهم ساحبين خناجر وحسام
وشدوا اياديهم كتافا الي وري　　واخذوا صور منهم مع الانعام
وقد عرضوهم للزناتي خليفة　　ملك من ملوك الارض كالضرغام
[illegible] وقال جيتم تردوا بلادنا　　وقالوا شعار [illegible] لاكرام
فقالوا شلحوهم يا عبيد ثيابهم　　[illegible]
ونادى عليهم في شوارع تونس　　[illegible]
وطليت من شباك قصري شوفتهم　　[illegible]
تعلقت في [illegible]　　[illegible]
وقد اصطلت [illegible]　　[illegible]
[illegible]　　[illegible]
[illegible] شعر [illegible]　　[illegible]
[illegible]　　[illegible]
[illegible] على ابوي [illegible]　　[illegible]

لبست من الصندوق ثوبا مذهبا   وأرخيت من فوقه رفيع كمام
وفي وسط قصري يا أمير وضعتهم   وابو زيد قد راح يجيب غنام
وقلت لهم لا تعملوا هم والنبي   عليكم مني الف الف زمام
وجبت لهم من كل شيء يشتهونه   من اللبس والشاشات والهندام
إذا ان مرعي الشاش من فوق راسه   فيقطع حيلي ما أطيق قتام
أشوف وجهه كالهلال إذا بدى   وجبهته تضوي كبـــدر تمام
مضى مامضي والاوابوزيدقائد   ومعه جموع مثل فيض غمام
وعددهم تســعين الف ومثلها   وتسعين في تسعى الف همام
زرعوا أرض تونس والبساتين كلها   وابنوا بيوتا عالية وخيام
قتلتم أبوي ثم أخذتوا بلادنا   قتـــله الفتى الزغبي أبو غنام
تملكتم تونس وقابس وأرضها   ولا تحفظوا لى يا كرام مقام
وما نلت من مرعي مناي وبغيتي   نسبني ولم يراعي إلى زمام
أيا ليت من كان السبب بفراقنا   يموت وفوق الارض دمه عام
لقد أحرموني لذة العيش والهنا   وشملي تفرق ما بقي يلتام
فلا تلومون الصغيرة إذا بكت   أبكي على أهلي وكل عمام
زرعت جميلا قابلوني بضــده   وكيف الذى زرع الجميل يضام
أيا ابو علي قد كان مني نجاحكم   وملكتكم عشرين تخت تمام
فما عاد غير الموت يا ابو علي   ذهبت عن الدنيا بغير مرام
أيا ابو علي هات لي مرعي أشوفه   وأودعه قبل أن أذوق حمام
أيا ليتني أبقي لمرعة خديمة   واكبس لرجليه بوقت منام
أيا أمير جازى لدياب بفعله   ولا تتركه يرتاح يا صمصام
فاذبح لأولاده على صحن صدره   ومن بعدها يعمي بذوق سقام
أيا رب جازى من تسبب موتتي   وأنا بعز عمرى ما بلغت مرام
تقول الصغيرة بنت سلطان تونس   عليـــكم مني الف الف سلام

(قال الراوى) فما فرغت سعدا من كلامها حتي شهقت شهقة واحدة ومانت فقاموا عليها الصياح والبكاء والنواح ثم غسلوها ودفنوها وصار حسن في قلبه من لأياب نار الالتهاب وأما دياب فانه طغي في الحكم وبغى وصار يظلم في الناس لانه صار ملك في آخر عمره وكان يبغض أهل الغرب وهم كلهم يبغضوه وما عرف

كيف يتصرف بالملك فأفسد أهل الغرب عليه بنى زغبي وصاروا يوشوا لهم حتى صاروا أكثرهم يبغضوه ولكن ما أحد منهم يقدر أن يحكي كلمة لأنهم كانوا يخافوا من بأسه وسطوته ودامت الاحقاد بين دياب وحسن وابو زيد ولكن فى الظاهر كانوا يظهروا المحبة والمودة ويخفوا مافى قلوبهم

هذا ما كان من الأمير دياب وبنى هلال واسمع ما جري إلى زعيمة ست الغرب أخت الزناتى فانها لما علمت بانه وقعت البغضة فى بنى هلال قصدت أن ترمى الفتنة بين الامير دياب والامير حسن وفى الحال جمعت عشيرتها وأخو العلام وقالت لهم يا قوم لقد فقدنا أخي الزناتى والعلام والجابلى بن معقرب وفتحوا بنو هلال الفتوحات وملكوا سبعة تخوت بلاد الغرب وما خلوا لنا ملجأ نسكن فيه وقد حزنني موت سعدا ابنة أخي وكسرت ظهرى وكان كل أملى فيها أن تعزينا وتكون ملجأ نا فالآن مرادى أن أتوجه إلى بنى هلال وأرمى فيهم الفتن بالحال والقيهم فى الشر والنكال وأشارت اليهم تقول :

قالت زعيمة الحيمرية التى شكت ولى قلب من جور التفاريق دايب
جرت دمعتي من مقلتي فوق وجنتي ومما جرى لي أصبح الشعر شايب
على فقد اخوانى وكل عشيرتى ماتوا وسكنوا فى لحود الترايب
ألا يا عباد الله مما أصابهم سهم النيا والبين جاهم موارب
أياريت نجع البدو ماجاء لبلادنا ونزلوا على تونس ونصبوا المضارب
مالوا علي البلدان من كل ناحية بساتينها وكرومها والقصايب
قتلوا أخوى الزناتى خليفة سلطان حاكم فى بلاد المغارب
قتله ابو موسى دياب بن غانم واعداه ملقي فى لحود الترايب
ولا بد أرمى فى دريد العداوة ورياح مع زحلان يبقوا غرايب
وارجع إلي اهلي ويرتاح خاطري واقتل ديب من بين تلك المواكب

(قال الراوى) فلما فرغت زعيمة ست الغرب من كلامها قال لها اخو العلام ياستنا زعيمة نخاف عليك من ابو زيد لأنه حيال مكار ومكره غلب مكر المغارب فقالت لاتخاف على من هذا القبيل وأنشدت تقول

تقول فتاة الحيمرية التي شكت بدمع جري فوق الخدود سكيب
رمتنا الليالى بالتجافى وبالنيا وصرنا حيارى دون كل طبيب
اخوى الزناتى ذاك مات وانقضى وولى لعني العلاء بوقت قريب

انا لوعة البين انا حيـــة البــلا   انا من لدغته لم يعــد له طبيب
انا بدعت المكر والسحر والحيل   لسانى على رد الجواب لبيب
انا الحية الرقطاء لها سم ناقع   وسمى بأكباد العدو يديب
سأرحل لنجع هلال وفرق شملهم   وادعيهم فى البر اكل الذيب
إذا لم افرق شملهم بعد لمهم   لا يرحم الله للعجوز مشيب

(قال الراوى) فلما فرغت ست الغرب من كلامها شدت وحملت ودعت قومها وسارت إلى عند بني هلال بصفة شاعرة لكي ترمى الفتة بينهم فما زالت سائرة الي ان وصلت إلي تونس الخضرا ندخلت على الامير دياب فحبت يديه وسلمت عليه وقالت له جئت لآخذ عطاك وانقل ثناك واشارت تخبره وتقول

تقول فتاة الحي قد ألمت بحيكم   ألا يا صباح الخير دوم الصبايح
أيا مير ياجحجاح يا كاسب الثنا   وخيرك على الورادطامي وطافح
يا مير قصدي اليوم أسكن بحيكم   اشاهدلكم وقت المسا والصبايح
وكل العرب يا مير تأتى لحيكم   لأن حماكم هو وسيع الفسايح
ولما قضى ربى بمحل بلادنا   وماتت مواشى الأرض من كل سارح
أتيت لكم قصدي اعيش بظلكم   واثنى عليكم بالمسا والصبايح
مقالات فتاة الحي نازلة حيكم   قتلها الغلا والجوع ياهل السمايح

فلما فرغت ست الغرب من كلامها والامير دياب يسمع نظامها فأشار الامير دياب يترحب بها ويقول :

يقول الفتي الزغبي دياب بن غانم   خذى القول منى ياعجوز النصايح
أنا حامى الابطال فى ساحة الوغى   أكيد اعادينا بضرب الصفايح
أنا شيخ زغبي مع رياح وغيرها   ويا ما قتلنا من فوارس جحاجح
رديت أبو سعدا الزناتى خليفة   وخليت عياله فى دياره نوايح
ملكنا بلاد الغرب بعد خليفة   بضرب الرديني والسيوف الصفايح
سبعة وسبعين من مداين ملكتها   وفيها هلال تحكم امارة رجايح
ايا مرحبا بك عندنا يا مضيفة   لك عند الاكرام مسامع صبايح
عبيدك هم سياد عبيدى جميعهم   وما خاب من جاز حينا والمطارح
لك عنــدنا الاكرام يا مضيفة   واكسكي خاص الحرير الوشايح
ارى الجود يظهر ذكرنا فى قبورنا   ومن لا يجود بالمال ماله مادح

(قال الراوى) فلما فرغ الامير دياب من كلامه وست الغرب أخت الزناتى نظامة قالت له يا أمير دياب قد اسرتنى سلامتك وفرحت بقتله الزناتى لأنه أكبر أعدائى وقتل اهلى ويتم أولادى واخذ مالى ونوالى وعدت حزينة غريبة فى اقصي البلاد فلما دريت انه مات ركبت ناقتي وقصدت منازلكم العامرة فانا عندي في هذه الارض والبلاد عين تسمى عين سلوان وغيط البهرجان وانا خاطري اقسم هذه البلاد ويكون لك الغيط من قسمتك فانه يكون لتمام حظك وجعلت توصف إلى الامير دياب عين سلوان وغيط البهرجان بهذا القصيد تقول وعمر السامعين يطول :

تقول عجوز الشوم من آل عامر بدمع جرى فوق الخدود وساح
الا يا دياب كثر الله خيرك يا شيخ زغبي كلها ورياح
قتلت ابو سعدا فكان عدونا وابدلت احزانى بكثر فراح
ان شئت أوصف عين سلوان يافتي وفيها جنينة انعش الارواح
وفيها غصون الزهر يا ابن غانم أحمر وأصفر لونهم وضاح
والجوز ثم اللوز فيها والعنب والخوخ والرمان والتفاح
وفيها عنب من الدوالي مكعب ومشمشها قد هزته الارياح
وفيها من الاطيار أشيا كثيرة وفيها الكنار والبلبل الصياح
وفيها من الأعشاب ياابن غانم وغورانها تنعش إلى الارواح
وبركاتها بأربع مزاريب من ذهب وياقوت وزمرد لونها وضح
بأربعة عشر سبع من الذهب والماء ملء افواههم سياح
صنعة ملوك الارض ياابن غانم وصاحبها قد ترك الجمع وراح

(قال الراوى) فلما فرغت زعيمة من هذه الابيات فرح الامير دياب فرحا شديدا وقال لها أين يكون هذا الغيط وفي أي بلاد فقالت له غدا صباحا نتوجه وأريك اياه وبقوا يتحدثون عن الغيط الى أن أصبح الصباح فركب الامير دياب فى جماعته والعجوز وجدوا بقطع القفار الى أن وصلوا الى الغيط فانبسط الامير دياب وانشرح لما نظر تلك الغدران التي تدهش البصر وتلك القصور العامرة والاشجار الفاخرة وصار الامير دياب فى غيط البهرجان وغيط سلوان يجتني الثمار ويقطف الازهار وأما العجوز قالت الى الامير دياب أرجوك ان تسمح لى أن أذهب لعند أولادى وآخذهم حتى

من الفوا كه فقال لها افعلي ما بدا لك ولكن لا تطولي علينا غيابك يا أماه فحينئذ أخذت ست العرب من أخر أثمار الغيط وذهبت عند الأمير حسن والأمير أبو زيد وجدت بالمسير وسابقت الطير الذي يطير حتى وصلت اليهم فسلمت عليهم وقبلت بديهم وقدمت لهم الهدية وأشارت ترمي وتصف لهم الغيط والبهرجان وعين سلوان بهذا القصيد وتقول :

تقول عجوز الشوم من آ فارس ... بدمع جرى فوق الخدود وساح
ألا يا صباح الخير يا مير بو على ... يا عزنا يا فارس جحجاح
ألا يا صباح الخير يامير بو زيد ... يا حامي الزينات بحرب كفاح
يا بو على الزغبي دياب ابن غانم ... اليوم في عز وفي أفراح
أعطاه إله العرش عز وهيبة ... وهو صاحب القنديل والمصباح
وأنت سلطان ولا تعرف إيش جري ... دياب تملك يا حسن وارتاح
عنده جنينة يا بو زيد لو رأيتها ... روضة زهية تنعش الأرواح
فيها العنب والجوز يا بو مرعى ... ورمانها وفيها كذا تفاح
وفيها كمثري ونارنج فالح ... وفيها ترنج أصفر وضاح
وفيها برقوق ونبق وبندق ... واللوز هو والتين له سواح
والمشمش الزاهي طلع من غصونه ... وفيها من العناب والتفاح
والموز والقصب العراقي رأيته ... والقسطل الرومي بعطره فاح
وفيها سوسان ونعمان زايد ... وفيها من المشموم والاقاح
والفاغيات وبعثران وسنبل ... والياسمين أبيض له أرواح
وفيها خزامى والبنفسج يشوقنى ... شذاها بريح تنعش الأرواح
وفيها غصون الند والشيح نافع ... لها عند هبات النسيم رياح
وفوق الشجر أطيار لله ذا كره ... تسبح إلهاً واحداً فتاح
وفيها هزارات وفيها جوارج ... وفيها نسورا تنسر الارواح
وفيها الخضاري ثم عصفور بعده ... وفيها ابو فلوح وبو صحصاح
وفيها بلح وفيها شحيطة ... وفيها بواشق تنشق الأرواح
وتحت الشجر طاوس صنعة مبيمن ... والبيض له هلعة بهز جناح
ومن شافها يسمع حنين طيورها ... إذا بان من شرقها وصباح
اذا هبت لسما أعلي غصونها ... يفوح شذاها ينعش الأرواح

تجى الف فدان أنشاها خليفه   وسيجها قبل الممات وراح
وكانت مخيفة عن الناس كلها   أصبحت لكل الناظرين مباح
وفيها من أجلك يامهك مية رتبة   وماهين كرسى مذهبات ملاح
مطعمة بالعاج وفيها معادن   ولولو وجوهر والحرير وشاح
وفيها جواهر مثمنة لو رأيتها   جددت لك بعد الجلوس رواح
وفيها طواو س ذهب صنعه اساس   والماء من أفوامم سواح
وفيها من التفاح والعرق مائس   وأما القرنفل للشتاري راح
وشحرور ومع حسون فوق غصونها   وفاحت خدا قمرى بصوته ناح
وفيها قصور للزناتي خليفة   عليها ياحسن قد زاحت الأرواح
غداً شوفها انت وابو زيد ماكرا   واجلس فيها يا حسن وارتاح
وانظر بما فعل الزناتي خليفه   وصاحبها خلي الجميع وراح

(قال الراوى) فلما فرغت العجوز من كلامها والأمير حسن والأمير أبو زيد يسمعوا نظامها وقع الحسد فى قلوبهم من الأمير دياب ثم أنعموا على العجوز وأصرفوها فى حال سبيلها وقال الأمير حسن والله ياأمير أبو زيد ان الامير دياب حاز أفخر ملك الغرب ومرادنا نركب فى الأبطال ونقصده فى عاجل الحال وننظر هذا الروض وصار حسن يخابر أمراء الغرب على الفتك فى دياب وفى ثانى الأيام جمعوا الفرسان والأبطال وركب هو والامير أبو زيد وما زالوا سائرين الى أن وصلوا الى عند الأمير دياب ودخلوا غيط المهرجان وعين سنوان فلما نظر الأمير حسن وأبو زيد هذا المنظر وعلو القصر وجميع ما ذكرت عنه العجوز تعجبوا غاية العجب ولما علم الامير دياب بحضورهم لاقاهم وقال له الامير أبو زيد يا أمير دياب نحن ماسكين البقرة من ذنبها وأنت تحلبها وقال الامير دياب اذا الله أعطي من يمنع واذا منع من يعطى وقال الامير أبو زيد فان شئت ياأمير دياب تعطى هذا الغيط الى الامير حسن فلم يرض الامير دياب بذلك فغضب الامير أبو زيد من دياب وساق الجمال وهجم على الغيط فهدموا الاسوار وردموا الآبار وكسروا الاشجار ولما نظر الامير دياب هذه الفعال غضب فى الحال وجمع بني زغبى وفى نصف الليل أحضر ثلاثمائة ثعلب وذهنهم بالزفت والكبريت وشعلهم من اذنابهم وأطلقهم بين زرع بني هلال وكان أيام الحصاد فشعل الزرع والتهب فى بعضه البعض فوصل الخبر الى الامير حسن فخرج هو وقومه ليطفو الحريق ولكن كان احترق أكثره

وما بقي الا القليل فغضب الامير حسن وعرف أن هذا الفعل هو فعل الامير دياب فجمع قومه وراح يستشيرهم على حرب الامير دياب فقالوا الجميع الاوفق أن ترسل وراه فان أطاع السلطان بحرم قتاله وان وان أبى نركب جميعنا اليه وفي عاجل الحال ارسل نجاب لكي يستدعي الامير دياب فلما وصل النجاب اليه فأبى ولم يحضر واشار يكتب الي الامير حسن ويقول :

يقول أبو موسي دياب بن غانم	صحيح كلامك يا امير صواب
لكنك قللت حظى وقيمتي	واصبحت في قلة وقول وراب
تاري فكرك ضاع يا امير ابو على	وعقلك ورأيك ما يكون صواب
تبعث لى راعى الجمال يجيبني	كان عقلك من دماغك غاب
تملى بالملك والارض كلها	ولبس القطافى فوقها سجاب
وخربت ارض البهرجان ياحسن	وعقلك خرق ما عاد فيه صوابه
اذا لم تجى الفين والفين مثلها	مشاة وركابه مع الركاب
ما جيت لك ولو كنت من تكن	لا والله مالك الا وطاب

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من الكتاب اعطاه الى النجاب وقال له خذ هذا الكتاب واعطيه الي الامير حسن بن سرحان فأخذه وسار الى ان وصل الي الامير حسن فقراه على روس الامارة والشباب فقالوا له الجميع افعل ما تريد فعند ذلك اشار الامير حسن يحثهم على حرب الامير دياب وقتله ويقول :

يقول الفتى حسن الهلالى ابو على	ولى قلب من جور الزمان ملان
فما قولكم يا قوم فى ولد غانم	دعانا بلا قدر كما النسوان
قتل الي سعدا وخان عهودنا	فلا خير فى للصحاب خوان
فقول ما الرأى يا بو مخيبر	وما العمل يا قاضى العربان
كم مرة نحن غفرنا ذنوبه	الكيل يا قوم بقى ملآن
دياب خريب يا مارة بفعله	عدوانه قد صار ظاهر للعيان
فقوموا و قوا طبول حروبنا	نأخذ بثارات لنا بسنان
ما قال الفتي حسن الهلالى ابو على	وقلبى غدا مهموم من فعل الزمان

(قال الراوى) ولما فرغ الامير حسن من كلامه وبقية الامارة يسمعون نظامه تكلموا كلهم الحق معك دياب غدار وما علاج الغدار الا ضرب البتار كل هذا وابو زيد

ساكت فقال له الامير حسن لماذا يا أبو زيد أنت ساكت فقال أنا لا أرى من الموافق أن تقاتلوا الأمير دياب لأنه منا وفينا ولا أحب أن نفني بعضنا ونحن كل عمرنا عايشين سوا وداثما أنا وهو نتعاون على الخير والشر فاذا حاربته فاما أن أقتله ، واما أن يقتلني ومن قتل منا تخسره بنى هلال وأنا الرأى عندي أن نصلح بينكم ويذهب كل شيء إلى حاله فقال حسن أنا لا بد لى عن قتاله لأنه ما كفاه خرج عن طاعتي ووضع رمحه فوق باب تونس ليمرقنا من تحته لانه استخف بنا جدا وقتل سعدا خطيبة ابني أمامي وهى صارت من حريمنا وقد طمع فينا وأراد أن يأخذها فقال أبو زيد أنا أروح معكم ولكن لا أقاتل بل أصالح ثم انهم جمعوا قومهم وذهبوا إلى قتال الامير دياب فلما وصلوا اليه وعلم بهم خرج بقومه لقتاله فلما التقوا الجيشين برز حسن الى الميدان فبرز اليه الامير دياب فالتقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وغنى فوق روسهم غراب البين . وثار الغبار وسد منافس الاقطار وقدحت حوافر الخيل نار وكلت منهم الزنود وزهقت منهم الكبود وأطلقوا الأعنة ، وقوموا الأسنة وعدت تسمع لهم ضربات مثل مطرقات الحدادين مقدار ساعة من الزمان طلعت من الاثنين ضربتين قاطعتين كان السابق بالضربة الامير دياب وقعت ضربته على ترس الأمير حسن نزلت على جرادة فبرتها كما يبرى الكاتب القلم فوقع الامير حسن إلى الارض وانحطم وصار وجوده كالعدم فأدركه الأمير أبوزيد وخلصه وأما مرعى فانه نظر إلي أبيه قد وقع الى الارض أراد أن يهجم على الامير دياب فزجه الامير دياب بالحربة اجت على لبة فخذه فأرماه إلي لارض ثم ان الامير دياب بعد ذلك ألوى عنان جواده ورجع قاصد بلاده وما أحد تبعه ثم اجتمع بقومه وقال لهم عرفتم ما قد صار بيننا وبين حسن فما الرأي عندكم قال الرأى عندنا أن ترحل وتغيب لك مدة من الزمان الى أن يصلح الحال ويروق البال لانك تعديت على الامير حسن وعلى ابنه مرعى وربما حشد له الامير أبو زيد فتوقع الحروب والاهوال ونفنى بعضنا ونشمت الاعادي فينا فقال لهم دياب انى لا أرحل من هذه البلاد ما لم أقتل حسن ومهما قدر الله يصير فهذا ما كان منه ومما كان من الامير حسن فانه نام من وقعته ووجد ابنه مجروح فحمله مع قومه وأخذوه في ديوانه وصار أبو زيد يلوم الامير حسن ويقول له أنت تعديت على الامير دياب وكنت مريد لقتله وهذا أخونا ومن الموافق أن تصغوا لقولي وترفعوا الخلف من بينكم ثم

ان أبو زيد أصلح بين الامير حسن والامير دياب ولكن بقيت البغضة كامنة في قلوبهم الى يوم من ذات الايام جمع الامير حسن وقومه وسادات عشيرته وقال لهم ان مرادى أزف ابنى مرعى وكان شئ من جرحه على عطر الجيب بنت الاميرأبوزيد فنادوا في جميع العربان ان مدة العرس شهر تمام لاأحد يأكل ولا يشرب الا عند الامير حسن فذبح حسن الذبائح وعمل الولائم ثم استدعى في عشرين فارس من اولاد عمه وقال لهم ان مرادى ارسلكم الى تونس لكى تعزموا لنا الامير دياب ثم استدعي بقلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص واشار يعزم الامير دياب ويقول :

يقول الفتي حسن الهلالى ابو على	ألا يا دياب الخيل يانطاح
ايا دياب الخيل شرف محلنا	شرف محلك واحضر الافراح
واحضر زفاف مرعي فيسر خاطرك	ربى يديمك في هنا وافراح
اذا ماحضرت العرس ياولد غانم	اختك يجيها الهم والاكلاح
واحضر الذى تريده ياامير	مع اخوتك كي تكمل الافراح

(قال الراوى) فلما فرغ الامير حسن من كلامه طوى الكتاب وختمه بختامه وسلمه الى امير من اولاد عمه وقال لهم لاترجعوا الا والامير دياب معكم فأخذوا المكتوب وساروا يقطعوا الروابي والهضاب قاصدين الامير دياب واما ما كان من الامير دياب فانه بتلك المدة حلم حلما هائلا فاستدعي بابن عمه الامير مسلم فلما حضر بين يديه سأله ما الخبر فأشار يعلمه بهذا القصيد :

يقول ابو موسى دياب ابن غانم	الايام ما تبدى بيوم سعيد
رأيت مناما يا أمير مسلم	نكد علينا غاية التنكيد
ورأيت خلخالا على لساق فضة	يدور على الرجلين بالتوكيد
ورأيت جماعة من رجالى عدمتهم	وما شفتهم بالعين ياصنديد
ورأيت أنى في وسط قاعة مربعة	ومصفحة ابوابها بحديد
فسر مناصي ياامير مسلم	واشرح منامي ياامير وفيد

(قال الراوي) فلما فرغ لامير دياب من هذا الكلام وابن عمه مسلم يسمعه على التمام فأشار يخبره ويقول :

يقول الفتى المسمى امير مسلم	وكون لقولي فاهم التحديد
فان طعتني اترك هلال وعامر	تعلا عليهم يا امير وتسيد

فالطوق هذا الذي يدور بعنقك فذاك جنزير ياذياب حديد
واما الاساور بين الزنود المزندة يدوروا على يديك بالتوكيد
والخلخال الذي يدور برجلك هذا قيد ياذياب حديد
واما الرجال الذي تقول رأيتهم أمارة يصيروا فى تراب لحيد
والقاعة حبس الزناتى خليفة تقاسى بها أيام بالتعديد

(قال الراوى) فلما فرغ الامير مسلم من هذا الكلام فاجاب زيان الى عمه الامير دياب وقال لا تفتكر يا عم لان هذه أضغاث أحلام ما هو الا من ثقل الطعام وبعد مدة من الزمان أقبلوا عليه عشرون أمير من عند الامير حسن فدخلوا لعند الامير دياب وسلموا عليه وبلغوه عزيمة الامير حسن وأعطوه الكتاب فلما قراه وعرف رموزه ومعناه انسر وانشرح وسألهم عن صحة الامير حسن والامير أبو زيد وعن اخته النافلة وعن بقية جمع بني هلال فقالوا له الجميع بخير يهدوك السلام والتحية والاكرام وكان الامير دياب سمع بهذا الخبر فما ظن بسوء فقال لهم انى بعد ثلاثة أيام اكون هناك فسلموا على الامير حسن واهدوه مني جزيل السلام ولما تأكدوا مجيئه رجعوا واخبروا الامير حسن فذبح حسن الذبائح وأولم الولائم واجتمعت القبائل عنده وهم فى بسط وانشراح الى أن كان يوم الثالث نظروا الغبار من جهة تونس فارسل حسن من يكشف الخبر فرجعوا وأخبروه ان هذا الامير دياب ومعه الف فارس من بنى زغبي لانجاب نخرج الامير حسن الي ملتقاهم ولما وقعت لعين على العين سلموا على بعضهم البعض وكان الامير دياب شيخ جليل لابس جبة من الحرير الاخضر وشالح على كتفه برنس أحمر وعلى راسه عمامة من البرديل والارجوان ثم دخلوا على صيوان الامير فترحب بهم غاية الترحيب وجلس دياب على كرسي من لعاج كانه الذهب الوهاج برقومه من حواليه ثم امر الامير حسن باحضار القهوة وكاسات الشرا . واحضر مائدة الطعام وفيه مصحوبة بالف فارس ضرغام فلما جلسوا على المائدة وجدو المناسف مغطاة فرفع الأمير ديب لغطى عن المسف وجده فارغ من الطعام وفيه قيودا من حديد فقال الامير ديب [illegible] يحسن وقل له ا[illegible]جب ن تتقيدوا الى السلطان باصابعه و[illegible] [illegible] وعنده وضع الامير دياب لقيد برجله وفعلت باقي الامرة كفعله وبنم كدمه ولا نسفقت فرسان دريد لداخل المكان بيدهم الخناجر ولسيوف [illegible] جرى [illegible] صار دياب

كالملهوف فعندها امر الامير حسن بنصب المشانق والحبال وقال اشنق هؤلاء الرجال . والتفت الى الامير دياب واشار يقول :

الا ما قال من نظمه الدريدى يا امير دياب انست الديارا
دياب الخيل آنست المنازل وظهر النور بعد الاعتكارا
رماكم جهلكم وانتم طغيتم وفى اشرا كناعدتم حيارى
دياب مناع تحسبنى نسيته وقطعت الطرق للناس والتجارا
ابو لفردوس على للمشانق واشنق للرجال مع الامارا
وايا ان عشت لاشنق آل زغبى واقطع للكبار مع الصغارا

(قال الراوي) فلما فرغ الامير حسن من كلامه والامارا تسمع نظامه فذبحوا ستون اميراً على ركبة الامير غانم ودياب والبقية امر بشنقهم اما الامير غانم وولده دياب كادت لتفتر مرارتهم من كثرة الحزن ولكن ما طلع بيدهم شيء بحيث انهم مأسورين وخالين من السلاح فقدم السياق امير من بنى زغبى وكان المقدم عليهم زيان بن الامير زيدان وتقدم الى الامير يترجاه ويقول

يقول الفتى زيان والنار في الحشا ونيران قلبي زايدات اللهايب
الايام والدنيا كفى الله شرها وتأخذ حقوق ما لها من مطالب
فلا تأمن لها فى فعالها تجي لك عجوز شمطا شعر شايب
وكم خزلت امير بعد عزه واصبح انيس القبر تحت الترايب
اسكندر ذى القرنين اين يا حسن وقارون مع هامان راحوا ذهائب
ولوا نحن بعدهم تابعينهم ولا يبقى مخلوق يا ابن الاطايب
ولوا دامت الدنيا ودام نعيمها لكان رسول الله فى الملك راكب
وملوك نحو الهيدبي وغيره ذهب واخوه الجشيمى فى الترائب
وكامل ونوس والدعا مفرج وحنظل ومفرج في العنا والتعائب
قلهم ابو موسى دياب ابن غانم واخذلكم ملكهم والمراتب
وما تفتكر فى مصرها تزحمت بيوم اتى نشابها كالمرايب
رأيناك يا حسن انا الاتى نهارها يا ابو على الله على كل غائب
نسيتم جمايلنا يا امير ابو على وعادوا حزانا مالهم من يطالب
ستون من زغبي يا امير قتلتهم ولا تعلم على الباغى تدور النوائب

فتقدمت إلى زيان أمه تقول له … يا ولدي والقلب فيه لهايب
فلا تبكي أسفا على ما أصابك … فذا الدهر غدراته تحاكي السحايب
تصبر لحكم الله والصبر نافع … ومن يصبر للحكم نال المكاسب
بكت أم زيان الامير وعددت … حزنت لها العربان من كل جانب
وقالت أيا زيان يا ذل أمك … حزينة من بعدك لها شعر شايب
غريبة كئيبة عير الدهر حالتي … ولا لي بعدك حاجة من العرايب
أيا ولدي لا أوحش الله منك … أيا من عليك لقلب مقطوع ذايب
بالله بالله يا هلالي ابو علي … تشفق على الحرمة من ذي التعائب

(قال لراوي) فلما فرغت أم زيان من كلامها فعندها صرخ الامير حسن اشنق فعندها شنق الامارا ابو الفردوس فقاموا عليهم نسائهم الصياح والبكا والنواح حتي ارتجت من صريخهم تلك الروابي والبطاح وبينما هم في تلك الاحوال دخل القاضي سرور إلى الديوان فأول ما رأته أخته بزلا فسلمت عليه وأشارت تقول

تقول بزلا عند ما شطها النيا … يا أمير عزي ثم سعدي راح
أبات طول الليل قلبي حزينة … ودمعي يجرى مثل سيل ساح
فأول حزني فقد بدر بن غانم … غدره خليفة الفارس الجحجاح
ويا ما فعل فيكم الزناتي خليفة … وعاند عليه الواحد الفتاح
طعنه دياب الخيل في وسط عينه … وعاد فيكم بعد التعب مرتاح
وملككم عين الخطيرة وتونس … وقابس ومغرواه وكل بطاح
اذ مرت أمارتكم وفرحت جيادكم … وقد زاد بكم لا اس ولا افراح
وكله بسعد الامير بن عمكم … فبدوم زغبي كلها ورباح
يجازيه حسن بالعيب يا ابن فايد … يشنق [illegible] خيرين ملاح
وهؤلاء أولادي معلقين على كر … وحل [illegible] [illegible]
شنق الفتي زيان وهدار يا [illegible] … تشفع [illegible] [illegible]
نأويهم بالمحود يا ابن فايد … وأجرك على رب كريم [illegible]

فلما سمع مسرور كلام عمته اغتاظ ودخل عند الامير حسن و[illegible]

بتنزيل القتلى عن المشانق فأمر الامير حسن بتنزيل المشنوقين فأنزلوهم وأخذوهم بنى زغبي وواروهم فى التراب وبعد ذلك صاح حسن على ابو الفردوش اشنق دياب

فقال له القاضي شفاعة فى دياب فقال الامير حسن ما فى شفاعه يا قوم لانه حرق الزرع وقتل سعدا وقطع الطرقات ومشي فى أمور ما أحد مشاها واشار يقول :

يقول ابن سرحان الدريدى ابو علي وجرح النيا نغص علينا خاطر
كم اسامح لك يا دياب ابن غانم وانت علينا موحش العقل ظافر
بذا الامر جازيتك وأنا قاهر العدا شنقت إخوانك بعينك ناظر
ألا يا سرور اصغي لقولي وقصتي نحتار فيها كاتبين الدفاتر
أنا لي ثلاث دعوات وثلاث مثلها حل الوفا وأنا على الحق صابر
أول دعوة خان أخوى ابن والدي قتله وسكنه لحود المقابر
سامحنا وصبرنا وصفيت قلوبنا على ما جرى فينا ونحن نكابر
وثاني دعوة بأرض نجد دهيتنا بحرق الحديقة صرت خوان فاجر
حرقت جميع أشجارها بعد ظلمها وأهلكت طيرا كان لله ذاكر
وثالث دعوة أرديت مناع بالقنا . مناع مناع العدا بالبواتر
ومن قتل مناع ما ارتاح خاطرى لانه ربيع الليل والضيف عاكر
وجبت لنا شكر الشريف بعزوته راكبين من فوق خيل ضوامر
قبلنا سياقك يا دياب ابن غانم ولا خير فى الاجواد إذ لم تكابر
ورابع دعوة نصبت رمحك بلا خفا على قصر أبو سعدا تنهى وتأمر
وخامس دعوة هنت سعدا خسيبتى برأيك أيا مجنون هنت الاكابر
وقتلتها من بعد عز على نبي ومن أجلها أصبح القلب فاطر
وسادس دعوة قد تعديت يا دوى وعليك شهود من هلال وعامر
أيا قاضى العربان احكم و قول لي بحكم الشريعة لا تكون قط جائر

(قال الراوي) فلما فرغ حسن من كلامه قال القاضي لدياب أنت قتلت اخوته وحرقت الزرع وقتلت سعد ابنة الزناتي خليفة ونصبت الرمح فقال له دياب نعم

قال القاضي الله يلقيك يا دياب أنا ما قلت لك لا تغير على أحد فقال دياب انالي ثمان دعوات واشار يقول :

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم ولي عزم امضى من حسام البواتر
امراء نجد ذليتهم من بعد عزمهم وادعيتهم تحت الأراضي دوامر
وكان يجي لك باهلالي كتابهم تحت الجزية وانت مغلوب صابر
بيدي قتلت الهيدبي بن زايد والآن عليهم باغيا ثم ظاهر
دعواتك سبعة أنا لي ثمانية شرحت منها واحدة من الضماير
وثاني دعوة قتلت العقيلي حنظل ووليت منه ياحسن وأنت حاير
وفي حلب الشهبا نصبتكم خيامكم وجاكم خزاعي فوق عربيد صامر
واردي أبو زيد بن رزق سلامه وخلصته والسوق مسود عاكر
وها ثالث الدعوات يا مير بو علي والله عالم في جميع السراير
ويوم مصر حميت قيس جميعهم وتشهد بها ساير هلال وعامر
في يوم قتل خمسة وخمسين فارس وأفني فوارسكم بضرب الشواكر
ورابع دعوة يا أمير أبو علي قتلت الفتى فرمند والحق ظاهر
وخامس دعوة يا أمير أبو علي سلمتوني البوش برسم الدفاتر
أتى أبو خريبة معتدي يابو علي وأرديته لما أتى على البوش غاير
وأكلوه سباع البر يامير أبو علي ومن مالكم غاب ولا ورد ناظر
وسادس دعوة دلكم مع خليفة وأنتم معه كالغنم في المجاوز
ركبت وجيته فوق خضرة مبرشمة وجاني على أشهب أقب الخواقر
ضربته بحربة سلم الله مقاتل ومن حربتي قد صار أعمى النواظر
وسابع دعوة قالت حظي وقيمتي وغارت على مالي دريد وعامر
وثامن دعوة يا ابن سرحان هتنتي أخذتم عيطى كان دمي وزاهر
فهذا مقدر يا أمير أبو علي ومن لا يموت اليوم يموت باكر

فلما فرغ الامير دياب من كلامه والامارة يسمعوا كلامه [illegible] الى [illegible] عماذا أصدر الحكم على دياب وقال ان الشريعة تحكم على دياب حسن [illegible] فلما سمع حسن ذلك الكلام استدعى بر حزاج السجن وقال له [illegible] السجن وأشار يقول :

يقول الفتى حسن الدريدي أبو علي ولي عزم امضى من [illegible]

تسلم يا سجان دياب بن غانم   وثقل قيود فى مسا وصباح
وسير به للسجن فى ألف فارس   من كل ليث فارس جحجاح
ومن جاه كم يجاق دياب بن غانم   بطعن العوالى أوثقوه جراح
ومن كان عنيد من هلال وعامر   قطعت أخلاعه بحد صفاح
واجعله فى السجن يبقى مثاله   أنا شيخ عامر ماعلى جناح
إن عانى ربى وقتلت بن غانم   لأفني أكابر بضرب جسام

(قال الراوى) فلما فرغ الامير حسن من هذه الابيات سار الزحزاح بدياب إلى السجن ووضع قيود الحديد فى رجليه وعنقه .

(قال الراوي) ولما وصل الخبر إلى الامير أبو زيد أتى من الاندلس الى عند الامير حسن فسلم عليه وترحب به غاية الترحيب ثم سأله أبو زيد ما فعل فأخبره واغتاظ منه وأشار يقول وعمر السامعين يطول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامى   نيران قلبي زايدات ضرام
يا بو على اسمع كلامى وافتهم   واصغى الى قولي وكون فهام
عملت فى قومك عمايل شنيعة   ما كان لازم هذه الفعال تمام
طغيت فى حكمك ياأمير أبو على   الظلم يدعى للقصور هدام
الله تعالي أوصى بالعدل ياحسن   يوما به قد تظهر الآثام
وينصب الميزان عن كل فعله   ملهجا يجازى بالمليح قوام
ومن كان فعله بالقبيح فانه   يجازي بنار زايدات ضرام
ما كان واجب شنق الدين شنقتهم   هؤلاء قرايبنا بنى الاعمام
أخطى دياب الخيل قاصصت غيره   فهذه فعال يا أمير حرام
صار الذى قد صار ما فيه فائدة   وأمر إلهى نافذ الاحكام
قيموا عزاهم يا أمارا جميعكم   فهم مثلكم فى رفعة ومقام
ولا تنسوا فعائلهم وطيب جميلهم   ومن يذكر المعروف ليس يضام
ما قال أبو زيد الهلالي سلامه   حرام على عيني المنام حرام

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه قال له الامير حسن ماعملت مع دياب فى الذى ما يستحقه إن كنت قتلت أولاد عمه واخوته فهو قتل أخى خضيبة بنى وجرح ولدى مرعى وقد جرح قلبي عليها فقابلته بمثل ما قابلني وجرحت قلبه عليهم

ثم ان الامير حسن بعث الف فارس إلى تونس وأمرهم أن يحضروا له خزانة تونس سلاح الامير دياب وأثاث بيته وكل ما قصر الزناتي يحضروه فحالا ذهبوا الى تونس وأحضروا ما أمرهم به الامير حسن وأما ما كان من الأمير دياب لما مضي عليه سنة من الزمان يقاسي الذل والهوان وافتكر في ايام عزه وخطر عليه اولاد عمه وتذكر الشهبا ابنة الخضرا فاستدعى الزحزاح وقال له اتيني في قلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص فاحضر الزحزاح ما امره به دياب فاخذ الامير دياب يكتب كتابا الى والده الامير غانم ويقول وعمر السامعين يطول :

يقول ابو موسي دياب بن غانم … ونيران قلبي زايدات شرار
على اولاد عمي احرقوني بنارهم … فيا حيف اعمار الجياد قصار
اتوني للسجن يريدوا مذلتي … بخمسة قيود ما كنات كبار
كذبوا وذلوا يا امير بقولهم … ولو كنت ملقي في حرايق نار
انا ابوك موسي صنديد من حديد … اذا ضرب الصوان يقدح نار
تسلم ايا زحزاح مني رسالتي … الي عند زغبي سادة الاقطار
وقول لهم قال الامير ابن غانم … كلام وفي عنقه حديد قنطار
يا اولاد زغبي لا توطوا نفوسكم … ولا تبطلوا بين الاعادي نار
ولا تبطلوا الافراح في النجع دايم … تشمت بكم الاعدا بوسط الدار
واوصيك ياغانم وصية وحوزها … انا انبيك يا والدي وكد الاخبار
واوصيك على الشهبا حقيق ركوبي … تكرمها بالنجع بين ونهار
وانصب لها خيمة تقيها من الشتا … ورتب له [illegible] من [illegible]
ان عشت ما اترك اثارك على المدا … وان مت [illegible] على [illegible]
عليك سلام الله يانعم ولدي … في كل [illegible] على [illegible]

(قال الراوي) فلما فرغ الامير دياب من كتابه [illegible] وختمه بختمه و[illegible] الزحزاح فاخذه وسار [illegible] غانم و[illegible] الكتاب [illegible] [illegible] معناه فاستدعى بقلم وقرطاس و[illegible] يقول

يقول الفتى غانم بعين وجيعه … [illegible]
تصبر يا زغبي على الهم و[illegible] … [illegible]
وان لم تصبر يا دياب ابن عمي … [illegible]
[illegible]

قدامهم يوم طويل وشدة   وحرب طويل بحره عجاج

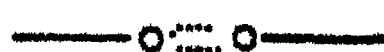
(قال الراوى) فلما فرغ الامير غانم من الشعر طوى الكتاب واعطاه للزحزاح واوصاه ان يكتم سره واعطاه خمسمائة دينار وايضا خمسمائة لولده الامير دياب فاخذه وسار الى ان وصل الى الامير دياب واعطاه الامانة والكتاب ففضه وقرأه وعرف رموزه ومعناه، وقد انترك الامير دياب من الجميع وما عاد يفتكر فية لا شريف ولا وضيع غير اهله والخلان وابوه غانم ليث الميدان هذا ما كان من هؤلاء واسمع ماجرى للامير ابو زيد والامير حسن فانه قد طابت لهم الاحكام وراق لديهم الزمان ونسيتهم صروف الحدثان

(انتهى الجزء الثامن عشر ويليه الجزء التاسع عشر)

الجزء التاسع عشر من

تغريبة بني هلال الكبرى

الشامية الأصلية



٢

دايون اليتامى

قصة عزيز القوم بن اخت الأمير ابو زيد ورجوع عليا مع ابو زيد من نجد العدية الى بلاد الغرب وخروج دياب من السجن وقتل الامير حسن من الأمير دياب

تقدم فى الجزء الأول من قصة اليتامى أن الأمير حسن سجن الأمير دياب وقد طابت له الاحكام وراق له الزمان .

(قال الراوى) ففي ذات يوم من الايام بينما كانو مجتمعين الامير حسن والأمير أبو زيد فى الديوان ومن حولهم السادات والاعيان وأمامهم الابطال والفرسان والا دخل نجاب وبيده كتاب فسأل عن الامير أبو زيد فأهدوه عليه فتقدم وتمثل بين يديه فساله ابو زيد من أين يا وجه لعرب فقال له من نجد من عند الست عليا بنت الامير حسن اجعبرى أم شيبان وهي تهديك السلام والتحية والاكرام ومن حين فراقك هى تطلبك الامراء ولاعيان ولسادات والفرسان والآن مدورين عرسها على الامير نوفل فارس الميدان وقد قامت الافراح فى الحى من كل مكان وعليا غير راضية بهذا الشان غير ان نوفل كتب كتاب عن لسانك أنك ما عدت بعيد مارب ولا عدت ترجع من ارض المغارب فزوجها لمن تريد وعندما بلغ عليا هذا الخبر تنغص عيشها وتمرمرت آخر الكلام أخرج الكتاب وباسه وأعطاه إلى ابو زيد ففضه وقراه ولما وقف على معناه رغرغت عيناه بالدموع

فلما نظر ذلك الامير حسن وبقية السادات صاحوا وماجوا وقالوا ماجرى عليك يا بو زيد وما هذا الكتاب فاننا صرنا باندهال عظيم فبالله عليك تطلعنا على حواد بلك منا ما تتمناه فحينئذ ناول الكتاب الى ابن اخته عزيز القوم لأنه كان بجانبه فأخذ يقرأ كتاب عليا على رؤوس الامراء والشباب ويقول

تقول فتاة الحى عليا التى شكت ... ونيران قلبي زايدات الشعايل
وعيني تبات الليل ماتألف الكرى ... أنوح كما ناحت طيور البابل
أقول وفي قلبي من البين لوعة ... من اجل ابو زيد اللطيف الشمائل
ابو زيد عمرى ما نظرت لغيره ... وحبه غدا جوا فؤادى ملايل
وحب أولادي احرق القلب والحشا ... وما عاد لي حيل يطيق المحائل
يا غاديا منى على متن ضامر ... تطوى الفيافى برها والسهائل
تهدى هداك الله خذ لي رسالتى ... إلى تونس الخضرا وتلك الطلائل
واوصل سلامي للامير سلامه ... وقبــل لراسه وحب الأنامل
واقريه منى الف الف تحية ... وسلم على اولادى ظراف الشمائل
وسلم على شيبان ابني وقل له ... سلامي وقبل وجهه والجدائل
وسلم على زايد وزيدان واخته ... تسمى جمال الظعن ام الجمايل
ابو زيد مالك قد هجرت بلادنا ... وكنت بها رغبان يا ابن الاصايل
ابو زيد فى علمى بانك تزورنى ... وترجع لعندى ياظريف الشمائل
اربع ســنين ما اتى منك خبر ... ولا بان منك يا ســلامه رسائل
ابو زيد قلبك عن هواك تغير ... وملت الي غيرى رضيت البدائل
ابو زيد لا تلهيك حسنا وغيرها ... ولا بنت القاضى ولا بنت نائل
هؤلاء بنات هلال ما فى مثالهم ... بنات الامارا من فروع اصايل
ابو زيد للمودة شروط كثير ... وحفظت عهودك من زمان الاوائل
فما تذكر يوماً أتيت لحينا ... واعطيتك الحيصا بلبس الكمايل
وسميت بها العريان يا امير كلهم ... وذكر الفرس قد شاع بين القبائل
ابو زيد ما تذكر ليالى التى مضت ... ونحن بارغد عيش والعز طائل
ابو زيد جانى نوفل مع معيقل ... وجانى جباره والفتى ابن كامل
اتوا يخطبونى يا امير منعتهم ... رديتهم عنى وزدت الهوائل
ولا طابوا في عينى ولا ردت قربهم ... ولا يرتضي الانذال بعد الاصائل

ابو زيد انهض يا امير بلا بطا واسرع الي عندي واخلي المنازل
ابو زيد جد السير يا غاية المني وارحم فتاة قلبها فيك مايل
وان كان تأتي فاذهب بغيبتك واقطع عنك يا امير الرسائل
تقول عليا من فؤاد موجع فارقت اولادي وناري شعايل

(قال الراوى) فلما فرغ عزيز القوم من قراءة تلك الابيات وسمعتها جميع الامراء والسادات فقال الامير حسن والله يا امير ابو زيد ان الحق مع عليا لأنك قطعت عنها المخابرات وقد احترمت رؤية اولادها وانت ما عدت ذكرتها من اليوم الذى تخاصمت هي والجازية ورجعت من مصر مع أبيها حسين الجعبري الي نجد وليست هذه افعال الامراء الكرام فاجابه ابو زيد هذا هو الحق والصواب ثم التفت الى العبد الذى احضر المكتوب من عند عليا واشار يترحب به ويقول له

يقول ابو زيد الهلالى سلامه يا مرحبا فى من اتانا قريب
وسريت مني القلب واللب والحشا واطفيت من قلبي لظي ولهيب
فكيف حال عليا التى تركتها دامت على عهد القديم تجيب
وهل حافظة العهد الذي مضى وتلك المحبة فالزمان عجيب
فعليا منى قلبي ولبي ومهجتى وان شافها قلب المريض يطيب
ولا بد ما اذهب اليها وجيبها واقتل لراغبها براس قضيب
ومن ذا الذى يذكر لعليا بغيبتي ويخش حماها او يكون خضيب
ما دام شاشتي يهب بها الهوى لأرميه بسهم والحسام يصيب
واولادها عندي اسود كواسر يخضوا غبار الحرب يوم صعيب
انا ابو شيبان انا قاهر العدا فاني بيوم الكائنات مريب
فاقعد عندى ثلاثين يوما يا فتى الى ان تروح تحج للتعريب
واعطيك مني كتاب لعليا سلام محب من فؤاد حبيب
وأنا بعدك اغدى اليها بعزوتى واجيهم من فوق ظهر نجيب
واجمع بها شملي وشمل ولادها وكل الامور عند الاله تصيب
يقول ابو زيد الهلالى سلامه ونيران قلبي زيدت لهيب

(قال الراوى) فلما فرغ ابو زيد من كلامه والاولاد والامرا يسمعون نظامه نهضوا وسلموا على العبد وسألوه عن والدتهم وعن صحتها فقال لهم الحمد لله بكل خير وهي تقبل وجناتكم و[illegible]

بعضا يفوه لمدة الثـــلاثين يوم فعندها تحرك حج الغرب للزيارة فنهض العبد لعند الامير ابو زيد وأخبره بالمسير إلى بلاد نجد صحبة الحجاج فاعطاه ابو زيد معطية وثلاثمائة دينار ثم استدعى بقلم وقرطاس وأشار يخبر عليا ويقول

يقول أبو زيد الهلالى ســلامه	وطير النيا حكم بقلبي مخالبه
من البعد والفرقا يا ما صابنا	وكنت حال شخص فارقوه حبايبه
أيا غاديا منى على متن ضامر	تجد الثرى فى البر تجرى ركائبه
إذا جيت إلى نجد العدية وأرضها	فسلم على عليا وباقي قرايبه
وقول لها يا منية القلب والحشا	شخصك مصور في فؤادي تصائبه
ولا عاقني إلا خليفة وحربه	سقيناه كاس الموت مره مشاربة
قتله أبو موسي دياب بن غانم	وأدعى دماه على الاراضي سكائبه
أخذنا بلاده والقصور جميعها	وأمواله تلفت وذهبت ذهائبه
وأميرنا حسن الهلالى ابو علي	بكل بلاد الغرب حلة ركايبه
كتبت علي صدرى مسائل كثيرة	خيام وسلطان وقاضي ونايبه
ولا بد من قاضي يشرع الحكم بيننا	ويبان للمغلوب من كان غالبه
تعذبني بالبعد والبعد خيبة	إذا طال عمر المرء تكثر متاعبه
ما قال ابو زيد الهلالي ســلامه	وأنا عبد يحفظ على البعد صاحبه

(قا . الراوى) فلما فرغ أبو زيد من انشاده طوي الكتاب وختمه بختامه وأيضا شيبان واخوته كتبوا مكاتيب إلى عليا والدتهم وأعطوهم إلى النجاب وساروا معه سفر يومين إلي أن وصل من الحج للقدس الشريف ومن هناك الى مكة والبيت الحرام وبعدها فتركهم وسار يقطع الروابي والتلال الى أن وصل لنجد ودخل على عليا فترحبت به وسألته عن أبو زيد وعن أولادها فأجابها بكل خير وناولها الكتاب فلما قرأت كتب أولادها نزلت دموعها وطلبت من الرحمن أن يفرج همومها

هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير ابو زيد فانه من بعد ذهاب العبد زادت بلابله وأشواقه لمشاهدة عليا ودام على هذا الحال شهر كامل وفى اليوم الحادى والثلاثون طلب البعض من جنوده وأصحابه ليرافقوه لبلاد نجد فابوا وقلوا نحن ما صدقنا

وصلنا للغرب واسترحنا من الطعن والضرب فحينئذ أنشد أبو زيد يحثي قومه على المسير معه ويقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه   ودموع عيني زايدات الهاطل
ونيران قلبي كلما أقول تنطفي   يزيد لها بين ضلوعي شعائل
أيا من يسعفني ويا من يعيفني   ويامن يرد الحمل إذا كان مايل
ويعمل جميلا مع الهلالي سلامه   ويامن يرافقني لتلك الطلايل
حتى نجيب عليا فهي غاية المنى   وهي نور عيني كبارا القبائل
فلا يلتقي فيكم أميراً ماجدا   خنتوا عهودي يا جميع الكبايل
عند ارضا تبقون الكل عزوتي   وعند الشدايد ما يلتقي لي معادل
ولا بد ما أذهب إلي نجد وأرضها   ونجيب عليا من بين تلك القبائل

(قال الراوي) فلما فرغ أبو زيد من كلامه فما أحد من الامارة أجابه على نظامه فاغتاظ الامير أبو زيد وطار من عينيه الشرر فحينئذ قام الأمير عزيز القوم فارس الفرسان وحامي الميدان الذى شهدت له الاقران بالحرب فى بطايق الجولان وهو ابن خالد بن شيحا أخت الامير أبو زيد وأبوه قتل فى مصر بتغريبة بني هلال بوقعة الملك فرمند وربي عند أمه يتيم فى حمى أبو زيد الكريم الى أن اشتدت أوصاله وراقت أحواله فصار فرساً عظيما وشيطانا رجيما هابته الفرسان في الحرب والطعان وكان ابن سبعة عشر عام أمرد لا نبات بعارضيه وكان يوضع برقع علي وجهه خوفا من النساء تضرح من حسنه فتقدم إلي أبو زيد وقال له يا خال أنا رفيقك لنجد ثم بعد هذا الكلام أنشد يقول

يقول الفتى عزيز عما جرى له   اسمع كلامي يا أمير أبو زيد
أنا رفيقك يا سلامه بلا خفا   الى أرض نجد ردا وصعيد
ونقصد الى عليا حقيق نجيبها   ويرتاح [illegible] يا أمير أكيد
وتبلغ مرامك يا سلامه وغايتك   ويكثر خيرك يا أمير ويزيد
وأنت تعرفني فى حومة [illegible]   الأنف والأذين وحدى بكيد
وتعرفني حمية هلال وعمر   ويشهد بفعلي كل قرم [illegible]

(قال الراوي) فلما فرغ عزيز من كلامه والامراء [illegible] يسمعون [illegible] فرح نجي الأمير يونس وقال [illegible] أنا [illegible] سفرة [illegible] واستبشر وأيقن ببلوغ الوطر وفى ثاني الأيام [illegible] في [illegible]

والآكام مسافة تسعون يوما وفي اليوم الواحد والتسعون وصلوا لصحراء وأرض قفرا خالية من الماء فحرقهم الظماء من شدة الحر في ذلك البر ففي اليوم الثاني نظروا عن بعد بئر ماء له علامة بتلك البيد فقصده يونس فوجد دلو وحبل على جانب البير وأراد صعوده فانقطع بوسط البير فهم عزيز القوم بالنزول فمنعه الامير أبو زيد وقال له هذا بير مملي من الحشرات المسمة فدعونا نسير إلى أن يفرجها الله تعالى فقال الأمير يونس وحياة راسكم ياأمارة لابدلي من النزول الى البئر لانى صرت على التلف من كثرة العطش فقال أبو زيد الروح ما هي حشيشة حتى ينبت موضعها والأفاعي لايعرفوا لا أمير ولا سلطان فقال يونس دعك من هذا الكلام ما أحد ينزل غيري ولو سقيت كاس الحمام فقال له أبو زيد افعل مرادك فحينئذ أخذ الحبل ونزل الى البيرفلأجل نفوذ القضاء والقدر فشرب وأملي الدلو وهم بالصعود فخرج عليه من جانب البير ثعبان أزرق اللون شنيع المنظر وضربه بفخذه فلما استحس يونس بضربة الثعبان غاب عن الوجود وزعق صوت ارتج منه ذلك المكان فغاب الثعبان عن عيونه وكان أبو زيد واقف على جانب البير فقال له ما بالك يا أمير يونس وما جرى عليك فقال له لدغني ثعبان في هذا المكان فحينئذ نهض لخارج البير وحس أن قلبه قد احترق بنار السعير وشكا حاله لابو زيد وعزيز فنزلت دموعهم حرقة عليه وحينئذ أشار يوصى أبو زيد ويقول :

قال الفتي يونس على ما جرى له	بدمع جرى من مقلة العين عايم
بكيت على عزى وجاهي وهيبتي	تذكرت أيام مضوا من قدايم
ركبنا وجدينا المسير على عجل	لنجد العدية طالبين الغنايم
وكان سيرنا بالبر تسعين ليلة	الي أن وصلنا لنجد وقت الظلايم
وصلنا الي بير عتيق معتم	كبير وفيه الماء زايد وعايم
أتى عزيز ينزل البير عاجل	منعه أبو زيد كثير الفهايم
حلفت أن أنزل الى البير قال لى	أبو زيد ارجع أو تقع بالندايم
منعني وأنا خونته في كلامه	جازيت بفعلي والجزا لى ملايم
نزلت وأنا ضمآن والحر كادني	شربت وأرويت الحشا والزلاعم
مليت الدلو وأنا سليم من المنيا	وهميت أن أطلع لعند اللزايم
والا بثعبان أتاني على عجل	ضربني بنابه ثم أرمي السمايم

ضربني بفخذى ثم أرخى مفاصلي وقد غاب مني العقل والذهن عادم
أيا عم هذا اليوم آخر كلامنا وآخر عهدي اليك يا بن الاكارم
ترى الموت كاسا لا غني شرابه ولو عاش مهما عاش ذاق الحمايم
ولو عاش عمر النسر يا عم بالفلا الفين عام يموت والله عالم
يا عم خالفتك وجري ما جرى وقد كنت لنفسي يا أمير ظالم
يا أمير البدو دانت منيتي وأنا عدت ضيفك يا وقى الرمايم
ياعم احفر لقولي ووسعه لعله ابقى قاضي المخارم
أبو زيد اقرى السلام لأهلنا وقول لهم يونس قد عاد نايم
واقرى سلامي لأمي الحزينة وقل لها سلام ومن بعد السلام علايم
وقول لهم يونس توفى وقد غدى رهين ومدعي تحت الردايم
مقال الفتى يونس على ما جري له أبو زيد ما عدنا نرد السلايم

(قال الراوى) فلما فرغ يونس من كلامه والامارة يسمعون نظامه بكوا بكاء شديد فنظر كالمودع وزغرغت عيناه بالدموع وشهق شهقة وأسلم الروح فشقت الأمارة ثيابهم وزادوا فى بكائهم وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه وقبروه وعقروا ناقة على قبره ثم صاروا حتى وصلوا لنجد عند المسا ودخلوا الحي الامير حسن الجعبري فوجدوا فيه نفخ الزمور ودق الطبول والحي يموج ويموج مثل أيام يأجوج ومأجوج فلبثوا متعجبين والا مرت أمامهم عجوز شمطاء لابسة حلة بيضاء فحياها أبو زيد بالسلام فردت عليه سلامه وبالغت في اكرامه فقال لها ابو زيد ابوجد عندك محل للمنام يا نخبة العرب الكرام فقالت له اهلا وسهلا بكم يا شعراء العرب وسارت بهم الى منزلها . وبعد ان جلسوا واخذوا لانفسهم الراحة فقال لها ابوزيد مالى ارى الحي بفرح وسرور وبهجة وحبور فقالت له اعلم ياوجه العرب انهذا عرس كريم وزفاف عظيم وهو عرس الامير نوفل فارس الجحفل على الست عليا ابنة الامير حسين الجعبرى المشهور وكانت سابقا زوجة الأمير ابو زيد فارس زحلان ودريد وكان ولدى راعى لابله والآن متحرقين لمشاهدته من حيث انه ترك نجد وسكن بلاد الغرب ولا عاد له بعليا مآرب . ولو كان يصل خبر زفاف عليا اليه لكان يحضر ويأخذ روح نوفل من بين جنبيه فقال لها ابو زيد هل عندك ستر موضع فقالت له بير عميق ماله قرار وصندوق مقفول ضايع مفتاحه خرج فقال لها ... ابو زيد وانا امها

بجلية الخبر فلما سمعت ذلك الكلام قالت له أهلا وسهلا بعزنا وحامينا لكن كم محوق يعليا من الفرح لو بلغها خبر قدومك بالسلامة فقال لها أبو زيد وكيف نقدر بالوصول اليها وهي بين تلك الجمهور الغفير فاجابته عند المساء نلبس عزيز هدوم ابنتي مايسة ونأخذه لعند عليا وعندما يفرغ المنزل من الجميع نلبس عزيز ملبوس ونجلسه عروس مكانها وأحضر أنا وعليا لهنا ولا يعلم بنا أحد فاستصوب أبو زيد هذا الرأى وعند ما أظلم الظلام قامت ولبست عزيز هدوم ابنتها وأخذته برفقتها إلى أن دخلوا لمنزل عليا فترحبت بهم وبالغت في إكرامهم وعندما انصرف الجمع تقدمت العجوز لعليا وبشرتها بقدوم أبو زيد وهذا عزيز القوم فلما نظرت إلى عزيز وحققت الخبر تقدمت وسلمت عليه وحبت يديه فقالت لها الآن ليس وقت سلام بل المراد منك أن تنزعي ثيابك وتلبسيهم إلى عزيز القوم لانه نظيرك بالحسن والجمال والقد والاعتدال وهو يليق أن يكون مكانك ثم نذهب أنا وانت لعند الامير أبو زيد لأنه بانتظارنا ففي الحال نزعت ثيابها ومشت العجوز أمامها وساروا لعند الأمير أبو زيد فلما رآهم أبو زيد مقبلين ونظر عليا لم يعد يملك روحه من السرور فخرج لملاقاتهم وقبلهـا ما بين الأعيان وأخـذها ملو الاحضان وتشاكيا من الفراق وشكرا الله على التلاق هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من عزيز القوم فانه بعد ذهابهم أخذ يستنظر قدوم العريس وبينما هو بهذه الأفكار وإلا دخل الأمير نوفل فقام ولاقاه وجلس بجانبه فمد يده اليها فنترت منه وقالت له ليس هذه أفعال العرب يا قليل الادب فقال لها ماهو السبب حتي تباديني بهذا الكلام يانخبة العرب الكرام وقالت له اعلم أن العروس لها على العريس نقوط وأنا يوم الذى أخذني أبو زيد أعطاني الف دينار وأنت تكون أمير وابن أمير وياحيف أبخل من طنجير فلما سمع منها هذا الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام وقفز واقف على الأقدام وأراد أن يضربها بالحسام فقامت العروس ومسكت نوفل ورفعته على زندها وضربت به لأرض كانت تدخل طوله بالعرض وأوثقته بالحبال وربطتـه بالعامود يقضي الوبال وهو يذوق لعذاب الأليم إلي أن أصبح الصباح العليم فاطلقت سبيله ودام على هذا الحال يأتي بالظلام طمعا بالوصال ولا أطلع أحد على أمره الى اليوم الرابع بينما هو خارج من الدار فالتقي بعمه الحداد وكان رجلا اختيار عليه سيمة الوقار فحياه بالسلام فرد عليه سلامه وبالغ في اكرامه وقال مبارك يا عريس ان شاء الله تكون ... ت ببغيتك وقهرت مبغضك وأعداك فتنهد

توفل من فؤاد حزين وصاح يا جواد يا كريم فصاح به عمه وقال قول لى من أتاك ومن بشره دهاك فقول لى ولا تفزع واياك أن تجزع فقال لداعلم ياعم ومن كاشف الهم والغم أن كل يوم أذهب الى العروس ابنة الحرام طمعا ببلوغ المرام فتوثقني بالحبال والقيود وتربطني على العامود وها قد أطلعت سرى عليك وأركنت أمرى اليك فأجابه الشيخ يا عريس هل من يقدر عليك بالقوة وأفتى منك بالفتوة فقال له أيها السيد الجليل انه لا يوجد أحد يقدر ان يكتفني الا عزيز القوم وهو الآن فى بلاد المغارب فهل ان يمكن ان يأتى به لهذه الاجانب ولا سيما يقاسون الأهوال والمتاعب فأجابه الشيخ ايها الامير ان اردت تكشف عنك الغم وتزيل عنك الهم اصنع لك شيشين احدهما من دم والآخر من سم فحينما تذهب وتطلب منها الوصال وتريد ان تكتفك بالحبال فاضربها بشيش الدم فان كانت انثي تذل وتنغم واذا كانت ذكر يهوش ويتقدم فاذا رأيتها بادرة اليك اضربها بشيش السم فيد ، ويوقع بالندم ، فاربطه بالعامود وقيده بالسلاسل والقيود فحينئذ شكره العريس على هذا العمل وايقن ببلوغ الامل فذهب للبيت ومعه الشيشين المعهودين فلما نظرته العروس فقالت له هل احضرت الفلوس ، فقال ما عندنا مال يا ابنة الانذال وعندما تقدمت اليه لتكتفه فضربها بشيش الدم فهاجت فلما نظرها بهذا الحال اتى عليها بشيش السم فحينئذ تقدمت اليه وربطته من حلاوة الروح وحينئذ غير عزيز ملبوسه وتركه بحاله وذهب لعند ابو زيد و بتدي يخبره بهذا القصيد ويقول :

يقول الفتى المدعو عزيز بما جرى	ودموع عيني زايدات السكايب
ونيران قلبي كلما اقول تنطفي	يزيد لها جوا ضلوعى لهيب
من الغرب قد جينا حقيقا بلا خفا	لنجد العدية طالبين المكاسب
فقدنا الفتي يونس وكان رفيقنا	ومن بعد يونس ما ظل نلتقى بغارب
واتينا الى نجد العدية وارضها	وجدنا بها لا مراح من كل جانب
وقالوا عرسا دايراً فى بلادنا	عرس الامير نوفل عز قريب
فقلنا لهم من هي العروس واسمها	قلون عليا راجيت ...
لما سمع للقول ابو زيد اضطرب	وعادت بقلبه النار تزيد ...
لبستي مثل عليا وذهبت لعندها	وعرفتها بحالى وكل المصايب
فلما عرفتني بسرعة قد اتت	لعند الامير ابو زيد شيخ عرايب

ولبست ملبوسها حقيق بلا خفا   وتزينت بالزينات ام العصايب
اتاني نوفل عند مغرب الضحي   يريد وصالي كالنسا يا عرايب
ربطه على العامود وحدى بهمق   ودعيته للصبح يقضى العذايب
وفى ثانى الايام اتانى بلا خفا   فأدعيته مرمى على الارض غايب
وفى رابع الايام اتاني علي نقا   ضربنى بشيش الدم يا ابن الحسايب
ضربني فما ياليت انا ضربته   تني علي بشيش من السم ذائب
لا جرح القديم يا خال انا ضامنى   جرح الجديد يشدوا عليه العصايب
وقد اخبرتك يا هلال سلامة   هيا بنا نرجع لارض المغارب

(قال الراوى) فلما فرغ عزيز القوم من كلامه والامير ابوزيد وعليا يسمعون نظامه فوقع مغشيا عليه لان السم لعب فى بدنه فحزن ابوزيد وتكدر وطار من عينيه الشرر ورشوا على عزيز الماء حتي فاق من غشوته وصارت عليا تمزق القمصان الحرير وتربط بها جروحات عزيز القوم فالتفت ابوزيد الى عليا وقال لها اذا مات عزيز لا اقدر ان اخذك معي لان الطريق مخطرة والمسافة بعيدة فقالت لابد لى من الذهاب معك فان مت اموت ولا ادع تشمت بك اعداك فافتكر ابوزيد مدة من الزمن ثم عول على اخذ عليا معاه لكي ينطفي خبرهم ولا احد من القوم يقتفي اثرهم ثم بدت عليا تمسح جروحات عزيز وتدهنها بالمراهم وتعتني بشفائها وعند نصف الليل قبل ظهور نجم سهيل قام عزيز من منامه فرأى عليا وابوزيد امامه فعند ذلك راقت احواله وسكن الله وقال له قم بنا يا خال نسير قبل الصباح لئلا نعدم التوفيق والنجاح والحمد لله قد راقت احوالي وقام وركبوا مطاياهم ودعوا العجوز واعطتها عليا عقدمن الجوهر يسوى ملك بنى الاصفر وجدوا بقطع الروابي والقفار يسيروا بالليل ويكمنوا بالنهار مقدار تسعون يوم حتى قطعو حدود نجد وتلك الديار ومازالوا سائرين الي ان وصلوا لحدود غزة وتلك البلدان لا راضي خالية من السكان . فرغت منهم الماء واشتد عليهم الظمأ . فحاروا فى امرهم فى تلك البيداء . وقال عزيز يا خال انى معاهد بئر بهذه الاطلال وهو قريب من تلك التلال فللحال قصده ابو زيد ومعه القربة ولما نزل الي البير وجد شيء يختبط بذلك المكان وله صريخ كصريخ الجان فجفل وخفق فؤاده فارتد راجعا اليهم وقال لهم ان البير منشف من الماء من عهد القدماء فتعجب عزيز غاية العجب وقال له يا خال انى اعاهد هذا لا يخلو من الماء لا صيف ولا شتاء ثم اخذ الرمح

بيده والقربة وتوجه ونزل الي البير فو-ـد شيء يختبط فضربه بالرمح ونهضه في السنان واذا هو جدى ماعز غرقان فشرب واملى القربة وذهب لعند خاله وقال لهم ها هو ذا اتيتكم بالماء فتفضلوا واشربوا واطفوا بها الظمأ فاخذوها منه وشربوا وذبحوا الجدى واكلوا والتذوا وانطربوا وكان يوميا ابو زيد يغير جروحات عزيز القوم عند مساء ذلك اليوم فبينما كان يغير جروحاته فحلل الرباط حتى انه يموت بأغلب الاوقات لانه انخجل من عليا وفكر في نفسه وقال متي وصلنا لتونس وتلك الاطلال تخبر عزيز قصتي لكامل الرجال فتنحط منزلتي عند الفوارس والابطال ولما انتصف النهار حس عزيز قلبه احترق بالنار . وحقق ان السم وصل الي قلبه ولا فائدة بطبه فعندها بكا ابو زيد وتحسر وندم علي فعله المنكر ورأي عزيز علي حالة التلف فقال له سلامتك ياخال . فقال له ما بها سلام يا زينة الابطال ثم رغرغت عيناه بالدموع واحضر دواية واشار الى امه شيحة ويوصي خاله ويقول :

يقول عزيز القوم والنار والحشا	ودموع عيني زايدات السكايب
اسمع كلامي يا امير سلامه	يافارس الفرسان مذرى الكتائب
فان أتيت لارض المغارب وشفتها	سلم على الاخوان ثم الحبايب
وسلم علي الدريدي ابو علي	وقبل اياديه وحب الركايب
وسلم على اولاد خالي جميعهم	وسلم على سرور ابو الحسايب
وسلم علي زيان الامير وامه	وسلم على الزغبي دياب المحارب
وسلم علي امي الحزينة وقول لها	تبكي علينا بالدموع السكايب
وان سألوك ياخال عني فقول لهم	غدى رهين الموت تحت الترايب
هذا ترى يا خال آخر كلامنا	والله يساعدني بوقت لحسائب

(قال الراوى) فلما فرغ عزيز القوم من كلامه وابو زيد وعليا يسمعون نظامه فبكوا عليه بدموع سجام ثم ان عزيز شهق شهقة واحدة وغرغرت عيناه بالدموع ونظر الى ابو زيد كالمودع وسلم الروح فتقدموا عليه بالبكاء والنوح حتى ارتجت من صراخهم تلك البراري والبطاح ثم غسلوه ودفنوه [illegible] على قدره وداموا ابو زيد وعليا يندبون عزيز القوم مدة من الزمان ثم رحلوا طالبين الاهل والاولاد والديار يقطعون البراري والقفار وقضوا في طريقهم [illegible] من عشرة الطرقات الى ان اشرفوا على بلاد الغرب ونهبوا الرعيان واخبروا

الامير حسن وبقية الامراء بمجيء أبو زيد فركبوا لملاقاته جميع رجال الحي فلما وقعت العين بالعين فترجل الامير حسن وباقى الامراء على أبو زيد وعليا وكان أفرح الجميع شيبان واخوته بملاقاة علياأماالامير حسن فسأ أبو زيد عن الامارة يونس وعزيز القوم وماجرى لهم فعندها نزلت الدموع من عينى الامير أبو زيد وأنشد يقول وعمر السامعين يطول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه أحس ضميرى شاعلات بنار
وان انطفت ناري تفيض مدامعى على صحن خدي جاريات غزار
أتانى كتاب من حما نجد أرضنا وجابه ابن نصور ابن نصار
بخط فتاة الحى عليا حليلتي وتقول نوفل أراد يخش الدار
يناديت يونس حقيقا بلا خفا وعزيز أتانا مثل سبع غار
فسرت بهم عشرون ليلة ومثلها وعشرون بعدها ليل ونهار
أتينا الي نحوه ونحنا علي ظما والقلب منى فيه شعلة نار
لقينا على بير عتيق ومهجر بالى ومن حوله رجوم حجار
قال الفتي يونس فهذا مرامنا فهاتوا الى حبلا يكون مدار
فقلت له هذا قديم ومنترك وفيه الافاعى ساكنة بديار
فنزل يونس الى البير وارتوى وايضاارتوينا نحن مع الابكار
قليلا والا صار فى البير رعده كسبع كاسر على الفوارس غار
أتارى بجنب البير حنش يشوفه لدغه بفخذه يا اماره وغار
نشلناه واصعدناه الى ان وجهه أزرق غدي يشبه الى الزنجار
وقال لى ياعم قربت منيتى وعاد يقلب ميمنه ويسار
حفرت له قبرا عميق بساعتي وكفنته بالشاش يا حضار
بكيت عليه انا وعزيزابن خالد وعاد بقلبي علقها ومرار
اتينا الى نجد العدية وارضها والى المخارم منبع الانهار
رأينا عجوزا كبر الله شأنها وقالت لنا اهلا بذى الخطار
وقالت لناموجودعرس بالعرب الى الامير نوفل فهو حماة الدار
وأنا ماشطة الى عليا بلا خفا من وقت سلامة فى ظعونه سار
وأخبرتها بحالى سريعا بلا بطا وقلت أنت اكتمى الاسرار
فقالت شرف يا أمير لنحوونا ونيخ مطاياكم بوسط الدار

وقد لبست عزيز ثياب بنتها   ووضعت براسه برقعا وخمار
وأخذت عزيز لعند عليا بلا نقا   واحكت لها بجملة الأخبار
وقد أتت عليا لعندي بلا خفا   وعزيز خلته بوسط الدار
وقد أتاه نوفل يطلب وصاله   فأوثق أياديه بأشد زيار
وهذه فعال أربع ليال كوامل   فقام انقبن وخلفه ثار
فجاب له شيئا طويلا مسمم   ضربه بكتفه أورثه اضرار
فاتي وقال يا خال انهض لنرجع   فإن المنية قاربت للدار
فجئنا إلى قرية نزلنا بأرضها   تسمى بغزة زينة الاقطار
وقال لي يا خال قربت منيتي   دني أجلي ما عاد مني فرار
بالله عليك يا خال علي لتربتي   علي تل عالي وعمره بحجار
حتى اذا هب النسيم وانجلا   نتذكر الاحباب ثم الجار
وعند غياب الشمس مات وانقضى   وقد صرت أنا في حالتي محتار
وقد أتينا الى تونس علي عجل   نقطع فيافي برها وقفار
وقاسيت في دربي أمورا شدايد   وشعر راسي شاب أيا حضار
فياليتني ما كنت جئت وشفتكم   وكنت غديت ومت تحت حجار
ويااليت يومي كان قبل يومهم   ولا ذقت حسرتهم وذقت مرار
مقالات ابو زيد الهلالي سلامه   والدمع من عيني غدا فوار

(قال الراوى) فلما فرغ ابو زيد من كلامه والأمير حسن والامارة يسمعوا نظامه فوقع عندهم الصياح والبكاء والنواح وكسروا السيوف والرماح وجزت شعورها البنات والنسوان وعادوا باهم والاحزان وصار عندهم كآخر الزمان وذهب ابو زيد لمنزله وتبعوه الرجال والشبان والبنات والنسوان وصاروا يعزوه بفقد اولاده الامارة ويهنوه بعودته بالسلامه هو وعبيد ودامت الناس تتقاطر الى عند ابو زيد مدة من الزمان هذا ما كان من هؤلاء وما ما كان من الامير دياب ابن غانم بعد ذهاب الامير ابو زيد الى بلاد حسن يجيب عليه ... كتب الي جميع الامارة لكي يشفعوا به عند حسن لكن ... وقد مضى عليه بالحبس ثلاثة سنين يقاسي العذاب المهين وفي السنة الرابعة شرع يكتب الى حسن ويقول :

يقول ابو موسي دياب بن غانم   ولي مخلص [illegible] شديد

أيا غاديا مني على متن ضامر   فسلم على حسن الفتى الصنديد
وقول له يا عز قيس وعامر   أيا من بسيفه ذل كل عنيـــد
أنا قتلت مناع ما هي عداوة   وأنت في تلك الأمور شـهيد
ضربته في الميدان والسوق منتصف   وقد كان في ذاك النهار عنيـد
مشينا لك بالصلح بألفين ناقة   والفين تتبعها خدم وعبيــد
ومن بعد هذا نوفلة بنت غانم   شـبيه الثريا في الظلام تقيد
ومن بعد هذا المحلت نجد وأرضها   سبع ســنين كاملة وتزيد
بعثوا لكم رياد منكم وسافروا   وكان أبو سعدا لهن رضيد
حبس الفتى يحيي ومرعي ويونس   وابو زيد قد وافاه بالعنكيد
وقال ارحلوا ماعاد في نجد عيشة   ولا عاد فيها يا هلال مفيد
رحل نجعنا من أرض تونس كالديا   تقول بحاراً طاميــة وتزيد
وسرنا ملينا الأرض من كل جانب   وابو زيد قيدوم لنا وقليد
وطابت لنا من نجد إلى قاع تونس   إلى أن أتينا إلى بلاد حديد
وجاء أبو خريبة ينهب لمالنا   وقد كان جني بالطراد عنيد
ضربته بحد السيف أرميت راسه   وخليعه تحت التراب لحيـد
فجاني سعيد العبد في الحال قال لي   أعزيك في أجوادنا يا سيد
ركبت على ظهر الجواد كأنني   احاكي سكران بغير نبيد
وجيت إلى حرب الزناتي خليفة   وجتنى قنوع ودمعها بيزيد
مايتين عزرا يا هلالي سـلامه   ولا واحد إلا وقال قصيد
يقول الزناتي اليوم اهفى اقومنا   دهانا وخلانا في تعديد
وانت ان أخذت الثاريا ابو موسي   نعطيك مهما نشتهي وتريد
ونعطيك اخت الهلالي ابو علي   مع عين تورز للشراب بريد
وندخل نحنا الكل من تحت طاعتك   نجور ولا يبقى على ايدك ايد
فقلت لهم مني ابشروا زال همكم   وفي ظني ما خاب منـكم قصيد
وجاني أبو سعدا الزناتي خليفة   على ظهر أشهب بالطراد يكيد
ضربته بحربته سنها خرق الخصا   وخليعه تحت التراب وكيد
وملكتكم كل المغارب بصارتي   ولا عاد لا شر ولا تنكيد
جازيتني بالحبس يا أمير الملا   وهذا منك ما يكون مفيد

شنقت اخوتي واولاد عمي وخنتني وخليت نسام في بكا وعديد
شكيت الي الله يا حسن من يوم شنقتهم لو كنت خالص من قيود وحديد

(قال الراوي) فلما فرغ دياب من كلامه طوى الكتاب وارسله الى الامير حسن فلما قراه وعرف ما حواه اشار يرد جوابه ويقول

يقول الفتى حسن الهلالى ابو على نيران قلبي زايدات وقود
ايا غاديا مني على متن ضامر كشبه نعام في الخيال شرود
اذا جيت الى الزغبي دياب فقول له وقعت وما عاد للكلام تفود
علامك بترغى يا دياب وتزبد ومن بعدها انك تكون مفقود
خيار الفتى يا امير اذا تاه النيا يكون صبورا على الامور جلود
فاصبر على حلو الليالى ومرها حتي يجود الدهر بالمقصود
وحياة راسي يا دياب بن غانم وانم على يا كرام شهود
لا بد ما افنى جميع رجالكم وتخلى نساكم باكيات شرود

فلما فرغ الامير حسن من الكتاب ارسله الى الامير دياب فعلم انه معه حسن بالمحال ولا يلبث منتظر الفرج من الله حتى مضت عليه السنة الخامسة فاستدعي بقلم وقرطاس واشار يكتب الي صديقه شبل الدريدى ويترجاه بهذا الخصوص ويقول

يقول ابو موسى دياب ابن غانم بدمع جري فوق الخدود حدور
كنا بنجد في سرور وفي هنا نجيبنا الفواكه من جميع زهور
وكنا نصيد الوحش من واسع الفلا وهم في البراري شاردين نفور
ومن بعدها قد امحلت نجد وارضها سبع سنين كاملات شهور
فجينا الى ارض الزناتي خليفة ونتن منكم كل امر جسور
وتحاربت انا واياه في حومة الوغي وادعيته مرمي بوسط قبور
فجازاني حسن الهلالى ابو على في حبس مظلم وزمان قهور
فبالله يا زحزاح بلغ رسالتي [illegible]
امير الملا حسن الرجال من [illegible] بشير الاسرى من حبوس [illegible]
يسير الى حسن الهلالى ابو على [illegible]
لعله يقبل يا امير شفاعتك [illegible]
تخلت عنى الناس يا امير كلهم [illegible]
وقد ارسل حسن يقول فيردي [illegible]

متى ترجع الأيام ونرجع لأهلنا ويحدث من بعد الأمور أمور
واقتل حسن الهلالي أبو علي ويمسي في الوادي طعام طيور

فلما فرغ دياب من تحرير الكتاب أرسله مع الزحزاح إلى الامير شبل فلما وصل الكتاب اليه قراه وفهم ما حواه وتوجه لعند الامير حسن وسلم عليه بكلام حسن وأشار يتشفع بالامير دياب ويقول :

يقول الفتي شبل الدريدي بما جرى ألوم نفسي ومالي أحد لايم
وجيتك يا حسن فاقبل حديثي أيا همام يا ابن الاكارم
ألا يا ابن سرحان أنت زخري فنحن من الاقارب واللزايم
فسامح عن دياب وفك قيده وسامح ذلته وامحي الجرائم
وان دياب في الحبس ياامير قل حيله وحالاته تشابه حال خادم
ووطفا واخته قلقا حزينة ينوحوا وما لهم في الحي راحم
وأمه ضرها سهر الليالي وأبوه صار هذا اليوم نادم
على من شاف من نجد العدية زمان العز ولى وراح هازم
فلا تأمن صروف الدهر يا من غدى بالجود للعربان حاكم
أنا جيتك دخيل اسمع كلامي وفك قيود أبو موسي ابن غانم
لانك بالسخا والجود كامل فاسمح عن ذنوبه والجرائم

فلما فرغ الامير شبل الدريدي من كلامه وحسن يسمع نظامه فقال له حسن يا أمير شبل أنا ما نسيت قتل أخي مناع وحرق بالحدائق في نجد وما فعل مع سعدا خطيبة ولدي مرعي وحرقه الزرع في تونس وروض البهرجان وقطع الطرق على العرب وبعد ذلك أشار يخبر الامير شبل الرياشي بهذا القصيد ويقول

يقول الفتى حسن الهلالي أبو علي والهم ما بين الضلوع شديد
أيا شبل جيت شفيع في ابن غانم يا أمير ترك دياب عاد بعيد
وقتلة أخي منع أنا ما نسيتها وهو كان فارسنا فتي صنديد
وحرق حدايق لبهرجان وغيره وخلي جميع هلال بالتنكيد
وأخذ سعدا عن قصد مرعا كي يعزها فجاراها بالضرب والتشديد
نهيناه بالمعروف عن جرم فعله عصى وانفرد عنا وعاش فريد
يمكن نوتى زنيات الغرب كله ويبقى علي امراء هلال يسيد

قان عانى ربى قتلت ابن غانم وأدعيت أهله فى بكاء شديد

فلما فرغ حسن من هذا القصيد فرجع لمحله وأخبر الزحزاح بما قاله حسن فرجع الزحزاح لعند دياب وأخبره بالذي صار فحينئذ قال الأمير دياب لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وقد دام دياب بهذا الحال يقاسى الأهوال حتى مضت عليه السنة السادسة فاستدعى بقلم وقرطاس ودواية من الخاص وأشار يكتب إلى الأمير سعد الرياشي ويترجاه أن يتشفع به أمام حسن ليطلقه من السجن ويقول وهمر السامعين يطول :

يقول دياب من قلب موجع ونيران الحشي متوقداتى
على زمن مضي ما عاد يأتى وعلى فقد الليالى السالفات
بليت بالذل من بعد المعزة وعدت يسير فى حبس الزناتى
وابن سرحان ما يرفق بحالي وقد أمر بضربى بالعصاتى
فيا زحزاح ارفق يا ابن غانم أنا المملوك وأنت الملكاتى
فروح وصل كتابي للمسمى إلى الأمير سعد نسل الطيباتى
ويذهب نحو سلطان البوادى أمير القوم عز المحصناتى
وقول دياب قد أمسى حقيرا ففك قيود يا بو الصفاتى
أما تذكرونى فى سوق المنايا على الخضرا في يدي قناتى
وقد سلمتونى البوش كله ابرعى فى البراري المعشيتى
وسار الظعن من وادى لوادى نصبعوا خيلكم بأرض الزناتى
قتل يوم الوغى تسعين قرما وسكنهم قبور المظلمتى
وعدتوا ترسلوا نحوى الرسائل براقع الدماء مخضباتى
رحلت وجيت من فوق شهبا عليها قتلت أبو سعدا الزناتى
قتلته والعذاري يشهدوا لى وأولاده ينوحوا مع البنات
تجازينى بحبسك يا هلالى وان الدهر دوما ذو التفات
وأجازي إلى حسن من سوء فعله وأذوقه كما ذاق الزناتى
وخلى عياله بعده حيارى ويندبه النسوه مع البنات
فمن جانى يبشر بالسلامه كسوته من ثياب منتمقتى
فيا أمير سعد يا حصن الامارة أخبر لى حسن يطلق حياتى

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من تحرير الكتاب أرسله صحبة زحزاح

فلما وصل إلى الامير وقراه وعرف ما حواه فحينئذ توكل على صاحب العز والجاه وسار طالب الامير حسن فلما وصل اليه سلم عليه وقبل يديه وأشار يتوسل إليه بخلاص الامير دياب ويقول :

يقول الفتى سعد الرتاحي بماجرى ... ونيران قلبي زايدات قداح
كنا بنجد في سرور وفى هنا ... بنعم واحسان ولعب مزاح
وكان بها عنب الدوالى مكعب ... والخوخ والرمان والتفاح
جفتنا أراضي نجد من بعد عزها ... سبعة سنين كاملات شحاح
سبع سنين ماأتى نجد عارض ... وغادت حبوب الأرض بالاكمداح
جفل منها وحش الفلا غاب بالفلا ... والطير من جدب الاراضى راح
رحلنا من نجد العدية وأرضها ... وقلنا من الشدة عسى نرتاح
ولما أتينا القيروان وقابس ... أتونا الزنانة جازبين سلاح
وجاكم أبو سعد الزناتى خليفة ... على ظهر أشهب مثل طير راح
قتل منكم يا قوم تسعين فارس ... وخلي العذاري فى بكا ونواح
وأرسلتوا إلي دياب البراقع ... أخذهم سعيد على الهجين وراح
أتانا دياب الخيل من فوق خضرة ... وقتل الزناتي ذاك مات وراح
وملككم ذاك البلاد جميعها ... وأربعة عشر قلعة يا جحجاح
جازيته بالحبس يا أمير أبو على ... فما كان واجب حبسه يا صاح
فاقبل حديثي فى دياب ابن غانم ... فتي شيخ زغبى كلها ورياح

(قال الراوى) ولما فرغ الامير سعد الرياحى من كلامه والامير حسن يسمع نظامه فقال يا ابن عمى اطلب منى ملكى فلا أعزه عنك ولا تفتح لي سيرة اطلاق دياب وأشار يقول :

يقول الهلالي نادي الوجه ابو على ... ولى عزم فى الهيجا لمن جا يعارك
أنا ضد خصمي يا رياحي ومهتدى ... وأنا مذهبي يبنى عن الشيخ مالك
دياب يعاندنى علي لقرب يملكه ... لما نصب رمحه فى عين المهالك
وحق الصفا والمصطفى سيد الوفى ... واقسم لمن للانس والجن مالك
الزغابة لا بد بخسم ابيدهم ... وأخلي امير القوم فى الارض بارك
ايا سعد لو مالك مقام وهيبة ... وانت على الاقران تقر المناسك
رميتك بشورى في بحور عميقة ... لكن انا يا سعد للعهد ماسك

وخلى دياب فى السجن يرتاح خاطرى   ان قام هو جملى وان ضل بارك

(قال الراوى) فلما فرغ الامير حسن من هذه الأبيات ذهب الأمير سعد الى عند الزحزاح وأخبره عما قال حسن وكذلك أخبر الأميرة بذلا عما كان من أمره مع حسن فرجع الزحزاح للحال وأخبر دياب عما بينهم من الخطاب وأما الاميرة بذلا فقد أخذت معها جملة من نساء العربان وتوجهت نحو صيوان حسن وأشارت تتشفع بالامير دياب وتتذكر الاهل والاحباب الذين شنقهم حسن على الاخشاب وتقول :

قالت بذلا عند ما مال سعدها   وعبرات عينى زايدات هدارها
وعيني تبات الليل ما تألف الكرى   ونفسى حزينة من فراق حبابها
يكون الفتي في طلعة الصبح سالم   تانية عسرى فى تولى نهارها
غدوا أولاد كبدى ها الكين على البكر   جري دمهم فوق الأراضى غزارها
سببهم دياب الخيل من شوم فعله   شنق اخوته وجلب لنفسه عارها
وأولاد موسى شنقوهم جميعهم   وعلو مشانقهم ووطوا بكارها
وخلوا نساهم باكيات حواسر   من الخيش عادوا لابسين حقارها
وزيان مع بدران مع زيد فاضل   وغنام فارسنا بيوم حصارها
ومنذر ومالك ثم همام واخوته   وريان مع صغران كانوا اسعارها
طراف مع مناع ومحمود بعدهم   سليمن كان يركب لغالي مهارها
وسالم وماجد مع سعيد وابنه   وهدار مع مروان عادوا دمارها
عيار مع بكار وابنه سابق   وشاكر وشكار من أمارة خيارها
وزاهر وماهر مع عقيل وفايد   لهم سطوة فى الحرب يوم شرارها
ثمانين من أولاد زغبي تذبحوا   غدوا فى لبرارى ما كلا غرابها
وهم فداك اليوم يا أمير أبو على   يا عزنا يا حصننا يا خيارها
وهم فداك اليوم يا سيد الملا   يا عز قيس وعامر خيارها
غدون بحد المرهفات ذبائح   مضت سعدتهم وأقبل دمارها
أتوك بنات البدو يا سيد الملا   حفايا عرايا هاتكات خمارها
هديه ونزهات بنات مرعى وشما   وزهيا ونجلا مع ظريفه وقدرها
ووطفا بنت دياب تبكي حزينة   ونهيا وعقبا لابسات حقارها
وبازق بنت دياب وأختها حسيبة   وحسنا وست الأهل نسب رجالها

جقوب وخالتها جزوع وبنتها   وزهرة وبدرة زايدات وقارها
حسيبة وزهر البان أبنة مهذب   بنات الامارة مع نساء هلالها
نهيا وسعده مع أمينة ونافلة   بنات العذارى راخيات شعارها
وعين الظبا مع بنت بدران هالعة   تقطع من القمصان غالى سعارها
أيا أبو على شرف البنات مع النسا   ولا واحدة إلا وشقت ستارها
ومثلك ما يرضى الحريم بذله   يتاما حزانا محروقات بنارها

(قال الراوى) فلما فرغت بذلا من كلامها والامير حسن يسمع نظامها فقال لها أنا ما أمنت على نفسي حتى حبســت دياب والآن أتركه من السجن فهذا الحديث بطا . وكلامك كانه بالمحال فارجعي الي الاطلال ودونك من المقال وكوني من هذا القبيل براحة بال فحينئذ توجهت مع النساء الي محلها وأما الامير دياب فانه ما زال يقاسى العذاب وهو منتظر الفرج من الملك الوهاب حتي انه بلغه خبر قدوم الامير ابو زيد من بلاد نجد العدية فقال والله ما أحد يقدر على خلاصي الا الامير أبو زيد فحينئذ استدعى بقلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص واشار يكتب الى ابو زيد ويقول :

يقول ابو موسي دياب ابن غانم   ونيران قلبي زايدات الضرايم
بالله يا ابو زيد بلغ ســـلامنا   الى حسن سلطان قوم كرام
وقول له ياعز قيس وعامر   اطلق لنا الزغبى ابو غنام
ياما حمانا والقنا يقرع القنا   والأجواد من تحت العجاج هرام
لو قد علمت بأن هذا يصيبنا   من نجد ما اتينا بلاد الشام
ويوم الزناتى حميت كل ظعونكم   وقتلته واولاده وراه يعام
وملكتكم هذه البلاد بصارمي   فى حد مرهف بالوغا صمصام
تجازيني بالحبس يا سيد الملا   وقد صار لي بالحبس سبع عوام
فيا ليت ما شفت المغارب وارضها   ولا نظرت منكم لوعة وسقام
وما زال شاش الحيب يلعب به الهوا   يشيل الاسارى من سجون ظلام
تيتنى يا ابو زيد قصد شفاعتك   وما خاب من جاءك بريد سلام

(قال الراوى) لما فرغ دياب من كتابه ختمه بخاتمه واعطاه للزحزاح وقال له سر الى نجع ابو زيد واعطيه هذا الكتاب فأخذه وسار وجد في قطع القفار الى ان وصل لصيوان الامير ابو زيد فدخل اليه وسلم عليه وشال الكتاب واعطاه

لا بو زيد ففضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فتكدر ابو زيد من حسن والتفت إلى الزحزاح وقال له بشر الامير وقول له متي انتهت الزيارات عنى اذهب لعند حسن واترجاه بدعوة دياب واذا ابى ان يطلقه فاخرجه غصبا عن رقبته فقبل الزحزاح اياديه وسار الى ان وصل لعند دياب فاخبره بكلام ابو زيد ففرح دياب واستبشر . وايقن ببلوغ الوطر . هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من امر الامير حسن وبني هلال الاسود الدحال يوم من ذات الايام . كان عيد عند العربان والامارة مجتمعة عند الامير حسن فى الديوان فأخذوا يذكرون الوقائع المشهورة والفوارس المذكورة وصاروا يمدحوا فروسية دياب وكيف انه ملكهم نجد بالسيف القرضاب وحمى البوش من الدشمان . وقتل الزناتى فى الحرب والطعان ويستحق ان يذكر فضله مع الفرسان وكان موجود بالديوان اولاد الامارة والشبان الذى لم يسمعوا بذكر دياب إلا باللسان فتشوقوا لمشاهدته وهاموا الرؤيا طلعته ولوانه ساعة من الزمان فترجوا السلطان وساعدوهم الامارة والنسوان فقبل السلطان حسن رجاهم وامر ان يأتوا بدياب مغلولا بالقيود والحديد فللحال احضروه وبالجنازير قيدوه وامام السلطان اوقفوه وإذا هو اصفر اللون بهيئة الموتى فصاروا اولاد الامارة يضحكوا عليه و وصلوا الاذية اليه فقال له السلطان حسن كيف ترى ... الآن ... فقال انى بخير مادام حسن على راضى . وبعد مدة طويلة ارادوا ان يرجعوا الامير الى السجن فقال الامير دياب فما انا مشمشة ... ولا ... تكمنى ... قال كان الديب يصفى إلي الغنم انت تصفا لى ... صاح حسن ويلكم دياب امسكوه والي السجن ودوه فعند ذلك خذ دياب يرتجف مظهرا على ذاته الخوف الشديد ووقع على الارض مغشيا كمن ... فعند ذلك ترجوا الامارة الامير وقالوا له ان دياب فى حالة ... وامر ان يدخلوه دار الحريم لعند اخته نوفلة وما اتم كلامه لا وحضرت الرجال ورفعوا دياب بكل اكرام الى بيت اخته

فلما نظرته على هذا الحال . وهو ... نصرخت بالبكاء ومزقت ثيابها وأخذت تقول :

حرام الذي ... علينا ونحن ...
لقد كنا في عز وكنا بنعمة وكنا برغد ...

فبتنا تقاسى الهم والويل والضنا　　وتجري الدموع على الخدود غزير
وقد كنت يا أمير الاماره وسيدهم　　كسبع الفلا بالماضيات تشير
إذا هاج سوق الحرب كنت أميرة　　تكر على الاعداء مثل الزير
وتحتك خضرا مثل فرخ نعامة　　تدق الثري فى رجلها وتطير
تطير على الاعداء كالنسر بالفلا　　وتنقض مثل البازحين تسير
فما كان ظني يا دياب بن غانم　　أشوفك بهذا الحال والتأخير
تشال على أيدى الرجال كميت　　ونبقي تقاسى الذل والتحقير

﴿ انتهي الجزء التاسع عشر ويليه الجز العشرون ﴾

الجزء العشرون من

تغريبة بني هلال الكبرى

الشامية الأصلية

ديوان اليتامى

٣

قتل الأمير حسن من الأمير دياب ورجوع الأمير دياب من عند الملك جوهر ملك بلاد الحبش وما حدث لهم من القصص العجيبة

ومازالت نوفلة ترد الاشعار وتسكب العبرات إلى أن فتتت الاكباد ، وأحنت الاجساد ، فبكي معها كل من حضر ، وقالوا والله يحق لها أن تعمل أكثر ، لأن الامير دياب فارس مشتهر وبطل غضنفر ، وأخذوا يطيبون خاطرها ، وبسلامة الامير دياب يطمنوها ، فما نشفت دمعتها ولا زالت نكبتها ، وما خفت مصيبتها بل أسرعت ومدت إلى أخيها فرشة من ريش النعام . وأخذت ترش عليه من ماء الخزام وهو ينتفض ويرتعش مما به أهدن وبقي على هذا الحال ثلاثة أيام لا يذوق طعام ولا يقابل منام ، وهو يستغنم الفرص حتى انتصف ليل اليوم الثالث فدخل على الامير حسن وهو غريق المنام فعند ذلك سحب الشفرة التي كانت معه فى أيام حبسه ويسن فيها وهو يحضرها إلى مثل هذا الوقت فانطرح على الأمير حسن وذبحه من الوريد إلى الوريد وتركه يتخبط بدماه وسار يخترق السباسب تحت ظلام الليل حتي وصل إلى قومه وعشيرته عند الصباح فرحبوا به غاية الترحيب وانسروا كثيراً برؤيته ، وأخذوا يسألوه عن قصته . وعن كيفية إطلاقه من سجن الامير حسن وأخذ يقص عليهم القصة ويخبرهم كيف صار من البداية إلى إلى النهاية ثم أخذ يقول :

يقول دياب قهار العداة ... وكل مقدراً لا بد يأتى
ومن يعمل جميلا فلا يجازى ... عليه بمثله فى الآتياتى
أنا ناقي لقيس وآل عامر ... بحد السيف في يوم الكماتى
سبع سنين لى بحبس ابن شما ... سبع بسنين عدة كاملاتى
نهشني القمل مما قد دهانى ... والنحلول عشش فى عباتي
فلا حسن أرثى لمصابي ... ولا أبو زيد يسعى في فلاتى
أنا بالسجن قاسيت البلايا ... ولكن قلت صبرا يا حياتى
أولاد الامارا قد أتونى ... يشفوا دياب عز المحصنات
لما شفت أن السجن قصري ... أتيت المكر من بعد الفواتى
جسمي قد صبغته بماء تبن ... وصرت أمشي وعكازى عصاتى
فى استهزوا كل الامارة ... مع أولادهم حتى البنات
والسلطان حسن لما رآنى ... دعانى كيف حالك طيباتى
ونادى يا دياب ذليت قلى ... من الجنزير حال السابقاتى
وكيف الحبس أخبرنى حقيقا ... وهل أتاك ليل المظلماتى
اجبتوا يا حسن والله انى ... بألفين خيرا يا أكبر عداتى
إن كان الذيب يصفي للنعايم ... بصفا لك على طول الحياة
أنا إن عاننى رب البرايا ... تافنيكم بضرب المرهفاتي
لما قد سمع للغول زمجر ... كسبع الغاب فى أرض الفلاتى
ونادى بصوت سياف أتانى ... بيده سيف سيد الزاعتاتى
لما شفته استعملت مكرى ... وفوق الارض أنا رميت داتى
والسلطان حسن لما رآنى ... نادى شيل راسه عاجلاتى
أتى أبو زيد مثل الغول يرعى ... وبصوت مثل الناحياتي
وهجم بالسيف للسياف لما ... رآنى على الثرى مثل المواتى
وللسلطان نادى يا ابن شما ... فعال الغدر ليس بصالحاتي
ونحن يا حسن لسنا نطاوع ... بقتل دياب ابن المكرماتى
فالسلطان حسن بالحال نادى ... يشيلونى لاختي بعاجلاتى
شالونى على الايدى وساروا ... لبيت اختي وروحى ذاهباتى
لما نوفلة شدت اخوها ... بدت تبكى بدمع الساكباتي
مدت على الثرى من الفرش سبعة ... وفوق اللحف لفحت لي عباتى
ثلاث أيام أبقيت المفاومة ... ونار المر فى شاعلاتى

بنصف الليـل قمت بكل عزمي ... والسلطان قصـــدي بالملاقي

ذبحته ذبحتا قد راح فيهـا ... وأسكنته بدار الزايلاتي

وسرت الليل أمشي بكل سرعة ... حتى وصلت أرضي ومفرجاتي

هــذا ما جرى يا أولاد عمي ... شـــدوا الرحيل الصافنات

وخلونا نسير بكل همـــة ... ونوسع بالفلا بالشايلاتي

هدوا كل خيمة واحزموها ... وشدوا الخيـل قبل المدركات

(قال الراوى) هذا ما كان من الأمير دياب وهو يقص ما جرى له على أولاد عمه فلما سمعوا ما قاله دياب وعلموا انه قتل الامير حسن انقلبت أفراحهم إلى أكدار وأظلم في وجوههم النهار وما منهم أحد إلا وكبر ولعلامات الحزن والاسف أظهر وقالوا والله يا دياب لقد فعلت فعلا منكرا وركبت طريقا ضيق المسالك والجناب وسديت في وجوهنا الابواب، بقتلك الامير حسن ابن عمنا فكيف تجاسرت على هذا العمل وهو صهرك وأمير بني هلال وكاشف ضرك والآن لقد أصبحنا عبرة عند العرب الكرام الذين يحفظون الزمام فسوف يصير بنا كما صار مع جساس بن مرة والامير كليب ومن الآن أصبحت عداوة كبيرة بين عشائر بني هلال وسوف يصلون الينا أوشم حال، هذا وما زالوا بمثل هذا الكلام للامير دياب حتى كرهت نفسه الحياة وقال يا أبناء عمي ويا رافعين همي وغمي لقد صار ما صار وسبق السيف العذل، فالندم على ما فات، من أشد الحسرات والآن الاوفق لنا أن نرحل من هذا المكان، ونوسع بالبر والقيعان قبل أن تدركنا جموع بني هلال وتلعب بيننا وبينهم السيوف الصقال والرماح الطوال فلما سمعوا كلامه وفهموا مرامه قالوا ان هذا الأحسن قبل أن تدركنا جيوش بني هلال ويتسابق بيننا القنا وبالساعة هدموا [illegible] الجمال وأركبوا النساء والاطفال وساروا عاجل الحال [illegible] تقطع الروابي والبطاح ويوسعون بالبر بتلك النواح

هذا ما كان من أمر دياب وأولاد عمه وأما ما كان من [illegible] كان عطور الجيد انتبهت من رقدها وشاهدت الامير حسن [illegible] فصاحت بأصوات البكاء ومزقت ثيابها على هذا البلاء و[illegible] الاكباد ويفتت حجر الجماد فتراكضت جموع بني هلال على كلامها [illegible] لينظروا ما قد دهاها فوجد أن الامير حسن مطروح على الارض قتيل [illegible]

جديل فعلت منهم الاصوات وسكبوا العبرات وأكثروا التنهدات فسمع أبو زيد الصراخ فوثب بعاجل الحال وخرج يستقصي الخبر فنظر جموع بنى هلال مزدحمة على صيوان الامير حسن فصاح صياح الشكلاء وزاد النحيب والبكاء ومزق ثيابه ورمي شاشه عن رأسه ووضع عليه التراب وأخذ ينتف لحيته وتقدم الى الامير حسن ووقع عليه يقبله ومن عظم ما اعتراه وقع على الارض مغشيا عليه فتراكض الناس وأخذوا يرشوه بماء الحرام ويطيبون خاطره بالكلام وهو يئن من قلب جريح وينوح ويصيح وما زال على هذا الحال حتى جرح القلوب فوق جرحها فتقدم اليه أولاد الامارة وأخرجوه إلى خارج الصيوان وأخذوا بخاطره من هذا الشان وقالوا له يا أمير أبو زيد ان بقيت على هذا الحال تفقد حياتك بدون محال فتيتم على فقدك الرجال وبمثل هذا الكلام كانوا يخاطبوه حتى سكن روعه فالتفت إلى نافلة وقال لها يا نافلة أين كنت لما فعل أخوك هذه الفعال ، وحين قتل سيد الابطال وسلطان العرب والعجم والترك والديلم فزادت بالنحيب والعويل وأخذت تخبره بهذ القصيد وعمر السامعين يزيد

تقول فتاة الحي أم بريقع	ولى هم فى قلبى لمن أشكيه
وبى علة طي الفؤاد مقامها	ونار الجوى فى ضامرى نكويه
وان كنت اشكي الحال تشمت بى العدا	وان ما شكيت الحال كيف اخفيه
وما شكوتى الا لربى وخالقى	داك الذى للسر قد يدريه
جايل الانسان من حال العدم	يدرى به من قبل أن ينشيه
لا مهربا للمرء من حكم القضا	لا يمنع الانسان ما يأتيه
أهدي لربى الحمد ما طير شدا	سبحى وشكرى خالقى أهديه
ربى قضا بفراق عزى وسندى	عن ناظرى يا مقلتي أبكيه
ابكي معي يا طير طاير بالعلا	ابكى حسن واليوم قوم ارثيه
ابكى معي يا نجم نكي يا قمر	يا شمس ابكي دمعك ابديه
ابكي معي يا غيم ساير بالعلي	يا رعد ابكي هالبطل الفقيه
زيد البكا يا ريح لفراق الحبيب	راح انقضى يا عين لا تسليه
بالله يا وحش القفار ابكي حسن	وزيد البكا بصوت الاسف ناديه
يا غصن يانع قد ذبل لا يرتجع	يا حصرتى صار الفنا طاويه

يا آل قيس اندبوا شبل الأسد   نور الهدى ليل الردى كافيه
يا آل عامر اصبغون ثيابكم   سودا وها قلبي الضنا كاسيه
سيفه المهند يارماح انكوا معي   يادرع سيدك أن تفدى فيه
خيل الاصايل ادمعوا وزيدوا معي   كثر البكا يامقلتي زيديه
بو زيد اسمع لى كلامي وافتهم   ركني انهدم من لى بقا يبنيه
لما أتاني دياب فى حال الردي   ظنيت أن القبر قد يغنيه
ناديت بأوشم ناريا قلبي اكتوي   دياب ابن غانم ماالحشا أفديه
لكن أتى والمكر لم أدر به   أبدي الحيل نحوى بلا تشبيه
لما الدجى أرخى علينا حباله   دياب ابن غانم يسرى فيه
أدعى لسلطان البرايا مجندلا   فوق الثري يا حيف من نشفيه
يا ليت أخى ما يلقى هنا   وفى كل شدة ربنا يبليه
اكتب له كل الخاطر والكروب   عن ما فعلنا يا رب جريه
ياحيف ياسلطان حسن فوق الثرا   تبقى قتيلا والدما تجريه
يا مشبع الجيعان يا كاسى اليتيم   وحش الفلا كم كنت تقريه
لك صيت فوق الشمس يابدر الربيع   لك ذكر غيرك ما أحد حويه
بوزيدا بكى قد مضى السلطان حسن   يا عين سيدك أى متى تلاقيه

(قال الراوي) فلما فرغت ام دريقع من كلامها وبو زيد وجموع بني هلال يسمعون نظامها كثرت منهم الاصوات وزادت بينهم الصرخات وعمت التنهيدات وجهرت الانات وقامت الحسرات . وجرت شعورهن النساء والبنات وهطلوا الدموع كالامطار . الكبار والصغار و [illegible] وهي تصيح من قلب جريح وتبكي بدموع غزيرة على مصابها . وتنتف شعرها وتمزق ثيابها وتضرب [illegible] الحصاء وهي تندب ابناء الخنساء وتندب [illegible] الامير حسن . [illegible] وتقدمت ووقعت عليه تقبل قدميه [illegible] كالاموات حتى [illegible] على الثرى وهي [illegible] ذلك [illegible] الارض [illegible] [illegible]

واشرقت شموس الاتراح وكثر البكاء والنواح والجازية تزيد بكاها وتندب اخاها واشارت تقول

تقول فتاة الحي ام محمد   دمعي جرى فوق الخدود وساح
في طي قلبي النار زاد لهابها   تكوى الحشا ولذعاتها تجرج
يالوعتي من يا ترى قد داقها   يا نوح قلبي من كنوحي ناح
ابكي على اخ تركني وقد غدا   يا حسرتي ما عاد لجسمي جناح
ياحيف يا سلطان حسن فوق الثرى   تبقى مجندل بالدما سباح
يا حيف سبع الغاب عنا اليوم سار   لاجل بعد السبع عقلي اليوم راح
يا دمعتي ما ظن من عيني تزول   والله تقضى العمر بالاتراح
ما عود ركني قد هبط يا نكبتي   طول المدى ما انظر الافراح
طير الغراب يصيح في صوت قبيح   واليوم فوقى قد اتى بصياح
من بعد عزى صرت ابكي ودمعتي   زادت على وما لها ابراح
الله يجازي من سعى بفراقنا   من كان لسلطان حسن ذباح
شلت ايا دي دياب ذاك الواغدين   ولى وخلى دمعنا طفاح
بدعى عليه ما طار طير بالفلا   بدعى عليه ما الغصن فيه الريح لاح
ابكوا معي يا آل قيس يا كرام   زيدوا معي يا آل عامر بالنواح
يا جميع هلال سافر سيدكم   ما عاد يرجع قصفوا الارماح
سيوف الهنا أكثروها بالعجل   ادعوا الخيول تروح للاسراح
هاتوا العمايم اصبغوها اليوم سود   بحر الاسف موج الحزن قد لاح
حاكم الاقطار سلطان العرب   ومدير الفرسان يوم البعد ناح
يا دين ما هذا العمل فينا رميت   سهم النوى ياحيف أطلقت الجماح
ياسامعين صوتي معي اندبوا   طم ى اقصع -ى ذمه فلا ء كدح
قد -ال حيلي انهد جسمي يا ترى   مثلي بكل الناس صابه جراح
تسعين في تسعين الف ونلهب   قد كنت حاكم يا حسن قوم ملاح
واليوم فارقت المنازل والربوع   خليت كثر الهم بعدك والكفاح

(قال الراوي) فلما فرغت الجازية من رثاها وجموع بني هلال نآظرين ما لك دهاها ومن الهم والغم قد اعتراها صاحوا عن فرد لسان الله أكبر على من

بنا غدر فما هذا المصاب الذي أصابنا وما هذه النكبة التي بها نكبنا وما هذه البلية التي كاس مرارتها شربنا

(قال الراوى) وكنت تشاهد جموع بنى هلال بالحزن الشديد الذى ما عليه مزيد والكل شاخصون ناظرون إلى جثة الامير حسن ودموعهم تهطل على الارض كالامطار لما هم به من الكروب والمحن وما كان الا وتقدمت مريم بن زهر البان الافرنجية زوجة أبو العوف ووقفت فوق رأس الامير حسن وأشارت تقول :

دمعي جري من فوق خدي وانسكب … والنار فى قلبي تزيد كثر اللهب

يا بين شمت العدا فينا وما … كان العهد سيف العذر قد ينسحب

شمس المعارف أظلمت أنوارها … والليل أصبح بالمخاوف والكرب

بدر العلى ياحيف من فوق الثري … يبقي طريحا والغراب فينا نعب

يا كوكب الاقبال يا أمير حسن … ياعزنا يا فخرنا يا منتسب

يا حيف هذا الوجه يعلاه الكدر … يا حيف هذا القد يفنيه التراب

فارقتنا ما حل يوم فراقنا … ماذا جرى لفراقنا ماهو السبب

اضحوا جموع هلال شخصك خاسرين … صبحوا ايتامي فى الضنا وأكثر تشجب

الله يجازى دياب فى حال العمي … الله يجازى دياب في هم وتعب

أرمي قلوب هلال فى نار اللظي … وادمعي الدموع تسيل من حر النواب

والله تقضي الليل فى أمر النجيب … وساهر لغرار فى قول العتب

ياصور مانع كان ظنى لا يغيب … واليوم أضحي لصور قفرا انقلب

يا مشبع الجوعان يا معزى الحزين … ياسيد المكروب يا مولي العرب

أواه نارى بالحشا ما تنطفي … ياكبتي يا حسرتي [illegible] دهب

الله يلقى البين شتت شملنا … الله يسلب عمر من [illegible] سلب

غاديا عنا معك خذ القلوب … أرواحنا [illegible]

(قال الراوى) فلما فرغت مريم من قصيدتها وكل [illegible] من عيونهم الدموع كالامطار وكل [illegible] الاصغر [illegible] لما سمعوا من مريم هذه العبارات وداموا فى البكاء [illegible] ثلاثة ايام يبكون على جثة الأمير حسن ويرثوه [illegible] ويقصفون لفراقه الرماح الردينية ويكسرون سيوف [illegible]

اجتمعت مشايخ زحلان ودريد وتقدموا الى الامير أبو زيد وقالوا له اعلم أيها الامير أن ما قد صار كفي بكى ونواح وأن بقيتم على هذا الحال لاشك يمرتون كل جموع بني هلال فأحسن رفع جثة الامير حسن ودفنها لأن كرامة الميت مأواه في التراب وبذلك أمر رب الارباب وأجابهم أبو زيد الي ما طلبوا ووافقهم على ما رغبوا وتقدموا الامارا بكل وقار واحترام ورفعوا جثة الامير حسن وغسلوها وبروايح المسك والطيب رشوها وضمن التراب وضعوها وذبحوا على قبره من الجزور والاغنام ما يكل عنه وصف اللسان ثم أقاموا قبة على القبر وزينوها بكل زينة وكتبوا عليها بماء الذهب اسم الله الاعظم وتحته اسم الامير حسن ثم رجعوا كل العربان وعملوا مناحة لم يجر مثلها من الزمان

(قال الراوى) وكانوا يندبون ليلا ونهارا ويقدمون المراثى أشعارا وكنت ترى العربان تأتيهم من كل مكان ويعزوهم على فقد الامير حسن هذا ما كان بهذا الشان وبعد ما انقضت أيام المناحة وسكن روعهم بتلك الساعة فاجتمعوا الى صيوان الامير أبو زيد وقالوا له يا امير هلال ماذا تأمر أن يصير يأخذ ثار الامير حسن ، فاننا والله لا نرتاح ولا نكف البكا والنواح ولا تبرد فى قلوبنا الجراح . ولا نسائنا تجتمع بنا فى الاطناب الى أن نأخذ لهم الثار ونكشف عنهم المذلة والعار ، ونقتل دياب بن غانم ومن معه ونجعل آل غانم مشتتين فى كل الاقطار لا يقر لهم قرار ونبقى نذبح فيهم كبار وصغار ، حتي لا يبقى منهم من ينفخ نار ونيتم الحريم والاولاد . ونجعلهم عبرة نسل الاوغاد فأجابهم أبو زيد الى ما طلبوا ووافقهم على ما رغبوا وقال لهم وحق الركن والحجر وحق البيت المطهر انكم تعلمون ما بقلبي لرثية لكربي فانى أول من يتقدم لأخذ الثار وكشف العار ، وانى والله سوف أنزل فى آل غانم الفنا ولا أبقى لهم بتماء وسوف أصلب دياب على رؤوس الجبال وأ لقيه بأوشم حال وأجعله عبرة لمن اعتبر بين سائر البشر ولا تحسبون سكوتي من التأخير لكنت صابر لتأخذوا راحتكم من البكا والتحسر والآن صار الاولى بنا أن نستعد للرحيل في اثر آل غانم ونوقع بهم المآتم ففي هذه الليلة [illegible] في بيوت هذا الشان وأخبروا البنات والنسوان أن يستعدوا للرحيل [illegible] للسفر بكل تعجيل فاننا بعد ثلاث أيام نقصد آل غانم [illegible]

هذا ما كان [illegible] لرجال بن الاطناب وأخبروا

بهذا الامر بدون ارتياب وما مضت الثلاثة أيام إلا وكنت ترى النساء على ظهور الجمال والاطفال راكبون فوق الجمال والرجال على الخيول السوابق متعلقون بالرماح الطوالق والسيوف الرواشق وفي مقدمة الجيش الامير أبو زيد حامي جيوش بني هلال وهو أمامهم كالاسد الرئبال وتحته أشهب وعليه سرج مرصع بالذهب وهو فوقه يموج ببحر السرج كأنه قلة من قلل أو قطعة فصلب من جبل بيده رمح ماضي السنان وعلى جنبيه سيف يمان وقد أفرغ على صدره درعا من البولاد محبوك بالزرد هذا وقد انتشرت البيارق والرايات ودقت الطبول فسمع لها درجات وأخذت الخيل تتسابق والركاب من النسا والاولاد تتلاحق وكانوا جمع كبير وعدد غفير فعند ذلك أخذ أبو زيد يقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه — والنار في قلبي تزيد شعال

والخيل تعرف أنني ما ركبتها — إلا وجعلت القوم بوشم حال

لي سيف ماضي الحد قطاع الرقاب — لو صاب صخر الصم فيه قلت [illegible]

والرمح يدري أنه يوم اللقا — يروى دم الفرسان والابطال

بالله اسمعوا بالله افهموا يا قومنا — وكونوا سباعا [illegible] يا هلال

اليوم أخذ الثار من زغبي دياب — ذاك الذي [illegible] حسن بنكال

شدوا العزايم يا هلال تحردوا — للحرب ما تكونوا به [illegible]

وتذكروا السلطان حسن كما [illegible] — وكيف قد عدا والدم منه سال

عاداتكم بالحرب ترمون العدا — فوق الثرى وتقطعوا الاوصال

من مجال الطعن يلوى وينهزم — هذاك عندي من بني [illegible]

بالله يا قبر الذي فيه انوضع — ابن المكارم [illegible] سد [illegible]

اهدى سلام القلب للسلطان حسن — وكرر الاشواق [illegible]

وابدي بلسان خال من الزعل — وخبره [illegible] هلال [illegible]

وحياة عينك يا حسن لازم أكيد — [illegible]

لازم ما أقطع راس هذا الوغد [illegible] — [illegible]

وادعى الزغابي بالضنا طول الابد — [illegible]

ما قال أبو زيد الهلالي لمنتسب — [illegible]

(قال الراوي) فلما فرغ ابو زيد من [illegible] [illegible]

عماهوا عن فرد لسان والله يا امير ابو زيد [illegible]

[illegible]

جراحنا وما فينا ولا احد الا وبقلبه من النار واجمعنا نشتاق لاخذ الثار وكشف العار فعند ذلك ساروا من ساعتهم الي طلب بغيتهم وما زالوا سائرون اناء الليل واطراف النهار الي أن دخلوا تونس الغرب وتلك الديار فلاقتهم اهل تونس وقدموا الخضوع والطاعة وما كان في تونس من آل زغبي الا القليل فاتوا للمقالاة عاصبين على اعناقهم المحارم واظهر للامير ابو زيد الحزن والاسف الزايد علي الامير ومامنهم الا وكان يلعن دياب بالشفة واللسان فسألهم ابو زيد عن دياب فاجابوه انه من مدة ايام رحل الى بلاد الحبش وهو وبعض قوم بني زغبي فلما سمع الامير ابو زيد هذا الكلام اصبح النور لديه ظلام وامر الجيش ان يبقوا علي ظهور الخيل فاندفقوا في ذلك البر كالسيل وكانوا بالعدد ثلاثمائة الف فارس وكل منهم بالحديد غاطس فجدوا السير فى اثر الامير دياب وما زالوا يكاشفون عن دياب الى ان ضاق بهم الحال ولم يعلموا الي اين رحل فكادون يهلكون من الجوع والعطش فى ذلك البر المقفر فرجعوا على الاعقاب وقلوبهم من دياب نار الالتهاب ولما وصلوا الى الاطلال نصبوا الامير ابو زيد سلطان عليهم وعلى جميع بلاد الغرب هذا ما كان من أمر الامير بو زيد واما ما كان من الامير دياب فانه ما زال يقطع الروابي والقفار ويوغل فى الحراش والاوعار الى ان وصل الى بلاد الحبشة وتلك الاقطار فسمع به ملك تلك البلاد فخرج لملاقاته بكل استعداد وكان راكب على جواد أشهب عليه سرج مرصع بالجوهر والذهب ومعه الاحشام والاعوان والعبيد والغلمان والنساء بالدفوف والمزاهر وفي اياديهم من خاص الخناجر المملوة بالمسك الزافر فلما التقت الرجال بالرجال نزل الملك عن جواده وترجل وهكذا كل من معه قد فعل وحيوا الامير دياب تحيات الاصحاب وقالوا له أنتم عندنا اعز الاحباب فتقدمت النساء واخذوا يرشوا عليهم الطيوب التى تشفي الكروب وعند ذلك ارسل بهم الملك إلى المضارب والخيام وذبح لهم الجزور والاغنام واعطاهم احسن مجلس ومقام وقال لهم انتم السادات ونحن العبيد وكما عما به تأمرون لا نحيد واخذ يقول بهذا القصيد وعمر اسامعين يزيد :

يقول سلطان جوهر حسن ضمير	الا يا مرحبا فى ابن غانم
لقد شرفتنا وجعلت رضا	بها حلت ركابك بالغنايم
وكوكب سعدنا وفى البيدا	وصار الوقت منك اليوم باسم
تلاعب المفاخر منذ اتيتم	فى اوطاننا يا ابن الاكارم

فنحن عبيد كم للدهر نيما الا يا معشرا ... قادم
سمعنا بذكركم فى كل ارض عربها وتركها ثم الاعاجم
تولنا بكم عن طول بعد محبتكم لنا اصبحت تلازم
وهذا اليوم قد شاهدنا فيكم ليوث الغاب ولاسد الضراغم
فقد طاعتكم الدنيا جميعا لكم اضحى هل السعد خادم
لقد طيعتموا عرب البوادى ملوك الارض تهديكم نعائم
فقتلتون االزناتى وقدسقيتم لمن عاداكم مر المائم
فعلتم فينا امرا مستحقا له نعديكم فى كل عالم
وقد كنا الجزيه كل يوم لنحو الزناتى من بالوجه دائم
ولكن صرنا احرارا بهذا وما الا بكم يا آل غانم
فرحنا فى قدومكم جميعا فرحا زايدا والله عالم

(قال الراوى) هذا ما كان من الامير جوهر صاحب التاج الجوهر والملك المظفر ، وأما ما كان من الامير دياب ، فانه شكره على ما أبداه وزاد فى مدحه عن كلما أبداه وقال له ياملك جوهر اننا قد أتيناك ضيوف لنقيم عندك مدة من الزمان وبعد ذلك نرحل عنك فقال لهم أهلا وسهلا بكم ثم أنزل الامير دياب فى أحد قصوره وفرض لهم مكان واسع واعطاهم محلا يرعوه وبقى الامير دياب مع الامير جوهر فى عز واكرام وبسط وانشراح مدة من الزمن ... الكلام يرجع الكلام الي الامير ابو زيد فانه ذات يوم جلس وحده في بيته تذكر ارض نجد وعزها وما لاقى فيها من الهنا والراحة فى ... ثم تذكر الاهوال التى لاقوها فى الطريق حتى وصلوا الى ... العرب ... حتى عامر والقاضي بدير بن فايد ... ونصر ... بكى عليهم ... واولاد الامير حسن ... الامير دياب ... وحنت ... شعري ... وان كان قتل حسن ... دياب ويطلب منه أن يرجع ...

يقول بو زيد الهلالي سلامه ... شكر ...
رحلنا من نجد ... من كثر ... مستقوم

وصلنا الى تونس بلادا كبيرة   وشفنا بها الخيرات وكل قروم
عرف بنا الملك الزناتي خليفة   حبسنا واهانونا وصرنا عدوم
عشرين مرة للمشانق اتوا بنا   ولولا سعدا عمرنا معدوم
سريعا من الرحمان جتنا شفاعة   بنت الملك تشفع بنا ولزوم
وقع قلبها في حسن مرعي تبادرت   وقالت لابوها لا تكون ظلوم
ظلمت الغريب يا ابي ارفق بحالهم   اخاف ديارك ان تكون ردوم
فقال لها رادو جاءوا بلادنا   يرودوا اراضينا وكل تخوم
فقالت احبس الاولاد واطلق   عبدهم يروح يجب المال يا مكروم
فأمر باطلاقي وحبس رفاقي   وجيت الى نجد وانا مغموم
وخبرتهم ما صار فينا وماجرى   وكيف الزناتي قد عرف المكتوب
فنادى ابن سرحان الرحيل فحملوا   وسرنا على نور القمر ونجوم
وجينا الى حزوه نزلنا بأرضه   قتلنا الدبيسي وقد غدى معدوم
وجينا الى الاعجام قتلنا ملوكها   وملكنا اراضيهم وكل تخوم
وجينا الى بلاد العراق بظعننا   وجبنا الخفاجى الفارس القيدوم
وجينا الى حلب قتلنا بعيرها   يسمى الخزاعى من الروم
وجينا الى زرقة شبيب بن مالك   قتلناه واصبح قصره مهدوم
وجينا الى غزة قتلنا السركسى   يكني ابن نازب فارسا معلوم
وجينا الى وادي العريش بقومنا   والبردويل فقد غدي مردوم
حاربنا الفتي غنم بن عجاجة   في الاسكندرية قد غدي مهزوم
وجينا لمصر والصالحية ونزلها   قتلنا الملك فرمند كبير القوم
فلما قربنا للصعيد وارضها   نزلنا على رياض لها وكروم
لاقانا الفتي الماضى بن مقرب   وقام بواجبنا مع المرسوم
ومن قبلها عدة ملوك تقتلوا   بعزمي وعزم ديابنا القيدوم
وصلنا الى تونس نزلنا بارضنا   ملكنا اراضيها وكل تخوم
وجانا الزناتي فوق عبد سابق   يسبق هبوب الريح لما يقوم
الذي غزوها من هلال وعامر   ثمانين اميراً والنواقي لزوم
وما عجز عن قتاله حقيقة   بعقد يرى الزغبي ببعض كروم
قتله بو وصلنا دياب بن غانم   رقدت [illegible] من لتراب يعوم

ملكنا بقتله الغرب وكل تخومها　　وراحو الزناتيين راحوا قسوم
وحط دياب الرمح من فوق بابها　　وقال امرقوا تحته وذا مكتوم
أتاه الفتى حسن الهلالى أبو على　　قطع لرمحه وادعاه خمس قسوم
وبعده ملكنا السبع تخوت جميعهم　　بعزمي وعزمك يا حماة القوم
ومن بعدها عملوا على الزغبي حيلة　　سبعة سنين فى كدر وهموم
سبعة سنين بالحبوس مقيداً　　سبعة سنين فى كدر وغموم
تشفع فى آل دريد وعامر　　ولولاي قد كان راح بقي مسموم
وأخرجه من بعد هول وشدة　　وقلبه علي حسن بقي مسموم
قتل حسن من فوق عالى فراشه　　وخلا دماه بالفراش يعوم
ومن بعدها قد سار عنا غاضبا　　وأقام عند الجيش مكروم
دياب أميرا فارسا لا ينسخى　　فيه ولو قتل لكل قروم
فيا أيها الغادى على متن ضامر　　تسبق هبوب الريح مثل نسوم
إذا جيت للزغبي دياب بن غانم　　فاعطيه مكتوبي مع المرسوم
وقول له قال الامير سلامه　　عليك سلام الله يا قيدوم
وسلم على كل الامارة جميعهم　　سلام محب من فؤاد رحوم
ألا يا دياب الخيل اسرع بلا بطا　　وارحل بأهلك يا أمير وقوم
تعالي جميعا كى نعيش بنعمة　　ونبقى بخير وجمعنا ملموم
وما مضى يا أمير راح وانقضي　　ونحن على عهد القديم ندوم
وما دامت الدنيا وما كان قبلنا　　ولا ظن شيئا غير الاله يدوم
مقال أبو زيد الهلالى سلامه　　وأنا لك مسعفا بلا مكتوم

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه طوى الكتاب وختمه بختامه وأرسله الى الامير دياب مع النجاب فأخذه وسار يطوى الفيافي والقفار حتى وصل الى بلاد الحبش وتلك الديار فسأل عن المكان الذى نازل فيه الامير دياب فاهدوه عليه وسار اليه وقبل الأرض بين يديه وأعطاه الكتاب أخذه منه ففضه وقراه وعرف رموزه ومعناه ثم بعد ذلك أخذ قلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص وأشار يرد الجواب الى الامير أبو زيد يقول :

يقول الفتي الزغبي دياب بن غانم　　أنا ترانى فى الانام عريف

أعرف فرسان الحرب جميعهم   خبيرا بشدات الزمان عنيف
ترى كل مستغنى عيوبه قليلة   ولو كان أصله بالانام خسيف
وعيب الفقى الممتاز للناس ظاهراً   ولو كان أصله جيدا ومنيف
واو كان عنترة عبس فى حومة الوغا   ولو كان مقرى الوحش أمير مخيف
والمال يعلى راس كل مرذل   ويرفع لقدر الكاذبين شريف
ومن كان خال المال والمال زمانه   عليه الانام مع الزمان حيف
نزلنا على قوم كرام بلا خفا   وقمنا وكان الدهر دهر ظريف
و[illegible] باتت الرعيان باتوا بنعمة   يناموا ولا يخشوا كلام مخيف
ولكن بلاد بالشناعة وليلا   ذقنا بها الشدات والتقريف
وأما الحبش كفا الله شرهم   ترى مواضعهم بلا ترصيف
فلا يلتقوا الضيفان بوجه باسم   ولا يستمع منهم كلام لطيف
وعندي من البيض الملاح مليحة   كبدر يلالى فى ظلام كثيف
عليها من اللبس الحرير كوامل   أساور حجول بالذهب ترصيف
بنات البدو سود العيون قوامهم   اذا ما مشوا حسبتهم رمح ثقيف
ولكن نسوان الحبش كعجيبة   ووجه منهم كالحا ونشيف
ترى الواحدة كالنتق [illegible] أشنعا   قبيحة وخيمة ما بها تنظيف
[illegible] صغر بالعيون منجرة   لها [illegible] يابس كحبل الليف
[illegible] كرتين لم ترى صدرها   [illegible] مثل الكلب عند الجيف
[illegible] شافت البيع نبى [illegible]   [illegible] ذيالا خرج من كنيف
[illegible] شو[illegible]   والظهر أحدب مثل قوس نديف
[illegible] على [illegible]   تجد [illegible] بثقلها وخفيف
[illegible] جيت [illegible] بن رزق [illegible]   [illegible] ليتامى والزمان حنيف
[illegible] عليه [illegible] جبينه   وقول له قولا بلا تعنيف
[illegible] لغيرهم   [illegible] وعقله خسيف
[illegible]   حبسنى [illegible] مظلم وخيف
[illegible]   أبكي [illegible] والدموع رديف
[illegible]   [illegible] مثل ندب ضعيف
[illegible]   [illegible] حزانا ما لهم وليف

حلفت أني أقعلة ولو كان والدي   وأمر إلهي ما به تكليف
مضى مامضى ياابن عمي وصاحبي   والكاتبه ربي ما به تحريف
فان كنت ترضي أن نعيش سوية   فسامح وكون يا أمير عفيف
مقال الفتي الزغبي دياب المنتخب   فلست جبان ولا أنا خويف

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه طوي الكتاب وختمه بختامه وأعطاه الى رسول الامير أبو زيد وقال له ان كان مراده ارحل الى بلادى ونجتمع سوى يرسل لي من طرفه بعض الامارة وبذلك يكون قلبه محب وكلامه عن وداد .

فأخذ الجواب الرسول وسار وجد يقطع الروابي والقفار حتي وصل الي بلاد الغرب فدخل علي الامير أبو زيد وأعطاه الكتاب وبلغه كلام الامير دياب فأخذ الكتاب وقراه ، وبعد ذلك استدعي بعشرة أمارة من أولاد عمه وأولاد عم الامير حسن وأرسلهم ايصالحوا الأمير دياب وما زالوا يطووا الفيافي والقفار الى أن وصلوا لعند الأمير دياب دخلوا عليه فلاقاهم وسلموا على بعضهم البعض وسألهم عن الامير أبو زيد فقالوا له ارسلنا لنرجع الصلح بينكم وتعودوا كما كنتم في الحال القديم .

فعند ذلك سار الأمير دياب الي عند الملك يودعه وركب بقومه وسار بقومه ورجاله والعشرة الامارة معه الى أن دخلوا بلاد الغرب فخرج الامير أبو زيد ولاقاهم وتصالحوا ورجعوا الى الاوطان وعمل أبو زيد وليمة فاخرة وذبح الذبائح واطعم الغادى والرايح وصار الامير ابو زيد والامير دياب في محبة زايدة ولكن ابو زيد ما ارجع الى الامير دياب ملكه وبقي هو حاكم فيها فكان على الامير دياب وصار يقول عمي اليوم يرجع لي ملكي والبلاد التي أخذوها مني وأبو زيد عاطى قفا فاغتاظ الأمير دياب وا كمن الشر لابو زيد وقال في نفسه أنا صنعت دبوس وسكين لسكين للأمير حسن والدبوس لابو زيد فخلصنا من واحد بقي علينا الآخر وبعد من ذلك ارقت يحمل الدبوس وكان يسير براسه من تحت العباية حتى لا ينظر عليه أبو زيد الى ان كان ذات يوم خرجوا الي الصيد والقنص وكان مع الامير أبو زيد جماعة من قومه ومع الامير دياب جماعة من بني زغبة نصروا الى البر خرجت الفهود والسنقور وتفرقت الفرسان تطارد الغزلان وبقي الامير دياب وأبو زيد في جهة وصار الامير

دياب يطارد الشهبا ويلعب كأنه في الميدان فصار يعمل مثله أبو زيد مقدار نصف ساعة وبعد ذلك دياب خلى أبو زيد ساير أمامه فصاح فيه خذها من يد الزغبي دياب فالتفت أبو زيد مرعوب فوجد في يد الامير دياب سنبلة قمح فضحك دياب وعمل على هذا الامر ثلاث مرات ورابع مرة صاح دياب على أبو زيد خذها من يد دياب الخيل فما التفت أبو زيد وظن أنها ضحكة مثل العادة عندذلك لكش الشهبا طلعت كالريح حتى قارب أبوزيد وصار جنبه فسحب الدبوس وضربه على رأسه فطلع نزو مخه على الدبوس فوقع أبو زيد إلى الأرض غميان فوقف الامير دياب وقد أخذته الشفقة فصار ينظر اليه ويبكي ويلعن الحمق مدة من الزمان ثم فتح أبو زيد عينيه وجد دياب واقف فقال له ما كان ظني فيك هكذا يا دياب ثم تنفس الصعدا واشار يقول وعمر السامعين يطول :

قال أبو زيد الحزين الهايم	ودمع عيني فوق خدي سجايم
أيا دياب الخيل يا ولد غانم	أيا صاحب الافعال بين العوالم
ما كان ظني يا دياب تخونني	وتدعى صحيبك فوق أعلى الرمايم
المتني لا يا دياب بضربك	أيا حيف كنا يا أمير لزايم
ضيعت معروفي كسرت بخاطري	كم مرة خلصتك بضرب الصوارم
كم مرة شلتك من حبوس ضيقة	كم مرة شلتك من حبوس ظلايم
كم مرة رادون قتلك وشنقك	وأكون أنا حقا لهم من مخاصم
بوصيك وصايا يا دياب احفظها	كراما إلى ربك إله العوالم
أول وصية في أولاد أبو على	حسن سلطاننا من زمان القديم
ثاني وصية في أولادي جميعهم	رزق وريا أوكل المحارم
وثالث وصية يا دياب بعليا	صبرا وشهلا راخيات الكمايم
فاحمى حريمي يا دياب من العدا	إذا جاهم طارق بليل الظلايم
والجازية يا دياب ام محمد	دعها على قبرى تقيم العلايم
يا ما تقضى بيننا عمر مع هنا	عجلت في قتلي أيا ولد غانم
أذكر لايام اخوي اتي مضت	لما أصيح يا دياب ابن غانم
تجيني على خضرا كما لريح جريها	تدعى دما الابطال على الارض عايم
ولما تصيح يا هلالي سلامي	البيك في عزمتين القوايم .
يا ما شربنا الكاس واسعد دايم	وحسدنا في قلبهم منا سمايم

فقال الحزين ابن رزق لسلامه لقد سلمت روحي لرب العوالم

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه والأمير دياب يسمع نظامه فرغرغت عينيه بالدموع ونزل اليه وضمه الى صدره وأشار يقول وعمو لسامعين يطول :

يقول الفتى الزغبي دياب الماجد ودمع العين على الخدود بحار
بغيتم علينا يا هلالي سلامي فعايلك عندى لهـا أسفار
لما أتينا الغرب نحو خليفة تركتنا لنجد والفؤاد بنار
قمتم ضربتوا الشور يا بومخيبر أنت والجازيه وأبو علي المكار
قلتم دياب الخيل يرعى جمالنا فى سهلهم وحرشها وقفار
أخذت أنا للبوش سرت معجلا وقبلت علي نفسي رسوم العار
جاني خريبة راح من حد صارمى ومكحول منه ذاق كل بوار
لما عجزتم عن خروب خليفة قمتم ضربتم على الزغابى شوار
عملتم عليهم قرعة يا سلامه وأنا غايب عنهم بعيد الدار
راحوا جميعا واحزنتمونى عليهم وراحوا الاماره بالتراب دمار
زيدان أخوى كان شيخ شبابكم واولاد اخوي اثنين كالاقمار
نصر وعقل اولاده ولا رميتهم ايا حيف اعمار الجياد قصار
وما عاد فيكم يا هلال مقاوم ولا عاد فيكم فارس جبار
اتيتكم سعدا مثل شمس منيرة بنت الزناتى تشبه الاقمار
قالت لكم بويا يهفي جموعكم لان ابويا فارس مغوار
فلا يقتله الا دياب ابن غانم لانه صميدع فارس جبار
اتانى ابوي غانم الشيخ على العصا وخبرنى عما بالامارة صار
وقال لى قم خذ ثار اخوتك احارك إلهى من عذاب النار
وقلت له يا بوى رد وارتجع انا ما عدت العب مع ولاد صغار
الزم حسن وابوزيد رسل مكاتبه أجيهم على خضرة كشعلة نار
قصيتوا شعور بناتكم ياسلامه وخصك بيدي يا سلامه جهار
تقولوا الوحا يا ولد غانم تعالنا ترانا بضيقة والهموم كثار
واعرف عيونك لا تريد ترانى وهذا كلامك واضحا وجهار
مع كل هذا جيت من فوق خضرة لها جري يسبق هوي التيار

فتحت لسوق الحرب مع ولد حمير   ثلاثين يوما ليلها ونهار
وراحت الخضرا طريحة على الوطا   وعقلي عليها وحق ربي طار
كفنتها بعشرين شقة ثمينة   ودفنتها دفن الكرام بوقار
من بعدها قد جيت نحو خليفة   اصليت انا للشر مثل النار
يجيني على اشهر مضمور خواصره   في درع داوودي بعشر زرار
جالي وجيته فوق خضرا اصيلة   بيضا حمامي مثل ضوء نهار
من فوقها قرم عنيد ملاطم   له طعن في صدر الرجال شرار
ذوقته حربا كما الصبر طعمه   فراح يكتب لي كتاب مستجار
يقول لي دياب الخيل امنه جيرني   وخذ الى رزقي ايا مغوار
لما سمعت قوله ولا ردت اصالحه   زيدان فتح لي جروح كبار
طعنت الزناتي طعنة في عينه   فراح ابو سعدا وصار دمار
اخذنا الي تونس وكل بلادها   وطاعت الينا صغارها وكبار
قسمتوا بلاد الغرب قسمة مثلثة   وكل واحد بقسمته قد صار
صنعتم على حيلة يا سلامه   رميتم دياب الخيل بالاكدار
هذا برايتك انت يا ذو مخبر   اما حسن بذي الامور حمار
تعدى بقتل اولاد عمي جميعهم   مع اخوتي وقرايبي الاخيار
ومن بعدهم امر بتنزل عاجلا   [illegible] في شرعنا المختار
[illegible] العرب حكم [illegible]   [illegible] حبس مظلم يتصف الاعمار
[illegible]   لكن حسن امر بكثر زيار
وانت [illegible] راضيا   كان مالك بذي الامور خبار
[illegible] سنين كاملة في حبوسكم   [illegible] عذب الذل والاكدار
[illegible] ربي اطلاق [illegible]   [illegible] ربي كاشف الاسرار
[illegible] مكنسا   اخذتم الى [illegible] جوار
[illegible] من حبوستكم   [illegible] مع الاحرار
[illegible]   [illegible] بلاد الغرب بالبتار
[illegible] افتي   [illegible] بالذي قد صار
وصيت [illegible] وصية   [illegible] على يدان عز الجار
[illegible]   [illegible] ونصر وعمهم نصار
[illegible]   وسلم على كل السادة الاخيار

اودعتك الله يا هلالى سلامى　　غدا نلتقي فى آخر الاعمار

(قال الراوى) فلما فرغ الامير دياب من كلامه ركب جواده وترك ابو زيد على الارض وسار فالتقي بقومه فنظروه مرتبك وغضبان فسألوه عن حاله فقال لهم انى قتلت ابو زيد وقد غضبت عليه ولكن ما بقي لنا الا اننا نسرح ونملك الغرب واصير انا السلطان عليها لانه ما بقا احد يخاصمني ثم اشار يقول وعمر السامعين يطول :

قال دياب من قلب موجع　　عيون الحاسدين كانت شماتى

ذاب الجسم من وقع المصائب　　ولا عاد لى على الذل ثباتى

أيا ناصر أيا أولاد عمى　　ألا يا قرايبى ويا عزواتي

دياب الخيل ما عاد له مقاوم　　ولا عاد له أحد مخاصماتى

سبع سنين فى حبس ابن شما　　سبع سنين عنده كاملاتي

وما شفق حسن علي ابن غانم　　ولا بو زيد يسعي فى فكاكي

ألا يا قرايبى قوموا سريعاً　　مائة الف عدة كاملاتى

ولاقونى على جسر المريج　　لكي نمشي هنالك [illegible]

واركب شهبتي سرعا واجيهم　　كما الحاصود [illegible] زرع [illegible]

وأفنيهم على [illegible] أبيهم　　وأفنى الفوارس فى [illegible]

أنا لاقيم ضرب السيف فيهم　　و[illegible] حريمهم تبقي [illegible]

[illegible] عشرون عاما　　ثلاثون ما [illegible]

وامحي ذكرهم من أرض تونس　　كلاب [illegible] ما [illegible]

فيبقوا كبني جساس مرة　　[illegible]

بكل الارض ما [illegible]　　ولا [illegible]

على ما [illegible] أسوا لدياب [illegible]　　سبع [illegible]

مقال الفتى الرغبي [illegible]　　[illegible]

ثم ان الامير دياب سار [illegible] ودخل الى سراية الحكام [illegible] وأخبر [illegible] بقتل الامير ابو زيد [illegible] الامير [illegible] من [illegible] كلا [illegible] الكلام [illegible] جماعة الامير ابو [illegible] فلما [illegible] وجدوه مطروحاً على الارض [illegible] وناحوا وحملوه وهو تارة يغشى عليه وتارة يوعى حتى وصلوا الى الديوان

فعرفت الحريم فصاحوا وناحوا وخرجوا ايلا براقع وهم يمزقون ثيابهم ويوضعون التراب على رأسهم وكان يوما شنيعا على بني هلال مانظر مثله مدي الاجيال واجتمعت العربان من كل ناحية ومكان

وأما الجازية فانها عملت أكثر من الجميع وأرخت شعورها ونتفت خدودها ومزقت ثيابها وأشارت تقول وعمر السامعين يطول :

تقول فتاة الحى أم محمد ... بدمع جرى فوق الخدود يسيل
ونيران قلبي كلما أقول تنطفي ... يزيد لها جوى الضلوع شعيل
أيا ليتنى قدمت من عام أولا ... ولا شفت أبو زيد الامير قتيل
ألا يا دياب السوء ياخاين الرجا ... يا بايق الاصحاب وانت هبيل
ضربت سلامه يا دياب بضربة ... وهدمت ركنا من هلال طويل
فلا سالما منها الامير سلامة ... فتبكي عيونى والدموع تسيل
دعونى أملي العين منه بنظرة ... من قبل يغدي باللحود جديل
باطل عليك يا ابوزيد ياسيد الملا ... قد انهد عزمي وما بقي لى حيل
أبو زيد حيف تموت يابو مخيبر ... ومن عاد بعدك الهلالى وكيل
أيا هل ترى الايام تخلف كسلامه ... إذا مضى جيلا وبعده جيل
أيا دياب كيف بقت بسلامه ... وقد كان لك دون الانام خليل
يا حسرتي يا كسرتى بعد خلتى ... ولا أظن أن له بالانام مثيل
محمد وجمدان قد نسيت فراقهم ... وجانى حسن زاد الفؤاد عليل
وقد زادنى حزن الهلالى سلامه ... فياليت عمرى لا يكون طويل
ما قالت فتاة الحي أم محمد ... ونيران قلبي زايدات شعيل

فلما فرغت الجازية من كلامها غمى عليها برهة من الزمان ثم تقدمت بعدها عليها وهي تنتف شعرها وتمزق ثيابها وقد زادت فى بكاها وانتحابها ثم تقدمت اليه وقبلته بين عينيه وقالت له سلامتك يا ابا الابطال وزينة الرجال وجعلت ترثيه بهذه الابيات أمام الامراء والسادات :

تقول فتاة الحى عليا التى بكت ... ونيران قلبى احرقتني شعيلها
وعبرات عيني كالبحور الزاخرة ... تروي إلى عشب الفلا ونفيلها
ودارت نوشير الفراق بأعيني ... كما أرض مصر عند فيضان نيلها
وكم جهد عيني ما تفيض من البكا ... وان البكا يطفي ويشعل عليلها

علي فارس الهيجا الامير سلامه　　سياح بنى هلال وحامي نزيلها
أيا حيف والله يا أمير سلامه　　ليالى الهنا راحت وجانا بديلها
أيا ناس ما الكتمان إلا فضيحة　　إذا كانت الشكوى لمن لا نزيلها
من اشتكى شكواه لغير مسعف　　كمن صب الماء بوسط غرابيلها
وما اشتكي الا لربي وخالقي　　وايش تنفع الشكوى لمن لا نزيلها
ومن باح بالسر الذى فى ضميره　　يشابه نارا عالقه فى نخيلها
ترى الجيد جيدا ولو تمزق ثوبه　　والندل ندل وان لبس من جميلها
بالله ياذا البنات نوحوا واندبوا　　على قامة انحط منها طويلها
ودراً خلت من كل قرم مجرب　　ومن جيرة قد جانا يوم رحيلها
سكن دارهم من لا يقوم مقامهم　　فلا دامت الدنيا ولا دام ميلها
وخيل دياب تصبح اليوم جائله　　وخيل الهلالي زاد منها جفيلها
ورايات ابو وطفا تعود مرفعة　　ورايات ابو زيد انخفض تعديلها
مقالات فتاة الحي عليا الحزينة　　مضي زمن العز وجانى بديلها

(قال الراوى) فلما فرغت عليا من كلامها بكت الامارة والنسوان عن قولها وصاروا فى ضجة وابو زيد غميان ثم انه فاق من غشوته فتأسف على نفسه وكيف باق فيه الامير دياب وراح يخبر قومه ويودع أهله وأشار يقول من فؤاد متبول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه　　ولى شيعة شاعت بكل بلاد
ولا وقعة الا وسيطي بوسطها　　ولا معركة الا ولي تنقاد
ولا ظالم بالحرب الا ظلمته　　ولا طاغيا الا وزاد لحاد
ولا كل رجلٍ يكشف مهمة　　ولا كل من طلب المعالى ساد
زرعت جميلا ضاع مع ولد غانم　　ترا الجميل تزرع مع الاجواد
أنا جميلى ضاع مع ولد غانم　　كما ضاعت الجودة مع الخداد
زرعت جميلا طالبا أن استغله　　فخانى وباقى القوم بالميعاد
خرجنا الى الصيد نطلب املا　　ومعنا دياب فوق ظهر جواد
ولا شفت أنا معى سلاح وعدة　　ولا عرفت ما نعمل له بحداد
ضربني بالدبوس غيظ وراسه　　على فوق راسي ونعت للمهاد
ولو كان غيره ما وقعت بضربته　　ضربات دياب كجبل طواد

فعندى غبينة من دياب الغانم والاسى ما ينحصر بعداد
بجاد الغبينة ياهلاب وعامر يا أهل دريد وجملة الاجواد
ولكن اخذنى بوقة يا عمومتى ضربنى وخلانى طريح وساد
ولى ثلاثة أيام أقاسى نزاعه أتارى سكرات المهاته شداد
اذا باتت الهجاع فى جنح ليلهم ابات كأني فوق شوك قتاد
أيا حسرتى شوف المنايا تجينى وأنا أودعكم وذا آخر الميعاد
تأسف على ميرين قبل قتلتى عزيز ومرعى مع شباب جداد
فنادوا لى الاولادحتى أشوفهم ونادوا على أهلناوكل الاولاد
ونادو لى مخيبر والامير بريقع وشيبان نادوا لى يا أجواد

﴿انتهى الجزء العشرون ويليه الجزء الحادى والعشرون﴾

الجزء الحادي والعشرون من

تغريبة بني هلال الكبرى

الشامية الاصلية

٤

ديوان اليتامى

قتل الامير ابو زيد من الامير دياب ورحيل الجازية باليتامى الى بلاد الكوع وقتل شمعون اليهودى و تسلطن الامير بريقع بن الامير حسن على بلاد الكوع

ونادوا لعليا كي اراها بناظري ونادوا لي ريا وام سعاد
ونادوا عزيزة اليوم ذا فعل جالها ترى حزنها ذاك المضي قد عاد
ونادوا لى الجازية ام محمد حتى اوصيها بسائر الاولاد
ايا جازية الدهر فعله مقلبا كذاك الذهب لا يعتريه سواد
تري ان ظهر فيكم دياب الغانم يفنى اصاغركم مع الاجواد
ويقطع جداركم ويهفي جيادكم ويحكم كما النمرود ابن شداد
قتل حسن ابن سرحان ابو على وخلا حريمة لابسات سواد
انا اوصيكم يا آل عزى ودولتي تغيبوا عن الزغبي لاقصى بلاد
فروحوا اللاكراد وأرض فارس فيها دياب ماينال مراد
وابقوا بها حين يهون عسيرها واغزو دياب بالثقال الحداد
ترى اهلكم فرسان مع اجدادكم وانتم سباع الحرب والاقتاد
فمن ينهزم منكم تكون امه غايبه ولا له منا ابا ولا اجداد
ترى اذا غاءت الخيل بالدما وضو النهار قد علاه سواد

هناك مخيبر ينطح الخيل بالوغا ويدعي الزغابي بالفلا شراد
اوصيكم بالحرب ياآل عامر ميلوا عليهم ميلة الاساد
وادعونهم فوق الوطا شرايد ولاتتركوامنهم جمعا ولاافراد
وادعواذياب على الوطي ملتقحا وذيقوه ما ذقنا من الانكاد
ومن طلب منهم زمام وجيرة جيروه منكم جيرة الاجواد
وادعونهم عونا لكم في اموركم وانتم عليهم باكرام سياد
جميع كراسي الغرب ملككم وانتم ملوكا من ابا واجداد
وافرح في قبرى وتنسر مهجتي وان الله العرش بالمرصاد
انا اودعتكم لله ربي وخالقي الله تعالى اجود الاجواد
جيبوا الكفن لى فصلوه امامي وهاتوا لى الكافور وحق زباد
وجيبوا لى نعاشامليحا من مرو ودقوا مساميره بدق شداد
بجنب حسن يا خلق اقبروني وصلوا على قبرى صلاة عباد
وقولوا رحمك الله يا بو مخيبر ايا مطعم الجيعان والقصاد
وهاتوا مغانيكم وهاتوا دفوفكم وقيموا معادات لنا وقياد
فيشيع الخبر والعلم بالناس كلها يقولوا دياب الى سلامي كاد
وتوصل الى نجد العريض خبارنا يقولوا ابو زيد الامير انكاد
وتوصل خبارى نحو عمي وقومه يخبرونه العزال والحساد
سألتك يا رحمن يا سامع الدعا تنجى اولادى من الاوغاد
سألتك يا رحمن يا خالق الورى تعين اولادى بيوم جلاد
لكى ياخذوا ثارى من ولدغانم ويشفوا قلوبهم مع الاكباد
وسألتك يا رب تستر عيوبنا عيوبا لنا هم واضحات جداد
واغفر لنا ما سلف من ذنوبنا علينا ذنوب ما لها اعداد
واوصيكم يا آل عزي ودواتي لا تسلكوا ابدا طريق فساد
وان عادت الايام بكم معنا ابنوا لقبرى قبة وعماد
قالات ابو زيد الحريس امه رتق غما دخل بقبر العميق وكاد

(قال الراوي) فلما فرغ ابو زيد من كلامه شهق شهقة واحدة فافاضت روحه
... كثر بكاه ولما ... كل واحد ياتي ويقبل اياديه مرة ثم اشارت
... الا ... بجانب الامير حسن ... ما كان منهم واما

ما كان من الامير دياب بلغه ان ابوزيد مات وشرب كاس الافات ودفنوه فجمع ستين الف من قومه وسار الى بلاد القيروان ليجرى حكمه ويعمل كما عمل بتونس ولما سمع ابنى زحلان ودريد هذا الخبر اجتمعوا وتشاوروا مع بعضهم فاتفقوا ان يطيعوا الامير دياب وينادوا باسمه لأن ما لهم طاقة على حربه ولما قرب منهم الامير دياب وعرفت الجازية أتت اليهم وصارت تنخيهم فما ردوا عليها فبكت وقالت ما فيكم أحد يخاصم دياب وأنتم شبان وهو كبير خرفان وأشارت تنخيهم بهذه الأبيات سبحان ربى غافر الزلات

تقول فتاة الحى أم محمد	أنا اليوم جانى الهم والنكباتي
وعبرات عيني كالبحور زواخر	وقد غاب قلبي بالضمير وفاتْ
علي فارس الهيجا الامير سلامه	غفير هلال حامى الزينات
أيا آل قوما راح منهم سلامه	ويا شومهم لما يقولوا مات
أبو زيد بالعربان ليس مثاله	بالجود والمعروف وحسن ثبات
حوى حكمة لقمان وجودة حاتم	وعفة أيوب وكل صفات
وحاز خصال الخيرين جميعها	أمير بن أمير سيد السادات
أبو زيد حيف تموت يابو مخيبر	يبكوا بدمع قرح الوجنات
يقولوا يا لنا من بعد عزنا	من عاد يحميها من النكبات
أبو زيد انظر حالنا وماجرى لنا	وفينا دياب حاكم الاوقات
واصبح على تخت ابن سرحان جالسا	وحاش بيده المال والصهوات
وعادت خيوله غايرة نحو أرضنا	وما له مقاوم يدفع الشدات
ياحيف حط الباز من الجو للوطا	وعادت عصافير الشجر عاليات
عاد الضبع للسبع يا ناس طارد	وعادت عدانا بالهنا فارحات
ألا يا دريد اليوم يا آل عامر	أيا من لكم بالوغا عادات
تذلوا من دياب وسطونه	وأنتم ملوكا وأنتم السادات
فلا خير في أيديكم ولا برماحكم	ولا في سيوفا تفلق الهامات
أناديكم بالحرب ما تسعفوني	أيا فاقدين العزم والنخوات
فابكى يا عينى لفقد سلامه	ويا قلب نوح علي الامير وهات
خلت سروج العامرات أوقدها	والنسا قعودا والرجال موات
فلا بد بعد العز تاتي مذلة	ويأتى العنا من عالى الدرجات

ولا بد من عرق إلى عرق يلتجي يزيد النجا في سائر الدعوات
مقالات فتاة الحي أم محمد وحزن أبو زيد دائم الاوقات

فلما فرغت الجازية من كلامها ما أحد رد عليها إلا أن أكابر بني دريد وعامر وزحلان وضعوا المناديل في رقابهم علامة الامان وخرجوا ينادون يادياب انت ملكنا وأنت الحاكم علينا ولا أحد منا يعصي لك أمر ولما نظروه تقدموا وقبلوا أياديه ورجليه وقالوا له انت السلطان ومثلك يليق أن يكون سلطان لأنك فارس جبار ثم دخل الامير دياب وجلس على كرسي الامير حسن وصارت تأتي اليه الامارة واحد بعد واحد يهنوه ويدعون له بطول العمر وأما الجازية والنافلة والحريم والاولاد فانهم اختفوا وعند الليل ركبوا وساروا وسبقهم كثير من قومهم وتسلطن دياب على كل بلاد الغرب وأمر أن ينادوا باسمه وانه هو الملك دياب حاكم الغرب وسيد فرسان الطعن والضرب وصارت تأتيه الهدايا والتحف ورتب الاحكام وعزل ولما راق باله سأل عن أولاد حسن وأبو زيد فأخبروه أن الجازية هربت فيهم مع بقيـــة النسوان وتبعهم ثلاثين الف نفس من دريد وزحلان فتكدر خاطره وقال حيث ظنوا بي السوء وما أمنوا لي فأنا لا بد من أن أذلهم وأقهرهم لأنه كان بفكري أن أرتب لهم معاش وأقوم بوصية الامير أبو زيد ثم ركب وتبعهم فما لحقهم فرجع وهو متكدر ويبقى له كلام يرجع الكلام الي بلاد الكوع كان يحكمها سلطان يهودي اسمه شمعون وكان له وزير اسمه ابو الجود مسلم فلما قتل الزناتي وملكوا بلاد الغرب اجتمع بوزيره وقال له كيف الشور عندك إن بني هلال وصلوا الى نواحي بلادنا وهم فرسان لا يوجد مثلهم في هذا الزمان ولا سيما فيهم فارس اسمه أبو زيد من الأبطال العظام وتروى عنه الشعار وتنشد أيضا بفارس أشقر يسمونه دياب بن غانم لايقدر أن يلقاه فارس ولا جبار وكل جبار يعسر على بني هلال ملتقاه يقتله هذا الفارس وأنا أخاف أن يوصل شرهم الي فيأخذوا البلاد مني وأصبح قتيل أو اسير ولا اعرف كيف العمل فقال له انا الرأي عندي ان تأخذ بعض الهدايا من بلادك والجواهر وتسير الى الامير حسن وتقدمها له وتهنيه بالنصر ويصير بينك وبينه مودة وصحبة وتأمن شره ولا يعود عليك خوف فاستحسن شمعون هذا الرأي ومن وقته وساعته حمل الهدايا على الجمال وصار بألف فارس من أعيانه وأكابرهم حتى وصل الى القيروان فدخل على الامير حسن وقدم له الهدايا وسلم عليه فترحب به وعمل

الولائم ووقعت بينهم المحبة والمودة ثم عاد الي بلاده وبقي فى أمان والمراسلة بينه وبين الامير حسن سنين وأيام الي أن سمع بقتل الامير حسن فتكدر وبعد ذلك بلغه الخبر بقتل أبو زيد فعظم الامر وقال لوزيره أبو الجود الجود أنا مرادى أن أجمع العساكر وأذهب إلى بنى هلال لأنهم لابد أن يكونوا فى حروب بين بعضهم البعض وربما يفنوا بعضهم فمن الموافق أن نكون فى حاضرين ونساعد الحزب القوى ونملك نحن البلاد وربما ساعدتنا التقدير وقتلنا الأمير دياب لأنه صار شيخ كبير ثم جمع عساكره وسار قاصدا بنى هلال وبقي سائر حتى دخل حدود الغرب فنظر الغبار قد علا وسار حتى سد الأقطار ثم انكشف عن ثلاثين الف فارس ومعهم حريم ونسوان فسأل ما الخبر فأخبروه أن هؤلاء حريم حسن وأبو زيد وأولادهم اليتامى هاربين من وجه الأمير دياب خوفا على أنفسهم فاستدعاهم فحضرت الجازية بين يديه فاستخبر منها عن الخبر فأشارت تقول وعمر السامعين يطول :

تقولى فتاة الحى أم محمد ... بدمع جرى فوق الخدود غزار
ألا يا ملك شمعون اسمع قصتى ... واصغى لقولى يا حمات الجار
أنا بنت سرحان اخوى ابو علي ... وهؤلاء يا ملك عبيدنا وجوار
كنا بنجد فى سرور وفي هنا ... نمرح بها فى ليل ثم نهار
اتانا بها محلا شديدا وضرنا ... سبعة سنين كاملات عسار
رحلنا لارض القيروان وقابس ... اتانا الزناتى مثل شعلة نار
قتل منا تسعين قتيلا مجربا ... براس رمح المرهف البتار
قتله ابو وطفا دياب ابن غانم ... بعزم شديد يفلق الاحجار
ملكنا بقتله ساير الغرب ياملك ... ملكنا مدايها وكل دار
اراد دياب يملك القصر وحده ... ويقعد به سلطان يا مغوار
حبسه اخى سبعة سنين كاملة ... سبعة سنين فى بلا وكدار
واطلقه ابو زيد الهلالي غصيبة ... وهذه حيلة منهم عليه دار
مرض حسن والوجه منه مغيرا ... وعلى وجه بعض البياض سوار
اتوه جميع القوم من كل جانب ... وجاءوا هلال كبارهم وصغار
وجانا دياب مع اكابر قومه ... وقلبه اسود خاينا غدار
ناموا جميعا ليلتين كواملا ... وثالث ليلة قام دياب ودار

ذبح حسن من فوق عالي فراشه   وخلاه يختبط ميمنة ويسار
وراح عنا هو وكل جموعه   دخل بلاد الزنج والاقفار
بجايه ابو زيد طيب بخاطره   وارسل له مكتوب بالاحضار
وجابه عنده سريعا بلا بطا   ورجعوا اصحابا وراحت الاكدار
وبعده اتوا للصيد في عزمه هنا   ولعبوا بالجريد كم مشوار
فشال دياب من تحت باطه لسلامه   دبوس حديد فية الف مسمار
ضربه به ارماه ملقى على الثرى   ضربات دياب ما عليها عيار
وقال ابو زيد روحوا بأهلكم   الى الملك شمعون عز الجار
وجينا لعندك طالبين مكارمك   يا برمكي يا مكرم الزوار
دياب قتل منا الفوارس جميعها   شبيه الغنم ان جزها الجزار
وعاد دياب مالك الغرب كلها   وصار ملك والعز له صار
هذا جرى فينا وهذا اصابنا   والدهر دولاب علينا دار

(قال الراوى) فلما فرغت الجازية من كلامها اشار الملك شمعون يرد عليها ويقول وعمر السامعين يطول :

يقول الملك والقول صادق   نيران قلبي زايدات سعار
الا فابشري بالخير يا ام محمد   لقد زال عنكم سائر الاكدار
وقلبي على حسن الهلالى موجعا   وابو زيد قد خلا الدموع غزار
ايا حيف سلطان البوادى كلها   يروح قتيلا دون اخذ الثار
ايا حيف بالله على الامير سلامه   يغدوا قتيلا مرخص الاسعار
ولكن لهم اولادهم يخلفونهم   ويسقوا دياب علقما ومرار
انا كنت ساير نحوكم لاعينكم   وانظر ماذا بينكم قد صار
ولكن اتيتم سالمين بأهلكم   فابقوا واصبروا فالفلك دوار
وارعوا الاراضين واجنوا ثمارها   فأنتم ولله اكرم الخطار
وقلبي فرح فيكم وديني ومذهبي   وحق النبي موسى ابو الاسرار
لكم عندنا الاسرار وخيروا هنا   والعز والناموس والاوقار

فلما فرغ الملك شمعون من كلامه والجازية تسمع نظامه قالت له ارجع فما الآن وقت الذهاب لان دياب له سطوة في بنى هلال ولاقى الرعبة فى قلوب الجميع وما انت من رجاله ولا في هذا الزمان [illegible] لانه قتل في زمانه فرسان لا تعد

وقاتل اعظم ابطال عصره فالاوفق نصبر الي ان يأتى الفرج وهو قريب لان دياب كبير السن وما له سوى ولد صغير يرضع اسمه نصر الدين فأخذ الثار ان شاء الله قريب

(قال الراوى) وكان الأمير دياب تزوج امرأة من قومه اسمها نسرين لأنه ما بقى له أولاد سوى وطفا والدهنه فأتاه منها ولد سماه نصر الدين يبقى له كلام يرجع الكلام إلى الجازيه انها رجعت باليتامى إلي عند الملك شمعون فعين لهم أرض وصاروا يرعون المراعى وما عاد للجازية هم إلا تربية اليتامي وتعليمهم الحرب والقتال وبقيوا عند الملك شمعون حتى وصل خبرهم الي الأمير دياب فأراد يجمع العساكر ويذهب اليهم فقالوا له بنى زغبي الأوفق أن لا تذهب وراهم لأن بلاد الملك شمعون مقفرة وموعرة وحارة فاذا طال بيننا الحرب نهلك من العطش والحر وربما بني دريد وزحلان اتفقوا مع الأولاد فيطول علينا الحال فقال دياب أنا خايف ينتظرونى حتي أموت أو أعجز ويأتوا يملكون البلاد ويذلوا ابنى ويذلوكم فقالوا له الاوفق أن تكتب مكتوب الى الملك شمعون وتوعده بالمال حتي يقتلهم وإلا تهدده لأنه جبان يخاف من بأسك فقال هذا الرأى والصواب ثم أشار يرسل الى الملك شمعون ويقول وعمر السامعين يطول :

يقول الفتي الزغبي دياب الماجد	ونيران قلبي زايدات سعير
نعم أيها الغادى على متن ضامر	تسبق هبوب الريح عند مسير
اذا جئت للكوع فانزل بربعها	وعقل جوادك بالزمام وغير
واعطى الي السلطان شمعون ورقتى	وسلم عليه يا رشيد كثير
أريد يا شمعون تقتل لليتامى	وتدعيهم على وجه التراب عفير
ولا تغرك الجازية وحسن وجهها	لها وجه يضوي مثل بدر منير
لها قامة هيفاء وخد وحاجب	وليس لها بين النساء نظير
تسلب عقول العاشقين وما لها	عرض ولا تستحى بفعل النكير
تخذ أموال دريد وجمالهم	وابقى أنا لك بالحرب نصير
والا أتيتك فوق شهبا ململمة	اذا اطلقتها مع الرياح تطير
فأملك الي أرضك وكل بلادكم	وأفني أكابركم وكل أمير
مقال الفتي الزغبي دياب بن غانم	كلامي أكيد ما به تزوير

(قال الراوى) فلما فرغ الملك دياب من الكتاب ختمه بختامه وأعطاه ارسوله راشد ابن نبهان أن يوصله الى الملك شمعون ويطلب منه الجواب

فأخذه وسار حتى دخل بلاد الكوع فصادف الوزير ابو الجود وكان الوزير مسلم فاعطاه الكتاب فضه وقراه وعرف رموز ومعناه وقال للرسول اصبر حتى نعطيك الجواب ثم امر ان ياخذوه الى دار الضيافة وذهب الوزير فاستدعى الاولاد قال لهم خذوا اقروا هذا المكتوب فلما قروه خافوا ووقعت الرعبة في قلوبهم وقالوا نحن وقيعين عليك ياوزير فقال لهم لاتخافوا فانا اعرف ان وصل المكتوب الى شمعون يقتلكم لانه طميع ويخاف من دياب وما لكم الان نرسلوا الجازية الى عنده وتتدلع عليه وانا اعرف انه واقع في هواها وعند ذلك لا يعود يقتلكم وتأمنوا من الشر فقالوا نحن لا يليق ان نكلم الجازية هذا الكلام فقال لهم انا احضرها الى عندي ثم بعث وراها فجاءت لعنده فقرا لها المكتوب فتكدرت وقالت ما كفا دياب ماعمل حتى انه لاحقنا الى هنا ولكن كيف الرأى عندك ياوزير فقال لها انا الرأي عندي ان تذهبي انت الى الملك شمعون وتتدخلي عليه وانه لا يضركم فقالت له انا امرأة مسلمة ومن نسل الملوك وزوجي شريف النسب فكيف اوقع على واحد يهودي وانت مسلم مثلما مثلك ونبينا صلى الله عليه وسلم اوصانا بمساعدة بعضنا البعض فلما سمع ابو الجود كلامها قال في باله هذه امرأة تكرم دينها اكثر مني فالاوفق ان اساعدها ثم قال لها انتم معكم ثلاثين الف فارس وانا عندي اثني عشر الف فالجملة اثنين واربعين الفا فخلوا الجميع مستعدين للحرب وابعثي اولاد اخيك الى السلطان شمعون يقولوا له مرادنا نزوجك عمتنا فيفرح بذلك لانه واقع بهواك فمتي دخلت عليه يدخل معك شيبان ويذبحه ونهجم بالليل على اليهود فنقتل الاكابر ونملك البلاد ونقيم حاكم من اولاد اخوك وانا اتزوج بك وتصير البلاد بيدنا فاتفقوا على هذا الراى وذهبوا اولاد السلطان حسن الى قصر الملك شمعون وعرضوا عليه عمتهم ففرح وقام قبلهم وقال لهم مهما شئتم فاطلبوا فقالوا له لا نريدك الا سالم ثم جاءوا الحاخام فكتب الجازية على شمعون ودخلت في دين اليهود ذلك اليوم وبعد تمام الفرح دخلت على الملك شمعون فوجدته منتظرها في قاعة النوم وعليه الملابس الثمينة ودخل معها شيبان ابن الامير ابو زيد وبيده الخنجر فضربه به [illegible] قتيل و [illegible] وقطع راسه ووقف في طاقة القصر وقد قضي الغرض [illegible] كانت [illegible] والوزير منتظرين تحت القصر فغاروا على اليهود وابلوهم بالذل [illegible] وقتلوا [illegible] وما اصبح الصباح حتى [illegible] وجلسوا الامير برقع

ابن السلطان حسن ملكا على بلاد الكوع وصارت المنادية تنادي باسمه وفرق العساكر في جميع الجهات وراق له الحال وما قام له في البلاد مخاصم فهذا ما كان منه وأما ما كان من رسول الامير دياب بن نبهان فانه لما شاهد ما صار خاف على نفسه فسار مجداً حتى وصل الي عند سيده فأخبره بالخبر فقال لا بأس هو ابن أختي وابن سلطان فقال له أحد الامارا أنت قتلت الحية وتركت رأسها هؤلاء الاولاد لابد ما يقوموا ويأخذوا منك بثارهم فضحك الامير دياب وأخذ يكتب لليتامي ويقول وعمر السامعين يطول :

وهبت بوارقها وطاب هواها ولاح ما بين النجوم سناها
وعرفت ملوك الشرق والغرب انني مبيد رجال العرب عند وغاها
قتلت أنا حسن الهلالي أبو علي وأبو زيد الفتى قد كان أعلاها
ملكت أنا كل البلاد بهيبتي وأنا ابن غانم أعظم الناس جاها
طاعت لحكمي ساير الغرب واختشو ضربات سيفي بالبلا ألقاها
وماعاد لي بين الأنام مخاصما الا اليتامي خائف من دهاها
فلابد ما الحق اليتامى جميعهم وألحقهم في أبو زيد الذي تاها
أياما قتلت من الملوك أكابرا حسن بن سرحان ذاق بلاها
وبعده أبو زيد الهلالي سلامه قتلته وأنا حمقان من أغواها
وقبله الزناتي كان قرما مجربا قتل الى الفرسان منا وأهفاها
تسعين أميرا من جياد قرومنا سالت دماهم كالبحور فوق وطاها
بدر مع زيدان أولاد عامر وعقل ونصر أسود وغاها
عقل ونصر كانوا خيار رجالنا راحوا هفايا وسط طي ثراها
فنزلت اليه والسيوف تقر لي وتركته ملقى بوسط فلاها
ألا يا يتامي اقبلوا نحو ربعنا وحبوا لرجلي وبوسوا يداها
عليكم سلام الله كرمال أبوكم حسن وأبو زيد عما أوصاها
وإن تشمخوا أرحل اليكم أدلكم وأنتم تعرفوا عزمي بسوق وغاها
مقال الفتى الزغبي دياب بن غانم والنار في قلبي تزيد لظاها

ولما فرغ الأمير دياب من كلامه طوى الكتاب وبعثه الى اليتامى فلما وصل اليهم وقرؤه اعطوه الى الجارية فقالت لهم ان دياب قبيح دليله ولئيم لاعهد ولا ينام لليل ثم كتبت الى الامير دياب الجواب وأشارت تقول وعمر السامعين يطول :

برق تلمع من خلال اليماني — وهيج بالقلب وجدي بعدما هالي
والريح هبت في ضميري وخاطري — وتقول الله يعكس ناطلا كنا اخوان
دياب ياأمير ترسل تهددنا — كنا لكم يا أمير بالوغى اخوان
نحنا تركنا لك بلاد تحصنا — ولا عدت تنظرنا بطول زمان
الله يسامحكم بها ويطول عمركم — وتدوموا بخير ياأبو الاحسان
والله عوض يادياب بغيركم — فصرنا ملوكا وعادالدهر كما كان

فلما فرغت الجازية من كلامها طوت الكتاب وأعطته للرسول أخذه وسار يقطع الفيافي والقفار حتي وصل الى عند الملك دياب فناوله الكتاب فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه وقال في باله لابد لي ما أركب وأدهمهم في بلادهم .

(قال الراوي) وفي ذات يوم إأتوا شعار الي الغرب ومدحوا السلطان دياب ووصفوا له بنت الأمير ماجد بن الهدهاد فسأل دياب عنها فأخبروه أنها لم يوجد مثلها بالدنيا فقال له أحد الأمارة الحاضرين هذه خاطبها السلطان حسن لابنه بريقع وكان مراده يزفه عليها فعند ذلك قال السلطان دياب والله نحن أحق بها من الغير ثم كتب مكتوب الى الامير ماجد يطلب بنته وبعث المكتوب مع الامير عرندس فأخذه وسار حتي دخل على الامير ماجد أعطاه الكتاب فضه وقراه فترحب في عرندس ثم جمع الامارة وأعيان قومه وأطلعهم عليه فقالوا له ابعث قول له ابنتي مخطوبة الى الامير بريقع ولايليق بي أن أفسخ الخطبة والامير بريقع مراده يزف عليها وهو ابن عمك ومن لحمك ودمك ثم بعد ذلك كتب الى الامير دياب وأرسل المكتوب مع الأمير عرندس وبعد ذلك استدعى بقومه وأعلمهم عما كتب الى الامير وقال لهم لابد ما أقصدهم بالعساكر والاجناد ثم أشار لهم بهذا القصيد يقول :

قال ماجد ياعرب قوموا ارحلوا — قبل ما يأتي دياب فتقتلوا
دياب ارسل لي بالكتاب يقول لي — هات بنتك لي سريعا واعجلوا
أرسلت له بنتي بريقع هو لها — كتابها مكتوب حقا اولوا
أما عرندس مع رفاقه كلهم — من امور الغيظ مني امتلوا
عندما يعطوا الكتب لأميرهم — تركب الابطال ثم يعجلوا
يقتلون صغارا وكبارنا — اسمعوا قولي وقوموا احملوا
العجل ثم العجل ياقومنا — لي ديرة الكوع وفيها انزلوا
ونعيش نحن مع بريقع في هنا — ويعود يرجع الى دياب وتقتلوا

ما قال ماجد اسمعوا يا عزوتي قوموا سريعا يا رجال وحملوا
العجل ثم العجل يا قرومنا الى ديرة الكوع وفيها انزلوا
ونعيش نحنا مع بريقع في هنا ونعود نرجع الى دياب ونقتلوا
فقال ماجد اسمعوا ياعزوتي قوموا سريعا يارجال وحملوا

(قال الراوى) فلما فرغ ماجد من كلامه هدوا قومه البيوت وحملوا حريمهم وركبوا وساروا يقطعوا الفيافي والقفار قاصدين بلاد الكوع يبقي لهم كلام يرجع الكلام الي عرندس دخل على الامير دياب واعطاه الكتا . فضه وقراه وعرف رموزة ومعناه فغضب غضبا شديد ما عليه من مزيد ومن ساعته ركب بالفرسان والابطال وسار قاصد الامير ماجد وما زال حتى وصل بلاده وجد الارض قفرة فسار سبعة ايام تمام فما وقف له على خبر فتكدر ورجع وارسل الجواسيس تفتش عليه إلي أين سار ورجع هو ومن معه إلى بلاده والاوطان

(قال الراوي) وكان عند الأمير دياب بنت الأمير حسن وكان اسمها أمينة وكان لما هربت الجازية باخوتها بقيت هي فأخذها دياب ووضعها عنده وكانت بنت دياب تشتم لها اخوتها وأولاد أبو زيد وتقول لها أبي لا بد ما يقتلهم فذات يوم كانوا مجتمعين قالت لها بنت دياب أنا سمعت أبي مراده يجيب اخوتك ويخدمهم عنده وان ما قبلوا يسير اليهم

فقالت لها ان اخوتي صاروا ملوك ولا بد ما يجوا ويأخذوا الثار من أبيك فغضبت منها وقامت إليها وضربتها فعند ذلك تركتها وراحت الى قبر أبوها وصارت تبكي عليها وهي قاعدة واذا برجلين مقبلين عليها واحد أبيض والآخر عبد فوصلوا الى قبر الامير حسن وأبو زيد وصاروا يبكوا فالتفت اليهم وقالت لهم من تكونوا وعلى من تبكوا فقال لها الابيض وتبكي على موالينا وأسيادنا وأنا بدر بن قاشع وهذا عبد أخوك وكنا عائشين بنعمتكم حتى غدر بنا الزمان ورحنا مع اخوتك وصرنا نسافر مثل المكارية من بلاد الى بلاد فقالت لهم والآن الى أين ذاهبين الى بلاد الكوع فان كان لك عرض أو وصية نوصلها لك فقالت لهم احضروا لى دواية وقرطاس فاحضروا لها فأنشدت تكتب لى اخوتها وتقول :

تقول أمينة بنت من ساد ذكرها بدمع جري من مقلة العين عائم
ونيران في قلبي كلما أقول تنطفي يهب لها جمرا فملوي صريم
تعاندني الايام والدهر هانني وصرت حزينة في العقل قد صار غائم

أداري على روحي واكتم خاطرى ... ولا أعرف الراحات والرب عالم

يا أيها الغادى على متن ضامر ... تشق فلاة الارض مثل النسايم

فاهدى سلامى ثم اعطني رسالتى ... رسالة محزونة تذوق العدايم

إلى اخوتى عز الملوك إذا علوا ... وسلم على أولاد عمى اللزايم

وخص الفتى ديار ثم بريقع ... بدر وعلي وغازى ثم وقاسم

وسلم على شيبان ثم مخيبر ... أولاد أبو زيد وافين الرمايم

وسلم على أولاد عمى جميعهم ... منهم مناع نسـل الأكارم

إلى عمني الجازية اهدى تحيتي ... عليها عقيد الشور والرأي دايم

يا عمتي لو تنظرين لحالى ... ابكي واندب والدموع سجايم

يا عمتى بريقع زاد همى ولوعتى ... تهددنى سميا بنت بن غانم

وضعت قدرى ثم كسرت خاطرى ... وقد ضربتني بوجهي لطايم

وقالت لى خلي لذكر رجالكم ... فما فيهم ينفع لوقت اللزايم

ولولا تكونى يا أمينة لزيمة ... كنا جعلناك مثل العبيد اللوازم

فقالت لها زيدى جفاك فربما ... يجونى صغارا يرفعون العظايم

تقدم يا أنا بدر والق مصايبي ... لهم ولا تقصر بشرح الكلايم

فان سكتوا عنها وعنها تصددوا ... أصبح في حفر التراب رمايم

وإن كان يركبوا الخيـل غارة ... يكون لهم شان بصدق للكلايم

يجونى على الخيل كما الريح جريها ... عليها شباب كالليوث الضراغم

بكل مهنـدى والرديني بكفه ... لسان الحنش مسقى بسم الاراقم

ويكثر بالجمعين ضرب البواتر ... بطعن العوالى قد يزيل العظايم

عسى يأخذون الثار من ولد غانم ... ويدعوه فوق الأرض مرمي ونايم

تبقى بلاد الغرب طوعا بيدكم ... وتحكموها مثل أبوكم حاكم

مقالات فتاة الحى أمينة الحزينة ... ونيران قلبى زايدات ضرايم

(قال الراوى) فلما فرغت أمينة من كلامها طوت الكتاب وأعطته إلى بدر أخذه وسار هو والعبد أيام وليالى حتى وصل إلى بلاد الكوع ودخل على الأمير بريقع وقبل الأرض بين يديه فقال له ما معك من الأخبار قال له معى كتاب من أختك أمينة وهي تقاسى العذاب الأليم من بنى زغبه وبنت خالك فى كل صباح تعذبها وتهددها فقال له أين الكتاب قال له أوصتنى أن لا أعطيكم الكتاب

إلا بوجود عمتكم الجازية فاحضروا الجازية فلما حضرت أخرج بدر المنديل
وشال منه الكتاب وخصلة شعر من شعر أمينة فلما نظروا الشعر وقروا المكتوب
هاجوا وماجوا ورغرغوا وضاجوا وصاحوا ووقع فيهم البكاء والنحيب
واجتمعت عليهم النساء والأولاد والرجال وكان لهم ساعة يالها من ساعة
وجددوا عزا أبو زيد والأمير حسن فعند ذلك نهض الأمير شيبان وقال لهم
مالنا ولهذا البكاء قوموا حتى نركب ونسير إلى حرب دياب فاما أن يموت أو
أن نأخذ ثارنا ونخلص حريمنا ورجالنا من ذل دياب فقال بريقع هذا هو الصواب
ثم انهم أمروا بالركوب فاشتدت العساكر وامتدت وركبت معهم الجازية وساروا
بستين الف فارس ما بين مدرع ولابس والبعاي أمام الجميع وعندما أمسي المساء
نزلوا فى برية بتلك النواحي ليرتاحوا وما استقر بهم النزول حتى سمعوا صوت
عرب نازلين بالقرب منهم ثم شاهدوا نيرانهم فاجتمعوا اليتامى وقالوا من ياتري
النازلين فى هذا المكان فقال بريقع أظن هذا دياب أتى بقومه ليقتلنا فما الشور
عندكم واذا وقعنا نحن وهو فى هذه الأرض يهفينا لأننا نحن ملتمين على أولاد
عمنا الباقين فى بنى هلال فانهم لا يساعدوننا ودياب لا يجب معه الا أولاد عمه
وكلهم أبطال وبقوا فى حساب وأمور صعاب فقال الأمير بريقع مالنا الا نرسل
من يكشف الخبر فقالت الجازية أنا أسير واكشف لكم الخبر ثم قلعت ثياب النسا
ولبست ملابس الرجال وتقلدت بالسلاح وأخذت معها شيبان وبريقع وأوصت
أن لا أحد يشعل نار أو يبدى حركة قبل أن يحضروا ثم ساروا تحت الظلام
حتي قربوا من العرب وسمعوا بكاء الأطفال وصريخ النساء ونبح الكلاب
فعلموا انهم عرب راحلين بعيالهم قاصدين النقلة فقالت الجازية للامارة ان صدقنى
حزرى هؤلاء عربنا هاربين من وجه دياب وقاصدين بلادنا فقالوا يلزمنا نكشف
خبرهم فقالت الجازية سيروا لنقصد النار الاكثر اشتعالا لأنه هناك يكون
أميرهم ثم رحلوا بين العرب فنظرهم بعض الناس فذهب لعند الأمير ماجد وأخبره
انى نظرت ثلاث خيالة غرباء دخلوا فى قبيلة وأظنهم من بنى هلال وشرح لهم
صفاتهم وبينما هم فى الكلام والا دخلوا عليه الامارة والجازية فقام لهم واقفا
على الاقدام وترحب فيهم وأجلسهم وقدم لهم الطعام و كلوا ثم قدم لهم القهوة
وشربوا وبعد ذلك قالت الجارية كثر الله خيرك يا ابن عمى يا ماجد فهل أراك
عرفتني يا أيها الشاب الظريف وأنا ما عرفتكم ثمن تكونوا فقالت له الجازية

ان صدق المثل الذي يقال من غاب عن العين سلاه القلب فقال لهم بالله عليكم أخبروني من أنتم فقالت له أنا الجازية اخت السلطان وهؤلاء بريقع بن الامير حسن وشيبان ابن أبو زيد وكنا سائرين نحو الغرب لنأخذ بثارنا من دياب فوصلنا الي هذا البر في هذه الساعة فسمعناكم وقصدنا نكشف خبركم فلما سمع ماجد كلامها صفق علي يديه من الفرح وقال أهلا وسهلا بصهري

ثم قام واقفا على الأقدام وصار يقبل الأمارة وهو لا يصدق من عظم فرحه ثم احكى لهم بقصته مع دياب وكيف بعث طلب بنته مع الأمير عرندس وكيف اغلظ عليه الجواب وقال له ان ابنتي مخطوبة الى الأمير بريقع ثم شاع الخبر فصارت تحضر امارة الامير ماجد وتسلم عليهم وبقوا مدة ثم بعد ذلك قال الأمير ماجد الحمد لله الذي صادفنا بعضنا في هذا المكان فما عاد لنا الا المسير لأخذ آثار وانا بلغني ان دياب صار خرفان وما عاد له عزمه كالأول وهو عمال يظلم في الرعية مع قلة عقله وصار الكل يكرهوه فقالت الجازية في غداً ان شاء الله نكتب مكتوب الى بني دريد ونحركهم ليقوموا ويساعدونا لأخذ الثار فقالوا هذا هو الصواب ثم انهم ودعوا الأمير ماجد وساروا اخبروا بقية الأمارة ففرحوا الجميع وفي ثاني الصباح ركب الأمير ماجد واتى الى الأمارة وسلم عليهم جميعا فترحبوا به وقدموا له مزيد الاكرام

ثم بعد ذلك أخذت الجازية تكتب الى الاميرطوى بن مالك وتنخي قومها لحرب الامير دياب وتقول

تقول فتاة الحي ام محمد	وقلبي قبل اليوم قد كان مغبون
وقد كنت محزونة من الهم	علي فقد ابن سرحان والقيدوم
ابو زيد اني والنبي ما نسيته	وكان امير الى الأسرار كتوم
اميرين والله ليس يوجد مثالهم	وكان لهم سعد قوى مخدوم
قتلهم ابو ضفا دياب عداوة	يجازيه ربي الوحد القيوم
لكل ربيت له لأخذ الثار عزوة	امارة كراما كلهم وقروم
وكيد اعدا في يوم كرب وملمة	وما فيهم الا كل ليث هجوم
اولادنا عشرين [illegible] فوارس	وما فيهم واحد ردى مذموم
[illegible] الغادي علي [illegible] ضامر	تسبق هبوب الريح وكل نسوم
[illegible] أرض [illegible]	[illegible] الزغبي امير حكوم

فسلم على طوى خلية عمنا أميرا كريم خليفة المرحوم
وسلم على أهل الدريدى جميعهم أمارة ليوثا ما بهم ميشوم
وقول ان الجازية أم محمد تنبيكم الأخبار ثم علوم
وأيضا بريقع ثم شيبان بعده وماجد وكل أمير عندنا معلوم
وانا جينا لكيد عدونا وندعي دياب بين الورى معدوم
ان كان أنتم تحضروا وتوافقوا فتحروا حالا لنقضى المعلوم
ولا تنسوا فضل أبوزيد وحسن ولا تتركوا طاراتهم يا قوم
فردوا لنا منكم بالعجل يا خليفه المبرور والمرحوم

(قال الراوى) ولما فرغت الجازية من كلامها أرسلت الكتاب الي طوى بن مالك فأخذه النجاب وسار فلما وصل اليه أعطاه الكتاب أخذه وقراه ففرح فرحا لا يوصف وسار وأعرض على بقية أمارة بنى دريد ففرحوا جميعا وفوضوه برد الجواب فعند ذلك أشار يكتب الجواب ويقول :

يقول طوى والدموع غزارى والنار في قلبي تزيد سعارى
الله أكبر زال عنا همنا وقلوبنا فرحت بذى الأخبارى
من خمسة عشر عام فى أسر العدا وفي القلب منهم دوم شعلة ناري
لما سمعت خباركم يا جازية أضاء علينا الحى والاديارى
ففرحوا بكم أهل الدريد جميعهم نسوانهم فرحت بأخذ الثار
اقروا سلامي للامير بريقع أيضا شيبان وكل أمارى
يا جازية هاتى القروم واسرعى لعند أبو وطفا لاخذ الثار
دياب غدا خرفان وحيله انقطع ما عاد له عزم علي البتارى
مقال طوى خليفة مالك لا خير فى قول يكون دشارى

(قال الراوى) ولما فرغ طوى بن مالك من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه وقال الى الرسول سلم على الجازية والامارة وقول لهم نحن قادمين ومقتو بن معهم فأخذ الرسول الكتاب وسار يقطع الفيافي والقفار حتي وصلوا العند الجازية واعطاها لكتاب فقراته بحضور الامارة ثم قالت والله العظيم انا قلبى يقول لى ان دياب لابد ما يغدر بقومنا لان هذا الحر لا يختفي ثم كتبت مكتوب الى طوى بن مالك تقول له خذوا حذركم ونهار غدا العيد احضروا لعند دياب فلبسوا دروعكم واسلحتكم تحت ثيابكم ونحن نصل لعندكم يوم العيد فانقسموا فرقتين النصف

بجلسوا على المائدة والنصف يبقوا واكبين خيولهم فسار الرسول حتى وصل الى عند طوى بن مالك فقرا الرسالة وقال هذا الصواب فأهدم منى السلام والفكر الذى افتكرته الجازية صار لان بنى زغبى أخذوا الخبر ونظروا الي بنى دريد يخفي حالهم دائما فى اجتماعات واسرار فأخبروا الامير دياب واعلموه على حالهم فقالوا له كيف الراى ونحن خائفين من غدرهم وعدراولادالاميرحسن وابوزيد فقال لهم ان الراي عندي ان نعمل وليمة على العيد وعندما يجتمعوا ادهموهم بسيوفكم واقتلوهم ولا تدعوا من اكابرهم احد (قال الراوى) وكان ثانى يوم الضحية فعمل دياب الوليمة ومد السلاط وكان شيء يدهش العقول وعزم بنى دريد واكابرهم فحضروا ودخل نصفهم وجلسوا على الطعام وبقى النصف الآخر على ظهور الخيل وفي تلك الساعة ارتفع الصياح وعلى من كل ناح ووقع الصوت فى بني هلال وارتجت الارض من كل مكان ووقعت الضجة والصيحة واذا بالطبول دقت والرايات خفقت واانتشرت والرماح انعكفت والاصوات ارتفعت والنساء زلغطت فعند ذلك سأل دياب عن الخبر فأخبروه بما جري من اليتامى وانهم نهبوا البوش وقتلوا الرعيان وطافوا على البلد من كل مكان فعند ذلك ارسل الامير دياب ابن اخته الامير بريقع يتهدده بهذه الابيات ويقول :

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم	وقلبى من فعل الدهر تعبان
وقلبي بلى وما عا الا رسومه	توالت عليه نوائب الحدثان
فلا العمر لا ان نقضيه بالهنا	ولا العرض الا ان يكون منصان
ولا النخل الا ان يكون شوامخ	ولا السيف الا فى يد الفرسان
ولا الريح الا ان تهب جنوبها	ولا البرق الا ان يكون يمان
ولكن يا ناس تذكرت ما مضى	بجور الليالى مؤلما حيران
شي سيد كنت نراعى زمانه	امير الملا حسن ولد سرحان
وا و زيد من اتاه ضيب فعله	وجميل فعله على الوري قد كان
اميرين والله ليس مثالهم	ولم يأتى بمثلهم قط زمان
واولادهم راحوا لجايا قطايعا	على ساير الامصار والبلدان
ارسلت كتاب الصلح من عام اول	كتاب ومن بعد التصالح امان
بأن يرجعوا لاهلهم وبلادهم	ضممنت لهم هذا بصدق لسان
وما الشرط هذا يا امير بريقع	الا كرامة بو زيد حيث اوصانى

وقد جيتني حالا بخيل مغيره مقصقصة مقرطمة كالسعدان
معودة لحمل الماء في يوم الوغى عليها شباب يشبهوا النسوان
فلا يقطعوا البيد ولا يقهروا العدا ولا عمرهم نزلوا الى الميدان
زغاليل قد ربيوا بوكر وروضة فعايلهم بالحرب فعل جبان
انا القرم انا الزغبي دياب مفرحا انا راعى القنديل والصيوان
بيدى رشاوى كلما قد شهرته تروح العدا مني كما الصيصان
ورمحى من الاشطان عشرين عقدة لدعاته تحاكى لدغة الثعبان
وحق ركن البيت مع منزل الصفا وما قد اتى بالكتب والقرآن
والله لولا الخوف وانتم قرايبا لامحيكم بالسيف من غير توان
وان لم تعودوا البوش والمال كله تروحوا هفايا كأنكم ما كان
ولا يبقى صلح بيني وبينكم اذا التقت الابطال والفرسان
حتي تقولوا اليوم يوم حسابكم اما الى مالك وابو رضوان
وهذا اخبرتك يا امير بريقع غدا تصبح في درجة الاكفان
ولا تقول اني صرت شيخا كبيرا وتقول خالي قلبه قد لان
فارجع عني يا بريقع واختشي والا غدا انزل الي الميدان
مقال الفتى الزغبي دياب ابن غانم اسمع الاوزان كلامى وافهم

(قال الراوى) فلما فرغ الامير دياب من كلامه طوي الكتاب وبعثه مع نجاب فاخذه وسار الى عند الامير بريقع اعطاه الكتاب فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه وقال الله يعلم ان خالى حرفان ومراده ان ارد له البوش ونحن لا نرضى بالبوش ولا بغيره الا ناخذ روحه العزيزة عليه ثم اشار الامير بريقع برد الجواب ويقول

يقول ابن حسن الامير بريقع وعلقت بقلبي والحشا نيران
على ما جرى فينا وماقد اصابنا من ابن غانم راجح الميزان
ربيع المعايب خالنا ولد غانم وهو خالنا بالسر والاعلان
وان عابنا تري ما نعيبه ولا نحكى بحقه لفظ نقصان
فلا خير في قوم بغير عقيدهم ولا خير بثوب بغير ردان
ولا خير في سيف بغير غلافه ولا خير في رمح بغير سنان
ولا خير في وجه مليح بلا حيا ويوم الغلا لا تلتقى الضيفان
ولا خير في قوم يضام نزيلهم ان لم يكن في حيهم منصان

أمينة غريبة عندكم ياولد غانم حزينة وعنها بعدت الخلان
وبنتك سميا دعت بنت والدي على الارض مطروحة كما الغميان
فما كان لازم هذه الفعال بحقنا هذه فعال الزور والبهتان
وترسل تهددنا وتهزل جموعنا كلامك هذا كله نقصان
علما بأنك يا ابن غانم فارسا ويوم الوقائع راجح الميزان
ولكن ما للخنا ، إلا ابن أخته فانهض ولاقيني الى الميدان
أما تقتلني وتملك لعدتي وأما بصدران أطلق العيدان
أنا ابن القوم سلطان عامر أمير الملا حسن ولد سرحان
لنا دين عندك وجينا نريده فناخذه ان قدر الرحمان
وناخذ منك الثار نشفي غليلنا ويزول عنا الهم والاحزان
ونبقي بعدك في سرور وفي هنا وتطيب لنا لاوقات والازمان

(قال الراوي) ولما فرغ الامير بريقع من كلامه طوي الكتاب وارسله الى خاله دياب فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فاغتاظ جدا وأشار يرسل الى ابن أخته ويقول :

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم واجفان عيني تهمل العبرات
علي زمان تقضي راح وانقضى وكنا بطيب العيش واللذات
تذكرت أنا نجد قبل رحيلنا وكنا بها في أحسن النغمات
فلبس جلابيب الحرير وغيرها عقود قلايد غالي القيمات
غدرت بنا يا نجد قبل رحيلنا وجبت لنا الشدات والنكبات
سبع سنين ما وجدنا قطرة وكم أهلك الحر الشديد نبات
فقالوا الامارة من يروح مغربا ويكشف لنا ارضا بها الخيرات
قالوا جميعا ما لنا لا سلامة امير ابن امير صاحب المهمات
أبوزيد بالعربان ليس مثاله خبيراً ويعرف سائر اللغات
تقدمنا جميعا كلنا نحلا وقلنا له يا صاحب المهمات
أبوزيد روح واكشف الارض كلها وانظر لنا ارضا بها الخيرات
فقال سمعا لكم يا جماعتنا اريد ثلاث رفاق لازمات
بسرعة انوه ثم ساروا جميعهم قطعوا جميع الارض والفلوات
مرعي ويحيي ثم يونس بعدهم اختارهم دون الملا رفقات

وجانا أبو زيد من الغرب وحده | وأخبرنا بما صار بالغيبات
ونادي ابن سرحان فحملوا | ولا عاد في نجد سوى الحشرات
وامتدت أضعان الهلالي مغربا | كما البحر في الأمواج ملتطمات
جري ماجرى حتي وصلنا القابس | وجانا الزناتي يطلب العركات
قتل منا تسعين أميراً أكارما | قروما أمارة كلهم سادات
وجيت لميدان الزناتي خليفة | لقيت له نابين منقفـلا
وجلت بالميدان ساعة وقد غدا | حزينا وقد جاه الروع والفزعات
وقال لى ما اسمك قلت ابن غانم | أنا القرم أنا المذخور الي الشدات
فقال دياب احقن الدم بيننا | وخذ لنصف الملك والديرات
فقلت له جائك الموت عاجلا | وصبح القضا ما عاد فيـه نجات
طعنته بحربة من يمين ابن غانم | فأضحي قتيـلا فاقد الحسات
وملكتهم للقيروان وقابس | وجمعتهم من بعـد كثر شتات
أخذت أنا ثلث البلاد بهمتي | وأبو زيد أخذ الثلث بالقسمات
والثلث أخذ ابن سرحان ابو على | وعدنا بطيب العيش واللذات
تعاون حسن وأبو زيد بعداوتى | وتسيوا ليـالى الهنا الماضيات
قتلت أنا حسن الهلالى وقريبي | وقلت ابقي معي أبو زيد مصلحات
تملك ملكه ابن رزق سـلامه | ثلاث سـنين حكم كاملات
وصالحنى وللقلب منـه أسودا | فطيرت الى راسه ثلاث شقفات
وهجموا الامارة بعد من بلادهم | وراحوا الأرض الكوع مع العهات
وجيتوا الينا تطلبوا الثار عاجلا | مساكين تارى عقلكم بشتات
أنا فارس الهيجا دياب بن غانم | بقتل سباع الغاب لى عادات
حسن وسلامه والزناتى خليفة | لقد سكنوا فى غامق الحفرات
مقال الفتى الزغبي دياب بن غانم | يا امير بريقع هات مال هات

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير دياب من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه وارسله إلي ابن اخته الامير بريقع فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فأمر بالركوب فركبوا اليتامى ودقوا طبول الحرب وتقلدوا بسلاحهم ونشرت بيارقهم وزلغطت لهم النساء وانضم لهم قومهم بنى دريد وبني زحلان ونزلت بني زغبى الى الميدان يقدمهم الامير دياب فرخ العقاب واسد الغاب وحداف الرقاب وهو من الكبر صار شعره أبيض كالثلج وظهره محنى كالقوس (قال الراوى) وانتصب

ميدان الحرب وصار كل فارس قباله فارس فعند ذلك أقبلت الجازية توصي اليتامي وتحذرهم من دياب وقومه وأشارت تقول :

تقول فتاة الحي أم محمد	وعيني تدفق دمعها من عيونها
أيا أمارة اسمعوا شرح قصتي	ومقالتي ياخلق لي فاسمعوها
نري أهلكم أبطالا كانوا قبلكم	إذا دخلوا أرضا تري يرعبونها
ملكوا بلاد الهند والسند واليمن	وكم عسكر بسيوفهم أهلكونها
عسى أنكم يا خالتي تخلفوهم	وينسر قلبي حين قبض ديونها
وكم مال جاهم وكم من قبيلة	وكم بلدة قد هدموا لحصونها
وأما دياب فهو قرم مجرب	ويا قاهر الابطال في يوم كونها
وطعنات أبو وطفا دياب عجيبة	جميع ملوك الأرض قد يعرفونها
ويطعن باليمين واليسار ومثلها	أبو زيد والامارة يهابونها
له هيبة منها الرجال تدكدكة	وشبهته إذا سار تلحقونها
دياب متين العزم قرما مجربا	وكل أبواب الحرب حاوي فنونها
دياب زاد علي الفوارس كلها	وهذا كلام الحق لا تنكرونها
مقالات فتاة الحي أم محمد	فخذوا احذركم ياخلقي وافهمونها

(قال الراوي) فلما فرغت الجازية من كلامها والامارة يسمعوا انظامها قالوا لها صدقت يا جازية ولكن كان دياب في زمان القديم والآن عمره خمسة وتسعين سنة والرب يعيننا عليه فلا يكون لك فكر من نحونا فعند ذلك برز إلى الميدان فارس من بني زغبي اسمه الدهام وطلب مبارزة الفرسان فقالت الجازية والله ما أحد ينزل الي هذا الفارس غيري فقالوا لها الامارة هذا علينا اذا نزلت له ونخاف عليك أئلا تقتلي فيصير علينا العار أكثر ولا تظني أن الحرب مثل لعب الجريد فقالت لهم وذمة العرب والر الذي طلب غلب والنبي المنتخب ما ينزل الي هذا الفارس غيري فعند ذلك قال الامير شيبان ياامارة اتركوها تبارز هذا الفارس ونحن نقف بالقرب منها فإن رأيناها مغلوبة ساعدناها وان رايناها غالبة تركناها فعند ذلك برزت الجازية الى الميدان وهي مقلدة بالسلاح والدرع والتقت هي والامير دهام وصار بينهم كر وفر وطعن يقصف العمر فاستلت السيف وضربته على هامه ارمت راسه قدامه فوقع قتيل في دمه جديل فاغتاظ الأمير دياب وقال من يكون هذا الفارس الذي قتل فارسنا واليتامي مافيهم فارس إلا مخيبر بن أبو زيد ومخيبر مات في بلاد الكوع وبينما هو بالكلام برز من بني زغبي فارس اسمه أبو الحمرة بن الأقرع فصدم الجازية وضربها بالرماح فراحت الضربة خائبة بعد ما كانت صائبة فاعتدلت وضربته بالرمح

في صدره طلع يلمع من ظهره فوقع قتيل فقالت بنى زغبي ما لهذا الفارس يا أمير دياب سواك فعند ذلك برز الامير دياب الي الميدان وقال الي الجازية من تكون أيها الفارس المفتخر بنفسه على أبناء جنسه فقالت أنا ابن هذا الميدان فذلك والسؤال فقال لها أنا لا أقاتل الا من كان حسبه من حسبي ونسبه من نسبي فقالت له أنا أكثر منك حسباً ونسبا أنا الجازية أخت الامير حسن وصديقة أبو زيد وقد جبت لآخذ منك الثارفضحك دياب حتي استلقي على قفاه قال لها من تعلمتي الفروسية وانا ان قتلتيني لا أقاتلك لانه عار علي أن أقتل امرأة مثلك لانه لا يليق بي هذا الامر واذا قتلتك يقولوا الناس دياب قاهر ملوك الارض بالطول والعرض يبرز لحرب امرأة روحي وارسلى الامارة فقالت له ما أروح من من هنا حتى أحاربك يا خاين يا غدار ثم أشارت تقول :

تقول فتاة الحى أم محمد بدمع جرى فوق الخدود سفوك
فلا تلوموا للحزن إذا بكى ولم يكن ما لوم كان ضحوك
فلا المبتلى مثل السليم من النيا ولا خالي البال كالمهموك
يا ولد غانم انت بواق خاين من طول عمرك بالصديق مشكوك
باديتنا بالشر من أول عمرنا وباديتهم من قبل ما بادوك
قتلت الفتي مناع ياابن غانم ومن بعد مناع هم قد صافوك
وقلوا دياب قرم ما ينسخى به ليوم الوقائع يا فتي خبوك
وما قدموا لك يا دياب أسية ولو عرفوا الردى قتلوك
ولما رحلتم من حما نجد وارضها تريدو الأرض القيروان سلوك
نزلت على مكة وزرتم نبينا ولاقاه زوجي الشريف حروك
واكرمكم أيضا وحب ركابكم وقدم لكم المعجون والمعروك
شرت على حسن يادياب بقتقى وهذا تزى شورك لما شاروك
وقلت تقتله وتأخذ مواله وهذه مجازات الذين أكرموك
فقال له معركش شورك يادباب ولا يكون منا محسن سنوك
فشاور أبو زيد الهلالي سلامه وشور سلامه ليس فيه شكوك
فقال ارسلوا النسوان لعند الجازية يجيبوها لعندك ثم بعدها يجيبوك

قتل الأمير دياب من اليتامى

وتسلطن بريقع ابن الأمير حسن وقتل اولاد الامير حسن وأبوزيد من نصر الدين الزغبي ابن الامير دياب وتسلطن نصر الدين الزغبي علي الغرب كلها

بجيبونها حالا سريعا بلا بطا   وخلي ابن هاشم مشتغل ملبوك
فشاورت نفسي يا دياب الغانم   وقلت لنفسي اتبعين اخوك
وفارقت انا حمده واخوها محمدا   وخليتهم يبكوا بدمع سفوك
ترى الزوج موجود اينما طلبته   واخ جناح ولو كان ابن اخوك
ولما غلقت الباب بيي وبينهم   حزنت عليهم وليس هم اخفوك
وكان ابن هاشم والامارة جميعهم   بدار الضيافة والهنا مبروك
والهوه بالشطرنج واللعب والطرب   ودرتم حوله كلكم بهموك
وانت حدثته وما افتهم لكلامك   ولو يفتهم منك لراح دهوك
وجينا لارض القيروان وقابس   وفي دربنا ياما هفينا ملوك
اعطوك ثلث الغرب ولد يا غانم   وبينهم بالقسمات قد ساووك
فلا زلت بالسوء والشر والبلا   تحرك وفعلك بالقبيح حروك
حرقت جميع النخل والكرم كله   وادهكت ارض القيروان دهوك
ودايم تريد الشر يا ولد غانم   من اجل هذا يا دياب حبسوك
ذبحت حس تحت الدجا وهو موجع   وعا فراشه بالدما معروك
ويتمت اطفالا صغارا بحينا   ينوحوا ويبكوا بالدموع سفوك
جاءوا التجوا نحو ابوزيد عمهم   وجاءوا يا بو وطماله بشكوك
ورحت للجيش من بعد ما هزيمة   وبقيت اعواما بها متروك
وجابك ابو زيد وطيب بخاطرك   وكان شفوقا عليك مثل ابوك
ويا طال ما نجاك من كل ضيقة   وقد كان قدومك يا امير عاقوك
ومن يزرع المعروف مع غير اهله   كمن صب ماء الورد فوق الشوك
يجي الماء الورد حتي يشمه   يروح خشمه بالدما مسفوك
خنت ابو زيد الهلالي سلامه   وجميع عباد الله ما شكروك
وطردتنا من ارضنا وبلادنا   وصرتم علينا يا دب ملوك
واصرنا نقاسي الجوع والضيق والعنا   ندور في الابواب كالصعلوك
وانتم في ارغد عيش في ارض قابس   باموالنا صرتم جميع ملوك
ولكن ابشر في زوال زمانك   كبروا اليتامي يا دياب وجوك
اين بقيت تروح يا ولد غانم   فما عاد لك مناجيا وسلوك
فان رحت جو السما لازم نلحقك   وان رحت تحت الارض هم يلحقوك
انزل لحربي يا دب معجلا   انا بنت سرحان بغير شكوك
قتلت ابو حمزة عزمي وهمتي   ايضا ردهام غدا مدهوك

مقالة فتاة الحى ام محمد ونحن من عهد القديم ملوك

فلما فرغت الجازية من كلامها اغتاظ دياب جدا حيث اهانته كثيرا فاشار يرد يرد عليها ويقول

ايا جازية كي قبيح لسانك الشر كله والبلا فى شانك
انت التي كنت السبب مماجرى وقد كنت ارجو فى زمان وصالك
قالوا يا دياب انت لها وهى لك ترى الجازية قد خلعت من شانك
ايضا اخوك قد خدمته لاجلك فخان وعده واحرمنى من جمالك
وقد زوجك شاكر الشريف عناية واستجار لك الغريب على عربانك
وصار حسن وابو زيد لي معاندا وقاسيت فى حبك كثير مبالك
من اجل هذا قد قتلت سلامه وايضا حسن ياجازية من والدك
ولوما تروحي للايتامي وتهربي الكانت تطيب عندي ترى احوالك
جيت تريدى تاخذى لثارهم باكر تري يا جازية غلالك
ان كان اصحاب اللحا افنيتهم ايش ينفعوا يوم مردك
قومي وروحي لحيالك عاجلا وابعى يا جارية [illegible]

(قال الراوى) فلما فرغ السلطان دياب من كلامه قال له [illegible] طلبى كلام الفشار وارجعى ارسلي [illegible] اولاد الامارة حتي اتعمهم [illegible] تقاتل [illegible] وهذا الكلام انزل الى الميدان حتى اذوقك الموت لان ردى [illegible] وماجزاءك الا قطع الراس فلما سمع الامير دياب كلامها لعبت برأسه [illegible] رجله وضربها على الارض علي جنبيها بقوة عزمه ورفعها عن الحصان ثمانية اذرع [illegible] على الارض ميته وقال لاولاد الامارة لموا عمتكم لانها [illegible] تطاولت [illegible]

ثم رجع الامير دياب محزون عليها وقال فى ذاته الله يلعن الشيطان ما كان لازم [illegible] امرأة واما اليتامي احدوا الجازية كفنوها ودفنوها [illegible] عليها مناحة عظيمة وبكي عليها القريب والبعيد وفى ثانى الايام برز الامير بريقع الى الميدان [illegible] الامير دياب والتقوا البطلين كانهم جبلين [illegible] عليهم الخيل وغي [illegible] البين مقدار ساعتين من النهار وبعد ذلك قام السلطان دياب [illegible] وضرب بريقع بقفا يده ارماه الي الارض وصاح علي الامارة [illegible] مصيبة ثم صار يضحك عليهم ويقول فى نفسه لولا وصية ابو زيد لى لكنت أفنيتهم عن آخرهم ولكن خليهم يعرفوا مقام انفسهم واما اليتامي [illegible] رفعوا الامير بريقع وصاروا فى هم زائد واحتاروا بامرهم ماذا يفعلوا

فاجتمعوا عند الأمير ماجد يتشاوروا فقال لهم الأمير ماجد هذا دياب ما على وجه الارض أفرس منه فان كان مرادكم تقاتلوه واحد بعد واحد يفنيكم عن آخركم والرأى عندى أن تهجموا عليه هجمة واحدة وحطوه بالوسط ولابد ما تصيبه ضربة فيقع على الارض فلا تتركوه حتى يموت فقالوا هـذا الرأى والصواب والأمر الذى لايعاب ثم باتوا تلك الليلة وفى الصباح برزوا يطلبوا الحرب والكفاح ودقوا الطبول وتقدم أمام الجميع الامير بريقع . فلما نظرهم السلطان دياب ضحك وقال والله مرادى أقاتلهم بلادرع على كديشة عرجاء فمنعوه قومه وقالوا له أنت صرت رجل كبير فما نسلم معك على هذا العلم ثم برز السلطان دياب بلا درع ومامعه إلا السـيف والترس فالتقاه الامير بريقع ووقع القتال وانحدفوا اليتامى عليه دفعة واحدة فالتقاهم وصاح فيهم صـيحة ارتجت منها الجبال وأراد أن يضرب بريقع بالسيف يقطعه قسمين فطوحه شيبان بالرمح من بعيد وقع فى جنبه الايمن فوقع السلطان دياب على الارض من عظم الألم فعندذلك تقدموا اليه الامارة وقال له الامير بريقع كيف تنظر حالك الآن يادياب

ثم تنفس دياب وتنهد وقال أنا شبعت من الدنيا وهذا مقدار كل موتة لهـا سبب واشكر الله الذى مت قتيل أولاد أبوزيد وأولاد السلطان حسن ولاقتلنى أحد غريب ثم أشار يقول :

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم   بعيني خيال الموت حقا رأيت
أنا يا شيبان قلت حيلتى   ويا طال للمعقود قد حليت
ويا طال ماأشركت قومى برأيكم   وأجرت جاري والذى سريت
ويا طال ما فرقت جيشا صارمى   وأعظم ملوك الارض قد أفنيت
ولا العمر ساعة [illegible] ينقضى   ويدوم ذكرى والذى أجريت
أنا طول عمرى ما فعلت قباحة   وفى كل عصري قط ما أزنيت
ولكننى أخطت فى قتل أبوعلى   وأبو زيد حقا والنبي أخطيت
ولو [illegible] [illegible] بالشرور وبالأسى   ما كنت لهم والله قد باديت
[illegible] [illegible] كان ظنى أخرتكم   ولو بقيتم نظرتوا الذى أبديت
[illegible] [illegible] الأمير سلامه   وأبو علي ونقضى الذى أمضيت
[illegible] [illegible] [illegible] حيهم   أنا فى دريد قط ما آسيت
[illegible] [illegible] الأمر كم   وسوا الذى فى قومكم سويت
[illegible] اوصيكم [illegible] [illegible]   وهذا الذى ياقوم قد أوصيت
حكمنا وطال الحكم فيما بيننا   سنينا واعواما بها قضيت

ومال علي الدهر ما قلت ينقلب ... يا بين دار العز كيف آخليت
أيا دهر خربت دارنا بعد عزنا ... يا دهر لا تعكر لمن صافيت
مقال الفتى الزغبى دياب الغانم ... وأمرى الي الرحمن قدأعطيت

فلما فرغ دياب من كلامه غاب عن الوجود مقدار ساعة ثم فاق وأشار يودع الدنيا ويستغفر من ربه ويقول :

يقول الفتى الزغبى دياب المفارق ... سبحان ربى مالك الملكوت
سبحان رب العرش جل جلاله ... له الحمد والاحسان والمثبوت
سبحان من أنشا من الطين آدما ... وخرت له الاملاك بعد سجوت
سبخان من خلق الخلائق جميعها ... وعلمهم بالحق والمثبوت
خلقهم وتكفل بقسم أرزاقهم ... وكل من له أجل ورزق وقوت
أيا أولاد العم قولوا سلامتي ... أنا اليوم فى كاس الممات بلوت
هلال وعامر مع دريد وزغبي ... إذا شافهم إنسان غدا مبهوت
لهم جيش مثل البحر اذا كان زاخر ... وموكبهم دايم عظيم يخوت
فكم من ملك جاهم وكم من قبيلة ... راحوا من يد هلال شتوت
ندمت على فعلى بهم يا ندامتى ... على ماجري منى وفات الفوت
قتلت أمارتهم وأخذت بلادهم ... من أرض قابس الى تخت التالوت
لبلاد السودان والغرب كلها ... تخوت ومن بعد التخوت تخوت
وعشرين تخت منهم قد ملكتها ... مرصعة بالدر والياقوت
وهجمت أهاليهم وخافوا من البقا ... وعادوا جميعا بالبلاد شتوت
أنا نار قلبى من فراق أبو علي ... وأبو زيد تغلي كالمياه بسوت
أنا مفارق الدنيا وذاهب إلى غيرها ... هناك ربا حاضراً ليس يموت
مقال الفتى الزغبى دياب المفارق ... أيا موت قد زرتنا ثم دنيت

(قال الراوى) مافرغ الامير دياب من كلامه حتى أسلم روحه ورحمه الله ورحم الامارة أجمعين وبعد أن مات قال بريقع احضروا لنا سكين التى ذبح بها أبي فاحضروها له فقطع بها راس الامير دياب وفصله عن جسده وتركه ورجع فأتوا قوم دياب وأخذوه وأكثروا عليه البكا والنحيب ومزقوا ثيابهم وناحوا وصاحوا وأسرجوا الخيل سود ورفعوا البيارق السود ودقت طبول حزن واجتمعت الامارة من كل فج وعند ذلك أشارت شيحا تندبه وتقول :

تقول فتاة الحي شيحا الحزينة ... ودمعي جرى فوق الخدود سيول
ألا يا أبي حاشاك ياسعد الملا ... تروح على يد العدي مقتول

أيا حيف عليك يا دياب بن غانم ... آيا فارس الفرسان يا مجهول
من عاد يكرم للضيوف إذا أتت ... إذا لفوا بعد العشا للمنزول
أيا وطفا ابكي ونوحي واندبي ... أبوك على الأيادي غدى محمول
ولت ليالي السعد حقا وانقضت ... ولا طلعة إلا وراها نزول
يا حسرتي يا كسرتي بعد خلتي ... وانهدر كني بالعرض والطول
وراحوا بنى زغبي شرايد بعده ... وما فيهم واحد يسعف المقتول
مقال فتاة الحي سميا الحزينة ... وصندوق قلبي قد غدا مقفول

(قال الراوى) ولما فرغت سميا من كلامها بكوا جميع الحاضرين من قولها وبعد ذلك حضر الامير بريقع واخوته أخذوا خالهم ودفنوه بعد أن بكوا عليه وعادوا الى بني زغبي فوجدوهم طائعين سامعين وجلس بريقع أمير على بلاد الغرب وراقت له الاحوال ورتب الملك بحسب مشتهاه وقام أولاد شيبان ورزق وزراء عنده والتهي في وسع ملكه وما عاد سأل عن أولاد خاله دياب فهذا ما كان منه وأما ما كان من نسرين زوجة دياب فانها لما قتل زوجها قالت لابنها لابد من أن أولاد عمتك يعملوا حيلة عليك ويقتلوك ليرتاحوا من نسل دياب دياب ويخافون منك لئلا تأخذ ثارك منهم فهيا اركب الشهبا وسر بك لنحتمي عند أحد من أصحاب أبوك لينما يصير وقت مناسب لاخذ الثار

(قال الراوى) فعند ذلك ركب نصر الدين على الشهبا وأردف أمه وراه وخرجوا من البلاد تحت جنح الظلام ولما أصبح الصباح وطلع ضوء النهار كانوا صاروا بعيدين جدا ولازالوا سائرين تارة يحولوا يرتاحوا وتارة يسيروا حتى وصلوا الى غدير جبل وعليه الرعيان تسقي جمالها والبنات والنسوان تلعب حواليه فحول نصر الدين بوالدته فأكلوا وشربوا وأقاموا مدة ليرتاحوا وقرب العصر ورد الى ذلك المنهل صبية كأنها شمس المضية طويلة القوام كثيرة الدلال مزيد الابتسام بوجه أحمر وخال أخضر رقيقة الخصر طويلة الذوائب بعينين زرق وحاجبين مقوسين شفتاها كالعناب وفمها كانه خاتم الاحباب تسلب عقل من رآها بحسنها ودلالها وقدها واعتدالها فلما قربت منه أخرجت اللثام وسبقت في طرح السلام وأما الامير نصر الدين لما نظرها طار عقله وأخذت مجامع قلبه وقال لها أهلا وسهلا والف مرحبا وتقدم اليها وخاطبها في كلام لطيف وراح يسألها عن حسبها ونسبها ويقول :

يقول نصر الدين من نسل غانم ... يا مرحبا في نجمة المصباح
أهلا وسهلا ثم ألفين مرحبا ... والعقل معك يا مليحة راح
بالله أخبريني يا مليحة بأصلك ... وأين هي منازلك مع الافراح

وعن اسم ابوك يا مليحة واسمك　　وعن قومك إن كانوا قوم ملاح
لأن قلبي يا مليحة انكوى　　وجسمي ا م ني والقلب مني راح
وإن سألتي يا مليحة نسبتي　　نصر الدين اسمي الفارس البطاح
ابوي ترى الماجد دياب المنتخب　　جري صيته في برها وبطاح
خانو علينا أهلنا يا مليحة　　قتلوا أبوي كان عزه لاح
وأنا يتيم الاب يا بنت فاهمي　　مالي مساعد في العنا وتراح
وصرنا ضيوف الخيرين بأرضكم　　حتى الهي يحسن الاتراح
ردي جوابي يا مليحة بالعجل　　أخذت إلى جسمي مع الارواح

(قال الراوي) فلما فرح نصر الدين من كلامه والصبية تسمع نظامه انسحب قلبها مع كلامه وبكت لحاله وطار عقلها معه لما عرفت انه ابن أكبر فرسان الزماز وزادت محبته عندها ثم أشارت تحاوبه وتقول :

قالت فتاة الحي باني التي شكت　　جرى الهوى خلي الفؤاد شعالي
حبك أيا نصر والله ضناني　　وادعى قلبي فوق نار هبالي
أنا بنت صالح يا أمير بلا خفا　　أبوي أمير فارس قتالي
أبوي أميراً وابن أمير وميره　　حاكم على المكناس بالاجمالي
أنا وحيدة يا ابن غانم عند ابي　　ربيت في قوى بعز دلالي
إن كنت قاصد يا امير وط ننا　　أهلا وسهلا فيك يا مفضالي
هيا بنا يا أمير يم نجوعنا　　وحبك بقلبي ليس منه زوالي
وارحم فتاة يا ابن غانم تعلقت　　بالحب وهي تعد كالاطفالي
وتقضي بقايا العمر معنا سوية　　ونعيش في خير وصفوة بالي
مقال فتاة الحي باني التي شكت　　نار الهوى حلت عظامي لالي

(قال الراوي) فلما فرغت الست باني من كلامها والامير نصر يسمع نظامها كاد عقله يطير من شدة الفرح وأما أمه تقدمت إلى الست باني وقبلتها بين عينيها وقالت لها اذهبي إلى أبوك واخبريه بحالنا فان أراد يرسل يأخذنا عنده وذها بنا معك يشين بعرضك وما هو مليح بحقنا ثم ودعتهم وسارت وعند وصولها لعند أبوها وقعت عليه وصارت تقبل يديه وقالت له يا أبي قد رأيت على الغديرة امرأة غريبة ومعها ولد شاب وقد نظرت منهم ما يحزن القلب وهم قاصدينك من بلاد بعيدة وأشارت تفهمه عن حالهم وتقول :

تقول باني يا ابوي استمع　　واسمع مقالي يا ابي وسمح
نزلت للمنهل يا ابوي بالعجل　　رأيت شابا من أمارة ملاح

يدعي بنصر الدين من نسل غانم   أبوه دياب الفارس النطاح
حكي كلاما يا ابوى غمنى   له سـيرة مرسومة بلواح
جاروا عليه قومه بالظلم والاسى   قتلوا ابوه والعز عنهم راح
وهو صغير السن ماله مساعد   أتى قاصدك من بـها وبطاح
ومعـه أمه يا ابوي حسنها   يشبه لريما بالفـلا وصاح
قوم واعزم يا ابوى ضيوفك   يا أمير صيتك بالورى قد فاح
ويبقى لك تذكار فى كل المـلا   يثنون على فعلك بدون مزاح
مقالت بانى يا ابوى بالعجل   هي المنازل قربت الافراح

(قال الراوى) فلما سمع الامير صالح كلام ابنته أخذه العجب وانبهر من هذا الاتفاق العجيب لأن دياب كان خلص له امرأته من بعض امراء العرب وقتل له خصمه وبقي حافظ له هذا المعروف ولما سمع من بنته أن الامير دياب قتل وابنه على الغدير فرح جداً ووثب واقف على الاقدام وأمر العبيد أن ينصبوا صيوان الحرير أمام صيوانه وركب فى مائة فارس وسار إلى الغدير فتقدم اليه الامير نصر الدين وقبل أياديه وقبله الامير صالح بين الاعيان وقال أهلا ومرحبا يا ابن الامير دياب وصاحب المعروف وفارس الارض الذى صيته يرعب الاطفال فى المهود ويرجف الآساد في الغابات وكانت الشمس قد قاربت الزوال ورفعوا نصرين أم نصر الدين على هودج وركب نصر الدين على الشهبا وسار بين الامارة والامير صالح لا يرفع عينيه منه لأنه رآه جميلا جداً ورأى قطعته كقطعة الفيل وعلامة الفروسية تشهد له لا تشهد عليه ولما وصلوا إلى الحى لاقتهم البنات وامراء العشيرة فحولوا بالصيوان الذى نصبوه ولما دخلوا وجدوه مفروش بالحرير ومزركش ومزخرف ولما استقروا للراحة حضر لعندهم الطعام والمدام وباتوا تلك الليلة وهم منشرحين مسرورين وفي ثاني الايام اجتمعوا الامراء والاعيان عند الامير صالح ابو ماني وأتى بهم الى صيوان نصر الدين فقام لهم على الاقدام ولاقاهم بالترحيب والاكرام وبعد ان جلسوا اخبرهم الامير نصر الدين بقصة والده وكيف انهم [illegible] فبكى الامير صالح عليه وجميع رجال قومه وتأسفوا عليه [illegible] نصر الدين فقال له صالح لا تغتم يا ولدي فمن خلف مثلك ما مات [illegible] على [illegible] على ان ينال مرادك والآن حيث كبرت فى العمر وما عاد لي [illegible] حاكم على العشيرة وازوجك ابنتي [illegible] الامير نصر الدين [illegible] كرم الامير صالح ووثب وقبل يديه [illegible]

(قال الراوى) ثم انصرفوا والامير صالح أخذ يهيء لوازم العرس وأرسل إلى جميع القبائل يدعوهم إلى عرس ابنته فتواردت العربان من كل جانب ومكان وقاموا الافراح والليالى الملاح ودقت الطبول ونفخت الزمور وصارت الارض تهوج وتموج مثل أيام هاجوج وماجوج وعين الامير صالح مدة العرس أربعين يوما فنحر النوق والاغنام ودارت ليالى الافراح ونهار الاربعين زينوا صيوان الامير نصر الدين ولبسوه حلة من الحرير وأجلسوه على كرسي من العاج وصارت الفرسان تتوارد اليه وتتصفصف حواليه وقام الميدان ولعب الجريد بين الابطال وعند المساء أخرجوا العروس من بيت أبيها وهى كالشمس المنيرة وعليها من الجواهر ما يبهر الانظار واركبوها على هودج عالى من الحرير المقصب وبعد أن طافوا بها أدخلوها على صيوان نصر الدين وأتي القاضي والشهود وعملوا الفروض الدينية ثم انصرف الجميع وبات مع العروس فى هنا وسرور وأصبح ثاني يوم منشرح الصدر مسرور الخاطر وبقو مدة أيام في مثل هذا الحال وبعد ذلك أجلسوا الامير نصر الدين حاكما على القنيلة عوضا عن عمه وباركت له فى ذلك الامراء والاعيان وصار يتعاطي علي الاحكام ويعدل فى الرعية ويوهب ويعطي الشعراء والفقراء حتي أحبه القريب والبعيد وصارت تنقل ذكره الشعراء من مكان إلي مكان ويوصفوا كرمه وجوده وصار هو أيضا يركب إلى الغابات ويصطاد الاسود والفهود ويسطي على كل عاصى ونمرود حتى طاعت لحكمه كل القبائل وصار له اسم وهيبة أعظم من أبوه

(قال الراوى) فهـذا ما كان من الامير نصر الدين واما ما كان من بوقع ملك تونس فانه بعد قتل الامير دياب كثر ظلمه وطغى وبغى وتكبر ولا عاد يفرق بين الامير والفقير وأكثر جوره كان على بني زغبى وانعكف على معاشرة النسوان واللهو واللعب حتى كرهه القريب والبعيد ولاسيما بنى زغبي ولما أعيانهم الامر اجتمعوا عند الامير خطار أحد أمراء بني زغبي وقالوا أتيناك لنستشيرك في أمورنا لان ماعاد لنا طاقة على حمل ظلم أعدائنا وهم دائما يتسلطون على أموالنا وحريمنا فلما سمع الامير خطار أطرق راسه الى الارض برهة ثم رفع راسه وقال يا قوم أنتم عملتم بحالكم هذا العمل لانكم تهاونتم ... أحد ... شهر سيفه في وجوه اليتامي وقتل الامير دياب وما نهيتم لقتله ولكن انتم تعرفون ان لا ينجيكم من هذا الضيق الا الامير نصر الدين لانه فارس مغوار ... نستخبر عنه في اى ارض ونرسل نستدعيه يتسلم قيادة ... مراد ... لا ... تدبير هذا الامر الا منك فعند ذلك ارسل الامير خطار استدعى ... شاعر خبير بالبلاد والقبائل اسمه ناصر وقال له مرادنا تستقصي لنا خبر الامير نصر الدين

واطلعة علي القصة فقال علي بذلك ولكن اعطوني رفيقين فأعطوه واحد اسمه منصور والاخر اسمه حامد فلبسوا ثياب الشعار واخذوا الربابات علي اكتافهم ومشوا من ذلك اليوم وصاروا يطوفوا البلدان ويمدحوا العباد وبقوا علي ذلك مدة شهرين حتى وصلوا الى غدير ماء في بلاد الفاس والمكناس فجلسوا علي مغدير ليرتاحوا فوجدوا جماعة من الرعيان فسلموا علي كبيرهم وسألوه عن بلادهم اذا كان موجود امير كريم يمدحوه فقال لهم كبير الرعيان اذا كان قصدكم العطا فاقصدوا البحر الغزير والفارس الخطير والسيد الشهير نصر الدين فقال ناصر له من هو هذا الامير قال له هذا امير حجازى اتى الى بلادنا لان قومه بني هلال قتلوا ابوه وتزوج بنت اميرنا وصار الحاكم علي بلاد الفاس والمكناس ولا اظن يوجد افرس منه علي وجه الارض وقد سمعنا ان ابوه كان فارس مشهور وبطل صنديد قهر الملوك والابطال واسمه الامير دياب

فلما سمع الشاعر ناصر هذا الكلام كاد يطير من الفرح وقال له بالله عليك يا ابن العم دلنا على هذا الامير فنحن من عربه ويصير لك عنده المقام الاكبر لانه يندسر بنا ويحب ان ينظرنا وسمعنا له اخبارعن اهله فسار كبير الرعيان امامهم حتي وصلوا ووجدوا المجلس محبوك فجلسوا في الخارج فالتفت نصر الدين وجد شعار خارج الباب فشافهم فقال لهم تفضلوا يا شعار شرفونا فدخلوا فأمر ان يأتوهم بالزاد فأكلوا واحضروا لهم القهوة وبعد ذلك قال لهم الامير نصر الدين هاتوا اسمعونا يا شعار ما عندكم من الاشعار فعند ذلك اخذ ناصر ربابته واشار يمدح الامير نصر الدين ويقول :

يقول الفتى ناصر علي ماجرى له	ودمع عيني على الخدود ذروف
يا ملك اسمع كلامي وقصتي	وافهم الي قولي وكون نصوف
نحن ترى شعار بالارض كلها	نقصد ابواب الخيرين نطوف
طفنا بلاد السمر والكرج واليمن	ودرنا المداين سهلها وحروف
وجينا نحو الغرب تونس بلا اخفا	الي عند امير فاقد المعروف
يدعى بريقع ولد الهلالي ابو علي	له صيط اشنع من حريق الصوف
دخلنا لعنده يا ملك في قصره	مدحناه في قول مليح ينوف
من بعد قولي ياملك جاد بالعطا	اوهب لنا عنزة ومعها خروف
قلت له بريقع ماتختشي بالعطا	ماهي الي ابوك ابو علي الموصوف
فأمر بضربي ثم ضرب رفاقتي	قمنا هربنا والعقل صار خفوف
جينا الى يم خطاراً اميراً مجرباً	ولد ناصر السيد الموصوف
امر لنا في الف دينار احمراً	ومائة ناقة والف راس خروف

وماية شقة من حرير غالياً وعشرون احمر من خيول هدوف
وقل لنا بالله فاعذروني اني مقصر بالعطا يا ضيوف
ودرنا علي كل الزغابي جميعهم تراهم كما زهر الربيع هفوف
ولكن ترى سلطانهم بريقع منكدا له وجه معتم اغبر مكسوف
وذايقين الصبر منه يا ملك يبكون علي عز لهم كان ينوف
لما دياب الخيل راح وارتحل ذهب عزهم والعقل عاد خطوف
لما اردت وداعهم قد وقفوني يوصوني وصايا كاملة الوصوف
يقولون لى بالله ياشاعر استمع لنا فاقد بالفلا موصوف
يدعي بنصر الدين من نسل غانم وابوه دياب الفارس المعروف
ان كنت توجده لنا يا شاعر نعطيك كل موالنا وحروف
وقول له يركب الينا وينحدر من فوق شهبا شبه بحر يطوف
عسي يعود السعد الينا ويرتجع وتعود ايام الهنا ونشوف
فرحنا ندور في البلاد جميعها لعل نلاقى الفارس المكلوف
ونأخذ البخشيش من آل زغبى ويزول عنهم الهم والمتلوف
سمعنا بصيطك قبل ان ندخل للحما بأنك صميدع فارس موصوف
قصدنا عتابك ياملك جود بالعطا واجبر فؤادى لا تكون مخوف

(قال الراوى) فلما فرغ ناصر من كلامه انهالت الدموع من عيون الامير نصر الدين وتحركت فيه نخوة الزغابى وبعد برهة قال للشعار ياشعار قد غمرتمونا فى معروفكم ثم اشار يعلمهم بنفسه ويقول :

يقول نصر الدين فيما جري له ودمعى جري فوق الخدود وهان
كلامك ضناني وهد حيلي وقوتي كوى فؤادى واشعل النيران
وفكرتني فى قوم كسروا خاطري وخانوا ابوى سيد الشجعاني
انا ربيت بالعز فى دار والدي دياب بن غانم فارس الفرسان
ولما انقلب فينا الزمان بفعله قتلوا ابوى قومه الكشحان
وقوم الزغابى خامروا على بن غانم وملعون رجل فى عزوته قد خان
ان قدر الرحمان آخذ بثاره بعون ربى خالق الاكوان
ويزول عنا الهم والغم والاس ويصير قلبى منتعش فرحانى
فبالله يا شاعر إذا جيت حينا سلم على اهلى مع الاخوان
احكى لهم بالصدق عن نار مهجتى وانى لهم مشتاق واحزان
لا بد يأتى يوم ينسر خاطرى اجيهم على شهبا كما العقبان

واقتل عدوى إن أرادربى بساعدى | وقولى صحيحا ما به بهتان
أنا نصر الدين رغبي كنوتى | أبوى عياره راجح الميزان
من بعد شهراً كاملا يا شاعر | أقصد منازلكم مع الاوطان
ويقوم سوق الحرب بيني وبينهم | واقتل بريقع والفتى شيبان
وافنى أكابرهم وكل جموعهم | واحكم بلاد الغرب والبلدان
وخلي نساهم في البراري سائحة | مهتوكه تبكي على الفرسان
واجلس على تخت الزناتى خليفة | سيفى يطيح شوكة العصيان
وانتم لكم يا شعار منى عطيـــة | عطية كريماً ليس هو فزعان
لكم تري الفين ناقة محملة | والف شـقة مختلفة الالوان
ومية حمرا من سلايل خيولنا | والف فاطر باللحوم سمان
وميتين عبدا كي تسوق جمالكم | وميتين عبـدة تتبع الرعيان
والف درعا والف سيفاً مسقطا | والف خنجر قبضته مرجان
والف خوذة يا شعـار مذهبة | والف رمحا من عواد الزان
وخذوا لكم الفين دينار احمر | تسعف لكم فى عمركم وزمان
أسألكم بالله لا تؤاخذونني | انى مقصر بالعطا وهان
مقال نصر الدين عما جري له | صبرا جميـلا والمقدر كان

(قال الراوى) فلما فرغ الامير نصر الدين من كلامه فزوا الشعار واقفين على الاقدام وكشفوا عن وجوههم اللثام وقالوا له والله نحن من أولاد عمك وقد أتينا بصفة شعار لندور عليك فى البلدان حتي تجيء وتخلصنا من ظلم بني هلال والحمد لله الذي وجدناك فى هذا العز، فلما عرفهم الامير نصر الدين وثب اليهم وجعل يقبلهم ويسلم عليهم ويسألهم عن الامارة واحد بعد واحد ثم قال لهم يلزم ان تبقوا عندنا ثلاثة ايام وبعد ذلك تروحوا تبشروا قومي انى بعد ثلاثين يوم اركب من هنا بقومى وبعد ستون يوم أكون عندهم وافرج عنهم العار ويعود لهم الزمان كما كان فأقاموا عنده ثلاثة ايام وبعد ذلك خلع على كل واحد خلعة ملوكية وان تساق امامهم الانعام فأرادوا ان يستعفوا فقال لهم لا بد ما تأخذوها لأنى سمحت لكم فيها حينما كنتم شعار وانا لا يمكن ارجع بما اعطيت وبعد ان ركبوا واحضروا اليهم كل ماوهبهم، ساروا يقطعون البراري والقفار حتي وصلوا إلى بيوتهم وأخذوا لأنفسهم الراحة فعرفت بني زغبى بقدومهم فأتوا وسلموا عليهم ومعهم الامير خطار، بعد أن شربوا القهوة قال لهم الامير خطار هاتوا بشرونا بالذى رأيتوه فراح الامير ناصر يخبرهم بالذى رآه ويقول

يقول الفتى ناصر عما جري له ... أياقوم اصغوا للحديث الذى جرى
درنا بلاد الغرب والدبر جميع ... حتى بلاد فارس وأرض الكوجرا
درنا الى المكناس فى عشرا رجب ... ولهم ملك والله سبعا غضنفرا
أشقر ظريف القد حلو مباسمه ... يشبه دباب الخيل يا أهل لوري
ماشفت مثله بالكرم أهل الكرم ... يجرى عطاه مثل فيض الابحرا
لما تشوفوا على الفوارس ينتمى ... مشبه لعنتر فوق ظهر الابحرا
له صيوانا ميتين أميرا حوله ... والفتى عبداً واقفا متسورا
وميتين مملوكه أمامه تخدمه ... مثل الكواكب حسنهم متقمرا
يقضى ويمضى والانام تطيعه ... مين الذى خالف كلامه يقهرا
دخلنا لعنده بالمسا وقت العشا ... وأنا بصفة شاعر حوالى منكرا
بعد أن أكلنا الزاد وشربنا الشراب ... عدلت أنا لربابتي ياأهل الورى
واخبرته عن قصتى وعن سفرتي ... وعن حالنا يا قوم والذى جرى
وثب الينا وقال اهلا وسهلا ... انتم عمامى اولاد عمي الانصرا
وقال لى روحوا الاهلي وبشروا ... الي عمومنا وخوالنا والاصهرا
لازم اجيهم فوق شهبا مبرشمة ... تشبه الى ريح الشمال اذا جري
واقتل عدوى واشتفي من قتله ... وافنى اكابرهم كذاك الاصغرا
انا نصر الدين ما فى غبا ... ادعى الفوارس بالحروب مقهقهرا
اوهب لنا هذه الموال جميعها ... تعجز ملوك الارض عنها وتقصرا
يا آل زغبي ابشروا فى سعدكم ... قد غاب نجم النحس عنكم واندرا
من بعد شهراً كاملا يأتى لكم ... شبه سبع لو فلت من موكرا
شدوا حزم خيولكم يا قومنا ... جانا الفرج من عند رب المقدرا
ما قال ناصر راح عقلى وانشرد ... مما نظر فى عيون المتبصرا

(قال الراوي) فلما فرغ الامير ناصر من كلامه والزغابى تسمع نظامه طاروا من شدة الفرح وما احد الا وتقدم قبل الامير ناصر وادوا له الشكر الجزيل ودارت البشائر فى الحى واخذوا من ذلك الوقت يهيوا حالهم الى الملتقا وعند فروغ اليوم المعين خرجت الامارة الى خارج البلد وطلعوا على تل عالي ونظروا الى البر ساعة من الزمان والا نظروا عن بعد غبرا فصبروا عليها وانجلت على خيال راكب فى ظهر شقرا كأنها البرق وما فى بطا الا ووصل اليهم فقالوا له من اى موضع قادم قال من عند سيدى الملك حاكم بلاد الفاس والمكناس الامير نصر الدين وسبب قدومى هو لكي ابشر بني زغبي بتشريفه فى هذا النهار فعند

ذلك اعطوا خبر الي كامل بني زغبي فخرجوا تسعين الف فارس بالحديد غواطس ومعهم الراية البيضاء التي كان بنشرها السلطان دياب فخرجت مشيخة الشباب ستين الف فارس وخرجوا قوم بني فايد تسعين الف فارس وما بقي في تونس الا بني دريد وزحلان وجملتهم مائة وثمانون الف فارس واما جملة الذين خرجوا الي الملتقي مائتين واربعون الف فارس من كل مدرع ولابس في الحديد غواطس اما من العبيد والنساء والاولاد لا يعلم عددهم غير رب العباد ولما تكامل خروج الفرسان مشيوا جميعهم مقدار ساعتين من الزمان فوصلوا الي مكان واسع جميل المنظر وذلك المكان يدعى عين برشان فحلوا هناك وما أخذوا لانفسهم الراحة والغبار غبر والجو بعد الصفاء تعكر وثار ذلك الغبار حتي لحق عنان السماء وبعد ساعة أنجلي ذلك الغبار فبان عن بيارق مغربية وخيول شامية وفرسان مكناسية ورماح خطية وسيوف عجمية ودروع داوودية وخود سليمانية وطوارق هندية وفي أول تلك الخيل فارس طويل القامة عريض الاكتاف أشقر اللون أزرق العينين عليه درع داودى مطبق في الزرد وعلى رأسه خودة من عمل الهند وعلى كتفه رمح طويل مكعب وعلي يساره سيف مشطب وراكب حجرية عربيه كانها الحمامة الشهباء بنت الخضرا الاصلية وهو في ظهرها كأنه نمر جارح أو ليث فاضح وهو الاسد المهاب والفرخ العقاب مشعل النيران في الهضاب السبع الاروع والبطل الصميدع الملك نصر الدين الزغبي ابن الملك دياب الذى خضعت له صناديد الرجال وعلى يمينه عمه الملك صالح النمر الجارح وعلى شماله ابن الاخ الامير صالح الامير محازء الليث الحازم ومن وراه عشرين راية وتحت كل راية خمسة آلاف فارس ليوث عوابس فلما وصلوا لبعضهم البعض حول الملك نصر الدين على عين برشان وأخذ يسلم على كافة الفرسان كل أمير بمفرده وبعدها أمر في نصب الخيام في ساعة وكان كل شيء متمم ونصبوا إلى الملك نصر الدين وإلى عمه صيوان على خمسمائة عامود من النحاس الاصفر وعشرون طنب وذلك الصيوان من الحرير الاخضر في أعلاه تفاحة من الذهب الاحمر ومن داخله منقوش في تواريخ الاولين وعليه صور ملوك القدماء السالفين فجلس الملك نصر الدين على كرسى من الذهب وجلس عمه عن يمينه وابن عمه على شماله وسحبت العبيد السيوف وتمثلت أمامه والخدم بين يديه والشاويش ينادى العزة لله الواحد القهار .

(قال الراوي) فهذا ما كان من أمر الملك وأما ما كان من بريقع بن حسن أجتمع مع وزيره شيبان وقال له أري اليوم بني زغبي خرجت لخارج البلد وهم